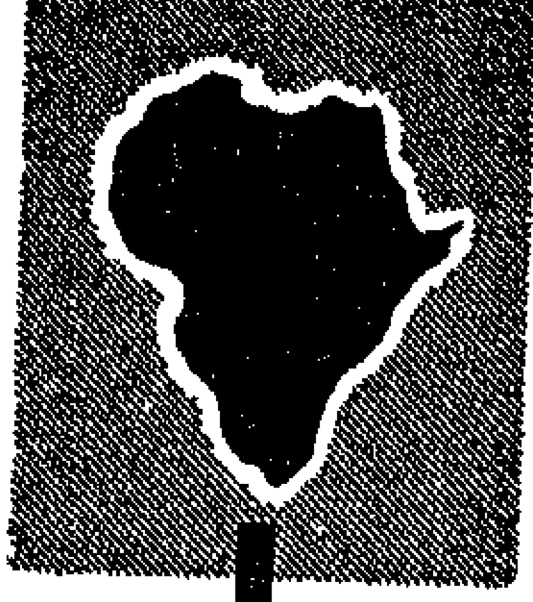


نهضة إفريقيه

مجلة شهرية للثقافة الإفريقية

رئيس التحرير : محمد عبد العزيز اسحق

محتويات العدد

صفحة

مقدمة

إفريقيا تدخل التاريخ الحديث ...

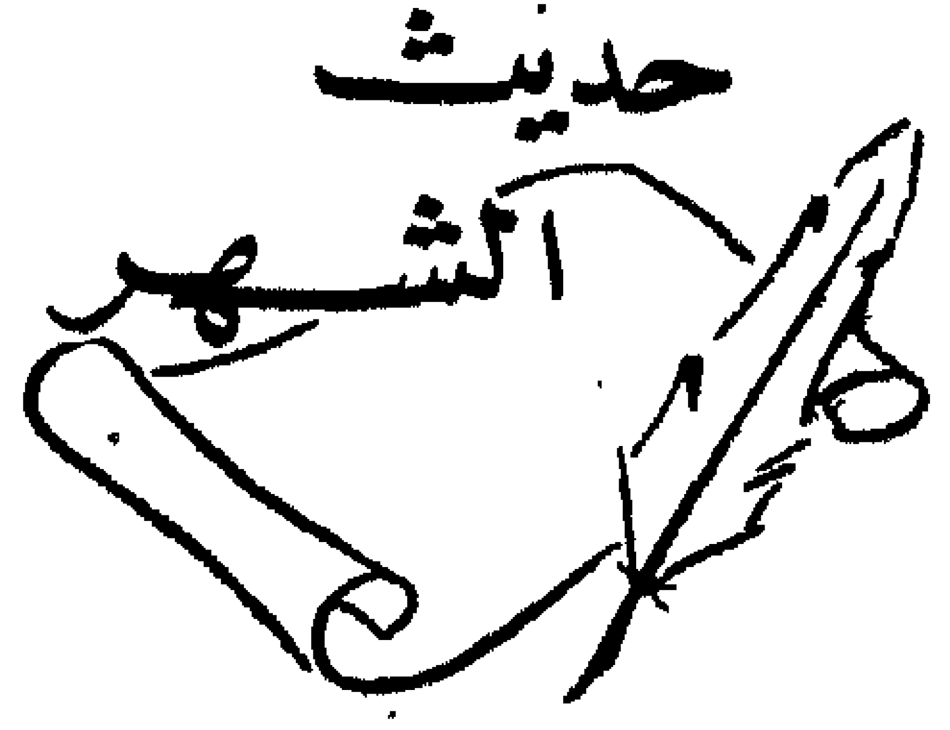
هذه هي الحقيقة المتجسمة التي يرى فيها الأحرار في أركان العالم أملاً مشرقاً ونوراً وضاء ... والتي يرى فيها الاستعماريون في العالم الغربي غصة في الحلوق وكابوساً مزعجاً ...

ولكن الحقيقة تزداد كل يوم تجسماً ووضوحاً، والإفريقيون في الشمال والغرب والشرق والجنوب، في الجبال والصحارى والوديان والغابات، يتزاحمون ويتراكضون في سبيل التحرر من الأغلال، والانتظام في ركب البشرية الزاحف إلى عالم جديد فيه أخوة وحرية وسلام .

إن هذا الزحف غذاؤه «الوعي القومي» وهذه المجلة — وهي أول مجلة تصدر في هذا الاتجاه باللغة العربية مع بعض الخلاصات بمختلف اللغات الأوربية المألوفة في إفريقيا — ترمي بما تنشره من أبحاث ومقالات وأخبار وقصص وتراجم إفريقية، للمساهمة في إنماء الوعي الإفريقي ووضع أسس من التفاهم العقلي والشعوري والفني بين الإفريقيين .

وهي إذ تدعو الكتاب والأدباء والباحثين من جميع أنحاء إفريقيا للمساهمة في جهودها المعنوية ، لتأمل أن تكون دعوتها مؤثرة فعالة محققة لشعارنا جميعاً :

« إفريقيا للإفريقيين »



نيجيريا.. على عتبة الاستقلال

بقلم الأستاذ محمد عبد العزيز اسحق

« أعود من مؤتمر لندن وقلبي مفعم بالأسى ، فلا نحن استطعنا أن نقنع بريطانيا بتحديد تاريخ معين لإعلان استقلالنا ، ولا بإطلاق يد حكومتنا الاتحادية فى شئوننا العامة ، ولا بتمكين الحكم الذاتى فى المناطق الجنوبية .

إنى لأعترف بشعور الندم لاشتراكى فى مؤتمر كان مجال المناورات لخديعة بلادى التى أعبدها » .

دكتور زيكوى الزعيم الوطنى النيجيرى

كان ذلك فى أواسط عامنا هذا حينما انعقد فى لندن مؤتمر ضم مندوبى الأحزاب النيجيرية الكبرى وممثلى الأقليات فيها برياسة وزير المستعمرات البريطانى « لينوكس بويد » لبحث مشكلة الساعة فى نيجيريا ، حيث انتشرت رعدة الوطنية فتيقظ من سباتهم خمسة وثلاثون مليوناً من بنى الإنسان .

وقد مثل المناطق الشمالية المسلمة التى يقرب عدد سكانها من ثمانية عشر مليوناً من أفراد قبائل الهوسة والفلانى ومايتفرع منهما — حزب الحكومة المسمى « مؤتمر الشعب الشمالى » Northern Peoples Congress والذى يرأسه سلطان سوكوتو « الحاج أحمدو » ، وحزب المعارضة المسمى «الاتحاد التقدمى للعناصر الشمالية Northern Elements Progressive Union والذى يرأسه المعلم « أمينو كانو » .

وهما يختلفان فى أن حزب مؤتمر الشعب قد يوصف بأنه إقطاعى النزعة ، حريص على امتيازات السلطان والأمراء وشيوخ القبائل ، وأنه لايبدى أية معارضة للحكم البريطانى ؛ بل إنه يعارض فى أن

تتحد نيجيريا فى دولة مستقلة قبل أن يبلغ الشمال ما بلغته المناطق الجنوبية من تقدم فى الثقافة والدربة على فنون الحكم والسياسة .

أما حزب الاتحاد التقدمى المعارض فهو يدعو إلى تحقيق الحكم الاتحادى فوراً وإقامة الحياة النيابية وضمان حقوق الإنسان ، وما تنطوى عليه من حرية الاجتماع والانتقال والكلام وحرية التعبير والنشر والكتابة .

وكان يمثل المنطقة الشرقية المجاورة للكاميرون الجنوبى والمطلة على المحيط الأطلسى حزب « المجلس الوطنى لنيجيريا والكاميرون »، وهو حزب تقدمى يدعو للاستقلال الناجز، والوحدة الكاملة لجميع المناطق النيجيرية، والامتزاج التام لشعوبها وقبائلها . وهو الحزب الأوحد الذى ينتشر أنصاره المتحمسون لمبادئه فى جميع مناطق نيجيريا ، ويرأسه زعيم وطنى مثقف شجاع هو الدكتور « نمادى زيكوى » .

ومن المنطقة الغربية المشرفة أيضاً على المحيط والتى تشمل الآن دلتا النيجر وتقع ضمن حدودها مدينة لاجوس العاصمة الاتحادية ، دعا حزب « جماعة العمل » وهو حزب انفصالى ، قبلى بمعنى الكلمة ، وقد بلغ من تطرفه فى اتجاهاته الانفصالية أنه لا يكتفى بطلب حكومة مستقلة لكل منطقة من المناطق الثلاث الحالية، بل إنه يطلب الحكم الذاتى لأكثر من اثنتى عشرة مجموعة من القبائل التى يعتبرها « شعوباً » لا يجمع بينها إلا لون بشرتها .

ويرأس هذا الحزب زعيم قبلى اسمه « آوو لاوو » .

ضم المؤتمر زعماء هذه الأحزاب ونخبة من أعوانهم وطائفة من ممثلى أحزاب وجماعات رأى البريطانيون ضرورة تمثيلها رغم ما يبدو من أنها هيئات صنعتها « الإدارة المحلية البريطانية » لكى تكون ، عند الضرورة ، عقبات مضادة للتيارات القومية المتدفقة .

وعندما التأم المؤتمر ، فى شهر مايو الماضى ، كان الدكتور زيكوى (ويسميه أنصاره : زيك) ، كان هو وأقطاب حزب « المجلس الوطنى » قد أقنعوا جميع ممثلى الأحزاب النيجيرية بأن يتمسكوا بعرض مسألة تحديد عام ١٩٥٩ لإعلان الاستقلال على رأس قائمة الموضوعات التى أدرجت

فى جدول أعمال المؤتمر ، وكان الدكتور زيكوى وأنصاره يهدفون من وراء ذلك إلى قطع خط الرجعة على وزارة المستعمرات البريطانية التى دأبت على التسويف والتملص من تحديد موعد معين لنقل السلطة إلى أيدى النيجيريين ، رغم اعترافها ، من ناحية المبدأ ، بحق نيجيريا فى التحرر والاستقلال .

ولكن وزير المستعمرات « لينوكس بويد » لم يقلل من خطورة هذا الموقف وما يترتب عليه ، فى نهاية المطاف ، من خسائر مادية وأدبية من شأنها أن تلحق الأذى بالامبراطورية العجوز...

إن « لينوكس بويد » خير من يعلم أن نيجيريا هى الجوهرة الباقية — بعد فقدان الهند — فى التاج البريطانى ، وأن فى نيجيريا من السكان — المستهلكين للبضائع الإنجليزية — ما يساوى ، وقد يزيد ، على عدد سكان جميع المستعمرات البريطانية الأخرى فى إفريقيا ، وأن أرضها الغنية بالخيرات المعدنية والنباتية توازى أربعة أضعاف مساحة إنجلترا واسكتلندا وويلز وشمال إيرلندا ، وأنها ، أى نيجيريا ، تمد بريطانيا — وبالأسعار التى يفرضها المحتكرون الإنجليز — بما يسد حاجة الصناعة البريطانية من البذور الزيتية وزيت النخيل والأخشاب الثمينة والقصدير والجلود الخام . هذا فضلا عما يرضى شهية المواطن البريطانى من الموز والكاكاو .

ولهذا فقد رسم وزير المستعمرات البريطانى خطته على أساس أن يتفادى العقدة الحرجة ، وهى تحديد موعد الاستقلال ، وفاجأ المجتمعين بسؤال يعلم هو ، مقدماً ، ما يثيره من تفرقة وشتات.

لقد سأل « لينوكس بويد » أعضاء المؤتمر المختلفى المذاهب والمشارب والاتجاهات : لمن تنتقل السلطة بعد رحيل البريطانيين ...؟

وحاول الدكتور زيكوى ، عبثاً ، أن يوحد صفوف الأعضاء من مواطنيه وأن يتفادى هذا السؤال بالعودة إلى الموضوع الجوهرى الذى اتفقوا على أن يجعلوه أول نقطة فى جدول الأعمال ، ولم يتوان وزير المستعمرات عن استغلال الثغرات التى بدت من تناقض إجابات الأعضاء على تساؤله المريب وأخذ ، هو ومستشاروه ، يقودون المؤتمر إلى متاهة من الأنظمة الدستورية الشكلية التى زعم أنها تؤدى

إلى تنسيق أجهزة الحكم فى المناطق الثلاث مما يعين ، فى المستقبل (غير المحدود) ، على أن تنال نيجيريا استقلالها وتصبح بذلك أعظم دولة فى إفريقية ... !

من هنا جاءت صرخة الدكتور زيكوى التى صدرنا بها هذا المقال ، فقد عاد الزعيم إلى بلاده نادماً على الجهد الذى أضاعه فى مؤتمر لندن ، ومالبث أن صارح الشعب بضرورة العودة إلى الكفاح (غير الدبلوماسى) لانتزاع استقلال نيجيريا .

وأعلن الدكتور نكرومه زعيم غانة عن خيبة أمله فى نتائج مؤتمر لندن ، وصرح بعض زعماء « سيراليون » بأن قرارات هـــذا المؤتمر ما هى إلا تضليل للشعب النيجيرى ، وقامت جماعات الطلبة النيجيريين فى بريطانيا وأمريكا تطالب زعماء بلادهم باتخاذ موقف حاسم من الاستعمار البريطانى ، وبعثت الجاليات النيجيرية فى غانة وداهومى وسيراليون وليبيريا تطلب إلى الزعماء أن يتحدوا لينقذوا بلادهم من هاوية التفكك والانحلال ، وسرت فى مناطق نيجيريا جميعها رعشة وطنية كان لها صداها السريع لدى وزارة المستعمرات .

فقد أعلنت هذه الوزارة ، فى الشهر الماضى ، أنها تود أن تسرع الخطا فى تهيئة الظروف التى قد تهيئ نيجيريا ، قريباً ، لنيل الاستقلال . ولما كانت البلاد تحكمها ، صورياً ، ثلاث حكومات ليست بينها رابطة فعلية ، فقد قررت الحكومة البريطانية أن تنشىء فى نيجيريا وزارة وطنية اتحادية يرأسها نيجيرى من المنطقة الشمالية ، وهى أكبر المناطق وأكثرها سكاناً . وقد اختير لرياسة الوزارة الاتحادية « المعلم تفاوى بلوى » واستهل أعماله الرسمية بإصدار بيان أشاد فيه بوحدة البلاد ، وانثنى فامتدح الموظفين البريطانيين ورجال الارساليات .

ولقد أعلنت وزارة المستعمرات أنها سوف تطلب إجراء انتخابات عامة فى نيجيريا عام ١٩٦٠ ، وأنها سوف تستجيب لما يقرره البرلمان المنتخب بشأن الاستقلال ، ولكن الوطنيين النيجيريين وعلى رأسهم دكتور زيكوى لم ينخدعوا بهذا التراجع الشكلى لوزارة المستعمرات ، وقد أدركوا أن الإنجليز يرمون بخططهم إلى كسب الوقت وإنماء بذور التفرقة وإشعار الأهالى أن وجودهم هو الضمان الأوحد لتجنب التصادم بين

مختلف المناطق وإيجاد التوازن بين القوى السياسية المتضاربة الأهداف .

ومن هنا انبعثت صيحات دكتور زيكوى لضم الصفوف ، وانطلقت جهود « المجلس القومى لنيجيريا والكاميرون » للتكتل والضغط على بريطانيا ، حتى تتراجع مرة أخرى ، وتستجيب للمطلب الرئيسى الذى ذهب من أجله الزعماء إلى لندن ، وهو إعلان استقلال البلاد فى عام ١٩٥٩ .

ولقد يخطر لمن يرقب الأحداث ، لأول وهلة ، أن بريطانيا قد توفق إلى عرقلة المطالب القومية النيجيرية بلجوئها إلى التسويف والمناورة ، والإمعان فى سياسة التفرقة بين الأحزاب ، ولكن النظرة الفاحصة لتاريخ التطور الدستورى فى نيجيريا تنبئ فى خطوط بارزة أن الوعى الوطنى فى تلك البلاد قد بلغ فى الأعوام الأخيرة مرحلة من الإقدام والتوثب تبعث على دهشة الأعداء والأصدقاء ، على حد سواء .

فمن المعلوم أن أول دستور أو (مجموعة قوانين) وضع لحكم أول منطقة نيجيرية ثبّت فيها الاستعمار أقدامه وهى منطقة « لاجوس » ، فى عام ١٨٦١ . وظل هذا الدستور بغير تعديل لأكثر من ستين عاماً ، وكان محوره مجلساً تشريعياً استشارياً ، جميع أعضائه من الموظفين البريطانيين .

ففى عام ١٩٢٢ جاء الحاكم العام « هيو كليفورد » بدستور جديد حاول فيه أن يتمشى مع تطور البلاد وتطلعها فى المستقبل إلى حكم برلمانى ، وبمقتضاه دخل المجلس التشريعى الاستشارى أربعة من أبناء البلاد الإفريقيين .

وبعد عشرين عاماً (بدلا من ستين) أى فى عام ١٩٤٢ حدث الإصلاح الدستورى التالى . فقد جاء دستور جديد على يد الحاكم العام الجديد (ادوارد بورديون) وأضيف إلى المجلس التشريعى الاستشارى ، مجلس تنفيذى استشارى أيضاً ، وعين فيه بعض الأعضاء الإفريقيين من غير الموظفين .

ولم يمكث هذا الدستور أكثر من أربع سنوات ، فقد تكون فى عام ١٩٤٤ أول حزب وطنى نيجيرى (وهو حزب المجلس القومى لنيجيريا والكاميرون) ونظم حملة على نظم الحكم الاستعمارية القائمة ، ولما اشتدت الحملة سحبت بريطانيا حاكمها العام (بورديون)

وبعثت بحاكم جديد يحمل دستوراً جديداً .

وهنا ظهر دستور (رتشاردز) عام ١٩٤٦ . وكان يتضمن تقهقراً أمام المطالب الوطنية من ناحية أنه سمح لحكام الشمال المسلمين بالاشتراك فى الحكومة المركزية ، ولكنه قسم نيجيريا إلى ثلاثة أقسام تشريعية ، لكل قسم جمعيته الإقليمية الخاصة ، وبهذا وُضع أساس قانونى للتفرقة بين مناطق الوطن الواحد .

قامت العناصر الوطنية باضطرابات واسعة ، وسافر وفد نيجيرى إلى لندن برياسة الدكتور زيكوى فى العام التالى (١٩٤٧) ليحتج لدى حكومات العمال ، ولكن وزير المستعمرات حينئذ « كريتشى جونز » رفض الاحتجاج ونصح الوفد بالعودة فوراً إلى بلاده ، وانتشرت فى البلاد حركة مناهضة للبريطانيين ، فاضطرت الحكومة البريطانية لإعادة النظر فى ذلك الدستور ، وسحبت الحاكم العام مرة أخرى ، وأوفدت بدلا منه « جون مكفرسون » وفى جيبه دستور جديد . وكان ذلك فى عام ١٩٤٩

وقد سمح هذا الدستور الجديد بتكوين مجلس نواب مركزى للمناطق الثلاث ولكنه احتفظ بالمجالس التشريعية والتنفيذية لتلك المناطق ، ومنحها اختصاصات من شأنها أن تزيد هوة الانقسام فيما بينها . كما أنشىء بمقتضاه مجلس وزراء مركزى يتكون من البريطانيين وبعض من يتخيرونهم من الإفريقيين .

ولم تمض على هذا الدستور أربع سنوات حتى حدثت أزمة دستورية تعتبر من مدهشات الروح القومية وغرائبها ...

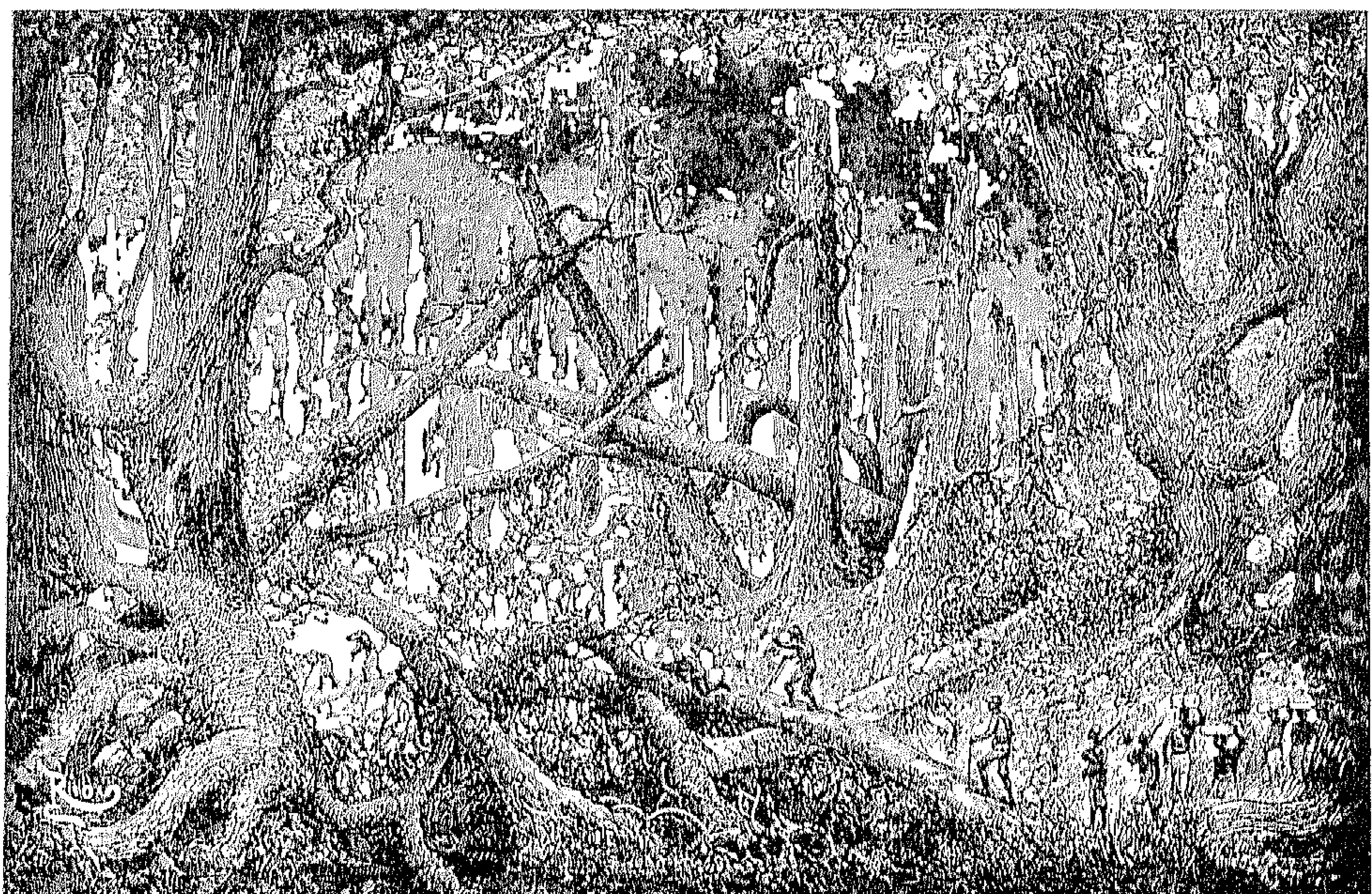
فقد تقدم نائب من حزب « جماعة العمل » — المهادن للإنجليز — إلى البرلمان المركزى باقتراح يدعو الحكومة البريطانية أن تعلن منح الحكم الذاتى لنيجيريا عام ١٩٥٦ ..!

وآزره جميع نواب الحزب ، كما آزره بالطبع نواب حزب الدكتور زيكوى (المجلس القومى) ففاز الاقتراح بالأغلبية وحدثت أزمة دستورية حادة دفعت وزير المستعمرات البريطانى « لتلتون » إلى عقد مؤتمر فى لندن (عام ١٩٥٣) دعيت إليه الأحزاب النيجيرية ، وأظهرت فيه وزارة المستعمرات تكتيكها الجديد ... فقد تظاهرت بقبول إعلان الحكم الذاتى ، من ناحية المبدأ ، ولكنها

أظهرت تساؤلها المحير الباعث على تفرق الآراء : لمن تنقل السلطة فى نيجيريا ؟ .

وفى هذا التساؤل المريب تركزت مناورات وزير المستعمرات الحالى « لينوكس بويد » التى أشرنا إليها فى بدء هذا الحديث ، ولكن مفاجأة عام ١٩٥٣ الدستورية ما تزال ماثلة فى الأذهان .

ولم يبق للقضاء على الاستعمار البريطانى فى نيجيريا إلا مفاجأة أخيرة مماثلة قد تحدث فى أية لحظة من لحظات الشعور القومى ، ألا وهى إجماع الأحزاب الكبرى على تحمل مسئولية الحكم وتسلمها من أيدى البريطانيين .

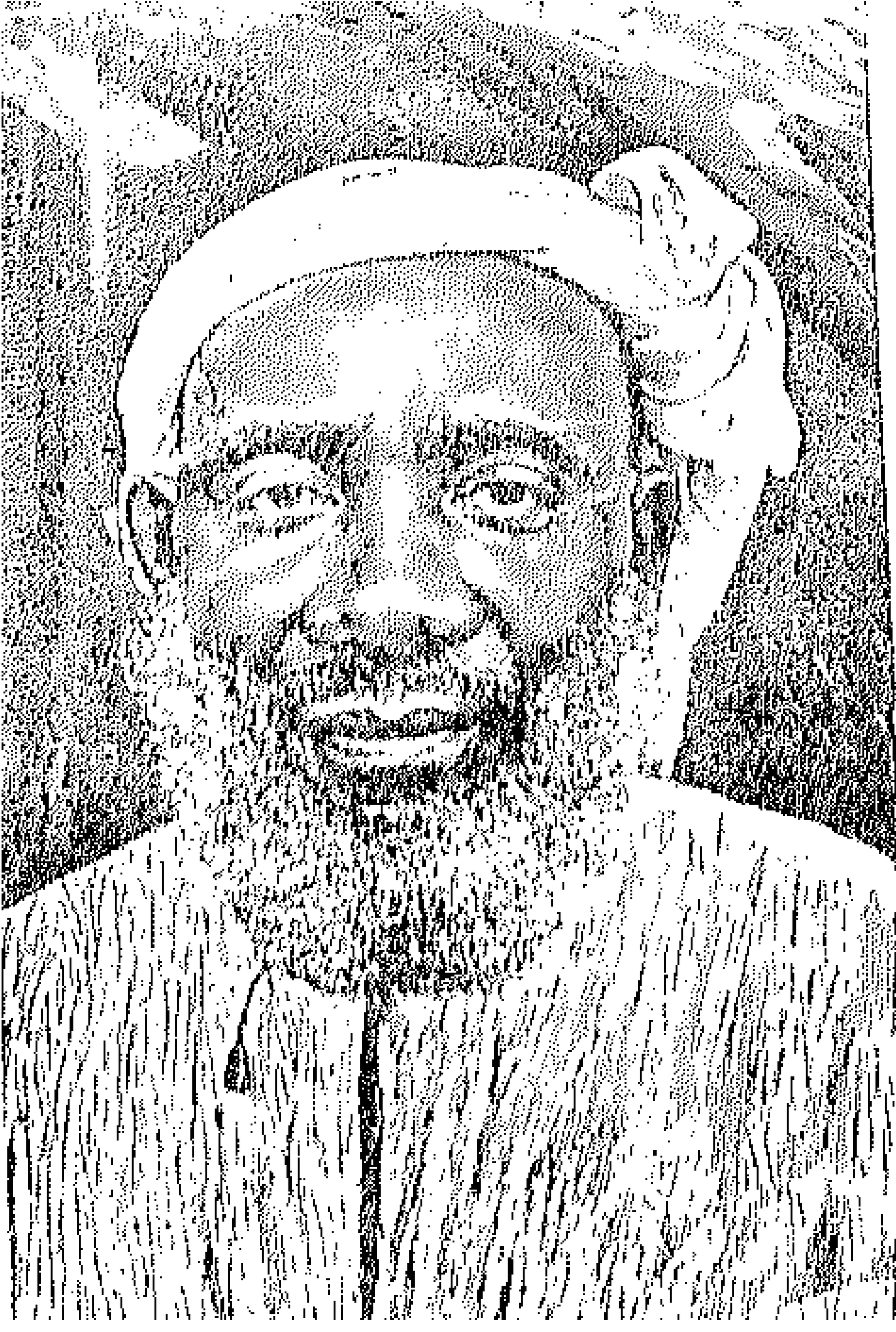


صفحة من الصراع فى افريقيا

تيبو تيب

حميد بن محمد بن جمعة المرجبي

(١٨٣٤ - ١٤ يونيه ١٩٠٥)



بقلم الأستاذ الشاطر بصيلى عبد الجليل

١ - تمهيـــد :

لقد كانت السنوات العشر من نهاية القرن التاسع عشر الميـــلادى نقطة تحول فاصلة فى تاريخ العرب فى شرقى إفريقيا ، وقد جاء العرب إلى هـــذه المنطقة منذ أزمنة سحيقة ، واتخذوا من هذا الشاطىء محطات لتموين ســـفنهم ولتخزين سلعهم التى كانت تأتى من داخل القارة ، ومن بينها الرقيق الذى كان من بين السلع التجارية الشائعة فى تلك العصور للعمل فى الجندية وفى القيام على الزراعة والخدمات المنزلية ، واشـــتد الطلب على هذا النوع من الأيدى العاملة بسبب التوسع الزراعى وبخاصة زراعة النباتات العطرية فى الأقطار المدارية ، واهتم الأوربيون بهـــذه التجارة للحصول على الأيدى العـــاملة القليلة التكاليف للقيام على الزراعة فى الأمريكتين وجزر الهند الغربية . وعلى حين كان الرقيق يعامل فى الشرق معاملة إنسانية كان الغربيون يسيمونه سوء العذاب والاستغلال إلى أقصى حد ممكن ولو بإزهاق الأرواح بسبب الأعمال الشاقة وسوء العناية .

وقد كان للشاطىء الإفريقى الشرقى أهميته الاستراتيجية بالنسبة للعرب — وبخاصة لتلك المجموعات التى جاءت من الخليج الفارسى — شيراز ، مَسْقَط ،

عُمّان – ومن سواحل الجزيرة العربية الجنوبى الشرقى والجنوبى الغربى – حيث كانت فى أيديهم مقاليد التجارة البحرية فى المحيط الهندى والبحر الأحمر . وكان لزاماً أن تؤسس المحطات على الشاطىء الإفريقى الشرقى عندما ازداد النشاط التجارى ، وبدأ دخول عناصر جديدة .

ويكوّن الشاطىء الإفريقى الشرقى فى الواقع ضلعاً فى حوض المحيط الهندى الذى اصطرعت حوله القوى بالقدر الذى كانت تمليه الضرورات الاقتصادية لشعوب المحيط الهندى والشرق الأقصى ، وتطور الصراع بدخول الفرنج فى هذه المياه التى احتلت مكاناً فى التجارة العالمية لا يقل شأناً عما عليه البحر المتوسط اليوم .

وقد جاءت إلى الشاطىء الشرقى سفن من الصين وأندونسيا والهند لتبادل التجارة ، وترك هؤلاء آثارهم فى كثير من مناحى النشاط ، وتمت للعرب السيطرة على طول الساحل من موزنبيق حتى نهايته شمالا بما فى ذلك البحر الأحمر . ودخل الصراع فى مرحلة جديدة بدخول البرتغال فى نهاية القرن الخامس عشر الميلادى ، فقد جاءوا إلى هذه المياه فى محاولة لكشف طريق بحرى للتجارة مع الهند والشرق الأقصى بعد أن تعطلت التجارة مع موانى شرق البحر المتوسط بسقوط الامبراطورية البيزنطية واستيلاء العثمانيين على القسطنطينية وسيطرتهم على موانى ذلك الشاطىء . وأخذ الصراع فى التطور متأثراً فى ذلك بالكشوف الجغرافية واستخدام البخار والتوسع الزراعى والصناعى والتغيير الذى حدث فى المجتمع الأوروبى ، فخرجت البرجوازية التجارية سعياً وراء الكسب والاحتكار .

وكان لظهور القوى الإسلامية الجديدة فى يد العثمانيين فى شرق البحر المتوسط وامتدادها جنوباً وضم مصر – أن سارعت الدولة الجديدة إلى تزويد الإمارات والمشيخات العربية فى الخليج الفارسى وعلى ساحل المحيط الهندى وفى البحر الأحمر وفى شرق إفريقيا – بالبنادق النارية التى كانت معروفة حينذاك والتى كانت تنطلق بالزناد وإشعال الثقاب ، وقد ساعد هذا العنصر الجديد العرب على إجلاء البرتغال عن شرق إفريقيا وبسط سيطرة سلطان عمان على ذلك الجانب ، وقد كان تاريخ البرتغال فى هذه المنطقة من أحلك ما سجله التاريخ من

الظلم والاستعباد والاستهتار بالقيم الإنسانية . ولكن سرعان ما جاءت دول أخرى واشتد بينها التنافس الذى كان من نتائجه المرحلة الفاصلة فى تاريخ العرب فى شرق إفريقيا والتى تمثلت فى بطلها المترجم له « تيبو تيب ».

« ٢ »

تتمثل فى حياة تيبو تيب وكفاحه فى السنوات الأخيرة من القرن الماضى ، صورة واقعية تترجم لنا وسائل الأوروبيين فى بسط سيطرتهم واستضعافهم للشعوب المغلوبة على أمرها ، وبالرغم من أن الغربيين قد كسبوا الجولة الأولى فى الصراع ، وذلك بإجلاء العرب عن منطقة النزاع ، التى تكوّن موضوع البحث ، وتشمل حوض الكُنْغُو ، الذى اتخذ منه الصراع مسرحاً للتطاحن ، وانه وإن كان العرب والإفريقيون قد تأثروا إلى حد كبير بالغزو الأوروبى ، إلا أن ذلك الغزو وما تبعه من سلطان وسيطرة ، لم يخمد جذوة الكفاح . وآية ذلك ما نجده اليوم من حركات استقلالية مطالبة بالحقوق المغتصبة .

وإذا حاولنا أن نحلل شخصية تيبو تيب لنتبين مدى كفاحه ونصيبه من النجاح والفشل ، نجده قد عمل فى عزلة تامة ، لا يرتبط بما حوله من أقطار عربية ، فالسلاطين والمشايخ كانوا قد احتضنهم الأوروبى وارتبطوا بعجلته فى معاهدات حدت من نشاطهم ، ولم تُبق لهم من النفوذ المدنى إلا قليلا مع بعض السلطان الدينى ليستغل فى الفرص المواتية . كما أننا نجد أن كفاح تيبو تيب يمثل — فى صورة أو أخرى ، مع الأخذ بعين الاعتبار اختلاف الزمان والمكان — ما حدث فى مناطق أكثر التصاقاً بمنطقته .

ولقد كان لهذه الحركات التى بدأت بما قام به الزبير باشا رحمت فى حوض النيل الأعلى فى السنوات من ١٨٥٦ إلى ١٨٧٥ وكفاح السلطان رابح بن فضل الله (الذى كان أحد قواد الزبير) فى حوض تَشَاد من ١٨٧٧ إلى ١٩٠٠ ، ودعوة الجهاد التى قادها الإمام المهدى وخليفته فى سودان وادى النيل من ١٨٨١ إلى ١٨٩٨ م ، كان لهذه الحركات ، التى قامت لمقاومة النفوذ الأوروبى ، الأثر فى تقرير الخطط التى قام بها الأوروبيون لبسط سيطرتهم ونفوذهم ، وقد ربطوا بين هذه الحركات فى إطار موحد . لذلك نجد لزاماً علينا أن نربط بين هذه الحركات

جميعها وإن اختلفت أزمنتها وأمكنتها ، ونرجو أن يمكننا الربط بين هذه الأحداث من الوصول إلى نتائج تصور لنا ما لها وما عليها .

« ٣ »

يرجع نسب تيبو تيب ، كما أطلق عليه ، إلى قبيلة المرجبية التي جاءت من الجزيرة العربية ، واتخذت موطناً لها في قرية « مبُومَّاجِي » الواقعة جنوبي دار السلام . واختلط هؤلاء كما اختلط غيرهم من القبائل العربية التي جاءت في القرن السابع عشر بالوطنيين ، وبخاصة عن طريق الزواج ، الأمر الذي أثر بدوره في اللغة التي صارت لغة أهل الساحل ، ثم رحل كثير من العرب إلى جزيرة زنجبار التي صارت عاصمة لملك السلطان سعيد .

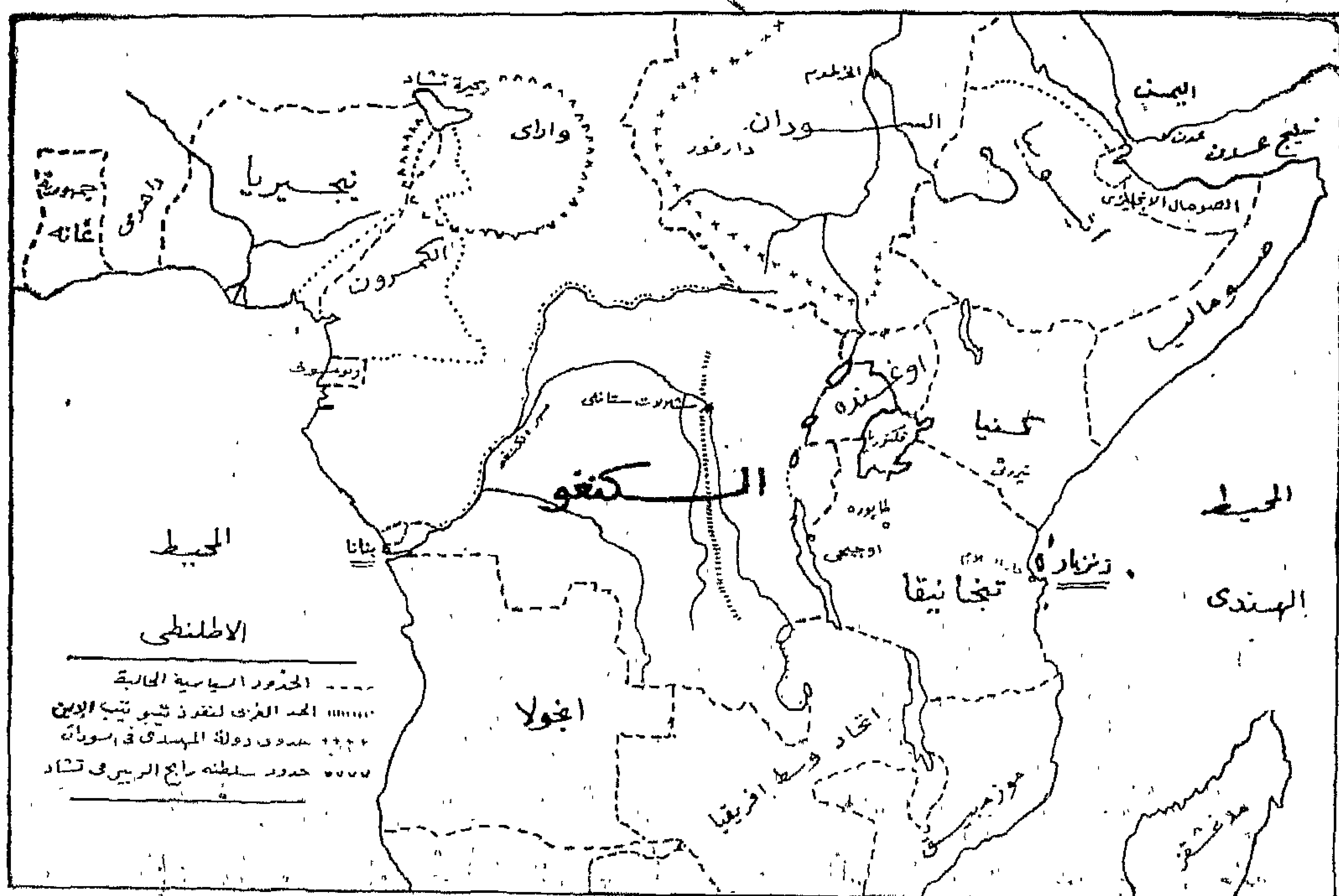
وفي هذه الجزيرة ولد حميد بن محمد ابن جمعه المرجبي في عام ١٨٣٢ م ، كما أوضح الشيخ ناصر بن سليمان بن ناصر اللمكي من أهل زنجبار في رسالته التي ضمنها جورجي زيدان كتابه « مشاهير الشرق في القرن التاسع عشر » (ص ٢٠٢ . جزء أول) وقام والده ، وهو رجل متوسط الحال ، بتعليم ابنه بعد بلوغه الخامسة من عمره : علمه القراءة والكتابة والقرآن الكريم ، وأقعده الفقر عن مواصلة العلم وكسب الرزق ، وبخاصة بعد سفر والده إلى داخل البلاد للتجارة ، شأنه في ذلك شأن الباعة المتجولين الذين يتنقلون على ظهر الدواب من مكان إلى مكان لعرض سلعهم وبيعها بالمقايضة في الغالب ، ولما بلغ الثانية عشرة من العمر اشتد به الضيق فاقترض مبلغاً زهيداً من المال اشترى به ملحاً لبيعه في الداخل ، وكانت أسفاره ، التي استمرت بضعة شهور ، لا تزيد عن مسيرة ثلاثة أيام من زنجبار ودار السلام ، ثم أخذ في الاغتراب بعيداً شيئاً فشيئاً ، ووثق به التجار الذين أمدوه بالسلع من الثياب والمأكولات وغير ذلك . ثم وصل إلى علمه أن والده قد وصل إلى بلدة تَبُّورَه وأنه قد صاهر سلطان ذلك البلد ، فشد رحاله للحاق بوالده الذي وصله بعد سفر طويل ، ولقي هنالك ترحاباً من السلطان الذي أهدى إليه بعض العاج ، وقربه إليه ، فزاد ذلك من شأنه . وكان أن اشتبك السلطان صهر والده مع سلطان آخر في قتال استمر بعض الوقت ، فجمع حميد رجاله ودخل أرض العدو ليلا وأعمل القتل والسلب وجمع السبايا والعاج ، وانتزع السلطان لنفسه وأطاعه أهلها .

وكان لهذه التجارب القاسية أثرها فى توجيه مستقبل حميد الذى عاد إلى مسقط رأسه ومعه ما غنمه ، وبعد أن قام ببيع بضاعته اشترى سلعاً أخرى لبيعها فى الداخل ، من الثياب والخرز والبارود والرصاص بما قدرت قيمته بتسعين ألف ريال (ماريا تريزا) واعترضه فى سفره قطاع الطريق الذين استطاعوا أخذ جزء من بضاعته . وبعد تجربة قاسية وصل إلى مملكته حيث وجد أن سلطانها السابق قد استنجد بسلطان آخر واستطاعا التغلب عليه وقهره ، وانفض من حوله رجاله بعد هزيمته . فعاد إلى أوجيجي حيث اشتغل بالتجارة . ومن ثم عاد إلى زنجبار للاستعداد لمحاربة السلطان المغتصب لمملكته ، وعند وصوله إلى مملكته وجد السلطان قد استعد لملاقاته متحصناً فى بلده ، فحاصره بضعة أشهر ، حفر خلالها قناة حول بها الماء عن البلدة مما اضطر السلطان إلى التسليم إلى حميد دون قيد أو شرط ، فاشتد ساعده ووصلت إليه البضاعة من الساحل بما فيها كمية من البارود استخدمها فى حربه ضد القبائل إلى أن وصل إلى نهر الكنغو ، وأعد عدداً من القوارب ، وأصيب هذه المرة أيضاً بهزيمة منكرة استولى فيها العدو على مراكبه وأمواله ، وبعد هذه الهزيمة بأسبوعين عاد لملاقاة عدوه فى جيش قوامه عشرون ألف رجل قسمه أربعة أقسام ، وأنفذ جيشه فى طرق مختلفة هدفها الأخير « ستانلى فولس » . وكان نتيجة لهذه الخطة المحكمة استرداده للأرض التى فقدها وأخذ أمواله التى سلبت منه وفتح الطريق للتجارة وتأمين شبكة المواصلات البرية مع الساحل ، وصار يرسل تجارته إلى زنجبار لبيعها ، وقد قام تيبو تيب بخدمات جليلة لسبيك وليفنجستون وستانلى وعاونهم فى كشوفهم .

« ٤ »

وبدأ اشتباكه مع الافرنج الذين تسللوا إلى البلاد فى عام ١٨٨٢م عندما تعرض قنصل البلجيك لابنه سيف وطلب منه أن يقدم له كل ما لديه من العاج لدمغه باسم الحكومة البلجيكية ، فرفض وقبض عليه وأرسله إلى قائد الجيش راشد بن محمد الذى حكم عليه بالجلد والحبس عامين ، ولولا وصول حميد فى ذلك الوقت لتطور الموقف بالنسبة للقنصل البلجيكى . وأخذ النزاع بين

البلجيك والعرب ، وعلى رأسهم حميد ابن محمد — فى الاشتداد ، وتدخل قنصل الإنجليز الذى أفهم حميدا بأن البلجيك سيدخلون الكونغو ، ونصحه بعدم معارضتهم ، لأنهم لا يريدون غير الاتجار ، وأنه سوف يسمح له بممارسة تجارته فى حرية ، وعرض عليه أن الحكومة البلجيكية ستدفع له مقابل تجارتها مبلغاً شهرياً قدر بخمسة وستين جنيهاً ، فأبى حميد ، فقال له القنصل : إن انكلترا قد تعهدت بموازرة البلجيك ، وإنه إذا أصر على الرفض فسوف يمنع حميداً من السفر لداخل البلاد . فاضطر إلى قبول العرض وطلب من القنصل البريطانى نقل عبيده من بَاجُمُوبُو إلى زنجبار ، وقد سمح له بذلك رغم التشديد فى حملة منع الرقيق ، وحدثت فى هذه المدة اشتباكات بين العرب فى الكونغو وبين البلجيك كان من نتائجها إخراج الأجانب من الافرنج من البلاد ، وعمل العرب فى التنكيل بالبلجيك قتلا وتشريداً ، مما أزعج الإنكليز الذين طلبوا من حميد التعجيل بالسفر إلى الكونغو عن طريق رأس الرجاء الصالح ، ولما وصل حميد إلى ستانلى فولس عن طريق نهر الكونغو ، وكان



العرب قد خربوا هذه المحطة حيث كان شريك حميد السيد نازيجي Bwana N'zigi وابن حميد راشد قائد القوات، يمارسان سلطات واسعة ويتدخلان فى شئون المنطقة مما أثار حفيظة الحاكم المحلى البلجيكى .

وهدأت الحال بعد دخول حميد إلى المحطة ، وعرض عليه أن يتولى الحكم فى المنطقة (التى كانت سابقاً تكوّن مملكته) باسم حكومة الكونغو الحرة ، وصار الحاكم المطلق التصرف ، غير أن هذا الوضع لم يتقبله الموظفون من الأوروبيين بدعوى أن حميداً كان تاجراً للرقيق ويخشى أن يفيد من مركزه فى تقوية موقف العرب . وبدأت خطة البلجيك بإرسال قوة صغيرة على رأسها ضابط بلجيكى لاحتلال جزيرة سبق إخلاؤها فى « ستانلى فولس » ولم يهتم حميد بهذا الإجراء وتغاضى عنه لحكمة فى نفسه ، وعمل فى نفس الوقت على تقوية مركز العرب واستعداداتهم ، وتوجس كل من البلجيكيين والعرب خيفة من نوايا بعضهم البعض، وتدخلت الأساليب والدسائس الخفية لبث التفرقة والتخاصم بين أتباع حميد من القبائل الإفريقية ، وعندما تهيأت الفرصة اشتبكت قوات الكونغو الحرة مع قوات حميد وعلى رأسها ابنه سيف الذى قتل وهرب ثابت أخوه ، وشتتت قوته ، واستولى البلجيك على أموال حميد التى قدرت بمائة ألف جنيه ، اختلس منها مبلغاً كبيراً بعض وكلائه فى زنجبار وبقيت له بعض الضياع والمساكن التى اشتراها فى بلدة زنجبار ، وقد عاونته مواردها على العيش إلى أن انتقل إلى رحمة مولاه فى الرابع عشر من يونية ١٩٠٥ م ، واشترك فى تشييع جثمانه علية القوم والقناصل . وهكذا انتهت حياة حافلة بالكفاح والجهاد .

« ٥ »

لقد كان للعرب ، كما سبق أن أوضحنا ، السيطرة المطلقة على المنطقة الداخلية من الساحل الإفريقى الشرقى إلى حوض نهر الكونغو الأعلى ؛ وقد أقام العرب محطات تجارية ، وفتحوا طرقاً للتجارة والقوافل ، وبقى الحال على هذا المنوال لعدة قرون سبقت بداءة — الزحف الأوروبى فى حوالى منتصف القرن التاسع عشر ، وقد مهدت لهذا الزحف عمليات الاستطلاع وجمع المعلومات التى قام بها الرحالة

الافرنج فى النيف والثلاثين عاماً الأولى من النصف الثانى من القرن الماضى ؛ وقد أسهم العرب بتزويد هؤلاء الرحالة بالمعلومات والمساعدات التى يسرت لهم الوصول إلى نتائج كشفية ؛ وقد كان من نصيب تيبوتيب فى الحياة أن يعاصر هذه الموجات من الرحلات التى قام بها أوروبيون من مختلف الجنسيات ، كما كان له نصيب فى أن يدخل طرفاً فى الصراع الدولى ، وتأثر موقفه كثيراً بالحركات القومية التى قامت فى سودان وادى النيل وفى تشاد ، وهذا مما جعل الأوروبيين يستنفدون جهودهم للقضاء على السيطرة العربية خشية قيام امبراطورية إسلامية فى قلب القارة ؛ وقد ورد اسم حميد فى يوميات لفنجستون عند مقابلتهما فى ٢٩ من يولية سنة ١٨٦٧ م وجاء من بعده استانلى الذى جاء إلى زنجبار فى ٦ من يناير سنة ١٨٧١م للبحث عن لفنجستون وعاد إلى أوروبا بعد العثور عليه ، ولما علم استانلى بوفاة لفنجستون ووصول جثمانه إلى انجلترا فى ١٨٧٤ م قرر العودة إلى إفريقيا فى نفس السنة ليتابع ما قام به لفنجستون ، وعاد إلى أوروبا فى نهاية عام ١٨٧٧ ، وقد تم فى ذلك الحين إنشاء « الجمعية الدولية للكشف فى إفريقيا » فى بروكسل تحت رعاية الملك ليوبولد ، وكلفت الجمعية استانلى بالعودة إلى الكونغو لما له من خبرة بشئون هذا الحوض ، وطلب إليه إنشاء سلسلة من المحطات التجارية ، والحصول على معاهدات من الزعماء المحليين . وكان لهذه المعاهدات التى حصل عليها استانلى أثر فى حصول ليوبولد على اعتراف من المؤتمر الدولى الذى عقد فى برلين سنة ١٨٨٤ — ١٨٨٥ بحقه فى الكونغو .

وكان تيبوتيب يتوجس خيفة من نشاط استانلى وغيره من الأوروبيين لما سيكون لهذا النشاط من نتائج امتداد السيطرة الأوروبية وتحويل التجارة من الشاطىء الشرقى إلى الجانب الغربى ، وقد بذل أولئك الرحالة جهودهم لإقناع العرب بأن دخولهم للبلاد سوف لا يغير من الأوضاع التجارية ، وما كان ذلك إلا خداعاً وكسباً للوقت حتى تثبت أقدامهم على الأرض عن طريق المعاهدات التى عقدوها مع الزعماء وعن طريق القوات العسكرية التى أعدوها ، وعن طريق وسائل المواصلات التى أقاموها والتى ربطت بين المحطات على طول نهر الكونغو .

وبعد انتهاء مرحلة بناء هذه القاعدة — محطات ومواصلات وقوات ، واعتراف مؤتمر برلين — دخل الصراع بين العرب والأفرنج فى مرحلته الثانية . فقد عقدت فى عام ١٨٨٤ اتفاقية بين العرب والبلجيك التزم فيها العرب بعدم الدخول فى الكونغو (من ناحية الغرب) غربى الشلال السابع من مساقط استانلى (استانلى فولس) كما تعهدوا بألا يدخلوا أراضى الكونغو الحرة للغزو أو التجارة أو صيد الرقيق أو الحصول على العاج ؛ وقد حافظ العرب على السلام . وكان الموقعون على هذه المعاهدة من العرب أحد أبناء تيبوتيب وكاريما كايوميا ، ووقع عليها أيضاً زعماء القبائل التى تسكن حول المنطقة كطرف ثان ، واعترف هؤلاء الزعماء بوضع بلدانهم تحت حماية الكونغو الحرة — وهذه نقطة مهمة بالنسبة للبلجيك ، وكان ذلك الاتفاق قد تم فى غيبة تيبوتيب الذى نقضها ، ولم يعترف بها عند عودته ، وأخطر المندوب البلجيكى الضابط وستر أنه موفد من قبل السلطان سعيد ابن برغش سلطان زنجبار لمنع العرب من التصرف فى العاج الموجود فى حيازتهم وأنه سيعمل على أن تكون التجارة عن طريق زنجبار لا عن طريق الغرب ؛ وأخذ كل فريق فى الاستعداد للقتال .

ومن المؤسف أن السلطان سعيد قد تخلى عن مساعدة تيبوتيب ، وحاول البلجيك بوساطة استانلى تعيين تيبوتيب حاكماً مطلقاً كما أشرنا من قبل ، ولكن ذلك لم يؤخر النتيجة الحاسمة وهى العمل من جانب البلجيك على الخلاص من العرب ، وبخاصة أنهم كانوا يخشون اتصال الحركة العربية فى منطقة حوض الكونغو بحركة المهدى فى السودان ، وخشيت انجلترا من امتداد نفوذ تيبوتيب إلى منطقة النيل الأعلى . فكانت مسألة إخراج أمين باشا من خط الاستواء بوصفه موظفاً مصرياً ، موضع صراع بين الألمان والانجليز . فجاء استانلى لإنقاذ أمين باشا على رأس حملة الانقاذ ، وكان وراء هذه الحملة ليوبولد الثانى ملك البلجيك وصاحب الكونغو الحرة ، ووليم مكينون مدير الشركة البريطانية الامبراطورية لشرق إفريقيا . وقد جمع استانلى لهذه الرحلة مبلغ ١١٫٥٠٠ جنيهاً وحصل من مصر على ١٠٫٠٠٠ جنيه أى مبلغ ٢١٫٥٠٠ جنيه ، وحصلت الحملة على خطابات من مصر لأمين باشا

لإخلاء المديرية المصرية ، وكانت لجنة الإنقاذ ورجالها الثلاث الفرسان ليوبولد ومكينون واستانلى ينظرون إلى مغنم كبير يعوض لهم المبالغ التى صرفوها ، حيث وصل إلى علمهم أنه لدى أمين باشا حوالى خمسة وسبعين طناً من العاج فى محطة وادلاى ، قدر ثمنها بحـوالى ستين ألفاً من الجنيهات ، وعقد استانلى اتفاقاً مع حميد لتزويده بالحمالين اللازمين لنقل هذه الغنيمة ، وتباطأ استانلى فى تنفيذ الشروط إلى أن يتأكد من وجود العاج فعلا فى وادلاى ، واتهم استانلى تيبوتيب بمخالفته للتعهد ، وأقام ضده قضية فى زنجبار ، واضطر مكينون وزملاؤه إلى اتخاذ قرار لسحب القضية التى رفعها استانلى .

وكان من الجانب الألمانى فى الصراع حول مديرية خط الاستواء المصرية الدكتور كارل بيترز الذى كوّن ، مع بعض مواطنيه ، جمعية فى ألمانيا لإنقاذ أمين باشا الألمانى (جورج شتيرز) ونشر بياناً فى الصحف الألمانية أشار فيه إلى الخطر الذى سوف يحيق بأمين باشا الألمانى وما سوف يصيب المدينة إذا وصلت أيدى المهدية إلى هذه المنطقة ، وانتهى الصراع والتسابق بنجاح الشركة الامبراطورية لشرق إفريقيا فى بسط سلطانها على المنطقة التى انتقلت فيما بعد للحكومة البريطانية .

«٦»

ويبدو أن هذه الصفحة من تاريخ العرب فى شرق إفريقيا يرجع الفضل فى وصولها إلى علمنا إلى ما كتبه الرحالة الافرنج ، ولولا ذلك لطويت هـذه الصفحة فى زوايا النسيان ، وآية ذلك أن ما لدينا من معلومات عن القرون السابقة لا تمكننا من التعرف على حقيقة مجرى الحوادث فى تلك المناطق . وحتى تتجمع لدينا معلومات ووثائق أوضح فانه سوف لا يكون من اليسير القيام بدراسة تحليلية لمختلف نواحى النشاط لتحديد أسباب الفشل الذى أصاب العرب بالرغم من الامكانيات الضخمة التى كانت فى أيديهم . فما هى الأسباب التى جعلت العرب لا يهتمون إلا بالتجارة والقيام بدور الوسيط فيها ؟ ولماذا لم يقيموا حكومة منظمة لإدارة المناطق التى بسطوا سيطرتهم عليها وأقاموا فيها المحطات التجارية وشقوا طرق مواصلاتهم بينها ؟ وهل كان هناك أثر للوضع الذى جعل من الزعماء القائمين على التجارة أفراداً يعملون لحسابهم الخاص ولم تكن هنالك

طبقة فى الصف الثانى ؟ ومن الضرورى أيضاً التعرف على العلاقات التى قامت بين العرب وأهل المناطق المحلية ومن استخدم من أبنائها فى النقل الخ الخ ، ولماذا لم تكن هنالك روابط أو تجاوب أو هدف موحد يجمع بين الحركات القومية التى قامت فى حوض النيل الأعلى . وفى حوض تشاد ؟ كل هذه تتطلب دراسة تحليلية واسعة للوصول إلى نتائج علمية تمكن من بناء سياسة ثابتة الدعائم . ولا ننسى أن الأوروبيين قد احتاطوا لأنفسهم من قيام حركات قومية موحدة حتى فى أضيق حدودها فى داخل المنطقة الصغيرة ، وذلك بحصولهم على معاهدات مع الزعماء المحليين على الشاطىء الإفريقى الشرقى ، الأمر الذى جعل من المستحيل على هؤلاء الزعماء العمل فى غير ما يوجهون إليه من أصحاب السيطرة الأوروبيين ، وعلى الأخص السلطان سعيد بن برغش الذى ارتبط مع انجلترا فى معاهدات ، وبذلك كشف ظهر تيبوتيب ، ولولا ذلك لكان للتاريخ العربى فى قلب إفريقيا مجرى آخر غير ما حدث .

وهنالك أوجه تشابه كثيرة بين تيبوتيب وبين الزبير رحمت باشا مع النظر بعين الاعتبار إلى اختلاف الزمان والمكان ، وقد كان الأوروبى فى كلا الأمرين فى مركز الموجه من خلف الستار .

من أهم مراجع البحث

١ — الشاطر بصيلى عبد الجليل : معالم تاريخ سودان وادى النيل القاهرة ١٩٥٥ .
٢ — جورجى زيدان : مشاهير الشرق فى القرن التاسع عشر القاهرة .

Waller Horace, The Last Journals of David Livingstone, 2 vol. London, 1874.

Stanley, Henry M., Through the Dark Continent, 2 vol., London 1878.

Stanley, Henry M., The Congo and the Founding of its Free State. 2 vol. London, 1815.

Werner, J.R., A Visit to Stanley's Rear-Guard, London, 1889.

Barttelot, W. G., The Life of Edmund Musgrave Barttelot, 3rd. Ed. London,1871.

Jameson, I.S., Story of the Rear Column, London 1891.

Hinde, S.L., The Fall of the Congo Arabs, London, 1897.

Wuganda Journals and Tanganyika Notes, and Records.

TIPPU-TIB.

HAMID BEN MOHAMMED BEN JUMAA AL-MURJABI.

(1834 — 14th. JUNE 1905)

The vast stretches of country, extending from the East Africa coast to the upper reaches of the River Congo, were the inevitable lebensraum for the Arabs wherein to exercise their trading activities, after they had gained, since remote decades, footholdings on the eastern coast as supply depots at which to receive the sea faring traffic from India and the Far East, and exported the local products of Africa, inclnding slaves.

The demand for slaves had increased considerably to provide cheap man-power for the then newly discovered vast fertile territories in the Americas, and this demand had caused the establishment of European hunting stations on the west coast of Africa: hunting slaves for exportation to the new world. It is worth mentioning that there was a distinct difference in the manner of handling slaves byboth Europeans and Arabs; the former were so inhuman in all respects, while the latter treated the slaves humanly without prejudice.

With the fall of Constantinople and the rise of the Ottoman Power in the Eastern Mediterranean hinterland the trade with the ports of the Eastern Coast was, more or less, brought to a standstill; the discovery of the route round the Cape of Good Hope had given an alternative access to the Far Eastern trade centers. This discovery had caused transmutation of the commercial activities to the Indian Ocean with the establishment of bases on the East Coast of Africa, with the consequent conflict between the Arabs and Europeans for supremacy, and the Ottomans with their fleet plying in the waters of the Arabian shores (in the Red Sea and Indian Ocean) had taken part in the struggle, mainly against the Portuguese, and they had provided the Arabs with matchlocks which helped gaining victory over the Portuguese.

With further development in economic conditions in Europe and its reflection on society, and the use of steam-power in industry and

transport, a need for raw materials and free markets was created. Hence attention was diverted to Africa.

The Europeans began their penetration into the heart of Africa gradually, collecting information. Those were the adventurers, ex plorers, missionaries and others who participated in slave trade and formed the initial consuls who made treaties with the local rulers; and this stage was followed by the scramble for the acquisition of land. This scramble for African territories was regulated at the Berlin Congress of 1884-5. The conflict took a furious shape between the foreign powers and the Arabs, who were well established and organised in Central Africa; the victim was Tippu-Tib. Tippu-Tib was at his zenith in the last decade of the nineteenth century, when the European powers came face to face with him in the upper reaches of Congo. The Belgians and the British combined forces to check the Arabs of Tippu-Tib, stimulated to doing so by their fear of a possible fusion of African movements i.e., those of Zubeir in Darfur, the Mahdi in the Sudan and Rabeh in Chad region.

It is mostly desired that collaboration between historians and anthropologists is needed for the reconstruction of Africa History specially for the part played by the Arabs.

C.B.A.

دراسات في :

الاقتصاد والحركة الوطنية الأفريقية

الدكتور محمد رياض

« ١ »

ظل الكثير من داخلية إفريقيا عالماً مجهولا بالنسبة لكثير من بلاد العالم فترة طويلة بعد الاكتشافات العالمية الكبرى في القرنين الخامس عشر والسادس عشر . ولكنها لم تكن كذلك بالنسبة لبعض الجماعات ، وعلى الأخص العرب والعناصر الحامية في الشمال والشرق وعلى أية حال ظل الإفريقيون يعيشون في سلام نسبي مع بعضهم ، وإن كان بعض منهم قد وقع فريسة لنفوذ مراكز تجارة الرقيق التي أنشأها الأوربيون من معظم الجنسيات على طول السواحل الغربية والجنوبية لتصدير العبيد إلى أمريكا . ثم تحررت الولايات المتحدة من قبضة الاستعمار الإنجليزي ، وأعقب هذا الحدث الخطير حدث أخطر منه ، فقد تذرعت بريطانيا لأول مرة بالدوافع الإنسانية وأعلنت محاربة تجارة الرقيق وكان ذلك تكتيكاً استراتيجياً عظيما من جانب الإنجليز مكنهم من سد الطريق على أمريكا أن تستورد الرقيق من إفريقيا ، ومكنهم أيضاً من تفتيش السفن المختلفة الجنسية في عرض المحيطين الاطلنطي والهندي ، ومن التغلغل السياسي في بلاد معينة ، على الأخص بلاد الخليج الفارسي وبلاد إفريقيا الشرقية .

ثم حدث الانقلاب الصناعي في أوربا والصناعة في أوربا لا يمكنها أن تقف على أقدامها إذا اعتمدت على موارد أوربا الاقتصادية وحدها . والصناعة تحتاج إلى أسواق وخامات . وليس

من المعقول أن تبيع أوربا منتجات صناعاتها بأسعار مربحة داخل بلادها . وكان العالم قد تم تقسيمه ، وتم كشف خريطة إفريقيا إلى حدود بعيدة ، وبقيت القارة الوحيدة التى لم يتم استعمارها . ولهذا السبب بدأت دول أوربا تتوغل من مراكزها التجارية القديمة على الساحل الإفريقى إلى الداخل ...ودخلت قوى أوربا الاستعمارية فى سباق جنونى للحصول على أكبر قدر ممكن من أرض إفريقيا العذراء . ولما اشتد الصراع دعت الحاجة إلى عقد اجتماع للاتفاق على تنظيم عملية النهب المفاجئة التى أثرت كثيراً فى الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية للشعوب والقبائل الإفريقية وكان ...

مؤتمر برلين وتقسيم أفريقيا

وفى ١٥ من نوفمبر عام ١٨٨٤ اجتمع مندوبو ألمانيا والنمسا والمجر وبلجيكا والدانمرك واسبانيا وفرنسا وبريطانيا وإيطاليا وهولندا والبرتغال والسويد والنرويج وروسيا وتركيا والولايات المتحدة الأمريكية . وجلس المؤتمرون يقسمون القارة الإفريقية أو ينظمون تقسيم ما تبقى منها ..وفى ٢٦ من فبراير سنة ١٨٨٥ وقع المندوبون وصدقت حكوماتهم على القرارات العامة للمؤتمر فيما عدا حكومة الولايات المتحدة التى امتنعت عن التصديق . وقد اتفقت الدول الموقعة على النقط التالية :

١ — حرية التجارة فى حوض الكنغو.

٢ — منع تجارة الرقيق .

٣ — حياد حوض الكنغو .

٤ — حرية الملاحة فى نهرى الكنغو والنيجر

٥ — القوانين الخاصة بتنظيم عمليات احتلال أو استيلاء جديد على أية أرض فى سواحل إفريقيا .

وفيما يتعلق بالنقطة الخامسة تعهدت الدول الموقعة أنه يجب على الدولة التى تقوم بأى عمل من شأنه حيازة أى جزء من الساحل الإفريقى أو إقامة محمية عليه أن تخبر بقية الدول الموقعة على قرارات المؤتمر ، على أن يكون هـــذا الاحتلال احتلالا فعلياً كى يعترف بحقوق هذه الدولة . .كما اعترف الجميع — ما عدا تركيا — بتكوين جمعية الكنغو التى تولى الملك ليوبولد رئاستها . وبعد خمسة أشهر أعلن تأسيس دولة الكنغو الحرة فى أول أغسطس ١٨٨٥ ، وأعلن أنها ستظل

إقليماً محايداً على الدوام . وفى السنوات التالية عقدت عدة اتفاقات ومعاهدات بين دول أوربا بشأن تحديد مستعمرات كل منها فى إفريقيا ، واشتركت فى هذه المعاهدات بريطانيا وألمانيا وفرنسا وإيطاليا والبرتغال . وهكذا تم تقسيم إفريقيا ، وإن كان قد أعيد تقسيمها بعد حرب ١٩١٤ — ١٩١٨ . ومرة أخرى بعد حرب ١٩٣٩ — ١٩٤٥ .

ونظراً لأن أسس تقسيم إفريقيا لا تتفق والواقع ولا مع مصلحة أصحاب القارة فاننا نشهد وسنشهد تغيرات أخرى فى خريطة إفريقيا السياسية . وهذه التغيرات لم ولن تكون اتفاقات بين الأوربيين وحدهم كما حدث فى مؤتمر برلين ، بل ستكون إما اتفاقات طرفاها أبيض وأسود وإما رحيل البيض مكرهين عن أرض إفريقيا . .

أسباب تغير خريطة أفريقيا السياسية

ما الذى حدث إذن بحيث نرى ونسمع ونتوقع تغيرات جديدة ؟ .

لقد شهدنا منذ حوالى نصف قرن صراعاً بين الأوربيين أنفسهم على تملك ما ليس لهم . أما الآن فالأوربيون قد تكتلوا معاً — بغض النظر عن بعض الاختلافات التفصيلية — ضد العملاق الإفريقى . فالشعوب الإفريقية تصحو سريعاً الواحد تلو الآخر ، وهذه السرعة فاقت أو كادت تفوق سرعة تأقلم الاستراتيجية الاستعمارية . فإلى عهد قريب ، ليس أكثر من عشر سنوات ، لم يكن هناك أى تفكير فى منح أقاليم إفريقيا الحكم الذاتى ، ولكن الحكم الذاتى لم يعد مطلب الإفريقيين ، واضطر المستعمرون فى بعض الأقاليم إلى الاعتراف بالاستقلال ، وما زال بعضهم يكابر ويعاند . لقد شهدت أوربا منذ نصف قرن شعوباً وادعة مستكينة فى إفريقيا ، وتشهد الآن لهيباً يقوض دعائم النظام الاستعمارى . لماذا؟

الجرثومة فى البذرة

كلنا نعرف أن التحصن ضد مرض ما يأتى نتيجة التطعيم بمصل من نفس المرض ، ونعرف أن كل شىء يحمل نقيضه فى طياته . وكذلك الاستعمار الأوربى حمل معاول هدمه فى نفس اللحظة التى بدأ فيها يشيد صرحه . فالاستعمار الأوربى فى إفريقيا قام على أسس الاستغلال

التجارى والاقتصادى . والاقتصاد الذى دعم المستعمرون أركانه فى إفريقيا يختلف اختلافاً كيفياً عن نظم الاقتصاد الإفريقى القديم . ويمكننا أن نعبر عن ذلك بالاصطلاح المعروف أن الاقتصاد الوطنى الإفريقى كان يقوم على أساس الاكتفاء الذاتى فقط وإلى أبعد الحدود ، فى حين أن الاقتصاد الذى أنشأه المستعمر فى إفريقيا يقوم على أساس التسويق والتجارة ورأس المال . والفارق فى النظام الاجتماعى المبنى على النظامين الاقتصاديين مختلف كل الاختلاف . فالملكية الفردية الزراعية أو شيوع أراضى الرعى والصيد فى الاقتصاد الوطنى لم يكن يكمن بداخله مشكلة البطالة والعمل ، أو مشكلة مالك وأجير .

وعلى العكس من ذلك كله يحمل الاقتصاد الأوربى فى طياته تغيرات اجتماعية حاسمة بالنسبة للمجتمع الإفريقى فأساسه يعتمد على رأس مال أوربى . ورأس المال الأوربى يوظف فى إفريقيا كى يعمل الأجراء الإفريقيون لتنميته . والأجير يتخذ فى الحال وضعاً اجتماعياً مغايراً للأوضاع السابقة .

وبازدياد استغلال رأس المال الأوربى وتوظيفه فى إفريقيا ازداد عدد العمال الأجراء وتكونت أيديولوجية جديدة لجماعة أصبحت شبه منبوذة بالنسبة للمجتمع الإفريقى الأصلى ومنبوذة بالنسبة للأوربيين المستعمرين نظراً لفارق اللون والجنس والثقافة ... وهذه الطبقة الجديدة تتأثر أكثر من بقيـــة الإفريقيين بالاهتزازات والكوارث التى تصيب الاقتصاد الأوربى . فتحدث بطالة وكساد فى سوق العمل أحياناً ، وطلب شديد مع أجر مرتفع للأيدى العاملة فى أحيان أخرى ، وتكتسب هذه المجموعة الإفريقية الجديدة خبرة وثقافة الأوربيين ويفهمون لأول مرة ، وضع بلادهم بالنسبة للعالم وبالنســـبة للمستعمرين ، ويفهمون دورهم ودور غيرهم من أبناء جلدتهم ، وهكذا تنمو جذور الثورة الوطنية .

ولكن ليس الأجراء وحدهم بقادرين على القيام بالثورة . بل لا بد لهم من قادة ، وهؤلاء القادة يتكونون من المثقفين الإفريقيين الذى احتكوا — كما احتك الأجراء — بالمستعمرين ، ونقلوا عنهم معانى الحرية والاستقلال . ولما كان من الصعب أن نجمع فى بحث واحد

كل أسباب الثورة الوطنية فى إفريقيا — لضيق المكان وخوفاً من تشعب الموضوعات — رأينا أن نقتصر على الأسباب الاقتصادية مع التأكيد بأن هناك جوانب أخرى تشترك فى صقل الثورة الوطنية .

وقد اقتصر البحث على نماذج معينة من إفريقيا المدارية . وهذه الأقاليم هى غانة ونيجيريا فى غرب إفريقيا ، والكنغو فى وسط إفريقيا ، وأوغندة وكينيا فى شرق إفريقيا ، وروديسيا الشمالية والجنوبية فى جنوب إفريقيا .

لماذا يحتل الاقتصاد مكان الصدارة ؟

الجواب على هذا السؤال بسيط جداً . فقد كانت لقمة العيش — وما زالت — سبباً جدياً يدفع الإنسان أياً كانت جنسيته إلى أن يبحث عن وسيلة لتأمينها وتأمين مستقبله ومستقبل أسرته كى يحافظ على الحياة كأى كائن حى . وقد سبق القول إن النظام الاقتصادى الإفريقى كان يسير على مبدأ الكفاية الذاتية إلى أبعد الحدود . وبذلك لم تكن هناك مبررات لتغير شامل فى النظم الاجتماعية والسياسية التى درج عليها الفرد فى حدود قبيلته — باستثناء بعض الغزوات التى كانت تحدث من جماعة لأخرى لازدياد السكان أو دوافع الهجرة ، أو تغير الأسس الاقتصادية لجماعة من الجماعات الإفريقية ، مثلا : اختراع صهر وطرق الحديد الإفريقى فى قبيلة ما يؤدى إلى تفوق فى السلاح على قبيلة لم تخترع بعد الحديد وأسلحته ، أو وصول مؤثرات حضارية مادية وثقافية وتبنى مجموعات إفريقية لها : مثال ذلك تبنى بعض القبائل الإفريقية الحضارة الإسلامية فى غرب إفريقيا والتوسع اللازم لنشر العقيدة الجديدة ، وإدخال التجارة والتبادل الخارجى فى نطاق السڤانا الإفريقية لمصلحة التجارة العالمية فى القرون الوسطى . ومقابل ذلك دخلت سلع جديدة من إنتاج العالم المتحضر وقتذاك حول حوض البحر المتوسط إلى القبائل الإفريقية فى الغرب مثل استعمال الفرسان والزرد فى جيوش الممالك الإسلامية فى غرب إفريقيا .

فالعالم الإفريقى فى الواقع — على الأخص غربه وشرقه — لم يكن يسير متخلفاً كثيراً عن ركب الحضارة العالمية . وان ناقلى هذه الحضارة كانوا إفريقيين أو متأفرقين عاشوا تقريباً فى مستوى العالم الإفريقى . وبذلك كان التطور

تدريجياً غير مفاجئ ، وإن كان يسير على مهل وتؤده ، كى تكون له أسس عميقة الجـــذور مستمدة من التقاليد الإفريقية القديمة والتقاليد المستوردة جديداً .

وكما حدث فى العالم القديم قبل التاريخ انقلاب حضارى اقتصادى وثقافى من العصر الحجرى القديم إلى العصر الحجرى الحديث فى مصر وما بين النهرين ، وما أحدثه انتشار هذا الانقلاب السريع فى بلاد العالم المتبربرة فى أوربا وآسيا وإفريقيا من هجرات واضطرابات اجتماعية واسعة النطاق[1] ، كذلك حدث بالنسبة للانقلاب الصناعى . ولكن هناك بعض الفوارق بين الانقلاب التكنولوجى فى ثورة العصر الحجرى الحديث وبين الثورة الصناعية . فقد اتسم انقلاب العصر الحجرى الحديث بهجرات واسعة النطاق وامتصاص للأجناس وتأقلم شـــديد للحضارات . وقد حدثت إعادة لمثل هذه الحالة فى عهد الانقلاب الصناعى فى البداية وبشكل سريع وأكثر قسوة ووحشية — تمثل هذا فى تدفق الهجرة الأوربية على الأمريكتين واستراليا وإفنـــاء الأغلبية العظمى من السكان الأصليين بمختلف الوسائل ؛ منها القتل والتجويع حتى الموت ، والطرد إلى أقاليم الجدب الخ ...

وكذلك الحال بالنسبة لقبيلة البشمن وإلى حد ما قبيلة الهوتنتوت فى الطرف الجنوبى فى إفريقيا الجنوبية ، ولكن ذلك لم يحدث فى عدد من الأقاليم فى كل من إفريقيا وأمريكا الجنوبية . والسبب فى ذلك يرجع إلى عاملين : أحدهما طبيعى بيئى والآخر بشرى سياسى . فمعظم أقاليم هاتين القارتين — لحسن الحظ — تقع فى النطاق المدارى والاستوائى حيث يقسو المناخ على المستعمرين من الأوربيين مثل الإنجليز والألمان والهولانديين والفرنسيين . وتشتد قسوة هذا المناخ كلما استوى السطح وقلت الجبال والمرتفعات ذات المناخ المعتدل . ومعظم الأقاليم الإفريقية والأمريكية التى نجت من التحطيم

(1) Hein-Geldern, R.. "Herkunft und Ausbreitung der Hochkulturen" Lecture of the 1955 ceremonial session of the Osterreichischen Akademie der Wissenschaften. 18 May 1955 - Vienna.

والإبادة سهلة منبسطة قليلة الارتفاع كثيرة الأوبئة والأمراض التي لم يعتدها الشماليون . أما العامل الثاني السياسي فيتلخص في أن اسبانيا والبرتغال — وأهلهما أكثر قدرة على مقاومة المناخ الاستوائي والمداري من الأوربيين الشماليين — كان نجمهما السياسي قد أفل عند بداية الانقلاب الصناعي نتيجة للصراع الذي دار بينهما مرة وبين اسبانيا ودول شمال أوربا الغربية مثل هولندا وبريطانيا مرة أخرى . فلو أن هذا التطور السياسي لم يكن قد حدث فربما كان في الاحتمال تغير الصورة الحالية .

على أية حال فقد استمر الإفريقيون زمناً طويلا يعيشون على طريقتهم الخاصة ، وبذلك زادت الهوة الاقتصادية اتساعاً بين النظام القديم والتقدم الصناعي إلى أن بدأت الأنظار الاستعمارية تتجه إلى بقية إفريقيا لما فيها من خامات وإمكانيات زراعية ومعدنية لا حد لها . وكانت القصة على نحو ما أسلفنا منذ مؤتمر برلين .

والسبب الذي من أجله بقي الإفريقيون على قيد الحياة إلى هذه الأيام ، ويضمن لهم البقاء إلى آخر حياة البشر على وجه الكرة الأرضية — وهو المناخ الحار وقلة المرتفعات — هو نفس السبب الذي من أجله ظهرت النظم الاقتصادية الحديثة بأوضاعها الحالية في قلب إفريقيا : هذه النظم تعتمد على رئاسة العناصر البيضاء وتأجير العامل الإفريقي . فالانقلاب الصناعي في قلب إفريقيا قد اختلف كيفياً عن الانقلاب الصناعي في أوربا وبقية الدول التي تعيش في نطاقات المناخ المعتدل . إنه يتميز بازدواج في الشخصية ترتب عليه ضعف وراثي في بنية وطبيعة الاقتصاد الاستعماري في إفريقيا . ففي أوربا وأمريكا وبقية دول الأقاليم المعتدلة نجد البناء الاقتصادي متجانس الأطراف : رأس المال وأصحابه والعمال من نفس الجنسية والثقافة . أما في إفريقيا فرأس المال وأصحابه غير العمال ثقافة وجنساً ، ولهذا السبب نجد أن ما حدث في العالم المعتدل من حركات اجتماعية وثورات على رأس المال وأصحابه لم يكن يستهدف إلا تحسين الأوضاع الاقتصادية لفئة من سكان البلاد ، أما في إفريقيا فإن الحركات الاجتماعية تهدف إلى غرضين :

الأول مثل زميله فى أوربا وهو تحسين الوضع الاقتصادى ، والثانى أعم وأشمل وأكثر خطراً على حياة الاستعمار وأبعد أثراً على مستقبل القارة الإفريقية ، وهذا الهدف هو التحرر الوطنى بكل معانيه . ومن هنا كانت أهمية بحث هذه النقطة كمحور أساسى تقوم عليه الحركات الوطنية الإفريقية ، وتشترك فى صقله ودفعه وتنفيذه عناصر أخرى مثل طبقة المثقفين الإفريقيين والاحتكاك بمصادر الإشعاع الحر المستقل فى البلاد الإفريقية المستقلة وعلى رأسها مصر التى لا ينكر أحد حتى فى عالم الاستعمار دورها التاريخى الذى قامت به بالنسبة لإفريقيا منذ أقدم العصور ، ودورها المستقبل فى استراتيجية حركات الاستقلال فى إفريقيا الناهضة .

« ٢ »

ينقسم الاقتصاد الإفريقى الحالى إلى قسمين كبيرين : الأول الاقتصاد التقليدى ، والثانى الاقتصاد الحديث . وسنتناول كلا منهما بالبحث لمعرفة مدى مساهمة كل فى الحركة الوطنية .

الاقتصاد الأفريقى التقليدى

هذا النوع من الاقتصاد هو إلى الآن حرفة السواد الأعظم من سكان إفريقيا المدارية . وفيه كل مقومات الاقتصاد من صيد وقنص ورعى وزراعة وصناعة ، ولكنها كلها تسير وفق التقاليد القديمة وهى بذلك مهيأة بطبيعتها للكفاية الذاتية ، وبطبيعة الحال لا تشترك فى التجارة الدولية . وكل ما فيها من سمات التجارة المحلية النوع القديم المعروف بالمقايضة ، أو تبادل السلع دون أن يكون للعملة أياً كانت دخل كبير فى فى هذا الموضوع .

ومن الأقاليم التى مازالت تمارس الاقتصاد الإفريقى كل الأقاليم الشمالية من جمهورية غانة ، ومعظم جهات نيجيريا ، ومناطق الأخدود الإفريقى فى كينيا حيث جماعات النيلو — حاميين مثل المازاى والزاندى والتركانا ، والجزء الشرقى من الهضبة فى كينيا ، ومناطق كثيرة فى أوغندا والكنغو والمناطق المخصصة للأهالى فى الروديسيتين .

وطبيعى أن عدم تغير الأوضاع الاقتصادية فى هذه الأقاليم ترتب عليه استمرار القبائل المختلفة فى نوع حياتها التقليدى ، وترتب عليه أيضاً عدم حدوث تغيرات اجتماعية شاملة فيما عدا

عدة أشياء . وقد نجمت هذه الأشياء عن موضوعين مترتبين على دخول الاقتصاد الحديث المناطق المجاورة . والموضوع الأول هو بطبيعة الحال الاحتكاك بالأوربيين ونظم الاقتصاد الحديث حيث يعمل بعض أفراد القبائل كعمال بعض الوقت فى المؤسسات الاقتصادية الاستعمارية ، ويجلب هذا الاحتكاك معه تغيرات اجتماعية تضطر بعض الأفراد إلى الهجرة الدائمة فى معسكرات العمل . والموضوع الآخر هو أن السياسة الاستعمارية فى جهات كثيرة ، على الأخص جنوب إفريقيا وشرقها ، قد اختطت منهجاً فى توزيع الأراضى أشبه بالمنهج المخصص للإبقاء على أنواع نادرة من الحيوان يخشى انقراضها بكثرة الصيد . فقد خصصت مناطق محددة حرم فيها صيد الحيوان بتاتاً حتى تتكاثر ولا تنقرض وتسمى Game Reserves وكذلك خصصت مناطق معينة للإفريقيين لا يخرجون عنها سميت Native Reserves وتحديد أماكن معينة لا يمكن للأهالى أن يتعدوها قد أضر كثيراً بمصالح ونظم الاقتصاد التقليدى . فالنظام التقليدى كان يدعو السكان إلى عدم التزام أماكن معينة ، بل يهاجرون فى مواسم معينة وراء حيوان القنص أو عشب جديد لحيواناتهم التى يرعونها ، أو ينتقلون من منطقة إلى أخرى بعد عدة سنوات تستهلك فيها خصوبة الأرض الزراعية .

كينيا والماو ماو

ويصح هنا أن نضرب بكينيا مثلا على مدى ما أصاب الاقتصاد الإفريقى التقليدى من استيطان الأوربيين وتملكهم الأرض قسراً . فقد بدأ استيطان الإنجليز لأراضى كنيا فى السنوات العشر الأخيرة من القرن الماضى ، ولكنها كانت محاولات فردية صغيرة استخدمت فيها كل الوسائل الخاصة بخداع الزعماء الإفريقيين . وقد وجه الأنظار حقاً إلى هـذه الأراضى – خصوصاً مناطق الهضاب والمرتفعات – كثير من الكتاب الإنجليز نذكر منهم لورد لوجارد (١) الذى أكد إمكان إنشاء وطن أوربى فى مرتفعات شرق إفريقيا عام ١٨٩٣ ، وسير هارى جونستون الذى قال : إن مرتفعات الناندى قد هيأتها الطبيعة كى تكون مستعمرة للرجل الأبيض...] تقسم إلى إقطاعيات متوسطة الحجم

(1) F. Lugard, «The Rise of our East African Empire, London 1893. Vol.II P.656

تفتح للاستيطان بوساطة رعايا المملكة المتحدة [1] وسير تشارلز اليوت الخ ...

وفى عام ١٩٠٢ أعلنت الحكومة البريطانية استعدادها لمنح هذه الأقاليم للمنظمة الصهيونية لتكوين وطن يهودى، ولكن الإنجليز الذين سبقوا إلى استيطان هذه الأراضى عارضوا ونجحت معارضتهم، وفى العام نفسه أصدرت الحكومة الإنجليزية قانون أراضى التاج، وبمقتضاه انتزعت ملكية أراضى كثيرة جداً أصبح من حق المندوب السامى الإنجليزى التصرف فيها بالبيع فى حدود ألف فدان لكل صفقة، أو التأجير والإعارة للمستوطنين الأوربيين لمدة ٩٩ سنة.

وفى عام ١٩١٥ عدل قانون أراضى التاج نتيجة لجهود المستوطنين فأصبحت مدة الإعارة والتأجير ٩٩٩ عاماً لمن لا تزيد أراضيهم عن خمسة آلاف فدان. وأجرة الفدان الواحد قابلة للتعديل كل ٣٠ سنة. وكانت الأجرة حتى عام ١٩٤٥ — ٢٠ سنتاً للفدان أى ما يقابل عشرة قروش فقط !! ...

وتوزع الأراضى على البيض على النحو التالى :

٦ أفدنة لكل رأس من الماشية الكبيرة.
٣ » » » » الماعز والضأن.

ومتوسط الملكية تقريباً ٧٥٠ فداناً مخصصة للماشية الكبيرة، ٣٣٠ فداناً للماشية الصغيرة، ٣٣٥ فداناً للزراعة. فيصبح المجموع ١٣١٥ فداناً للمالك الواحد. ولكن الحقيقة أن هناك من يملكون أكثر من هذا الرقم بدليل تعديل قانون أراضى التاج.

ولكن الأوربيين لا يزرعون كل هذه الأراضى. بل يوضح الجدول التالى مساحة الأرض التى تملكها الأوربيون ونسبة الأرض التى يزرعونها من مجموع ممتلكاتهم [2]:

السنة	المساحة المملوكة بالفدان	مساحة الأرض المزروعة بالفدان	النسبة المئوية للأرض المزروعة من المساحة الكلية
١٩٢٢	٣ ٨٠٤ ١٥٨	٢٣٤ ٠٥٥	١٥ر٦٪
١٩٢٣	٣ ٩٨٥ ٣٧١	٢٧٤ ٣١٩	٨٨ر٦٪
١٩٢٤	٤ ١٩٢ ٧٣١	٣٤٦ ٩٨٨	٢٨ر٨٪
١٩٢٥	٤ ٤٢٠ ٥٧٣	٣٩٢ ٦٢٨	٨٨ر٨٪

(1) H. Johnston, The Uganda Protectorate, London 1902, Vol. I, PP. 18-30.

(2) Buell, R.L., "The Native Problem in Africa" New York, 1928. Vol. I, P, 303.

هكذا يرتع الأوربيون فى بحبوحة من الأرض تفيض عن حاجتهم عشر مرات إن لم يكن أكثر . وتوضح الأرقام التالية كم يقاسى الإفريقيون أصحاب فقط . وليس أكثر صراحة وتعبيراً من الأرقام ... فنسبة كثافة السكان البيض فى أراضيهم تساوى ٢ر٦ للميل المربع فى حين أن هذه النسبة تبلغ ٤٠٠ نسمة

تقسيم أراضي كينيا	عدد السكان	المساحة بالميل المربع
أراضى التركانا والمديرية الشمالية (معظمها صحارى غير مسكونة)	٥ ٣٨٠ ٠٠٠	١٠٢ ٥٩٥
الأراضى المخصصة للافريقيين Native Rveseres		٤٧ ٠٣١
أراضى الأوربيين وأراضى التاج . . .		١١ ٨٥٩
مخصصات الغابات	٢٩ ٠٠٠	٢ ٩٨٠
غابات أخرى وأراضى بغير موارد مياه ومخصصات الحيوان		٣٩ ٧٢٢
مجموع سكان مساحة مستعمرة كنيا	٥ ٤٠٥ ٠٠٠	٢٠٤ ١٨٧

الأرض الحقيقيون من ضيق بسبب وضعهم فى مناطق معينة وانتزاع ملكيات الكثير منهم .

فنى الوقت الذى يعيش فيه ٢٩٠٠٠ أوربى فى مساحة قدرها ١١٨٥٩ ميلا مربعاً يعيش ما يقرب من خمسة ملايين فى مساحة قدرها ٤٧٠٣١ ميلا مربعاً . وهذا يتضح أكثر بالمقارنة العملية ؛ فلكل أوربى على الأقل ١٣٠٠ فدان وأكثر فى حين أن لكل إفريقى ٨ أفدنة للميل المربع فى أرض الكيكويو و ١٦٠ نسمة فى أرض الكافيروندو وفى مناطق معينة تصل إلى ١١٠٠ فى المربع فى مقاطعة بنيوروشمال كافيروندو .

ولهذا السبب وحده يمكننا أن نعرف لماذا تبلغ مشكلة الأرض حد الانفجار . والإنسان هو الإنسان بكل غرائزه مهما اختلف لون جلده . ووجود الأبيض فى مساحات شاسعة أمام الأسود فى

مساحته الضيقة قد خلق روح الثورة فى نفوس الإفريقيين .

فتضييق المتنفس الحيوى للقبائل ، مع بعض النشاط الطبى فى مكافحة الأوبئة قد أوجد مشكلة تزايد السكان مع نقص الموارد . وقد بلغت هـذه المشكلة فى بعض الأقاليم حداً خطيراً هدد الكيان الأساسى للأسرة والمجتمع ، كما هو الحال فى شرق إفريقيا عند قبيلة الكيكويو التى قام أفرادها وما زالوا بحركة الماوماو الشهيرة [(١)]. وفى بعض المناطق لم تصل المشكلة بعد إلى حد الانفجار ، وإن كانت تسير إليه إذا استمرت الأوضاع كما هى عليه الآن .

وعلى أية حال فان هذا النوع من الاقتصاد القومى لا يمكن إدخاله عملياً فى هـذا البحث ؛ لأنه لا يدخل فى عمليات التجارة الدولية ولا توجد عنه إحصائيات تمكننا من معرفة وحساب الدخل الفردى. وكل ما يمكن أن يقال عن مشاركته فى الثورة الوطنية سبق ذكره من حيث تضييق الخناق على الأراضى المخصصة للوطنيين مما يدفعهم إلى السخط على الوضع الاستعمارى ويجعل منـه تربة صالحة تنتشر منها العقائد المناهضـة للاستعمار .

(يتبع فى العدد القادم)

---

(١) لمعرفة التدهور الذى وصلت إليه الحالة الاجتماعية والصحية والأخلاقية فى مناطق إفريقيا المختلفة يرجع القارىء إلى الكتب التالية وغيرها :

1. Buell, R.L., "The Native Problem in Africa", New York, 1928.
2. Kenyatta, J., "Facing Mount Kenya", London, 1953.
3. Schapera, J., "Married Life in an Africa Tribe" London, 1939



ECONOMIC FACTORS IN THE NATIONAL MOVEMENTS IN TROPICAL AFRICA

Dr. Mohamed Riad

The author brings to light, in his article, the importance of changing economy in Tropical Africa as one big stimuli and element in forming and shaping the roots of African national revolutions.

In the first part (which is published in this issue) a lengthy survey is made introducing the present political conditions in Africa in general, especially since the 1885 Berlin Conference and the partition of Africa among imperial powers.

The lengthy introduction is justified owing to the fact that the partition of Africa, which began as late as the close of the 19th century meant that the colonial powers were so advanced in their industrial economy. In other words a new phase in colonialism different from that in other European colonies outside tropical Africa was erected, hence the importance of the economic face of the problem. There was no gradual evolution, but a mutation from a primitive culture and economy depending upon ecological conditions to a highly advanced and specialized exploitation of resources and new patterns of commerce, hitherto unknown to the African. These conditions, applied — till about the forties of this century without any planned anthropological and scientific research — have had a destructive effect upon the social setting of many tribal systems, resulting in the disintegration of many peoples, and the forming of a new class of hired labour, with a new ideology and a new scope, totally differentiated them from their original cultural milieu. This class was thus alienated from the tribal and traditional system, and simultaneously, denied adherence to the caste of European overlords— though mentally possessing similar ideology — because of their colour and racial prejudice.

A short comparative notice between the technological revolution of the Neolithic culture and the Industrial revolution is brought to light, with the conclusion that similarities of cultural assimilation and the additional extermination of

native culture and people did occur in many cases, except in tropical areas with dense population; i.e., mainly Africa. Attention is brought to the role of climatic and environmental conditions which was deterement to the progress of white settlement in Africa except in the plateau areas which occur frequently in the Eastern parts of Africa.

This resulted in what the author calls "duality" of character in the new economy in tropical Africa; a duality composed of White capital and Black labour, or, in other words, an inherent weakness in the formation of colonial economy. African labour, while combating for better wages, and other activities of labour unions, is uniting more and more with the African Elite in a still bigger issue: National liberation.

The division of African economy to its origin is then given in two big headings: 1 — traditional economy which is still the mainstay of the majority of Africans, and 2.— modern economy.

Traditional economy, though left to its way by the colonial administration, has been touched by modern economy in part — especially in the plateau areas of South Rhodesia and Kenya. There, White settlement encroached upon tribal land, and the system of "Native Reserves" was adopted to alienate land for the Whites. This system created an acute "land hunger" in many instances, and was exemplified in the article by the case of the KIKUYU tribe in Kenya, and their MAU-MAU revolution against the British. Implication of native reserve system was given, especially that of over-population with its deteriorating effect upon morals, nutrition, etc...



مؤامرات إيطاليا في الصومال

بقلم الحاج محمد حسين حامود
رئيس حزب وحدة الشباب الصومالى

لم يكن اغتيال الشهيد كمال الدين صلاح فى الصومال ... إلا الوجه الظاهر للمؤامرات التى يدبرها الاستعمار للقضاء على حرية الصومال وإبقائه إلى الأبد خاضعاً تحت نير الوصاية التى هى فى الواقع لون من ألوان الاحتلال . نعم ... كان حادث الاغتيال هو الوجه الظاهر للمؤامرة ، أما الوجه الخفى فيتمثل فى هذه المؤامرات التى تعد بإحكام من قبل الإدارة الإيطالية فى الصومال ... وأبرز هذه المؤامرات هى التلاعب بالميزانية .

فنى كل عام عندما تناقش ميزانية الصومال بالأمم المتحدة ، تتعمد الإدارة الإيطالية أن تظهر عجزاً بالميزانية قدره ٥٠٪ بقصد إشعار الأمم المتحدة أن مشكلة الميزانية مستعصية — وبالتالى يجب أن تطول فترة الوصاية حتى تستطيع البلاد كما ذكر مندوب أمريكا فى مجلس الوصاية « أن تقف على أقدامها » .

ومن الحقائق المؤلمة أن الصومال غنى بالثروة المعدنية والزراعية والحيوانية التى لو استغلت أحسن استغلال لصالح الشعب الصومالى لانحلت مشكلة الميزانية ، وأية مشكلة أخرى تتعلق بالوضع الاقتصادى فى الصومال ، ليس هذا فحسب ، بل واستطاع الصومال أن يمد يد العون إلى أشقائه من الدول المجاورة .

وقد صرحت المصادر الإيطالية أنه حتى لو تم استقلال الصومال فإن إيطاليا ستظل تعتبر هذا العجز بالميزانية ما زال قائماً ، وأنها ستدفع قيمة هذا العجز ! .. وهذا كرم استعمارى مفضوح يدل دلالة واضحة على رغبة إيطاليا فى التدخل فى شئون الصومال الداخلية إلى الأبد ، ثم إن إيطاليا نفسها تأخذ

المساعدات من دول أوربا وأمريكا ، فكيف يتأتى لفاقد الشيء أن يعطيه ؟! .

وإن إيطاليا تعتبر أفقر دولة فى أوربا سواء من الناحية المالية أو الفنية ، وهى نفسها فى حاجة ملحة إلى العون المطلوب للصومال ، وإنه من السخف أن تقدم بلاد شيئاً هى نفسها فى حاجة إليه .

ثم تأتى بعد ذلك المؤامرة التى يدبرها الاستعمار للقضاء على أية محاولة لوضع دستور يخدم مصالح شعب الصومال ، والذى حدث هو أن لجنة تمهيدية شكلت لوضع الدستور ... إلا أن هذه اللجنة تضم غالبية أعضائها من الإيطاليين ، وطبيعى بعد هذا أن تحرص اللجنة كل الحرص على ألا يمس دستور الصومال مصالح الاحتكارات الإيطالية والشركات الأجنبية الأخرى ..

وصحيح أن إيطاليا لا تستطيع أن تنفرد بأى أمر قبل عرضه على لجنة الوصاية ، إلا أننا رغبة منا فى أن يحل الصوماليون مشكلاتهم بأنفسهم ، ورغبة منا فى تمرينهم على الحكم الذاتى — نطالب بأن يكون وضع الدستور من اختصاص لجنة منتخبة من قبل الشعب ، ونحن لا ننسى أن دستور سنة ١٩٢٣ المصرى قد وضع فى ظروف استعمارية — ولهذا كان منحة من القصر ، ولهذا أيضاً استطاع الإنجليز عن طريق هذا الدستور التدخل فى شئون السياسة المصرية ، ونحن كشعب ما زال فى أول الطريق ينبغى ، بل يجب علينا أن نستفيد من خبرة الشعوب التى سبقتنا ، ونحن لا نطمع فى هذا ، فشأن الاستعمار دائماً أن يأخذ لا أن يعطى .

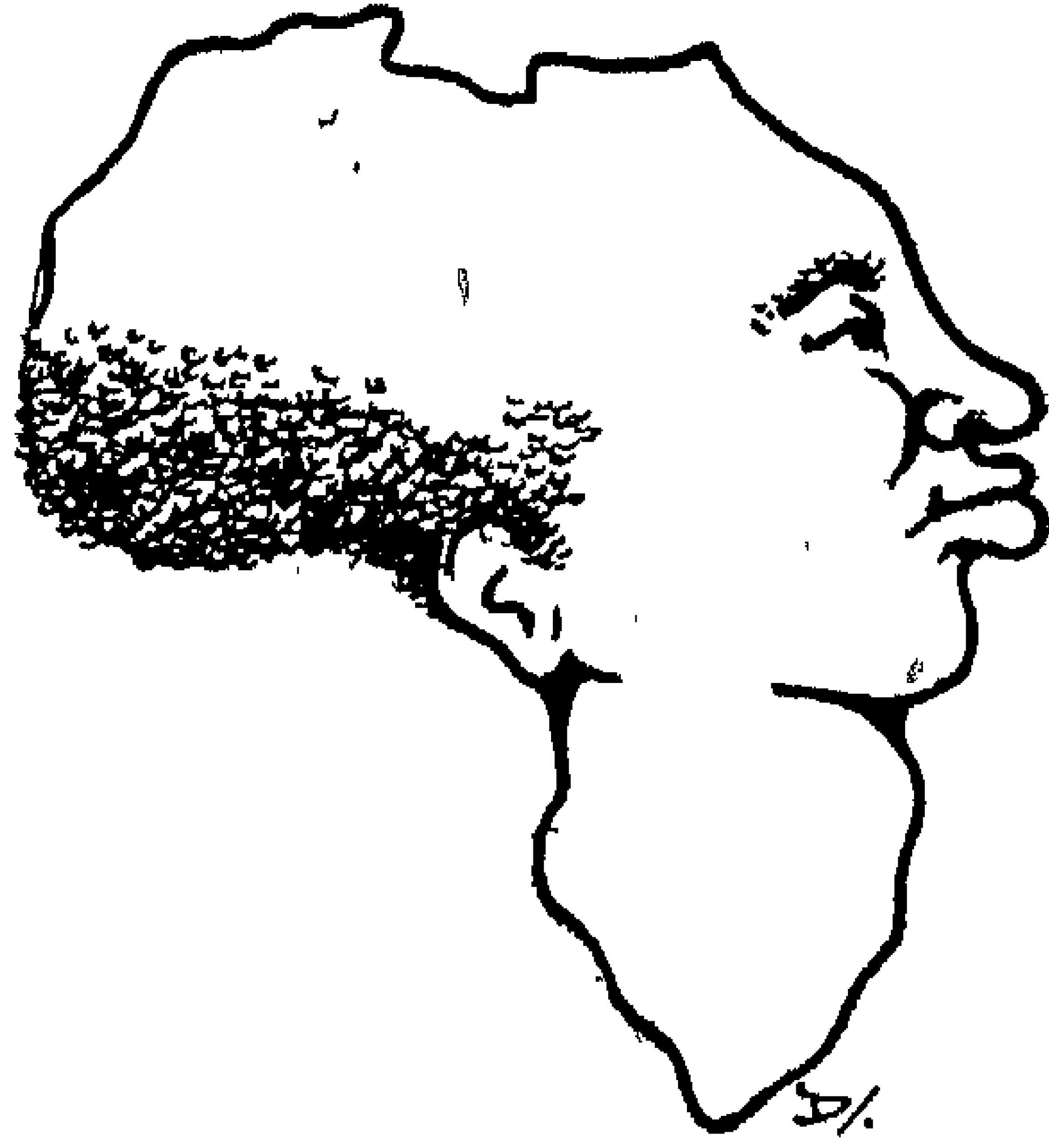
لا نطمع فى هذا ، ولهذا لا نتوجه بهذا الكلام إلى الإدارة الإيطالية ، بل إلى الشعب الصومالى الذى يصنع مصيره بيديه . نحن نطالب الشعب الصومالى بأن يتمسك بهذه المطالب ، وأن يلتف حولها فى جبهة وطنية متحدة . وحينئذ لن يملك الاستعمار إلا أن يحنى رأسه لإرادة الشعب الصومالى الحر .

قلنا : إن إيطاليا تحاول بكل وسيلة إبقاء نفوذها ، حتى بعد انتهاء فترة الوصاية ، وأبلغ دليل على هذا أنها حولت جيش الصومال إلى فرق بوليسية داخلية ، بحيث لم يعد فى الصومال إلا الجيش الإيطالى ؛ أما الجيش الوطنى فقد تحول بقدرة قادر إلى بوليس ! . . وها هى إيطاليا تطالب بأن يبقى جيشها

فى الصومال بعد انتهاء فترة الوصاية حتى لا يصبح الصومال بدون جيش ، وهكذا تريد إيطاليا أن نقبل هذا الوضع الشاذ ... تنتهى الوصاية ليحتلنا الجيش الإيطالى بحجة عدم وجود جيش صومالى. وغاب عن إيطاليا أن الشعب الصومالى كله جيش كبير يزحف دائماً نحو غده المشرق ، لايبالى بما يصادفه من عقبات .

أيها المواطنون أبناء الصومال ...

إن الاستعمار الآن يتلقى الضربات فى كل أنحاء العالم فلا تنخدعوا بقوته ، ولا بتوهجه ، فإنما هذا التوهج هو توهج الشمعة التى توشك أن تموت ، وسيموت حتما « فالنصر والحياة للشعوب » .



GLI INTRIGHI DELL'ITALIA IN SOMALIA

L'uccisione del martire Kamal El Din Salah in Somalia, non rappresenta che la parte apparente degli intrighi che il colonialismo sta tessendo per annientare la libertà della Somalia e tenerla per sempre sottomessa alla tirannia della tutela, la quale non è altro che una forma di occupazione.

È vero che l'uccisione del martire non fu che l'aspetto esteriore della congiura; ma l'aspetto celato è rappresentato da quegli intrighi accuratamente preparati e attuati da parte dell'amministrazione italiana della Somalia. Primo fra tutti quel continuo imbroglio del Bilancio. Difatti ogni anno quando si discute il Bilancio della Somalia all'O.N.U., l'amministrazione italiana fa apparire apposta nel Bilancio un deficit che ammonta al 50% per dimostrare alle Nazioni Unite che il problema del Bilancio è insolubile e di conseguenza; il periodo della tutela deve prolungarsi e continuare finché il paese possa reggersi da solo e contare su se stesso, come disse il delegato degli Stati Uniti nel consiglio di tutela.

Dobbiamo costatare che la Somalia possiede risorse minerali, agricole e abbonda di bestiame in maniera che tali ricchezze potrebbero, in caso di un buono sfruttamento e di una retta gestione a favore e nell'interesse del popolo somalo, non solo risolvere il problema del Bilancio e migliorare la situazione economica del paese, ma anche tale patrimonio potrebbe essere sufficiente a prestare aiuti ai nostri fratelli vicini.

Inoltre le fonti italiane hanno dichiarato che la Somalia pur ottenendo la propria indipendenza, avrà sempre bisogno dell' Italia, la quale considererà sempre esistente quel deficit e s'impegnerà di versarlo, in modo da equilibrare le entrate del Bilancio con le uscite.

Questa è una generosità coloniale imprudente, perchè dimostra nettamente come l'Italia intende intromettersi negli affari interni della Somalia per sempre. Sapendo che l'Italia ottiene aiuti e soccorsi dagli altri Stati europei e dagli Stati Uniti d'America, come si può concepire che uno Stato dia quello che non ha?

L'Italia è considerata lo Stato più povero d'Europa sia dal punto di vista finanziario che quello economico, ed Essa stessa ha assolutamente bisogno di quell'aiuto che vorrebbe prestare alla Somalia; quindi sarebbe ridicolo che un paese conceda ciò che è considerato indispensabile alla propria esistenza.

Consideriamo ora la congiura che sta svolgendo il colonialismo per combattere i tentativi che mirano a formare uno Statuto che possa tutelare gli interessi del popolo somalo. A questo scopo fu istituita un apposita commissione preliminare per formare questo nuovo Statuto. Ma questa commissione però è composta in gran parte da membri italiani; quindi è naturale che questi faranno del loro meglio affinchè lo Statuto non contenga nessuna clausola che possa nuocere agli interessi dei monopoli italiani e delle società straniere in generale.

È vero che l'Italia non potrà prendere nessuna decisione prima di presentare il progetto alla commissione di tutela; ma siccome vogliamo che i Somali sopportino da soli le proprie responsabilità e risolvano da sè i loro problemi, e data la nostra volontà di offrire loro l'occasione di esercitarsi e prepararsi all'autonomia, chiediamo che tale Statuto sia costituito da una commissione eletta dal popolo somalo. Un esempio ce lo offrono gli avvenimenti storici di questo secolo, quando in Egitto nel 1923 fu formato lo Statuto in un'epoca in cui i colonialisti opprimevano il paese; perciò fu considerato come un dono offerto dal Trono al popolo, ed è per questo fatto che gl'Inglesi poterono intromettersi negli affari d'Egitto.

Quindi, essendo noi un popolo all'inizio del cammino della nostra indipendenza, dobbiamo non solo usufruire delle esperienze degli altri popoli che sono già progrediti, ma crediamo sia necessario attuare questo nostro diritto, data l'assenza di qualsiasi ambizione da parte nostra, e per il fatto che il colonialismo tende sempre a ottenere e mai a concedere.

Non pretendiamo di ottenere ciò che non ci spetta; perciò non ci volgeremo all'amministrazione italiana, bensì al popolo somalo che sta forgiando il suo destino ed il proprio avvenire. Noi insistiamo affinchè il popolo della Somalia non trascuri questi diritti e rimanga unito e compatto intorno ad essi, formando un fronte nazionale solido ed imbattibile. Allora i colonialisti non avranno altro scampo, che chinare il capo e sottomettersi alla volontà

del popolo somalo aspirante alla libertà.

Abbiamo detto che l'Italia cerca con tutti i mezzi di far prevalere la sua influenza anche dopo la scadenza della tutela, tanto è vero che ha trasformato l'esercito somalo in tante squadre di polizia per servizio interno, in modo che non rimane in Somalia che l'esercito italiano, mentre quello nazionale si è trasformato misteriosamente in tante pattuglie di pubblica sicurezza.

Cosí abbiamo veduto l'Italia proporre la permanenza delle sue forze armate in Somalia dopo la fine del periodo d'amministrazione fiduciaria dell'O.N.U. affinchè il paese non rimanga senza forze armate adatte a difenderlo; e cosí l'Italia esige che accettiamo questa strana condizione: termine della tutela, ma conquista del paese da parte dell'esercito italiano non essendoci un esercito somalo atto a difenderlo

Però l'Italia non ha contato sul fatto che tutto il popolo somalo forma un grande esercito e nessun ostacolo riuscirà ad impedire la sua marcia gloriosa verso un grandioso avvenire.

Miei cari connazionali, figli della Somalia, il colonialismo sta ricevendo colpi da tutte le parti del mondo. Badate a non essere ingannati dalla sua falsa forza nè dal suo finto splendore, perchè non è altro che il bagliore della candela che è sul punto di spegnersi e morire. E si spegnerà senz'altro.

La vittoria e la vita sono riservate ai popoli aspiranti alla libertà e alla indipendenza.

Mohamed Hussein Hamoud

Capo del Partito

"Unione della gioventù somala"



قصة رمزية :



بقلم : جوموكينياتا

« هذه القصة كتبها بالإنجليزية الزعيم الأفريقي السجين جوموكينيانا قائد الحركة الرطنية فى كينيا تلك الحركة التى سماها الإنجليز : ثورة ماو ماو .. كتبها وراء القضبان لكى يصور بأسلوب رمزى رفيع ، كيف احتال الإنجليز للاستيلاء على أراضى المزارعين الوطنيين ، وكيف حاولوا أن يلبسوا احتيالهم ثياب العدالة والقانون . . . »

كان الفيل قد اتخذ له أصدقاء من بنى آدم . وحدث فى أحد الأيام أن هبت عاصفة ممطرة فظيعة ، فذهب الفيل إلى كوخ صغير يعيش فيه صديقه « ابن آدم » على حافة الغابة .

وتقدم الفيل قائلا فى لهجة وديعة مغرية : أيها الإنسان العزيز الطيب القلب ، اسمح لى أن أحمى خرطومى فى كوخك إلى أن تنتهى العاصفة .

ونظر الرجل إلى الفيل الذى يتساقط عليه المطر وتملكته الشفقة وقال له : إن كوخى كما ترى ، صغير ، ولكن ، لا بأس أن تدخل خرطومك فقط حتى تنجلى العاصفة ... ثم ... تحرك بحذر... أرجوك ...

وتأثرت مشاعر الفيل وهو يقول : إنك لإنسان عطوف ، وإن من يصنع الجميل لجدير بأن يرد إليه . وسوف يأتى اليوم الذى أستطيع فيه رد الجميل .

وإليك ، أيها السامع العزيز ما حدث بعد ذلك ...

ما كاد الفيل يضع خرطومه فى الكوخ حتى أدخل رأسه كلها ، ثم حشر بقية جسمه ، وانتهى الأمر بأن انقذف الرجل من الجانب الآخر من الكوخ ، ووجد نفسه واقفاً فى العراء تحت المطر المنهمر .

وقال الفيل : يا صديقى ... إن جلدك أسمك من جلدى ، وإن الكوخ ، كما ترى ، أضيق من أن يتسع لى ولك ، وأعتقد أنه لن يضيرك أن تحتمل العاصفة قليلا .

ولم يكن هذا الكلام ليقنع الرجل ، فأخذ يتصايح ويندب حظه ، وتقاطرت الوحوش من أنحاء الغابة إلى مكان الحادث لترى تلك المنازعة بين الرجل والفيل .

وجاء الأسد فشق طريقه ، وأخذ يزأر صائحاً : من ذا الذى جرؤ على تهديد الأمن فى مملكة الغاب .. ؟ ! .

ولما كان الفيل وزيراً خطيراً فى مملكة الغابة فقد ارتبك لدى رؤية الملك الغاضب وقال متلطفاً : ياصاحب الجلالة ، إن المسألة لا تخرج عن كونها خلافاً بسيطاً فى الرأى بين صديقى وبينى ، حول ملكية هذا الكوخ ،

وفكر الأسد لحظة ، ثم استجاب لدواعى استتباب الأمن وسيادة القانون وأصدر القرار التالى :

على وزرائى أن يؤلفوا فوراً لجنة تحقيق لكى تلقى ضوءاً على هذه المسألة ، وترفع تقريرها إلينا فى خلال ثمانية أيام .

ثم تلفت إلى الرجل وقال له :

« من الخير لك أن تعيش فى سلام مع رعيتى » ...

وأضاف فى ترفع وكبرياء : « إن الفيل ، كما تعلم ، هو يدى اليمنى ومع ذلك فلا داعى للتطير . إنك لن تفقد الكوخ . انتظر حتى تجتمع اللجنة وتسألك ، وسوف يرضيك حكمها » .

وشعر الرجل بالطمأنينة ، ذلك أن استرداده للكوخ ، فيما يبدو ، كان مسألة وقت ، لا أكثر ولا أقل .

وتألفت اللجنة على الفور ، وكان أعضاؤها : السيد « وحيد القرن » والسيد « جاموس » والسيدة « نعامة » والسيد « فهد » وتولى السكرتارية السيد « ثعلب » .

ونظر الرجل إلى هؤلاء السادة محتجاً ، وقال : إن العدالة تقتضى ضم واحد من أبناء آدم إلى اللجنة الموقرة .

ولكن المتحدث باسم اللجنة أجاب بأن المخلوقات البشرية ربما لا تعلم كثيراً عن قوانين الغـابة المعقدة . ثم نظر الأعضاء إلى الرجل عاتبين ، قائلين ، إنه ليس هناك ما يخشاه ، فإن هؤلاء الأعضاء قد عينهم « صاحب الجلالة » لحماية المخلوقات الضعيفة التى لا تعتز بقوة المخلب والناب ، هذا فضلا عن أن سمعة الأعضاء وشهرتهم بالنزاهة والعدالة قد تجاوزت آفاق الأدغال ، وكل ذلك يضمن أنهم سوف يبحثون القضية بروح التحرر والحياد الدقيق...

وبدأت اللجنة أعمالها لتكوين فكرة مبنية على الوقائع ، وكان الفيل أول المتكلمين ، فتوجه بحديثه إلى اللجنـة فى رزانة ووقار قائلا : « إننى لن أضيع كثيراً من وقتكم الثمين ، وإنكم لتعلمون كم كنت أبدى عناية خاصة بما يحقق الخير لصديقى « الرجل » وذلك هو بالضبط سبب حدوث هـذا النزاع المؤسف .

إن واقع الأمر أن صديقى طلب منى أن أعنى بهذا الكوخ الذى يملكه حتى لا تقتلعه العاصفة . وعلى حين كنت أرعى الكوخ لاحظت أن المطر يتسرب إلى جانب مهمل منه ، فما كان منى إلا أن أنقذت هذا الجانب المهمل ، وجعلت له فائدة محققة بدخولى إليه وسكنى فيه .

أليس هذا عملا تمليه العاطفةالطيبة؟! ألم يكن أى واحد منكم ليقوم بنفس العمل ، لو كان فى مكانى ، خـدمة لصديق ، كهذا الرجل ، من أصدقائنا الأعزاء ؟ .

وبعد أن أصغت اللجنة لأقوال الفيل دعت إليها بعض الخبراء ومنهم السيدة « ضبعة » لإبداء آرائهم الفنية . وبعد أن أدلى الخبراء بمعلوماتهم تبين للجنة أنهم جميعاً يوافقون الفيل فيما ذهب إليه.

وجاء دور الرجل . وما كاد يبدأ حديثه حتى قاطعه السكرتير « السـيد ثعلب » وقال له :

أيها الصديق العزيز ، يجدر بك أن تلتزم نطاق الموضوع وتعالج النقاط الهامة ولا تخرج عنها ، إن الحقائق تحت أنظارنا الآن ، وهى حقائق تعاون على إثباتها خبراء مشهود لهم بالنزاهة ،

ثم إنها حقائق متساندة متكاملة ، وكل الذى نريد أن نسألك عنه الآن هو : هل سبق لأحد أن سكن الجانب المهمل فى كوخك قبل أن يسكنه الفيل ...؟

وأجاب الرجل فى دهشة : كلا ... ولكن ...

ولم تمهله اللجنة ليواصل حديثه ، بل تقرر إقفال باب المناقشة فقد استمع الأعضاء لما فيه الكفاية ، وجاء دور المداولة ...

وتمت المداولة حول مائدة عامرة تبرع بها السيد « فيل » ثم اتفقت الآراء على القرار التالى :

« إن هذا النزاع قد نشأ عن سوء فهم مؤسف نتج عن وجهة النظر الرجعية البالية التى يعتنقها « الرجل » . واللجنة مقتنعة أن الفيل قد أدى واجباً مقدساً بحمايته لمصلحة « الرجل » ، ذلك أنه من مصلحة الرجل ، كما لا يخفى ، أن يستخدم الفيل الجانب المهمل من من الكوخ استخداماً مفيداً نافعاً. والواقع أن « الرجل » بحكم حجمه الضئيل لايستطيع أن يملأ فراغ الكوخ كله !.

وبناء على هذا فإنه من واجب الفيل أن يستمر فى سكن الكوخ . وعلى « الرجل » أن يطلب ترخيصاً للبحث عن مكان آخر ليبنى لنفسه كوخاً جديداً يناسب حجمه الضئيل ، وإن اللجنـــة لترى من واجبها أن تستمر فى رعاية « الرجل » ومصالحه المشروعة .

زعماء الحركة الوطنية فى الكاميرون

يقولون ...

تحدث دكتور فيليكس رولاند رئيس الحزب الوطنى الرئيسى فى الكاميرون إلى مندوبة مجلة نهضة إفريقيا عن الحركة الوطنية قائلا : إن تاريخ الحركة الوطنية يرجع إلى عام ١٨٨٤ عندما انتعش الوعى الوطنى فى الكاميرون التى تنقسم إلى جزءين ، القسم الذى يحكمه الاستعماريون الإنجليز ، والقسم الذى يحكمه الفرنسيون ..

وقد تألفت أحزاب كثيرة اضطهدها المستعمر ، وكان آخرها « اتحاد سكان الكاميرون » وهو الحزب الوطنى الرئيسى الآن وهدف هذا الحزب هو تطهير البلاد من المستعمر .

وقد عرضت قضية الكاميرون أمام الجمعية العمومية لهيئة الأمم المتحدة ، وقررت الجمعية العمومية إرسال بعثة لتبحث حالة الكاميرون بنفسها .

ومما هو جدير بالذكر أن المستعمر يطمع فى بلاد الكاميرون لأنها تشتهر بالبن وهى خامس دولة تصدر البن للعالم ، وتشتهر بالموز ، والقطن ، والشاى والبترول الذى تكونت من أجله أخيراً شركة عالمية تتألف من عدة دول هى : فرنسا ، أمريكا ، بلجيكا ، هولندا للبحث عن البترول . ويرغب الفرنسيون والبريطانيون أن يستخرج البترول من الكاميرون لينافسوا دول الشرق الأوسط ، خاصة بعد العدوان الأخير على بورسعيد ،

وعندما سئل عن مدى تقدير الشعب للرئيس جمال عبد الناصر فى الكاميرون ، قال : إنه عندما نشبت معركة بور سعيد فى العدوان الأخير قدم المواطنون فى الكاميرون أنفسهم للتطوع لبورسعيد ، وإن اسم جمال عبد الناصر قد سمى به معظم الأطفال الذين يولدون هذه الأيام . وختم زعيم الكاميرون حديثه قائلا : إن شعب الكاميرون يبلغ خمسة ملايين نسمة منهم ١٢ ألف أجنبى ، والثقافة هناك لا تعدو الثقافة الاستعمارية البحتة .

وهناك نوعان من الصحف : الصحف الاستعمارية والصحف الوطنية ، وقبل حل الحزب كان للوطنيين ثلاث صحف هى : « صوت كاميرون » ، « نجم كاميرون » أما صحيفة المرأة فى الكاميرون فهى صحيفة خاصة للحزب النسائى هناك .

يوم رفع العلم الصومالى

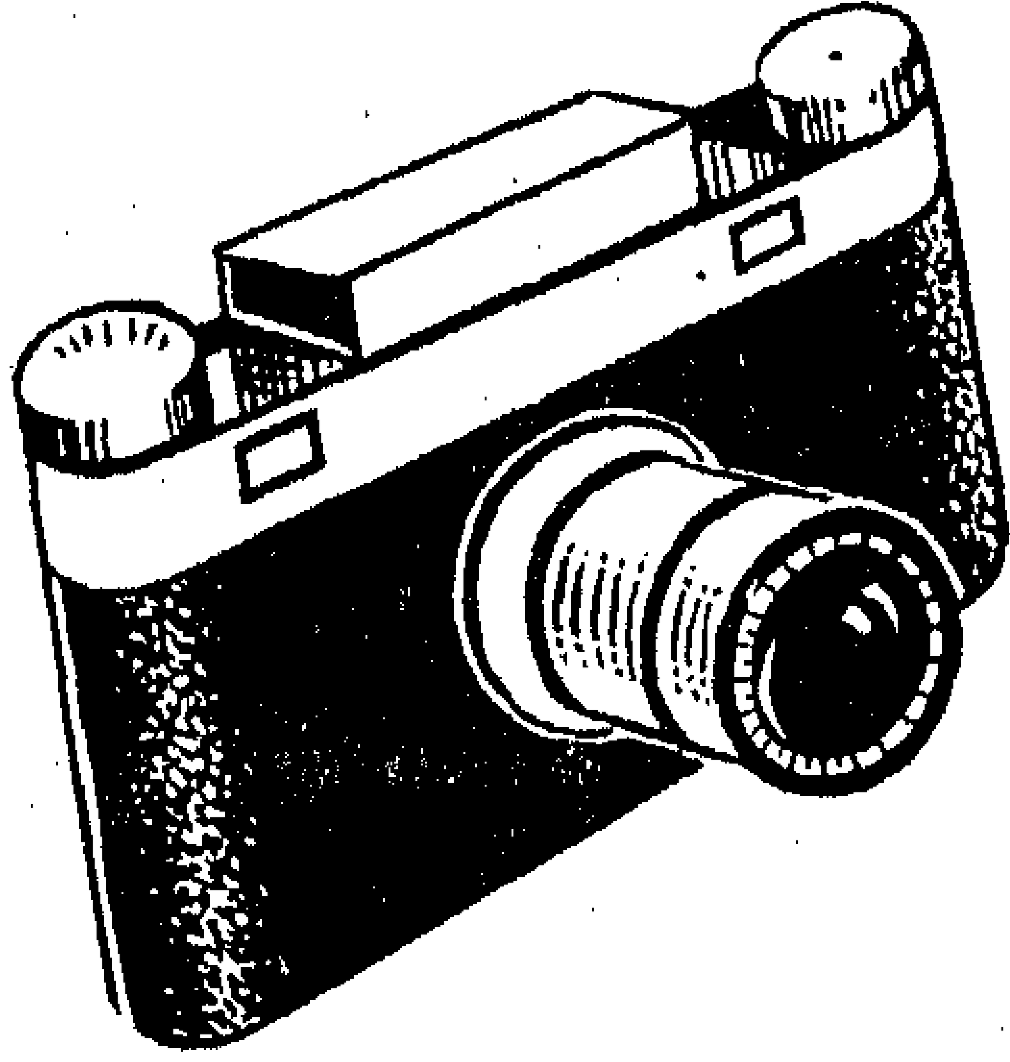
أقامت الرابطة الإفريقية فى مساء السبت ١٢ من اكتوبر — حفلة لذكرى رفع العلم الصومالى .

وقد ضم الحفل إلى جانب الشباب الإفريقى مجموعة من الزعماء الإفريقيين كان من بينهم الأمير عبد الكريم الخطابى والسيد عمر قاضى والسيد محمد حسين حامود والدكتور فيليكس .

وتحدث السيد وزير الإرشاد فى هذا الحفل عن حضارة الدول الإفريقية ، فقال : لقد خدع الاستعمار أهل إفريقيا ، وأوهمهم بأنهم أكلة لحوم البشر ، وقد كذب على التاريخ ، فان دول شرق إفريقيا شهدت حضارات ، وكانت فيها مدن مزدهرة بالحضارة — وهذه حقائق تتكشف شيئاً فشيئاً ، وترينا ضخامة المسئولية الملقاة على عاتقنا تجاه هذا الوطن الكبير .

وتحدثت الطالبة خديجة حسن الصومالية عن المرأة الصومالية ، فقالت : إن المرأة الصومالية سجنتها تقاليد العصور الماضية ، وعراقيل الاستعمار التى وضعت فى طريق تقدمها ، ولكن منذ عهد قريب بدأت تشارك الرجال فى الكفاح المقدس ضد الاستعمار ، فأنشأت جمعيات اجتماعية خيرية بمساعدة حرم الشهيد كمال الدين صلاح ، واشتركت فى المظاهرات الوطنية ، بل إنها تشارك الرجال اليوم فى كثير من الوظائف ، كما أنها تسعى جاهدة لتوثيق عرى الصداقة مع نساء جميع الأمم لتحقيق الحرية والسلام فى ربوع العالم .

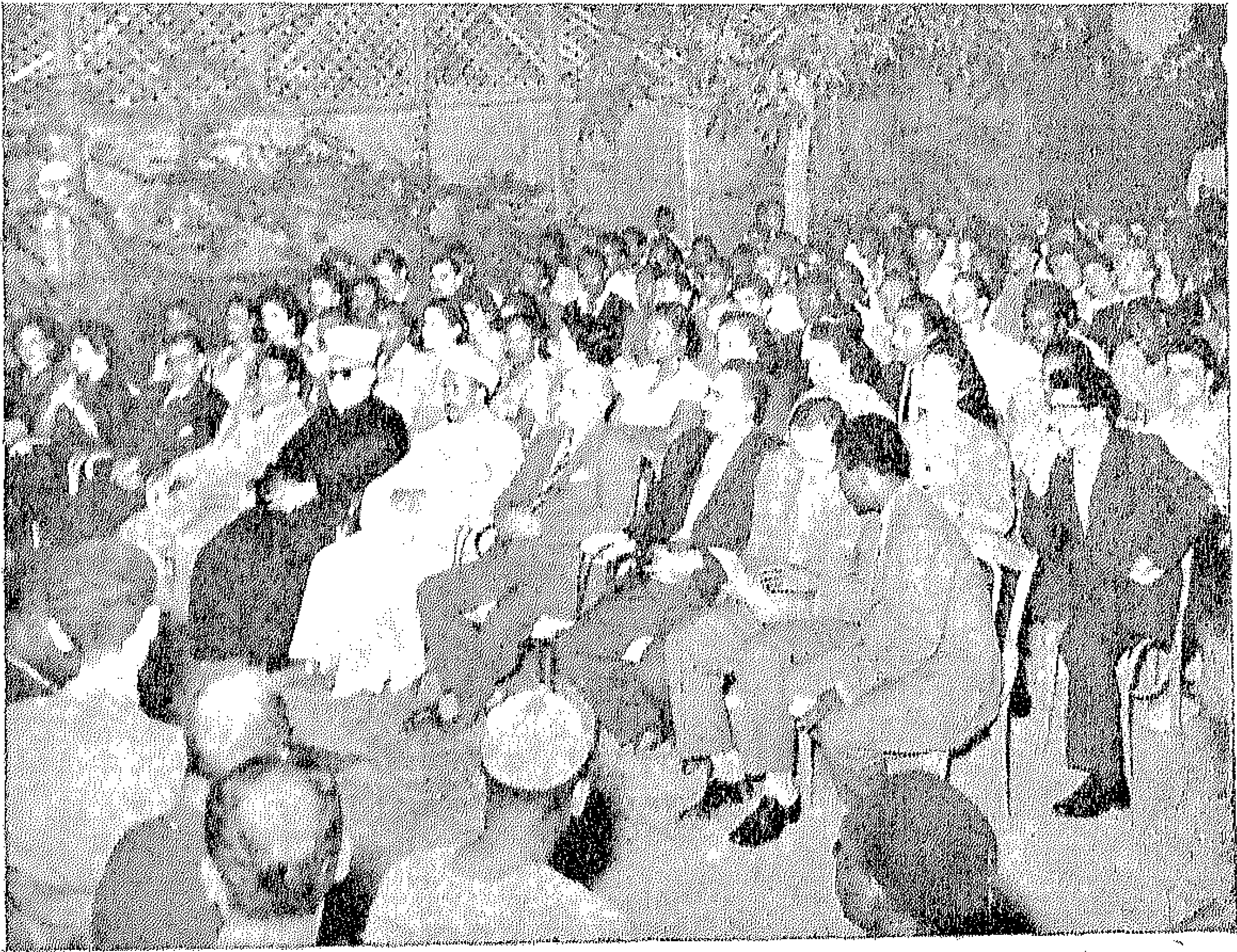
معرض الشهر



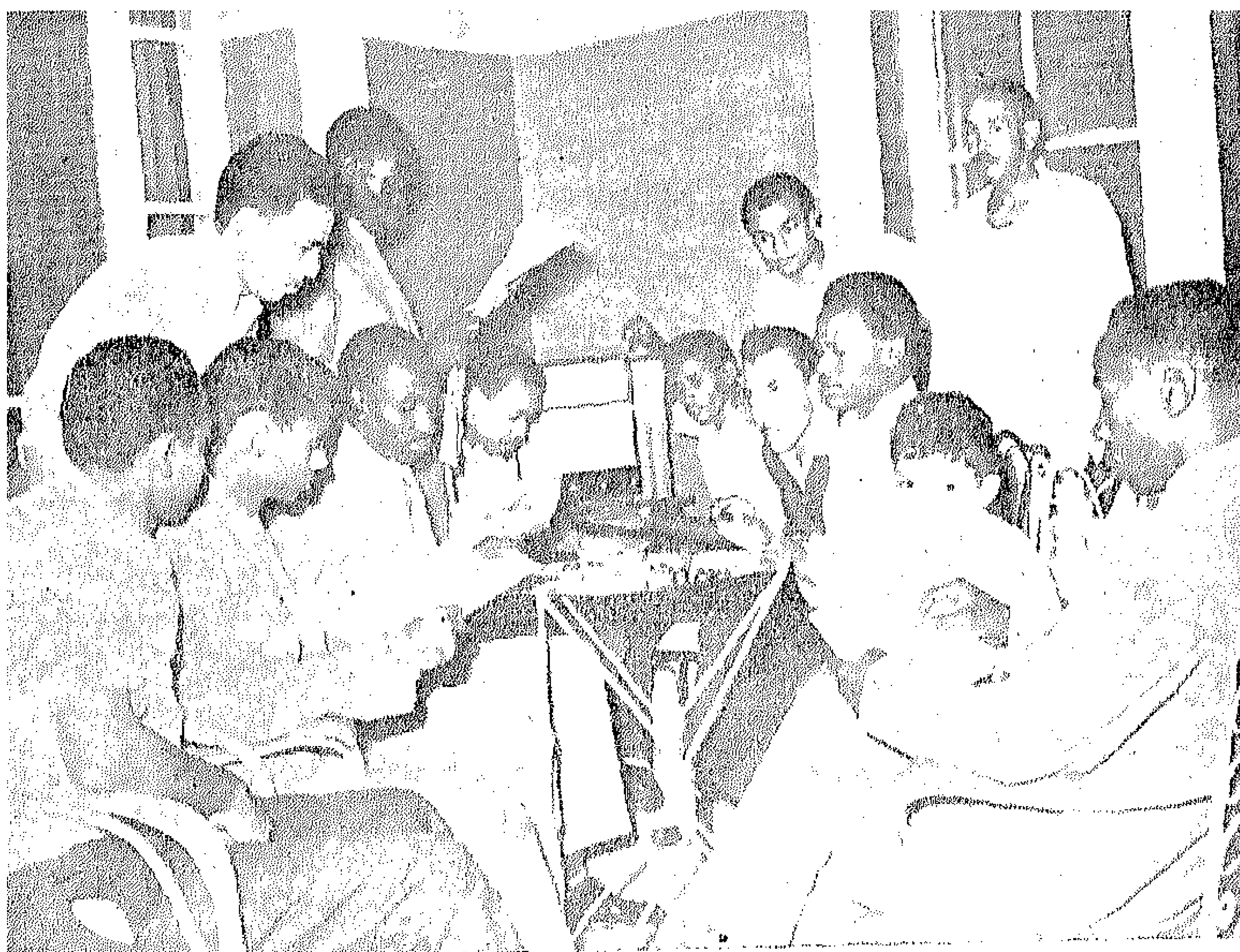
من اليمين : اللواء صالح حرب والحاج أمين الحسينى والسيد فتحى رضوان
واحدى المدعوات ثم حرم الشهيد كمال الدين صلاح فى يوم رفع العلم الصومالى



أبناء الصومال يهتفون بالنشيد القومى



فى حفل الرابطة الافريقية بذكرى الاعتداء الثلاثى على مصر



فى صالة الموسيقى بالرابطة الافريقية
شباب من جميع أنحاء افريقيا



فتاة صومالية تلقى خطبتها
فى يوم رفع العلم الصومالى

الرابطة الإفريقية فى مصر

هناك فى حى الزمالك ... فى شارع أحمد حشمت .. يقع بيت جميل يتألف من ثلاث طبقات قد اتخذه الإفريقيون نادياً لهم ، وأطلقوا عليه اسم « الرابطة الإفريقية .

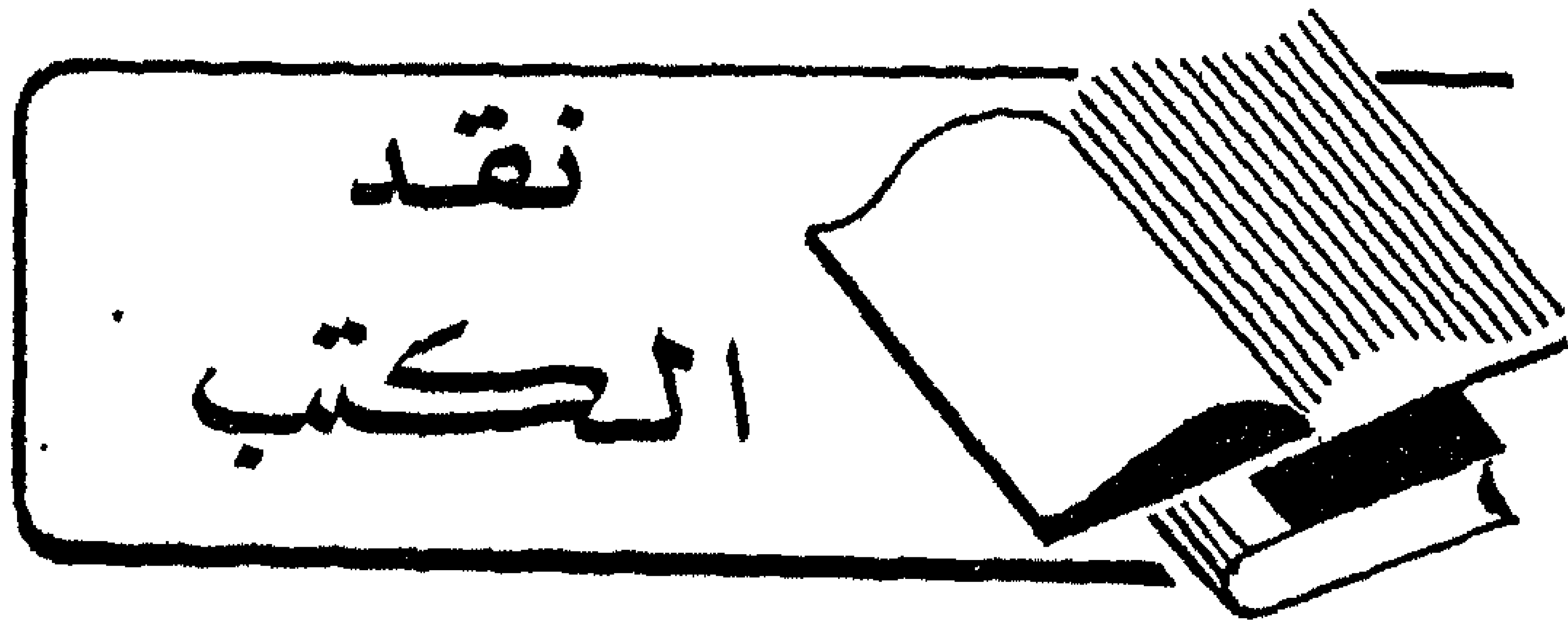
وتضم الرابطة الإفريقيـة فى مصر مجموعـة من المثقفـين المصريين والسودانيين ومن أوغندة ، والصومال ، ونيجيريا ، وإريتريا ، والسنغال ، وتشاد وغانا ، ويتولى تصريف شئون الرابطة مجلس إدارة يتكون من سكرتير عام هو الأستاذ محمد عبد العزيز اسحاق وخمسة أعضاء من أساتذة الجامعات والمهتمين بالشئون الإفريقية .

والغرض من تأسيس هذه الرابطة هو أن تكون مركزاً للتعاون مع جميع البلدان الإفريقية ومع الجمعيات والهيئات المماثلة فى بلدان العالم .

والرابطـة منـذ إنشائها تحيى المناسـبات القومية والأعيـاد الوطنية لدول إفريقيا وشعوبها . وكان من أهم هذه المناسبات احتفالها فى ٢٦ يوليو عام ١٩٥٧ « بعودة قناة السويس إلى أمها إفريقيا » .

وعندما حدث العدوان الثلاثى الأثيم على مصر ، تكونت فرقة عسكرية من أعضاء الرابطة وانخرطت فى صفوف المقاومة الشعبية متأهبة للقاء أعداء إفريقيا.

وقد نظمت الرابطة الإفريقية عدة رحلات داخل القطر المصرى وخارجه وهى تعد العدة لرحلات أوسع مدى إلى مختلف أقطار القارة .



أحمد بهاء الدين : مؤامرة فى افريقيا ١٧٧ صفحة

مطبعة دار احياء الكتب العربية : عيسى البابى الحلبى وشركاه القاهرة ١٩٥٧

يحوى هذا الكتاب سيرة مجيدة لحياة ابن بار من أبناء مصر والعروبة استشهد وهو يؤمن بأن العالم — على اتساع أرجائه — وطنه ؛ دافع عن الحق ، والحق لكل إنسان مهما كانت نظم حياته وبيئته ؛ عمل فى القدس وفلسطين تحت الانتداب ، ونقل إلى اليابان ، وعاد منها إلى بيروت ، ومن ثم تقرر نقله إلى سان فرنسيسكو ، غير أن ظروفاً طارئة عدلت هذا النقل إلى اليونان . ومنها إلى عمان (الأردن) ، وكان فى كل من هذه البلدان تطاحن وصراع ، ثم ذهب إلى تشيكوسلوفاكيا وهى فى مرحلة الانقلاب الشيوعى ، وعاد إلى دمشق والشعب فى سوريا فى حالة غير طبيعية ، ومن هنالك نقل إلى استوكهلم فى أقصى الشمال ، ومنها إلى فرنسا حيث تولى القنصلية فى مرسيليا ، وذلك فى عام ١٩٥٣ والثورة الجزائرية ناشطة على الشاطىء الجنوبى من البحر المتوسط ، وأسند إليه أخيراً منصب ممثل مصر فى المجلس الاستشارى للأمم المتحدة للصومال ، وبقى فى هذا المنصب حتى استشهاده فى السابع عشر من مارس سنة ١٩٥٧ ، وما كان فى فناء جسده فناء لروحه ومثله العليا التى آمن بها وذهب ضحيتها ، بل إنه قد ترك صفحة خالدة ، تستوجب التقدير والاعتراف بالجهود التى بذلها ، وذلك بتخليد ذكراه ونشر دراسات عنه ، وأعتقد أن هذه سوف لا تقف عند حد كتاب أو كتب عدة ، فنواحى نشاطه متشابكة متلاحقة تتطلب الدراسة المستمرة التى تخلق الجديد ، شأنها فى ذلك

شأن الحيوية الدائمة التي تنكشف لهـا الآفاق الجديدة من مرحلة إلى مرحلة . وما كنت أود أن يكون أول كتاب عن حياته يصدر بعنوان « مؤامرة فى إفريقيا » فهذا العنوان لا يوحى بموضوع الكتاب ، وإن أول ما يتبادر عنه انه قصة سرقة من سرقات الاستعمار ، وما أكثر مؤامراته المختلفة الألوان والصور ، وإن موضوع الكتاب أكثر من أن يكون مؤامرة فى إفريقيا فهو فى حقيقة الأمر وصمة فى جبين الإنسانية جمعاء لا تختص بها إفريقيا فحسب ، فهو مكافح اختار العـالم كله وطناً له عرف حق بلده عليه وعرف حقوق الإنسانية الكاملة التى لا تفرق بينها الحواجز القائمة بين الأمم ، ومما لاشك فيه أن الأستاذ بهاء الدين قد كان سباقاً فى وضع الكتاب الأول الذى سوف يفسح الطريق أمام الباحثين .

تناول الكتاب ترجمة لحياة الشهيد مستقاة من مصدر أساسى واحـد ، وهو مذكراته ويومياتـه ومكاتباته الخاصة ، ونرجو أن تتاح الفرصـة للأستاذ بهاء الدين والمهتمين بمشكلات الاستعمار حتى يخرجوا مؤلفات تلقى بها الأضواء على الموضوع ، وتعتمد على وثائق « أرشيف » وزارة الخارجية والقنصليات التى عمل فيها البطل الشهيد؛ ذلك لأن ما جاء فى هذه المذكرات التى اعتمد عليها الأستاذ بهاء الدين لا يوحى بالكثير الذى يحتاج لأن يكتب عنه . ويتضح لأول وهلة أن المذكرات ذات أهمية بالغة ، لأنها كتبت تواً عقب كل أمر .

وللأستاذ بهاء الشكر على طرقه هذا الباب ، ونأمل أن نرى قريباً منه دراسة أوسع عن هذه الشخصية والعمل على تمجيدها إعزازاً للوطن ،وتكريماً للمواطن .

ا . ب . ع





مانجو تتحدث عن نفسها

بقلم : مارسينو مودى

« هذه دعابة كتبها شاب إفريقى رأى المنجة فى ظروف متناقضة وتحدث على لسانها » ..

أنا هندية غاية فى شرف النفس وطيب المحتد ارتقى إلى مصاف « السادة » الذين عرفتهم انجلترا فى القرن السادس عشر ، ولكن دعنى أفصل لك الطبقات الاجتماعية التي أنتمى إليها فى أربع مدن تقع على ضفاف وادى النيل ، لعل حضرات السيدات والسادة يحمدون مركزى الرفيع فى بعض هذه المدن على حين يرثون لحالى ، بل ويسخرون منى ، فى تقديرهم مغامراتى الجريئة فى هذا الوادى الجميل .

ولما كنت لا أملك الوقت ولا الحيز الكافى لنشر المطولات عن سيرة أسلافى فى الهند أبادر فأحدثكم عن حياتى وتجربتى التى اتفقت لى فى أول مدينة وضعت فيها قدمى .

عندما أتيت القاهرة كنت على رأس طائفة من زميلاتى ، فجعلت من نفسى باشا لا يختلط إلا بالحشد المتألق من علية القوم وكبار أصحاب متاجر البقالة ، فصنعوا منى عصير المانجو ، وكان من أسباب فخارى أننى ارتفعت بسعر كوب ذلك العصير إلى اثنى عشر قرشاً فى حين أباع إذا لم أعصر بسبعة قروش. والواقع أن تجاربى فى هذه المدينة تتفق ومقتضيات السادة ، وستكون زيارتى للقاهرة من أعمق ذكرياتى التى لا تنسى .

ولكن رويداً أيها القارىء العزيز ،

فقبل أن أقوم بزيارة ودية إلى الخرطوم العاصمة السودانية ، سأقص عليك الفاجعة التى تعرضت لها ، فأساءت إلى أكثر مما أساءت إلى الشخص الذى كان سبباً فى الواقعة : كان ذلك أثناء اشتغالى بالحديث مع باقة من شابات المجتمع فى محل جروبى بشارع سليمان باشا فى القاهرة . كان كل شيء على ما يرام حين دخل المحل زائر على جانب من الغرابة لم نعهده من قبل ، فانتحى ناحية وجلس غير بعيد ، ثم طلب إلى الخادم أن يحضر له كوباً من عصير المانجو ففعل . وطفق الزائر يرتشف الكوب فى رضى بالغ فلما فرغ منه قيل له : إن الثمن خمسة عشر قرشاً ، فامتقع لونه وتغير مليون مرة ، ولم يلبث أن نطق بعبارة نالت من كبريائى قائلا : « فى بلدى لا أدفع ثلاثة مليمات ثمناً لها ». ومع ذلك فقد دفع الثمن المطلوب وغادر المكان مغيظاً محنقاً ، حتى حسبت أنه لن يعود مرة أخرى . على أن المثل القائل « متى كنت فى روما فافعل كما يفعل الرومان » حمل ذلك السيد على أن يعود إلى جروبى ويشرب ويدفع .

والآن أعود بك إلى حيث كنت أسامر مجموعة من الفتيات بأحاديثى الطلية ، فأثارتنى العبارة الجارحة التى تفوه بها ذلك السيد ، ولا أخفى عليك أن هذه العبارة قد حفزتنى على المغامرة لأقف بنفسى على المكان المتواضع الذى أنزلونى به .

لم تكن رحلتى من القاهرة إلى الخرطوم طويلة فلم تمض بضعة أيام حتى وجدت نفسى أنعم بأمسيات هادئة مريحة فى الفندق الكبير بشارع كتشنر ، وهنا أصبت شيئاً من الهدوء والاطمئنان فى انتظار الأحداث المتوقعة .

إن الخرطوم ، كما لا بد أن تعلم ، آخذة فى النمو السريع فى حجمها وعدد سكانها ، وقد أضحت الآن مركزاً للعديد من كبار الزائرين والسائحين الذين وصلوا إليها ليشهدوا عملية تقرير مصير السودان بيد أبنائه . وواضح أنه كلما كثر السكان أريد منى أن أطيل من أحاديثى الودية الشهية . ولقد خيل إلى فى غمار هذه الفكرة السامية أننى قد ارتقيت إلى درجة لا تقل عن درجة الحاكم العام . ولكن ماذا كنت أنتظر غير خيبة الأمل المريرة ، فقد كنت أو كان أبناء عمومتى يباعون بالدستة

لقاء خمسين قرشاً ليس إلا . والدستة من المـانجو لا تبلغ هذا السـعر إلا فى أوقات معلومة من السنة . وفى الوقت الذى كنت أساوى فيه سبعة قروش فى القاهرة وجدت أن ثمن الدستة من قريباتى لا يزيد عن خمسين قرشاً ، وبعملية حسابية يسيرة ترون ياحضرات القراء أن هيبتى قد تدهورت وأن نبالتى قد فقدت أربعة وثلاثين صوتاً .

وثارت ثائرتى وملأنى الغيظ حتى كدت أضع حداً لمغامراتى ، لولا أننى ذكرت العبارة الجارحة التى قالها ذلك الشاب فى القاهرة فأحرج مركزى بين حشد من الفتيات الرشيقات ، فصممت على الرحيل لأتمكن من إصدار حكم على الشاب الذى أدانه ضميرى بالقذف فى حقى .

كانت الباخرة النيلية من كوستى إلى جوبا وسيلتى الوحيدة للسفر ، لأن الطائرات فى ذلك العهد كانت مقصورة على كبار موظفى الدولة ، فأمضيت خمسة عشر يوماً فى رحلة طويلة شاقة كادت أن تقضى علىّ فشحب لونى ، وأخيراً بلغت جوبا وإن لم تكن جوبا نهاية المطاف ، لأن أمامى يومين أقطعهما على عربة نقل .

وأثناء إقامتى القصيرة فى جـوبا استضافنى صديق فى بيته وأكرم وفادتى ، ولكن سرعان ما وضح لى أن الشاب الذى استمعت إليه فى القاهرة كان على حق ؛ فقد وجدت زميلاتى وبنات عمومتى لسن فى مستوى اجتماعى أرفع من مستواى ، وقد أسرّت إلى احداهن أن أنهى رحلتى فوراً وأعود أدراجى إذا كنت لا أطيق مواجهة الحقيقـة الواقعة ، وهذه الحقيقة هى أن المانجو ليست الواحدة بقرش وإنما سبعة بقرش . وهنا ياحضرات السادة انعقد لسانى ، وعجزت عن التفكير حتى ظنت قريبتى أن بى مساً من الجنون . وأخيراً انطلق لسانى فتساءلت تساؤلا كانت الإجابة عليه غاية فى التأثر . قيل لى : إن أبناء عمومتى يرزحون فى أغلال العبودية فلم تتح لهم الفرصة لرؤية المزيد من الدنيا ومن الثقافة الخارجية .

وهكذا لم تكن مغامراتى فى جوبا مشجعة ، حتى جاء اليوم الذى ركبت فيه سيارة البريد إلى يامبيو ، وكان ذلك يوم السبت فى منتصف الساعة التاسعة صباحاً .

كانت الرحلة ساحرة حقاً صادفتني خلالها تجارب ممتعة على جانب من الغرابة ، وإذا أخرجنا من حسابنا ما كان ينتظرنى من خيبة شديدة على النفس كان السفر غاية فى البهجة والمتعة ، وكانت الحيوانات البرية تجتاز الطريق أمامنا من وقت لآخر . وهـذا الطريق كان الطريق الوحيد الصالح لاستخدامه طوال السنة بين عاصمة المديرية وبلدة يامبيو التى بلغناها مساء الأحد، فذكرت « شكسبير » حين يقول فى رواية « ماكبيث » :

... « تعال أيها الليل حتى لا أرى فى ظلامك الحالك .

... الجرح الذى سيحدثه خنجرى المسنون ... » .

وقلت فى نفسى :

... مرحباً بك ياليل .

فقد حلت بين عينى وبين الويلات .

التى كنت خليقة أن أراهـا . . . »

ثم أشرق الصباح يوم الاثنين ، وأضاء الكون بما لم نكن نعهده من بهاء وجمال فى ذلك الجزء من العالم ، فقد خلت السماء من السحب ، كما خلا منها الأفق البعيد ، حتى إنك إذا وقفت على ربوة عالية كما وقفت لما أشرفت على المنظر الذى أشرفت أنا عليه ، فهناك فى البيداء على مدى البصر رأيت أبناء عمومتى . لم يكونوا سوى رقيق نبتوا على الأرض ثم ماتوا جوعاً ، لأنهم لم يجـدوا ما يأكلون ، وحين ماتوا لم يجدوا أحداً يرثى لهم فيواريهـم التراب لـكثرة ما مات منهم .

وهكذا فلم يقل ذلك الشاب فى القاهرة غير الحق ، ولو رأى الحال السيئة التى انتهى إليها أبناء عمومتى لما دفع مليما واحداً ثمناً لعصير المانجو.

والآن قد عرفت الحقيقة فسأقنع من الغنيمة بالإياب بأسرع ما تتيح لى وسائلى المادية ، وأرجو أن أزيدكم علماً بالحياة التى يحياها أبناء عمومتى والتى تدعو إلى الرثاء البالغ ، ولا يسعنى إلا أن أبرىء ذلك الشاب القاهرى ، وأطلب له الرحمة ، كما أحمد الله على أننى لم أظهر له غضبى ، وحين أعود إلى القاهرة فإما أن أعترف بحقيقة أبناء عمومتى أو ، إذا ملأنى الغرور والكبر ، ألتزم الصمت للاحتفاظ بشرفى وشهرتى على حساب أبناء جنسى .

افريقيا فى شهر

نبدأ جولتنا من « القرن الشرقى » ثم وادى النيل ، ثم الشمال الإفريقى ، ثم الغرب ، ثم الأقاليم المدارية الجنوبية.

الصومال : احتفل الصومال المشرف على الاستقلال بذكرى رفع العلم الصومالى ، وجاءت الأنباء عن الاجتماعات الزاخرة والخطب الوطنية الحماسية وشعور الزهو والسعادة الذى شمل الشعب الصومالى .

وكان حزب « وحدة الشباب الصومالى » ، وهو الحزب الحاكم الآن فى الصومال ، قد أجرى انتخابات الرياسة ففاز برياسة الحزب السيد حاج حسين حامود ، وهو الزعيم الوطنى الذى ينادى بدعم استقلال الصومال وبعث الثقافة الإسلامية فيه واتخاذ اللغة العربية لغة رسمية فى الصومال .

ومما يذكر أن السيد حامود انتخب رئيساً للحزب وهو غائب عن وطنه ، فقد كان حينئذ فى مصر حيث قام ببعض الدراسات الجامعية .

وقد تواترت من الصومال أيضاً أنباء جديدة عن تخليد ذكرى الشهيد كمال الدين صلاح ، فبعد أن قررت الحكومة إطلاق اسمه على أكبر شوارع العاصمة « مقديشيو » ، سميت باسمه احدى كبريات المدارس واحدى المصحات .

إرتريا : لم تستقر الأوضاع بعد بشأن الخلاف بين أثيوبيا وإرتريا حول قضية الاتحاد الفيديرالى . فقد كان من حق إرتريا بمقتضى قرارات هيئة الأمم المتحدة أن يكون لها دستور يضمن شخصيتها المميزة فى نطاق الاتحاد مع

أثيوبيا كما يضمن الحريات الأساسية والنظام الديمقراطي للشعب الإرترى ، ولكن أثيوبيا أصدرت مؤخراً دستوراً عاماً لم يجد فيه الزعماء الإرتريون ما يرضى مطالبهم القومية ، فنظموا حركة لمعارضته ، وسافر أحد هؤلاء الزعماء وهو السيد محمد عمر قاضى إلى نيويورك ليتصل بوفود الدول الإفريقية والآسيوية المشتركة فى اجتماع الأمم المتحدة ، ويلتمس هناك حلاً لهذه المشكلة .

يوغندا : ما كادت الأحوال تعود إلى شىء من الاستقرار بعد عودة « الكاباكا » من منفاه فى لندن حتى حدثت مشكلة وصفها أحد الزعماء بأنها أسوأ حادث منذ نفى الكاباكا .

ذلك أن الحاكم العام البريطانى أخذ فى تكوين مجلس تشريعى للبلاد ، ونص فى الدستور على أن يمثل المستوطنون الأجانب فى هذا المجلس .

ولما ثارت الخواطر على هذا النص حاول الحاكم العام تعديله وإقناع الزعماء باعتبار عضوية الأجانب فى هذا المجلس « مؤقتة » وألا يكون لهم الحق فى هذه العضوية بعد أن تحصل يوغندا على الحكم الذاتى .

السودان : يستعد الشعب السودانى بمختلف طوائفه وأحزابه لخوض معركة الانتخابات الحاسمة فى يناير القادم ، وتبدو الأهمية الخاصة لنتيجة هذه المعركة إذا علمنا أن البرلمان الذى سوف تسفر عنه هذه الانتخابات هو الذى سينتخب أول رئيس للجمهورية السودانية

وقد جاء من السودان أيضاً نبأ له أهميته العظيمة فى الميدان القومى بوجه عام والميدان الثقافى على وجه الخصوص ؛ فقد قررت الحكومة السودانية استخدام اللغة العربية تدريجياً بدلا من الإنجليزية فى التعليم الثانوى ، وسوف يترتب على ذلك أن تكون اللغة العربية ، لغة التعليم فى الجامعة السودانية فى المستقبل القريب .

مصر : شاعت تطورات الحوادث ، ومظاهر « الحرب الباردة » التى كادت أن تنقلب إلى حرب طاحنة فى الشرق الأوسط أن تسرع مصر إلى مؤازرة شقيقتها سوريا بإرسال « وحدات أساسية من الجيش المصرى » بكامل معداتها العسكرية الحديثة لكى تقف إلى جانب الجيش السورى دفاعاً عن القطر الشقيق . وكانت هذه الخطوة

دعماً عملياً لمشروع الاتحاد السورى المصرى الذى استكمل أهم عناصره الرئيسية بتوقيع الاتفاقيات الثقافية والاقتصادية .

وقد بعثت مصر أيضاً ، فى هذا الشهر ، هدية من الأسلحة والمعدات العسكرية والعتاد الحربى إلى شقيقتها ليبيا بعد أن حاولت فرنسا التحرش والاعتداء على الحدود الليبية الغربية فى اقليم فزان بحجة مطاردة المجاهدين الجزائريين .

وقد احتفلت مصر فى يوم ٢٩ من اكتوبر بذكرى الاعتداء الثلاثى الفاشل الذى قامت به اسرائيل وانجلترا وفرنسا فى العام الماضى للقضاء على الحركات التحريرية فى إفريقيا والشرق الأوسط .

وقد أعلنت هيئة قناة السويس المصرية بهذه المناسبة أن إيراداتها زادت خمسة ملايين جنيه عما كان مقدراً من قبل (وهو ٣٥ مليون جنيه سنوياً) .

ليبيا : بعثت الحكومة الليبية تطلب انتداب بعض الأساتذة المصريين للتدريس فى الجامعة الليبية ، وقد سافر هؤلاء الأساتذة بالفعل إلى بنى غازى .

وكانت الحكومة الأمريكية قد أهدت أجهزة إرسال « محطة إذاعة » إلى ليبيا ، وتكوّن مجلس إدارة لهذه المحطة من الأدباء والمثقفين الليبيين ، وقد جاءت الأنباء بأن هذا المجلس قدم استقالة إجماعية احتجاجاً على تدخل الموظفين الأمريكيين فى شئون الإذاعة الليبية .

تونس : تكرر اعتداء القوات الفرنسية المعسكرة فى الجزائر على الحدود التونسية مما أثار حكومة البلاد ودفعها إلى طلب شراء الأسلحة من أمريكا للدفاع عن نفسها .

ولما تلكأت أمريكا فى نظر هذا الطلب بادرت مصر إلى عرض تسليح الجيش التونسى بما يشاء من عتاد .

وما زالت أمريكا وحلفاء فرنسا فى أوربا ممتنعين عن بيع الأسلحة للشقيقة تونس ، وما يزال العرض المصرى قائماً .

الجزائر : كان من أثر التصميم على الكفاح وبذل الدماء فى سبيل الاستقلال أن سقطت حكومة « موليه » وظلت فرنسا بغير وزارة لمدة أسابيع ، وحدث اضطراب فى المجتمع والحياة الاقتصادية

والسياسية فى فرنسا ، وقد أعلنت جبهة التحرير الوطنى فى الجزائر أنها لن تقبل التفاوض مع فرنسا إلا إذا اعترفت هذه مقدماً باستقلال الجزائر .

وفى الوقت الذى تترنح فيه فرنسا بسبب الأزمات العسكرية والاقتصادية تحاول أن تشرك معها أمريكا وبعض الدول الأوربية لاستغلال بترول الصحراء الجزائرية ، وقد شنت القوات الجزائرية هجمات متعددة فى الأسابيع الماضية على خطوط السكك الحديدية الموصلة من « وهران » على الساحل إلى حقول البترول فى قلب الصحراء .

مراكش : فى الوقت الذى تحاول فيه فرنسا استبقاء بعض مصالحها الثقافية والاقتصادية فى مراكش يشتد نشاط حزب الاستقلال المراكشى لاستعادة إقليم « موريتانيا » الذى يقع إلى الجنوب من مراكش ، والذى كان منذ بضعة قرون جزءاً مكملا للقطر المراكشى .

وقد بدأت حوادث الهجوم على المخافر الفرنسية النائية فى موريتانيا ، ويتسع مدى هذا الهجوم من يوم إلى آخر .

غانة : تواصل الحكومة الوطنية فى غانة استكمال مظاهر الاستقلال الذى انتزعته أخيراً من أيدى البريطانيين .

ومن الخطوات التى اتخذت أخيراً أن طلبت الحكومة من المندوب البريطانى إخلاء قلعة « كرستيانبرج » ، وقد أقام فيها رئيس الحكومة الزعيم « نكرومه » ، كما أصدرت الحكومة قراراً بمنع عزف نشيد « حفظ الله الملكة » البريطانى .

وقد كان من الأحداث التى مست الشعور القومى فى غانة ما حدث لوزير المالية « جبيدماه » أثناء زيارته لأمريكا فى الشهر الماضى ، إذ رفضت احدى العاملات فى مطعم أمريكى أن تقدم له ولسكرتيره شيئاً من الطعام أو الشراب ، ولما احتج الوزير على هذا السلوك لدى صاحب المطعم أجابه الرجل بأنه غير مسموح « للملونين » بتناول الطعام فى ذلك المكان ...

نيجيريا : تمت فى نيجيريا خطوة جديدة فى طريق الاستقلال الذى ينتظر إعلانه فى أوائل عام ١٩٦٠ .

فقد كان لكل منطقة من مناطق نيجيريا الثلاث وزارة خاصة بها ، وقد أنشئت فى الشهر الماضى « وزارة

تحادية» لعموم نيجيريا ، ونولى رئاستها « المعلم أبو بكر بلوى » ، وعند الاحتفال بتنصيبه ألقى خطبة وطنية ناشد فيها جميع الزعماء أن يتحدوا ويتجنبوا الخلافات إلى أن تحصل البلاد على الحرية والاستقلال .

الكاميرون : يجاور إقليم الكاميرون نيجيريا إلى الشرق . وكانت انجلترا قد تقاسمته مع فرنسا بعد انهزام ألمانيا فى الحرب العالمية الأولى . وقد شرعت بريطانيا الآن فى تمزيق نصيبها من الكاميرون إذ اقتطعت الجزء الشمالى منه وضمته إلى شمال نيجيريا . ولما ثار الشعب على هذا العمل قرر الإنجليز نفى زعمائه من بلادهم ، واتجه بعض هؤلاء الزعماء (ومعهم نساؤهم وأطفالهم) إلى السودان ، ومن هناك جاء فريق منهم إلى مصر ، وعلى رأس هذا الفريق الدكتور فليكس ... الذى يحاول شرح قضية بلاده والدعوة لإنقاذها من مخالب الاستعمار .

اتحاد الروديسيات : هذا الاتحاد هو أحدث « عضو » فى الكمنولث البريطانى وهو يتكون من روديسيا الشمالية وروديسيا الجنوبية ونياسالاند .

والسكان عبارة عن أقلية حاكمة « بيضاء » وأغلبية محكومة « ملونة » ، وعلى الرغم من إعلان الحكام البيض أنهم لن يقتفوا أثر اتحاد جنوب إفريقيا فى الاضطهاد العنصرى ، إلا أن الحكومة الاتحادية قد أخذت بالفعل فى تنفيذ قوانين التمييز بين الأجناس التى تمنع السود من وسائل المواصلات وأماكن الرياضة والمدارس ، وحتى الكنائس التى هى مخصصة للبيض ...

وينتظر أن تثار هذه المشكلة الجديدة أمام هيئة الأمم .

اتحاد جنوب افريقيا : أثيرت مشكلة التمييز العنصرى مرة أخرى هذا العام أمام اللجنة السياسية للأمم المتحدة ، وكان من الذين استنكروا تلك السياسة المنافية للإنسانية مندوب « غانة » .

وقد ذكر المندوب فى خطبته أنه من الممكن طرح تلك السياسة البغيضة إذا تخلت حكومة جنوب إفريقيا عن التكبر والزهو والغرور .

تحيــــــة إفريقيــــــة

للطالب الاريترى على محمد سعيد برختو بمناسبة ذكرى بور سعيد

حدثينا بور سعيد

كيف وجهت إلى الباغى السلاح
كيف غنيت على لحن الـكفاح
إن مجداً قد صنعتيه تليداً
سوف تذرو غيره هوج الرياح
وسيبقى خالداً فى الخالدين ! !

حدثينا بور سعيد

أى شهم من بنيك الأكرمين
أى حسناء وأى المفتدين
أى طفل أى طفلة
أشعل المشعل فى الوادى وصاح :
قد حفرنا القبر ، قبر المعتدين ! !

حدثينا بور سعيد

كيف أصبحت مع الباغى عنيدة
كيف أمسيت على الحرب صمودة
قد عرفناك مياهاً ونسيما ووروداً
فإذا أنت فناء ودمار وسعير
قد صببتيه على القوم فولوا مدبرين ! !

حدثينا بور سعيد

حينما الأمواج كانت فى حياء وخجل
تلثم الثغر ، وتهديه القبل
والنسيم العذب يوحى بالأمل
فى بناء المجد صرحاً شامخاً
يهزم الدهر قروناً فقرون

حدثينا بور سعيد

كيف أضحى موجك الهادى جبالا شامخات ؟؟
ونسيم الليل أمسى كرياح عاتيات ؟
يا لريح عاتية ! !
وإذا الثغر غدا ثغر بركان عظيم ! !
ثائراً يحمى الحمى يحمى العرين ! !

حدثينا بور سعيد

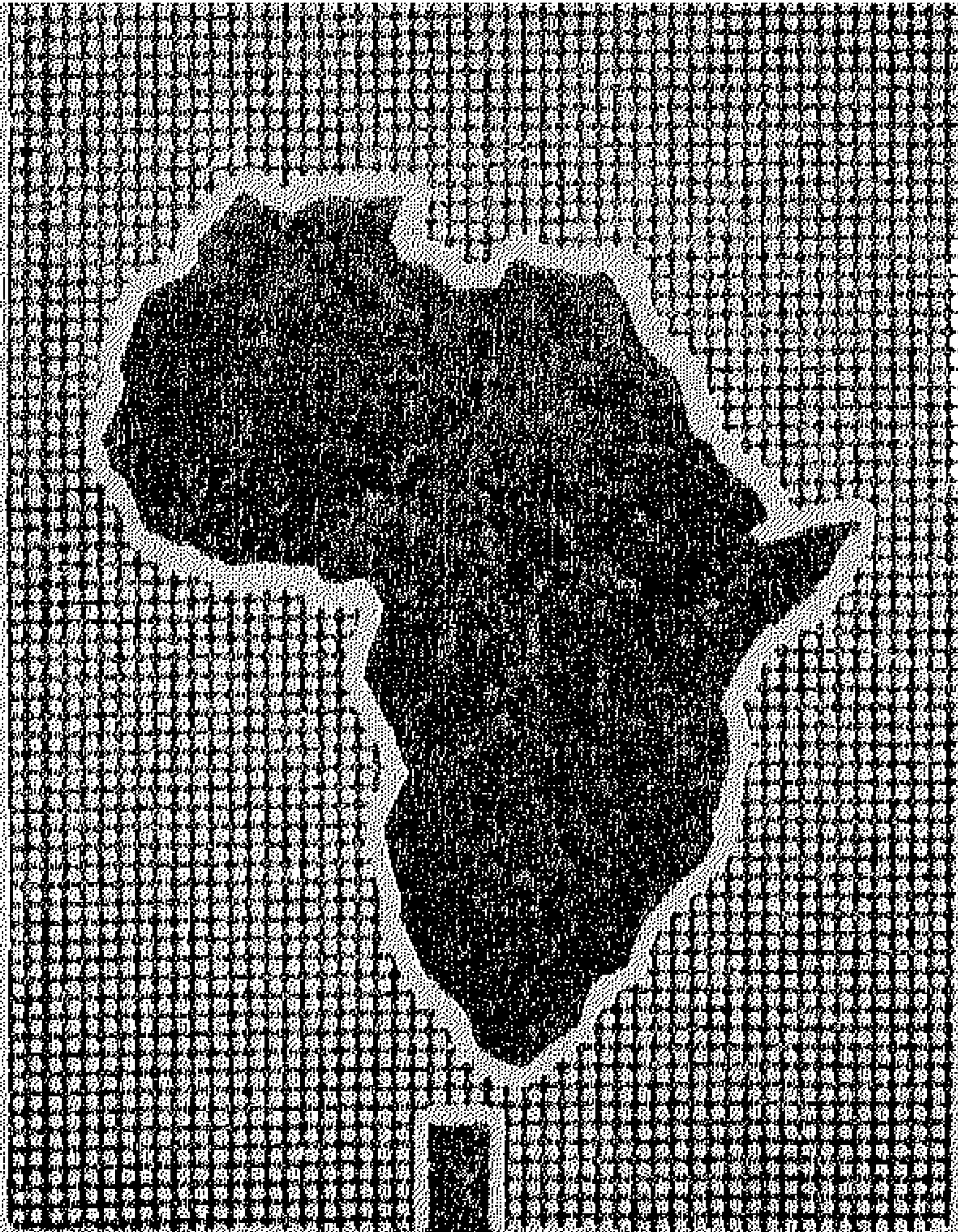
بعدما الغازى أبيدا
وحصدت كل غدار حصيدا
فلماذا كنت تبغين المزيدا
أنت جوعى أنت عطشى للدماء
غير أن القوم راحوا عائدين

حدثينا بور سعيد

حدثى افريقيا
أرض آبائى أرض أجدادِيا
أرض كنياتاوقاضى أرض نيكروما العظيم
علمينا كيف نحمى الأرض من كل العدى
علمينا أنت خير العالمين .

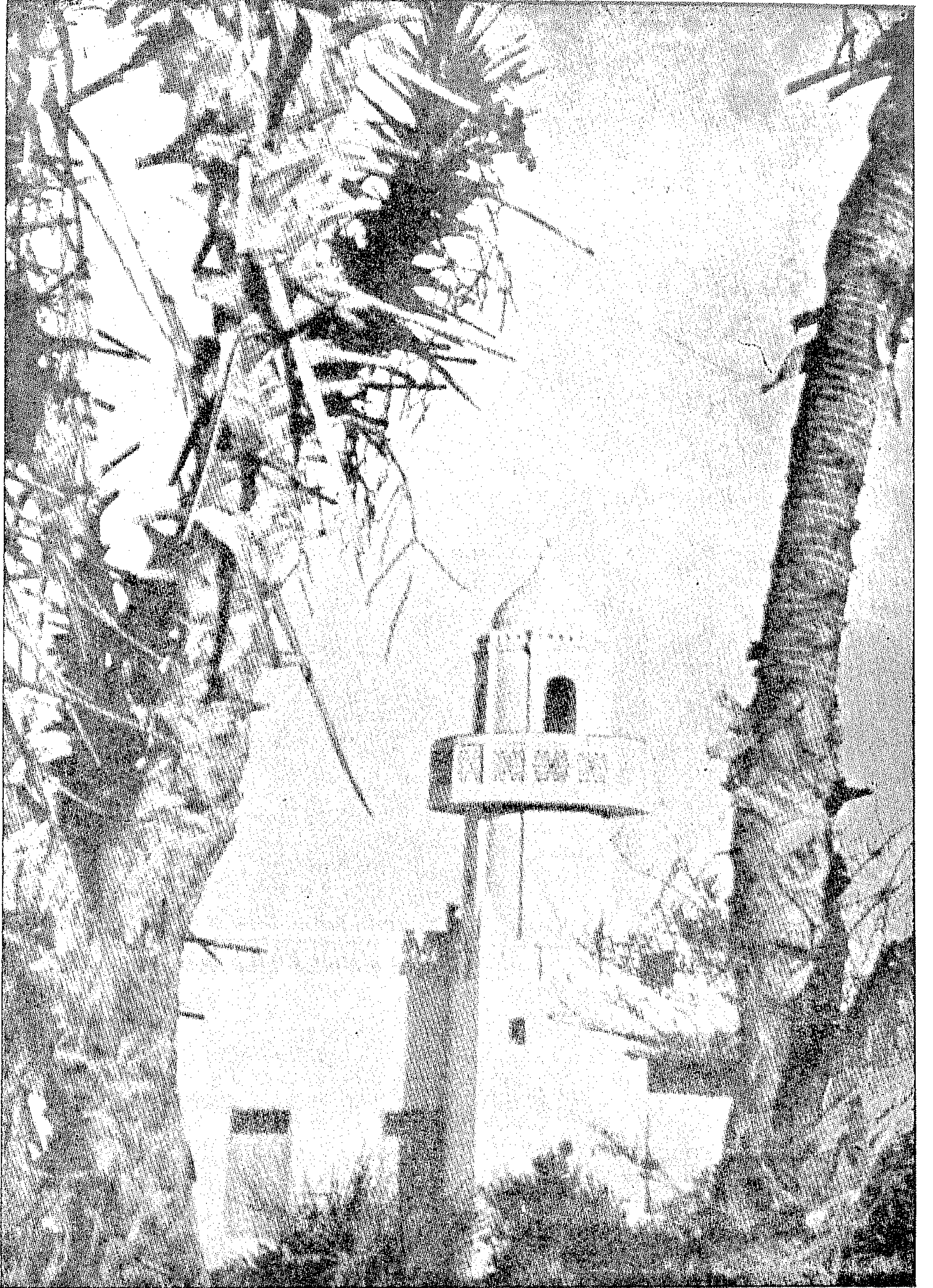
السنة الأولى

العدد الثانى ديسمبر سنة ١٩٥٧



نهضة افريقيه

فى هذا العدد



مســــجد فى الصـــــومال



نهضة أفريقية

مجلة شهرية للثقافة الإفريقية

رئيس التحرير : محمد عبد العزيز اسحق

محتويات العدد

نهضة افريقية

تهدف هذه المجلة إلى :

١ — تنمية الوعى القومى الإفريقى .

٢ — التعارف بين الإفريقيين فى مختلف بيئاتهم وحياتهم الإقليمية .

٣ — نشر البحوث الخاصة والعامة التى تهم كل إفريقى فى مجاله الحيوى .

وللمشتركين الحق فى :

١ — الحصول على المجلة بانتظام ، وكذلك المطبوعات التى تصدرها المجلة بين وقت وآخر بثمن مخفض .

٢ — الإفادة من خدمة لجنة الاتصال بالمجلة بقدر الإمكان .

> ليس من الضرورى أن تكون المقالات
> التى تنشر فى هذه المجلة معبرة عن رأيها

ترسل المراسلات باسم :

السيد رئيس تحرير مجلة نهضة إفريقية

٥ شارع أحمد حشمت — الزمالك — بالقاهرة

تليفون المجلة ٨٠٧٦٥٨ جمهورية مصر

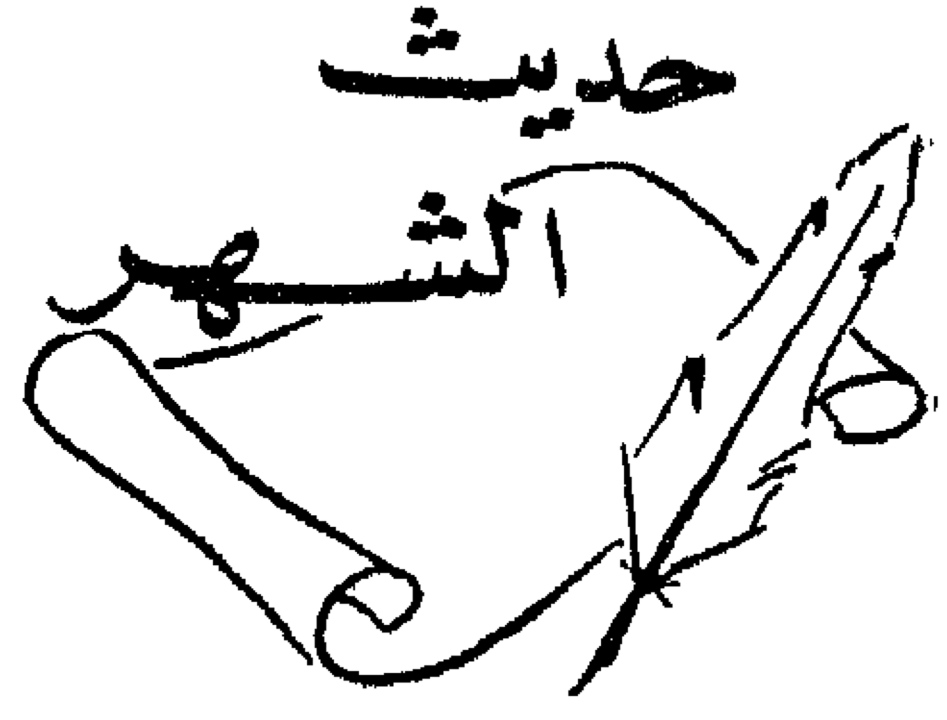
ترسل قيمة الاشتراك فى المجلة إلى :

دار أخبار اليوم للتوزيع : ٧ شارع الصحافة بالقاهرة

الاشتراك سنوياً : لمصر والسودان
٣٠ قرشاً

ثمن العدد
٣ قروش صاغا

مطبعة مصر شركة مساهمة مصرية



أسباب الاتحاد
فى وسط افريقية

بقلم
شيكاكو كامولاندو

منذ أربعة أعوام أعلنت وزارة المستعمرات البريطانية أنها تعمل على انشاء دولة اتحادية فى وسط افريقيا تتكون من أقاليم : روديسيا الشمالية وروديسيا الجنوبية ونياسا لاند . ومساحتها جميعا تقارب مساحة نيجيريا ، أى حوالى مليون ميل مربع وان كان عدد السكان يساوى نصف سكان نيجيريا أى حوالى ستة عشر مليونا من البشر .

فما الذى دفع وزارة المستعمرات الى انشاء هذا الاتحاد الذى لايزيد عدد المتوطنين الأوربيين فيه عن بضعة عشرات من الألوف يعيشون فى وسط بحر متلاطم الأمواج من الافريقيين السود ؟.

أهى الرغبة فى تحرير هؤلاء الافريقيين ووضع مصيرهم فى أيديهم وضم دولتهم بعد ذلك الى الكومنولث البريطانى ..؟

أم هو تمكين هؤلاء الملايين من البشر من موارد بلادهم وثرواتها وفتح الطريق أمامهم للارتقاء المادى والسير فى ركب الحضارة الانسانية ..؟

أم هو شعور العدالة والانصاف والاقتناع بأن هذا العصر هو عصر الشعوب التى لا تغلب ارادتها ولو بالحديد والنار ...؟

اخشى أن أقول — والأسف ملء فؤادى — لا شىء من تلك الاعتبارات كان يجول بخاطر وزارة المستعمرات البريطانية وهى « تصنع » فى مكاتبها فى لندن هيكل هذا الاتحاد الجديد ، وانما الذى كان يجول بخاطرها أرقام الأرباح الناتجة من مناجم النحاس والزنك والرصاص والذهب والفضة والكوبلت واليورانيوم والكروم والفحم ...

هذه الأرقام التى تتقاسمها الشركات البريطانية والأمريكية فى وسط افريقيا والتى تتزايد على مر السنين هى التى أوحت بانشاء حكومة موحدة تستجيب لتعليمات الشركات الأجنبية وتضع من القوانين ما يضاعف أرباحها وتصد فى الوقت نفسه أية محاوله وطنيه لاستعادة حقوق الشعب الافريقى التى سلبها المغتصبون البيض .

ولكن ، هل يعقل أن تعلن وزارة المستعمرات عن هذه الأهداف الاستغلالية وتتعرض لمثل ماتتعرض له حكومة جنوب افريقيا من سمعة سيئة عالمية ...؟ أو يحسن أن تلجأ السياسة البريطانية الى أقنعتها التقليدية وملابسها التمثيلية التى تحاول أن تخدع بها الشعوب وتضلل الرأى العام العالمى ...؟

لقد سلكت بريطانيا طريقها التقليدى بعد أن تفاهمت تفاهما تاما مع الشركات الاحتكارية وبعد أن وزعت أدوار المسرحيه على زعماء المتوطنين البيض فى وسط افريقية ، وفوجىء الشعب الافريقى والرأى العام العالمى بانشاء دولة « افريقية » جديدة تسمى « اتحاد وسط افريقية» كما فوجئوا بأن لهذه الدولة ، التى انضمت فورا الى الكومنولث ، دستورا تقدميا ، من وجهة النظر الاستعمارية • دستورا ينص على مبدأ جديد يسمى « مبدأ المشاركة » Partnership ، وهو مبدأ يبدو انسانيا نبيلا اذا قورن بمبدأ الدولة المجاورة فى الجنوب « اتحاد جنوب افريقية » وهو مبدأ عزل الأجناس .

فان مبدأ عزل الأجناس يرمى الى اقامة سور شاهق حصين بين عنصر البيض وعنصر الملونين ، ويتيح لكل منهما أن « يتابع أسلوب الحياة » الذى يعيش فيه « الآن » ؛ أما المبدأ الجديد فانه يسمح للسود والملونين (على الورق) أن يشاركوا فى النشاط العام للدولة وأن يتقاسموا مع البيض ثرواتها وخيراتها ...

وجىء باللورد « مالفرن » والمستر « جارفيلدتود » وغيرهما من السادة البيض فملأوا مناصب الحكومة من اعلاها الى اسفلها ، ووضعوا قانون انتخاب أسفر عن « فوز » بضع مئات من أعضاء البرلمان البيض و « ستة » من ملايين السكان السود ، وسرعان ما وضع اللورد الكريم نصوص الدستور فى دولاب مغلق ، ولم يكتف

بأن يضع الحكومة تحت تصرف الشركات وانما أعلن فى البرلمان أن مبدأ « المشاركة » مبدأ عسير التحقيق . . !.

وليس من اليسير أن نعرض هنا جميع الظواهر المخجلة التى انتهك فيها مبدأ المشاركة ، ولكننا نكتفى بمثال بارز صارخ هو قوانين العمال فى مناجم النحاس فى روديسيا الشمالية . . .

تنص هذه القوانين على ألا يلتحق عامل فنى بتلك المناجم الا بموافقة « نقابة عمال مناجم روديسيا » وعليه أن ينضم الى النقابة فور تعيينه . وغنى عن البيان أن « جميع » العمال فى هذه النقابة من الأوربيين . . .

وقد عينت النقابة الحد الأعلى لأجر العامل الأوربى بمائة جنيه (خلاف نسبة مئوية فى الأرباح قد تبلغ مائة جنيه أخرى) كما قررت أن يكون الحد الأعلى للعامل الوطنى « المتزوج » ستة جنيهات . . . !.

ومن القرارات المرعبة تحريم « تدريب » العمال الوطنيين على الأعمال الفنية ورفض أية مطالبة برفع الأجور وتحريم حق الاضراب . . . الى آخر التدابير التى تكشف القناع فى النهاية عن سياسة « نازية » تؤمن بتفوق الجنس الأبيض ، وتتفق فى النتائج مع التعصب النازى فى جنوب افريقية . . .

ولقد سارع العمال الوطنيون الى تكوين نقابة لهم ، ونظموا صفوفهم وقاموا باضراب شامل (عام ١٩٥٥) وأنذر هذا الاضراب بحركة ثورية فى صفوف الشعب ، وقام السكان فى « نياسالاند » بحركة للانسحاب من الاتحاد الفدرالى ، مما دعا وزارة المستعمرات البريطانية للعمل السريع فكونت لجنة تحقيق وتظاهرت بالاهتمام بتحقيق العدالة ولكن . . .

جاءت تلك اللجنة الى افريقية لتتفاهم على مخادعة جديدة مع الشركات الاحتكارية الأجنبيه وممثلى نقابة العمال البيض . . .

وبعد طول ترقب وانتظار أعلنت اللجنة أنها توصى بوضع برنامج « للتقدم الافريقى » ، وأنه ينبغى أن يقوم على الأسس الآتية :

١ — أن تظل مرتبات العمال البيض وامتيازاتهم على ما هى عليه . . .

٢ — ان تخصص بضع عشرات من الوظائف الفنية للعمال الوطنيين .

٣ — لكيلا يتطلب الأمر تدريب العمال الوطنيين تدريبا فنيا (وهو ما تعارض فيه النقابة البيضاء) تجزأ كل وظيفة من الوظائف الفنية السابقة الى مجموعة من الوظائف المبسطة ويتولى كلا منها عامل وطنى

٤ — لا تزيد مرتبات مجموعة الوظائف المبسطة عن مربوط الوظيفة الأصليه الوحيدة . . . !.

وقد تظاهرت اللجنة بأنهـا جاءت بثورة تقدمية عنـدما أذاعت هـذه التوصيات الهزيلة ، ولم تفطن الى أنها كشفت القناع مرة أخرى عن سياسة النفاق البريطاني الذي يعمل في جميع المستعمرات على أساس تفوق الأجناس الذي كان يعمـــل له هتــلر وموسوليني ...

ان الافريقي في الاتحاد الجـديد يرسف في أغلال العبودية أكثر من أي وقت مضى ، تقيده سلاسل الذل والسخرة وتضيق عليه الخناق ، على حين تتضاءل حقــوقه المدنيـــة والسياسية وتأخذ في التلاشي ، ويتأكد له من خلال التجارب المريرة أن لا أحد يستطيع تخليصه غـــير كفـــاحه الشخصي ...

ان نياسالاند ماضية في انسحابها هـــذا من الاتحاد الزائف ، وهـــذه الخطـوة هي أولى مظـاهر الزحف الكبير ، ونحن اليوم أكثر ايمانا من أي وقت مضى بأن وجـود العنـاصر الأجنبيـــة في وطننـــا أمر بغيض وأن تدخل المستعمر البريطاني مقترن دائما بالطمع والجشع والنفاق ، وسوف يعلم هؤلاء جميعا كيف نطهر أرض افريقية الحبيبة من المستعمر المنافق والمستوطن الدخيـــل !.



عثمان دن فوديو..

بقلم
الدكتورة كوثر عبد الرسول

تعـــريف :

هو أبو محمد عثمان بن محمـــد ابن عثمان المعـــروف بابن فودى ــ الفلاتى . ولد عام ١٧٤٤ ميـــلادية فى قرية ماراتا Marata فى جـــوبير (غـــوبر) Gobir احـــدى امارات الهوسا التى تقع الى شـــمال حـــدود نيجيريا الحالية . وهو من قبيلة فلاتية كبيرة تشتهر بالقضاء والعلم هى قبيلة تورنكاوا Toronkawa التى هاجرت من سلطنة مللى Melle واستقرت فى جوبير . ويعتبر عثمان من سلالة زعيم هذه القبيلة .

وقد نشـــأ عثمان على التعـــاليم الدينية الشـــديدة التحفظ ، وعلى المذهب المالكى واظهر نبوغا فى علوم الدين فأرسل الى أجادس Agades فى بلاد الطوارق ليتم دراسته الدينية . وهنـــاك تأثر كثـــيرا بتعاليم الشـــيخ عبد القادر الجيلانى .

وبعـــد عودته احترف التـــدريس وتعليم الدين ، وكان يتنقل فى أرض الهوسا داعيا للايمان فذاعت شهرته بتقـــواه وورعه وشـــدة غيرته على الاسلام وتعاليمه ، فدعاه أمير جوبير الى قصره فى عاصمته الكلاوه Alkalawa ليربى أبناءه على التعاليم الدينية .

ولما مات أمير جـــوبير تولى ابنـــه الشاب الأمير يونفا Yunfa ــ الحكم ، وكان متعلقا ببعض العادات الوثنيـــة القديمة مما أغضب منه الشيخ عثمان فترك العاصمة وعاد لبلدته .

وفى هذه المرحلة من حياة الشيخ بدأ الناس يلتفون حوله لما كان له من مكانة دينية ذائعة الصيت . وتكاثر مريدوه ومنهم الكثـــير من أتباع أمير جوبير وجنده مما أحفظ عليه الأمير . فابتدأ يسىء الى اتباع الشيخ عثمان ، وبلغ به الحنق أن أرسل الى الشيخ ينصحه بالهجرة من مملكته ولا يسمح لأتباعه بالخروج من حدود مملكته . ولكن الشيخ رفض ترك أتباعه ، ثم تنبه الى مكيدة الأمير للفتك بهم فخرج هو واتباعه الى حدود اقليم زمفـــارا Zamfara ، وكان خروجهـــم عام ١٨٠٤م . وسميت تلك الحادثة

التاريخية « الهجرة » تشبها بهجرة الرسول (صلعم) .

الجهاد وتوسع الفلاتة :

وتبع الهجرة مبايعة الشيخ عثمان اميرا للمؤمنين ومبايعته على الجهاد ضد المعتدى . وقد خرج اليهم جوبير متحالفا مع الطوارق ، فهزمه الفلاتة ، وبذلك زاد الالتفاف حول امير المؤمنين ، وزال تردد بعض الناس ، وعلى الأخص بعد موقعة كواتو Kwato فى السنة نفسها .

ولما راى امير جوبير استفحال خطر الفلاتة ارسل الى أمراء ممالك الهوسا الأخرى (كاتسنا وزاريا ودوارا ... الخ) ليساعدوه ويحترسوا من جماعات الفلاتة فى اماراتهم . وارسل امير المؤمنين خطابات مضادة الى أمراء الهوسا يدعوهم فيها الى التمسك بالاسلام وعدم مناصرة امير جوبير . ولم يستجب هؤلاء الأمراء الى دعوة امير المؤمنين .

وكان رد فعل هذه المعارك الدبلوماسية ان قام الفلاتة فى جميع ممالك الهوسا الى نصرة امير المؤمنين ، وارسلوا له مندوبين عنهم لمبايعة أمير المؤمنين ، وكان هذا يختار منهم زعيما ويعطيه علما ويعينه قائدا ويدعو له بالنصر فى الجهاد . وهكذا اشعل الفلاتة النار فى كل بلاد الهوسا ضد الامــراء .

ونظم امير المؤمنين جيشه وعين عليه قائدين : أولهما ابنه السلطان محمد بل ، والآخر أخوه الشيخ عبد الله ، وبدأت سلسلة من الغزوات العسكرية كان فيها النصر غالبا حليف الفلاتة ضد امير جوبير . ثم تحول الفلاتة الى بقية امارات الهوسا فسقطت فى ايديهم كاتسنا Katsina كما سقطت كبى Kebbi ودوارا Duara عام ١٨٠٥م .

واشتد الصراع فى مملكة كانو Kano حتى هزم الأمير وتشتتت قواته واستسلم اهل كانو فى أواخر عام ١٨٠٥ . والى جانب ذلك قام الفلاتة بحملات تاديبية على الطوارق المقيمين على اطراف ممالك الهوسا فطلبوا الأمان . وتتابعت الفتوحات فى بواتشى Bauchi وياورى Yauri وجوارى Gwari ورانو Rano ثم عادوا الى الطوارق ، وبعد ان استحكمت حلقات الانتصارات عاد جيش الفلاتة الى جوبير وحاصروا العاصمة بقيادة محمد بل والقواد : على جدو ونمودا وعمر ولاج فسقطت عام ١٨٠٨ م . وقتل امير جوبير . وبذلك تم للفلاتة السيطرة النهائية على كل شمال نيجيريا الحالية فيما عدا بورنو Bornu التى سنأتى على ذكر علاقاتها مع الفلاتة فيما بعد .

وفى عام ١٨٠٩ بنى محمد بل مدينة سوكوتو Sokoto واتخذها امير المؤمنين عاصمة لمملكته الجديدة .

امبراطورية عثمان دن فوديو



وفى عام ١٨١٠ امتدت سيطرة الفلاتة على كل ممالك الهوسا حتى بلاد النوب Nupo وادماوا Admawa فى الكمرون ، وبعض أجزاء بورنو .

الفلاتة ومملكة بورنو :

لما استمرت انتصارات الفلاتة فى ممالك الهوسا أرسل أمراؤها الى أمير بورنو طالبين المعونة والنجدة فتأهب لمساعدتهم . ولما شعر الفلاتة بذلك اتحدوا صفا واحدا كما أرسل اليهم الشيخ جيشا لمساعدتهم . واستطاع هزيمة جيش بورنو وقتل وزيرها وقائد جيشها . وأقام الفلاتة مركزا لهم فى غرب بورنو ، ثم تتبعوا جيشها داخل البلاد مما اضطر أميرها الى الهرب الى كانم ، واستنجد بزعيم قوى هو الحاج محمد الأمين الكانمى(١) الذى استطاع صد الفلاتيين وطردهم عن العاصمه . ثم أرسل خطابا الى الشيخ عثمان يستفهم عن سبب القتال وهم مسلمون .. فيقول : « أخبرونا عن قتالكم لنا واسترقاقكم احرارنا ، ان قلتم فعلنا ذلكم بكم لكفركم فانا براء من الكفر وهو بعيد عن ساحتنا ... » ثم يستطرد ويقول : « اذا كانت هذه الحرب لبعض الأفعال التى ينهى عنها الدين فيكون بالأمر والنهى لا بعمل يؤدى الى أعظم منه ... وهكذا ، فان نهيكم قد ورطكم وأدخل عليكم وعلى المسلمين ضررا دنيويا وأخرويا ... أليس الخروج على الملك بعد انعقاد البيعة حراما عند جميع أهل السنة ؟ » ويبين أطماع الفلاتة فى التوسع فيقول : « ... أحببتم الملك ورغبتم فيه وسولت لكم نفوسكم ... » ثم يؤكد أن هذا العمل يتنافى مع ما عرف عن الشيخ عثمان من تقوى « ... سمعنا من سير الشيخ عثمان بن فودى ورأينا من تآليفه ما يخالف فعلكم »(١) .

فكتب الرد الشيخ عبد الله أخو الشيخ عثمان وذكر كيف أنهم لم يبدأوا بالعدوان وان أمراء الهوسا كفار ومظاهرتهم من مسلم ارتداد .. ثم يتهمهم بايذاء الفلاتة فى أراضيهم .

ولم يقتنع كل منهما بكتاب الآخر وعلى ذلك دارت المعارك ثانية بينهما ؛ وتمكن الشيخ الأمين الكانمى من هزيمة الفلاتة عدة مرات ، واضطر أن يستولى على زمام الحكم ليصد تيار الفلاتة ، ونجح فعلا فى ايقافه والاحتفاظ ببورنو مما اضطر الفلاتة

---

(١) محمد الأمين بن محمد الكانمى . مشهور بشيخ الأمينو ، عالم متقف سافر ، وانتقل كثيرا ، صحب والده الى الحج ومكث خمس سنوات فى المدينة ، وخمسا أخرى فى القاهرة وثلاثا فى فزان ورجع الى بورنو وأحضر معه كتبا كثيرة ومعلمين وكانت له شهرة واسعة لسعة علمه وتدينه .

(١) كتاب انفاق الميسور .

الى الاقتناع بهذا الموقف وارسلوا اليه المكاتبات لوقف القتال وعمل الصلح .

نهاية الجهاد :

بعـــد ســـقوط عاصمة جوبير سنه ١٨٠٨ ترك الشيخ عثمان الأمور الدنيوية وفضـــل لنفسه الاعتـكاف والروحانية ، فقسم الحكم بين ابنه، بل وأخيه عبد الله ، فأقام محمد بل على القسم الشرقى واتخذ عاصمته سوكوتو ، وعبد الله على القسم الغربى واتخـــذ عاصمته جواندو Gwando

وبدأت الوفود تصـــل من البـــلاد المجاورة ، بلاد توات شمال الطوارق ومن سلطان المغرب وذلك لتوثيـــق الصلات بينها وبين الشيخ عثمان .

وظل الشيخ فى سوكوتو حتى توفى عام ١٨١٧ عن ٧٣ سنة .

الخاتمـــة :

لاشك أن الاســـلام بدأ ينتشر فى ربوع الهوسا من القرن السادس عشر ولكنه حتى حركة الشيخ عثمان لم يكن قد استقر وتمكن من النفوس ، وكما يذكر الشـــيخ عثمـــان فى خطاب له لســـلطان المغرب : ان أهل البـــلاد ينقسمون الى : قسم مؤمنين مخلصين وهؤلاء نادرون ، وقسم يخلطون أعمال الكفر بأعمال الاســـلام وهؤلاء غالب ملوك هذه البلاد وجنودهم ، وقسم كفـــار بالأصالة لم يدخلوا فى الاسلام وهؤلاء عامة السودانيين ، وان حركة الشيخ بدأت صادقة فى جهادها ضد المعتدين ودفاعا عن النفس والدين . ولكنها سرعان ما اقترنت برغبة الفلاتة فى التوسع ، فانضم الفلاتة الى الحركة وكان لهـــم أكبر الأثر فى نجاحهـــا . وهكذا تم توســـعهم من الغرب الى الشرق ، وأعطوا لشمال نيجيريا طابعه السياسى الحالى .

ويجب الا نغمض فضل الحركة فى تثبيت الاســـلام فى شـــمال نيجـــيريا خصوصا بعد أن أصـــبح الحكام من المسلمين ، فان ذلك يشجع الرغبة على اعلان اسلامهم والتشبه بحكامهم .

المراجـــع :

١ ـــ انفـــاق الميسور ـــ للسلطان محمـــد بل بن عثمان فودى ـــ كانو سنة ١٩٤٩ .

(2) Hogben. S. J. The Muhamadan Emirates of Nigeria London 1930

(3) Westerman : Geschichte Afrika Koln 1952.

أزمة حقوق الإنسان في اتحاد جنوب إفريقية

بقلم : الأميرالاى (م ح) محمد عبد الفتاح ابراهيم

فى الوقت الذى يحتفل فيه العالم بذكرى « الاعلان العالمى لوثيقة حقوق الانسان » ، وفى الوقت الذى تعلن فيه الدول الكبرى حرصها على ايجاد المجتمع العالمى المتحرر من الخوف والاضطهاد والحاجة ؛ فى هذا الوقت نفسه يعيش اخوان لنا فى جنوب القارة يواجهون شتى ألوان الاضطهاد والتفرقة بسبب اللون .

عندما اجتمعت منظمة هيئة الأمم المتحدة فى دور انعقادها لسنة ١٩٥٦ تقدمت الباكستان والهند الى الجمعية العامة — كما بعثت الهند برسالة الى السكرتير العام مسيو داج همرشولد — وفى هذه الشكوى كما فى الرسالة اعلنت الدولتان أسفهما لأن اتحاد جنوب افريقيا سادر فى غيه ، وان حكومة الاتحاد لم تقم وزنا للمنظمة العالمية ، ولم تنفذ التوصيات التى ووفق عليها فى انعقاد الجمعية العامة فى ديسمبر سنة ١٩٥٥ والخاصة بالتفرقة العنصرية فى بلاد الاتحاد ، مع أن هذه التوصيات جاءت نتيجة لتقرير اللجنة الثلاثية المشكلة بأمر الجمعية العامة لبحث حال التفرقة بين الناس فى جنوب افريقيا .

وتكررت الشكوى ثانية عندما اجتمعت اللجنة السياسية للجمعية العامة فى مطلع سنة ١٩٥٧ وأوصت اللجنة فى اليوم الثلاثين من يناير سنة ١٩٥٧ بضرورة وضع حد لهذه التفرقة التى لا تتفق وميثاق هيئة الأمم أو ميثاق حقوق الانسان ، سيما أن حكومة جنوب افريقيا قد رفضت حتى مناقشة المشكلة الخاصة برعاياها سكان البلاد الأصليين والذين يصل تعدادهم الى ثمانية ملايين من الافريقيين وتسعمائة ألف من الملونين وربع مليون من الهنود ، مع ان كل

تعداد السكان البيض لا يزيد على المليونين الا قليلا .

ومشكلة التفرقة بين السكان بسبب اللون ربما لا تكون وقفا على بلاد جنوب افريقيا وحدها ، ففى العالم مناطق أخرى تحدث فيها بعض صور التفرقة بسبب اللون ، ولكن هذه التفرقة تجىء تبعا للتعصب الأعمى ، الا أن الأخطر والأكثر حمقا والأبعد أثرا هو أن هذه التفرقة العنصرية فى جنوب افريقيا تستند الى القانون (!!) .

وليست قوانين الطغاة فى جنوب افريقيا جديدة ، وليست عارضة ، بل هى على النقيض جاءت فى تاريخ مبكر كأساس ووسيلة للاغتصاب والسلب ، ثم تطورت مع الأيام لا للانطلاق والتحرر ، بل للامعان فى التقييد والاستعباد . ويسيطر مبدأ « عدم المساواة بين البيض والسود فى الكنيسة والدولة » على كل شىء . .

وكان مظهر هذه التفرقة العنصرية واضحا فيما يلى :

مشكلات الأراضى وقوانينها

كانت الأراضى الصالحة للزراعة — حتى بعد أن جاء البيض بكثير — ملكا للأهلين فى نظام تعاونى بدائى ، ويقوم النظام على أساس ملكية العشيرة أو القبيلة للأرض ، وكان للزعماء مراكز الوصاية على الأفراد ، وهم الذين يتولون الاشراف والارشاد ، ويقسمون الأرض بين العشائر أو الأسر تبعا لاحتياجاتها ، وتظل الأرض فى أيدى الأسرة أو العشيرة مادامت تقوم بزراعتها ، وفى سنة ١٩١٣ أصدرت حكومة جنوب افريقية قانون الأراضى وهو القانون الذى وضعه الجنرال « بوثا » ، ووزعت بمقتضاه الأرض على المزارعين البيض وعلى شركات تربية الماشية تاركة ١٢٪ من الأراضى للملايين الثمانية من الافريقيين يكدون فى استصلاحها وزرعها أو يموتون !.

وأضافت الحكومة الى هذا قوانين تحدد مناطق الزراعة للافريقيين على ألا يبتاعوا أو يستأجروا أرضا خارج هذه المناطق ، بل نص القانون على أن المزارع « الأبيض » الذى يؤجر أرضه لمزارع افريقى يعرض نفسه للغرامة أو السجن ، وكانت الغرامة تصل الى مائة جنيه ، وقد يصل حكم السجن الى ستة شهور .

وبدأت بعض الاضطرابات التى أرغمت الحكومة الانجليزية على ارسال لجنة سنة ١٩١٦ برياسة السير ويليام بيمونت لدراسة المشكلة ، وأوصت اللجنة بتوزيع مليونين من الأفدنة على الأهلين ، ولكن شيئا من هذه التوصية لم ينفذ ، وان كانت الحكومة قد أغمضت عينيها عن نوع من التحايل للفكاك من القانون هو مشاركة صغار المزارعين البيض للمزارعين الافريقيين الذين يملكون

أرضا وذلك على أساس اقتسام المحصول .

ولكن لم تلبث الحكومة أن أصدرت سنة ١٩٣٢ قانون « عقد العمل في المزارع » ، وقد اعتبر هذا القانون مكملا لقانون سنة ١٩١٣ على أساس أنه ينظم العلاقة بين « السادة » و « الخدم » ، أى بين ملاك الأراضى من البيض وعمال الأرض الافريقيين ، ولم ينظم القانون شيئا الا العقوبات التى توقع على الافريقيين بالسجن والجلد ، وألغى القانون كل ما كان قائما من العقود ، ووجد الآلاف من الافريقيين أنفسهم بغير أرض ولا مأوى فاضطر بعضهم الى الهجرة الى المدن للقيام بأى عمل وأرغم الباقون على العمل فى مزارع البيض .

ولكن على أية صورة من صور العمل ؟!

يقول القانون : ان العامل الافريقى يجب أن يعمل فى مزرعة السيد مائة وثمانين يوما كاملة فى العام الواحد ، وانه اذا جاء بزوجته وأولاده للاقامة معه عملوا فى مزرعة السيد وكانوا رهينة حتى لا يترك العمل فجأة ، ولا يتقاضى عامل الأرض غير عشرة شلنات كل شهر ، وهو لا ينالها نقدا فى الغالبية ، ثم جاء تقرير الجزاء بالجلد والسجن للاخلال بعقد العمل ، على أن يكون الجلد نصيب من تقل سنه عن الثمان عشرة .

وعندما اعترضت هيئة العمل الدولية فى يونيو سنة ١٩٣٩ على فرض هذه العقوبات لترك العمل ، رفضت حكومة جنوب افريقية هذا الاعتراض ، معتبرة هذا التنظيم حقا لها على أساس درايتها بصالح العمل فى بلادها .

قوانين الضرائب :

ويواجه الافريقيون سيلا من الضرائب لا نهاية له ، ومع أن الأوروبى لا يدفع أية ضريبة حتى يبلغ الحادية والعشرين من عمره فان الافريقى يبدأ الدفع اذا بلغ الثمان عشرة ، ومع أن الأوروبى لا يدفع أية ضريبة اذا قل كسبه عن خمسمائة جنيه فى العام فان الافريقى يجب أن يدفع الضريبة مهما كان كسبه .

ثم انه يدفع عدة أنواع من الضرائب . . . فهو يدفع عشرة شلنات كل سنة ضريبة لاقامة كوخه ، وهو يدفع عشرين شلنا فى العام الواحد كضريبة فردية ، وايصال سداد هذه الضريبة يعتبر جواز المرور الرسمى له ، وتتأكد الحكومة من سداد الافريقيين لهذه الضريبة بصورة من أبشع صور الوحشية لأنها تفاجىء مناطق اقامة الافريقيين فى ساعات الليل المتأخرة أو فى بكرة الفجر ، وترسل بحشد كبير من جنود البوليس ، ومن لم يستطع تقديم الايصال الدال على السداد أرسل

الى معسكرات العمل ، ويكون هؤلاء عادة عددا كبيرا ، حتى انه كان فى هذه المعسكرات سنة ١٩٤٦ مائة الف عامل يعملون فى رصف الطرق وتمهيد الارض وغير هذا من المنشئات العامة للدولة .

قوانين المرور :

وتضع حكومة جنوب افريقيا العوائق ضد أولى الحريات الأربع للانسان ألا وهى حرية التنقل ، فالافريقى لا يستطيع أن يترك مكان اقامته المحدد للذهاب الى المدينة الا بجواز مرور يكلفه شلنين كل شهر ولكى يشترى الافريقى تذكرة السفر بالقطار يجب أن يحصل على جواز سفر يثبت أن له حق الخروج من منطقة الاقامة المحددة للافريقيين .

فاذا ما أراد الذهاب الى المدينة للبحث عن عمل وجب أن يحمل جواز مرور يمكنه التجول بالمدينة لستة أيام ، فاذا لم يوفق فى الحصول على عمل فى هذه الأيام الستة تعرض طبقا للمادة التاسعة والعشرين من القانون للاعتقال وللعمل فى المعسكرات أو المزارع لمدة أقصاها سنتان ، ولهذا فانه يضطر لتقبل أى عمل حتى لو لم ينقد أجرا .

ويجب على الافريقى أن يحمل جواز مرور ليلى خاص اذا ما أراد البقاء خارج المناطق المحددة للافريقيين بعد الساعة العاشرة ليلا ، فاذا أقام فى منطقة تدخل ضمن « كردون تخطيط المدينة ارغمته سلطات البلدية على طلب تصريح بذلك يكلفه شلنا ونصف شلن أو شلنين ونصف شلن كل شهر تبعا للمنطقة التى سيقيم فيها .

ولا يستثنى من قوانين تصريحات المرور هذه غير مالايزيد عن ستة آلاف من الافريقيين يعملون أطباء أو مدرسين أو مبشرين فى الكنائس الافريقية . . .

* * *

هذه ناحية من الصورة القاتمة فى جنوب افريقية : صورة التفرقة التى تقوم على الطغيان مستندة الى القانون ، والغريب أنها تقوم فى عصر الحرية تحت سمع وبصر الدول الأعضاء فى منظمة هيئة الأمم المتحدة التى أعلنت يوم ١٠ من ديسمبر سنة ١٩٤٨ وثيقة « حقوق الانسان » التى جاء فى صدر ديباجتها :

« لما كان الاعتراف بالكرامة المتأصلة فى سائر أعضاء الأسرة البشرية وبحقوقهم المتساوية الثابتة هو أساس الحرية والعدل والمساواة فى العالم . . »

وقالت المادة الأولى من الميثاق :

« يولد جميع الناس أحرارا متساوين فى الكرامة والحقوق وقد وهبوا عقلا وضميرا وعليهم أن يعامل بعضهم بعضا بروح الاخاء » .

ولكن أين يمكن أن يكون هذا ؟!.

فى كل مكان من العالم الا فى أرض اتحاد جنوب افريقيا !!.

ولكن الى متى؟!!.

لحظات حرجة في تاريخ إثيوبيا ..

بقلم : الدكتور زاهر رياض

أتيح لى خلال سنة ١٩٣٦ أن أشهد الاحتلال الايطالى لأثيوبيا حين كنت أقوم بالعمل هناك . ولن أحاول أن أكتب فى موضوع هذا الاحتلال ، فأعيده الى أصوله القديمة ، بل لن أحاول أكثر من أن أصف ما حدث خلال اللحظات الأولى من هذا الاحتلال كى أظهر لك قسوة الاحتلال الايطالى . وقصدى من ذلك تسجيل لحظات مريرة قاسية عاناها شعب افريقى فى سبيل حريته التى تمتع بها آلاف السنين فاذا به يفقدها فجأة ، فكانت لحظة أقسى عليه من لحظات الموت . ولن أعود فى تدوين هذا كله الى وثائق أو مصادر ، بل الى مذكراتى التى دونتها خلال الحوادث بدقة وأمانة .

كان ذلك فى ابريل سنة ١٩٣٦ حين أخذت الأخبار تترى أن الجيوش الأثيوبية قد تعبت وأن آثار هذا التعب أخذت فى الظهور . وأخذت فلول الجيش تتقهقر نحو الجنوب أمام القوات الايطالية الميكانيكية التى لا عهد لهم بها . وأمام الغازات الخانقة التى تحصدهم حصدا . والسوائل المحرقة التى تفرى أبدانهم . وهم لايدرون لها اتقاء . على حين أن أصوات مندوبيهم قد بحت وهى ترتفع فى عصبة الأمم فى جنيف تطلب العون والمساعدة بعد أن وصفت ما يلاقيه الشعب نتيجة ايمانه بقوة العصبة . فلا تجد الا محاولات فاشلة . ومشروعات اثر مشروعات ترمى كلها الى تمزيق بلادهم بين أيدى الناهبين .

ولكن الآمال ما زالت معقودة بالامبراطور وحرسه الخاص الذى اتخذ عدته لخوض المعركة الأخيرة أمام ديسى Dessie . ولكن هذه الآمال ما لبثت ان انهارت . فقد توالت الرسل بسقوط ديسى وتشتت الحرس الامبراطورى وتقهقره نحو العاصمة بلا نظام . فهلعت القلوب خصوصا قلوب القلائل من المتعلمين الذين

يعـــرفون الاســـتقلال ويقـــدرونه كما يعرفون الاستعباد ويحتقرونه ، وأخذ الناس يقدرون البلية ويتهيئون لاستقبالها . فلم يجد الأجانب الا أن يلجأوا الى المفوضيات الأجنبية يطلبون الأمان فى رحابها . فلجأ كثيرون الى المفوضية البريطانية كما لجأ المصريون الى قنصليتهم وأقاموا فى حجراتهـا وأفنيتها يلتمسون الأمان .

واستقيظنا أول مايو فاذا الطلقات النارية تسمع من بعيد . واذا بخادم القنصلية يدخـل علينـا وهو يعلن خـــروج الامبراطور وأنه لم تعـد فى البلد حكومة ، والأهالى يهجمون على البيوت يشبعونها نهبا . ثم يستديرون فيحرقونهـا . وفى أيديهم السـلاح يطلقونه على من يقاومهم . فسرعان ما لجأنا الى قنصليتنا .

ولما كان كثـير من مواطنينـا ما زالوا مبعثرين فى المدينة لم نجـد بدا من المخاطرة والخروج لنجمعهم من هنا وهناك . فقد خرجنا فى سيارة كبيرة نخاطر بحياتنا . وكانت لحظة من أقسى لحظات العمر . تركنا فيها نساءنا يبكين من ورائنا ، وخرجنا وسط الرصاص والنار والغضب الذى كان أقسى من الرصاص والنار نجمع اخواننا وأغلبهم من النساء والأطفال . ومكثنا كذلك مدة وسـيل اللاجئين يفد بين الفينة والفينة فى حال يرثى لها من الفزع يروى لنا الروايات المختلفة عما خلفوه وراءهم من فوضى وسلب ونهب وقتل . ولم يكن مرور الوقت الا ليزيد الأمر شـناعة ، والمـوقف تعقيدا . ولم يكن معظم أفراد هـذا الشعب قد قرأ شيئا عما فعله الشعب الروسى أمام نابليون منذ قرن وربع ، ولكنه لجأ الى ما لجأ اليه زميله من حرق للعاصمة وتدمير لكل ما بها من مرافق دون وعى أو تقليـد لكيـلا يستفيد العدو بأى شىء فى بلده .

مكثنا خمسة أيام وشـبح الفزع يتمثل لنا فى كل دقيقة وطعامنا الفطير المصلوق على النار دون ملح مغموسا فيما استطعنا أن نحمله معنا من طعام محفوظ . وأفردت للجالية المصرية خيمتان كبيرتان . خصت احداهما للمتزوجين . أقامت فيهـا أربع عائلات ومعها أولادها فبتنا فيها وأكلنا فيها . وقضينا فيها جميع حوائجنا . ووجوهنـا لا نستطيع لهـا غسلا وملابسنا لا نستطيع لها خلعا . كأنها أجزاء من أجسامنا .

وفى الساعة الرابعة بعد ظهر ٥ من مايو بدأت طـلائع الجيش الايطـالى تتقـدم صوب أديس أبابا فرأينـاها تدخل فى سـيارات ضخمة . وفى الوسـط سيارة مكشوفة صـغيرة يستـقلها الماريشـال بادوليو قائد الحملة .

وفى صباح اليوم الثانى كانت بقايا الثوار قد هربت أمام الجيوش النظامية فأخذ الناس فى العودة الى منازلهم . ولكن يالهول ما وجدوه ! فقد شـمل

الخراب كل ركن من أركانها . ونهب كل ما كان بهـا من أثاث . والفنادق الكبيرة والعمارات قد أتت عليها النار . ولم يعد يظهر الا آثار يسيرة لأماكن كانت تعج بالحيـاة منذ خمسة أيام فحسب .

ولم تلبث الحياة أن أخذت فى العودة شيئا فشيئا . ولكن بعد أن عز الطعام فعمت المجاعة . وعرضنا مليمين ثمنا للرغيف — وكان قبـل ذلك مليمـا واحدا — فلم نجده . ثم عرضنا ربع الريال . وزدنا حتى عرضنا نصف الريال . ولكن عبثا . فقد اختفى الخبز من البلد . وما كان فيها من غذاء قد ارتفع ثمنه ارتفاعا فاحشا . وأصبح تداول أى طعام سرا كأنه من الممنوعات .

صبرنا على هذه الحال . ونحن نظن أن دخـول الايطاليين سوف يعيـد الحـال الى سابق عهدها . ولكنهـا لم تلبث أن ازدادت سوءا . بسبب وجود الجيش الايطالى . فقد كان هذا الجيش مكونا من فريقين : الجيش النظامى ، وذوى القمصان السوداء ؛ أما الأولون فلهـم نظامهـم ولهم معسكراتهم التى أقاموها ، وأما الآخرون فلم يلبثوا — اثر دخول الجيش الى اديس أبابا — أن أخذت منهم ملابسهم العسكرية وسرحوا وقيل لهم « هاهى الأرض التى وعدكم بهـا زعيمـكم » فانتشروا يطلبون المسكن فلم يجدوه ، ويسألون عن المأكل فلم يجـدوا نه أثرا . فبـاتوا ليلتهـم الأولى على الأرصفة تحت وابل المطر .

وخاف اكثرهم أن ينفد ما معه من مال مدخـر طيلة مدة الحـرب . فتجمعوا أمام مكتب البريد المؤقت يريدون ارسال ما معهم منها الى ذويهم فى ايطاليا . فأخـذوا فى البحث عن عمـل ، وبهم عزة المنتصر ، وأنفـة المستعمر . ولكنهم سرعان ماتبينوا أن هذه العزة أو هذه الأنفة لا تطعمهم من جوع ، ولا تكسوهم من عرى . فنزعوهما عنهم وقبلوا أحط الحرف كالحمالين وبائعى الجـرائد . ولجـأ المعوز منهم الى بيع ملابسه كى يحصل على ما يسد به رمقـه . وساروا فى شوارع أديس أبابا . كما ساروا منذ عشرة أشـهر . فى شـوارع روما . وميلان وغيرهما . حفـاة الأقدام . عـراة الرءوس ، خاوى الوفاض . يسألون الطعام واللباس والمسـكن . ولم يلبث الجيش النظامى أن أصبح فى حاجة الى الغذاء للجنود . ومازالت المواصلات بين أديس أبابا وداخل البلاد فى حاجة الى التأمين . فليس أمامهم الا اليسير الذى يجلبه التجار يوميا من البقـول والخضراوات . فـكانوا اذا ما أصـبح الصـباح هجم رجال الجيش على هؤلاء التجار الصغار . واختطفـوا ما معهم . ورموا اليهم بما وسعهم أن يدفعوه وتركوا الأهالى حيارى لا يدرون ماذا يفعلون . وانى لأذكر أنى أقمت وزوجتى ثلاثة أيام

لا نطعم غير اللبن المحفوظ الذى كنا قد اشتريناه قبل ذلك على سبيل الاحتياط .

واخذ بعضنا بعد ذلك يجتمع الى بعض كما كنا نجتمع من قبل ، وكلما مر يوم أو بعض يوم نسأل عن احد زملائنا الأثيوبيين فيقال لنا همسا : طلبته أمس السلطة العسكرية فذهب اليها ولم يعد . فانتشر الفزع من جديد . وتحسس كل من زملائنا الأعزاء رقبته ، وبات يسأل نفسه : متى يأتى دوره ؟ . وكلما عرضت لنا عارضة فى دائرة من دوائر الحكومة الجديدة فترددنا عليها قابلتنا الوجوه الواجمة . وكلما سألنا عن أحد ممن نعرفه ، أو ممن قابلنا بالأمس ، أو ممن كان قادرا على مساعدتنا . قيل لنا : (لا أعرف) ولكن عين المتكلم تكاد تفصح أنه ذهب ولن يعود . فلم يجد الشجاع منهم بدا من أن يفر ليلحق باخوانه المجاهدين فى الجبال والغابات لينجوا بحياته الى حين . وليجاهد معهم جهاد الأحرار . ولم تلبث هذه العصابات بعد أيام معدودة أن قويت وعرفت كيف تقض مضاجع المحتلين فصارت تغير على قواته المتطرفة من حين الى حين وتقتل منهم من تقتل وتمثل بالباقين . وتخرب السكك الحديدية . كما تغير على قوافل السيارات . فقابلهم المحتل بالقسوة فكانوا اذا قتل منهم واحد شنقوا مقابله عشرين فى مكان عام من المدينة ليراه جميع الناس .

وفى اوائل يونيو بدأ المدنيون الطليان يفدون الى أديس أبابا عن طريق چيبوتى ومصوع . فشعر الأجانب أنه لم يعد لهم مكان . فوجدت كما وجد زملائى أنه من الخير لنا أن نرحل باختيارنا قبل ان نرغم على الرحيل . وعولت من جانبى على ان ابادر فالحق أول قطار يسير الى چيبوتى لأخرج من هذا الجحيم .

وعندما أعلن عن اتمام اصلاح الخط الحديدى . كانت تذكرتى فى يدى أزاحم أنا وقرينتى بين آلاف الراحلين . وعند استقرارنا فى القطار سأل سائل : (من معه نقود فليبرزها) فأبرز كل واحد ما هو أقل من ثلثمائة ليرة بعد أن أخفى الباقى . فأجرى التفتيش واستخرج ما وجد وصودر لساعته وترك صاحبه فى القطار ليرحل ، فوصلت چيبوتى وحال هؤلاء تفتت الكبد وفيهم الكهل والشاب والفتى والفتاة .

وحالما وصل القطار الى مودجو Modjo وتناول الركاب الغذاء . عادوا الى أماكنهم فى القطار ينتظرون مواصلة السفر . واذا بهم يكتشفون ان القطار لن يسير فالخط مخرب وربما يقضون الليل فى هذا المكان معرضين للبرد والمطر . ولهجمات العصابات النشيطة .

ولكن رحمة الله بنا وبمن معنا من نساء وأطفال تداركتنا وأخذ القطار طريقه

فى نحو الخامسة بعد الظهر ليصل الى هواش فى العاشرة مساء .

وفى هذه الفترة كانت القوة الحارسة للقطار قد نزلت وتجولت فى الأماكن القريبة وجمعت من استطاعت جمعه من الرجال . وأمرتهم أن يصطفوا وأطلقت عليهم النار وكانوا قرابة أربعين رجلا . ثم استداروا الى البيوت فألقوا عليها البنزين وأشعلوا فيها النار . ونساء القرية وأطفالها يرقبون فى صمت وجزع .

وكان من المقدر أن نتناول العشاء فى هواش ، ونبيت الليل لنوالى السفر فى الصباح ، ولكن القطار كان يحوى ضمن ركابه مئات من ذوى القمصان السوداء العائدين الى وطنهم كما كان يحوى بعضا من رجال الجيش ، فهجم هؤلاء على المحلة قبلنا . واختطفوا ما فيها من طعام وجعلنا نحن ننتظر ومعنا نساؤنا . فلم نجد بدا من أن نتبلغ بيسير من الخبز وقليل من الادام . ولم يتسع المكان لهؤلاء . فقد هجموا على الأسرة يحتلونها دوننا فلم نجد بدا من أن نلجأ الى كبار رجال الجيش . نستغيث بانسانيتهم فكان تدخلهم كافيا لأن تبيت النساء فى الغرف . أما الرجال فعليهم أن يقضوا الليل فى الخارج معرضين لهذا الجو القاسى .

وتكرر فى ديردوا ما لقيناه فى هواش حتى عثرنا على سرير لنا عند أحد الأهالى وكان سريرا قذرا فى غرفة بالغة القذارة مقابل ثلاثين ليرة . ولكنه كان فى نظرنا فى تلك اللحظة أفضل من مكان فى الجنة .

واستأنفنا الرحلة فى الصباح بعد أن صعد الى القطار رجال الجمرك ليفتشوا أمتعتنا واستغرق هذا التفتيش — وكان بوساطة رجال عسكريين — طيلة الصباح حتى وصلنا الى بلدة آيشه Aicha وهى نقطة ملتقى الحدود الأثيوبية والصومالية . وانتظر القطار هناك أكثر من ساعة حتى يتم العمل . وعندما بدأ القطار سيره مخترقا خط الحدود . تطلعت عيناى الى الربوة التى اعتدت فى رحلاتى السابقة أن أجد العلم الاثيوبى مرفرفا عليها . فلم أجده كعهدى به . بل وجدت شيئا آخر . وجدت العلم الايطالى يرتفع بألوانه الثلاثة .

فطافت بى الذكريات فى سرعة البرق وتملكنى الانفعال وأنا أشهد مصرع شعب افريقى ولم أدر ماذا حدث ولم أشعر الا ويد زوجتى تهزنى هزا عنيفا وهى تقول : « ماهذا . أتبكى ونحن عائدان الى أرض الوطن ؟ » .

دراسات في :

الاقتصاد والحركة الوطنية الأفريقية

الدكتور محمد رياض

(٣)

الاقتصاد الحديث فى افريقية :

وتنقسم المشكلات هنا الى نوعين أساسيين : الأول ما اختص باقتصاديات الزراعة والأرض، والثانى ما اختص باقتصاديات المعادن والمناجم . ولكل منهما دور هام فى افريقيا . وقد يشتركان معا فى بعض البلاد ، وقد ينفرد أحدهما فى بلاد أخرى ، كل على حسب نوع الثروة المستغلة . ويوضح الجدول التالى الصورة العامة لأنواع الاقتصاد فى البلاد المختارة :

جدول رقم (٣)(*)

الاقليم	قيمة مجموع الانتاج بالدولارات	النسب المئوية						
		الزراعة وانتاج الغابات والأسماك	التعدين والمحاجر	البناء والإنشاء	الصناعة	النقل	التجارة	خدمات أخرى
الكنغو								
١٩٥٠	٤٩٤٠٠٠٠٠٠	٢٦٪	٢٣٪	٦٪	٦٪	٨٪	١١٪	٢٠٪
١٩٥١	٦٤٧٠٠٠٠٠٠	٢٧٪	٢٣٪	٦٪	٧٪	٩٪	١١٪	١٧٪
١٩٥٢	٧٠٩٠٠٠٠٠٠	٢٣٪	٢٦٪	٦٪	٧٪	٩٪	١٠٪	١٩٪

(*) هذا الجدول مأخوذ عن : "Scope and Structure of Money Economics in Tropical Africa" U. N. Publ 1955.

الاقليم	قيمة مجموع الانتاج بالدولارات	الزراعة وانتاج الغابات والأسماك	التعدين والمحاجر	البناء والانشاء	الصناعة	النقل	التجارة	خدمات أخرى
		النسب المئوية						
غانة								
١٩٥٠	٣١٤ر٠٠٠ر٠٠٠	٤٨٪	٩٪	٣٪		← ٤٠٪ →		
١٩٥١	٣٩٨ر٠٠٠ر٠٠٠	٥٦٪	٩٪	٣٪		← ٣٢٪ →		
كينيا								
١٩٥٠	١٧٨ر٠٠٠ر٠٠٠	٣٨٪	٢٪	٦٪	١٤٪	١٠٪	٢١٪	١٩٪
١٩٥١	٢٢٦ر٠٠٠ر٠٠٠	٣٢٪	٢٪	٧٪	١٢٪	٩٪	٢٠٪	١٨٪
١٩٥٢	٢٣٤ر٠٠٠ر٠٠٠	٢٦٪	٢٪	٨٪	١٤٪	٩٪	٢١٪	٢٠٪
نيجيريا								
١٩٥١	٧٩٣ر٠٠٠ر٠٠٠	٥٥٪	٣٪	٧٪	١٪	← ٢٢٪ →		١٢٪
١٩٥٢	٩٦٥ر٠٠٠ر٠٠٠	٥١٪	٣٪	٧٪	١٪	← ٢٥٪ →		١٣٪
روديسيا الشمالية								
١٩٥٠	١٥٣ر٠٠٠ر٠٠٠	٤٪	٦٩٪	*	*	٣٪	٨٪	١٦٪
١٩٥١	٢٢٥ر٠٠٠ر٠٠٠	٣٪	٧٤٪	*	*	٢٪	٧٪	١٤٪
١٩٥٢	٢٥٩ر٠٠٠ر٠٠٠	٣٪	٧٣٪	*	*	٢٪	٧٪	١٥٪
روديسيا الجنوبية								
١٩٥٠	٢٥٦ر٠٠٠ر٠٠٠	٢١٪	١٠٪	٩٪	١٧٪	٤٪	١٤٪	٢٥٪
١٩٥١	٢٨٠ر٠٠٠ر٠٠٠							
١٩٥٢	٣٢٩ر٠٠٠ر٠٠٠							
أوغندا								
١٩٥٠	١٣٣ر٠٠٠ر٠٠٠	٥٤٪	٢٪	٥٪	٥٪	٤٪	١٨٪	١٢٪
١٩٥١	١٨٨ر٠٠٠ر٠٠٠							
١٩٥٢	٢٠٤ر٠٠٠ر٠٠٠							

(*) النسبة المئوية فى هذه الخانات مضمنة مع بند الخدمات الأخرى .

يتضح من هذا الجدول أن فى الامكان تقسيم نماذجنا على النحو التالى :

١ ـ الدول المعتمدة على الزراعة هى غانة ونيجيريا وأوغندا وكينيا .

٢ ـ الدول المعتمدة على التعدين هى روديسيا الشمالية .

٣ ـ الدول التى يكاد التعدين والزراعة يتعادلان فيها هى الكنغو وروديسيا الجنوبية .

الزراعة والملكية الزراعية :

لاشك أن الزراعة فى افريقيا المدارية هى العماد الأكبر للاقتصاد فيما عدا بعض الاستثناءات ، ولذلك كانت مشكلة الملكية الزراعية من أهم المشكلات التى تواجه الاقتصاد الزراعى الحديث . ويوضح الجدول التالى نسبة مساهمة الافريقيين والأوربيين فى اقتصاديات الزراعة فى الأقاليم التى اخترناها :

جدول رقم (٤) (*)

الإقليم	النسبة المئوية لمساهمة الإفريقيين فى الانتاج الزراعى			النسبة المئوية لمساهمة الاوربيين فى الانتاج الزراعى		
	١٩٥٠	١٩٥١	١٩٥٢	١٩٥٠	١٩٥١	١٩٥٢
الكنغو	٪ ٤٦	٪ ٤٢	٪ ٤٥	٪٥٤	٪٥٨	٪٥٥
غانة	٪١٠٠	٪١٠٠	٪١٠٠	....	....	....
كينيا	٪ ٢٤	٪ ١٨	٪ ١٨	٪٧٦	٪٨٢	٪٨٢
نيجيريا	٪١٠٠	٪١٠٠	٪١٠٠	...	....	....
روديسيا الشمالية ...	٪ ١٩	٪ ١٩	٪ ٢٢	٪٨١	٪٨١	٪٧٨
روديسيا الجنوبية	٪ ١١			٪٨٩		
أوغندا	٪ ٩٤			٪ ٦		

ومن هذا الجدول يتضح أن غانة ونيجيريا وأوغندا ـ وهى من الأقاليم التى تعتمد على الزراعة ـ تتميز بانعدام مساهمة الأوروبيين فى اقتصاديات الزراعة . أما روديسيا الشمالية ، وهى كما رأينا تعتمد على التعدين الى حد التطرف ، فهى كذلك من الناحية الزراعية تمثل تطرفا غريبا فى زيادة مساهمة الأوروبيين فى انتاجها الزراعى . ومثل هذا التطرف نجده

(*) الجدول مأخوذ من المصدر السابق (نشرة الأمم المتحدة) ص١٣ .

ايضا فى حالة كينيا . وأشد منهما فى هذا المضمار روديسيا الجنوبية التى يسيطر فيهـا الأوروبيون على تسعةأعشار الثروة الزراعية الحديثة . ويمثل الكنغو مرحلة وسطا بين المجموعتين اذ تكاد تتعادل فيه مساهمة الأوروبى والافريقى وان رجحت كفة الأوروبى قليـــلا . والملاحـظ أن مساهمـة الافريقيين سـواء فى غانة ونيجيرياوأوغندا أو غيرها تتمثل فى امتـلاك مزارع صـغيرة يكاد أعضـاء الأسرةالواحدة يسدون الحاجة الى الأيدى العاملة اللازمة للانتاج ، فلا حاجة الى عمـال أجراء الا فيما ندر (وبخاصة اراضى الزعمـاء أو ما شابههم) .أما مزارع الأوربيين فشاسعة كبيرة المساحة يديرها الأوروبى ويعمل فيهاالافريقيون كأجراء .

ولاشك أن ما اتضح من الجدول السابق من حيث تميز غانة ونيجيريا وأوغندا على غيرها من البلاد التى ندرسها ــ بانعدام مساهمة الأوروبى فى اقتصاديات الزراعة الحديثة ــ أمر يحتاج الى تفسـير : فحينما دخـل المستعمرون افريقيا وجدوا الأحوال الزراعية على أساس المنهج البدائى المعروف بالزراعة المتنقلة . ومعنى هـذا عند علماء الأنثروبولوجيا أن المزارع يفلح قطعة من الأرض عددامن السنين الى أن يضعف انتاجها ، فينتقل الى قطعة أرض أخرى يفلحهاسنين متواليـة تاركا أرضه الأولى للشمس والمطر والراحة فيعود اليهاجهدها ، وبالتالى يعود اليها المزارع تاركا الأرض الثانيـة نفسـها لعمليةتجديد الخصوبة . ومن هنا كانت التسمية .

ولعل الجهل بهذه النظم البدائية ــ اذا افترضنا حسن النية ــ هو الذى حدا بالمستعمر الأوروبى الى اطلاق تشريع عرف باسـم قانون الأراضى الخالية . وبمقتضى هذا القانون أصبح من حق الأوروبيين تملك كل أرض غير مستغلة زعمـا منهم أنهـا ليست خاضعة لملكية أحد . والمغالطة هنـا واضحة وصريحة . على أية حال فان للأوروبى اليد العليا ، حيث استولى على ما يقرب من نصف الأراضى المنتجة فى الجهـات التى تلائم الاسـتيطان الأوروبى . وترتب على هذا القانون مشكلات حادة شعرت بها الحكومات الاستعمارية منذ قرابة عشر سنوات :

ففى المستعمرات الفرنسية فى غرب افريقيـا وافريقيا الاسـتوائية وتوجـولاند والـكاميرون نجـد عدة تعديلات قد أدخلت على قوانين الملكية الزراعية فى مايو سنة ١٩٥٥ بحيث نص على احترام الملكية البدائية وعدم جواز تملك أى أرض خاليـة قبـل التأكد من ذلك باجراء تحريات شاملة بوساطة الادارة .

وفى **المستعمرات البرتغالية** نجـدانه على الرغم من تطبيق قانون الأراضى الخالية فان للأهالى حرية الاختيـار بين الحياة فى المناطق المخصصة لهم بحيث يمارسون فيهـا حياتهـم التقليـدية ، أو الاقامة خارج هـذه المناطق بحيث تطبق عليهم التشريعات الأوروبية .

وفى **الكنغو البلجيكى** نرى أن المشكلة أصبحت من الحدة بحيث بدأ الكتاب البلجيـكيون الخـوض فى هـذا الموضـوع . وبعضهم يحبـذ بقـاء الوضع الحاضر مؤكدا أن ما يقاسيه الافريقيـون فى هـذا الصـدد انمـا هو ضريبة واجبـة للبلچيكيين الذين يعمـلون على ترقيتهـم والنهوض بهم . ويرى البعض الآخر ادخال تعـديلات جـوهرية لتجنب تكرار كارثة كينيا وثورة الماوماو .

أما فى المستعمرات الانجليزية فقدطبـق قانون الأرض الخاليـة فى مستعمرات ، ولم يطبق فى غيرها . وعدم الاتساق فى السياسة الانجليزية راجع ــ لاشك ــ الى عوامل بيئية ؛ فقد تركزت فى شرق وجنوب افريقيا حيث المرتفعات والجبال العاليـة . ويمكننا أن نوضح ارتباط السياسة الانجليزية فى هذا المجال بالجـدول التـالى :

جدول رقم (٥)(*)

مجموعة (أ)

الاقليم	مجموع السكان	عدد الإفريقيين	عدد الأوروبيين	جنسيات أخرى
كينيـا :				
تعداد ١٩٤٨	٥ر٥٥٠ر٠٠٠	٥ر٣٨٠ر٠٠٠	٢٩ر٠٠٠	٩٧ر٠٠٠ هندى ٢٤ر٠٠٠ عربى
تقدير ١٩٥٢	٥ر٧٦٠ر٠٠٠			
روديسيا الشمالية :				
تعداد ١٩٥١	١ر٨١١ر٣٤٦	١ر٧٧٧ر٧٠٧	٣٧ر١٣٢	٢ر٧٠٥ آسيوى
تقدير ١٩٥٢	١ر٩٨٠ر٠٠٠			
روديسيا الجنوبية :				
تعداد ١٩٥١	٢ر١٥٥ر٩٠٣	٢ر٠١٥ر٩٦٤	١٣٥ر٥٩٦	٤ر٣٤٣ آسيوى
تقدير ١٩٥٢	٢ر٢٣٣ر٠٠٠			

(*) الجدول مركب من عدة مصادر أهمها :

1 - Statseman's Yearbook London 1951.

2 - Demographic . Yearbook, United Nations. New York 1953.

مجموعة (ب)

الاقليم	مجموع السكان	عدد الإفريقيين	عدد الأوروبيين	جنسيات أخرى
أوغندا :				
إحصاء ١٩٤٨	٤ر٩٩٣ر٥٠٠	٤ر٩٥٣ر٠٠٠	٣ر٥٠٠	٣٧ر٠٠٠ آسيوى
تقدير ١٩٥٢	٥ر٢٦٢ر٠٠٠			
نيجيريا :				
احصاء ١٩٤٩	٢٥ر٠٠٠ر٠٠٠			
تقدير ١٩٥٢	٢٩ر٦٠٠ر٠٠٠			
غانة :				
احصاء ١٩٤٨	٤ر١١١ر٠٠٠	٤ر١٠٤ر٠٠٠	٧ر٠٠٠	

ونلاحظ من الجدول أن هناك اضطرادا فى زيادة عدد المستوطنين الانجليز فى أقاليم المجموعة (أ) من الشمال الى الجنوب طبقا للأحوال المناخية ، وكينيا أشد حرارة من روديسيا ومناخها متشابه طول السنة لا تعتريه ظاهرة الفصلية المناخية التى اعتادها الأوروبى ، والتى تتمثل بصورة ما فى روديسيا الجنوبية حيث يبلغ الاستيطان أشده فى أقاليم البحث التى نحن بصددها . هذا الى أن روديسيا أقرب الأقاليم لاتحاد جنوب افريقيا الذى يمثل أكبر مركز للاستيطان الأوروبى فى افريقيا قاطبة ، وقد خرج من الاتحاد مهاجرون كثيرون لاستعمار روديسيا . وثمة حقيقة أخرى أن الاستيطان فى كينيا قاصر على مناطق الهضاب المرتفعة شرق « الأخدود الافريقى » حول جبل كينيا ، وغربه فى مرتفعات الناندى . ومعنى هذا أن هذه المناطق أشبه بالجزر المنعزلة وسط خضم من الأراضى الواطئة التى يسكنها الافريقيون . وطبيعة الانعزال والانقسام لا تسمح بالتوسع الشديد فى الاستيطان .

أما أقاليم المجموعة (ب) فتمثل ـ عدا أوغندا ـ مناطق منخفضة سهلية داخل نطاق الغابات الاستوائية ، يصعب على الأوروبى سكناها . هذا الى جانب اكتظاظ هذه الأقاليم بالسكان . أما أوغندا فبالرغم من كونها هضبة عالية الا أن الظروف التاريخية لممالك البانتو المزارعين حول البحيرات النيلية مثل الباجندا Baganda والبانيورو Banyoro وشدة مراس القبائل الرعوية الأخرى مثل طبقة الهيما Hima وقبيلة الأشولى Acholi واللانجو Lango كل ذلك قد حال دون اقامة وطن انجليزى فى أوغندا .

هكذا اختلفت السياسة الانجليزية في مستعمراتها ، واختلفت معها أقدار المستعمرات المختلفة ، وأخذ كل منها طريقـا مختلفا فى مراحل تقدمه السياسى نحو الاستقلال .

وقد رأينا فى جدول (٤) أن الافريقيين يساهمون بنسب معقولة فى الانتاج الزراعى ، ولكننا سنرى فى الجدول (٦) هذه النسب تتضاءل اذا قيست بالانتاج العام ، على الأخص فى أقاليم المجموعة (أ) السابق ذكرها من المستعمرات الانجليزية بالاضافة الى الكنغو . أما بلاد المجموعة (ب) فنرى فيها استمرار قوة مساهمة الافريقيين .

ويرجع ذلك الى ما سبق ذكره من أن أقاليم المجموعة (ب) تتميز بسيادة اقتصاديات الزراعة على مجموع اقتصادياتها الحديثة ، فى حين أن أقاليم المجموعة (أ) ـ باستثناء كينيا ـ تتسم باعتماد أكثر على التعدين ، وان كل أقاليم المجموعة بالاضافة الى الكنغو ، تتميز بمساهمة فعالة من جانب المستوطنين الأوروبيين فى اقتصاديات الزراعة وانتاج الحاصلات التجارية .

جدول رقم (٦) (*)

النسبة المئوية لمساهمة الافريقيين والأوروبيين فى الانتاج العام

الإقليم	الإفريقيون	الأوروبيون	مساهمة الحكومات
الكنغو	١٠ — ١٥٪	٧٥ — ٨٠٪	٥ — ١٥٪
غانة	٧٠ — ٧٥٪	٢٠ — ٢٥٪	٥ — ١٠٪
كينيا	٥ — ١٠٪	٨٠ — ٨٥٪	٥ — ١٥٪
نيجيريا	٧٥ — ٨٠٪	١٠ — ١٥٪	٥ — ١٥٪
روديسيا الشمالية	أقل من ٥٪	٩٠ — ٩٥٪	٥ — ١٠٪
روديسيا الجنوبية	أقل من ٥٪	٨٥ — ٩٠٪	١٠ — ١٥٪
أوغندا	٦٠ — ٦٥٪	٣٠ — ٣٥٪	٥ — ١٠٪

من هذا يتضح بجلاء أن نسبة مساهمة الافريقيين فى اقتصادهم الحديث ضئيلة جداً فى معظم البلاد ماعدا الأقاليم الزراعية أساسا والتى لم تطبق فيها قوانين الأرض الخالية . وسنرى فى العدد القادم الدور الذى يلعبه التعدين والصناعة وأثر الاقتصاد الحديث على الدخل القومى والفردى واتجاهات الحركة الوطنية .

(*) الجدول مأخوذ من نشرة الأمم المتحدة السابق ذكرها ص ١٤ .

نظم الإدارة الدولية ..

الانتداب

بقلم الأستاذ اسماعيل مبارك

مقدمة :

ان الحديث عن الانتداب والوصاية انما هو حديث عن بعض نظم تمثل — من ناحية — صورة من صور التطور فى الفكر الدولى ومرحلة من مراحل نموه ، كما تمثل — من ناحية أخرى — مظهرا من مظاهر مرونة الاستعمار وقدرته على التلون .

فقد ظهرت هذه النظم استجابة لما تردد فى مطلع القرن العشرين من مبادىء سامية كريمة آمن بها الأحرار المخلصون ، واطمأن لها المستضعفون فى الأرض ، ولم تحاول قوى الاستعمار أن تكشف عن معارضتها لمبادىء من شأنها أن تديل دولتها — بل تظاهرت بمساندتها لحاجة فى نفسها حتى اذا نالت ما تبغيه كان لها معها شأن آخر .

ولكى ندرك حقيقة الدوافع التى حدت الى تبنى الفكرة الموحية بهذين النظامين كان لزاما علينا أن نذكر شيئا عن طبيعة المبادىء التى سادت العلاقات الدولية حتى نهاية القرن التاسع عشر وتلك التى أخذت مكانها فى مطلع القرن العشرين نتيجة ما وقع من أحداث صاحبت مولده .

مراحل التطور فى العلاقات الدولية

١ — عصر ما قبل المنظمات الدولية :

Temps Inorganin

تعتبر الحرب العالمية الأولى الحد الفاصل بين عهدين من عهود تطور العلاقات الدولية اذ يمكن أن نطلق على ذلك العصر الذى امتد منذ ظهور القانون الدولى الى عام ١٩١٨ اسم « عصر ما قبل المنظمات الدولية » حتى نتجنب دعوته « بعصر الفوضى » حيث كان يستند القانون الى سلطان الدول غير المحدود ، وكان من شأن هذه النظرة أن اعتبرت الحرب مظهرا طبيعيا لسيادة الدول ، كما اعتبر الفتح وسيلة من الوسائل الدولية لكسب الأقاليم وبعد — وهذا بيت القصيد — فقد كان الاستعمار نظاما يقره العرف الدولى .

فقد تميز القرن التاسع عشر

ـــــيادة النزعة الاســتعمارية على العلاقات الدولية التى نشأت خلاله اذ تزاحمت الدول الكبرى على مواطن المادة الأوليــة ومجالات الأســواق الخارجية .

وقد اختلفت صــور تطبيق نظام الاستعمار فكان يطبق تارة تحت اسم صريح وتارة تحت ستار من الأسماء اختلفت في ظاهرها وان جمعتها حقيقة واحــدة ، فعرف العالم المستعمرة ، والمحمية ، ومنطقة النفوذ ، كما اريد للقــانون الدولى أن يعــرف ــ ضمن ما عرف من اتفاقات ــ ما اطلق عليه اسم « اتفاقية الحماية الاستعمارية » . ولم يكن هــذا التعــدد فى الأسماء الا مجــــرد محــاولات من الدول الاستعمارية هدفت من ورائهــا الى تجنب ما كانت تخشاه من نشــوب خلافات بينها نتيجة لتزاحم مصالحها وتعارضــها ، الا ان هــذه المحاولات لم يكتب لها النجاح ؛ فقد كان لاحراز بعض الدول الكبرى قصب الســبق فى ميدان التكالب على المناطق الغنية البكر ، والسماح لغيرها ممن تأخرت فى هذا المضمار بما لا يسد حاجتها من المجالات الحيوية فى هذه المناطق ، كان ذلك أحــد الأســباب المباشرة ، او غير المبــاشرة ــ اذا أردنا تجنب مظنة الاسراف ــ لقيـــام الحربين العالميتين الأولى والثانية .

ولم يكن بد من أن يلجأ « الحلفاء » فى الحرب العالمية الأولى ، و « الأمم المتحدة » فى الحرب العالمية الثانية الى هالة من القداسة يحيطون بها اهداف المعركة آملين الاستزادة من التأييــد الأدبى والعون المادى فكان أن ترددت مبادىء جديدة ، صدى لما أعلن من أن المعركة بعيدة عن الهوى مبراة من كل شائبة لا يشينها أى مطمع استعمارى أو توسع اقليمى ، بل هى حرب تهدف الى خلاص العالم وتحرير الشعوب .

وقد بدأت عقب الحرب العالميــة الأولى أول محاولة للخروج بما تردد من مبادىء خلالها الى حيز التنفيذ فكان عصر المنظمات الدولية .

٢ ــ عصر المنظمات الدولية :

Temps Organic

وقد بدأ هــذا العصر منذ نهاية الحرب العالميــة الأولى عندما حاول العالم أن يقيم أسسا جديدة للعلاقات الدولية ، وأن يضع مبادىء مستحدثة لحكم هذه العلاقات ، وأن يتخذ من الوسائل ما يكفل ارساء تلك الأسس وتحقيق تلك المبادىء ، وقد تضمن عهــد العصبة ــ بشىء من الغموض والاقتضاب ــ هذه الأسس والمبادىء ، وهى ما جاء ذكرها فى ميثاق الهيئــة بشىء من التفصيل والاسهاب ــ ويمكن ارجاعها جميعا الى مبدأين :

(أ) انقاذ الأجيال المقبلة من ويلات الحروب .

(ب) تأكيد الايمان بالحقوق الأساسية للانسان ، وتهيئة الأحوال التى

يمكن فى ظلها تحقيق العدالة واحترام الالتزامات الناشئة عن المعاهدات وغيرها من مصادر القانون الدولى ، والدفع بالرقى الاجتماعى قدما .

ومراعاة لمبدأ تجنيب العالم ويلات الحروب لم يكن ليكفى اعلان عدم شرعية الحرب ، واعتبارها جريمة دولية ، ودرء شرورها بضمان الأوضاع القانونية والفعلية ، وبالتدخل الجماعى ، وبالدعوة الى النظر فى المعاهدات التى تغيرت ظروف عقدها ، وبتخفيض التسلح ، وبفرض الجزاء على من لا يلتزم تلك الغايات من الدول ... بل كان يجب الذهاب الى ما هو ابعد من ذلك فنحاول أن نستأصل جذور الشر .

ولما كانت الحروب ليست الا نتيجة لمنازعات بين الدول تبلغ فى حدتها درجة الالتجاء لاستخدام القوة فقد كان من اللازم ـ لنتجنب وقوعها ـ أن نبحث عن الوسائل التى تكفل منع نشوب هذه الخلافات .

ولكن لما كان من الثابت أن الخلافات والمنازعات الدولية انما ترتبط ارتباطا وثيقا بالحياة الدولية ذاتها فان التفكير فى القضاء ـ قضاء تاما ـ عليها وعلى أسبابها لا يكون الا مجرد خيالات وأحلام ، وانما فى الامكان التقليل من أسباب نشوبها ووضع الحلول السليمة العاجلة لما لا يمكن تفاديه منها ؛ لذلك قام نظام الادارة الدولية . ومن بين الأغراض المقصودة من قيامه أن يكون احدى الوسائل التى تحد من أسباب المنازعات الدولية .

وسعيا نحو غاية كريمة هى تأكيد الايمان بالحقوق الأساسية للانسان وبكرامة الفرد وقدره ، والعمل على رفع مستوى الحياة فى جو من الحرية فسيح ؛ فقد كانت الادارة الدولية ـ كنظام ـ هى الوسيلة المثلى والنهج القويم لتحقيق هذه الغايات بالنسبة لشعوب الأقاليم التى لا تتمتع بالحكم الذاتى .

الانتداب :

سنتناول فى بحثنا الانتداب فى المامة عاجلة ، فلا نفصل الا فيما يتصل بتقدير مدى نجاح الانتداب كنظام فى تحقيق أهدافه ، ثم ننتقل الى المقارنة بينه وبين نظام الوصاية ، والى البحث فى مدى استفادة العائلة الدولية من عيوب الانتداب واخطاء تطبيقه عند وضع النظام الجديد ومدى تأثير النزعات الاستعمارية فى محاولة تجنب المزالق وسد الثغرات وتلافى العيوب .

تعريف الانتداب :

ذهب الداعون بقلب سليم الى هذا النظام ـ كما ذهب معهم واضعو عهد العصبة ـ الى أن : « المستعمرات والأقطار التى زالت عنها بسبب الحرب سيادة الدول التى كانت تحكمها من قبل والتى يعيش فيها سكان لا يستطيعون أن يقفوا بأنفسهم فى الظروف القاسية المجهدة للعالم

الحديث يجب أن يطبق عليها المبدأ القاضي بأن رفاهية هؤلاء السكان وتقدمهم أمانة مقدسة في أعناق الدول المتمدينة ، ومن الواجب أن يتضمن هذا الميثاق الضمانات اللازمة لتأدية تلك الأمانة على الوجه الأكمل » .

الا أن هذا النظام — وقد كان أملا باسما وسلاحا يرتجى لرد الكيد ودفع الشر — قد تناوله التفكير الاستعماري بالمسخ ليخرج به على العالم في صورة أخرى غريبة عن الفكرة النبيلة فيه والغرض السامي منه فقد جاء في تعريف للانتداب على لسان لورد بلفور في اجتماع لمجلس ادارة عصبة الأمم في مايو سنة ١٩٢٢ أنه : « عبارة عن حد — فرضه الفاتحون على انفسهم — من حق السيادة التي احرزوها على الأمم التي قهروها » .

فاذا تغاضينا عما جاء في هذا التعريف من وصف للدول المتحالفة بأنها فاتحة غازية وما في هذا الوصف من منافاة لتلك الدعايات الانسانية التي كثر ترديدها أثناء الحرب على لسان زعماء تلك الدول فانه لمن المستحيل تجاهل ما فيه من التحدي الصريح لفكرة الانتداب كما عرفها عهد العصبة ؛ اذ يشير الى « الحد » من « حقوق » ترتبت على « الفتح » والانتصار على العدو ، كما يشير الى أن هذا الحد من السيادة أمر فرضه الفاتحون على انفسهم ، وهذا ينبىء من غير شك بأنهم اصحاب الشأن في بيان مدى هذا الحد .

فاذا تذكرنا — الى جانب ذلك — ما حدث من تزاحم شديد بين الدول على تولي الانتداب وهو — بروحه الحق واسسه السليمة — العبء الثقيل والتضحية الغالية . واذا اضفنا الى هذا كله أن الانتداب — عند تنفيذه — قد اختص به المجال الافريقي والآسيوي وهو المجال التقليدي للاستعمار — دون أوربا — عرفنا أي نوايا سود كانت قد بيتت لتنال من اسس النظام ولتنال من آمال قوم عقدوها عليه .

عيوب نظام الانتداب :

١ — لم يكن للجنة الانتداب او لمجلس العصبة حق التفتيش او القيام بأي اجراء داخل القطر الواقع تحت الانتداب ، بل كان يكتفى بالتقارير الرسمية التي ترفعها الدولة المنتدبة وبالشكاوى الحرة التي يتقدم بها الأفراد أو الهيئات !.

٢ — لم يكن في ميثاق العصبة نص يخولها حق توقيع الجزاء على الدولة المنتدبة — اذا أرادت مؤاخذتها على اى اجراء قامت به — كسحب الانتداب ونقله الى دولة أخرى .

٣ — تم توزيع الانتداب في مؤتمر للدول الكبرى « بسان ريمو » خارج عصبة الأمم ، ولم تكن هذه الطريقة مما يتفق وروح الانتداب ذاتها ،

بل هى انتهاك صريح للفكرة الأولى فى الانتداب التى كانت تقضى — عند أصحابها — بأن تعتبر تلك الأقاليم الخاضعة للانتداب تابعة لعصبة الأمم التى تنيب عنها فى ادارتها الدولة التى تختارها ، مما يرتب مسئولية الدولة صاحبة الانتداب أمام العصبة التى خلعت عليها هذه الصفة وصاحبة الولاية الأصلية فى القيام بهذه المهمة . وكان من شأن عدم الاحتفاظ بهذه الولاية للعصبة — نصا أو عملا — ذلك التناقض العجيب بين الفكرة وبين تنفيذها وذلك الضعف الواضح لدى تطبيق النظام .

٤ — يبدو من الحديث عن وثيقة الانتداب الى أى مدى بلغت صورية النظام ؛ فقد كانت الدولة المنتدبة هى التى تضع تلك الوثيقة المتضمنة للشروط التى يقوم عليها الانتداب ولا يمكن مؤاخذة الدولة المنتدبة على أمر من الأمور الا اذا كان مخالفا لبنود تلك الوثيقة ، ولم يكن يخفف من حدة ذلك التناقض العجيب وجوب اقرار مجلس العصبة لنصوص الوثيقة وثبوت حقه فى ادخال ما يراه من تعديلات عليها ؛ اذ الواقع إنه لم يلجأ الى هذا الحق الا فى مسائل لا تمس جوهر الوثيقة . وقد كان من نتيجة ذلك الاجراء المعكوس أن تمكنت بعض الدول من أن تضع فى صك الانتداب أمورا لا تتفق وميثاق العصبة ، أو أن تجعل شروط الانتداب من المرونة بحيث لا تقيدها فى مهمتها بقيود جدية ، وبحيث يكون من الصعب محاسبتها على ما تقوم به من اجراءات شاذة .

٥ — لم يتناول نظام الانتداب بأية اشارة الأقاليم غير المتمتعة بالحكم الذاتى التى لم تخضع فى ادارتها لهذا النظام .

وقد كان قيام الحرب العالمية الثانية دليلا على عدم صلاحية النظم التى وضعت لتحقيق مبادىء العصبة . وعلى فشل المنظمات التى قامت لتضع تلك النظم موضع التنفيذ ، ولكنه لم يكن يعيب المبادىء ذاتها .

طريقكم الى الكفاح

يا شعب الصومال

بقلم :

الحاج محمد حسين حامود

انكم اليوم تجتازون ظروفا دقيقة وفترة حاسمة من حياتكم المجيدة — انها الفترة التى تقررون فيها مصيركم الى حياة كريمة أو ميتة شريفة ، وهذه الظروف التى تمر بوطننا العزيز ووحدتنا الخالدة لتذكرنى بالمراحل التى مرت بها الوحدة الايطالية .. فلقد كانت ايطاليا شبه جزيرة واضحة الحدود متفرقة الى دويلات نصب على كل منطقة منها امير ، (مثلما فعلت بالصومال تماما) . وبعد ان ذاقت ايطاليا مرارة التفرقة أصبح كل مواطن فى ايطاليا يدعو لتوحيد بلاده .. ومن هذا الوعى الناضج تكونت الجمعيات والحركات التحررية التى تدعو للوحدة وتعمل على طرد المستعمرين من بلادهم . فأخذوا يفكرون ويدرسون حتى خرجوا بنتيجة حتمية — ككل جهاد لهدف سام — الاوهى الوحدة الايطالية ... ولم تتم هذه الوحدة الا على اكتاف الشباب الايطالى ، الذى واصل الجهاد والعمل حتى ولدت تلك الوحدة ، واصبحت ايطاليا دولة واحدة بفضل أبنائها المجاهدين . ولو لم تظهر حماسة الشباب الايطالى ، ولو لم يستمر كفاحهم لما تحققت وحدة بلادهم — انها العوامل نفسها التى تحيط بنا الان .

ان الجنس والدين واللغة لتربطنا برباط من حديد ، لو أردنا منه فكاكا لتمزق الجسم الواحد شر ممزق — ان لنا هدفا واحدا وكيانا واحدا ومصلحة واحدة ، ولن نصل الى اهدافنا الا اذا حررنا وطننا المقدس من دنس المستعمرين الذين يعيشون على دمائنا وأرزاقنا ويضربون حولنا ظلام الجهل الدامس لنبقى خارج

المجتمع الانساني الكامل المتحرر الناضج .

الا تعلمون غايات الاستعمار من استعباد الشعوب ؟.. اذا كنتم قد نسيتم ذلك ، فاني أعيدها عليكم لأذكي فيكم نار الحماسة وأعيد الى قلوبكم الايمان بحقوقكم الالهية ،ولنصبح في مقدمة الامم كما كنا من قديم الازل..

وفي وسعنا بفضل الله أن نصل الى تلك الغايات بالاتحاد ، والجهاد ، والايمان ، والتضحية ، والوعي الكامل الناضج والتفكير الواسع الآفاق ومتى خلوتم الى أنفسكم وفكرتم في ذلك قليلا لخرجتم بنتيجة خطيرة، انها الحياة الكريمة الطاهرة من كل مستعمر ، المنزهة عن كل غرض... الحافظة للوطن كرامته ورايته خفاقة عالية .

ان البوصة الواحدة يمكن تفتيتها بأصابع الطفل الصغير ، فاذا ماجمعنا بعض هذا البوص الرقيق — صعب على الأبطال أن يكسروه أو أن يؤثروا في رقته ، فما الذي جعله قويا وهو الرقيق السهل الكسر . انه التجمع ، انه التكتل ، انها الوحدة المتماسكة القادرة على الوقوف والصمود أمام القوي ، والظالم ضعيف مهما بلغت قوته ، فان الله لن ينصر الظالم على صاحب الحق .

ان الله بجانبكم ومعكم ومبارك لجهادكم ، بما أنزل في كتبه السماوية من حض وأمر على حب الوطن والجهاد في الذود عن كيانه وحريته .

لماذا تبتعدون عن الواقع ؟ ولماذا تعيشون متفرقين حتى تنفرد الذئاب بكم ؟ لماذا لا تحسنون لمّ شعثكم وجمع صفوفكم واعلان كفاحكم عاليا مدويا يسمعه العالم أجمع ... فلا حياة مع الذل ، ولا ذل مع الحياة . إن الحياة في حرية الجحيم خير منها في جنة الذل والاستعباد . ان القتال في سبيل الوحدة والحرية كيان كامل . لا يمكن ان ينفرد أحدهما عن الآخر فكلاهما جزء وحياة للآخر ... فالتفرقة بينهما قتل لكليهما ... انهما توأمان متلاصقان ، هكذا خلقهما الله .

فالدعاة الى التساهل في ايجاد احدهما انما يريدون بهذا التساهل خدمة جليلة مستترة للاستعمار ؛ فان الفوز بأحد التوأمين لا قيمة له بلا شقيقه .. والحصول على فوز التوأمين معا فلابد من نضال وكفاح مستمر مرير لكي نعيش بقية أيامنا في رغد ، ونبني للأجيال الآتية وطنا واحدا متحررا أبيا كريما .

ان الوصول الى هذا الكمال لابد له من ايقاظ الوعي وتفهيم الناس وجمع الشمل ونبذ مزاعم أذناب الاستعمار المنبثين بينكم .. قولوا في خطاباتكم وفي ندواتكم وفي مساجدكم وفي كل مكان يصح فيه الاجتماع بالناس :

(البقية في صفحة ٣٦) .

المال الجبان

ليست حالة الافلاس المادى والأدبى الذى تعانيه فرنسا الآن أمرا طارئا بعد هزائمها فى الشرق الأقصى وفى قناة السويس ، بل ان هذه الحالة قد غرست بذورها يوم انهيار فرنسا أمام الجيش الألمانى عام ١٩٤٠ ، فقد تحطم حينئذ الاقتصاد الفرنسى وانتهكت الكرامة الفرنسية .

ولما انتهت الحرب بانهزام ألمانيا حاولت أمريكا أن تقيم فرنسا (وغرب أوربا) من سقطتها وأخذت تمدها بالمعونات العسكرية والمادية وتساعدها بأقصى ما تستطيع على الاحتفاظ بمستعمراتها ...

ولكن فرنسا كانت قد تحطمت كدولة كبرى منذ وقوعها تحت الحذاء العسكرى الألمانى ، ومنذ أن انقسمت الى كتلتين متحاربتين : كتلة ديجول المتغطرس ، وكتلة لافال الخائن ... لم تفلح المساعدات العسكرية الأمريكية الهائلة فى نصرة فرنسا على الأحرار فى الهند الصينية ، ولم تستطع هذه المساعدات التى تحمل عنوان « حلف الأطلنطى » أن تخمد ثورة الجزائر أو تحطم القومية المصرية فى بورسعيد ، وبدأت امريكا تدرك أنها تضع « الحقن المقوية » فى « جثة هامدة » فأخذت ــ أمريكا ! ــ تجيل الطرف بين دول أوربا للبحث عن حليف جديد فيه شيء من دم الحياة ...

عندئذ تفتق تفكير الساسة الفرنسيين عن مشروع « يور أفريكا » وأخذت تلوح لأمريكا وحلفائها الأوروبيين بمجموعة من آبار البترول التى اكتشفت حديثا فى صحراء الجزائر وأظهرت استعدادها للمشاركه فى استغلال هذه الآبار وما ينتظر اكتشافه من معادن اذا أمدها حلفاؤها بالفنيين ورأس المال ...

وجاءت الاستجابة السريعة من أمريكا ، فان للبترول رائحة جذابة للأمريكان ، وسرعان ما سافر مبعوثو الشركات الأمريكية الى صحراء الجزائر ، وبدأ رأس المال الأمريكى يتجمع متجها الى فرنسا ...

وفطن الأحرار الجزائريون الى المؤامرة الجديدة التى ترمى الى حصارهم من الجنوب والى تثبيت أقدام الاستعمار الأمريكى فى بلادهم ،

ولكنهم لم يحركوا ساكنا ، ولم يظهروا أهمية ، الى أن تجمع فى مناطق الآبار مبعوثو الشركات الأمريكيـــة ومعهم مساعـــدوهم ومرشـــدوهم من الفرنسيين ، وفى هجمـــة خاطفـــة – فى ليـــلة من الشهر الماضى – فتك المجـــاهدون بخمسة وثلاثين من الأمريكيين والفرنسيين ...

ولقد كان فى وسع فرنسا أن تخفى – كعادتها – خسائرها من الأرواح فى الجزائر ، ولكنها لم تكن لتستطيع أن تكتم أسماء الضحايا الأمريكيين وألا تبعث بأسمائهم الى عائلاتهم والى الشركات التى يتبعونها فى أمريكا .

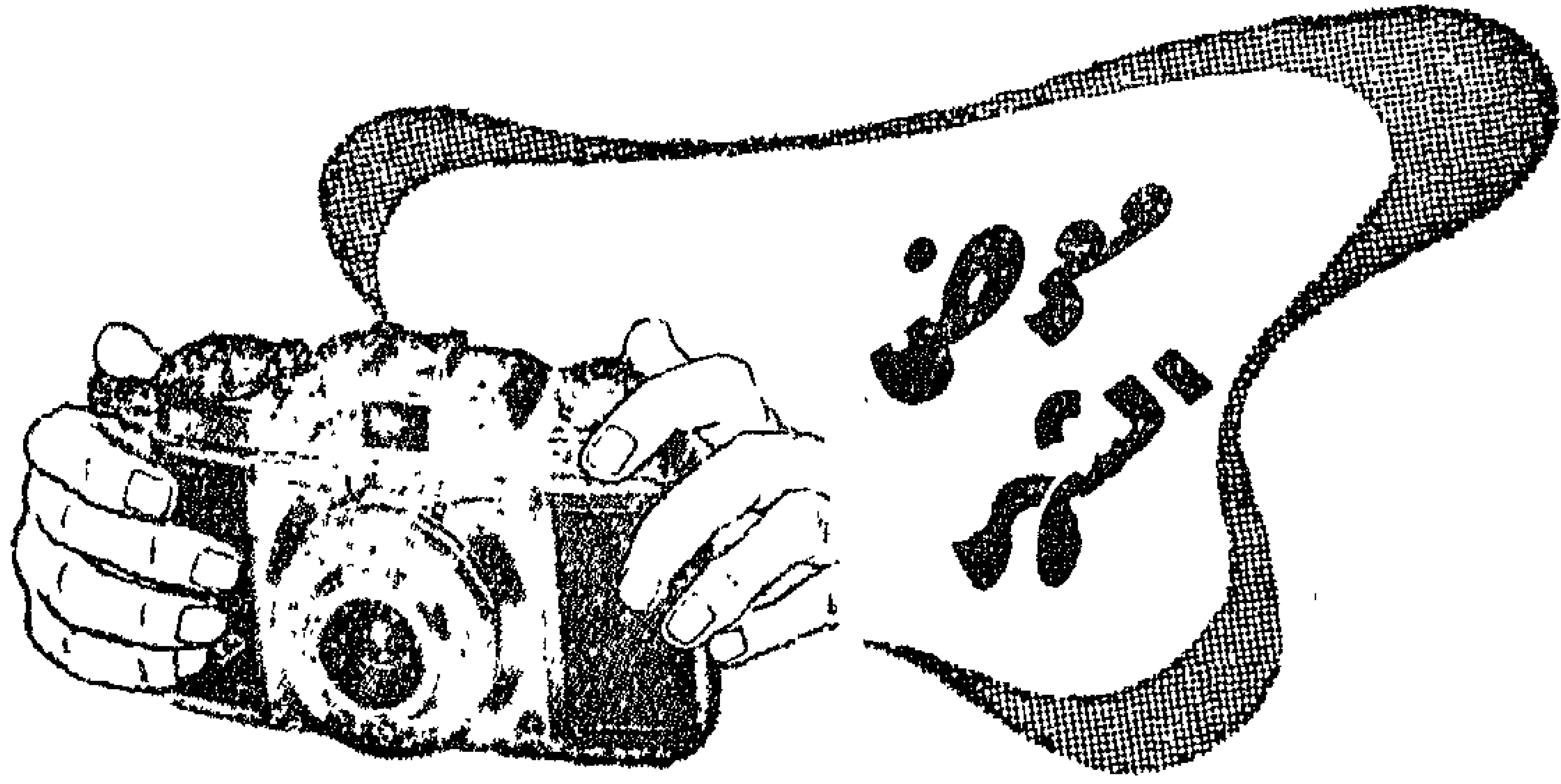
وطار الخبر فى أنحاء العالم وتبين لكلّ مكابر أن فرنسا عاجزه عن حماية نفســها فى الجزائر ، وهى – تبعـا لذلك – أعجز من أن تحمى غيرها ، واجتمعت مجـالس ادارات شركات البترول فى أمريكا لتتخذ قرارا بالتريث واعادة النظر ، وانكمش رأس المـال الجبان أمام عزيمة الأحرار الجزائريين .

« بقية مقال طريقكم الكفاح يا شعب الصومال ص ٣٣ »

« أيها الشعب الصومالى .. تيقظوا من ســباتكم وأعلنوا كفاحكم ضـد الاستعمار الذى يريد ابادتنا لينعم بخـــيرات أوطاننا .. لا تثقـــوا فى معاهداتهم ومواثيقهم فان الغـــرب لا يعبأ بالمثل ولا يعرف الشرف ، انهم من قديم الأزل قراصنة ولصوص ، يصلون الى أسلابهم بالقتـــل والشر والتفرقة .. انظر الى الكفاح الضخم الذى أعلنته الشـــعوب المستعبدة المستعمرة .. ان فى هذه الشعوب من هم أقل منكم استعدادا وعتادا وعددا . ولكنهم أعلنوا كفاحهم وجهادهم .. أقيمـــوا الندوات والاجتمـــاعات فى العواصم والقرى واكتبوا المنشورات وأيقظوا النـــاس ..

فهـــذا واجبـــكم وأنتم أدرى بميادينكم للجهـــاد ضـــد الاستعمار القاتل الظالم والله معنا وسينصرنا » .





مؤتمر التضامن الآسيوى الافريقى

سوف يجتمع ممثلو شعوب آسيا وافريقيا فى القاهرة ما بين ٢٦ من ديسمبر وأول يناير عام ١٩٥٨ ليبحثوا المشكلات الدولية التى تواجه العالم .

وقد تكونت لجنة مصرية للتضامن الآسيوى الافريقى ، من السيد أنور السادات وكيل مجلس الأمة والسكرتير العام للاتحاد القومى والسيد يوسف السباعى السكرتير العام للمجلس الأعلى للفنون والآداب ، ومن أعضائها السيد خالد محيى الدين رئيس تحرير جريدة المساء والدكتور طه حسين .

وقد انضم الى السكرتارية للمؤتمر المؤقت مندوبون من بعض الدول المشتركة لمساعدة السكرتارية فى الأعمال التمهيدية ، وبهذه السكرتارية مندوبون من الهند ، والصين ، واليابان ، والجزائر ، والاتحاد السوفييتى ، والسودان .

القرارات التى اتخذتها اللجنة التحضيرية

١ — توجيه نداء الى الشعوب الآسيوية والافريقية .

٢ — أن يتضمن جدول أعمال المؤتمر الموضوعات التالية :

(أ) استعراض الموقف الدولى القائم واثره على البلاد الافريقية والآسيوية .

(ب) الحرب فى الجزائر .

(جـ) الاستعمار والاستقلال القومى .

(د) تحريم استخدام وتجربة الأسلحة النووية وغيرها من أسلحة الابادة الجماعية .

(هـ) التفرقة العنصرية .

(و) توحيد الاقتراحات الخاصة بالتقدم الاقتصادى والتعاونى الفنى .

(ز) توحيد الاقتراحات الخاصة بالتبادل الثقافى .

(ح) موضوعات أخرى .

٣ ـ أن يكون موعد المؤتمر من ٢٦ من ديسمبر سنة ١٩٥٧ الى أول يناير سنة ١٩٥٨ .

٤ ـ أن يسمح بحضور مراقبين الى المؤتمر .

٥ ـ أن تتكون فى المؤتمر اللجان الآتية :

(أ) اللجنة السياسية .

(ب) اللجنة الاقتصادية .

(جـ) اللجنة الثقافية .

وأضيف اليها لجنتان :

(د) اللجنة الاجتماعية .

(هـ) اللجنة التنظيمية لبحث موضوع السكرتارية الدائمة .

٦ ـ انشاء سكرتارية مؤقتة من ممثلى الدول التى ترغب فى ذلك لمعاونة اللجنة المصرية فى الاجراءات التحضيرية للمؤتمر .

٧ ـ توجيه رسالة تأييد الى الحكومة السورية والشعب السورى بمناسبة الظروف التى تمر بها سوريا فى الآونة الحاضرة .

٨ ـ توجيه رسالة الى السكرتير العام للأمم المتحدة بمناسبة الأحداث الجارية فى سوريا .

٩ ـ ارسال برقية الى رئيس الجمعية العامة للأمم المتحدة بمناسبة مناقشة المسألة الجزائرية .

١٠ ـ توجيه نداء الى الشعب المصرى والحكومة المصرية بمناسبة مرور عام على الاعتداء الانجليزى الفرنسى الاسرائيلى .

قال الرئيس جمال لوفود الدول فى اللجنة التحضيرية لمؤتمر التضامن الآسيوى الافريقى :

« باسم مصر أرحب بالفكرة السامية التى اجتمعتم من أجلها : فكرة تضامن الشعوب الآسيوية والافريقية من أجل مصلحة الانسانية ومن أجل التعاون فى سبيل حرية الشعوب » .

وقال : « اننى أرجو أن يكون لهذا المؤتمر دور كبير فى توطيد الروابط وتوثيق العلاقات بين الدول الافريقية والآسيوية من أجل خير الانسان » .

وقال السيد انوب سنج نائب رئيس اللجنة التحضيرية وعضو البرلمان الهندى :

«اننا نمثل فيما بيننا أقدم الحضارات واعرق الثقافات . ومن بلادنا أشرقت على العالم أنوار محمد وموسى وعيسى وبوذا وكونفوشيوس ثم غاندى، أولئك الذين حملت تعاليمهم الى البشرية رسالة المحبة والسلام وانكار الذات والتآخى بين الشعوب ، تلك الرسالة التى لم تزل تضىء قلوب الملايين منا . واننا نحن الأوصياء على هذا التراث الروحى المشرق وذلك الماضى المجيد » .

وقال السيد أنور السادات رئيس اللجنة التحضيرية :

« اننا نحن أبناء آسيا وافريقيا نكون سبعا وثلاثين دولة تضم ثلاثة ارباع

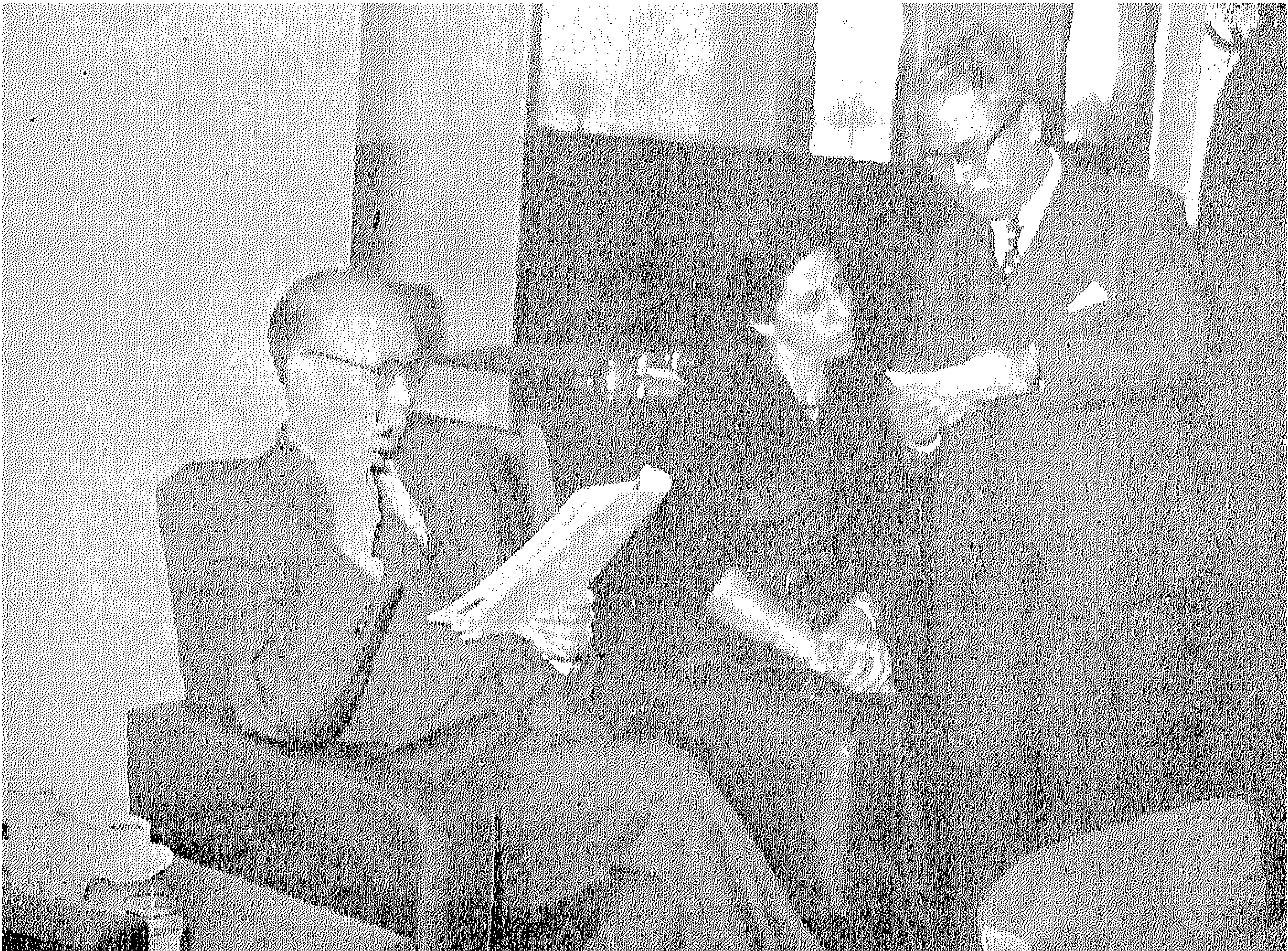
سكان العالم ، لها تراث هائل فى تاريخ الحضارة والانسانية . لقد ظفرنا كقوة جديدة تعمل لا لاثارة الحرب والاضطراب ، بل لاقامة السلم والاستقرار .

لقد بدانا فى باندونج باقامة الأساس . ولكن هذا الأساس نفسه فى حاجة لان ينمو ويتسع ، وهذا هو عمل المؤتمر .

ان مؤتمرنا الشعبى لن يكون المهندس فقط ، بل سيكون العقل الذى يرسم ، واليد التى تبنى ، لا فى بلادنا فحسب ، بل فى العالم أجمع » .

وقال السيد يوسف السباعى السكرتير العام للجنة المصرية :

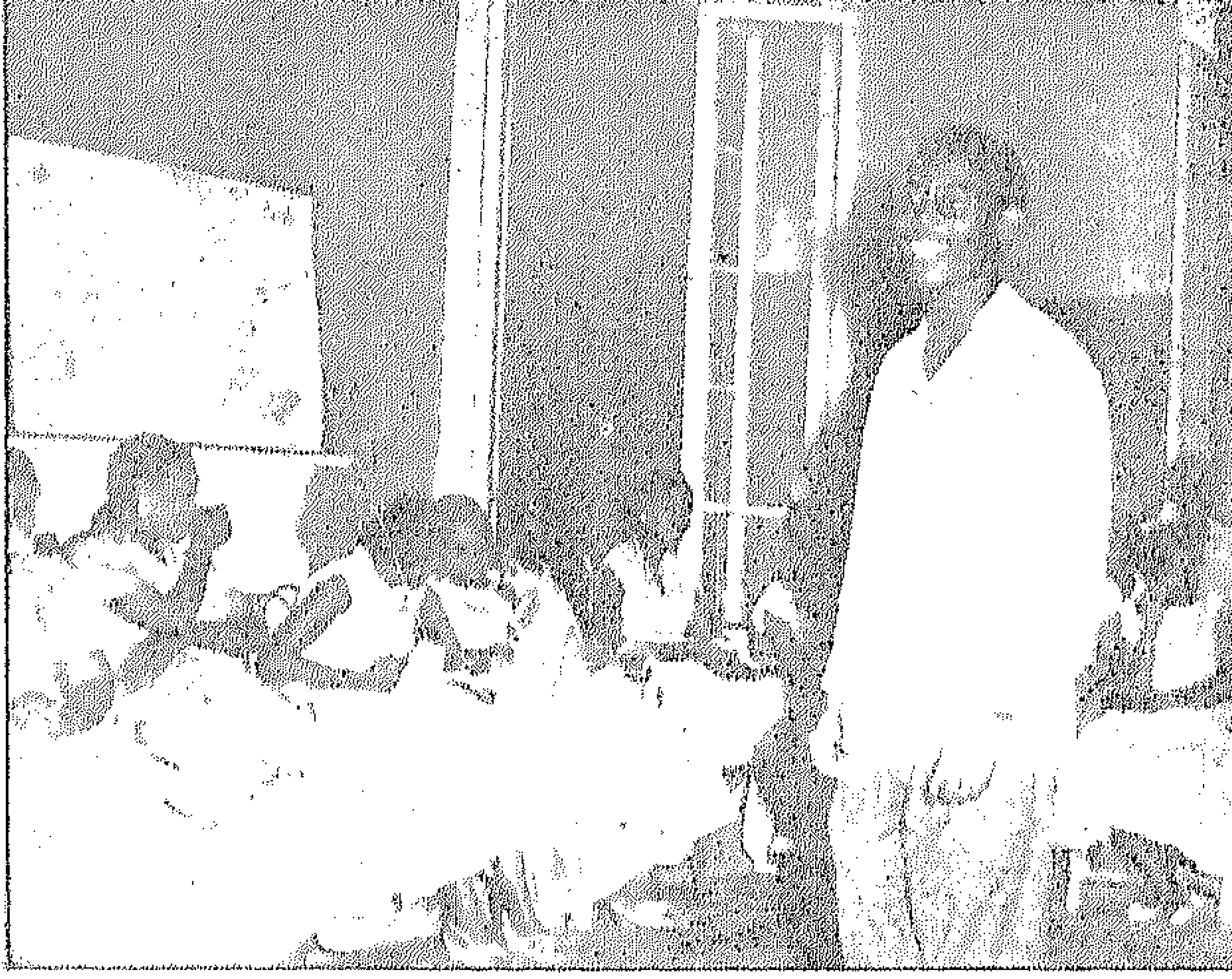
« أهداف هذا المؤتمر هى تقوية التضامن بين الشعوب الآسيوية والافريقية عن طريق تعبئة القوى الشعبية فى البلدان الآسيوية والافريقية . والعمل على دعم السلام العالمى ، وزيادة تعارف الشعوب عن طريق التعاون فى جميع المجالات والمستويات الثقافية والاقتصادية والسياسية والرياضية » .



مندوبة الهند ، والى يسارها مندوب اليابان ، والى يمينها مندوب الصين الشعبية

حفلة ساهرة فى الرابطة الافريقية

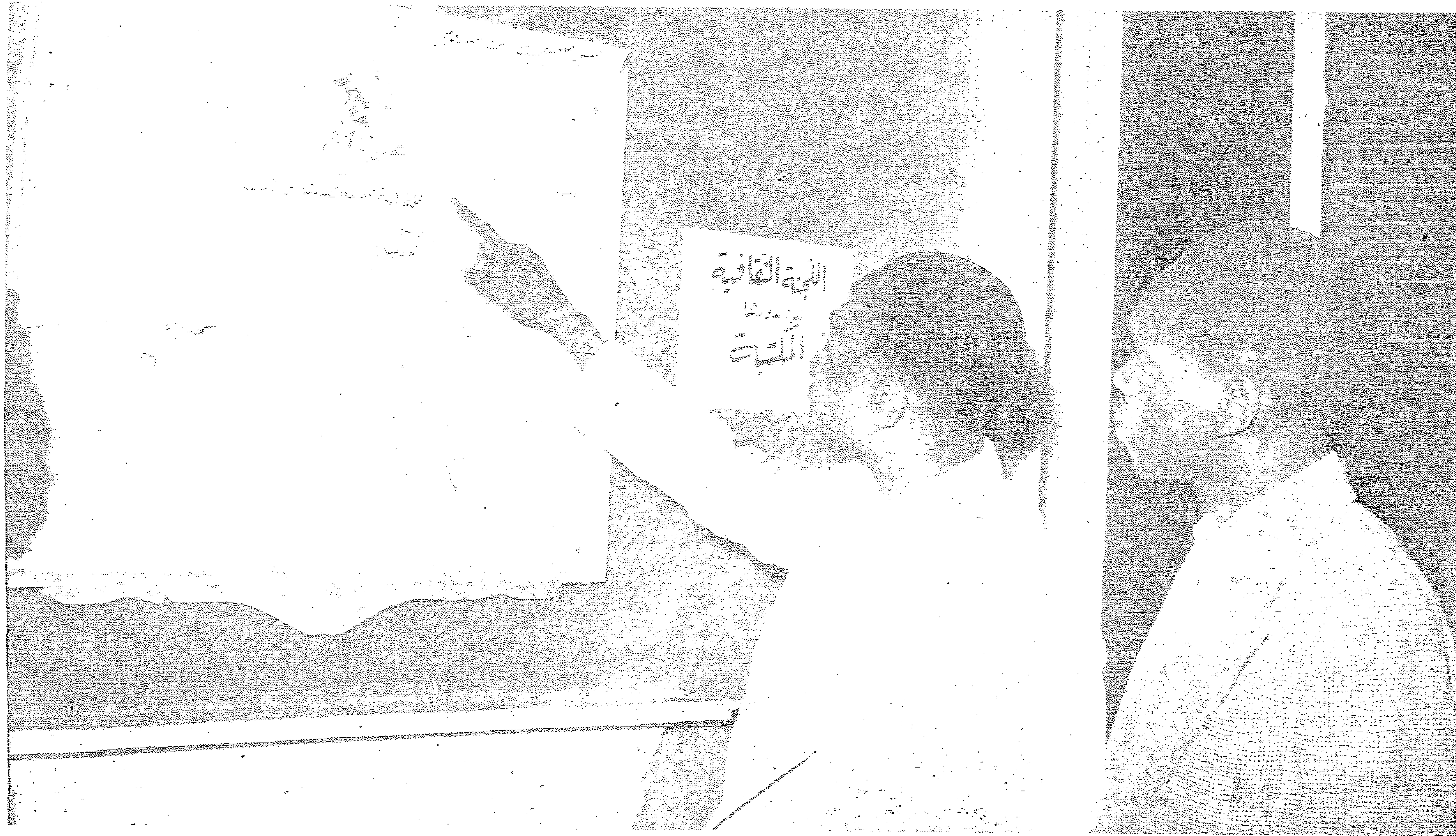
فى آخر كل شهر يجتمع الشباب الافريقى فى نادى الرابطة الافريقية ويقضون ليلة فى السمر والغناء والموسيقى ويرفهون عن أنفسهم بعد العمل الجاد فى الدراسة وطلب العلم .



طالب يردد أغنية شعبية



فرقة موسيقية تتألف
من أعضاء النادى



مولد مجلة « صوت افريقيا » وهى « مجلة الحائط » التى « تصدرها » لجنة المكتبة بالرابطة الافريقية

افريقيا في شهر

جنوب افريقية :

نبدأ جولتنا هذا الشهر من أقصى الجنوب ، فقد كان اتحاد جنوب افريقية هدفا لهجوم عالمى فى هيئة الأمم المتحدة بسبب استمرار حكومة الاتحاد فى سياسة التفرقة العنصرية البغيضة ، وقد أصدرت تلك الحكومة مجموعة من الكتيبات والنشرات تحاول فيها تبرير سياستها وتصويرها بأنها « تفرقة مفيدة » تتيح لكل جنس أن ينمو ويزدهر فى اطار تقاليده وعاداته ، ولكن الرأى العام العالمى ممثلا فى مندوبى الدول لدى هيئة الأمم المتحدة لم يستطع أن يغفل الاضطهاد الواقع على الملونين فى أراضى الاتحاد واحتكار الأقلية البيضاء الثروات الطبيعية وامتلاكهم للشركات . فضلا عن مناصب الحكم والادارة ، وقد أصدرت الجمعية العامة قرارها بادانة حكومة اتحاد جنوب افريقية ودعوتها لاتباع مبادىء حقوق الانسان . ومما يستلفت النظر اشتراك أحدث دولة افريقية (وهى غانة) فى قرار الادانة .

روديسيا : نشرت مجموعة الشركات الانجليزية الأمريكية المحتكرة لمناجم النحاس الكبرى فى روديسيا الشمالية (وهى تنتج أكثر من ٢٠ ٪ من نحاس العالم) أن انتاجها هبط الى النصف خلال هذا العام نظرا للاضطرابات التى دعت اليها نقابة العمال الوطنيين . وما زالت هذه النقابة التى تضم أكثر من عشرة آلاف عامل افريقى مصرة على مطالبها التى تتلخص فى زيادة الأجور وفتح باب التدريب على الوظائف الفنية للعمال الافريقيين .

زنجبار : سافر الى « نياسالاند » الحاج عثمان كريمى عضو لجنة المنح الدراسية فى زنجبار وقد أعلن أن عظمة السلطان قرر أن يتعلم على نفقته عدد من فتيات « نياسالاند » المسلمات . ويرجع اهتمام السلطان بمسلمى

« نياسالاند » الى زيارته لذلك الاقليم عام ١٩٥٣ فقد تقدم المسلمون هناك الى سيادته طالبين المعونة لاعداد مدرسين للدين الاسلامي فى زنجبار ، فقرر ، فى ذلك الحين ، تقديم سبع منح دراسية لاعداد هؤلاء المدرسين.

تنجانيقا : استطاع الستار الحديدى البريطانى المضروب حول تنجانيقا أن يحجب عن العالم ، الى حد كبير ، حركة المقاومة السلبية التى نظمها الوطنيون الافريقيون طلبا للحكم الذاتى . وفى الشهر الماضى اضطر وزير المستعمرات البريطانية « لينوكس بويد » أن يطير الى شرق افريقيا ليشهد بنفسه الحالة هناك . وعند وصوله الى دار السلام حاول أن « يوقع الرعب » فى قلوب الافريقيين الوطنيين فخطب فى سراى الحاكم العام مؤكدا أن بريطانيا لن تتراجع عن رسالتها فى شرق افريقيا أمام أى ضغط ، وأنها لن تبالى بأى انتقاد لسياستها هناك ، ثم حذر « المخالفين للقوانين » وأنذرهم بأشد العقوبات .

وفى اليوم التالى أقام « السير ادوارد توينج » الحاكم العام مأدبة عشاء تكريما للوزير ، وقد فوجىء الحاكم والوزير معا باضراب جميع الأعضاء الافريقيين فى المجلس التشريعى عن حضور المأدبة (وهم السيد ج. نيريرى والسيد ر. كاواوا والسيد ب. كونامبى والسيد ك. كورنجى) . وقد اصدر الحاكم بيانا ذكر فيه أن احدا لم يهتم بغياب هؤلاء السادة (. . . !) وان عملهم يدل على « الفظاظة التى لا تليق . . . ! » .

وبعد سفر وزير المستعمرات بدات سلسلة من الاجراءات الانتقامية ضد تنجانيقا ، فقد اصدر الحاكم قرارا بنقل مجموعة من المعاهد والمؤسسات الحكومية (ومنها : محطة الأبحاث الزراعية ومركز تدريب موظفى البريد والادارة العامة للسكة الحديدية بالاضافة الى ورشة اصلاح الوابورات) من تنجانيقا الى كينيا .

هذا وقد ازداد انتشار حركة المقاومة الوطنية بفضل هذا التحدى الاستعمارى الجديد .

الصومال : عاد الى الصومال الحاج محمد حسين حامود الرئيس الجديد المنتخب لحزب وحدة الشباب الصومالى وأخذ النشاط السياسى يدب فى الاوساط الصومالية الوطنية وفى الاوساط الاستعمارية على حد سواء ، وقد كتب الينا الحاج محمد حسين رسالة موجهة الى مواطنيه عنوانها : «طريقكم الكفاح يا شعب الصومال» وقد نشرناها فى غير هذا المكان . كما بعث الينا السيد عبوس حاج رسالة عنوانها « الأفعى الجديدة » تحدث فيها عن أحابيل السياسة الأمريكية وأهدافها الاستعمارية فى الصومال .

السودان : سافر الى القاهرة وفد

برياسة السيد مرغنى حمزه وزير الرى ونائب رئيس الوزراء السودانى لعقد اتفاقية جديدة مع مصر بشأن مياه النيل ، وقد صرح المسئولون السودانيون والمصريون بأن وجهات النظر متقاربة بين البلدين الشقيقين، كما صرح السيد على عبد الرحمن وزير الداخلية السودانى ورئيس حزب الشعب الديمقراطى بأن مشروع السد العالى سوف يحقق الخير لمصر والسودان معا

مصر : استطاعت مصر ان تخطو خطوة حاسمة فى تاريخها بتحطيم الحصار الاقتصادى الذى ضربته حولها بريطانيا وأمريكا وفرنسا ومعهم «البنك الدولى» . اذ عقدت اتفاقية اقتصادية مع الاتحاد السوفييتى تقدم روسيا بمقتضاها قرضا مقداره نحو سبعين مليون جنيه مصرى . وتبدو أهمية هذه الخطوة من زوايا متعددة : فان هذا القرض اقتصادى بحت غير مصحوب بأية شروط سياسية او عسكرية ، ثم انه يبدأ سداده بعد خمس سنوات، أى بعد أن تبدأ المصانع المصرية التى ستنشأ به انتاجها ....

وبعد ان تمت هذه الخطوة الضخمة بأيام أعلن الرئيس جمال عبد الناصر المذهب السياسى العام الذى تنتهجه مصر فى سياستها الداخلية وهو : «الاشتراكية الديموقراطية التعاونية » .

واعلن الرئيس : « اننا لانستورد مبادئنا من خارج بلادنا ، وانما نستوحى هذه المبادىء من مجتمعنا وظروفنا وأخلاقنا ... » .

ليبيا : للامريكيين قاعدة جوية «ذرية» تسمى قاعدة الملاحة قرب مدينة طرابلس ،وهى تعتبر مدينة قائمة بذاتها بما فيها من المنشآت العسكرية ومساكن الضباط وعائلاتهم . وقد كان الهدوء والاطمئنان يخيمان على سكان تلك القاعدة من الأمريكان الى أن أعلن الروس عن صواريخهم العابرة القارات وأطلقوا أقمارهم الصناعية ،وهنا استولى الرعب على المسئولين عن تلك القاعدة الذرية التى يحتمل ان تكون هدفا لصاروخ روسى مفاجىء فاصدروا أمرهم بأن ينتقل معظم الضباط الطيارين الامريكان من مساكنهم بالقاعدة ويقيمون بين المدنيين الليبيين فى مدينة طرابلس ...!

تونس : عندما تعددت حوادث انتهاك الحدود التونسية على يد القوات الفرنسية المعسكرة فى الجزائر قررت حكومة تونس ان تسلح جيشها لتدافع عن حدودها ،وحاولت ان تحصل على السلاح من دول اوربا او من امريكا ، ولكن تلك الدول آثرت ان تجامل حليفتها فرنسا ولا تمد يد المعونة لدولة افريقية تريد أن تدافع عن كيانها ، وهكذا ضرب « الغرب » حصارا حول تونس لمنعها من تسليح

جيشها . وقد تقدمت مصر فعرضت ان تسلح شقيقتها بكل ما تحتاجه من أنواع السلاح ، وقبل ان يصل الرد تحطم الحصار الغربى فجأة وأسرعت امريكا وانجلترا فأرسلتا بالطائرات بعض الأسلحة التى سبق أن رفض وصولها الى أيدى التونسيين . وثارت فرنسا وتبادل المسئولون الزيارات العاجلة فى الدول الثلاث وأصيب حلف الاطلنطى بصدع شديد لم يلتئم حتى الآن .

الجزائر : كان هذا الشهر هو الموسم السنوى لاثارة مشكلةالجزائر أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة فى نيويورك ،وقد حدثت فى هذا العام المناورات الاستعمارية نفسها التى قامت بها فرنسا وحليفاتها من الدول الغربية ، اذ تدعى هذه الدول ان مشكلة الجزائر ما هى الا مشكلة داخلية تخص فرنسا وحدها ، هذا على حين يستمر المجاهدون الجزائريون فى السيطرة على المعاقل الحصينة فىبلادهم ويبطشون بالقوات الفرنسية ويفاجئونها بالضربات القاصمة سواء فى المدن الجزائرية أو فى الصحارى أو فى مسالك الجبال .

والجديد فى هذه القضية ، من الناحية السياسية ،ان تونس ومراكش تقدمتا بعرض للوساطة بين فرنسا وهيئة التحرير الجزائرية ، ولكن فرنسا رفضت الوساطة ،كعادتها فى التسرع والحماقة ...

مراكش : عندما اضطرت فرنسا للتراجع امام الشعب المراكشى وعاد الملك محمد الخامس الى عرشه واعترفت فرنسا باستقلال مراكش وبدأت هذه الدولة الافريقية الفتية تظهر على مسرح السياسة الدولية تراجعت اسبانيا ايضا واعترفت بضرورة الانسحاب من «مراكش الاسبانية» او « المنطقة الخليفية» ، ولكنها تجاهلت احتلالها لبقعة اخرى من الاراضى المراكشية هى منطقة «سيدى حفنى» الساحليةالجنوبية. ولما طال الأخذ والرد بشأن هذه المنطقة بين الحكومتين المراكشية والاسبانية لم يطق جيش التحرير المراكشى صبرا واخذ يهاجم القوات الاسبانية النظامية المحتلة وأخذت اسبانيا ترسل الامدادات لقواتها بالطائرات ولكن جيش التحرير يواصل انتصاراته وقد تمكن من استرداد معظم أراضى المنطقة ، وهو الآن يحاصر آخر مدينة وهى العاصمة ...

السنغال : منذ أن استولت فرنسا على أراضى السنغال وهى تجند الأهلين فيه وتسوقهم قسرا الى حروبها الاستعمارية فى كل مكان ، وقد ارسلت فرقا منهم لقتال اخوانهم الجزائريين فانضم بعضهم الى المجاهدين وأخذ البعض الآخر يبدى سخطه واستياءه ويطلب العودة الى بلاده . وقد وصل الينا بيان أصدره فريق من هؤلاء الجنود

السنغاليين وهم يناشدون فيه جلالة ملك مراكش أن ينقذهم من الورطة التى هم فيها ويناشدونه السعى لاعادتهم الى أوطانهم .

وقد وصل الينا أيضا بيان من الطلبة الكاثوليك الافريقيين فى فرنسا وهم يستنكرون فيه مناصرة رجال الدين الكاثوليك للاستعمار الفرنسى ويقررون أن استخدام الكتائب المسماة « جنود السنغال » فى حرب استعمارية كحرب الجزائر : « يثير مشكلة أخلاقية خطيرة ويؤذى أذى بليغا أرواحنا كمسيحيين ، وضمائرنا كافريقيين ، ويبعث الكراهية والضغائن بين الشعوب ،ويناقض واجبات الاحترام والعدالة نحو شعوب افريقية ... » .

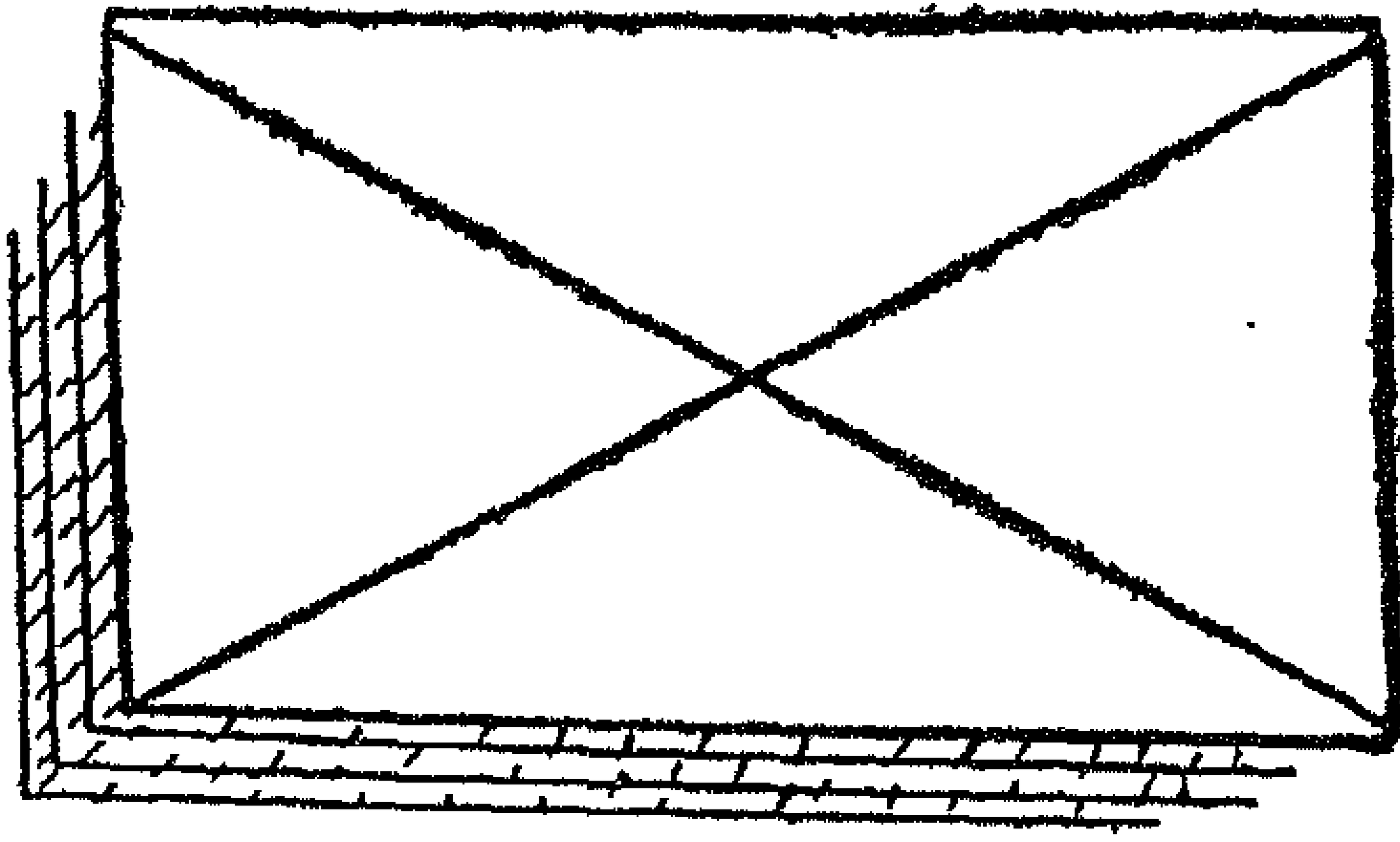
غانة : تواصل حكومة غانة اتخاذ الترتيبات اللازمة لعقد مؤتمر من دول افريقية المستقلة فى شهر فبراير القادم ،ويتجه الرأى الى دعوة مندوبين من مناطق افريقية المحتلة لحضور ذلك المؤتمر .

وقد بعث الرئيس كوامى نكرومه رئيس وزراء غانة برسالة مع رسول خاص جاء بها الى الرئيس جمال عبد الناصر .

نيجيريا : يواصل الزعماء الوطنيون فى نيجيريا مساعيهم لضم الصفوف تمهيدا للتقدم بطلب موحد الى بريطانيا لاعلان استقلال نيجيريا واقامة دولة اتحادية فيها ، ومن المقترحات التى تقدم بها بعض هؤلاء الزعماء الاسراع بافتتاح عدد ضخم من فصول الدراسة الثانوية فى شمال نيجيريا حتى تتقارب المناطق الثلاث من الناحية التعليمية ولا تخشى واحدة منها أن تكون متخلفة عن اختيها داخل نطاق الاتحاد .



رسائل القراء



بعد أن صدر العدد الأول من « نهضة افريقية » بيوم واحد بدأت رسائل القراء تترى على الادارة من انحاء الجمهورية المصرية . وهكذا تكونت بالفعل الحلقة الأولى من أسرة « نهضة افريقية » . وسوف تتكون وتتشابك باقى الحلقات العاطفية والعقلية عندما تأتينا — على مهل — رسائل قرائنا من انحاء القارة التى استطعنا أن نبعث اليها بأعداد محدودة من مجلتنا الوليدة .

ولقد كان الشعور الذى استولى علينا عندما توالت رسائل قرائنا هو شعور الرضا والدهشة فى وقت واحد . أما الرضا فلأن التجربة لاقت من النجاح المبدئى ما يشجعنا على السير قدما والاستفادة بتجارب أصدقائنا وقرائنا ..

وأما الدهشة فلأننا لم نكن نتصور أن « الوعى الافريقى » قد ازدهر فى مصر الى هذا المدى ...

الى هذا المدى الذى يشمل رجال القانون ورجال التعليم والمواطنين من التجار ومن الطلبة وموظفى الحكومة وعمال المتاجر ...

ولقد زاد من غبطتنا أن السادة الذين تكرموا بالكتابة الينا قد قرأوا العدد الأول « بعين ناقدة » وبعثوا الى هذه المجلة — التى أسعدوها بأن اعتبروا انفسهم أعضاء فى أسرتها — بمقترحات ايجابية سوف نعمل على تحقيقها تدريجيا باذن الله ..

وفيما يلى خلاصة لمقترحات السادة القراء ، واننا اذ ننشر الآن ، وفى الأعداد القادمة ، أسماء وعناوين أصحاب المقترحات انما نستجيب للأصدقاء الذين طلبوا فتح باب للتعارف بالمراسلة ، فها هو ذا الباب مفتوح على مصراعيه .

كتب السيد محمد السعيد الضهرى ، بمدرسة دمياط الثانوية للبنين يقترح نشر صور مكونة لمعالم القارة الافريقية .

والسيد عبد الحميد السيد موسى أبو ركبة ، بمعهد الدراسات الاسلامية بالقاهرة يطلب نشر معلومات تفصيلية

عن عدد سكان القارة وخلاصات مفيدة مبسطة .

والسيد شوقى كامل هواش ، أمين قلم الحفظ بمحكمة جرجا الجزئية الوطنية يطلب نشر ملخصات القوانين الاقليمية والدولية والمعاهدات المتصلة بافريقية ، كما يقترح عمل مسابقات أدبية تخصص لها جوائز من مطبوعات دار « نهضة افريقية » .

والسيد سليمان عبد القادر محمد ، وهو من أرتريا ويسكن حاليا رقم ٦١ شارع الخليج المصرى بالقاهرة يطلب فتح باب للتعارف على صفحات المجلة .

والسيد فاروق عطية على أحمد ، بكليه الآداب بالأسكندرية (قسم فرنسى) يرجو أن تنشر فى المجلة بعض المقالات باللغة الفرنسية وأن تنظم المجلة لقرائها رحلات الى أنحاء القارة .

والسيد عيسى السيد مصطفى عبد الوهاب ، وعنوانه : ١٥٠ شارع طلعت حرب بالسويس يطلب أن تنشر المجلة سلسلة مقالات عن تاريخ دخول الاستعمار الى كل دولة افريقية .

والسيد أحمد عبد العزيز أحمد عبد العال ، رئيس نادى المراسلات العربية ـ ٥ شارع الكنيسة المارونية بالأسكندرية ، يهنىء المجلة ويرجو لها التوفيق ويريد مراسلة شاب من أوغندة .

والسيد محمد محمد عبد الجواد سراج ، بشارع العطارين ـ سمنود ـ مديرية الغربية يقترح نشر أبحاث عن تاريخ افريقية الجغرافى فى الأزمنة الجيولوجية المختلفة ونشر قواعد اللغات الافريقية المختلفة ، وله شخصيا رغبة فى تعلم اللغة السواحلية كما يرغب فى مراسلة « أساتذة وطلاب من جميع الأقطار الافريقية ... » .

والسيد حسن على فهمى عبد الله ، بأسيوط ـ شارع ثابت ، يقترح فتح باب الانتساب للرابطة الافريقية بالقاهرة ومساعدة المجاهدين من أجل الحرية فى هذه القارة (وقد أرسلت اليه الرابطة الافريقية استمارة الانتساب) .

والسيد بانو براكس : صندوق البريد رقم ١٤ ـ بنها ـ قليوبية يسأل عن امكان ارسال صور لمناظر مصرية وغيرها لنشرها فى المجلة (والمجلة ترحب بالنظر فيما يمكن نشره مما يرسله سيادته) .

والسيد اللواء رفعت الجوهرى : ٩ شارع أسكاريه ـ مصر الجديدة ـ بعث للمجلة بتهنئته وأهداها بعض المطبوعات والخرائط (... شكرا جزيلا) .

والسيد محمد سند الطوخى ، بالشهر العقارى بالمنصورة يفضل الموضوعات الجغرافية والتاريخية والخرائط وتاريخ الحركات

الاستقلالية ويقترح تيسير سبل التعارف بين رجال الفكر الافريقيين والتعاون على بسط المسائل الوطنية . كما يطلب نشر مقالات باللغات الافريقية الشائعة وملخصات لها باللغة العربية .

والسيد سليمان عبد العال (لم يذكر عنوانه) يطلب نشر مختارات من الصحف العالمية .

والسيد صبحى حسين المنياوى ، بمحل الحاج أمين السيد المنسى تاجر منى فاتورة بسوق التجار بالمنصورة يهنىء المجلة ويرغب فى معرفة طريقة الاشتراك فيها ، (وسيجد سيادته ما يشاء من معلومات ضمن البيانات الادارية بهذا العدد) .

والسيد يوسف حامد حسن ، بكلية التجارة ــ جامعة الأسكندرية ــ يقول : ان فكرة المجلة كانت فكرة رائعة وانها لقيت اعجاب زملائه جميعا ويرجو ألا تخرج عن أهدافها (ان شاء الله ... وشكرا) كما بعث بقصيدة شاعرية يحيى بها ثوار الجزائر .

والسيد نجاح البشبيشى المحامى ، ٢٤ شارع الملك الناصر ــ السيدة زينب ــ القاهرة ، يهنئنا ويهنىء الشعوب الافريقية بصدور « نهضة افريقية » ... ويرجو الاهتمام بالخرائط والاحصائيات .

والسيد فيليب رفلة ، مدرس أول الجغرافية بالتوفيقية التانوية بشبرا ــ القاهرة ــ يبعث بتمنياته للمجلة وللشعوب الافريقية الناهضة .

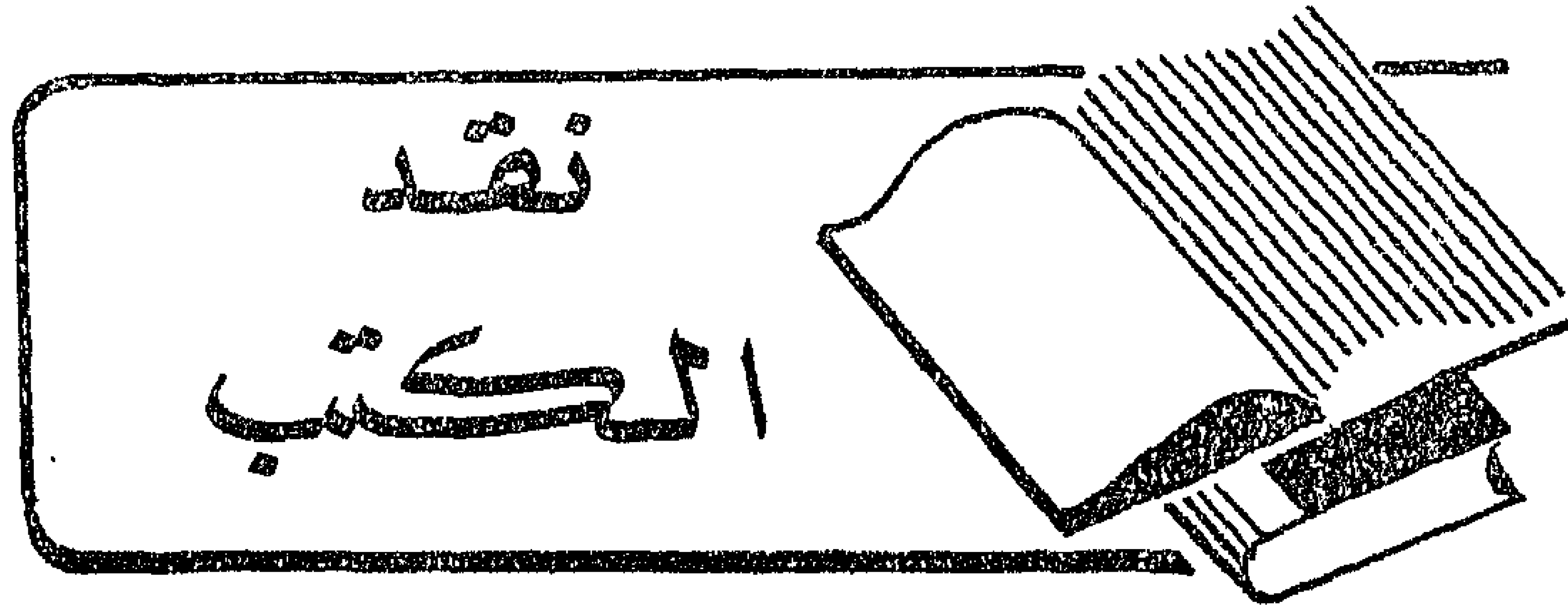
والسيد حسن محمد عبد الله . ساعى بادارة الهجرة والجوازات والجنسيه بالمبنى المجمع بالقاهرة يهنىء بصدور المجلة **ويرجو العمل** لمنع الأفلام الأمريكية التى تسىء الى سمعة افريقية .

والسيد عبد العظيم حسن المواثى عاشور ، وعنوانه : ميت سلسيل ــ مركز المنزلة ــ دقهلية ــ مصر ــ يقترح فتح باب للمراسلة بالمجلة وهو يريد مراسلة أصدقاء من الصومال وسوريا كما يطلب فتح باب لمقترحات القراء ...

والسيد ابراهيم خير الدين ــ ١٣ ــ أ ــ شارع سبيل الخازندار بالعباسية ــ القاهرة ، يبارك المجلة ويطلب اصدار أعداد خاصة عن كل قطر افريقى .

أما السيد « أبو منصور » ، من الشهدا بلدة الشهداء ــ جزيرة الحجر ــ منوفية ــ فقد أتحفنا بتهنئة مشفوعة بقصيدة وطنية من الشعر المنثور أو النثر المنظوم ، منمقة مزركشة بالألوان ، على ورق هفهاف رفراف ... فشكرا له ، ولجميع الاخوان ... والى اللقاء .

المحرر



مستقبل افريقيا السياسى ، تاريخ شعوب القارة الحديث وأوجه التطورات المحتملة تأليف : عبد الغنى عبد الله خلف الله : ٥٠١ صفحة + خريطة افريقيا السياسية اليوم .

التزام مؤسسة المطبوعات الحديثة بالقاهرة ـ مطبعة مصر ، القاهرة سنة ١٩٥٧ .

تناول المؤلف فى هذا الكتاب المشكلات الافريقية فى وضعها الراهن ، وحاول الوصول الى نتائج للتطورات وعرض حلولها ، وهذا المجهود بلاشك فيه اضافة جديدة للمكتبة العربية التى تفتقر لمثل هذه البحوث : وبخاصة فى الآونة الحاضرة التى تتصارع فيها القوى لتثبيت نفوذها وسيطرتها فى صورة أو أخرى من هذه الرقعة أو تلك من القارة الافريقية ، وكان من الضرورى أن تبذل الجهود لتنمية الوعى بين أبناء القاهرة وتبصيرهم حتى لا يؤخذوا على غرة ؛ والكتاب موضوع البحث يعرض ، كما أسلفنا ، المشكلات الافريقية فى مختلف الأقاليم ، وهذا مما لا يتفق مع اسم الكتاب ، الذى لو أريد تحقيق مداوله لتطلب ذلك دراسة منهجية تختلف اختلافا أساسيا عما قام به المؤلف ، وانى لست فى حاجة الى أن أذكر أن التخطيط لكتاب له مثل هذا الرسم يجب أن يشمل فيما يشمل :

(أولا) دراسة انثروبولوجية اجتماعية لمختلف القبائل والمجموعات فى البيئات المتباينة ، والتعرف على نواحى نشاط حياتها اليومية سواء كانت دينية أو اقتصادية الخ الخ ، وابراز المميزات الخاصة لكل مجموعه . وما قد يكون هنالك من عوامل مشتركة تعاون على توحيد الجماعات القبلية فى صف واحد . وذلك فى المدة التى سبقت امتداد النفوذ الأجنبى ودخوله فى هذه الأقطار .

(ثانيا) تحليل معامل التغيير والتطور الذى نتج عن دخول هؤلاء الأجانب وما اتبعوه من سياسة وأساليب فى الحكم وفى الاقتصاديات وفى التبشير .

(ثالثا) دراسة مقارنة لتطور النظم الاجتماعية واتجاهاتها .

ان دراسة من هذا النوع سوف تكشف عن نتائج لها خطرها فى توجيه الشعوب ، والأخذ بيدها وضمان سيرها على الطريق التقدمى السليم الذى يتدرج بها نحو ما هو أسمى ، ويبعدها عن الانحرافات والبلبلة الفكرية والتطاحن الذاتى الذى تعلو فيه مصلحة الفرد أو الحزب على صالح المجموعة ، كما تتضح من هذه الدراسة الخطوط العريضة التى يمكن رسمها للأخذ بيد المجتمعات المتباينة لكى تتكون منها مقومات الدولة العظمى التى تجمع بين مختلف الأقاليم الافريقية ؛ ولهذا كنا نود لو اختار المؤلف اسما لكتابه يتمشى مع ما جاء فعلا فى الكتاب ، ويكون أكثر دقة وتمثيلا لموضوع البحث مثل « عرض لأحوال افريقيا السياسية » أو « بين ربوع افريقيا » أو « فى داخل افريقيا » كما فعل جنثر فى كتابه الذى صدر فى عام ١٩٥٥ ، والذى اعتمد عليه المؤلف اعتمادا مباشرا ، وتناوله بالتغيير والتبديل والتقديم والتأخير ، دون أن يحاول تحقيق ما كتبه جنثر ، وهو ، كما نعلم راوية صحفى ، قام بتحقيق صحفى فى القارة الافريقية ، وقد سبق له أن قام بمثل هذا التحقيق فى الولايات المتحدة ، وأمريكا اللاتينية وآسيا ، وأوروبا ، وتتسم كتابته بالطابع الصحفى ، التى يغلب فيها الطابع الشخصى ، وهذا النوع من الكتابة يتطلب احتراسا شديدا عند الرجوع اليه ، وكتابة جنثر عامة فى طابعها .

أما وقد اتخذ المؤلف من كتاب جنثر GUNTHER مصدرا أساسيا نقل عنه فاننا سوف نقتصر على عرض بعض الأمثلة المقارنة بين الأصل كما جاء فى كتاب جنثر وبين ما ورد فى كتاب المؤلف :

١ — أشار فى المقدمة (ص ٢ و ٣) أن فى أوروبا دولتين افريقيتين قد مدتا سيادة الوطن الأوروبى وكيانه الى أرض افريقيا ، وهما فرنسا والبرتغال . وهذا غير صحيح بالنسبة للبرتغال ؛ أما فرنسا فقد اعتبرت الجزائر جزءا من فرنسا .

٢ — وردت ترجمة الحركات الشعوبية . . . الخ . فى صفحات منها ٣ و ٣٠٠ و ٣١١ و ٣١٢ لكلمة Nationalism التى ذكرها جنثر GUNTHER ، والتى تشير الى القومية .

٣ — جاء فى سياق الحديث عن مراكش فى صفحة ١٥٠ مايشير الى الرحلة بين الخرطوم واسمرة ، وبالرغم من أن هذه العبارة غير صحيحة فهى منقولة عن ص ٢٧ من جنثر GUNTHER فى حديثه عن افريقيا .

٤ — جاء فى حديثه عن السودان فى ص ١٧٦ اشارة الى المادة الثانية من معاهدة سنة ١٩٣٦ ولو كلفه

المؤلف نفسه بالرجوع الى الوثائق لتبين له الصواب ، كما أنه ذكر فى ص ١٨٧ قرار انتخاب جمعية تأسيسية اوضع دستور وانشاء اتحاد فدرالى بين الشمال والجنوب ، فلو رجع المؤلف الى الوثائق لتبينت له الحقيقة .

٥ ـ اسقط المؤلف عرضه للصومال الحر والصومالين البريطانى والفرنسي كما لم يشر الى النشاط العربى فى منطقة زنجبار فى ص ١٩٢ ، ٢٠٠ وكل ماذكره عن الصومال أنه مازال ايطاليا ، كما اسقط مدغشقر والجزائر .

٦ ـ لم يوضح المؤلف المراجع التى اعتمد عليها فى الهوامش لكل صفحة ليعين الباحث فى الاستزادة .

ونذكر على سبيل المثال فيما يختص بالترجمة الحرفية مع بعض التصرف ما جاء فى ص (٣٠٢) وما بعدها عن السياسة الفرنسية فى افريقيا السوداء فهو منقول عن جنثر مع بعض الحذف والتقديم والتأخير فى صفحات جنثر ٦٨٥ ، ٦٨٦ ، ٦٨٧ .

وما جاء فى الصفحة ٣٠٥ عن افريقيا الغربية البريطانية من صفحات جنثر ٧٢٠ ، ٧٢١ .

وما جاء فى الصفحة ٣٠٩ ، ٣١٠ عن سيراليون ص ٧٢٧ ، ٧٢٨ ، ٧٢٩ وما جاء فى الصفحة ٣١٠ ، ٣١١ عن جامبيا ص ٧٢٩ .

وما جاء فى الصفحة ٣٤١ وما بعدها عن جمهورية ليبيريا من الصفحات بالترتيب . كما جاء فى نص المؤلف . (جنثر ٨٣٣ ، ٨٣٩ ، ٨٣٣ ، ٨٣٩ ، ٨٤٠ ، ٨٣٣ ، ٨٣١ ، ٨٣٣ ، ٨٣٢ ، ٨٤٠ ، ٨٤١ ، ٨٤٢ ، ٨٤٠ ، ٨٤٦ . ٨٤٧ ، ٨٤٨ ، ٨٤٢ ، ٨٣٠ ، ٨٢٨ ، ٨٢٩ ، ٨٣٠) .

الخريطة :

ان الخريطة التى ضمنها المؤلف كتابه هى خريطة واحدة لافريقيا فى حجم الكتاب على حين كان من المفروض أن تكون هنالك خرائط تفصيلية للمناطق فى مواضعها من الكتاب كما فعل جنثر ويفعل غيره ، وحتى هذه الخريطة الوحيدة لم تجد العناية الكافية للأسباب الآتية :

١ ـ الحدود خطأ فى مناطق كثيرة : اريتريا كجزء من السودان فى حين أنها جزء من أثيوبيا ، والأنهار غير واضحة .

٢ ـ الصومال الايطالى ، ولقد انتهى الاستعمار الايطالى وصار الصومال فقط .

٣ ـ الكونغو وأوغندا ليس بينهما حدود .

٤ ـ أثيوبيا ورد ذكرها فى الخريطة والمتن « الحبشة » وهو الاسم غير الرسمى .

٥ ـ ليبريا (غانة) وهذا غير صحيح لأن ليبريا جمهورية مستقلة .

٦ — مصر وحدود سينا وقناة السويس غير موضحة .

٧ — تظليل المحيط جنوبى خط الاستواء ليس له مبرر .

أمثلة لبعض الأخطاء فى الترجمة :

رقم الصفحة	ماورد فى الكتاب	صحته
صفحة ٩٥	أساب	عصب
	ماسوه	مصوع
صفحة ٩٦	جوهانس	يوحنا
	أوكيالى	أوتشيالى
صفحة ٣٠٤	نظام الاسيميلادو	(الاندماج) assimilation
صفحة ٣١٠	الكريوليون	هم جماعة من أصل أسبانى ولدوا خارج الوطن

وجاء فى مقدمة البحث صفحة (١) عن معهد الدراسات الافريقية : « أن دراساته لا تتعدى حدود الترجمة من اللغات الأوروبية » . وفى صفحة (١٩٠) : « وحتى معهد الدراسات الافريقية فى جامعة القاهرة قصرت جهوده عن الانتاج فى ميدان هذه الدراسات التى تسمى باسمها ، فلم تساير هذه الدراسات النهضة العلمية التربوية فى مصر من يوليو سنه ١٩٥٢ حتى اليوم » .

واننا نأسف ان يتعرض الأستاذ خلف الله لمعهد الدراسات الافريقيه . وهو كما يبدو من تأليفه لا توجد لديه فكرة صحيحة عن المعهد وما يقوم به من دراسات ؛ أما اتهامه القائمين عليه بأن نشاطهم قائم على الترجمة فمن المرجح أن يرجع عنه لو زار مرة مكتبة المعهد واطلع على ما فيها من أبحاث قام بها المتخرجون — من دراسات مباشرة للبيئة .

ونرجو أن تجد هذه الملاحظات الأولية عناية من المؤلف فى الطبعة الثانية لمؤلفه ، ونكرر التقدير لمجهوده .

أ . ب . ع

كتب حديثة عن إفريقية

بقلم الدكتور عبد الرحمن زكي

١ ـ أفريقيا اليوم :

Africa to-day. Edited by Grove Haines. The Johns Hopkins Press

أشرف على تأليفه جروف هاينز ، واشترك معه جماعة من كبار الخبراء والعلماء المتصلين بالشئون الافريقية . منهم سير فيليب ميتشل حاكم كينيا السابق وأمير البحر ريتشار كونوللى رئيس جامعة لونج أيلاند وكوفى بوسيا من جامعة ساحل الذهب وغيرهم . وقد تمت بحوثهم فى معهد الدراسات الدولية فى واشنطون .

ومن أهم فصول الكتاب :

الحقل الثقافى الافريقى ـ الأهمية الاستراتيجية لافريقية ـ المسيحية والاسلام فى افريقيا ـ مخاوف وتهديدات فى جنوب افريقيا ـ تحدى الشيوعيه فى افريقيا ـ ساحل الذهب (غانة) ونيجيريا فى طريق الحكم الذاتى ـ امكانيات افريقيا الاقتصادية ـ المشروعات الاقتصادية فى افريقيا ـ الولايات المتحدة وافريقيا ـ حركة البعث فى كينيا ، وغيرها من الفصول .

ومعظم تلك البحوث كتبت من ناحية جهة النظر الأمريكية .

٢ ـ افريقيا : دراسه

فى تطور البلاد الحارة لدادلى ستامب

Africa : A Study in Tropical Development. Dudley Stamp. John Wilcy & Sons. N.y.

مؤلف هذا الكتاب حاصل على درجتى الدكتوراه فى العلوم وفى الآداب من جامعة لندن . وهو من مشاهير الجغرافيين فى العالم . ويقوم الآن بوظيفة أستاذ البحوث فى الجغرافيا الاجتماعية بجامعة لندن . وقد شغل كرسى الأستاذية فى الجيولوجيا والجغرافيا عدة اعوام فى جامعة رانجون . وقد كان مستشارا للحكومة البريطانية أثناء الحرب العالمية الثانية فى المشكلات المتعلقة بالأراضى الزراعية ومنتجات التغذية . ولذلك فقد طاف معظم أنحاء العالم دارسا منقبا فاحصا . وكتب عشرات التقارير والبحوث العلمية الممتازة . ومن أجل تلك الدراسات الهامة منحته الجمعية الجغرافية الأمريكية ميداليتها

الذهبية فى عام ١٩٥١ . ولذلك يعد كتابه أنموذجا للبحث المنظم الذى يتصل بطرق الانتفاع الصحيحة من أنواع الأراضى المختلفة فى أفريقيا السوداء .

٣ ــ افريقيا فى العالم الحديث :

Africa in the Modern World. Edited by Calvin W. Stillmam.

اشترك فى كتابته ستة عشر من العلماء تحت اشراف كالفن ستيل مان الأستاذ المساعد للعلوم الاجتماعية فى جامعة شيكاغو .

ينقسم الكتاب الى ثلاثة أقسام : تعريف ، وتحليل ، ونتائج .

كتب فصول القسم الأول لورد هيلى وهارى رودين ودروين هويتسلى وغيرهم .

وتشتمل تلك الفصول على :

١ ــ تسلط الأضواء على افريقيا .

٢ ــ تاريخ العلاقات الأوروبية بأفريقيا .

٣ ــ موارد وأقطار أفريقيا .

٤ ــ التغيرات والمشكلات الاجتماعية فى افريقيا السوداء .

٥ ــ أثر الاستعمار على الأشكال والشخصيات الاجتماعية فى افريقيا .

٦ ــ التطور الاقتصادى فى افريقيا .

وتشمل فصول القسم الثانى على البحوث الآتية :

١ ــ الديموقراطية السياسية فى ساحل الذهب (غانة) .

٢ ــ التطور السياسى فى افريقيا الغربية الفرنسية .

٣ ــ التطور السياسى فى شرق افريقيا .

٤ ــ مستعمرات ايطاليا السابقة واثيوبيا .

٥ ــ الكونغو البلچيكى والولايات المتحدة : سياسيات وعلاقات .

٦ ــ موزمبيق .

٧ ــ البناء الاقتصادى المتطور فى اتحاد جنوب افريقيا .

وتحتوى فصول القسم الثالث على الدراسات الآتية :

١ ــ بعض التطورات المعاصرة فى افريقيا الصحراوية .

٢ ــ نهوض افريقيا فى السياسة العالمية .

٣ ــ سياسة الولايات المتحدة نحو افريقيا .

وفى رأيى أنه لا ينبغى تجاهل الآراء الواردة فى فصول هذا الكتاب ، ويمكن مراجعة بعضها فى ضوء البعث الافريقى الجديد وامكانيات مصر فى بعض الحقول .

٤ ــ مقدمة فى تاريخ غرب افريقيا :

An Introduction to the History of West Africa. J. D. Fage.

للأستاذ فيج ــ مطبعة جامعة كامبريدج

مؤلف الكتاب هو المحاضر الأول للتاريخ فى كلية غانة الجامعية .

وبالرغم من صغر حجم هذا الكتاب فهو يحتوى على فصول طيبة فى تاريخ غرب افريقيا . وهو يوضح أثر شمال افريقيا على حضارة تلك البقاع الفسيحة فى أعقاب نشر الاسلام . كما أنه يبين ما كان للتعليم الأوروبى والأمريكى من آثار فى تطوير عقليات أبناء البلاد .

٥ ــ الاضطراب الافريقى :

African Turmoil. ايان ماكدوجال . Ian Mc Dougall. Elek Books.

مؤلف هذا الكتاب كاتب وصحفى . بحث فى مؤلفه عن سياسة الدول الأوروبية نحو مستعمراتها الافريقية التى بدأت تخرج الى مجال الحرية والتقدم . وقد سجل المؤلف آراءه ومشاهداته بقلم فنان وانسان بحذق ومهارة رائعة تجعل كتابه متعة للقارىء .

وقد حاول أن ينقل الينا « جو » الأماكن التى زارها وعادات وتقاليد أهلها ومحاولاتهم الجدية فى سبيل مشاركتهم العالم المتحضر لكى يؤدوا ماسوف يلقى عليهم من تبعات هامة فى مستقبل أوطانهم .

٦ ــ البلاد والناس فى نيجيريا :

Land and People in Nigeria. K. M. Buchanan and J. C. Pugh. University of London Press.

مطبعة جامعة لندن . لبوكانان وبوج خير عرض لجغرافية الأقاليم النيجيرية وجيولوجية أراضيها واحوال مناخها ووصف الأجناس المختلفة السكان واقتصادهم الزراعى والصناعى وما يتصل بوسائل النقل المنوعة . وقد اتبع المؤلفان فى كتابهما منهجا علميا ممتازا يسير على هديه الباحثون فى مثل هذه الشئون . ولا يمكن الاستغناء عن الكتاب اذا أراد أحد رسوخ معرفته عن نيجيريا وشعبها وأرضها .

٧ ــ ثورة ساحل الذهب (غانة) :

The Gold Coast جورج بادمور Revolution. George Padmore. Dobson

مؤلف هذا الكتاب زنجى حفيد أحد العبيد الكادحين فى مزارع جزيرة باربادوس . وكان والده من علماء علم النبات المتازين وعضو عدة جمعيات علمية . وقد ولد بادمور هذا فى جزيرة ترنداد حيث كان يعمل والده فى ادارة التربية ، وتلقى علومه فى الولايات المتحدة ، ودرس العلوم السياسية والتاريخية فى جامعة فيسك ، كما درس القانون فى جامعة هوارد ، ولكنه لم يشتغل فى القضاء ولجأ الى السياسة والصحافة حيث تألق نجمه وبرز اسمه بين المشتغلين بالمسائل الافريقية ومشكلات العمال .

وقد طاف كثيرا من البلدان الافريقية ، وتعرف على أحوالها ، وقابل واختلط مع الزعماء وكتب كثيرا

وحطب أكثر . وهكذا أصبح من الخبراء الممتازين فى شئون افريقيا المتصلة بالاستعمار . ولكتاباته اثر كبير على توجيه معظم المثقفين فى الشبيبة الافريقية . وهو مؤلف الكتاب المعروف :

« افريقيا : امبراطورية بريطانيا الثالثة » .. الذى لقى رواجا كبيرا منذ سنوات ... الخ .

ويعرض بادمور فى كتابه هذا مراحل الثورة فى ساحل الذهب (غانة) ونضال شعبها الواعى فى سبيل التخلص من العبودية ونيل الحرية والاستقلال .

٨ ــ قلب افريقيا :

The Heart of Africa. Alexander Campbell. "Longman's" الكسندر كامبل

عرض صريح وموضوعى لأحداث افريقية وغليان شعوبها فى سبيل خلاصها من الاستعمار .

٩ ــ فى داخل افريقيا :

Inside Africa. John Gunther. "Hamish Hamilton" چون جونثر

مؤلف هذا الكتاب هو الصحفى والكاتب الممتاز الذى كتب عدة مؤلفات منذ سنوات ، اهمها فى داخل أوربا وفى داخل آسيا ... الخ .

وأسلوبه طريف وعرضه اكثر طرافة ... ولذلك يمكن ان نصف كتابه هذا بأنه دائرة معارف افريقية طريفة بالرغم مما اشتمل عليه من « الأبر » التى تخز ولا تسبب ضررا ...

وقد ترجم اخيرا قسم من هذا الكتاب الى اللغة العربية .

١٠ ــ تقرير عن افريقيا :

Report on Africa. Oden Meeker. New York. أودين ميكر

كتاب خفيف الروح . يصف فيه أودين رحلاته فى غرب افريقيا (افريقيا الفرنسية وداهومى وليبيريا ونيجيريا وغانة) ــ وفى الكونغو البلچيكى ورواندا أورندى ، وافريقيا الاستوائية ــ وفى المستعمرات البرتغالية والاسبانية ــ وفى اتحاد جنوب افريقيا . وموزمبيق ــ وفى افريقيا الشرقية (كينيا وأوغندة وايثيوبيا وتانجانيقا وزنجبار) .

يجد فيه القارىء تسلية ومعلومات طريفة تمهد الى الاطلاع العميق ، والبحث المفيد .

herself of colonial yoke, the Union Government tightens its rein of apartheidism and segregation against the non-whites in South Africa.

According to apartheidism, the Africans, the coloured and the Asiatics are barred from civil rights as well as such rights that contribute to their social and economic welfare. The blacks for example are taught to read and write only and higher education is a dream of the ambitious.

Constitutionally, the blacks in S. Africa own not a square foot of land. The land belongs to the whites. If a European desires a piece of land occupied by an African, he just gets it and that is that.

Whiteman's supremacy is even demonstrated in church's affairs. No devout man of religion (excluding those in South Africa) could believe that the Africans and the whites there go to different services, if not churches. A liberal priest out of South Africa relates the following shameful and painful story: a conference, of the religious leaders in South Africa, was held in a church in Cape Town. During the proceedings, the whites occupied the left benches while the blacks occupied the right benches. Opening his address, an African Bishop from Freetown asked: "Should Jesus Christ now descend among us; on which side would he sit?"

The fact is that the black man in Africa and particularly in the Union of South Africa is now equipped with X-ray eyes, a necessary step in the path of African national self-assertion, and his final freedom as an equal partner with other world races in shouldering international responsibilities.

Marino Modi

The Uncivilizing Mission of Europeans in Africa

Through their imperialistic and colonial philosophies, both religious and non-religious, the Europeans often boast of their coming into Africa as being a "civilizing mission". Throughout nearly all the European literature on Africa, there is that tingling knock that they have brought into the "primitive museum of Africa". Learning, Christian culture, civilization uprooted primitiveness and witchcraft. Under this cloak, the Europeans robbed the African spirit, stole his soil and natural wealths and debased his human dignity. Facts such as exist in South Africa can only convince one that the mission the Europeans made into Africa in the name of civilization and more so in the name of Christ is a mission of destruction and decivilization. Europeans, both missionaries and adventures and fortune seekers have always applied such noxious principles as those advanced by a famous French philosopher. He said in defence of slavery that the Europeans had an acquired right to enslave the Africans. He justified his assertion that since the Red Indians were already annihilated in America, the alternative was to enslave the Africans to supply the farm-labour force. Concluding, he reaffirmed his opinion by declaring that the Africans are but black elements from head to toe and one cannot believe that God Almighty could endow the good soul on such dark black bodies. Such thinking has alway framed the code of relationship between the Europeans in Africa & the Africans.

But Africa today is a continent where something dramatic, even tragic is always happening. The Union of South Africa is the centre of this burning barrel. The awakening of African nationalism and economic awareness present problems and engage the attention of all nations in the world today. Criticized openly, the Europeans however continue to close their eyes to the facts of the second half of the 20th century. What will be the final end of the apartheid policy in South Africa is one of the many questions that engage the world's public opinion. The answer of course is obvious. Since the Europeans do not want to recognize the Africans, a turn is at hand when the Africans too, will close their eyes to the Europeans.

As many a state in Africa rids

Patria unica, libera e degna di rispetto.

Per raggiungere questa meta è necessario un risorgimento del sentimento patriottico, una istruzione nazionale per il nostro popolo, un riordinamento delle file dei nostri giovani, e sopratutto una forte opposizione ai partigiani del colonialismo che ancora sono sparsi fra noi.

Dite ciò nei vostri discorsi, nelle riunioni, nelle moschee ed in qualsiasi altro luogo possiate radunarvi con i vostri connazionali.

O genti somale, risvegliatevi e proclamate la lotta contro il colonialismo che mira ad annientarvi per godere le ricchezze ed il benessere del vostro paese. Non fidatevi degli imperialisti nè dei loro accordi o dei loro patti, perchè essi non considerano nessun ideale e non conoscono l'onore. Fin dall'antichità essi furono predoni e corsari e cercano di ottenere la loro preda anche con le uccisioni e seminando il male e la discordia.

Osservate quale lotta potente hanno sostenuto i popoli oppressi dalla schiavitù e dal colonialismo. Alcuni di questi popoli hanno possibilità minori delle vostre, sono meno forti di voi, e nonostante ciò non si sono astenuti dal proclamare la loro lotta.

Organizzate le riunioni nelle città e nei villaggi, distribuite i manifesti, risvegliate il popolo! Questo è il vostro dovere e voi lo conoscete molto bene. Iniziate dunque, la lotta contro l'imperialismo ingiusto e distruttore!

Iddio ci protegge e ci aiuterà nel conseguimento della vittoria!

Mohamed Hussein Hamoud
Capo del Partito
"Unione della gioventù somala"

riaccendere in voi l'entusiasmo e convincervi dei vostri giusti diritti, e cosí potremo diventare una nazione di primo piano come lo eravamo già nel passato. Con l'aiuto di Dio e attraverso la lotta da noi sostenuta, possiamo raggiungere la meta tanto agognata con la concordia, la fede, il sacrificio ed il progresso politico.

Quando voi siete in solitudine e riflettete un momento sui problemi della nostra Patria, arriverete a questa soluzione importante: soltanto una vita dignitosa, scevra da ogni colonialismo, pura da ogni ambizione, è degna di essere vissuta; una vita che dia alla Patria un degno posto fra le nazioni, tenendo sempre alta la propria bandiera.

La mano di un bambino potrebbe esser capace di spezzare una canna, ma neanche gli atleti potrebbero rompere un fascio di queste canne e nemmeno piegarlo. Come mai diviene cosí forte e compatto un elemento tanto delicato e facile a spezzarsi? È appunto l'unione e la compattezza che fa la forza di resistere a tutte le pressioni.

Gl'ingiusti colonialisti sono deboli nonostante la loro forza apparente perchè Iddio non difende l'ingiusto contro l'innocente, nè protegge l'usurpazione ai danni della giustizia. Iddio benedice la vostra santa lotta per la Patria, e vi sarà sempre accanto perchè Egli stesso ci ha ordinato, nelle sacre scritture, di amare la Patria, di operare per la sua esistenza e di sacrificarsi per la sua libertà.

Perchè, dunque, vi allontanate dalla realtà? E qual 'é il motivo per cui vivete cosí in discordia divenendo facile preda dei lupi? Perchè tardate a riordinare le vostre file e a proclamare al mondo intero la vostra lotta?

Badate che vita ed umiltà sono concetti che non possono andare d'accordo perchè la vita nella libertà dell'inferno è assai preferibile ad una vita nel paradiso dell'umiltà e della schiavitù.

La lotta avente per scopo l'unità e la libertà della Patria, è una lotta sacra e perfetta. Unità e libertà sono due concetti che non si possono scindere l'uno dall'altro, anzi ognuno rappresenta la vita dell'altro, e separarli significherebbe eliminarli. Dio stesso li ha cosí creati. Perciò coloro che tendono a farcene ottenere uno solo, mirano a servire segretamente il colonialismo perchè non ha nessun valore ottenere la libertà senza l'unità, o viceversa. Per ottenere entrambe occorre una lotta aspra e continua. Soltanto cosí potremo vivere il resto della nostra vita nel benessere e costruire per le generazioni che verranno una

O Popolo della Somalia: seguite il cammino della lotta.

Voi attraversate oggi delle difficili circostanze ed un periodo decisivo della nostra storia gloriosa. È il periodo in cui deciderete il vostro destino per ottenere una vita dignitosa o affrontare una morte onorevole. Le circostanze che attraversa ora la nostra cara Patria e le tremende difficoltà per la nostra unità nazionale, mi ricordano le fasi per le quali passò l'unità e l'indipendenza dell'Italia.

L'Italia era allora una penisola dai confini ben limitati, ma suddivisa in tanti staterelli governati da diversi principi, come è avvenuto per la Somalia per opera dell'imperialismo.

E dopo che l'Italia subí tutta l'amarezza di questa suddivisione, ogni cittadino italiano incominciò a operare per l'unificazione del suo paese. Si formarono cosí le società segrete ed i movimenti liberali che invocavano l'unità ed agivano per cacciare lo straniero dal loro paese. Gli aderenti a queste società incominciavano a pensare e studiare i mezzi con cui ottenere quel risultato che si raggiunge attraverso una lotta avente dei sublimi obiettivi. L'unità italiana fu opera della gioventú che continuó a lottare ed operare finché l'Italia raggiunse la sua indipendenza e divenne un unico Stato grazie al sacrificio e all'eroismo dei suoi figli migliori. E se non ci fosse stato l'entusiasmo della gioventú italiana e se la loro lotta non avesse continuato per tanti anni, l'unità d'Italia non sarebbe divenuta una realtà.

Possiamo dire che noi Somali ci troviamo nelle stesse condizioni degl'Italiani nel secolo scorso.

La razza, la religione e la lingua ci legano con un legame indissolubile, se tentiamo di scioglierlo sarebbe come tagliare il capo da un corpo o tagliare un corpo in tanti pezzi. Noi Somali abbiamo una meta, un'esistenza ed un interesse comuni, ma non potremo realizzare le nostre aspirazioni prima di liberare il sacro suolo della nostra Patria dai soprusi dei colonialisti che vivono da parassiti e che ci tolgono il nostro pane e ci lasciano nelle tenebre dell'ignoranza, lontani dalla società umana progredita, dalla libertà e dalla maturità politica.

Non sapete forse quale sia lo scopo del colonialismo nel dominare i popoli e sottometterli alla schiavitù? Desidero farvelo ricordare per

NAHDATU IFRIQUIAH

AIMS

1.—Promotion of African National consciousness.

2.—Creating a medium of cooperation between Africans in their respective milieu.

3.—Publishing special and general studies relevant to the African in his vital field of activity.

Subscribers are entitled to :—

1.—Receive — at reduced cost — regular issues of the magazine and its occasional papers.

2.—Profiting by the services of the Relations Committee.

Articles published in this magazine are not necessarily representing the editorial views.

Correspondence :—

Editor :—

NAHDATU IFRIQUIAH

5, Sharia Ahmad Heshmat.

Tel. 807658 *Zamalek — Cairo*

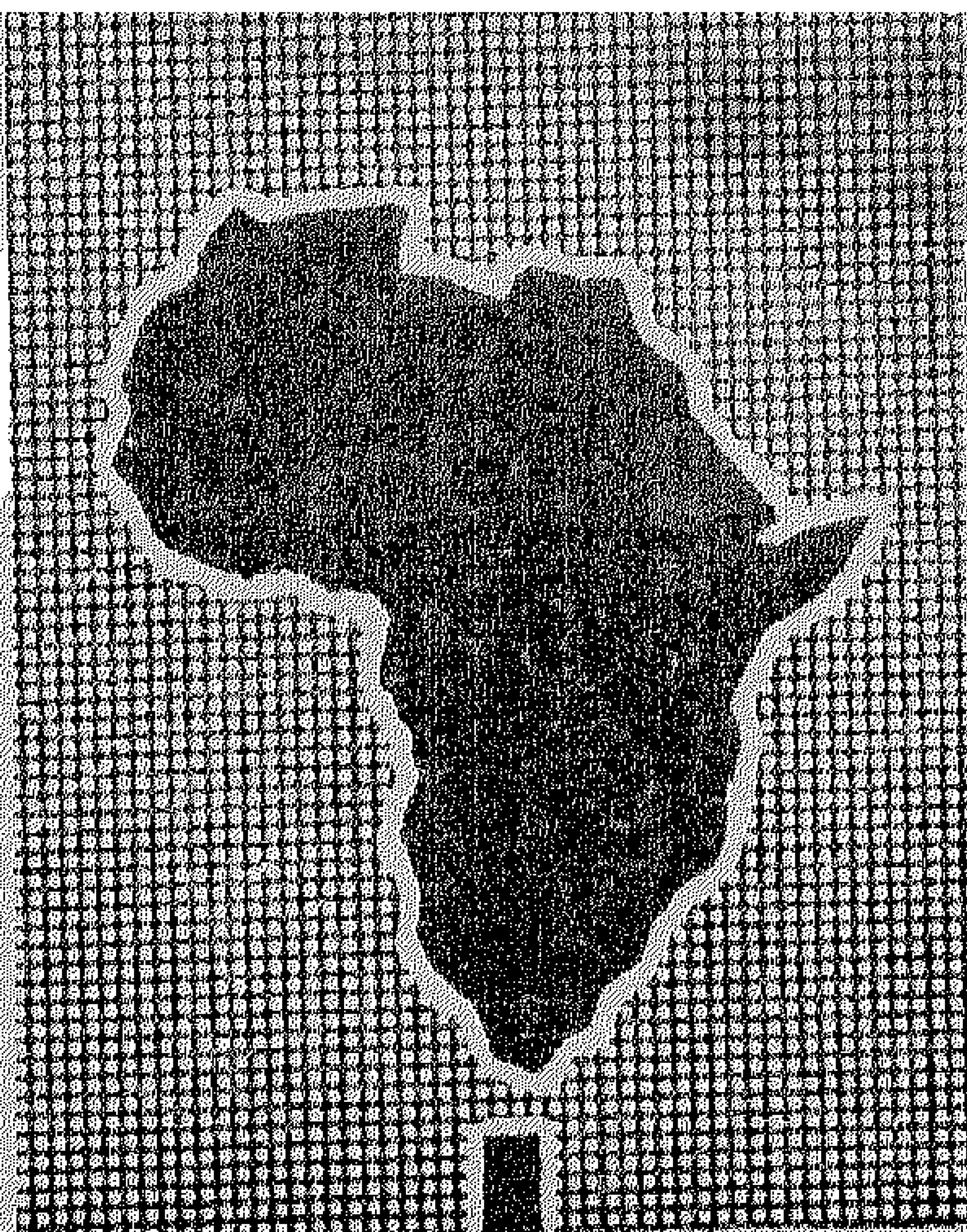
Subscription Rates

	P.T.
Annual subscription for Egypt & Sudan	30



Vol. 1

No. 2 - December 1957



Nahdatu IFRIQUIAH

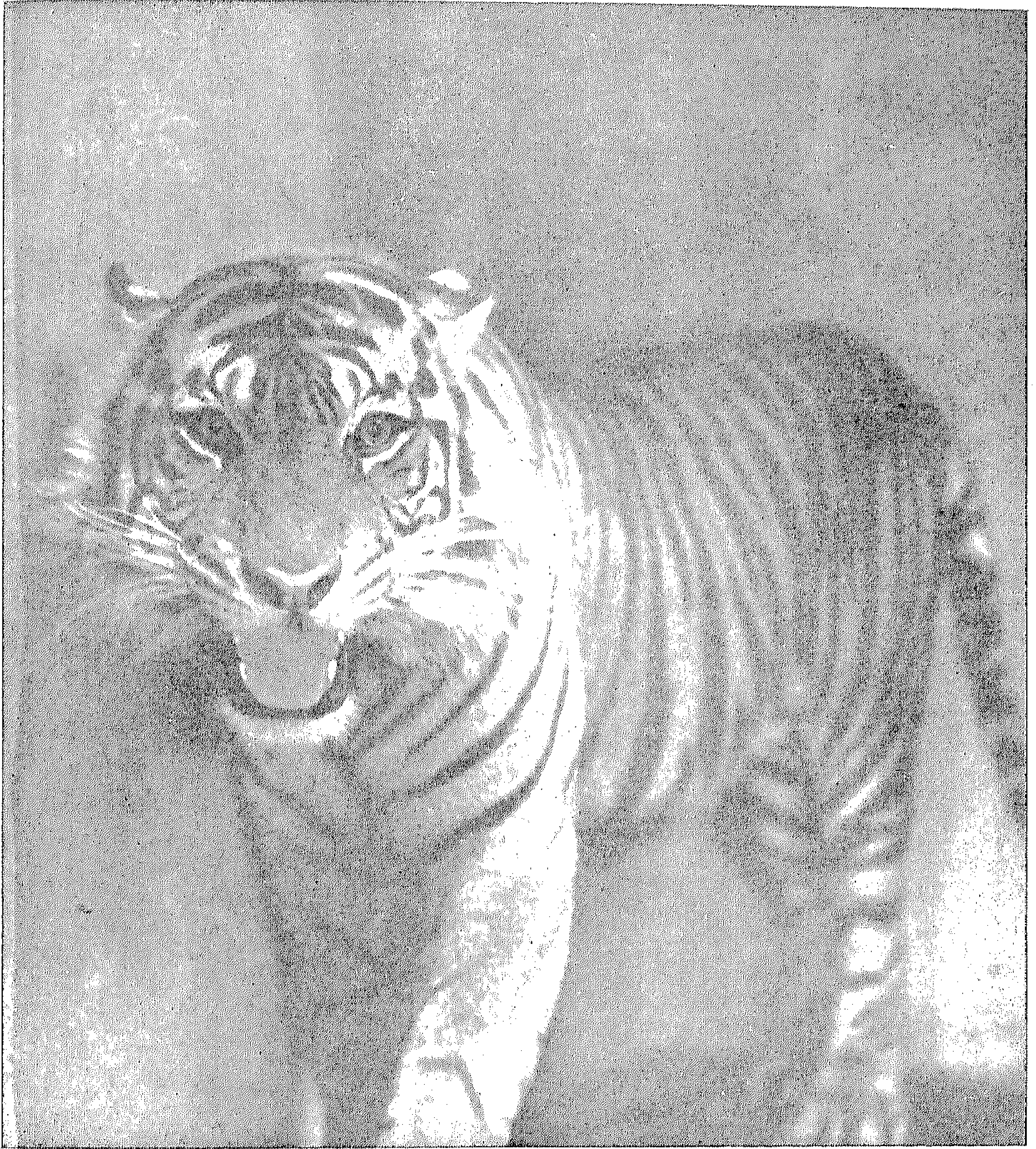
IN THIS ISSUE

السنة الأولى العدد الثالث يناير سنة ١٩٥٨



نهضة أفريقيه

فى هذا العدد



من ملوك الغاب فى افريقية



نهضة أفريقيه

مجلة شهرية للثقافة الإفريقية

رئيس التحرير : محمد عبد العزيز اسحق

محتويات العدد

نهضة افريقية

تهدف هذه المجلة إلى :

١ — تنمية الوعى القومى الإفريقى .

٢ — التعارف بين الإفريقيين فى مختلف بيئاتهم وحياتهم الإقليمية .

٣ — نشر البحوث الخاصة والعامة التى تهم كل إفريقى فى مجاله الحيوى .

وللمشتركين الحق فى :

١ — الحصول على المجلة بانتظام ، وكذلك المطبوعات التى تصدرها المجلة بين وقت وآخر بثمن مخفض .

٢ — الإفادة من خدمة لجنة الاتصال بالمجلة بقدر الإمكان .

● ترحب «مجلة نهضة افريقية» بالمقترحات ، والآراء ، والنقد ، وتعمل على تحقيقها ٠

● ليس من الضرورى أن تكون المقــالات التى تنشر فى هذه المجلة معبرة عن رأيها

ترسل المراســـلات باسم :

السيد رئيس تحرير مجلة نهضة إفريقية

٥ شارع أحمد حشمت — الزمالك — بالقــاهرة

جمهورية مصر

تليفون المجلة ٨٠٧٦٥٨

ترسل قيمة الاشتراك فى المجلة إلى :

دار أخبار اليوم للتوزيع : ٧ شارع الصحافة بالقاهرة

الاشتراك سنوياً : لمصر والسودان

٣٠ قرشـــاً

ثمن العدد

٣ قروش

مطبعة مصر شركة مساهمة مصرية

ثمرات التضامن الافريقي الآسيوي

بقلم الأستاذ محمد عبد العزيز اسحق

مؤتمر القاهرة الأخير الذى ربط بين عام مضى مثقل بالأحداث الضخمة وعام مقبل مفعم بالاحتمالات الجسام ، هذا المؤتمر ، لا يعتبر ظاهرة سياسية تاريخية وحسب ، وانما هو فى الواقع خطوة حضارية ، كانت الى وقت قريب بعيدة المنال .

فمنذ « عصر النهضة الأوربية » كان زمام المبادأة الحضارية فى يد « العالم الغربى » وكان ذلك العالم بفضل ما تيسر له من القوة المادية يبسط نفوذه تدريجيا ، وهو الأقل عددا والأفقر أرضا ، على الأقاليم الواسعة الشاسعة فى العالم القديم والعالم الجديد على السواء .

وطلع القرن العشرون ، وقد تملص أكثر العالم الجديد أو (الأمريكتين) من قبضة أوربا وظلت افريقية وآسيا بما فيهما من مئات الملايين من البشر وبما يعمر أقطارهما من كنوز الطبيعة ميراثا تضمنه المعاهدات الدولية لحفنة من الدول الاستعمارية التى تملك أسلحة القمع والارهاب والتى أتقنت فنون الخداع العقلى والتمويه النفسى والتخدير الشعورى » .

وكان أكبر ضمان لتحكم الاستعمار وبقائه هو تفريق الشعوب وعزلها واقامة العراقيل فى سبيل حرية الانتقال ومنع تبادل الأفكار وكبت وسائل النشر والثقافة ، وعرقلة النشاط الجماعى فى المستعمرات .

واذا ما تحققت أعمال المنع والعزل والشتات ، وأمن الاستعمار أن تظل الكتل البشرية الضخمة مفككة الأوصال موزعة الجهود متباعدة التجارب كان فى ذلك أكبر ضمان للتأخر والفقر والجهالة التى تحيل الأمم والشعوب الى شىء أشبه بقطعان من الأنعام ، وأصبحت حضارة أوربا هى النبراس والمثال الأعلى الذى تتشوف اليه الأقطار المستعبدة والذى يزهو بالانتماء اليه

حاكم طارىء على افريقية كالخديوى اسماعيل حينما تجاهل وضع مصر ونيلها وتربتها من هذه القارة العتيدة المجيدة وأخذ يصيح فى نشوة وهذيان :

« ان بلادى قد أصبحت قطعة من أوروبا ! .

كان هذا هو الأمل الأكبر لأصحاب الحضارة الأوربية من الساسة والقادة و « بناة الأمبراطوريات » .. أن تظل افريقية وآسيا فى حالة المذهول الذى يتطلع فى خدر وفتور الى ما يبهر عينيه من مظاهر الحضارة المادية الميكانيكية الأوربية فى حين تمضى هذه الحضارة وأصحابها فى امتصاص دم الحياة ومقومات التحرر والارتقاء من بلاد تبدو متأخرة ولكن تاريخها قد تشبع بعناصر المدنية ، وكمنت فى «اللاشعور» من أبنائها بذور العزة والكرامة وبراعم التفكير العقلى المنسق والمشاعر الانسانية الدافقة وينابيع الأديان المصفاة العريقة ، ومكارم الأخلاق .

ولقد كانت هذه العناصر والبراعم والينابيع أشبه بالأنهار الجوفية التى لا تبدو لمن يدب على الأرض بقدميه ، ولكنها تصادف الظروف الطبيعية الملائمة فتنبثق وتتدفق ، ماء جاريا ، أو بركانا ثائرا .

وهكذا ظلت الحضارة الأوربية وظل أصحابها غافلين عن تلك الأنهار الجوفية الانسانية الى أن برز من فجاج آسيا وافريقية طليعة الزعماء العظام : جمال الدين الأفغانى — سن يات سن ، أحمد عرابى ، السنوسى الكبير ، عبد الكريم الخطابى ، وحفنة غيرهؤلاء قليلة العدد ولكنها جمرات تتلظى ، وما تلبث أن تحيل الجو حولها إلى لهب ودخان واذا المستضعفون فى الأرض يتجمعون وتهدر منهم العزائم ، وتتكاثف الأمواج .

وفى أوائل هذا القرن زحفت طليعة من قادة الحرية فى المستعمرات الى عرين الاستعمار اذ انعقد فى لندن (عام ١٩١٠) مؤتمر «الشعوب والأجناس المضطهدة» وقوبلت صيحة هذا المؤتمر من لدن أساطين الامبريالية بآذان صماء وبنظرات الاستهانة والازدراء ، وتفرق القادة الأحرار ليعودوا فيعقدوا مؤتمرهم التالى (فى لندن أيضا) عام ١٩١٤ وكانت الحرب العالمية الأولى على الأبواب ، ثم اندلعت نيران الحرب ، وكان وقودها البشرى من أبناء المستعمرات فتوافد القادة الأحرار مرة أخرى من انحاء الأقطار المغلوبة على أمرها ، واجتمعوا (عام ١٩١٦) فى لوزان وأصدروا قراراتهم بادانة الاستعمار ودعوة أقطاب الدول العظمى الى العودة الى السلوك الانسانى واطلاق سراح الشعوب المستعبدة .. وكانت تلك القرارات ، فى نظر الدول العظمى ، مجرد صيحات تصدر من اناس « متهوسين » أو « متطرفين » أو ضالين عن طريق العقل والصواب ..

وتوالت بعد ذلك المؤتمرات ، وتوالت الحروب ، ولم يغير كل ذلك من اصرار الدول العظمى على أداء « رسالة الرجل الأبيض » فى المستعمرات الى أن جاءت الحرب الكبرى الأخيرة ، وأسفر التطاحن فيها عن شدوخ فى بنيان الاستعمار والحضارة الأوربية المتهالكة . شدوخ كانت بمثابة الفجوات الأرضية المواتية التى تدفقت منها «أنهار القومية» فى آسيا وافريقية ، وزحفت فى مثل « سيل العرم » الى مؤتمر باندونج التاريخى العظيم ..

وفى باندونج تبلورت آسيا الفتية ، وافريقية الناهضة ، وأظهرتا للعالم ملامحهما المتميزة ، ملامحهما الحضارية الانسانية العريقة التى أينعت على مر الدهور فوق الهضاب الشامخة ، وفى وديان الأنهار الأصيلة الخصيبة ، وفى الجزر المتناثرة الشاعرية الجميلة ، وكان التضاد ناطقا صارخا بين تلك الملامح النبيلة الوديعة ، وبين الملامح الاستعمارية التقليدية المأثورة : الملامح « التشرشلية » و « الديجولية » و « الهتلرية » و « الموسولينية » .. وتوالت الشدوخ فى عالم الاستعمار ، وتوالى تدفق الانهار ، والحضارة الأوربية تتلفت فى فزع ورهبة ، وأصحابها يأتمرون ويتشاورون ويضعون أصابعهم فى آذانهم ، حتى لا تذهب بعقولهم الواهنة الكليلة صيحات « تقرير المصير » و « التعايش السلمى » .

ومنذ « مؤتمر باندونج » زادت « القومية » تدفقا ، والاستعمار أفولا وانكماشا ، فقد انثلم حده فى تونس ومراكش وغانة والسودان ، وانحسرت أمواجه فى نيجريا ، وضاق عليه الخناق فى الكاميرون وأوغندة وتنجانيقا وأندونيسيا ، واندفعت أمريكا لكى تشد من أزره وتحاول أن تلتهم ما يكاد يفلت من يده ، وأخذت الدول الأوربية الاستعمارية — التى كانت كبرى — تحاول أن تستعيد « زمام المبادأة » الذي أفلت من أيديها المرتعشة ، ووضعت الخطط والمشروعات السياسية والاقتصادية المستحدثة للاحتفاظ « بالممتلكات » والمستعمرات كمشروع «الوحدة الأوربية» ومشروع « السوق الأوربية المشتركة » وبدأت أحلام اليقظة تراود مدمنى الاحتكار والاستغلال من قادة أوربا وأمريكا ، حينما تدفقت وفود الشعوب الافريقية والآسيوية الى مؤتمر القاهرة .

وكانت مصر — وهى تمثل رأس الحربة الافريقية — قد صرعت اخطبوط الاستعمار المتعدد الأذرع منذ شهور خلت ، فجاءت الوفود لترى الدليل المادى الملموس على أن الاستعمار الأوربى قد اندحر الى غير رجعة ، وأن الوطنية المخلصة والقيادة النزيهة الشجاعة قادرة على أن تأتى من الأعمال ما كان يعتبر فيما مضى ، من شطحات الخيال .

لقد انكسرت شوكة الاستعمار ، وتبخرت هيبته فى بور سعيد .

وفى احدى القاعات الفسيحة بمدينة القاهرة ــ التى شهدت ألف عام من حضارة الشرق والغرب والجنوب ــ وقف حكماء من الهند ، وشعراء من الصين، وأبطال من أندونيسيا ، وشباب مثقف متوقد من غانة والكاميرون وكينيا والصومال، وبقية أقطار القارة الناهضة، فعبروا عن آمال الحضارة الانسانية الآسيوية الافريقية العريقة التى تستهدف التعمير والبناء والمؤاخاة والارتقاء واحترام الانسان لأخيه الانسان .

كانت خطب الوفود جميعها تؤدى الى هذه الأهداف ، وتحاول أن تعبد الطريق الى عالم تزول منه المؤامرات الدولية ، وتثبت فيه حقوق الشعوب فى تقرير مصيرها ، وتنمحى منه الأحلاف العسكرية التى تهدد السلام العالمى ، وتحرم فيه استخدام « الأسلحة النووية » ، وهى أسلحة الفناء بالجملة ، وتلغى منه تلك القوانين الهمجية الوحشية ، ونعنى بها قوانين التفرقة العنصرية .

ولقد كان المؤتمر مجالا لعرض مشكلات كل اقليم على حدة ، وتنوع أساليب الاستعمار بتنوع الأقاليم فقد عرض الوفد الكورى ، مثلا كيف شطر الاستعمار الغربى كوريا الى شطرين وكيف ثبت المستعمرون أقدامهم فى الشطر الجنوبى منها ، وأتلفوا نظامه الاقتصادى التقليدى ، وتفاقمت أزمة البطالة ، حتى زاد عدد المتعطلين من العمال على ثلاثة ملايين ..

وتحدث وفد « تشاد » فوصف كيف مزقت فرنسا هذا الاقليم الموحد الذى يسمى أحيانا « أفريقية الاستوائية » الى أربعة أقسام ، بعد أن ظل حتى عام ١٩٥٥ وحدة سياسية واقتصادية متماسكة ... واستمر عرض مشكلات « التمزيق على يد الاستعمار فى الصومال والكاميرون ، وتوجو وأندونيسيا وفيتنام .

وعرضت « مشكلة الأحلاف العسكرية » فقال متحدث باسم شعب العراق ان حلف بغداد كان محاولة لعزل العراق عن الأقطار العربية ، وعن تيار حركات التحرير فى آسيا وافريقية .

ولكن هذا الاتجاه لقى مقاومة من شعب العراق ، فأصبح الحلف أداة لاستعباد الشعب، واستمرار الأوضاع الفاسدة ، وحماية المصالح الأجنبية ، اذ أن لجان حلف بغداد هى التى توجه السياسة الحكومية فى العراق اليوم . وقد أصبح هذا الحلف كذلك أداة لعزل العراق عن مساعى الأمة العربية لحل المشكلات التى تواجهها ، وعلى رأسها قضية فلسطين ..

ووقف رئيس وفد لبنان ، فأيد اتجاه زميله العراقى ، وأكد أن الشعب اللبنانى يقاوم فكرة الأحلاف ، وكل

تدخل أجنبى فى شئون أى شعب من شعوب آسيا وافريقيـــة ، ويتضامن تضامنا صادقا مع كل حركة تحررية شعبية فى هاتين القارتين ، ويرى ـ أى الشعب اللبنانى ـ أن أولى الوسائل لابعاد شبح الحرب هو نبذ الأحلاف لأنها استعداء دولة على أخرى ، وهذا ممـــا يثـــير الأحقـــاد ، ويهيىء للشر والاجرام ..

أما وفد الأردن فقد عرض لأحدث مظهر من مظاهر الاستعمار الحديث ، وهو ما يسمى « مبدأ أيزنهاور » ..

لقد وصف المتحدث الأردنى كيف ناضل الشعب فىالأردن ضد الاستعمار البريطانى والرجعية الأردنيـــة ، حتى انتصر وأقـــام دولة تؤمن بالتحـــرر والحيـــاد ، وبالتعايش السلمى ... « ولم تمض سوى أيام حتى فاجأتنـــا امريكا بمشروعها الاستعمارى الجديد « مبدأ ايزنهاور » باسم حمايتنا من خطر وهمىلم نره ولمنلمسه، فأطاحت أمريكا باســـتقلالنا وبكل ما حققنـــاه واضطهد شعبنا ، وزالت من وطننـــا جميع معالم الحرية والديمقراطيـــة ، وشردنا من بلادنا ... وها هو وفدنا بينكم بجميـــع أعضائه : وزراء ونواب العهـــد الوطنى وممثلى الأحـــزاب والنقـــابات والهيئـــات الشـــعبية من المطاردين الذين نزعت عنهم صـــفاتهم النيابية ، بفضل الحكم القائم فى الأردن الآن فى ظل « مبـــدأ أيزنهاور » ...

وقد كان من أخطر المشكلات التى عرض لها المؤتمر ، الى جانب المشكلات الاستعمارية البحتة ، مشكلة الخطر الذى يهدد الجنس البشرى من جراء الاستمرار فى تجربة الأسلحة النووية (الذرية والهيدروجينية) والتهديد باستخدامها فى الحروب . وكان ممن تناول هذا الأمر متحدث باسم وفـــد اليمن اذ قال : «يجب أن تفهم الشعوب جميعا أن الاستزادة من أسلحةالتدمير ما هى الا سعى حثيث نحو القضـــاء التام على البشرية ، وأن القوى المدمرة التى نسمع عنها اليوم هنا وهنـــاك لا يمكن أن تحقق المثل العليا للجنس البشرى .. » .

وجاء منـــدوب مراكش بتصـــوير لم يكن فى الحسبان عن الحالة فى بلاده بعد الاستقلال .. فقد ذكر المندوب المراكشى «ان فرنسا تحتفظ بمائتىألف جندىفىبلاده ، وأنها تقيم الاستحكامات العسكرية فيها ، وتجعل من مراكش ممرا لجيوش تفتك بشعب شقيق هو الشعب الجزائرى .. ان الفرنسيين يهددون مراكش بهذه الجيوش فى كل حين .. لقد هددوها بتلك الجيوش أثناء خطف الزعماء الجزائريين ، وأثناء الاعتداء الثلاثى على مصر » .

واستطرد لتكملة الصورةمنالناحية الاقتصادية ، فقال «انالاقتصادالمغربى كلـــه فى أيدى الأجانب .. ان المعامل الكبرى والمناجم كلها ملك للأجانب ،

ولا يوجد الى الآن بنك مغربى واحد . ان كل الأراضى الخصبة يملكها الفرنسيون ، وقد تملكوها بطريق الإكراه والاحتيال ، وهم يريدون بقاء الأوضاع كما كانت بل يريدون زيادة ما كان لهم من امتيازات » .

أما من ناحية الأحلاف العسكرية ، فقد قرر المندوب المراكشى « ان أمريكا قد أقامت فى بلاده أضخم قواعد عسكرية فى افريقية ، وأنها تكدس فيها القنابل الذرية » وصور سخط الشعب المراكشى على هذه الأوضاع ، وأكد ان المغرب على وشك انفجار جديد ضد الاسبانيين والفرنسيين والامريكيين ..

وليس من المستطاع ، بالطبع ، فى مثل هذه الالمامة الموجزة أن نحيط بتفاصيل ما دار فى هذا المؤتمر التاريخى ، وقد تناولت الصحافة اليومية تلك التفاصيل بالذات فى حينها ولكننا نجمل أبحاث المؤتمر فى النقاط السياسية والعسكرية والاقتصادية والانسانية التى أشرنا اليها ، بالاضافة الى ما بدا من اهتمام المؤتمرين بالنشاط الاجتماعى ، ووجوب انمائه بين شعوب آسيا وافريقية ، وهذا الاهتمام يبرز الطابع الحضارى الذى اشرنا اليه فى مستهل المقال .

وما كاد المؤتمر يختتم أبحاثه حتى بدا كثير من الخطط ووسائل تحقيق أهدافه فى الظهور والتبلور . وكان من ابرز هذه الوسائل اقتراح عقد سلسلة من « المؤتمرات الفرعية » التى تضم ممثلين لشعوب القارتين فى أوجه النشاط المحدودة المتنوعة ، ومن تلك المؤتمرات المقترحة :

(١) مؤتمر نساء آسيا وافريقية (وقد تقرر عقده بالفعل فى كولومبو عاصمة سيلان فى شهر فبراير المقبل) .

(٢) مؤتمر شباب آسيا وافريقية .

(٣) مؤتمر عمال آسيا وافريقية .

(٤) مؤتمر الأدباء الآسيوى الافريقى .

كما أخذت بعض الهيئات الفنية المصرية فى اعداد خطة لاقامة مهرجان سنوى للفيلم الآسيوى الافريقى .

ولعل أبلغ دلالة على ما تركه هذا المؤتمر التاريخى من أثر عميق فى أقطار آسيا وافريقية عامة وفى مصر ، حيث انعقد على وجه الخصوص أن تتجه وزارة التربية والتعليم المصرية الى استحداث فرع فى برامج المدارس الثانوية والمتوسطة تسميه « برنامج الثقافة السياسية » وأن يتجه العزم الى تدريس « مبادىء باندونج » وقرارات مؤتمر القاهرة ، ضمن مواد ذلك البرنامج ...

وبهذا يتم الاقتناع العقلى بالمثل العليا الحضارية ، التى قطعت شوطا واسعا من مراحلها شعوب آسيا وافريقية .

على هامش المؤتمر :

أحرار آسيا

فى مؤتمر الشعوب الآسيوية الافريقية

قامت الآنسة « ارين عبد السيد » مندوبة مجلة نهضة افريقيا بمقابلة اعضاء الوفود الآسيويين والافريقيين الذين توافدوا ، ليتدارسوا مشكلات القارتين العظيمتين ، وكان من نجوم



مسز تاميد دادج

الشخصيات الآسيوية « مسز تاممينا دادج » التي تشغل وظيفة القاضي في محاكم الأحداث في مدينة حيدر أباد (بالهند) وقد تحدثت الى المندوبة فقالت :

« ان أعضاء هذا المؤتمر يعتبرون انفسهم أسرة سعيدة كبيرة تحاول أن تحل مشكلاتها في الوقت الذى يتصارع فيه الاستعمار والحرية ! »

وتحدثت سيدة جليلة أخرى من



السيدة برمجلا تاجانيا

حيدر أباد هي السيدة « برمجلا تاجاتبان » وهي تعمل في ميدان الخدمات الاجتماعية في بلادها كما تشغل منصب رئيسة الاصلاحيات النسائية فقالت :

« لقد تبين لنا أن مشكلات آسيا وافريقية هي في أساسها متماثلة ، وسوف نجد لها الحلول الناجحة باذن الله ، وآمل أن يزيد التقارب بين شعوب آسيا وافريقية ، وهي الشعوب المحبة للسلام . »

وقابلت المندوبة الدكتور على جابر وهو طبيب وسياسى من وفد لبنان ويرى : أن شعوب القارتين تحتاج الى المزيد من الجهاد والنضال القومي في



الدكتور على جابر مندوب وفد لبنان

سبيل الحرية . . ويأمل أن تحتفل الوفود فى المؤتمر القادم بنجاح قضية فلسطين وقضية الجزائر .



السيدة ميمنة على جابر
مندوبة وفد لبنان

وكان برفقة الدكتور على جابر زوجه السيدة « ميمنة على جابر » العضو فى اللجنة الثقافية والرئيسة لعدة جمعيات نسائية فى لبنان .

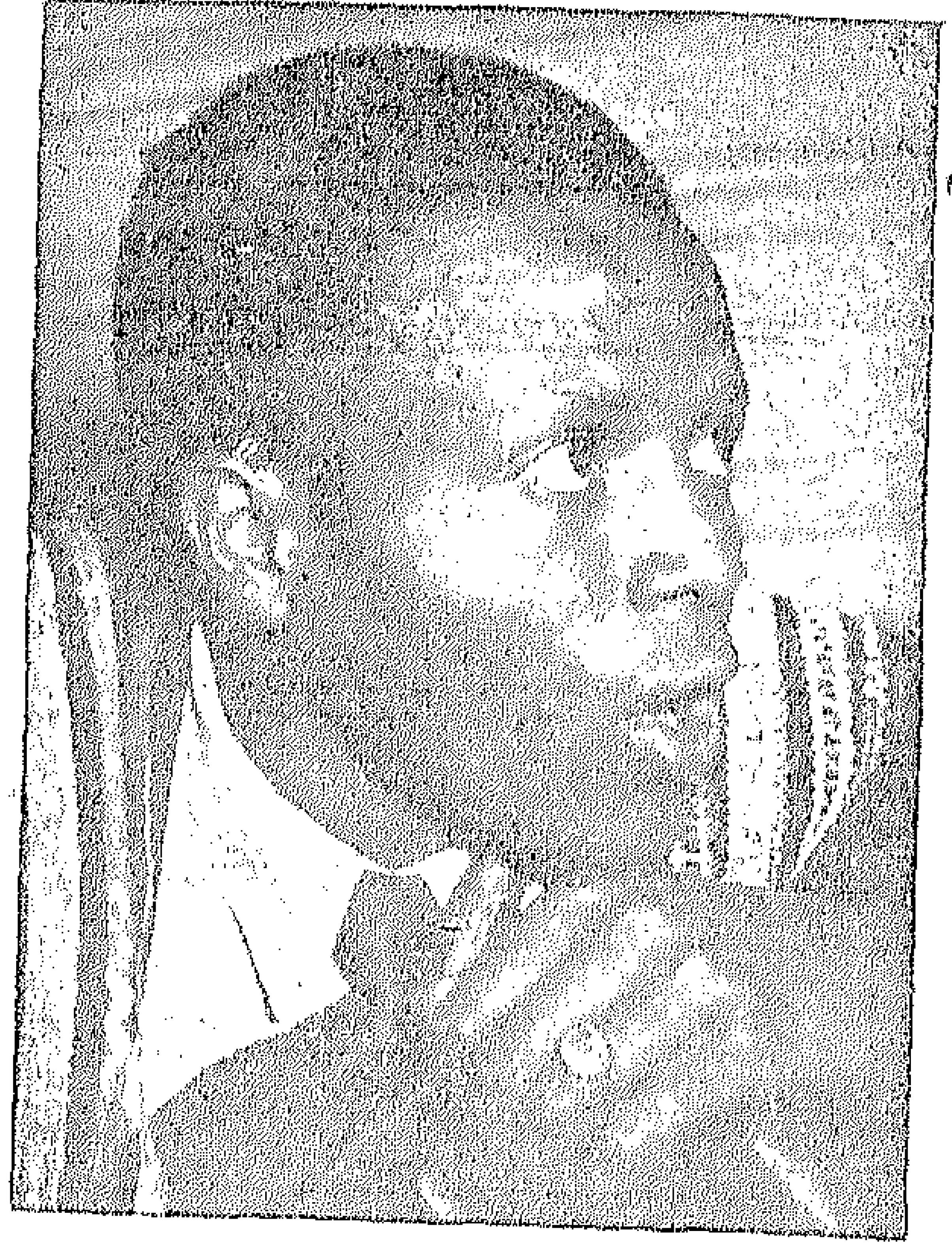


مسز « ايفارا ماويرا » مندوبة سيلان

وكان من بين الشخصيات الآسيوية اللامعة « مس ايفا راما ويرا » وهى صحفية أديبة من سيلان وعضو فى اللجنة الثقافية وقد قالت : ان المؤتمر قد وفق فيما قرره من ضرورة تبادل المطبوعات وثمرات العقول بين الشعوب .

وقد أعجبتها الروح الحماسية التى يتمتع بها الشعب المصرى ، وروحه القومية والتحررية .

وقابلت المندوبة السيد جون كامبودى » رئيس وفد كينيا الذى أعرب عن شعوره بالاغتباط لحضوره الى مصر كما تمنى أن يكون المؤتمر الافريقى الآسيوى هيئة دولية ثابتة تظهر للعالم أجمع مدى تضامن الدول الصغيرة .



السيد «جون كامبودى»
رئيس وفد كينيا

وقد تفضل سيادته فكتب الكلمة الآتية ، تحية لمصر ولرئيس جمهوريتها :

« يطيب لنا أن نبدى تقديرنا لمصر ونطلب من الله أن يشمل شعبها برعايته فاننا لن ننسى الكرم الذى يجل عن الوصف والترحيب الذى أسبغ على المندوبين الافريقيين والآسيويين وعلى جميع المراقبين الذين حضروا المؤتمر الافريقى الآسيوى .

كما أرى لزاما على أن أذكر أنه فى العام الماضى عندما أعلن الرئيس جمال عبد الناصر تأميم شركة قناة السويس أضرب جميع الافريقيين فى كينيا عن العمل وذلك اعرابا عن تأييدهم للرئيس جمال عبد الناصر وحركة التأميم . وكانوا جميعا ينادون بحياة مصر وحياة جمال حامى افريقيا .

وقد أراد المستعمرون البريطانيون أن يقاوموا هذه المظاهرة السياسية ولكن جميع محاولاتهم باءت بالفشل التام . فقناة السويس بنيت بأيد مصرية وكثير من المصريين لقوا حتفهم أثناء قيامهم بشقها وزيادة على ذلك فالقناة تمر بأراض مصرية . وهذه الحركة سيذكرها التاريخ دائما فهى قد نادت بحق الافريقيين فى استرداد الحرية التى سلبها منهم المستعمرون .

وان جميع الافريقيين فى كينيا ينظرون الى مصر على أنها منقذة كينيا من قوى الاستعمار الآثمة .

عاشت مصر وعاش جمال عبد الناصر رئيس جمهورية مصر وحامى إفريقية والبلاد الآسيوية التى تعانى من ظلم الاستعمار .

رســـائل القراء

نظراً لازدحام مواد هذا العدد بمناسبة مؤتمر التضامن الآسيوى الإفريقى فقد اضطرت المجلة آسفة إلى تأجيل نشر باب رسائل القراء إلى العدد القادم .

كينيا

مركز التحرر فى افريقية الشرقية

بقلم
الدكتور حسين فوزى النجار

كانت ألمانيا أول من نزل الى تلك المنطقة العذراء من قارة افريقية التى عرفت فيما بعد بمستعمرة كينيا . ففى عام ١٨٨٤ نزل مغامر ألمانى يدعى «كارل بيترس» الى زنجبار ، وما لبث أن توغل فى الداخل الى مناطق لم تطأها قدم أوربى من قبل فعقد سلسلة من الاتفاقيات مع زعماء القبائل جعلت النفوذ الالمانى يمتد الى مساحة ستين ألف ميل مربع كانت أساس الامبراطورية الالمانية فى شرق افريقية ، ثم عاد الى ألمانيا ليؤسس « شركة افريقية الشرقية الالمانية » وأعلن بسمارك حماية الحكومة للشركة بالرغم من توجسه وحذره من مشروع بيترس فى البداية .

وهال بريطانيا أن تتوغل ألمانيا فى تلك المناطق قريبا من ساحل افريقية الشرقية المواجه للهند « درة التاج البريطانى » حينئذاك ، فألقت بدلوها فى الدلاء ، وأسست « شركة افريقية الشرقية البريطانية » وكان الرحالة الانجليزى « سير هارى جونستون » قد سبق الى كليمنجارو وعقد عدة معاهدات مع الزعماء الوطنيين .

وهكذا بدأ الصراع بين الدولتين الاوروبيتين على ملكية هذه الاراضى الفسيحة ، هذا الصراع الذى انتهى بغلبة الانجليز فى الحرب العالمية الاولى وزوال النفوذ الالمانى من افريقية .

وتمتد مستعمرة كينيا على ساحل المحيط الهندى من نهر أومبا الى رأس ديك ، وتتوغل فى الداخل الى بحيرة فيكتوريا ، وتتاخم كلا من أوغندا والحبشة والصومال ، وتبلغ مساحتها ٢٢٤٫٩٦٠ ميلا مربعا ، وعدد سكانها ٥٫٩٤٧٫٠٠٠ نسمة منهم ٤٦٫٥٠٠

اوروبى ، وكذلك ٦٠٠ر١٣٦ آسيوى ، أما المتوطنون العرب فان عددهم حوالى ٣٠٠٠٠ر٣٠ نفس ، وان كنا لا نطمئن تماما الى هذه الاحصائيات الرسمية ، الا أنها على أية حال لا تتجاوز الحقيقة بكثير (١) .

وقد عرفت كينيا باسمها هذا منذ صارت مستعمرة من مستعمرات التاج فى ٢٣ يوليو سنة ١٩٢٠ ، وكانت تعرف من قبل باسم « محمية افريقية الشرقية » .

ومنذ وضع الاستعمار البريطانى أقدامه فى كينيا وهو يعمل على استغلالها استغلالا منظما ، مرنا ، جائرا . مما جعل بذور الثورة تختمر منذ البداية ضد المستعمر الاوربى ، فمن حيث الحكم طبقت تلك النظرية المرنة التى ابتدعها الكابتن لوجارد أحد رواد الاستعمار البريطانى فى افريقية ، وهى نظرية «الحكم الذاتى» Indirect Rule وهى نظرية تقوم على ترك السلطة المحلية فى أيدى رؤساء العشائر واشراكهم فى مجالس نيابية صورية بينما السلطات العليا والسياسة الاقتصادية فى أيدى الموظفين الانجليز .

وقد طبقت تلك النظرية التى نجحت فى نيجيريا من قبل بصورة أخرى على كينيا ، فصدر قانون عام ١٩٠٦ يقضى بانشاء مجلس تنفيذى وآخر تشريعى برياسة الحاكم العام ، الا أنه حرم المواطنين تماما من حق التعيين فى

(١) الاحصائيات عن الكتاب السنوى « ستيتسمان » لسنة ١٩٥٥

المجلسين ، ولم يمثل المواطنون فيه الا أخيرا بنسبة ضئيلة لا تغير من الأصل شيئا .

الا أن أسوأ ما تميز به الاستعمار البريطانى فى كينيا من سوءات هو سياسته الاقتصادية ، وهى السياسية التى حركت مشاعر الوطنيين لحماية حقوقهم وأنبتت بذرة الحرية التى أدت فى النهاية الى ثورة ماو ماو .

فقد قامت هذه السياسة على الاستغلال الجشع لثروات البلاد وحرمان المواطنين من خيرات بلادهم ، لا لان البلاد لا تفى بحاجتهم ، فان خيراتها فى الواقع تفيض عن حاجاتهم ولكن ليدفعهم الحرمان وحاجة العيش الى خدمة المستعمر والبقاء فى خدمة الرجل الابيض .

ويكفى دلالة على انخفاض المستوى المعيشى للمواطنين أن وباء الانفلوانزا قد اكتسح منهم عام ١٩١٩ حوالى مائة وخمسين ألفا ، ويقال : ان المواطنين يتناقصون تناقصا ذريعا مذهلا حتى ليوجد من يقول : ان سياسة الاستعمار قد أدت الى فناء ثلثى السكان الاصليين خلال الربع الاول من القرن العشرين على حين أن نسبة الاوروبيين قد ارتفعت من ثلاثة آلاف عام ١٩١١ الى أكثر من تسعة آلاف عام ١٩٢١ :

وكان أبشعها فى سياسة الاستغلال الاستعمارى من سوء هو القيام بعمليات نقل واسعة لقبائل برمتها من مواطنها الاولى الى مواطن جديدة لصالح المستعمر الاوربى .

وبدأت هذه العمليات بشكل واسع منظم منذ أخـــذت قبضة الاستعمار البريطاني تشتد فى تلك المنــاطق عام ١٩٠٥ حين نقلتقبيلة الجويو الى منطقة أخرى بعـــد أن منحت امتياز أراضيها الى الماجور جروجان • وفى عام ١٩٠٦ امتدت عمليات النقل الى وطن قبائل « الماساى » وأجليت قبيلة « أكامبا » فى العام الثانيعن مرتفعات « موا » و « لوكينيا » بعد أن أخذت وفود المهاجرين البيض تفد اليها • كما اقتطعت مساحة ٨٢٫٠٠٠ فدان من أراضى الوطنيين لاســـتيطان الجنود الانجليز المسرحين بعد الحرب العالمية الاولى ، وحين عاد الجنــود الوطنيون وجدوا أسرهم وعشائرهم قد شردت الى مناطق بعيدة عن مواطنها الاولى •

واستمرت عمليات النقل والترحيل حتى صدر الحكم فى القضية المعروفة « بقضية باث » عام ١٩٢١ ويقضى بأن الاهلين لا يملكون الأرض ، وانمـــا يستأجرونها من قبل التـــاج ، ومن الكرم أن تؤجر الحكومة بعض أراضيها للمواطنين فليس هذا حقا من حقوقهم •

وقد أدت هذه السياسة الجائرة الى تكوين « جمعية افريقيـــة الشرقية الوطنيـــة » بزعامة « هارى ثوكر » لحماية حقوق المواطنين والدفاع عن مصالحهم •

ونشط « ثوكر » فى توحيد صفوف مواطنيــه وتعريفهم بحقوقهم ورعاية المشردين منهم ، وأخـــذ يعلمهم معنى المساواة التى أجمعت عليهــا الاديان جميعا ، فلا فرق بين أبيض وأسود ولا تمييز بين جنس وجنس •

وكانت « جمعية افريقية الشرقية الوطنية » هى الامل الذى اجتمع حوله المواطنون من جميع القبائل على اختلاف أديانها ومللهـــا • وهى التى أوقدت جذوة الثورة التى لم تهدأ فى نفوس المواطنين منذ ذلك التاريخ حتى الوقت الحاضر •

وفى مارس عام ١٩٢٢ قبض على « هارى ثوكر » وزج به فى سجن نيروبى فعم الاضراب البلاد وربض المضربون أمام مركز البوليس فى نيروبى يطالبون بالافراج عن زعيمهم السجين ، وظلوا طـــوال الليل ســـاهرين فى صمت لا يقطعه غير ترتيل الصلوات والابتهال الى الله : المســلمون وراء أئمتهم ، والمسيحيون خلف قسسهم ، والوثنيون مع كهنتهم ، ولم يطق البوليس صبرا فأطلق عليهم النار • وتناقلت القبائل والعشائر أخبار مجزرة نيروبى وباتت الثورة على الابواب •

وعمدت الحكومة الى أساليب القمع والتنكيل خشية اندلاع الثورة فطاف الجنود المسلحون فى كل مكان وصدرت الاوامر بحل الجمعيـــة ونفى زعيمها واثنين من رفاقه دون محاكمة •

ولجأ أعضاء الجمعية الى التنظيم السرى فى اثارة المشـــاعر وتأليب المواطنين على الاستعمار وجوره ، فلم تجد الحكومة البريطانية بدا من ايفاد لجنـــة « أورمسبى جور » لتحقيق

شكوى المواطنين فى كينيا ، وبخاصة ما يتصل منها بمسألة الاراضى ، وفى عام ١٩٢٤ تكونت « جمعية الكيكويو المركزية» من الزعماء السريين « لجمعية افريقية الشرقية الوطنية » للاتصال بلجنـــة أورمسبى جور ، فان أمر مصادرة «جمعية افريقية الشرقية» كان ساريا • وتقدمت «جمعية الكيكويو» بمطالبها وقد برز من صفوفها الزعيم الذى قاد حركة تحرير كينيا « جومو كينياتا » ولم تصنع لجنة أورمسبى جور شيئا •

وحملت « جمعية الكيكويو » لواء الحركة الوطنية فى قوة وعناد فى فترة ما بين الحربين حتى قامت الحـــرب العالمية الثانية ، فأخـذت السلطات العسكرية تقمع « حركة الكيكويو » فى شـــدة وعنف بالغين • وأورثت الحرب العالمية الثانية شـعلة الكفاح فى نفوس المواطنين ، فقد حمل الجنود المسرحون من أهالى كينيا جذوة الحرية والكفاح الى بلادهم ولم يعـــد يكفيهم أن يحمـوا مصـــالحهم وأراضـــيهم فالبلاد بلادهم وهم أصـــحابها وعلى الرحب من ساحاتها توطن البيض أو غيرهم ، ولكن الحرية للجميع والوطن لهم •

واجتمعت صـفوف الاحرار تحت لواء « اتحاد كينيا الافريقى » منادية بالاتحاد بين جميع الافريقيين وتوحيد القبائل للـكفاح المقدس • وفى أول يونيو عام ١٩٤٧ عقـــد اتحاد كينيا الافريقى مؤتمره الاول فى نيروبى مثلت فيه البلاد تمثيلا شـاملا وأعلنت على الملأ مطالب كينيا •

وبدأ المهـاجرون البيض يحسون خطر هذه المطالب فعملوا على مقاومتها بكل ما وسعته جهـودهم من حيـــل وأساليب •

ووقفت السلطات البريطانية حائرة بين تيارين عنيفين من مقاومة البيض لمطالب الوطنيين واصرار الوطنيين على تحقيق مطالبهم كاملة •

وقد تناول الزعيم «جومو كينياتا» مطالب كينيا فى كتابه : « كينيا • أرض الصراع — «Kenya : The Land of Conflict » وأجملها فى خمس نقاط رئيسية هى :

١ — رعاية حقوق المـواطنين فى الأرض •

٢ — حق المواطنين فى التعليم الذى يؤهلهم للتقـــدم ومواجهـة الحيـاة المتحضرة •

٣ — حـق المواطنين فى الرعاية الصحية والاجتماعية •

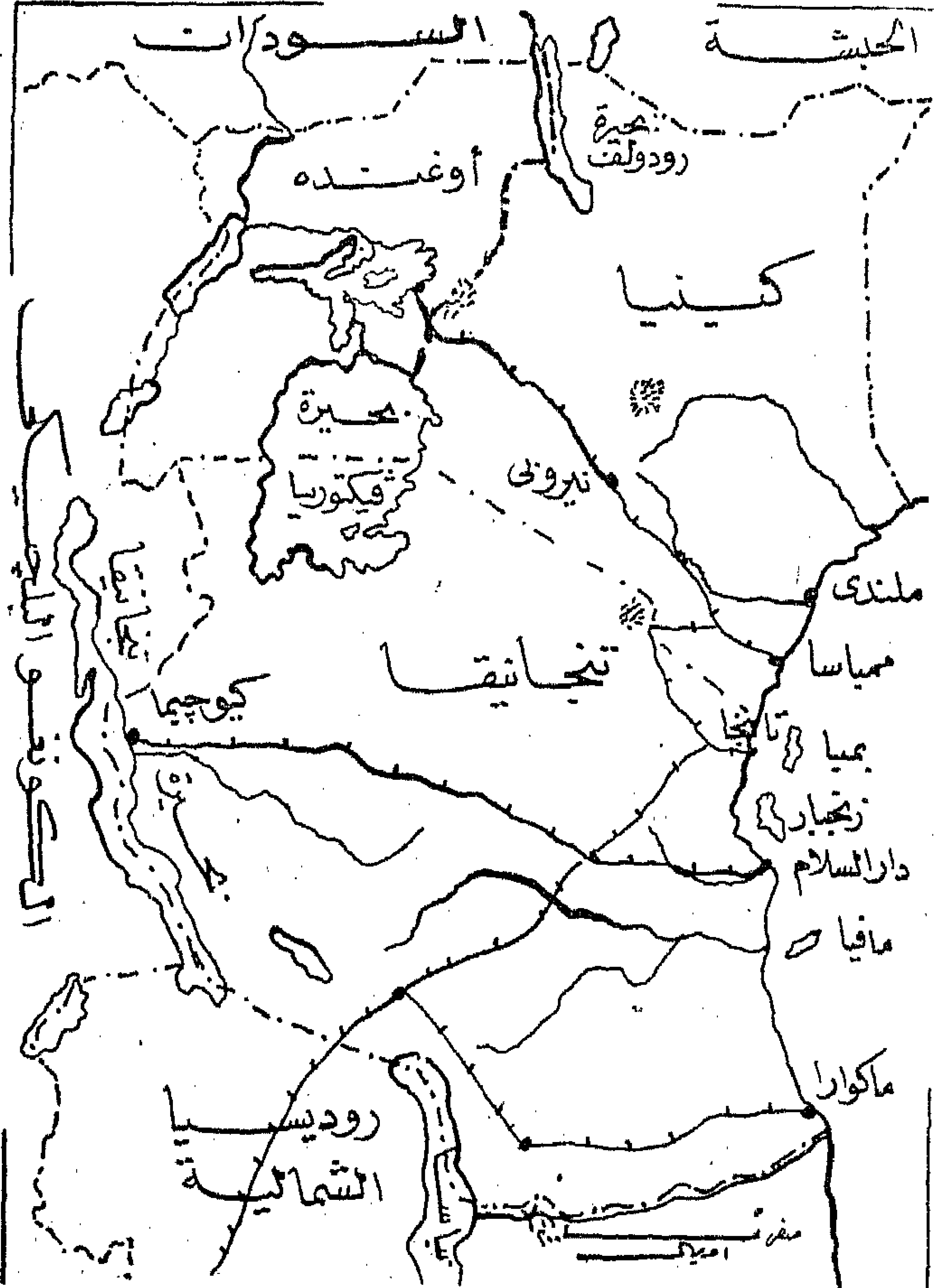
٤ — الحرية والمساواة أمام القانون

٥ — تقرير الحكم الذاتى •

ولم تجد هذه المطالب أذنا صاغية من الحكومة البريطانية ، وبدأت موجة من الاضـــطهاد والقمع ، وقبض على « جومو كينياتا » ، وبدأت المقـاومة

تشتد وتأخذ شكلها العنيف فى حركة ماو ماو .

وحشدت بريطانيا قواتها لحرب الوطنيين ، ولجأ الوطنيون الى كل الوسائل فى الدفاع عن حقوقهم



وحماية أنفسهم ، ولقى الانجليز الأمرين من مقاومة ماو ماو ، واقترفت الحكومة الانجليزية جريمة الاستعمار البشعة بشنقها « الجنرال تشينا » أحد قواد ماو ماو العسكريين ، وهى الجريمة التى اقترفتها ايطاليا من قبل حين أعدمت زعيم برقة عمر المختار ، وهو شيخ جاوز التسعين من عمره .

وستبقى حركة ماو ماو رمزا لكفاح افريقية الشرقية فى سبيل الحرية كحركة الباتاكا فى أوغندا وحركة جمعية الشباب الصومالى فى الصومال .

وستبقى كينيا مركز التحرر فى افريقية الشرقية .

دراسات في :

الاقتصاد والحركة الوطنية الأفريقية

الدكتور
محمد رياض

— ٤ —

التعدين والصناعة :

رأينا في جدول رقم (٣) (١) أن التعدين والصناعة يمثلان مكانا ملحوظا فى بعض الأقاليم • وأشد الأقاليم اعتمادا على التعدين هى روديسيا الشمالية ، ثم الكنغو ، فى حين نجد التعدين والصناعة معا من أهم مميزات روديسيا الجنوبية . وتأتى بعد ذلك غانة بنصيب معقول فى التعدين . أما الأقاليم الباقية فيتراوح التعدين فيها بين ٢ و ٣ فى المائة .

ولاشك أن كلا من التعدين والصناعة أهم مميزات الاقتصاد الحديث ، وهما بذلك مقصوران — فى افريقية المدارية — على الأوروبيين وحدهم من حيث رأس المال وادارة العمل . ويساهم الافريقى فى هذه الناحية من النشاط الاقتصادي — فى شكل الأيدى العاملة فقط . وفى هذا المضمار نجد أن أجور العمال الافريقيين بالنسبة الى أجور العمال الاوروبيين تمثل نصيبا ضئيلا من ميزانية المناجم أو المصانع • ويكفى للتدليل على ذلك أن تعرف أن أجر العامل الاوروبى فى الكنغو أكثر من عشرة أضعاف أجر العامل الافريقى ، ويمكن أن نوضح هذه الحالة بضرب عدة أمثلة لبيان التفاوت الهائل فى الأجور :

كينيا : بلغ الدخل العام سنة ١٩٥١ (٢٢٦) مليون دولار ، كان توزيع البنود الأساسية فيها على النحو التالى :

	الأوروبيون	**الافريقيون**
أرباح ملاك الأراضى :	١١٥ مليون دولار	١٣ مليون دولار
أجور ومرتبات :	٥٣ مليون دولار .	٣٧ مليون دولار

فاذا عرفت أن عدد العمال الاوروبيين هو ١١ر٦٤٤ عاملا وأن عدد العمال الافريقيين هو ٤٥٥ر٧٨٩ عاملا وجدنا أن أجرة العامل الافريقى فى منتهى الضآلة • وليس أدل على ذلك من أن الاجور — كما وردت فى البيانات الرسمية (٢) كما يلى :

(١) أنظر صفحة ٢١ من العدد الثانى من هذه المجلة .

(٢) East African Yearbook, 1956.

العامل الافريقي الزراعي : من ١٥٠ قرشا الى ٢٢٥ قرشا فى الشهر .
العامل الافريقي غير الماهر : من ٣٧٠ قرشا الى ٤٢٠ قرشا فى الشهر .
العامل الافريقي الماهر : من ٥ جنيهات الى ١٥ جنيها فى الشهر .
العامل الآسيوى : من ٢٠ جنيها الى ٤٠ جنيها فى الشهر .
العامل الاوروبى : من ٥٠ جنيها الى ١٠٠ جنيه فى الشهر .

روديسيا الشمالية : بلغ الدخل العام فى روديسيا الشمالية عام ١٩٥٢ (٢٥٩) مليون دولار وزعت بنسبة ١٣٪ للافريقيين و ٨٦٪ للاوروبيين . اى ٣٥ مليون دولار للافريقيين و٢٢٢مليون دولار بالنسبة للأوروبيين . وقد بلغت أجور العمال الافريقيين ٣٣ مليونا وربع مليون دولار ، وأرباح ملاك الاراضى الافريقيين ¼ ١ مليون دولار فقط . فى حين أن أرباح الشركات بلغت ١٥٨ مليون دولار وأجور العمال البيض ٦٤ مليون دولار .

أما عدد المشتغلين بالتعدين من الاوروبيين فقد بلغ ٦ر٣٣٢ فردا . وعدد الافريقيين زاد على ٤٨ر٠٠٠ فرد . ومن واقع السجلات الحكومية فى روديسيا الشمالية نجد أن الحد الادنى لاجر الاوروبى هو ٩٩ جنيها شهريا على النحو التالى :

٢٢٠ قرشا ماهية يومية .
١٢٠ قرشا مكافاة .
---
٣٤٠ قرشا أجرا يوميا + **علاوة غلاء معيشة من ٦ الى ٥ جنيهات** تقريبا .

أما العامل الافريقى فمتوسط أجره اليومى على النحو التالى :
عمال تحت الارض : من ٥ر٤ جنيهات الى ١٥ جنيها شهريا .
عمال فوق الارض : من ٤ جنيهات الى ١٦ جنيها شهريا .

روديسيا الجنوبية : وقد كان مجموع الدخل فيها ٣٢٩ مليون دولار عام ١٩٥٢ قسمت على أساس ٦٠ مليون دولار أرباح الشركات و ٦٠ مليونا : أرباح أصحاب الاراضى الاوروبيين و ١٢٢ مليونا : أجور ومرتبات الاوروبيين ، و٨ ملايين دولار : أرباح أصحاب الاراضى الافريقيين و ٧٠ مليونا : أجور العمال الافريقيين . وقد بلغ عدد العمال من الافريقيين حوالى ٨٠٠ر٠٠٠ نسمة مقابل ٢٠ ألفا من العمال الاوروبيين ، وبلغ متوسط أجر العامل الاوروبى عام ١٩٥١ حوالى ٧٠ جنيها شهريا مقابل ٥ر٤ جنيهات شهريا للعامل الافريقى .

هذه الامثلة تدل دلالة لا تقبل الشك على أن هناك فارقا ضخما بين دخل العامل الافريقى وزميله الاوروبى . وهذا الفارق يرجع — أولا وقبل كل شىء — الى اللون والجنس . والذى لاشك فيه ايضا أن هناك اتجاها تعمل كل حكومات المستعمرات على الاستمرار فيه ، هو المحافظة

على كيان العامل الأوروبى أياً كانت طبقته ، ومحاولة الرقى به بكل السبل حتى لاينحط الى مستوى الافريقيين . وهذا هو الواقع الآن فى اتحاد جنوب أفريقية حيث تعمل الحكومة على عدم السماح بهجرة من يسمونهم « البيض الفقراء » خوفا من الهبوط بمستوى سيادة الأوروبى وكرامته .

ويتضح من الجدول التالى أن الأقاليم التى لا يوجد فيها استيطان اوروبى — وهى الأقاليم التى تعتمد أساسا على الزراعة — تتميز بضآلة نسبة ربح البيض من ناحية ، وتتميز أيضا بضآلة عدد العمال الزراعيين ، كما هو واضح من حصة الأجراء الافريقيين بالنسبة لحصة أصحاب الأراضى الافريقيين .

جدول رقم (٧)

توزيع الثروة على الأوروبيين والافريقيين مقدرة بملايين الدولارات

الإقليم	مجموع قيمة الإنتاج العام	الأوروبيون			الإفريقيون		السنة
		أرباح الشركات	أرباح ملاك الأراضى	مرتبات وأجور	أرباح ملاك الأراضى	أجور عمال	
الكنغو	٧٠٩	١٩٧	٥٠	١٧٥	١٠٣	١٧٥	١٩٥٢
عدد السكان ...			← ٦٦ر٠٠٠ →		١١ر٦٥٩ر٠٠٠		
روديسيا الشمالية	٢٥٩	١٥٨		٦٤	١¾	٣٣¼	١٩٥٢
عدد السكان ...			← ٣٧ر٠٠٠ →		١ر٧٧٧ر٠٠٠		
روديسيا الجنوبية	٣٢٩	٦٠	٦٠	١٢٢	٨	٧٠	١٩٥٢
عدد السكان ...			← ١٣٥ر٥٠٠ →		٢ر٠١٥ر٠٠٠		
كينيا	٢٢٦		١١٥	٥٣	١٣	٣٧	١٩٥١
عدد السكان ...			← ٢٩ر٠٠٠ →		٥ر٣٨٠ر٠٠٠		
أوغندا	٢٠٤	٩	٢١	٢٦	٨٢	٢٦	١٩٥٢
عدد السكان ...			← ٣ر٥٠٠ →		٤ر٩٥٣ر٠٠٠		
نيجيريا	٧٩٣	٣٢	٢٧	٢٣	٥٦٥	٦٢	١٩٥١
عدد السكان ...					٢٩ر٦٠٠ر٠٠٠		
غانا	٣٩٨	٤٧	١٣	١٣	٢٤٥	٢١	١٩٥١
عدد السكان ...			← ٧ر٠٠٠ →		٤ر١٠٤ر٠٠٠		

فالواقع انه فى الزراعة والصناعةوالتعدين – باستثناء اوغندا ونيجيريا وغانة – لا يشارك الافريقى الا بنصيب ضئيل فى الثروة والانتاج ، على حين يحتل المستعمرون والمستوطنون الأوروبيون مكان الصدارة فى ادارة دفة الاقتصادالحديث فى أفريقية لمصلحتهم الخاصة • ولا شك أن هذا الوضع يؤدى الى أسوأ الأمور بالنسبة للافريقيين فى جميع نواحى الحياة المادية والفكرية .

خاتمة :

وخلاصة القول انه يتضح من جزئى المقال ، ومن الاحصائيات السالف ذكرها ، ومن الخريطة المرافقة أن هناك حقيقة كبرى يمكن استخلاصها ، هذه الحقيقة هى أن مشاركة الاقتصاد الحديث فى الحركة الوطنية فى افريقية المدارية لا يتخذ لنفسه شكلا موحدا فى تفصيلاته ، وانما يتفق فى عمومياته وخطوطه العريضة .

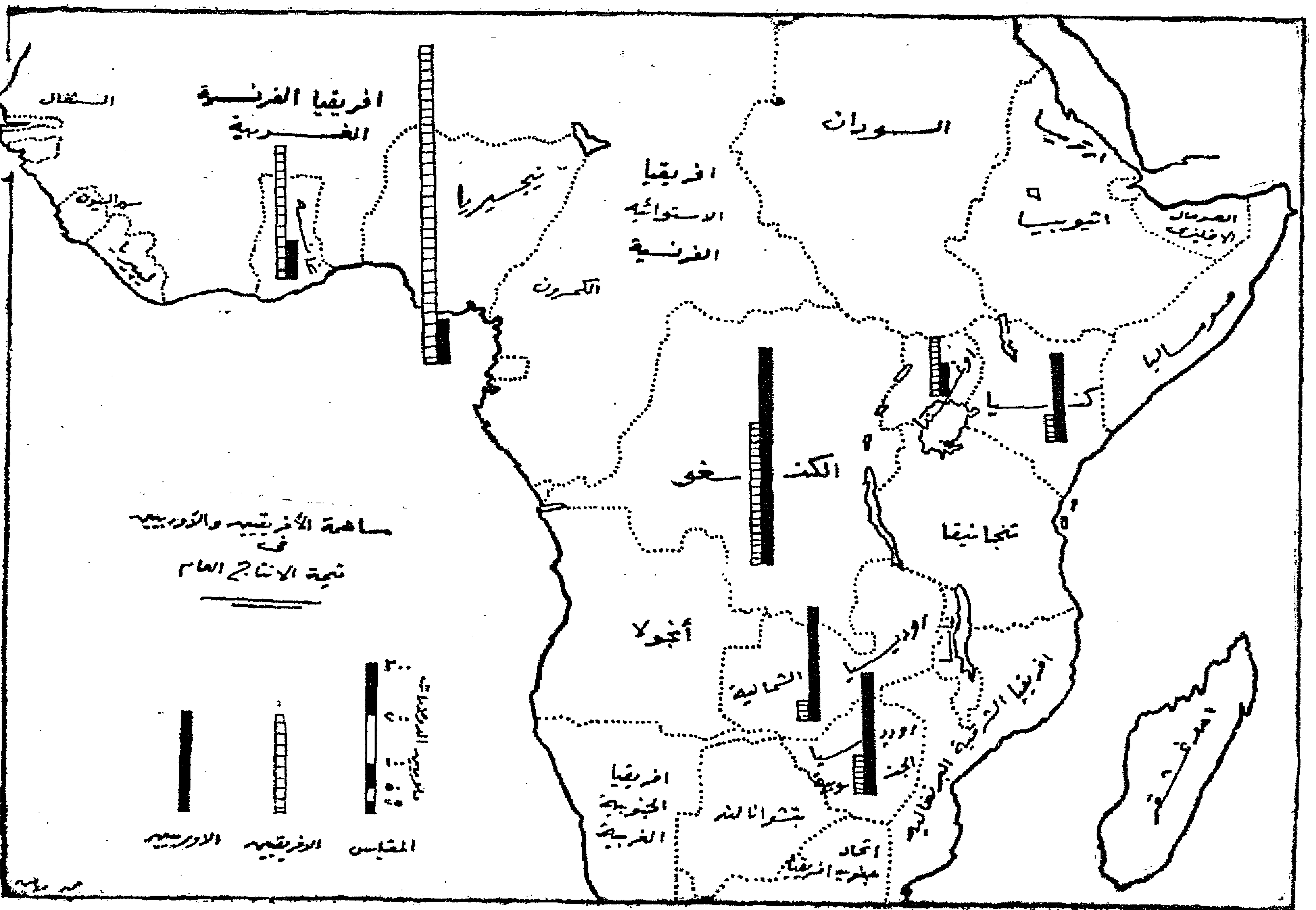
اما من حيث الخطوط العريضة فهو دافع هام من الدوافع التى تشارك فى اذكاء روح الحركة القومية لان مطالبة العمال – أيا كان نوعهم – بزيادة الأجور والخدمات الصحية والاجتماعية وما الى ذلك من أنواع النشاط النقابى ، تدفعهم الى الاشتراك فى معالجة القضية الكبرى : وهى التحرر من أصول عدم التوازن فى الدخل الفردى وتوزيع الثروة الوطنية ، وهذه الاصول هى السيطرة السياسية والاشراف الاوروبى على مصائر هذه الأقاليم .

أما أسباب تنوع مشاركة الاقتصاد ، وبالتالى تنوع تفصيلات الحركة القومية الافريقية واختلاف أشكالها فى بعض الأقاليم عن الاخرى ، فقد سبق توضيح جذورها • وهذه الجذور ترجع الى عدة عوامل من أهمها :

١ – البيئة الجغرافية وما ترتب عليها من الاستيطان الأوروبى أو عدمه من ناحية .

٢ – النوع السائد للثروة الاقتصادية المستغلة حاليا وما يترتب عليه من تنوع فى طبيعة الأيدى العاملة وتركيبها .

وكان للعامل الأول اثر فى تقسيم الأقاليم التى عالجناها الى نوعين : أحدهما قابل للاستيطان الأوروبى ، والثانى يكاد يحول دونه . وبذلك وجدنا أن كلا من غانة ونيجيرياواوغندا واجزاء كثيرة من الكنغو


مساهمة الأفريقيين والأوروبيين
في
قيمة الانتاج العام
المقياس
الافريقيين
الاوروبيين
السنغال
افريقيا الفرنسية الغربية
نيجيريا
افريقيا الاستوائية الفرنسية
الكمرون
السودان
اريتريا
اثيوبيا
الصومال البريطاني
الصومال
كينيا
الكنغو
تنجانيقا
أنجولا
الشمالية
افريقيا الجنوبية الغربية
بتشوانالاند
اتحاد جنوب افريقيا
افريقيا الشرقية البرتغالية

ـ من الأقاليم التى لا تســمح بالاستيطان ، وعلى العكس من ذلك وجدنا كينيا والروديسيتين من الاقاليم التى استوطنها المستعمر . وغنى عن البيان أن وجود الأوروبى قد أدى الى تطبيق قانون الأرض الخاليـة ونزع كثير من الملكيات الزراعية الافريقية ، وأدى الى تفاقم أزمة تكاد تقضى على الأهلين جوعا ، وتزيد من حدة التناقض بين المستعمر والوطنى .

أما العامل الثانى فانه يحدد طبيعة تركيب الأيدى العاملة . وقد رأينـا أن الزراعة هى الثروة السائدة فى نيجيريا وغانة وأوغندا وكينيا ، وأن هناك تعادلا بين الزراعة والتعدين والصناعة فى روديسيا الجنوبيـة والكنغو ، وأن التعدين وحـده هو أسـاس الاقتصاد فى روديسـيا الشـمالية . ولا شـك أن هـذا الاختـلاف ينعكس عـلى تركيب الايدى العـاملة فيقسمها الى أيد عاملة زراعيـة أو صناعية أو عمال منـاجم . واختلاف العامل الزراعى عن الصناعى أو المعدنى اختـلاف بيّن فى طريقـة الحيـاة والسيكولوجية والايديولوجية . وغنى عن البيان أن العامل الصناعى أو عمال المناجم فى هذه البقاع حيث تسود نظرية تفوق الجنس الأبيض يعاملون معاملة غير كريمة . فعقود العمـل تنطوى على شروط قاسية ، والعمال يعيشون فى عنابر غير صحية وسط معسكرات محاطة بالأسلاك الشائكة . ويمكننا أن نقسم نوع الأيدى العاملة على النحو التالى :

١ ـ عمـال مناجم فى روديسـيا الشمالية .

٢ ـ عمال مناجم ومصانع وعمال زراعيون فى روديسيا الجنوبية .

٣ ـ عمال مناجم ومزارع فى الكنغو .

٤ ـ عمال زراعيون فى كينيا ونيجيريا وغانة وأوغندا .

وبذلك نرى أن الحركة القوميـة فى كل اقليم تختلف اختلافا بينا على النحو التالى :

روديسيا الشمالية : تعتمد اعتمادا كليـا على عمال المناجم ، وتحديد أراضى الأهلين مع سيطرة شركات التعدين الخمس وعدد قليل من الاوروبيين على الاقتصاد بأكمله يحدد الشكل الذى تأخذه الحركة القومية فى روديسيا الشمالية .

روديسيا الجنوبية : يتنوع فيهـا تركيب الأيدى العاملة ، وبذلك تتنوع الأيديولوجية . وربما كان هذا التنوع مما يؤجل تضافر القـوى فى سبيل التحرر . ولكن يجب علينا ألا ننسى أن الشعور بالاضطهاد الجنسى الذى

يعانيه كل العمال والأهالى على حدسواء عامل هام يعوض هذا التفرق ويعبىء القوم لمعركة التحرير .

الكنغو : يكاد ينطبق عليها ما قيل عن الوضع فى روديسيا الجنوبيه .

كينيا : يعيش العمال الزراعيون فى أوضاع تشابه كثيرا الحالة التى يعيش فيها عمال المناجم فى الروديسيتين . وغالبية المشتغلين بالزراعة الحديثة فى كينيا يعملون بأبخس الاجور فى مزارع الاوروبيين . وقد سبق لنا أن تناولنا موضوع ثورة الماوماو وأسبابها وعرفنا أن الاقتصاد الاوروبى الحديث قد أدى الى ذلك الانفجار التاريخى الذى يعد نقطة تحول فى تاريخ أفريقية الحديث .

غانه ونيجيريا واوغندا : الغالبية الساحقة من المزارعين هم أصحاب الأرض ، وعدد العمال ضئيل كما هو واضح من جدول رقم (٧) ، وعلى الأخص فى غانة ونيجيريا . والى جانب ذلك نجد أن مساهمة المستعمر فى اقتصاد هذه الأقاليم قليلة كما يتضح بجلاء من الخريطة المرافقة . ولهذا السبب نرى أن الثورة الوطنية فى هذه الاقاليم ، الثورة التى تمت فصولها فى غانة ، عبارة عن ثورة تهدف الى ابعاد المستعمر عن السيطرة السياسية والاحتكار التجارى الذى أحكمت حلقاته ، ومحاولة توفير أرباح التجارة لصالح الوطنيين بدلا من المستعمرين .

هكذا حدد الاقتصاد الحديث الطريق واضحا أمام الحركة الوطنية . ولاشك أن تفاعل عناصر أخرى مع العامل الاقتصادى قد رسم خطة الكفاح الناجح فى جمهورية غانة ، ويرسم طريق التحرر القريب لنيجيريا .

وانا لنأمل أن نشهد فى المستقبل القريب مولد افريقية الحرة التى سيكون لها ـ بلاشك ـ دورها الهام فى دعم السلام والتعاون القائم على أساس المساواة المطلقة بين الشعوب فى العالم من أجل الرخاء والرفاهية لكل الأجناس وكل أبناء البشر .

صفحة من الصراع في افريقية

ليوبولد الثانى وحوض النيل الأعلى

١٨٨٠ - ١٩٠٩ م

للأستاذ الشاطر بصيلى عبد الجليل

ولد ليوبولد الثانى (ليوبولد لويس فيليب مارى فكتور) فى أبريل سنة ١٨٣٥ وتوفى فى ديسمبر سنة ١٩٠٩ ، وهو ابن ليوبولد الأول الذى نودى به ملكا على بلچيكا فى سنة ١٨٣٠ بعد انفصالها عن هولندة . وانخرط ليوبولد الثانى فى الجيش ، وجلس على العرش فى ديسمبر سنة ١٨٦٥ بعد وفاة والده .

تولى ليوبولد الثانى حكم بلچيكا من سنة ١٨٦٥ الى سنة ١٩٠٩ ، أى أنه امضى فى الحكم ثلاثة وأربعين عاما ؛ وكان ليوبولد الملك الثانى على عرش بلچيكا بعد انفصالها عن هولندة وقرار الدول الأوروبية الكبرى فى عام ١٨٣٠م بقيام الدولة الجديدة ، واسند عرشها الى والده ليوبولد الأول ، الذى كان مرشحا لعرش اليونان ولم يقبله ، كما أنه تردد فى قبول عرش بلچيكا حتى قدمت له الدول الكبرى ضمانات لحماية استقلال مملكته الناشئة من خطر الغزو الهولندى أو الفرنسى . ولقد كانت للأحداث الأوروبية - وبخاصة الثورات التى اجتاحت القارة فى صورة أو أخرى فى عام ١٨٤٨ م - الأثر فى توجيه نشاط ليوبولد الثانى نحو العمل على بسط سيطرته وامتداد سلطانه خارج بلاده فيما وراء البحار حيث يجد فيها مركزا وسندا لعرشه ازاء ما قد تقوم به هولندا أو فرنسا لاعادة بلچيكا اليها ، لذلك كان نشاطه الواسع الخطا الذى ورثه عن والده ليوبولد الأول . وقد تميز نشاط ليوبولد الثانى بجنوحه الى التوسع خارج بلاده ، واتسم هذا النشاط بعاملى القلق وعدم الاستقرار ، وقد دفعه هذا القلق الى وضع مشروعات سريعة اعتبرها أقرب المقربين اليه خيالية صادرة عن عقلية أصابها الهوس

الجامح . وقد أبدى هؤلاء مخاوفهم الى رجال السلك السياسى الاوروبى فى بروكسل . فقد حاول ليوبولد الثانى اقناع الدول الكبرى وبخاصة انكلترا وفرنسا على أن يسمح له باحتلال حوض النيل (مصر والسودان) كحل من شأنه تخفيف حدة التوتر بين الدولتين وابعاد الخطر عن السلام الدولى ، والحقيقة وواقع الأمر أن مطامع ليوبولد قد أخذت فى الازدياد بمرور الزمن ، وتركزت مشروعاته فى حوض النيل ومنابعه ، ويبدو أن زياراته المتتابعة لمصر حينما كان وليا للعهد قد خلقت فى نفسه طموحا ليكون فرعون مصر(١) . وقد حاول ليوبولد اتخاذ خطوة أولى باحتلال شرق افريقية المطل على بحر الزنج . وقد استطاع ليوبولد الثانى بحيلته الواسعة انشاء « الجمعية الافريقية الدولية للبحوث العلمية والعمل لخير الانسانية » وذلك فى عام ١٨٧٦ م وقد دعا اليها العلماء الجغرافيين من مختلف الدول لدراسة الخطط التى تتبع ، وتخصصت لجنة لدراسة حوض الكونغو الأعلى ، واستطاع تحت ستار هذه المؤسسة التى ادعى أنها للعمل لخير الانسانية ، وعن طريق المعاهدات التى عقدها له استانلى مع الزعماء المحليين فى حوض نهر الكونغو ، وعن طريق الدعاية الواسعة التى قام بها لحسابه وكيله الأمريكى الجنرال سانفورد SANFORD ، وعن طريق استغلاله لسلامة نية الوزير الأمريكى فى بروكسل المستر جون كاسون "John Kasson" أن يحصل على اعتراف الدول بولاية «الكونغو الحرة» التى يملكها شخصيا ، كما اعترف مؤتمر برلين عام ١٨٨٤/١٨٨٥ م بهذا الوضع .

وبعد أن أتم استانلى المرحلة الأولى التى انتهت باتجاه ليوبولد نحو الكونغو بعيدا عن شرق افريقية ، وتأسيسه مملكته الحرة واعتراف الدول بها ، جاء دور غوردون الذى بدأ فى أوائل العشرة التاسعة من القرن الماضى عندما تعرف غوردون بليوبولد وعرض عليه خدماته للعمل فى الكونغو لمحاربة النخاسة . وقد حالت مأمورية غوردون فى السودان فى ١٨٨٤ م دون قبول عرض ليوبولد . وحاول غوردون قبل سفره من انجلترا فى يناير سنة ١٨٨٤ اقناع سكرتير جمعية محاربة النخاسة بأن من الضرورى ضم حوض بحر الغزال الى ادارة الكونغو لمحاربة تجارة الرقيق فى مصادرها ، كما أرسل غوردون Gordon خطابا الى ليوبولد عن طريق السير افلن بارنج E. Baring (اللورد كرومر فيما بعد) مؤرخا فى اليوم الأول من فبراير سنة ١٨٨٤ من كرسكو يقترح فيه

1) Wauters, A.J. Souvenirs de Fachoda et de l'Expedition Dahnis, le Mouvement Gèog, Brussells, 1910.

انه بعد اخلاء الخرطوم سوف يذهب الى بحر الغزال حيث يتولى ادارة المنطقة لحساب ليوبولد ، وكرر هذا الاقتراح فى خطاب له فى ٩ من مارس سنة ١٨٨٤ ، واوضح فى هذا الخطاب ان ليوبولد سوف يتحمل المسئوليات المالية(١) .

ومما تجدر الاشارة اليه أن البعثة السياسية التى أوفدتها الحكومة البريطانية فى سنة ١٨٨٥ برياسة السير درمندولف Sir Henry Drummond Wolff قد زارت بروكسل وهى فى طريقها الى الآستانة لمفاوضة البـاب العالى فى شئون مصر واحتلال الانكليز لها . وذكر ليوبولد اهتمامه بأخذ السودان ، وأوضح أنه قد عرض منذ عام (أى فى سنة ١٨٨٤ م) ارسال جيش بلچيكى (قوامه بطبيعة الحال من أهل الكنغو) لانفاذ رغبة غوردون مبررا عمله هذا بخدمته للانسانية ومحاربة النخاسة ، الامر الذى يجعل احتلاله لبحرالغزال لا مفر منه لتعطيل نشاط النخاسة .

وفى خريف سنة ١٨٨٨ ظهرت ألمانيا فى شرق افريقية بانشاء مستعمرتها التى قام فى وجهها العرب والساحليون ، وتدخلت بريطانيا التى دعت الدول الاوروبية الى فرض حصار بحرى ، وكان الفرض الحقيقى من هذا الحصار هو منع العرب من تهريب الأسلحة الى وسط افريقية . وكتب ليوبولد فى الثالث من نوفمبر ذلك العام الى السكرتير العام لادارة الكونغو المسيو ادموند ڤان ايتلفت Edmond Van Eetvelde يوضح له ضرورة احتلال محطات فى حوض بحر الغزال لمنع النخاسة ، وقد اعترض السكرتير العام على فكرة ليوبولد مشيرا الى أن اتفاق الحدود مع فرنسا لا يسمح لولاية الكونغو الحرة باتخاذ أى اجراء سياسى على الشاطىء الأيمن للأوبانجى Ubanghi شمال خط عرض ٤ شمالا وقد أجاب ليوبولد بضرورة احتلال بحر الغزال لأسباب انسانية وحضارية تنفيذا لنصيحة غوردون .

واستطاع الضابط ڤان جيل Van Gele وزملاؤه شق طريق الى خط تقسيم مياه النيل والكونغو . وكان خروج أمين باشا من خط الاستواء المصرى الادارة ، الأمر الذى أتاح فرصة فتح آفاق جديدة لمطامع ليوبولد وبخاصة أن ليوبولد قد اشترك مع السير وليم ماكينون وهنرى ستانلى فى حملة انقاذ أمين باشا ، ودخل ليوبولد بوصفه مالكا للكونغو الحرة فىاتفاقية مع ماكينون رئيس ادارة الشركة الامبراطورية البريطانية لشرق افريقية فى ٢٤ من مايو سنة ١٨٩٠ تحددت فيها مناطق النفوذ والحدود ، وقد حالت التيارات

1) Allen, B.M., Gordon and the Sudan London 1931 P. 227, 308, 446, 449.

السياسية دون الموافقة على هذه الاتفاقية حتى عام ١٨٩٤ عندما وقعت اتفاقية بين انكلترا والملك ليوبولد عن الكونغو الحرة منحت بموجبها منطقة حاجز اللادو للكونغو Lado Enclave لادارتها مدى حياة ليوبولد الثانى فى الحكم . واشتد الصراع بين الدول الكبرى فى السنوات العشر الأخيرة من القرن التاسع عشر ثم انتهى بأزمة فاشودة Fashoda وقبول فرنسا اخلاء هذه المحطة والوصول الى الاتفاق الودى مع انجلترا فى عام ١٩٠٤ م . كما تحددت فى ذلك الحين مناطق النفوذ بعد تسوية المنازعات بين الدول ، وحاول ليوبولد أن يمد نفوذ الكونغو على حوض بحر الغزال فأرسل حملة فى سنة ١٩٠٣ لاحتلال هذه المنطقة وبخاصة حوض يى Yei بقيادة الضابط ليمير Lemaire الذى انسحب تحت ضغط حكومة السودان . وتسلمت ادارة السودان اللادو Lado فى يونيو سنة ١٩١٠ اى بعد مرور ستة أشهر من تاريخ وفاة ليوبولد الثانى . وقد سجلت ادارة الكونغو لحاجز اللادو أشد القسوة والنكبات التى حلت بأهالى الحاجز . ومما تجدر الاشارة اليه أن الملك ألبرت ابن الملك ليوبولد الثانى قد جاء الى الخرطوم فى سنة ١٩١١م المفاوضة بشأن اللادو .

خلاصة :

يتبين مما سبق أن أشرنا اليه أن مطامع الملك ليوبولد الثانى قد جعلت منه أداة هينة أفادت منها السياسة الاستعمارية البريطانية البعيدة المدى . فعندما تمت الكشوف الجغرافية التى قام بها بارت Barth وفوجل Vogel ورولف Rohlf وناختيجال Nachtigal ودوفيرير Duveyrier وبيكر Baker وسبيك Speke وجرانت Grant وشفينفورت Schweinforth ولفنجستون Livingstone وستانلى Stanley وغيرهم ، اتجهت انظار ليوبولد الثانى الى شرق افريقية فجاء اليه ستانلى وحوّله عن هذه المنطقة الاستراتيجية بالنسبة لبريطانيا التى كانت تعد العدة لعقد مؤتمر بين الدول الكبرى تحدد فيه الأسس التى قام عليها استعمار افريقية ، فكان مؤتمر برلين سنة ١٨٨٤/١٨٨٥ م وكانت موافقة هذا المؤتمر على ملكية ليوبولد للكونغو .

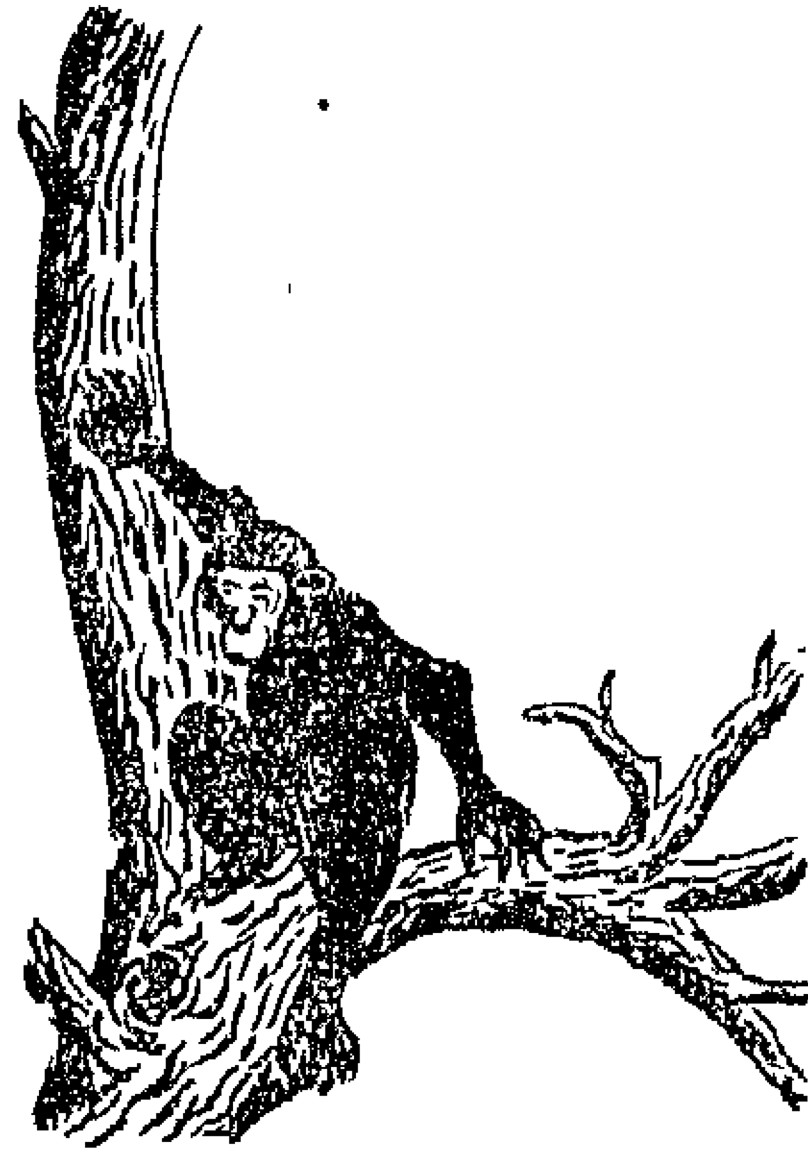
وقد اختفى استانلى مؤقتا وظهر غوردون فى سنة ١٨٨٠ وأشار على ليوبولد باحتلال حوض بحر الغزال كعمل انسانى لمحاربة النخاسة ولكنه ظهر مرة أخرى فى حملة انقاذ أمين باشا كما كانوا يدعون ، وكان ليوبولد شريكا فيها وكان أن أعطيت منطقة حاجز اللادو للكونغو مدى حياته فى الحكم .

وبهذا استطاعت السياسة الاستعمارية البريطانية استغلال مطامع ليوبولد فى الحد من نشاط فرنسا وألمانيا وابعادهما عن حوض النيل الاعلى وشرق افريقية .

من الفولكلور الأفريقي

سلطان القرود..

بقلم : عبد الكريم الفوراوى



ان اخواننا المصريين يعتقدون أن القرد حيوان ظريف لأنهم يرونه فى شوارع المدن وهو يلعب ويرقص ويضحك الأطفال ؛ أما نحن فى جبال « دارفور » فننظر الى القرد على أنه شيطان رجيم ؛ ولما كنا أطفالا كنا نخاف منه أكثر من الأسد ، والواقع ان القرود كثيرا ما تتجمع حول الأسد وتشبعه ضربا بالعصى حتى يصرخ ويجرى هربا ...

وقد ابتليت بلدنا فى منطقة « كوجليج » بقبيلة من القرود يحكمها سلطان كبير خبيث ، فكان السلطان يغافل الأهلين ويقترب من البلدة هو وطائفة من أعوانه ويسوقون الأغنام الى الغابات ويحرضون عليها الذئاب . وفى احيان أخرى كانوا يتربصون بالاطفال الذين يخرجون الى أطراف البلدة ويضربونهم ، واذا جاء الرجال للدفاع عن الاطفال تهجم القرود برياسة السلطان ومعها العصى والحجارة .

وقد كان السلطان يضع عصاه فى الشمس مدة طويلة حتى تسخن ثم يضرب بها من يقابله من الناس .

ولما ضاقت الدنيا بأهل البلدة اجتمعوا لكى ينظروا فى أمر هذه البلوى ، واتصلوا بمفتش المركز ، فأرسل اليهم قوة من البوليس لمطاردة القرود ؛ ولما رأى السلطان البوليس جمع القبيلة ووقف فيهم خطيبا وجهزوا العصى الساخنة والأحجار ولكن البوليس أطلق الرصاص ، وقتل عددا من القرود وأخذ يجرى وراءهم وهنا حاول السلطان أن يقدم رشوة

للعساكر من ثمار الأشجار ، ولكن العساكر أمسكوا به ووضعوه فى السجن مع المسجونين من الأهلين ، وبعد أيام لاحظ الحراس أن سلطان القرود يهرج مع المسجونين ويحرضهم على مشاغبة الحراس ، وقامت ثورة فى السجن فيئس المفتش من اصلاحه وأطلق سراحه وعاد السلطان الى قبيلته فقابلوه بالاجلال والتعظيم ورحلوا عن هذه المنطقة الى مكان بعيد .

وفى العام التالى عاد السلطان فجأة مع بعض أفراد قبيلته ، واقتربوا من المزارع فوجدوا طفلا صغيرا تحت شجرة فخطفوه وجروا الى الجبل الذى يشرف على البلدة وأخذوا يصيحون بأعلى أصواتهم : « كوقر . . . كوقر . . . هو . . . ها . . هه . . » وتجمع الأهالى.ونظروا الى أعلى الجبل فرأوا مجموعة من القرود يتوسطهم قرد كبير يحمل فى يده الطفل وهو يقوم بحركات مخيفة فيمسك الطفل من رجليه ويتظاهر بأنه سيقذفه فى الوادى الصخرى وأحيانا يحضر حجرا كبيرا ويوهم الناظرين أنه سيسقطه على رأس الطفل . هذا والأهالى يشيرون الى القرود طالبين الرحمة والشفقة والقرود يضجون بالضحك والقهقهة . . . وأخيرا حملوا الطفل معهم واختفوا من المنطقة بأكملها وقاموا بتغذيته بثمار الأشجار الى أن كبر وصار رجلا ، ولكنه كان متوحشا لا يعرف الكلام ويتصرف تماما كالقرود . . .

وذات يوم خرج جماعة من الصيادين الى الغابات فرأوا قطيعا من القرود يتقدمهم شاب آدمى عليه علامات المتوحشين وحركاتهم ، فأحاط به الصيادون واستطاعوا الامساك به وجاءوا به الى البلدة وتجمع القوم يتعجبون منه ؛ ولما جاء الفلاح الذى سبق أن خطف القرود ابنه عرفه فى الحال وأخذه الى منزله . ومن العجيب أن الشاب عرف أمه واطمأن اليهما واستطاع بالاشارات أن يفهم القصة القديمة . كما استطاع أن يفهمهم أن سلطان القرود القديم قد مات وأنه هو سلطانهم الآن .

وفى هذا الوقت نفسه كانت القرود تحيط بالبلدة وتدبر مؤامرة لاختطاف السلطان ، ولكنه عاد اليهم من تلقاء نفسه وعقد اتفاقية بينهم وبين الأهلين . وهذه الإتفاقية تقضى بأن يسكن القرود الغابة المجاورة وفى موسم المانجو « الانبج » تجمع الثمار وتحضرها الى أهل البلدة ، أما الأهلون فانهم فى موسم البطيخ يخصصون جزءا للقرود ويحملونه اليهم الى الغابة .

وهكذا ساد السلام والوئام بينهم الى يومنا هذا . . .

تبلور الشخصية الأفريقية
في الدورة الأخيرة
للجمعية العامة لهيئة الأمم المتحدة

بقلم الأستاذ محمد عبد الفتاح ابراهيم

كان اليوم السادس والعشرون من ديسمبر سنة ١٩٥٧ يوم الشعوب الافريقية والآسيوية ، فقد بدأ بالقاهرة مؤتمر التضامن الآسيوى الافريقى ، ويعنينا اليوم فى « نهضة افريقية » هذه الكتلة الافريقية المتماسكة ، فنحن سكان هذه القارة التى عاشت ملتحفة بالظلام موصوفة بالسواد ، أشبه ما نكون فى جملتنا بالمارد الذى لم يستيقظ مع أضواء الفجر الاولى كما يستيقظ كل شىء ، بل انه يستيقظ وقد غمر النور الكون ، ولهذا كان من الضرورى عليه أن يثب فى يقظته ، ولكنه لا يستطيع هذا الا على أساس أن تكون لافريقية شخصيتها الدولية المتماسكة ، وأن تكون الأهداف والاتجاهات واحدة متماثلة ، وأن تكون مشكلات افريقية مما يعنينا شعوبا وحكومات ، وهذا لا يستطاع الا عندما تكون هذه الكتلة الافريقية حقيقة واقعة ، وهكذا كان . فقد وضحت الصور الاولى لهذه الشخصية الافريقية المتماسكة فى الدورة الاخيرة «الدورة الثانية عشرة» للجمعية العامة للأمم المتحدة .

كان فى جدول أعمال الدورة تسعة وستون موضوعا عرضت كلها للدراسة والمناقشة منها ست مشكلات افريقية هى :

- مستقبل توجولاند — تحت الادارة الفرنسية — من تقرير مجلس الوصاية .
- مسألة جنوبى غرب افريقية — مع الدراسة القانونية لضمان اتمام تعهدات الدولة القائمة بالانتداب .
- موضوع الحدود بين منطقة الصومال (تحت الادارة الايطالية) وبين اثيوبيا .

● المشكلة الجزائرية .

● مشـــكلة الصراع الجنسي في جنوب افريقية تبعا لسياسة حكومة اتحاد جنوب افريقية .

● معاملة الاهالى الهنود فى جنوب افريقيـــة فى تقارير حكومتى الهند والباكستان .

وقد بدأت المناقشات فى التاسع عشر من ســبتمبر وانتهت فى اليوم الثامن من أكتوبر ، وقد لا يعنينـــا هنا أن نسجل نتائج التصويت للاعضاء فى بعض المشكلات بقـــدر ما يعنينا وضوح الطـابع الافريقى القوى فى خطابات رؤساء الوفود الافريقيين على ما جاء مســجلا فى التقرير الرسمى للامم المتحدة خاصا بالمشكلات الافريقية . والغريب أن اللذين بدآ بالحديث مندوبا غرب افريقية ثم قلبها وشرقها وأخيرا تحدث ممثلو بلاد شمال أفريقية .

كان أول المتحدثين الافريقيين هو السيد أكوا دجى منـدوب غانة وقد قال : « ... ومن الممكن أن يحدث الاعتداء على حقوق الانســان حتى لو لم تســتخدم القوات المسلحة ، وانه لاعتـداء على الانسانية حتى لو قصر على حرمان أى قسم من المجموعة من حقوقه الاساسية وحرياته على أساس الجنس أو اللون ، ان أمل غانة هو أنه بالتعاون مع باقى الدول الافريقية المستقلة يمكن ايجاد شخصية افريقية فى الشئون الدولية ، وقد دفعنا هذا الأمل الى الرغبة فى عقد مؤتمر لممثلى دول افريقية المستقلة لتبادل وجهات النظر ومناقشـــه المسائل التى تعنى الشعوب الافريقية ، ومن المنتظر أن يعقد هذا المؤتمر فى « غانة » مع مطلع العام الجديد ونأمل أن يكون له نفعه لا للشعوب الافريقية المستقلة ، بل للملايين من مواطنينا الافريقيين فى باقى القارة وللذين يكافحون للتحرر من الحكم الاجنبى » .

وكان ثانى المتحـدثين الافريقيين هو السيد هنرى كوبر ممثل ليبيريا ، وقد وضح كيف عاش الافريقى مغلقا فى قارته الفسيحة ، يرحب بالغرباء عن كرم ، معاونا الاوروبيين فى بحوثهم للوصول الى المعادن الثمينـة ، حتى اضطر أمام الجشع الى المقاومة ، ولم يفقد الافريقى الأمل بسبب الأسلحة التى وجهت نحـوه ، بل بدأ يعمل لتوطيد دعامة اقتصادياته ، ليحصل على مطالبـــه القومية ألا وهى الحرية والاستقلال ، ثم قال : « وفى افريقية اليوم من بنى جلدتنا أغلب الشعوب غير المستقلة فى العالم كله ، ولا نستطيع أن نتجـاهل أو أن نتنكر لمطـالبهم القومية ، فلقد شعرنا مثلهم بمرارة انعدام العدالة الاجتماعية ، ولقد عملت حـــكومتى ولا تزال تعمل محـاولة الوصول الى حل لهذه المشكلة بوساطة الوسائل السلمية ، اننا لا نشارك فى أية كتلة تعمـل للوصـول الى حل ما باستخدام القوة ، أو التهديد باستخدام العنف ، لأن العنف ليس طابع جنسنا الافريقى »

وتحدث السيد يعقوب عثمان مندوب السودان فقال : « ان ادراك السلام وتحقيقه يتطلبان منا عملا ايجابيا ، ومن الضرورى أن ننفض أيدينا فورا والى الأبد من حق القوى فى حكم الضعيف ، ومن الضرورى أن ننسى السيطرة الاقتصادية لدولة ما على دولة أخرى ، بل من الضرورى أن « نصفى » الاستعمار ، وأن نستبدله بثقةمتبادلة ، وتعاونمتبادل ،ومصالح مشتركة ، انه يجب علينا أن نقاتل مبدأ السيادة الجنسية ، والصراع الجنسى من أجل أنهما يضادان الديمقراطية والفكرالمنطقى . ان الحرب الباردة ظاهرة أخرى يجب أن تصفى ، وفى العالم متسعللتعايش السلمى بين أمم العالم كبيرها وصغيرها » .

وتحدثالسيد أوتو بيليما ديريسا، مندوب أثيوبيا فقال : « اننا نرقب بسرور نهضة الأمم الافريقية وتحولها الى دول مستقلة ذات سيادة ، ولكن مع هذه البداية الحسنة فلا يزال من الضرورى القيام بالكثير من أعمال التحرير فى افريقية ، ولا توجد قارة أخرى فى العالم بها هذا العدد من الأمم التىتخضع للحكم الاستعمارى ، كما هى الحال فى افريقية ، ولا تزال الشعوب الافريقية التى يحكمها الأجنبى تنتظر فى تطلب ورغبة اتمام الوعود التىجاء بها ميثاق الأمم المتحدة ، لتحصل على حرياتها ، ولهذا فانه على الأمم المتحدة أن تعمل لتحرير باقى بلاد افريقية ، وسنقوم من جانبنا بكل ما يمكن عمله للمعاونة فى قضية الحرية » .

وانتقلت مسئولية المناقشة الى ممثلى دول شمال افريقية ، وتحدث سيدى أحمد بالافريج عن مراكش ، والسيد سليمان جربى عن ليبيا ، والدكتور محمود فوزى عن جمهورية مصر ، وأخيرا تكلم باهى لدغم عن تونس ، وكانتأغلبية أحاديثمندوبى شمال افريقية عن مشكلة الجزائر مع التعرض لبعض مشكلات الشرق الأوسط ، وقد أفاض المندوب المصرى فى الحديث عن مشكلة لاجئى فلسطين ، وعن التهديد الذى تواجهه سوريا .

قال السيد سليمان جربى : « ... ان توصيات الأمم المتحدة فى الدورة الماضية قد بقيت دون تنفيذ ، ولم تحاول فرنسا أن تبحث عن اجراء سلمى ، بل ان فرنسا لا تزال تكرر الحديث الذى تزعم فيه أن الجزائر جزء منفرنسا ، والجزائر تبعا لموقعها الجغرافى وتاريخها ودينها وجنس سكانها ولغتهم جزء منفصل تماما عن فرنسا . ان الحل الوحيد للمشكلة هو الاعتراف بحق شعب الجزائر فى السيادة والاستقلال ، الامر الذى يتمشى ومبادىء وميثاق منظمة هيئة الأمم المتحدة » .

وقال الدكتور محمود فوزى : « لقد

انتهت الأيام التى كان الناس يثقون فيها بحديث أحد زعماء عصرنا الذى نعيش فيه من أن مناطق النفوذ ، وأن سيادة دولة ما على أخرى قد انتهت ، ولقد انتهت كذلك الأيام التى آمن الناس فيها بحديث زعيم آخر من زعماء هذا العصر الذى نعيش فيه من أن العالم سيرقب صورة صحيحة لحكم القانون فى العلاقات الدولية ، اننى أسأل عن حكم القانون ، ولننظر فى ايجاز الى ما يحدث فى الشرق الأوسط وفى الشرق الادنى ، ولتكن الخطوة الأولى فى الجزائر » .

« ففى الجزائر يقاسى الأهلون الاذلال والهوان فى الوقت الذى ينصرف البرلمان الفرنسى فيه الى مناقشاته غير المجدية التى لا تنتهى ، وبينما يسقط البرلمان الوزارة تلو الاخرى تكرر فرنسا للمرة المليون هذه الكلمات الحمقاء ، وكل هذا بسبب أن بعض المحامين الفرنسيين فى باريس كتبوا فى قانون بلادهم مادة تقول بأن الجزائر جزء من فرنسا ، ومن أجل هذا يجب أن يعامل أهل الجزائر معاملة عبيد الأرض فى العصر الاقطاعى » .

وقال السيد باهى لدغم : « ان سفك الدماء المستمر والذى استمر ثلاث سنوات فى الجزائر ليوجد مأساة من أعنف المآسى فى التاريخ المعاصر ، ونظرية أن الجزائر جزء من فرنسا نتيجة لسوء فهم مدهش ، ليس فقط لمدى تطور الجزائر وتقدمها بل سوء فهم لمصالح فرنسا نفسها ، وكل المشكلات التى بين فرنسا وتونس انما كانت بسبب هذا الموقف ، ان تونس بلد مستقل ومع هذا فلا يزال محتلا جزئيا بالقوات الفرنسية ، وقد عقد اتفاق لتغيير هذا الموقف ولكن التنفيذ يسير ببطء كبير كما تعطل فيه دائما حوادث الحدود التى تقع نتيجة للسيل المستمر من اللاجئين الجزائريين وبينهم الكثير من النساء والأطفال ، ان فرنسا تتخذ من فرار هؤلاء اللاجئين الى تونس ذريعة للاصطدام على الحدود ، بل ذريعة لقذف الأراضى التونسية بقنابل الطائرات ، ولا يمر يوم دون أن نسجل عددا من الضحايا نبكيهم ، ونتألم لفقدهم » .

وكان الجميل أن كل المندوبين الافريقيين قد تحدثوا عن محاولات بحث مشكلة نزع السلاح ، وتحدثوا عن السلم العالمى وعن امكان التعايش السلمى ، ولم يتعرض أحد منهم للحديث عن الانحياز الى احدى الكتلتين المتضادتين

وبذلك وضحت الروح الافريقية الجديدة ، الروح التى تنمو فى افريقية ، وتتطلع الى نهضة القارة ، وتعنى بالمشكلات الافريقية .

مدغشقر ...

الجزيرة الافريقية الاسيوية

« انهم كالافريقيين سود البشرة . أما اعينهم فمنحرفة كالصينيين . وهم اناس لا يميلون الى العنف وهوايتهم الشعر والفن ، ولا يفكرون الا فى عبادة السلف ... » .

ان اهل مدغشقر مزيج طريف من الأجناس الافريقية والآسيوية ، لأن الجزيرة بحكم موقعها الجغرافى — فى المحيط الهندى قرب الساحل الافريقى الشرقى — قد أكسبت سكانها من هذه القارة أشياء ومن القارة الاخرى أشياء . وسرى ذلك كله فى عروقهم ، وامتزجت بدمائهم الصفات الطبيعية والموروثة عن أجناس القارتين وسلالاتهم ، وانبثقت عن أشكال ، كما يقولون ، أصيلة للغاية .

ان لسكان مدغشقر بشرة سوداء وعيونا لوزية الشكل وشعرا جعدا ، انهم ذوو عضلات قوية ، ولكن أجسامهم نحيلة كالآسيويين الأصليين أصحاب الحضارات القديمة . وقد اثبت العلماء أن جزءا من أهالى الجزيرة ينحدرون من قبائل من الملايو واندونيسيا يظن أنها وصلت اليها بطريق الصدفة ، وحطت رحالها على الشواطىء الشرقية للجزيرة ، بعد أن عبرت المحيط الهندى . وقد سكنت الساحل الشرقى للجزيرة وتسلقت سلسلة الجبال الشاهقة الضخمة التى تخترق الجزيرة من الجنوب الى الشمال ، وكانت النواة الاولى لسكان اقليم « ايميرينا » Imerina

أما السكان الاصليون لغرب الجزيرة ووسطها من الافريقيين فهم لا يريدون أن يبتعدوا كثيرا عن البيئة التى ألفوها فى افريقية قبل استيطانهم مدغشقر . على حين يقابلنا على طول الساحل الغربى لتلك الجزيرة الواسعة الارجاء ، سكان من المرجح أن يكونوا من قبائل البانتو Bantu الافريقيين ، وكذلك

يعيش على هضبة « ايمـــيرينا » ــ حيث مدينة تاناناريف Tananarive ــ سلالة من الآسيويين .

وسنقصر الـــكلام على هـــؤلاء الآسيويين وهم يمتازون بقصر القامة ودقة الاطراف وصغرها . أما قسمات وجوههم فدقيقـــة وجميـــلة . ولكن هناك شيء واحد يثقـــل وقعه على السمع ، هوالاسماء التي يتسمون بها ، فهي صعبة عسيرة النطق . فمثـــلا تجد بكل بساطة من يسمى « راى نيلاى اريفونى » او « راكاتامالالا » أو « رازافينا ندريا مانيترا » .

والمعروف عنهم أيضا أنهم هادئو الطبع ، يكرهون العنف على اختلاف صوره وشتى أنواعه ، ولهم ميل خاص الى الشعر والى الفنون عامة . انهم ينحتون خشب الورد ويصنعون منه تماثيل مدهشة أصبحت ذائعة الصيت في بلاد العالم اجمع ، وبلغت براعتهم في التصوير بالألوان المائية حدا نلمس فيه حضارة فنية عريقة .

أما أهم ما يمتاز به سكان جزيرة مدغشقر فهو تقديسهم لموتاهم : وهنا يجب أن يرفع النقـــاب عن المظاهر المميزة لهؤلاء الناس . فهم يعملون دائما على احيـــاء ذكرى الاموات وتخليدهم وليس للاحتفالات الجنازية عنـــدهم نهاية . ومدغشقر البلد الذى تكمن فيه أهمية الشخص وقيمته في مصيره بعد موته . ان هؤلاء القوم يحبـــون موتاهم حبا جما ، ويكاد المرء لا يصدق ما يقال عما يفعلونه عند وفاة قريب لهم . وان المسئوليات والواجبـــات التي تلقى على كاهل الأحياء نحو الموتى لما يحير الألباب حقـــا . ففي اوائل القرن المـــاضي كانت المشـــكلة الكبرى التي تواجـــه رواد الجيش وخبراءه هي مسألة دفن قتلى الحرب . فقد كان الأحيـــاء من زملائهم يقطعـــون اوصال جثثهم بحيث يسهل على كل واحـــد منهم حمـــل جزء في حقيبة زاده ، وبهذه الطريقة يرجع الموتى الى بيوت ذويهم .

واذا ما صادفنا مدغشقري حزين كئيب ، تبدو عليـــه أمارات اليـــأس وعلامات القنوط فما ذلك الا لأن القدر لم يتح له الفرصة لعمـــل الطقـــوس اللازمة نحو أمواته ، أو ربما كان ذلك لعدم وجود أقارب متوفين . وبالعكس من ذلك اذا قابلنا شخصا فرحا مغتبطا يتمتع بنفس هادئة مطمئنة وينعـــم براحة البال والضمير ، فمما لاشك فيه أنه شخص قام بواجبه على الوجـــه الأكمل نحو موتاه .

ومن اغرب مايروى عن المدغشقريين ان الفرد منهم اذا استطاع بمجهوده أن يجمع مبلغا من المال ، لا يفكر البتة في بناء منزل أو شراء مزرعة يعيش من ريعها ، بل يدخرها للانفاق منها على دفن موتاه ، وعمل الطقوس اللازمة لهم . فقـــد جرت العـــادة ان الموتى لا يستقرون في قبر أبدا مادامت ثروة ذويهم الأحيـــاء في زيادة مستمرة ؛

اذ المتبع عندهم أن تتحسن قبور الموتى كلما حسنت حال الأحياء — فينقلون من مدفن الى آخر في احتفالات مهيبة ومواكب حافلة . فالتقليد أن من كان من الأحياء في رغد من العيش ، وجب عليه العناية بموتاه والسكنى بجوارهم ، بل عليه أن يفعل ما هو اكثر من ذلك فيتنزه معهم .

وعند المدغشقريين عيد للموتى يطلقون عليه اسم « فاماديهينا » madihina وبعبارة أخرى يسمونه عيد انتقال الموتى وتنزههم بين الأحياء ، وهو من أشهر الأعياد وأكبرها ، ويحتفل به سنويا فيما بين شهري مايو وسبتمبر ، والموسرون منهم يحتفلون به أكثر من مرة .

وتستورد مدغشقر سنويا من ايطاليا حوالى ستين طنا من الأقمشة الحريرية لتستعمل كأكفان للموتى يوم العيد الذى يقوم الكهنة والعرافون بتحديده ، ففي الصباح المبكر من ذلك اليوم يجتمع الأقارب حول قبر فقيدهم ، ويناجي أكبرهم سنا روح الميت طالبا منها السماح بازعاج الرفات ، على حين يقوم العمال برفع الأحجار واخراج عظام الفقيد التى توضع فوق قطعة قماش من الحرير ، وبعد أن يطووها يحملونها الى المدفن الجديد . وأما اذا كان الأمر لا يعدو السماح للميت باستنشاق بعض الهواء دون النقل الى مكان آخر ، فيبقى الأقارب هناك وقتا ليس بالقصير ، لينشدوا المقطوعات الغنائية المرحة ، أو ليلقوا الخطب المشوقة .

يحدث هذا وكومة العظام في الوسط وأهل الميت من حولها على شكل دائرة وهم يواصلون الترانيم والترتيلات حتى يحين المساء ، وتختفي الشمس وراء هضبة الايمرينا . وفوق تلك الهضبة يقف جمع من الناس ينظرون الى المحتفين بموتاهم ، وتعلو وجوههم أمارات الحسرة والألم ، ثم يسمع من بعضهم صوت آهات وأنين وبكاء : انها صادرة ممن لم تتح لهم الظروف أن يحتفلوا بهذا العيد : انه بكاء من لا أموات لهم !!

« تعريب وتلخيص: الأستاذ محمد مصطفى نصار عن جريدة IL TEMPO الايطالية » .

اللون والجنس والذكاء

آمن النـــاس فى الماضى بكثير من الخرافات والاوهام ، منهـا ما قضت عليـه المدنيـة والتقـدم العلمى والاكتشافات الحديثة ، ومنها ما استمر مسيطرا على الأذهان . ولعل أخطر تلك الخـرافات خرافة الأجنـاس أو العناصر التى تقول بتمييز بعضـها عن بعـض ، وبأن الجنس الابيض يفضلها جميعـا لأنه أكثر ذكاء من الاجناس الاخرى وهو أيضا فى نظرهم الجنس الوحيـد القـادر على الخلق والابتكار . وقد رأى المستعمرون فى بقـاء تلك الخرافة حماية لمصالحهم واقـرارا لسيطرتهم فدعموا تلك الخرافة حتى صاغوها فى نظرية .

ولقـد أجرى كثير من التجارب لمعرفة هل هناك علاقة بين لون البشرة وبين مستوى الذكاء أو بين لون البشرة وباقى القـدرات العقليـة ومميزات الشخصية ، ومن أمثلة تلك التجارب التجـربة التى اجـريت فى الولايات المتحدة على مجموعات من الأطفـال البيض والزنوج لقياس ذكاء كل منهم ، وقد جاءت النتيجة العامة مبينة أن الأطفال البيض اكثر ذكاء من الزنوج ، ولكن هذه التجارب نفسها أثبتت أن الأطفـال الزنوج فى بعض المنـاطق متفوقون على البيض . وفى تجربة اخرى على جنود الجيش الأمريكى من البيض والزنوج ، كانت النتيجـة العـامة ان الجنـود البيض اعلى مستوى من الزنوج ، الا انها اثبتت ان الجنود الزنوج المتعلمين فى الولايات الجنوبيـة أعلى مستوى من الجنود البيض المتعلمـين فى الولايات الشمالية . وقد تمسـك أنصـار التفرقة العنصرية بالطبـع بالنتـائج العـامة التى تؤيد رايهـم وتجاهلوا النتائج الأخرى التى تعارضهم ، ولكننا اذا نظرنا الى نتائج تلك التجربتين نظرة محايدة فاحصـة نجـد أن العلاقة ليست بين لـون البشرة والذكاء أو المستوى الاخلاقى الرفيع او القدرة عـلى الاختراع . بل ان من يريد أن يقيس الذكاء لكل من الأبيض وغيره من الملونين عليه أن يختار مجموعة من البيض تتفـق ظروفهـا وظروف المجموعة الأخرى من الملونين ، فليس مما يتفق وروح التجربة العلمية ان نأخذ للتجربة الزنجى الذى حرم من فرص التعليم وحرم من التمتع بحقوقه كانسان والذى يعيش فى فقر شديد ، ثم نأخـذ الأبيض الذى يتمتـع بكل ما حرم منه الزنجى وبعد ذلك نقول

ان الأبيض أرقى من الزنجي . والواقع ان العلاقة ليست بين اللون والذكاء ، انما هي بين الحالة الاقتصادية العامة والتعليم والغذاء وبين الذكاء .

وبنـــاء على ما استخلصه أنصار التفـرقة العنصرية من أمثـال تلك التجارب فقد توصلوا الى راى غريب ، ومع ذلك فقد آمنوا به ، وهو أنه يجب على ٤/٥ الجنس البشرى وهـم من الملونين ان يعمـلوا ويتفـانوا لاقرار سيادة ١/٥ البشر وهم البيض ، وتلك خرافة أخـرى اذ كيف نتصور حال العالم على ذلك الوضع بدون أن نتصور اشتعال الحرب التى لن تهدأ الا بعد محو *تلك* الآراء والخرافات !.

والتاريخ منذ أقدم عصوره يعرف تلك التفـرقة ويسـجل أضرارها ، ولكن تلك التفرقة وضعت فى القرون الأخيرة فى صورة نظريات .

ولنتتبع الخطوات التى تعاقبت حتى أصبحت التفرقة العنصرية نظرية ، فقـد استعملت كلمة جنس أو عنصر Race فى خلال القرن السادس عشر لتصنيف أنواع من الحيوانات ، وكان من السهل أن ينتقل استعمالهـا الى مجال الانسان ، وبخاصة فى أوائل القرن التاسـع عشر عنـدما شاع أن الانسان أصله حيوان . وعندما أعلنت حقوق الانسان وان جميع البشر قد خلقوا سواء كان متوقعا لتلك الخرافات أن تمحى ، ولـكن أنصـــار التفرقة العنصرية المؤمنين بهـا - لم يراعوا تلك المبادىء ، بل ان استعباد الملايين من الملونين استمر كما كان ، وحاولوا أن يفسروا مبدأ « أن البشر قد خلقوا سواء » لصالحهم ، ولذلك فقد فسروا كلمة « جميع البشر » بأن الأجنـاس الملونة ليست من الجنس البشرى : بل هى نوع أدنى من الجنس البشرى . والخداع ظاهر بوضوح فى تفسيرهم ذلك ؛ فالأجناس التى عدوها ادنى من جنسهم كانت لها حضـارات مزهرة عنـدما كان أجـداد الجنس الأبيض يعيشون فى أكواخ من الطين ، ويدهنون اجسادهم العـارية بألوان غريبـة ؛ ويقـدمون القـرابين البشرية فى عباداتهم .

وقد تمسـك أنصـار التفرقة العنصرية ببعض كتب المفـكرين وآرائهـم ، فهم يستشـهدون بآراء الكونت Joseph Arthur de Gobinean الذى قام ليرضى نزعته الارستقراطية بمهاجمة فلسفة الثورة الفرنسية ، ورأى أن فكرة الاخاء فكرة تافهة ؛ لأن أساسها غـير سليم وهو فـكرة المسـاواة ، ورأى أن هنـاك علاقة واضحة بين الملكات الخاصة وبين لون الجلد ، ثم مضى بعـد ذلك مبينا أن الجنس الأبيض ليس أسـمى من الأجناس الأخرى فى الدرجة فقط ، بل فى النوع أيضـا وانه الجنس الوحيـد القادر على خلق الثقـافة والمدنية ، ولكى يحتفظ بتلك القـدرة

يجب الا يمتزج بالأجناس الأخرى حتى يظل نقيا . لماذا يتمسكون بآراء ذلك الكونت مع أن تحيزه وتعصبه واضح ، ويتجاهلون فى الوقت نفسه آراء فيلسوف من خيرة فلاسفتهم مثل جون ستيوارت مل عندما قال : انه لمن أشنع الاخطاء أن تنسب الشخصية أو الذكاء الى صفات عنصريه طبيعيه ! ثم لماذا يستشهدون بكتاب Stewart Chamberlain ستيوارت شامبراين (اسس القرن التاسع عشر) الذى وافق على آراء جوبينو وزاد عليه عندما رأى أن اليهود مع أنهم من البيض فلا يجب أن يختلطوا ببقية البيض سلالة الجنس السامى ، وقد ترتب على ذلك ان عاش اليهود مضطهدين ؟. ولماذا يقبلون تلك الآراء ثم يهاجمون هتلر بعد ذلك ويندون به لأنه اضطهد اليهود ؟ ان نظرياتهم تناقض نفسها وأفكارهم تهدم بعضها .

ولنستمع الى بقية أوهامهم وخرافاتهم ، ولنستمع اليهم وهم يقولون : اذا كان الملونون مثلنا فلماذا لم يخترعوا الثلاجات الكهربية والطعام المحفوظ والسيارات ؟. ولنتساءل معهم لماذا لم يخترع الملونون تلك الأشياء ؟ ولنسألهم ما الذى يمكن الانسان من الاختراع والابتكار ؟ أليست هى العلوم المختلفة كالهندسة والميكانيكا والكيمياء ؟ وماذا يفعل الملونون والجامعات ، والمدارس فى أوروبا وأمريكا تغلق أبوابها فى وجوههم ؟ ماذا يفعلون والعقبات تقام فى طريقهم الى المعرفه ؟ .

ان ما يسمونه اليوم بالحضارة الغربية والثقافة الغربية قد استمد أصوله من الحضارة اليونانية ، وتلك بدورها استمدت كثيرا من عناصرها من حضارات ملونة ان صح هذا التعبير كالحضارة المصرية والهندية ؛ ليتواضعوا قليلا وليسمعوا شيشرون وهو ينصح احد أصدقائه : « لا تتخذ عبيدا من البريطانيين لأنهم أغبياء ، ولا يصلحون للخدمة فى المدن والمنازل المتمدينة » .

وربما يرى أنصار التفرقة العنصرية أنهم اذا كانوا فى البداية متأخرين عن غيرهم ثم أصبحوا الآن فى المقدمة فان هذا يدل على أنهم أفضل من الجميع ، لكن الواقع أن الزمن ليس هو المقياس الصحيح الذى يقاس به التقدم والمدنية . فانالمدنية والحضارة تعتمد فى تقدمها على التجارب الجديدة أكثر مما تعتمد على الزمن . وان تقدم جماعة من الجماعات يتوقف على مدى مشاركتها فى تجارب الآخرين من حولها ، وكلما زاد الاتصال بين الجماعات المختلفة كلما أتيحت الفرصة للتقدم والتمدين ؛ أما سياسة التفرقة العنصرية فانها لا تؤدى الى تقدم او حضارة أو مدنية ، وانما تخلق المشكلات ، والاضطرابات ، بل هى من أكبر العقبات فى سبيل السلام العالمى .

مترجمة عن الانكليزية بقلم : سلمى حموده

الصومال

١ ـ يقع الصومال فى شرق افريقية مبتدئا من جيبوتى فى شكل مثلث يمتد أحد اضلاعه محاذيا خليج عدن والمحيط الهندى من الناحية الغربية حتى حدود مستعمرة كينيا فيتجه من هناك مارا بمقاطعة اروسى الحبشية نحو جيبوتى نقطة الابتداء .

٢ ـ مساحة الصومال ٩٠٠ر٠٠٠ ميل مربع .

٣ ـ تعداد الأمة الصومالية حوالى ثمانية ملايين .

٤ ـ الصومال غنى بالثروة الحيوانية ، اذ هى التى يقوم عليها اقتصاد الأمة الصومالية ، كما أن هناك مناطق زراعية واسعة وينتظر أن يكون البترول من أهم صادرات الصومال لوجود كميات كبيرة منه فى بعض المناطق .

٥ ـ ينقسم الصومال الى خمسة أقسام ، منها قسمان تحت الادارة البريطانية وقسم فرنسى وقسم اثيوبى والقسم المستقل اسمه الآن « صوماليا » وكان تحت الادارة الايطالية .

٦ ـ كان ذلك التقسيم نتيجة لتفكك الحكومة المصرية بعد الاحتلال الانجليزى لمصر ونتيجة للسباق الاستعمارى بين دول أوربا فى أواخر القرن التاسع عشر .

٧ ـ عقدت فرنسا عقدا ايجاريا لمنطقة « أبخ » فتحول ذلك العقد بمرور الزمن بعد استعمال الحديد والنار الى ساحل الصومال الفرنسى الذى بدوره وبمقتضى دستور سنة ١٩٤٦ تحول الى جزء من فرنسا فيما وراء البحار ولا يزال .

٨ ـ دخل الانجليز الصومال البريطانى سنة ١٨٨٤ بصفة تجارية بحتة ـ بعد الاحتلال الانجليزى لمصر واجبار القوات المصرية على الانسحاب ـ وفرضت عليه الحماية فيما بعد .

٩ ـ جاء المستعمرون الايطاليون كتجار الى صوماليا (الصومال الايطالى) سنة ١٨٨٩ واستعمروه بقوة الحديد والنار .

١٠ ـ احتلت انجلترا كينيا

واقتطعت جزءا من صوماليا وضع تحت الادارة البريطانية .

١١ — استولت اثيوبيا على اقليم اوجادين الصومالى سنة ١٨٨٩ بعد ان اشتركت مع المستعمرين الانجليز فى اخماد الثورة المهدية فى السودان .

١٢ — لم يقف الشعب الصومالى امام هذه المحاولات الاستعمارية مكتوف الأيدى ، بل ثار عليها أعنف ما تكون الثورة وقاوم اشد ما تكون المقاومة :

(أ) ثار السيد محمد عبد الله حسن الصومالى على الحكم الانجليزى سنة ١٩٠٢ ميلادية الى أن أخمدت ثورته بعد أن تكتلت جميع الدول المستعمرة للصومال عام ١٩٢٢م .

(ب) كما ثار الشعب على الحكم الايطالى فور وصول الايطاليين للبلاد ثورة دامت عشرين عاما وكذلك حين رجوعه بعد الحرب العالمية الأخيرة .

(ج) كما ثار الشعب على الحكم الفرنسى وادارة سكة حديد (جيبوتى — أديس أبابا) الخاصة بتلك الشركة الاستعمارية ابان الحرب العالمية الاولى فاستعملت فرنسا الحديد والنار لقتل الروح الوطنية ، ولكن أنى لها ذلك والشعب لا يزال ثائرا عليها حتى اليوم !

١٣ — انسحبت ايطاليا من الصومال الايطالى بعد هزيمتها فى الحرب العالمية الأخيرة لتحل محلها بريطانيا فيما كان يسمى الحكم المؤقت ، فنوقشت مشكلة الصومال فى هيئة الأمم المتحدة حين تصفية مستعمرات ايطاليا (ليبيا — اريتريا — الصومال) فأقر المجلس أن يوضع الصومال تحت اشراف مجلس وصاية دولى تابع للأمم المتحدة مع تولى ايطاليا ادارة الاقليم حتى عام ١٩٦٠ ، وحتى تتم فى تلك الفترة صوملة الوظائف ليباشر الصومال اموره بنفسه ، ويمارس حقوقه المشروعة بسيادة تامة بعد ذلك .

١٤ — وفعلا تم ذلك حيث افتتح اول برلمان صومالى فى مارس ١٩٥٦ يتكون من ٦٠ عضوا من الوطنيين وعشرة من الجاليات الأجنبية .

١٥ — كما اضطلع حزب الوحدة بعد فوزه بالأغلبية الساحقة بتأليف أول وزارة صومالية ، ولقد برهن للعالم أجمع مع صغر عمره فى الخدمة بأن الصوماليين يمكنهم الآن ممارسة حقوقهم وادارة شئون بلادهم .

١٦ — هذا وقد عم الشعب الصومالى بجميع أقسامه — وبخاصة صوماليا — وعى قومى بعد الحرب العالمية الأخيرة فتكونت الأحزاب ، وعلا صوتها بالمطالبة بحقوقها التى كانت تتلخص فى التوحيد والاستقلال والتى كان من نتائجها استقلال صوماليا كما أسلفنا ومطالبة باقى أجزاء الوطن الصومالى بالاستقلال والاتحاد .

نظم الادارة الدولية

الوصاية

بقلم الأستاذ اسماعيل مبارك

اتماما لبحث « نظم الادارة الدولية » ننشر الجزء الثانى منه وهو يتناول موضوع الوصاية ، ومقترحات لاصلاح نظامها الحالى ·

فى أعقاب الحرب العالمية الثانية قامت محاولة أخرى للأخذ بيد الأقاليم غير المتمتعة بالحكم الذاتى فى مجال التطور السياسى · فتضمن ميثاق الأمم المتحدة اعلانا خاصا بتلك الأقاليم فى أوضاعها الدولية جميعها ونظم ادارتها المختلفة للمرة الاولى فى تاريخها ، ذلك أن عهد العصبة وان تناول بالتنظيم ادارة الأقاليم التى سلخت من ألمانيا وتركيا فانه لم يتعرض لغيرها من الأقطار ، أما ميثاق الأمم المتحدة فانه وان لم ينص على تعميم تطبيق نظام الوصاية الدولية ، فان أعضاء الأمم المتحدة قد أخذوا على أنفسهم بموجب هذا الاعلان عهدا مقدسا أن يعملوا لرفاهيه الشعوب غير المستقلة وتقدمها التدريجى نحو الاستقلال بشئونها ، فيكفلوا تقدم هذه الشعوب فى الاقتصاد وتنمية الحكم الذاتى فيها وتقدير أمانيها السياسية حق قدرها ، كما نص الميثاق على وجوب تقديم بيانات عامة فى مواعيد منتظمة عن أحوال كل قطر لا يتمتع بالحكم الذاتى الى الأمانة العامة للامم المتحدة ·

مجال الوصاية : ــ

نص الميثاق على تطبيق نظام الوصاية الدولية على الأقاليم التى كانت مشمولة بالانتداب فى عهد عصبة الأمم ، والأقاليم التى تقتطع من دول الأعداء فى الحرب العالمية الثانية ، والأقاليم التى تضعها تحت الوصاية بمحض اختيارها دولة مسئولة عن ادارتها · وهذا الفرض الأخير ليس الا مجرد فرض نظرى حتى الآن ، فلم يحدث أن تقدمت احدى الدول بمحض اختيارها بطلب وضع اقليم تتولى ادارته تحت الوصاية الدولية ·

كما نص الميثاق على عدم جواز تطبيق نظام الوصاية على احدى الدول الأعضاء فى هيئة الأمم المتحدة ، وذلك لأن التمتع بهذه العضوية يتطلب

استكمال العضو مقومات الشخصية الدوليه مما يثبت له كل حقوق الدول رواجباتهـا . ومن بين تلك الحقوق حق المســاواة الذى يتعارض وجواز وضع الوحدة التى تتمتع بهذه الحقوق تحت وصـــايه دولة أخرى • الا أن ما ورد فى الميثاق من قصر الاستبعاد من نطاق الخضوع للوصاية على الدول الأعضاء فى الهيئة انما هو تحديد غير جامع اذ أن طبيعـــة نظام الوصاية والغرض منه يقتضيان استبعاد الأقطار التى اســتكملت مقومات الشخصية الدولية حتى لو لم تكن ضمن الدول الأعضاء فى هيئة الأمم • ولكن يبدو أن واضعى الميثاق قد أرادوا بهـــذا التحديد غيرالدقيق أن يتجنبوا التحديد الذى تقضى به طبيعـة النظام ، حتى لا يؤدى التمسك بالدقة النظرية الى فتـح البـاب لخـلافات ـ ستثور بلا شك لدى التطبيق العملى ـ حول توافر المقومات المطلوبة للشـخصية الدولية فى هذا الاقليم أو ذاك ، وهى الخلافات التى لا تخلص من شوائب السياسـة ، ولا يترفع أصـحابها عن مزالق الهوى والغرض •

اتفاقيات الوصاية الدولية : ـ

ولـكفالة تحقيق أهـــداف الأمم المتحدة التى قصدت من تطبيق نظام الوصـــاية ، وضمانا لسلامة هـذا التطبيق ، ومسايرة لظروف كل اقليم من النواحى الاجتماعية والاقتصــادية والثقافية ومدى ما وصل اليه من وعى سياسى فقـــد نص الميثاق على تنفيذ النظام فى كل قطر خاضع له بمقتضى اتفاق يتلاءم فى نصوصه وفى روحه مع ما بلغه الاقليم من درجات التقدم فى تلك الميادين ، ومن الأمثلة الواضحة فى هذا المجال اتفاقية الوصاية الخاصة بالصومال ، ولكن هـــذه المغايرة فى اتفاقات الوصاية نتيجة التفاوت فى درجات التقـــدم لا يتنــاول تأثيرها الغرض من الوصـــاية وانما يقتصر أثرها على الوسـيلة لتحقيق هـــذا الغرض •

وسائل الاشراف على تنفيــذ هذه الاتفاقيات : ـ

(١) لكل دولة من الدول الأعضاء فى الأمم المتحـــدة وهى الهيئة التى صدرت عنها اتفـــاقات الوصاية أن تتمتع بما ترتبه اتفاقيـــة الوصاية ـ باعتبارها اتفاقا دوليا ـ من حقوق كما تلتزم بما تفرضه من التزامات ، ولذلك كان للدوله العضو حق الاشتراك فى مناقشـــة الأوضـــاع فى أقاليم الوصاية والنظر فى مدى اتفاق تصرف من تصرفات الدولة الوصية مع اتفاقية الوصاية سالكه فى ذلك كل السبل التى حددتها الأمم المتحدة ، ولا قيمة للاعتراض على ذلك بحجة أنها لم تكن ضـمن الدول التى أقرت اتفـاقيـــة

الوصاية ، وذلك لأن الاتفاقية بمجرد حصولها على الأغلبية اللازمة لاقرارها تعتبر اتفاقا ملزما للدول الأعضاء جميعا ، تطبيقا لمبدأ التمثيل الجماعى

(٢) ينص الميثاق على الزام الدولة الوصية بتقديم تقرير سنوى الى مجلس الوصاية عن حالة الاقليم الخاضع لوصايتها ومدى ما بلغه من تقدم فى النواحى المختلفة : السياسية أو الاقتصادية أو الاجتماعيةأو الثقافية ويتولى مجلس الوصاية مناقشة هذا التقرير ٠

(٣) لمجلس الوصاية الحق فى ايفاد بعثات زائرة الى هذه الأقاليم لدراسة شئونها ومناقشة أهلها ورفع تقرير بملاحظاتها الى المجلس ٠

(٤) لكل مواطن منسكان الاقاليم الخاضعة للوصاية أن يتقدم بعريضة يضمنها رأيه فى أى مسألة عامة من مسائل الاقليم أو شكواه من ناحية معينة ، ويتولى المجلس مناقشة هذه العرائض اذا اتبعت فى رفعها اجراءات شكلية معينة على ضوء تقارير الدولة الوصية والبعثات الزائرة ٠

مدى نجاح نظام الوصاية فى معالجة أوجه النقص فى نظام الانتداب : ـ

(١) هدف التمييز بين الأقطار ذات الصبغة العسكرية وغيرها الى أنتكون الاولىتحت اشراف مجلسالامنبمعاونة مجلس الوصاية ، فى حين تتولى الوصاية على الثانية الجمعية العامة . والمفهوم أن هذا التقسيم قد عمل ارضاء للرأى العام الامريكى الذى أبدى تمسكه بجزر المحيط الهادى (مارشال وماريانا وكارولينا) ليجعل منها قواعد عسكرية لمنع العدوان اليابانى ٠ وقد أقر مجلس الامن فى ابريل ١٩٤٧ اتفاقا تشرف الولايات المتحدة بمقتضاه على هذه المناطق الاستراتيجية ٠

(٢) تقوم الجمعية العامة بتعيين الدولة التى تتولى الوصاية باسمها على كل اقليم ، وبوضع اتفاق الوصاية الذى يتضمن الشروط التى يجب على الدولة الوصية التزامها ، وبذلك تجنب الميثاق الوضع الشاذ فى استقلال الدول الكبرى بتوزيع الاشراف على الاقاليم الخاضعة للانتداب كما تجنب الميثاق الوضع المعكوس الذى كان يسمح للدولة المنتدبة أن تضعابتداء نصوص وثيقة الانتداب ، ثم تعرضها على مجلس العصبة لتحصل على موافقة شكلية ٠

(٣) لما كان نظام الوصاية يهدف الى كفالة ادارة دولية لاقليم لا يتمتع بالحكم الذاتى فقد أجاز الميثاق أن تسند الوصاية على أى قطر الى الامم المتحدة ذاتها ، لا الى دولة من الدول ،

الا أن هذا الفرض لم يحظ بتطبيق عملي ٠

(٤) أقر الميثاق لمجلس الوصاية حق التفتيش وزيارة الجهات الخاضعة للوصاية تطبيقا لسياسة الباب المفتوح ٠

عيوب نظام الوصاية بوضعه الحالي : ــ

(١) اغفال الجزاء : ــ

لم يتضمن الميثاق نصا يمكن الامم المتحدة من خلع الدولة الوصية اذا أساءت التصرف ، لذلك فانهذا النظام يسير سير الاعرج ، فقد نص على أوامر ونواه ولم يتضمن الجزاء الذي يجب توقيعه على الدولة الوصية عند مخالفتها لتلك الاوامر والنواهي ٠

(٢) الاحتفاظ بالوجوه القديمة :ــ

لم ينص الميثاق على كيفية توزيع الاقطار بين الدول الوصية ، وقد كان على الامم المتحدة أن تراعي في اختيار هذه الدول من خلص من شبهة الاستعمار ، وبعد عن مؤثرات السياسات الاستعمارية حتى يكون في احسان الاختيار ضمان لصون المبادىء التي وضعتها ، ولسلامة تطبيق النظام الذي ارتضته ، الا أن الهيئة ــ وقد كانت خاضعة في سنواتها الاولى لتوجيهات الدول الكبرى ــ قد اختارت الدول الوصية اما من بين الدول التي لها في تاريخ الاستعمار صفحات سود. واما من بين تلك الدول التي لم تكن بمنأى عن المؤثرات الاستعمارية أو على الاقل وفي أحسن الفروض من بين تلك الدول التي تدور في فلك من كان له في سجل الاستعمار وتاريخه اليد الطولى ٠

وان استعراض الدول التي تتولى الوصاية اليوم ليدفعنا شبهة التجني ومظنة التحيز ، فهذه الدول هي : المملكة المتحدة ــ فرنسا ــ بلجيكا ــ ايطاليا ــ نيوزيلندا ــ استراليا ٠

وقد يقال في تبرير ذلك الاتجاه الذي غلب على هذا الاختيار : انه كان يهدف الى وضع الاقليم الواحد ، بأقسامه التي تختلف في نظم ادارتها تحت سيطرة دولة واحدة ، ولكن هذا الرأي لم يكن الا تبريرا لخطأ بارتكاب خطأ آخر هو موضوع العيب الثالث مما يؤخذ على هذا النظام من عيوب ٠

(٣) عدم تعميم النظام عند تطبيقه : ــ

لما كان انشاء نظام الوصاية انما يعني أن ما سبقه من نظم الحكم والادارة للاقاليم غير المتمتعة بالحكم الذاتي أصبحت لا تتفق ومقتضيات العصر الحديث ، وما يسوده من مبادىء ، ولما كان هذا النظام الجديد هو الذي ارتضتهالعائلة الدوليةلادارة تلك الاقاليم ، فقد كان المنطق السليم يقضي بتعميم تطبيق هذا النظام على تلك الأقاليم فتنفض الدول ــ التي

تستغلها تحت اسم المستعمرة أو المحمية ـ يدها منها لتخضع للولاية العامة للأمم المتحدة التى تتولى توزيعها على أعضاء منها لتديرها باسمها ، الا أن الامم المتحدة لم تنهج هذا النهج القويم فقد كان وضع الميثاق غداة احتفالات النصر ، وكان بهره لا يزال يغشى عيون العالم عن حقيقة نوايا دول الاستعمار وهى ما زالت فى ذلك الوقت الدول الكبرى التى لها المكان الاول فى المجال الدولى ، ولها السيطرة المسيطرة على سياسات الدول الاعضاء فى الهيئة الوليدة ، ولها القدرة القادرة على أن توجهها الوجهة التى تراها ، بما يتفق ومصالحها وبما يرضى أطماعها ٠

(٤) تكوين مجلس الوصاية : ـ

نص الميثاق على أن يتكون مجلس الوصاية من الدول التى تدير الاقاليم الخاضعة لهذا النظام ومن باقى الدول الخمس الكبرى التى لا تشترك فى الادارة ومن عدد من الدول الاعضاء تنتخبه الجمعية العامه يحفظ التوازن فى المجلس بين الدول التى تتولى أعمال الادارة والدول التى لا تتولاها ٠

والفكرة فى حفظ التوازن بين الدول التى تكون مجلس الوصاية فكرة سليمة فى ذاتها تستلزمها طبيعة المهمة التى نيطت بالمجلس ، وهى الاشراف على الدول الوصية ومراقبة مدى مراعاتها لواجباتها الا أن ما يدور فى المجلس من مناقشات ، وما يصدره من توصيات ليدل دلالة واضحة على أن تكوين المجلس على هذه الصورة لم يحقق الغرض منه ٠ فالمتصفح لاى تقرير من تقارير مجلس الوصاية يخرج بحقيقة ثابتة هى أن أعضاء مجلس الوصاية من دول الغرب ومن يدور فى فلكها لا تعدو مهمتهم احراق البخور للدولة الوصية فلا تمس تصرفاتها بما يضعف من مركزها فان هى حاولت المساس ففى الاحوال النادرة التى لا تتصل بالجوهر والصميم فى حين لا تنال تصرفات هذه الدولة من ممثل الاتحاد السوفييتى الا التشهير والتجريح ٠

ولما كان عدد الاعضاء الدائمين بالمجلس فى الوقت الحاضر ستة أعضاء كلهم من المعسكر الغربى الى جانب حكومة فرموزا فان الاعضاء المنتخبين ـ بفرض وقوع الاختيار على من لا يرتبطون فى آرائهم وسياستهم بتأييد هذا المعسكر أو ذاك لا يتجاوز عددهم أربعة ـ وهو ما لا يكفى لحفظ التوازن بمعناه الجديد الذى يجب العمل على تحقيقه بعد أن ظهر تحيز دول الغرب الواضح فى المجلس ـ وهم فيه أغلبية مطلقة ـ مما يستلزم العمل على حفظ التوازن المنشود ، وذلك باتباع سبل جديدة فى تكوين المجلس واختيار أعضائه ٠

وبعد فهذا هو نظام الوصاية الدولى ، وهذا هو ما نأخذه عليه ، وهو وان كان ـ فى رأى بعض الباحثين ـ المثالية فى أسمى صورها ، وفى رأى

الآخرين لونا أخاذا لصورة من صور الاستعمار ، فاننا لا نذهب مع المتشائمين أو نفرح مع الفرحين ، وانما نتوخى فى حكمنا القصد والاعتدال .. فأما الفكرة فى النظام فنبيلة المقصد ، كريمة الغاية ، وأما النظام فى ذاته فيعتبر محاولة قادرة على بلوغ الغاية وتحقيق القصد اذا أكمل ما فيه من نقص ، وقوم المعوج من خطوطه .

مقترحات لاصلاح عيوب نظام الوصاية الحالى : —

وبعد ... فنعرض هنا مقترحات نرى فيها بعض وسائل التقويم لنظام الوصاية الحالى ، مسترعين النظر الى ما يقتضيه الأخذ بها من تعديل ميثاق الأمم المتحدة :

١ — تعميم تطبيق نظام الادارة الدولية : —

بحيث يشمل جميع الاقاليم المتمتعة بالحكم الذاتى أيا كانت صورة الحكم والادارة فيها ، وأيا كان الاسم الذى أطلق عليها بحيث يتمتع المواطنون فى أقاليم المستعمرات والمحميات بما يتمتع به اخوانهم من حق الشكوى وتقديم العرائض وحق ايفاد البعثات الزائرة لهم لتعرف أحوالهم ، فلا تضمهم مناطق مغلقة فى الوقت الذى تعتبر فيه « سياسة الباب المفتوح » احدى الاسس التى يقوم عليها الميثاق .

٢ — فرض الجزاء : —

وجوب النص على توقيع الجزاء على الدولة الوصية اذا أساءت التصرف وذلك بخلعها ومنح هذه الولاية لدولة أخرى ترعى الامانة فتحسن رعايتها .

٣ — اعادة النظر فى تكوين مجلس الوصاية : —

يعاد تكوين مجلس الوصاية بحيث يكفل هذا التكوين حفظ التوازن — بمعناه الجديد — بالمجلس ويكون ذلك بأن يراعى فى تكوين المجلس التمثيل الجغرافى لقارتى آسيا وافريقية باعتبارهما المجال لتطبيق نظام الادارة الدولية فتنتخب الجمعية العامة دولتين عن كل قارة الى جانب أربعة أعضاء آخرين ، وذلك كل ثلاث سنوات بحيث يكون وجود الاعضاء الاربعة الممثلين للقارتين عاملا موازنا بالمجلس ، ولا يذهب بقيمة الاقتراح القول بأن هذا التكوين سيؤدى الى الاخلال بالتوازن فى صورة أخرى ، اذ أنه يكفى للرد على ذلك ما جاء فى تقرير السكرتير العام للامم المتحدة عن عام ١٩٥٤ — ١٩٥٥ اذ يقول : وقد أظهر مؤتمر باندونج الذى عقدته الامم الآسيوية والافريقية فى الشرق الاقصى موقفا معينا ونهجا فى معالجة الامور قد يثمران باطراد فى مستقبل الايام كما أكد هذا المؤتمر تعضيد الشعوب الممثلة فيه لاهداف الامم المتحدة ومبادئها تعضيدا قويا ، وتبرر هذه التطورات أملنا فى أن تعقبها تطورات فى الاتجاه ذاته .

المجـــلة

سجـــل الثقافة الرفيعـــة

العـدد الثالث عشر — عدد يناير ١٩٥٨

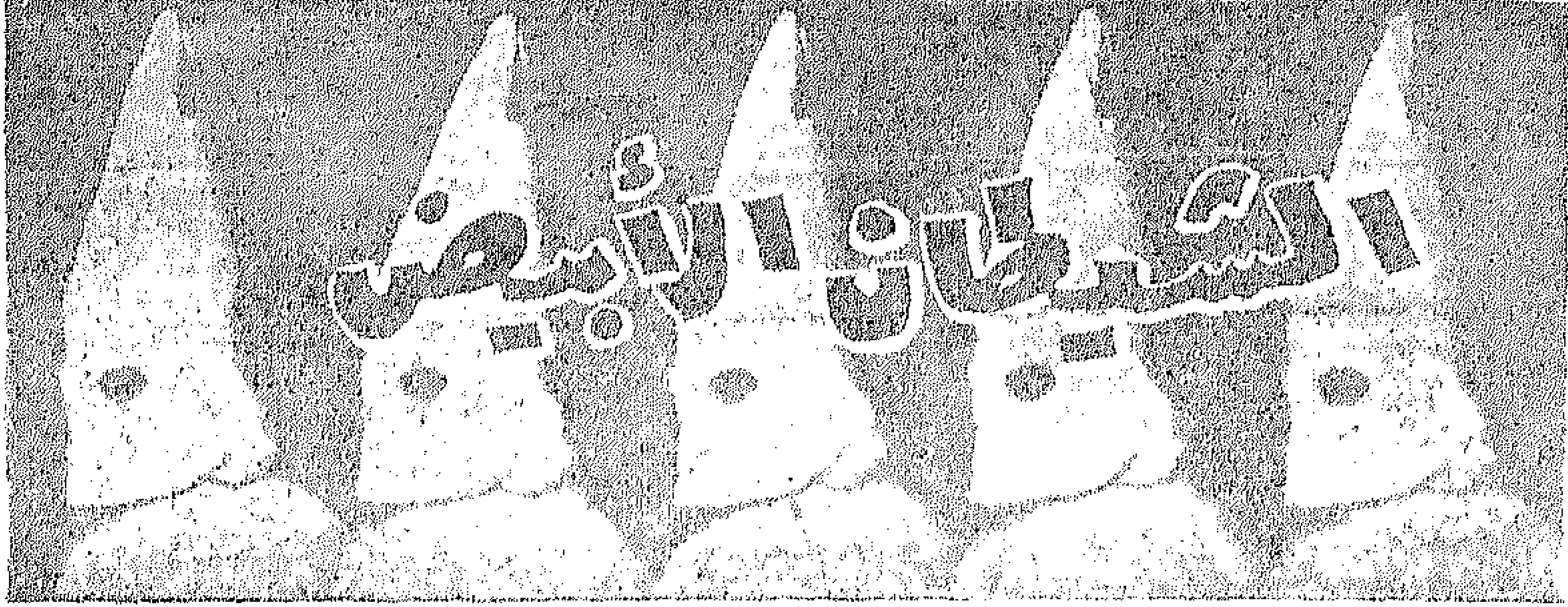
يكتبه لك :	و	يحدثك عن :
الدكتور طه حسين		الأدب والقومية العربية
الدكتور عبد المنعم أبو بكر ..		نظرات فى رحلة موسكو
الدكتور محمد مندور		مؤتمر الادباء العرب
الدكتور عبد العزيز سالم ...		قصر الحمراء
الاستاذ محمود تيمور		الشمس فى منتصف الليل
الاستاذ عبد الرحمن صدقى ...		« الغربان » على المسرح
الاستاذ أنور عبد الملك		ما الأدب العلمى ؟
الآنسة هدى حبيشه		مارك توين
الاستاذ عبد الكريم المدرس ...		ظرفاء بغداد
الاستاذ صفاء الحيرى		الطاقة الايحائية

وغيرهم وغيرهم من الكتاب

١٣٦ صفحة } ١٠ قروش
٣٠ صورة

رئيس التحرير
الدكتور حسين فوزى

عدد لا يجوز أن تسمع عنه بدون أن تقرأه !!



بقلم الأستاذ مصطفى الشهابي

يقيم فى الولايات المتحدة نحو خمسة عشر مليونا من أصل افريقى ساهموا فى بناء المجتمع الأمريكى ، وقاتلوا بين قوات أمريكا المسلحة كمواطنين عاملين ، ولكنهم يلقون شتى أنواع الاضطهاد بسببلونهم ، علىأن أخطر مايتعرضون له من انواعه هو «نظام القضاء» الذى تتولاه «الجماعات السرية» فى قلب أمريكا المتحضرة مما لم يعرفه التاريخ البشرى منذ انتهاء عصر محاكم التفتيش فى أسبانيا فى القرون الوسطى .



عندما تهيىء الأم الأفريقية الأصل ولدها للذهاب الى المدرسة فى أمريكا كل صباح تدعو مبتهلة الى الله أن يحرسه من « الشيطان الأبيض ! » .

وعندما تسير ابنتها البريئة فى طريقها الى السوق أو فى عودتها الى دارها تتلفت حولها فى رعب من « الشيطان الأبيض ! » .

وعندما تتقدم السن بزوجها الأمريكى وتضعف قواه الجسمية يخشى عليه أهله أن يخرج للنزهة خوفا من « الشيطان الأبيض ! » ...

لن يكون هذا الشيطان فى الواقع الا عضوا فى جمعية « كوكلوكس كلان» التى كونها الأمريكيون البيض « المتحضرون » للفتك بمواطنيهم من السود ، لا لشىء الا لأنهم « سود » .

لنرجع الى الأيام الأولى من استعمار أمريكاعندما وجدالمهاجرون الأوروبيون أمامهم آلاف الأميال من الأرض الطيبة الصالحة للزراعة ولكنهم لايستطيعون استغلالها لقلة الأيدى العاملة .

عندئذ كون نفر منهم « الشركة الملكية الافريقية » التى جعلت مهمتها الاتجار فى الحاصلات الافريقية ، ومنها الأفريقيون الذين كانت تشتريهم

من النخاسين على سواحل افريقية الغربية وتنقلهم الى أمريكا حيث يباعون هناك ٠

وأقبل أصحاب المزارع على شرائهم واستخدامهم في الزراعة وكانت مدينة تشارلستون أكبر سوق لتجارة الرقيق ، وفيها كان الأفريقيون يودعون فى حظائر لا يستر أجسادهم شيء ، سوى الخرق البالية ، واذا اشترى أمريكى جماعة منهم قيدهم بالحبال ودفع بهم أمامه الى حيث يقيمون فى أكواخ حقيرة ثم يساقون كل يوم الى الحقل والسياط تلهب ظهورهم ، حيث يعملون من الفجر الى غروب الشمس وحتى يوم الأحد كانوا يرسلون فيه الى الغابات ليجمعوا الأخشاب ليبيعوها ويشتروا بثمنها ما يحتاجون اليه ، وكان أبناؤهم يعتبرون ملكا لصاحب المزرعة ، وكان له الحق فى بيعهم ٠

ورثى بعض ذوى النفوس الكبيرة لحالهم ، وقامت عقب تحرير الولايات المتحدة من نير الاستعمار البريطانى حركة ترمى الى الغاء الرقيق فى تلك الولايات ، وكونت لتحقيق هذه الفكرة السامية جمعيات عدة ضم بعضها الى بعض ، وعقدت أول مؤتمر لها فى سنة ١٧٩٤ ثم تلته عدة مؤتمرات فى السنوات التالية ، وأثمرت مؤتمراته هذه فصدرت بضعة قرارات تستنكر الرقيق وتحرمه وتطالب بالغائه ٠

وأخذ أبناء الولايات الشمالية فى تنفيذ تلك القرارات التى تقضى بها أبسط المبادىء الانسانية ٠

وسرت فى البلاد روح جديدة اذ قام فريق من الكتاب والشعراء يندوون بالاسترقاق ، وفى طليعتهم الكاتب الأمريكى رالف امرسون (١٨٠٣ ـ ١٨٨٢) مما زاد فى عدد الهيئات التى تنادى بالغاء الرقيق ، وعاونهم فى ذلك رجال الدين فهاجموا الرق على منابر الكنائس ، وانهالت عرائض الاحتجاج على الكونجرس ، وتحمس الكثيرون لذلك فكانوا يساعدون على تهريب الأرقاء من الولايات الجنوبية الى الشمالية والى كندا ٠

وانبرت الكاتبة « هاريت بيتشر ستو Harriet Beecher Stowe (١٨١٢ ـ ١٨٩٦) لتصوير حال الأفريقيين السود بأمريكا فى قصة مسلسلة طويلة ، نشرت فى مجلة العهد القومى The National Era» وأطلقت عليها اسم « كوخ العم توم » Uncle Tom's Cabin ثم ظهرت كاملة مطبوعة فى كتاب فى شهر مارس سنة ١٨٥٢ » ٠

ولقيت هذه القصة رواجا لا مثيل له فأعيد طبعها مرارا ، ولكن جمهرة أبناء الولايات الجنوبية عارضوا فكرة التحرير لحاجتهم الى الأيدى العاملة الرخيصة ، ولا سيما بعد اختراع آلة حلج القطن واتساع نطاق الأراضى

المخصصة لزراعتـه ، وكذلك بعـد انتشار زراعة قصب السكر .

وعنـدما ضمت ولاية نيومكسيكو طالب الجنوبيون باباحة الاسـترقاق فيها ، ولكن الشماليين رفضوا ذلك ، وفي الوقت نفسه استن «الكونجرس» قوانين من شأنها تسهيل ارجاع الآبقين من الأرقاء الى أصحابهم وترك البت في أمر الاسترقاق الى كل ولاية على حدة، مما أثار الشماليين ودفعهم الى تكوين حزب انضم اليه « ابراهام لنكولن » ، وتكون في الوقت نفسه حزب الجنوبيين بزعامة « جفرسون دايفز » .

وحلت انتخابات رياسة الجمهورية ، وكان « لنكولن » في طليعة المرشحين، وكانت الخطة السياسية لحزبه هي أنه « ليس للكونجرس أو لأي مجلس تشريعي في المقاطعات منح الاسترقاق صفة قانونيـة في أية مقاطعـة من المقاطعات الأمريكية » .

وشعر الجنوبيون بما في هـذه المبادىء من خطر على سياستهم فأعدوا عدتهم للانسحاب من الاتحاد الأمريكي اذا ما فاز « لنكولن » في انتخـابات الرياسة .

لذلك ماكاد يعلن انتخاب «لنكولن» رئيسا حتى بادرت « ولاية كارولينا الجنوبية » باعلان الانفصال عن الاتحاد الأمريكي في ديسمبر سـنة ١٨٦٠، وتبعتها ست ولايات أخرى ، وانتخبت هـذه الولايات السبع « جفرسون دايفز » رئيسا مؤقتا .

ازاء ذلك أعلن «لنكولن» في خطابه الأول سياسته ، وصرح بوجوب دوام الاتحاد ، وبطلان الدعوة الى انسحاب أية ولاية منه .

وبات الجميع يترقبون قيام الحرب ولكن كلا من الفريقين بقي محجما عن كل ما يؤدي الى نشوب القتال .

وأخيرا اعتدى الجنوبيون على حامية تابعة للشماليين في ميناء «تشارلستون» بكارولينـا الجنوبية في أوائل سنة ١٨٦١ ، وصحب ذلك انفصال عدد آخر من المقاطعـات عن الاتحـاد الأمريكي .

واستمرت الحرب حتى ابريل سنة ١٨٦٥ ، وانتهت بانتصار الشماليين واعلان الغاء الرقيق . واستطاع نفر من الافريقيين أن يشق طريقـه الى الغنى ، وذلك لتعـدد مصادر الثروة هنـاك فأنشأوا المتـاجر والمصانع الصغيرة ، وظهروا كمنافسين أشـداء للبيض في مختلف الميادين .

وفي الوقت نفسـه قام فريق من جنود الجنوب المسرحين بتكوين ناد لهم في مدينة « بولاسكي » «Pulaski» احـدى مدن الولايات الجنوبية ، ولما كانوا شبانا فقـد عمدوا الى الحفلات يقيمونها ليلا حول النيران في الخلاء ، ثم دفعهم المجـون الى ابتكار ملابس

تنكريه واتخاذ مصطلحات خاصة ، وجاراهم فى هذا العبث جنود بعض المدن الأخرى وشبانها ، وتفتقت أذهانهم عن هذا اللباس الغريب ذى اللون الأبيض .

ولاحظ فريق من أفراد هذه الجماعات وفى طليعتهم « جماعة الكوكلوكس كلان » أن الأفريقيين أخذوا يشقون طريقهم فى المجتمع الأمريكى ، ويحلون محلهم ، فأكلت الغيرة صدورهم ، وعمدوا الى مضايقتهم بشتى الطرق ، فرسموا لهم حدودا لا يتخطونها ، فى طليعتها تحريم زواجهم بالبيض ، وتغالوا فى هذا الاتجاه فحرموا على البيض الزواج من الافريقيات .

ثم تطورت الأمور بمضى الأيام ، وغمرت أعضاء هذه الجماعة موجة من الحماسة للاصلاح الروحى والخلقى ، فأخذت تنزل العقاب بمن يفرطون فى الخمر أو يقصرون فى التوجه الى الكنيسة أو يظهرون عطفا على الافريقيين وكان هؤلاء يعاقبون بجلدهم بالسياط عادة أو بنهب متاجرهم ، مما أثار الرأى العام فأصدرت مختلف الولايات سنة ١٨٧٥ قوانين بالغاء « جماعة الكوكلوكس كلان » وما يشابهها .

ولكن قيام الحرب العظمى الأولى والتحاق عدد كبير منهم بالجيش وترقية بعضهم الى مراتب الضباط ، وتغلغلهم فى مختلف نواحى الحياة الأمريكية ، وظهورهم أعضاء عاملين فيها . كل ذلك لفت الأنظار اليهم ، وزاد الحقد عندما انتشرت البطالة بين البيض عقب الحرب فثارت ثائرة بعض البيض ، وعادت « جماعة الكوكلوكس كلان » من جديد الى اضطهاد السود فى شتى نواحى الحياة .

وأصبح اضطهاد السود فى أمريكا يختلف عن كل اضطهاد عنصرى ، لأنه اضطهاد شبه رسمى تقضى به قوانين بعض الولايات ، فولاية « مسيسيبى » وعدد غير قليل من الولايات الأخرى تحتم فصل التلاميذ البيض عن السود فى مختلف مراحل التعليم ، كما تعتبر زواج شخص أبيض من شخص افريقى الأصل زواجا باطلا ، بل ان بعضها يتغالى فى ذلك الى درجة لا يتصورها العقل كتخصيص كنائس وسيارات ، وغير ذلك لهم .

والويل كل الويل لمن يجرؤ على مخالفة الحدود المرسومة أو التقاليد الموضوعة ، فقد كان أبسط عقاب له هو طريقة « لينش » Lynch (١) أى التعليق من الرقبة فى شجرة .

---

(١) لينش اسم مزارع أمريكى كان يملك مزرعة بعيدة عن العمران ابان السنوات الأولى للهجرة ، وكان يعاقب بنفسه من يهاجمون مزرعته أو يحاولون السطو عليها بتعليقهم من رقابهم على الشجر دون أن يلجأ الى رجال الأمن .

كماكان الكفيل بتنفيذ تلك العقوبة هم أعضاء هذه الجمعيات .

وقلما استطاع رجال البوليس أن يقفوا فى طريق هذا الانتقام الوحشى الذى يقدم عليه البيض دون روية أو تفكير ، واذا حدث أن تدخل البوليس وقبض على اسود متهم بأية جريمة فى انتظار محاكمته فكثيرا ما يختطفه البيض ليعدموه بهذه الطريقة البشعة دون انتظار لنتيجة التحقيق التى كثيرا ما أسفرت عن براءة السود مما اتهموا به .

وكثيرا ما يلقى الشرقيون الذين يقيمون بالولايات متاعب جمة بسبب لونهم ، من ذلك ما حدث لسفير الهند فى ٢٣ من أغسطس سنة ١٩٥٥ اذ اجبره رجال أحد المطارات الى الانتقال الى القاعة المخصصة للسود لتناول غذائه قبل سفره الى المكسيك مما اضطر الحكومة الأمريكية الى الاعتذار رسميا عن هذا الحادث .

ومنذ عدة أعوام اعتدنا أن نقرأ فى بداية كل عام دراسى مايقوم به الشباب فى الجامعات والمعاهد العالية من حركات عنيفة ، للحيلولة دون التحاق السود بتلك الجامعات والمعاهد . وكل ذلك بايعاز وتأييد من جماعة « الشيطان الأبيض » رغم أن السود يشاطرون البيض دفع الضرائب المحلية الخاصة بالتعليم .

ومن أكثر ما يروى فى هذا الصدد طرافة أن مجلس احدى المدن الكبرى الجنوبية المعروفة بعدائها للسود جمع من سكانها البيض والسود على السواء مبلغا كبيرا ، ساهم السود فيه بنحو الربع ، لتحسين حال مدارسها .

واجتمع مجلس المدينة وبين أعضائه قلة من السود ، وقرر بأغلبية الأصوات تحويل المبلغ كله للانفاق على مدارس البيض .

وهنا تساءل أحد الأعضاء السود :

هل تعنون بدفع كل المبلغ لمدارس البيض أن تخرج شبابا مهذبا ؟

فأجاب الأعضاء البيض : نعم .

وكان تعليق هذا العضو : اذن نحن السود على استعداد لدفع مبلغ آخر يعادل ما دفعناه لكى يكون شبابكم أكثر تهذيبا !

إفريقية والكتاب العرب

بقلم الأستاذ محمد أحمد الجابرى

لم تكن رقعة من البقاع الافريقية وبخاصة ما كان منهـا شمالى خط الاستواء على وجه التقريب مجهولة أو مظلمة بالنسبة للعرب بوجه عام ولشعب وادى النيل بصفة خاصة ، فالأرض من حيث طبيعتها وبيئتها الاقليميـة ليست الا امتدادا للمنطقة الغربيـة من آسيا ، التى يسكنها العرب ، وتطلق كلمة العرب أصلا على المجموعات التى تسكن الصحارى الواقعة فى جنوب غربى آسيا وتحدد الاسم فى مدلوله بتوالى الأزمنة حتى صار يطلق على سكان المنطقة فعلا وعلى النازحين منها الى الأقطار الأخرى .

وتحد هذه المنطقة شرقا بصحراء غوبى ، وتنتهى غربا بالمحيط الاطلسى أو بحر الظلمات كما كانوا يسمونه ، وجبال طوروس والبحر الأبيض شمالا والمحيط الهندى وجنوبى خط الاستواء تقريبا فى الناحيـة الجنوبية ، وقد اختلطت موجات من الهجرات البشرية التى اتخذت اتجاها محددا فى العصر التاريخى ، وذلك بأن سلكت طريقها من الشرق الى الغرب ، ومرجع تلك الهجرات الى أسباب كثيرة . اذ لم يكن أمام هـذه الموجات من المهاجرين من ملجأ حيوى غير افريقية ، فجاؤا فى مجموعات عبر باب المندب ، وعبر سـيناء ، وأخـذت تلك الجماعات المتتابعـة تنتقل من مكان الى مكان لتختار لها البقعة المناسـبة والملائمة لحياتها القبلية ، وكانت أحدث تلك الهجرات ، التى تهمنا الاشارة اليها فى هذا البحث ، خروج جماعات من مصر العليا ضاربة نحو الغرب ، وكان ذلك قبيل نهـاية العصر التاريخى وكانت هنالك هجرة ثانيـة من قلب حوض النيل الأعلى ، عنـدما خرجت مجموعات بقضـها وقضيضها نحـو الغرب فى أعقـاب غزو اكسوم لمملكة « مرو Meroe » وتخريبهـا فقـد اتجهت هـذه المجموعات نحو الغرب عن طريق كردفان ، وصارت تنتقل من مرحلة الى مرحلة حتى وصلت الى حـوض النيجر ، وانتهى المطـاف بجماعات منها فى المنطقة الممتدة من الكمرون الى سـيراليون حتى ساحل المحيط الأطلنطى . ودليلنا على تلك الهجرات والاتصـالات الوثيقة التى كانت تربط بين رقعـة وادى النيل والغرب من أفريقية ما نجده اليوم من بقايا من التراث المصرى القديم ممثلة فى العـادات والتقاليد ونظم الحياة فى مختلف أوجه نشاطها ، كما يؤيد ذلك

ما يعثر عليــه فى باطن الأرض من آثار . ولا غرابة اذن فى أن نجد العرب المسلمين بعد امتداد فتوحاتهم التى شملت ملكا واسـعا من حدود الهند الى المحيط الأطلسى شرقا وغربا وجبال القوقاز وصحراء افريقيـة شـمالا وجنوبا ، وبلاد الأندلس من الجانب الغربى الشمالى .

كذلك نجد أن العرب المسلمين ومن تابعهم قد خرجـوا من موطنهم فى الجزيرة العربيـة فى موجات جماعية متلاحقة نحو افريقية ، وبخاصة مع كل عامل جديد . وقد تمت للعرب السيطرة المطلقة على الشاطىء الافريقى للبحر المتوسط فى السنوات الأولى من القرن الثامن ، واتخـذوا من طنجة مركزا استراتيجيا ، وكان لزاما بعد أن شمل نفوذ الاسلام كل هذه الرقعة الواسـعة من الأرض أن يتجـه المسلمون الى الأسفار ، والرحلات ، للكشف والدراسـة ، والتعرف على الموارد الاقتصادية والاجتماعية ، وقد كان لهـذه الرحلات التى قام بهـا الرحالة العرب ، بعد أن توقفت زمنا طويلا من قبل الدعوة الاسلامية — أثرها فى تقدم المعرفة الجغرافية الاقليمية منها والبشرية والاقتصادية عن سكان ذلك العـالم الذى كان فى متناول العرب وازدهرت التجارة ، وانتظمت القوافل التجارية فى البحر والبر ، واستعاد العرب سيطرتهم على التجارة فى المحيطات والبحار من الصين شرقا والمحيط الهندى وشرق افريقية ، وعبر البحرين الأحمر والأبيض وشواطىء افريقية على الأطلسى وفى صـحارى أفريقية ، ومسالك آسيا وتنقل العرب من التجار والعلماء بين أقاصى هـذه الرقعة الشاسعة وأدانيها ، فكنت ترى الأخ فى الصين وشقيقه فى قلب افريقية الغربية كما ذكر ابن بطوطة الذى لقى قوام الدين السبتى فى الصين وشقيقه أبى محمد السبتى (١) فى بلاد السودان مع بعد الشقة بينهما .

وقد تميز العهد الاسلامى فى امتداد ادارته ورسالته الدينية الى مختلف الأقطار التى أشرنا اليها ، بما قام به الولاة من رفع فى المستوى للفرد ، وما عملوه من المسـاواة والحرية الكاملتين فى العبادات والآراء ، وتمكين كل صاحب حق مغتصب على استرداده دون تفرقة عنصرية أو مذهبية ، وقد عملت الرسالة الاسلامية على محاربة النخاسة والغائها تدريجيا بما يتمشى مع حياة المجتمع فى مرحلة انتقاله من وثنيـة غارقة فى القـدم ، تركت رواسب عميقة الجـذور ، متباينة الصور فى مختلف المواطن ، ولم يكن من السهل تحريم النخاسة دفعة واحدة

---

(١) السبتى نسـبة الى موطنه (سـبتة) . انظر مهذب رحلة ابن بطوطة جزء ثان ص ٩٥ — طبع القاهرة ١٩٣٣ .

لما يترتب على ذلك من هـدم لكيان المجتمع فى فتوحاته الاقتصـادية المتوارثة ، فقـد حبب الاسلام عتق الرقاب وأجزل الثواب عليـه ، وقد وصل الكثير من أولئك العتقاء الى مراكز سامية سواء كانت مدنية أو دينية ، ولم يعقهم عن ذلك جنس أو لون .

وقد أصيبت الامبراطورية العربية الواسعة الأرجاء ببعد الشقة ، وصعوبة المواصلات التى كانت تتطلب ما يقرب من العـام فى قسطها من الشرق الى الغرب . وكانت كلها تستمد سلطاتها من مركز بعيد المنال ، وكان طبيعيا حدوث الانقسامات باستقلال هـذا الوالى أو الزعيم أو ذاك من الجند أو غـيره . وسرعان ما برزت الشعوبية التى استطاعت الطغيـان على المثل الأخلاقية العليا ، وتعطيلها طمعا فى المـال الكثير والربح الوفير ، وعادت الأساليب التجارية القديمة ، وانتعشت فى ركاب التقاليد والعادات القديمة ، وقويت فى نفوس الزعماء ، وأصحاب الحيـاة نزعة العصبيات فانتعشت تجارة النخاسة فى حدود ضيقة نسبيا بين الأقاليم العربية لتزويدها بالأيدى العاملة للقيام على الأرض وغير ذلك من الخدمات ، وكانت معاملة هؤلاء الارقاء فى البلدان العربيـة متسمة بصورة عامة بالطابع الانسـانى العالى . وقد اتسعت هـذه التجارة بدخول عنصر المنافسة الأوروبيـة فى نهاية القرن الخامس عشر ، عندما هبط الأوروبيون على الشاطىء الغربى لافريقيـة وقد اتخذوا منه محطات لصيد الرقيق ، واشتد الصراع باكتشاف الأمريكتين والتوسع الزراعى ، وقد قدر ما نقله الأوروبيون بعشرة ملايين من المواطنين الافريقيين فى المدة بين سنتى ١٤٥٠ و ١٨٥٠ م أرسل منهم ما يقرب من السـتة الملايين عبر المحيط الأطلسى للعمل فى الأراضى الجديدة ، وقد كان لانجلترا نصيب ملحوظ فى هـذه التجارة ، وفى استغلال الأيدى العاملة فى مزارع جزر الهنـد الغربية بأقل التكاليف ، وقد استطاعت هذه الدولة باسـتغلال المواد الوفيرة ، بنـاء اقتصاديات ضخمة ، وتكوين رأس مال كبير ، تستخدمه الى اليوم فى خارج أراضيها .

وبعد أن وصلت الفتوحات العربية نهـاية الشـاطىء الافريقى للبحر المتوسـط غربا عبرت جيوشهم الى الأندلس ، وكانت على الجانب الجنوبى فى مشارف الصحراء ممالك افريقية كبيرة ودويلات صـغيرة ، وقامت امبراطوريات واختفت أخرى ، وكل هذه التطورات لم تدخل تغييرا أساسيا على النشـاط التجارى بين جنوبى الصحراء والمناطق العربية على الشاطىء الافريقى للبحر المتوسط ، وذلك فى الزمن الذى سبق دخول المسلمين الى الأراضى الافريقيـة جنوبى الصحراء التى عرفت فى أول الأمر باسم بلاد

السودان كما وردت لأول مرة فى كتاب فتوح مصر وأخبارها لابن عبد الحكم ، وهو أول تاريخ وصل الينا عن الصدر الأول للاسلام • وكتب من بعده كثيرون منهم (دون ترتيب) المسعودى واليعقوبى والاصطخرى وابن حوقل ومحمد التاريخى الأندلسى والبكرى والادريسى وابن سعيد وابن فاطمة والمقدسى والمقرى والعمرى وابن خلدون وابن بطوطة وليو الافريقى •

ويهمنا أن نتعرف على العلاقات التجارية التى قامت بين شمال أفريقية والممالك جنوبى الصحراء • ومنها Ghana ومالى Melle فقد ذكر المقرى وصفا لممارسة أجداده للتجارة بين أوروبا والسودان وقد جمع هذا البيت ثروة طائلة من التجار كما وصل أهله الى نفوذ كبير فى الناحيتين الاقتصادية والسياسية ، وكانت التجارة ترسل عن طريقين أحدهما الى طرابلس (ليبيا) عن طريق العجيلة والى الجزائر ومراكش عن طريقى ورجلان وسجلماسة (تأسست عام ٧٥٧ م على أنقاض تيفيليت) ، وكانت التجارة المرسلة عن طريق العجيلة تصل الى مصر ، أما تلك التى كانت ترسل عن فريق البلدين الآخرين فكانت للأندلس وأوروبا •

ومما تجدر الاشارة اليه النظام الذى كانت تتبعه الجماعات الممارسة للتجارة وتنظيماته للمحافظة على نفوذها وقوتها التجارية ازاء منافسيها وبيت المقرى يعطينا صورة لهذه التنظيمات ، فقد توفى أحدهم ويدعى عبد الرحمن المقرى وترك خمسة من الأولاد آلت اليهم تجارة والدهم فاتفق هؤلاء على ممارسة الأعمال بأنفسهم دون شركاء أو معاونين أساسيين ، وذلك بأن يتخذ اثنان منهم مقرا فى تلمسان للتجارة مع أوروبا ، وأن يسكن واحد منهم فى سجلماسة ، وكانت مهمته وهو على هذا الطريق الصحراوى أن يرقب وصول السلع من الجنوب والشمال ، أو يصلح ما قد أصابها من عطب كما كان عليه أن يرقب السلع الواردة للتجار الآخرين ويرسل عنها تقريرات سرية لأخوته ، وأقام أثنان فى «أيوالاتين Iwalatin لممارسة التجارة — بيع الوارد من الشمال وشراء السلع المطلوبة من الجنوب الى مختلف الأقاليم على شاطىء البحر المتوسط

وقد حدث حادث تجدر الاشارة اليه عن المكانة التى احتلها هذا البيت بالذات بما اكتسبه من خبرات وتجارب أبا عن جد ، أنه حدث ذات مرة أن أحد سلاطين التكرور هجم على «ايوالاتين» وصارت متاجر أبناء المقرى عرضة لخطر النهب ، فما كان من الابنين

وعمالهما الا أن تحصنوا فى مبانيهم واستعدوا بالسلاح للقتال • وشاءت الظروف أن يتصل الابن الاكبر بالسلطان المهاجم وسويت المشكلات ، وضمن السلطان رعاية أملاكهم ومتاجرهم — وكان لهذا الفوز لدى السلطان أثره فى تطور العلاقات السياسية • وجاء فى ابن حوقل أن تجار المغرب كانوا على خلق عظيم : سيادة فى الأفعال وحسن كمال فى الأخلاق والأعمال يخرجون برسومهم عن رقة أهل المغرب فى معاملاتهم وعاداتهم الى عمل بالظاهر كثير ، وتقدم فى أفعال الخير شهير ، وحنو بعض على بعض من جهة المروءة والفتوة وان كانت بينهم الجنايات والترات القديمة تواضعوها عند الحاجة واطرحوها رياسة وسماحة وكرم سجية ... وقف عليهم بكثرة أسفارهم وطول تغربهم عن ديارهم .

وقد زار ابن بطوطة (١٣٠٤ — ١٣٧٨ م) بلاد السودان — مالى ومنطقة النيجر Niger — بعد عودته من رحلاته الطويلة بين مشارق الأرض ومغاربها والتى استغرقت ما يقرب من خمسة وعشرين عاما ، تنقل فى خلالها من موطنه فى شمال افريقية ، ومصر والشام والحجاز وشرق افريقية وفارس والهند والقسطنطينية ، والقرم وخوارزم وبخارى وتركستان وأفغانستان وجزر الملديف وبعض جزر الهند الشرقية والصين ، وعاد الى طنجة فى عام ١٣٤٩ وذهب الى الأندلس فى العام التالى وقام برحلته الأخيرة الى بلاد السودان الغربى فى عام ١٣٥٢ ، وقد استغرقت هذه الرحلة حوالى العامين ، وقد جاء ابن بطوطة الى بلده ، ليستقر فى هدوء بقية أيام حياته ، ويتفرغ الى كتابة مشاهداته فى أسفاره الطويلة التى وصلت الينا فى كتابه « تحفة الانظار فى غرائب الامصار وعجائب الاسفار » التى أملاها على ابن جزى كاتب السلطان المرينى ، وانتهى من تقييدها فى عام ١٣٥٥ م وفرغ ابن جزى من تأليفها فى عام ١٣٥٦ م وقد أضاف عليها هذا الكاتب عبارات انشائية فى مدح حكامه .

ويبدو أن رحلة ابن بطوطة الى السلطان أبى الحسن • الذى أراد أن يتعرف على أحوال بلاد مالى Melle بعد أن وصلته قبل ذلك بعدة سنوات بعثة من لدن سلطانها سليمان للتهنئة بالاستيلاء على تلمسان ولتوطيد عرى الصداقة وفتح طرق التجارة •

ورحلة ابن بطوطة مليئة بالمعلومات عن الأحوال فى غرب افريقية ونظم الحكم ، وقليل من المعلومات الجغرافية وهذه الرحلة جديرة بالتحقيق والدراسة المقارنة فى المؤلفات الاخرى •

انتشار حركات التحرير فى أفريقية

بدأت فى القاهرة ، أولى جلسات المؤتمر الأول للتضامن الأفريقى الآسيوى ، ففى الساعة العاشرة والنصف من صباح اليوم السادس والعشرين من ديسمبر سنة ١٩٥٧ اجتمع أعضاء وفود يمثلون أربعا وأربعين دولة من دول وشعوب القارتين الكبيرتين فى قاعة الاجتماعات الكبرى بجامعة القاهرة وقد خرج الشعب المصرى صبيحة ذلك اليوم لتحية ضيوف مصر والترحيب بهم ، وكان من حسن الطالع أن أولى جلسات هذا المؤتمر التاريخى الذى يعد من أبرز الأحداث العالمية التى ربطت بين عامى ١٩٥٧/١٩٥٨ ، كما وثقت عرا التضامن بين شعوب قارتين ، قد عقدت هذه الفاتحة المباركة فى صبيحة يوم عيد الميلاد لدى الكنيسة الغربية ، وهو عيد مولد رسول السلام والمحبة ، فكان توافقا مباركا أن تجتمع وفود الدول المحبة للحياة فى عزة وكرامة ، بعيدة عن التطاحن الدموى للسيطرة والاستعباد ، وللعمل لخير الانسانية دون تمييز أو تفرقة عنصرية .

وقد أفتتح أولى الجلسات رئيس المؤتمر ورئيس وفد مصر ، السيد أنور السادات ، مرحبا باسم مصر بأعضاء الوفود ، وموجها عبارات الشكر الجميل على تأييد الدول الافريقية الآسيوية لمصر عندما تآمرت عليها الدول الثلاث بالاعتداء على بور سعيد ،

ثم تكلم السيد يوسف السباعى سكرتير عام المؤتمر ثم رئيسة وفد الهند ، ثم انتقلت أعمال المؤتمر الى الدراسات المستفيضة للقضايا المقرر درسها فى مختلف الميادين ، وأجتمعت اللجان ، وانتهت جلسات المؤتمر التاريخى فى اليوم الأول من يناير سنة ١٩٥٨ بأصدار بيان نهائى أوضح فيه قراراته وتوصياته التى كان لهـا أبعد الأثر وأعمقه فى الأوساط الدولية .

والجدير بالتسجيل فى هذا المؤتمر الذى عقد فى القاهرة أنه لأول مرة استطاعت شعوب المستعمرات الافريقية أن توفد مندوبيها بشتى الوسائل والطرق ، متخطية فى ذلك الحواجز والصعاب التى أقامها المستعمرون لمنع المندوبين عن تمثيل شعوبهم بالاشتراك فى المؤتمر الذى من شأنه تقوية الروابط وشحذ الهمم فى اجماع حازم تسندها قوة جماعية لها خطرها . وهذه الظاهرة تعنى أن آفاقا جديدة قد فتحت أمام العالم الخارجى ليرى ويلمس مدى تغلغل روح الحرية وازدياد الوعى القومى بين الشعوب الأفريقية ، رغم الستار الحديدى الذى حاول المستعمر اقامته عن طريق عزل الشعوب .

ويجمل بنا بمناسبة مؤتمر التضامن الآسيوى الافريقى أن نعرض لمحات من الحركات الوطنية فى افريقية التى استطاعت أن تبرز فى صورة واضحة جلية خرج معها المارد الأفريقى ليزلزل أركان الاستعمار فى معقله الأخير .

فاذا نظرنا الى خريطة افريقية السياسية اليوم نجد أن رقعة الدول التى تتمتع بالاستقلال أو التى فى طريقها الى نيل حريتها قد زادت فى اماكن كانت بالنسبة للمستعمر مواقع استراتيجية ، ففى شمال أفريقية استردت كل من تونس ومراكش استقلالها بعد كفاح دموى ولكل منهما موقع حصين فتونس تسيطر على وسط البحر المتوسط ، بينما تسيطر مراكش على مدخل البحر المتوسط الغربى وتطل على المحيط الأطلسى فى شاطىء طويل ، ومن أبرز ما تميزت به تونس ومراكش موقعهما على رأس الحربة التى يمكن منها الدخول بسهولة الى قلب القارة الأوروبية من ايطاليا واسبانيا . وهذا يعنى أن الجبهة الجنوبية التى كانت تحمى قلب الاستعمار الأوروبى قد انكشفت وتعرضت الى خطر جسيم . وسوف يكون هذا الخطر أكثر بروزا على الاستعمار حينما تنال الجزائر المكافحة استقلالها ، والجزائر هى الوحدة التى تدعم استقلال شمال أفريقية كله ، وتربط بين معاقل الأحرار فى الشرق وغرب البحر المتوسط وللجزائر أهمية استراتيجية أخرى ، فهى كما أراد لها الاستعمار الأقليم الوحيد من أقاليم شمال أفريقية الذى يمتد امتدادا عميقا الى الجنوب عبر الصحراء الكبرى حتى يلتقى مع أقاليم الاستقرار والثروة فى مستعمرات فرنسا وبريطانيا فى السودان الفرنسى . وغرب افريقية على الاطلاق .

فاذا نظرنا الى غرب افريقية وجدنا أن الدول فى المستعمرات البريطانية فى أوضاع تقربها ، أو قربتها فعلا ، الى الاستقلال ، فيها تجد جمهورية غانة التى نالت استقلالها منذ أمد قريب ، ولا شك أن مصير الحركة التحررية القومية فى نيجريا ، مهما اختلفت أحزابها فى الشكليات سيؤدى حتما الى الاستقلال الكامل .

ولنيجيريا فى غرب أفريقية وضع استراتيجى يماثل وضع الجزائر فى الشمال ، فهى كثيرة المساحة ، كثيرة السكان وفيرة الثروات تطل من ناحيتها الغربية على بقية أجزاء غرب افريقية ، ومن ناحيتها الشمالية على المستعمرات الفرنسية فى أقاليم السفانا الغنية ، وحدود الصحراء الكبرى ، فتربط بذلك بين ثورة الأحرار فى الجزائر وحركة التحرير فى نيجيريا فيما يشبه المحور ، أما حدودها الشرقية فتطل على أقاليم الاستعمار الفرنسى فى افريقية الاستوائية الفرنسية واقليم تشاد . وهذه الأقاليم تشترك فى

حدودها مع جمهورية السودان ، وبذلك ينشأ محور حر آخر ، قطباه السودان ونيجيريا ، وحدودها الجنوبية الشرقية وسواحلها الجنوبية تطل على الأقاليم الغنية فى الكونغو الفرنسى والبلجيكى والكمرون ، وهنا نجد أن دور نيجيريا يتمثل فى كونها جبهة طويلة قوية تمد يد المساعدة الى هذه الأقاليم .

وفى شرق افريقية بدأت الحركة الوطنية التحررية فى كينيا بدايتها المعروفة بحركة الماوماو ، وكذلك بدأت فى الصومال قبيل ذلك بقليل ، وانتهت الى خطوة استقلال الصومال الايطالى سابقا ، وما زالت المعركة مستمرة لتحرير أجزاء الصومال .

أما فى جنوب افريقية فان الحركة الوطنية ما زالت فى مراحلها الأولى نظرا للكبت الذى يقوم به المستعمر الأبيض وأعوانه لابادة الافريقيين واحلال الأوربيين محلهم ، والواقع أن هنالك ترابطا وان كان على درجة غير مباشرة ، بين الحركات التحررية فى افريقية على العموم ؛ وقد زاد مؤتمر القاهرة من هذا الترابط وخلق مجالا جديدا للاجتماع وتنسيق الجهود ، ليس فقط فى افريقية بل امتد على نطاق أوسع الى شعوب آسيا وشعوب أخرى ، ولا شك أن آسيا التى قاست الأمرين من الاستعمار ستقاومه مع أخواتها فى افريقية لطرد الاستعمار ، اذ أن وجوده فى مكان ما يؤدى الى تهديد سلامة الأقطار الأخرى .

الحركات التحريرية فى نيجيريا

تعتبر نيجيريا ــ أكبر الأقطار التابعة للأمبراطورية البريطانية فى غربى افريقية ، وتسكنها مجموعات من القبائل الكبيرة التى تكون كل منها وحدة منعزلة لحد كبير ، وهى قبائل : الهوسا والايبو واليوروبا ، والفلانى ، والأيبيبيو ، والكاتورى وغيرها فلكل منها تقاليدها الموروثة ، وعقائدها القديمة ، وترجع يقظة الوعى القومى الى الحرب العالمية الأولى غير أنها كانت فى حدود ضيقة ، فقد شعر الشباب المثقف نسبيا بالقيود الجائرة التى فرضها المستعمر فى ميدانى التعليم والاقتصاد ، لتحطيم الروح المعنوية ولاذلال الأهلين ، ليضمن المستعمر موارد ثرائه وسلطانه ، فقد كان المستعمر لا يسمح للطالب الذى تبدو عليه أمارات الذكاء باتمام دراسته بل يجبره على ترك المدرسة والالتحاق بعمل يختاره له تحت ارادة المستعمر المباشرة . لكن كل ذلك الاحتياط لقتل الروح التحررية لم ينجح الا فى تعطيلها بعض الوقت ، والوقت فى حياة الأمم لا ينظر اليه بعين الاعتبار .

كان من الجلى أن الشعور التحررى الذى انبعث بين الشباب لابد أن يواجه طبقة المتقدمين فى السن وما لهم من عقليات رجعية تقعد بهم عن الرغبة

فى الصراع ، مهما كانت درجته ، فهم يحاولون المحافظة على القديم وبخاصة اذا كانت لهم منه مزايا مادية ، لذلك نجد أن أول حركة قد قادها « هربرت ماكومى » فى عام ١٩٢٣ انضم اليه الشباب فى جماعته التى أسماها الشعبة الديموقراطية القومية ، وهربرت هذا حفيد الدكتور « صمويل اجابى كروثر » أول مطران أفريقى .

ولم يكن لهذه الجماعة نشاط ما خارج مدينة لاغوس ، كما لم يكن للاسم الضخم الذى اختاره لشعبته من أثر فى حياتها العملية ، التى لم تتعد الرغبة فى اصطياد أصوات الناخبين ، كلما سنحت الظروف الانتخابية لضمان انتخاب الأعضاء الثلاثة للمجلس التشريعى . وظهرت منافسة لهذه الشعبة جماعة الاتحاد الشعبى الذى رأسه الدكتور « راندل » ، وشعبة اتحاد الشباب النيجرى وتزعمها الدكتور « أوريسا ديب » والمحامى « سابيير وليمز » ، ولم تكن أهداف هؤلاء تخرج فى أساسها عما قامت عليه شعبة الديموقراطية القومية ، والتى لم تدخل فى برامج أى منها تحقيق أهداف سياسية ، بل اكتفت بالعمل فى حدود الحصول على كراسى فى انتخابات لاغوس ، وأخذت بعين الاعتبار الشخصيات لا المبادىء .

وقامت فى عام ١٩٣٣ حركة شباب لاغوس التى صارت فيما بعد حركة الشباب النيجرى وقد كانت حركتها على أساس قومى شامل ، وبالرغم من أن زعماءها كانوا من الشباب المثقف من الطبقة المتوسطة ، فقد كانت لهم اتجاهات اصلاحية اجتماعية ، وكانت هذه نقطة تحول فى الصراع فيما بين الأعضاء القدامى الذين كانوا يرغبون فى الابقاء على الأوضاع الاقتصادية على ماهى عليه والمحافظة على العلاقات مع البريطانيين ، وقد أصدر الشباب النيجرى ميثاقا شمل الأسس القويمة لبناء القومية وتحررها من ربقة الاستعمار الذى يهدف الى قيام حكومة ذاتية . وجاء فى هذا الميثاق ضرورة العمل على توحيد كلمة القبائل المختلفة فى نيجيريا واتخاذ الوسائل التى تشجع على حسن التفاهم . والتعاون الوطيد بين القبائل لتجتمع جميعها عند هدف موحد ، وكان هذا الميثاق أول برنامج روعى فيه العمل على الخلاص من الفوارق القبلية والدينية — وهى موطن الداء . وقد استجاب لهذه الدعوة الآلاف من الشباب من مختلف المناطق ، وسرعان ما اكتسحت هذه الجماعة المؤسسات القومية ، ونجح مرشحوها فى المجالس التشريعية والبلدية . غير أن هذه الحركة ، وهذا التقدم السريع قد دبت اليه عناصر الافساد ، فبرزت الحزازات الشخصية واشتد الخلاف بين الزعماء وسرعان ما أخذت الجماعة فى الانحلال لسبب الاستقالات المتتالية ، وانكمشت

هذه الجماعة الى حدود ضيقة جـدا جعلت منها رمزا لا قيمة له يعيش على تراث صار غير ذى موضوع ، وحاولت هـذه الجمـاعة فى ١٩٤٨ اسـترداد مركزها بين شباب اليوروبا ، ولكنهـا فشلت بسبب أن زعماءها المتناحرين قـد انقلبوا على أعقـابهم ، وغدروا بمبادئهم التى قاموا لنصرتها ، ورجعوا الى تعضيـد النعرات القبليـة ، والانحرافات ، لأجل المنفعة الذاتيـة لأشخاصهم ، وقد يرجـع اللوم على المستعمر الذى استطاع أن يبذرالفتنة بين هؤلاء وينجح فى تفرقتهم وجعلهم شـيعا وأحزابا ، تتطاحن وتتصارع على مذبح الوطنية . ولكن ذلك اللوم على المستعمر لا يكفى ، فاذا لم تجد الشعوب من يقودها فى صدق وولاء ، فان الحركة التحررية لايصيبها النجاح الا اذا ضـحى الأفراد بمصـلحتهم الخاصة ، وبما يجدونه من فرص فى صالح القومية العامة .

وآية ذلك أن مصر قد عملت عشرات السنين ، ولم تستطع أن تحصل على حقوقها ، ومرجع ذلك تطلع الزعماء الى الكراسى والسلطة ، ولمـا جاءت ثورة مصر اسـتطاعت أن تحقـق فى سنوات قليلة ما كان تحقيقه فىعشرات السنين فيمـا مضى مسـتحيلا كل الاستحالة .

وعنـدما صـدر ميثاق الاطلنطى اشتد تطلع الشعب فىنيجيريا الى نيل حقوقه ، ونجاحه بعـد نشر وثيقة روزفلت ـ تشرشـل فى أغسطس سـنة ١٩٤١ التى ألهبت الشعور الوطنى ، وبخاصـة بين المثقفين وطبقة العمـال الذين اعتقـدوا ان بريطانيا قد قبلت بعد طول الوقت الأخـذ بمبـدأ المساواة السياسـية للملونين الـذين تتـكون منهـم الامبراطورية ، وسـاعد على هـذا الاعتقـاد ما جاء فى الميثاق من حـق الشعوب فى تقرير مصيرها فتقـدم الوطنيون مطالبين بقيام حكومة منتخبة تمارس الحـكم عشرة أعـوام وتمهـد لقيـام حكومة ذات مسئوليـة كاملة لخمس سنوات تمنح فى نهايتهـا أى نهـاية الخمسة عشر عاما ـ مرتبـة الدومنيون لافريقية الغربية :

* * *

هذه لمحة موجزة للصراع فى غرب افريقية والمناطق الأخرى. ومما لاشك فيـه ان من ثمرات مؤتمر التضامن الافريقى الآسيوى أن المستعمر سيفقد الأرض التى يبذر فيها بذوره للفتنـة والانحـلال والتدهور ، وأنه سوف يرعى الحركات الوطنيـة التحـررية ويباركهـا لتؤتى أكلهـا ، وتسـتمتع شعوبها بالحرية والاستقلال .

NAHDATU IFRIQUIAH

AIMS

1.—Promotion of African National consciousness.

2.—Creating a medium of cooperation between Africans in their respective milieu.

3.—Publishing special and general studies relevant to the African in his vital field of activity.

Subscribers are entitled to :—

1.—Receive — at reduced cost — regular issues of the magazine and its occasional papers.

2.—Profiting by the services of the Relations Committee.

- **The Editor welcomes, suggestions impressions, criticisms and desires for consideration.**
- **Articles published in this magazine are not necessarily representing the editorial views.**

Correspondence :—

Editor :—

NAHDATU IFRIQUIAH

5, Sharia Ahmad Heshmat

Tel. 807658 *Zamalek — Cairo*

Subscription Rates

	P.T.
Annual subscription for Egypt & Sudan	30



فتاة من افريقية

Vol. 1

No. 3 - January 1958



Nahdatu IFRIQUIAH

IN THIS ISSUE



نهضة أفريقيه

مجلة شهرية للثقافة الإفريقية
رئيس التحرير : محمد عبد العزيز اسحق

محتويات العدد

نهضة افريقية

تهدف هذه المجلة إلى :

١ ــ تنمية الوعى القومى الإفريقى .

٢ ــ التعارف بين الإفريقيين فى مختلف بيئاتهم وحياتهم الإقليمية .

٣ ــ نشر البحوث الخاصة والعامة التى تهم كل إفريقى فى مجاله الحيوى .

وللمشتركين الحق فى :

١ ــ الحصول على المجلة بانتظام ، وكذلك المطبوعات التى تصدرها المجلة بين وقت وآخر بثمن مخفض .

٢ ــ الإفادة من خدمة لجنة الاتصال بالمجلة بقدر الإمكان .

● ترحب «مجلة نهضة افريقية» بالمقترحات ، والآراء ، والنقد ، وتعمل على تحقيقها .

● ليس من الضرورى أن تكون المقالات التى تنشر فى هذه المجلة معبرة عن رأيها

ترسل المراسلات باسم :

السيد رئيس تحرير مجلة نهضة إفريقية

٥ شارع أحمد حشمت ــ الزمالك ــ بالقاهرة

تليفون المجلة ٨٠٧٦٥٨ جمهورية مصر

ترسل قيمة الاشتراك فى المجلة إلى :

دار أخبار اليوم للتوزيع : ٧ شارع الصحافة بالقاهرة

الاشتراك سنوياً : لمصر والسودان ٣٠ قرشاً

ثمن العدد ٣ قروش

حديث الشهر :

شعبان شقيقان ... في جمهورية واحدة

((... وان هذه أمتكم أمة واحدة
وأنا ربكم فاتقون ...)).

بالترجمة الانجليزية الكلاسيكية لهذه الآية القرآنية استهلت مجلة « تايم » الأمريكية حديثها عن مولد الجمهورية العربية المتحدة ، التى هى نتاج التقاء الشعبين المصرى والسورى على صعيد واحد ..

ولم يكن استشهاد شيخة المجلات الأخبارية الأمريكية بالقرآن الكريم منبعثا عن ايمان برسالة النبى العربى ، أو تقديس لنصوص الكتاب الأزلى ، وانما يبدو الباعث ، لأول وهلة ، ما اشتهر عنها من ميل الى الحذلقة وادعاء العلم بمكنونات الشعوب والأقاليم التى تسرد أخبارها ، وتتناول مظاهر حياتها السياسية والاجتماعية والاقتصادية والفنية والدينية بالبحث والتعليق ، ولكن الاستشهاد فى هذه المرة يكاد يكون فلتة من فلتات العقل الباطن ، وتعبيرا عن الحيرة المذهلة ، وتأويلا صوفيا لحديث يبدو للأجنبى الغريب وكأنه ظاهرة خارقة لنواميس الطبيعة ..

فقد كانت نواميس الطبيعة السياسية فى نظر العالم الغربى أن العرب لم يعد لهم كيان حيوى ، بعد أن مزق الاستعمار بلادهم شر ممزق ، وبعد أن بتر أعضاءها وفرق شملها ، وبعد أن سلط على تلك الأعضاء الممزقة من جراثيم الجهل والفقر والحزبية والخلافات السياسية ما يضمن بقاءها مشلولة عاجزة ، ليس بها من حراك ، ولا ينتظر معه أن تلتقى على هدف ، أو تتكاتف لحمل رسالة ، أو تتضامن لصد عدو فضلا عن أن تنسق جهودها لاستثمار خيراتها ، التى وهبها الله لها وأفاضها عليها فيضا عظيما ..

ولقد جاءت أحداث السنين الماضية سواء فى معترك السياسة أو مجال الاقتصاد أو ميادين القتال بما يثبت للغرب بالدليل المادى أن العرب قد ذهبت ريحهم ، وأن أحلام الوحدة ما هى الا خيالات تطوف برؤوس بعض زعمائهم ومفكريهم ، فكيف خاب الدليل المادي ، وانطلق ثمانية وعشرون مليونا من العرب ، فى مصر وسوريا ،

بسرعة القذيفة المندفعة ، الى الهدف التاريخى العريق الصعب المرتقى ، البعيد المنال .. !!

لابد أنه « سر الهى » ألمعت اليه الكتب المقدسة ، وليس له من تعليل الا العودة الى القرآن العربى المبين ، والبحث فى ثناياه عن ارهاصات الوحدة ، التى تذهب وتختفى ، ثم تعود ، باذن ربها ، رغم العقبات والقيود والسدود .. !

ولئن كان العرب ، الذين نزلت بلغتهم هذه الآية الكريمة ، قد آمنوا بأن وحدتهم مستقرة فى ضمير الغيب ، وأنها فى متناول جهودهم ما داموا يبذلون تلك الجهود ، فقد آمن الشعب المصرى من قبل ذلك فى أيام الفراعنة ، بأن التفرقة والشتات شر وهلاك ، وأن العناية الالهية لا تنصر الشر ولا ترضى بالهلاك ، وليست أسطورة « ست » و « أوزوريس » وأخته « ايزيس » ألا تصويرا فنيا جميلالعجز الشر ممثلا فى الطاغوت « ست » عن اهلاك الخير ممثلا فى الاله « أوزوريس » حتى بعد أن انتصر « ست » انتصارا ماديا حاسما ، واستطاع أن يمزق جسد « أوزوريس » ويقذف بكل عضو من أعضاء جسمه الى مكان سحيق .. فقد ذهبت « ايزيس » تنقب عن الأعضاء الممزقة المنتثرة فى فجاج وادى النيل ، وتضم بعضها الى بعض وتسكب عليها من دموعها المقدسة الطاهرة ما يبعث فى الجسد الهامد ومضات الحياة ..

هذه هى عقيدة المصريين القدماء ، وعقيدة العرب فى الاجتماع والانفصال والالتئام والشتات ولم تخطىء الـ « تايم » حينما استشهدت بالآية الكريمة ، ولكنها أخطأت حينما انحرفت بعد ذلك ، فحاولت أن ترجع هذه الوحدة العميقة الجذور فى ضمير أمة العرب الى أسباب عرضية هى ، فى مجملها ، التنافس على السلطة بين الأحزاب السورية .. !

وحينما وصفت خطوة مصر للالتقاء بشقيقتها ، بأنها لكمة مضادة لحلف بغداد ..

لقد كانت مصر الأفريقية ، طوال تاريخها ، داعية وحدة ، وكذلك القول عن سوريا الآسيوية ..

فليست الرحلات الكشفية والبعثات التجارية والحملات التى ذهبت من مصر الى أنحاء أفريقية وآسيا فيما مضى الا تعبيرا عن الرغبة فى جمع شمل الشعوب ، وتوحيد جهودها ، والارتقاء بحضاراتها ، والتسامى بفنونها وآدابها ..

ولم يكن لجهود سوريا وكفاح زعمائها ، فى الماضى والحاضر ، هدف أعز ولا أسمى من جمع كلمة العرب ، والتفافهم حول راية واحدة ، وليس موقف الأحزاب السورية والرئيس السورى من تعبيد الطريق أمام الجمهورية العظيمة الوليدة الا أروع مثل للايثار والتضحية بالمنافع العاجلة فى سبيل الأهداف الباقية النبيلة ..

وليس بمستغرب أن تقيم مصر وسوريا ، بدافع العقيدة والمثل العليا ، هذا الجسر السياسى العجيب الذى اتاح الامتزاج بين الدولتين فى مثل لمح البصر ، فان عوامل الامتزاج والاندماج تتجاوز حدود القومية العربية ، والمصالح المشتركة .. تتجاوزها الى التوافق الحضارى بمعناه العام ، فان كلا من الاقليمين لم تغرب عنه شمس الحضارة منذ عشرات المئات من السنين . ولسنا نقصد أنه لم تمر بهما فترات من الركود والتخلف ، ولكننا نقصد استمرار النضج الاجتماعى ، والتمرس بأساليب السياسة والتجارة والفنون الجميلة ، والاحتفاظ بالطابع القومى رغم الغزاة والفاتحين والمستعمرين ..

فقد تواترت على الاقليمين ، فى مدى العصور ، ومنذ اصطباغهما بالصبغة العربية ، ألوان من الحكم الأجنبى وأفانين من الحضارات المتنوعة ، وأشتات من اللغات المختلفة ، ولكن مصر وسوريا قد استطاعتا أن تهضما كل ما وفد اليهما من تلك الألوان والأفانين والأشتات وتغذيا به براعم القومية العربية الكامنة فى أعماقهما والتى كانت تتلمس الفرص المواتية للتفتح والازدهار .

وهكذا القول فى المدن السورية الكبرى وصيفاتها فى مصر ..

« دمشق » مدينة عربية أصيلة ذات طابع انسانى عام ، وكما برعت هذه المدينة فى تطعيم التحف والأثاث بالأصداف ، فكذلك تطعم طابعها الانسانى بما عرض فى تاريخها من مؤثرات الشرق والغرب ! مؤثرات الفرس والروم والترك ، سلجوقيين وعثمانيين ، واكرادا وأرمن وفرنسيين وهى ، بعد هذا وذاك ، حصن العروبة الحصين ، وفى جامعها الأموى وجدت اللغة ملاذها الذى حفظ اها أصالتها ونقاءها وفتوتها .. رغم موجات العجمة التى غمرت العالم العربى على مر العصور .

و « القاهرة » مدينة تمثل العروبة فى أفريقية أصدق تمثيل ، جاءت اليها مع مياه النيل نفحات الحياة الدافئة من أعماق القارة العذراء ، ومع أمواج البحر المتوسط نسائم الفكر ، وصدمات الغزو ، وصراع الموت والحياة ، ومع القوافل الضاربة فى جوف الصحراء الكبرى تصوف المغرب وطرائفه المادية والمعنوية ..

ولكن المحاريب فى مساجد القاهرة المنبثة فى كل درب تتجه كلها الى كعبة العروبة ، والجامع الأزهر يحتضن فى صحنه وأروقته ، منذ ألف عام ، لغة الضاد ، لم يضيع منها حرفا ، ولم ينتقص من تراثها فتيلا ..

وقل مثل ذلك عن « اللاذقية » ميناء سوريا العتيدة و «الاسكندرية» ميناء مصر التليدة ، فعن الأولى يحدثك رهبان القرون الوسطى وما اختزنوه فى مكتباتها وأديرتها من كنوز الثقافة الفلسفية والدينية ، وما استمده من

كل ذلك ، مثـــلا ، حكيم العــروبة « أبو العلاء المعرى » ، وعن الثانية ، « الاسكندرية » يحدثك « أفلوطن » وتلاميذه الذين توارثوا فلسفته على مر الدهور . ثم من جاء على أثرهم من العرب ، وورثوا ما خلف الاغريق من حكمة ، وتركوا فى تاريخ المدينة أسماءهم التى يسبقها لقب التبجيل « سيدى » والتى تقترن اليوم بكثير من المساجد والشـــوارع فى أحيـــاء المدينة . .

لم يكن غريبا اذن أن تنبثق شرارة الوحدة حالما تهيأت ظروف الاشتعال المحلية فى البلدين العربيين ، بعد أن توفرت ظروف التوهج القومى على نطاق عالمى فى القارتين العظيمتين آسيا وأفريقية ، فان الظـواهر التاريخية الكبرى التى رسخت جـذورها فى « باندونج » وظهـــرت براعمها فى « مؤتمر القاهرة » الأخير لم تذهب دون أن تؤثر فى الوحـــدة السورية المصرية . .

وقد كان أهم ظاهرة تمخض عنها المؤتمــــران التـــاريخيان هو تصميم شعوب آسيا وأفريقية على ألا يتركوا « زمام المبـــادأة » فى أيدى الدول الاستعمارية ، وأن يتخذوا لأنفسهم حرية الحركة والتكيف مع الظروف ، وأن ينسقوا جهودهم فى وجه الخطر المشترك . ذلك لأن الدول الاستعمارية بعد أن هزمت ، وتثلمت أنيابها ـ من الوجهة العسكرية ، أخذت تظهـــر التراجع والتسليم بحقوق الأمم الفتية المغتصبة ، وجعلت تتخذ من النفاق السياسى والتمويه القانونى درعا تعرقل بها الحركات القومية النامية . وهى تلجأ فى ســـبيل تحقيق أطماعها ، والاحتفـــاظ بمراكزها المزعزعة فى المستعمرات وأشباه المستعمرات الى وسائل قد تبدو متضاربة متناقضة .

فمن ناحية نرى اتجاها استعماريا يرمى الى تجزئة الشعوب وتفتيتها ، كما حدث فى كوريا والهند الصينية والهند ، وكما يحاول الاســـتعمار الهولندى احداثه فى « أندونيسيا » بفصـــل « ايريان الغـــربية » عنها وكذلك الاســـــتعمار البريطانى فى « جزيرة قبرص » بتقســـيمها بين الأغلبية من اليـــونانيين والأقلية من الأتراك . .

ومن ناحية أخـرى نشهد اتجاها استعماريا مضادا ، من ابتكار بريطانيا وهو يرمى الى تجميع الأقطار غــير المتكافئة ، التى يسمونها « أقطارا متخلفة » ، فى اتحادات دولية فى نطاق الكومنولث البريطانى . ومن نمـــاذج ذلك اتحاد وسط أفريقية المكون من « روديسيا الشمالية » « وروديسيا الجنـوبية » « ونياسالاند » ، وهو الاتحـــاد الذى كشف عن زيفه ــ فى العدد الثانى من هذه المجلة ــ أحـــد الكتاب الروديســـيين وهو السيد « شيكاكوكا مالاندو » ومن هـــذه الاتجاهات التى يجرى اعدادها الآن على هـــذا النسق ، وينشب بسببه

الصراع بين الوطنيين والانجليز « اتحاد نيجيريا » ومشروع « اتحاد شرق أفريقية » الذى يزمع ضم أوغنـــده وتنجانيقا وكينيا فى حزمة واحدة ، والذى قاومته أوغنده وأكبر ملوكها وهو « الكاباكا » مما أدى الى نفيه ثم عودته ، وما يزال الصراع محتدما . .

ومن آثار هـــذا الاتجاه الاتحادى الاستعمارى ما نراه منذ أشهر من صراع دموى بين البريطانيين فى مسقط وبين أمامة عمان . . ففى تلك المنطقة مشروع اتحاد مريب أيضـــا ، يزمع جمع « مشيخات » وامارات جنوب شبه الجـــزيرة العربية وشرقيها فى اتحاد تؤمه وتستنزف بتروله بريطانيا .

هذه الأساليب الاستعمارية الم تصب الأطراف ليس لها من ترياق أجدى حل التجمعات الدولية النظيفة ، والاتحادا ت القائمة على ارادة الشعوب على نحو هذه الوحدة الكريمة التى تمت بين مصر العربية الأفريقية وسوريا العربية الآسيوية فى اطار من القومية العربية النامية الناهضة .

واننا اذ نتطلع فى تفاؤل الى مستقبل الشعوب المتحررة لا يفوتنا أن نلحظ دلالة اتصـــــال القارتين الكبيرتين ، واندماج الجزءين المواجهين منهمـــــا لأوروبا فى دولة فتية موحدة هى رمز الكفاح الآسيوى الأفريقى فى مواجهة الاستعمار الأوروبى الأمريكى .

تشاد : البحيرة والاقليم

بقلم الدكتور محمد رياض

ربما يعرف الكثير منا أن تشاد اسم لبحيرة كبيرة فى وسط غرب افريقية . ولكننا سمعنا أن « مؤتمر التضامن الافريقى الآسيوى » الذى عقد فى القاهرة فى ديسمبر من العام الماضى قد ضم مندوبين عن تشاد . فما هو اقليم تشاد ؟ وما مميزاته العامة وما هم سكانه ؟ وما هى البحيرة وما هى مميزاتها ؟ .

١ — البحيرة : تقع بحيرة تشاد بين خطى عرض ١٢ درجة ونصف و ١٤ درجة وربع شمال خط الاستواء ، وبين خطى طول ١٣ درجة و ١٥ درجة شرقى جرينتش . وهى فى الطرف الشمالى الشرقى من نيجيريا التى تحتل حدودها حوالى ثلث مساحة البحيرة ، والباقى يدخل ضمن ممتلكات فرنسا فى افريقية الغربية والاستوائية .

ونظرا لوقوع البحيرة بين اقليمى السڤانا والحشائش الوفيرة الى الجنوب والصحراء والاعشاب الكثيرة الى الشمال ، وحيث تسقط كميات محدودة من الأمطار السنوية ، فقد نسجت حول البحيرة أساطير فى أذهان الأوروبيين صورت البحيرة فى شكل شاعرى جميل على النحو التالى : بحيرة واسعة زرقاء ذات شواطىء عالية واضحة تنمو عليها الأشجار الغنية بالخضرة الدائمة . وجزائر تناثرت فى أرجاء البحيرة تميزها أشجار النخيل الباسقة المدارية ، وتنعكس على صفحة الماء الرائق العميق الذى يلمع تحت ضوء الشمس القوية ، ويعكس الى جانب النخيل زرقة السماء والظلال الكثيفة التى تلقيها التلال العالية المحيطة بالبحيرة . وشواطئها تتعرج فى يسر حول خلجان آمنة تصب منها المسيلات العذبة . وفى عبارة موجزة كانت البحيرة تمثل ملجأ كبيرا للحياة وسط الصحارى المقفرة المحيطة بها ، ولكن الحقيقة دائما غير الخيال .

ولما زادت معرفة العالم بالبحيرة اتضح أنها ليست عميقة بل ضحلة جدا ، ومياهها ليست زرقاء ولكنها كدرة طينية ، وشواطئها ليست عالية ولا واضحة ولكنها شواطىء منخفضة بحيث لا يوجد فاصل حقيقى واضح بين البر والماء ، والأرض حولها ليست جبلية ، ولكنها منبسطة فى استواء

قد تمله العين • وبدلا من اجمات النخيل والأشجار ذات الخضرة الدائمة نجد أكواما من البوص والخيزران ونباتات المستنقعات الباهتة الألوان • والجزر نفسها لا تكاد ترتفع كثيرا عن سطح الماء • وفي النهار يشتد انعكاس اشعة الشمس للدرجة التي لا يدرك المرء فيها الجزر والنباتات المستنقعية الا في شكل أطياف وأشباح غير محدودة •

وعلى الرغم من ذلك فان للبحيرة جمالا من نوع آخر ، ففي هذا الجمع الكبير من الألوان الباهتة غير المحددة تكمن روح العزلة والوحدة • وسرعان ما يصبح المرء أسير هذا الشعور اذا عاش مدة كافية وسط مياهها ، متنقلا فوق صفحة رمادية في النهار ، وفضية في الليل وسط عشرات الجزائر الصامتة ، دون أن يلتقى بمخلوق حي •

والبحيرة فوق هذا ليست مركزا لتجمع بشرى كبير يفر اليها الناس من الصحارى الشمالية • بل ان لها سكانا شبه مجهولين يعيشون وسط تجمعات النبات البرى الكثيف في الجزر الكبرى وعلى الضفاف • أما القبائل المحيطة فلا تكاد تأتي البحيرة الا لماما لسقى الابل أو الماشية نظرا للملوحة الكثيرة في مياهها •

ولا تعرف مساحة البحيرة بالضبط فهي عرضة للاتساع النسبى في وقت الأمطار أو فيضان الأنهار التى تصب فيها ، بل تغزو مياهها السواحل المجاورة كلما اشتدت الرياح وانتظمت في اتجاه واحد ، ثم تعود فتنحسر المياه الى سابق حدودها بعد هبوط شدة الرياح • وأكبر طول لها من الشمال الى الجنوب حوالى ٢٤٠ كيلو مترا ، وأكبر عرض لها من الشرق الى الغرب حوالى ١٦٠ كيلو مترا • ولكن ليست كل هذه المساحة مغطاة بماء دائم ، بل كما يتبين من الخريطة المرافقة نجد الماء الدائم يتركز فيما يشبه بحيرتين منفصلتين الأولى في الجزء الشرقي منها وتسمى « حوض أو بحيرة شارى » نسبة الى النهر الذى يصب في هذا الجزء ، والثانية في الشمال وتسمى « حوض يو YO » نسبة الى نهر يو • ويبلغ أقصى عرض لحوض « شارى » السالف ذكره حوالى مائة كيلو متر واقصى طول حوالى ٦٠ كيلو مترا ، أما حوض « يو » فأقصى عرض له حوالى ٦٠ كيلو مترا ، وأقصى طول له حوالى ١٢٠ كيلو مترا • وباقى البحيرة عبارة عن مستنقعات تنمو عليها أعشاب ونباتات المستنقعات ويصعب السير فيها على الاطلاق وتغطى بالمياه وقت الفيضانات فقط •

وعمق البحيرة ضئيل بالقياس الى مساحتها • ففي حوض « يو » يصل العمق في الجانب الغربى الى ٩٠ سنتيمترا في ديسمبر و ١٢٠ سنتيمترا في مارس • وفي الوسط ١٢٠ ــ ١٥٠

سـنتيمترا وفى الشرق والجنوب بين ٣٠ و ٧٠ سـنتيمترا • أما فى حوض « شارى » فى الجزء الشمالى بين الجزر الكبيرة وساحل البحيرة فنجد العمق يتراوح بين ١٥٠ و ٢٥٠ سنتيمترا ، ويصل فى بعض الأحيان الى ثلاثة أمتار •وعلى الساحل الجنوبى يتراوح العمق بين ٩٠ و ١٥٠سنتيمترا ويصل فى أحيان أخرى الى مترين • وفى الجزء الأوسط بين حوضى « شارى » و « يو » توجد سلسلة من البحيرات الصغيرة المرتبطة بعضها ببعض بقطوع ومضايق • وعمق معظم السلسلة بين ٧٠ و ١٢٠ سنتيمترا • وحول هذه السلسلة تمتد مناطق مستنقعية على كلا الجانبين وعمق الماء فيها بين ٣٠ و ٦٠ سنتيمترا • ويرتفع البوص والبردى والخيزران الى ما بين ١٢٠ و ١٥٠ سنتيمترا ، وبعض النباتات الأخرى يصل ارتفاعها الى حوالى خمسة أو ستة أمتار •

وفى كلا الحوضين نشأت مئات من الجزر الصغيرة والكبيرة • ولكن الى جانب ذلك توجد مئات أخرى من الجزر المغطاة بالماء ولا يظهر لوجودها من أثر سوى ظهور النبات على سطح الماء •

وحوض « شارى » أكثر ماء وأعمق من حوض « يو » ولعل السبب فى ذلك يرجع الى موقعه الجنوبى بالنسبة لحوض « يو » والى انصباب مياه نهر « شارى » فيه ، وحوضه أكبر مساحة من حوض نهر « يو » وينبع من منطقة على خط عرض ٦ شمال الاستواء ـ أى من منطقة استوائية كثيرة الأمطار فى حين أن نهر « يو » ينبع فى منطقة شبه جافة فى شمال نيجيريا •

أما سكان البحيرة فينقسمون الى قبيلتين : (أ) البودوما Boudouma ويسكنون الأجزاء الشمالية والوسطى من أرخبيل « جزر تشاد » ، وهم مسلمون ، ولغتهم خاصة بهم وتتصل بلغة أهل « كانم » المجاورين لهم من الشرق • وهم صيادوسمك مشهورون ويرعون أبقارهم على حشائش الجزر •

(ب) الكورى Kouri ، ويسكنون الجزر الشرقية من الأرخبيل • وهم مسلمون أيضا ولغتهم وأصولهم مرتبطة بسكان « كانم » فى الشرق من البحيرة و «للبودوما» شهرة فى أنهم لا يأمنون الغرباء ، ولذلك سرعان ما يختفون بمراكبهم وماشيتهم فى لمح البصر ، وفى أتم هدوء وسط نباتات البحيرة الطويلة • ولهذا كان من الصعب جدا مفاجأتهم أو الاتصال بهم الا بعد جهد جهيد • ولهذا استحقوا أن يطلق عليهم «الأشباح» فى رأى الأوروبيين الأوائل المكتشفين للبحيرة •

٢ ـ اقليم تشاد : يمتد هذا الاقليم بين درجتى العرض ٨ و ٢٢ شمال خط الاستواء وبين خطى الطول ١٣ و ٢٤ شرقى جرينتش ، وتبلغ المساحة

الكلية للاقليم حوالى ٣٨٠ ألف ميل مربع ، أى أكبر قليلا من مساحة الجمهورية المصرية • وعدد السكان حوالى مليونين ونصف الى ثلاثة ملايين نسمة •

وتنقسم هذه المساحة الى ثلاثة أقسام متميزة من الشمال الى الجنوب • فالقسم الأول ، فى الشمال عبارة عن جزء جنوبى من الصحراء الكبرى قاحل تقريبا ، وبه جزء من سلسلة جبال « تبستى » البركانية العالية التى يزيد ارتفاعها عن ٣٠٠٠ متر فوق سطح البحر • وأعلى القمم البركانية هنا جبل « ايمى كوسى » Emi-Koussi الذى يصل الى ارتفاع ٣٤١٥ مترا ، وهناك منطقة منخفضة كبيرة المساحة تسمى منخفض « بوركو » وتمتد هذه المنطقة الصحراوية الفقيرة من درجة العرض ٢٢ الى ١٨ شمال خط الاستواء • وسكان هذا الأقليم من قبيلة « التيبو Tibu » الذى أطلق اسمهم على جبال « تبستى » • وهم رعاة ابل مسلمون يتحملون العطش كثيرا وابلهم سريعة • وكان من أثر بيئتهم الفقيرة عليهم أنهم يقومون — فى اعداد قليلة — بغزوات لسلب القوافل فى الصحراء الكبرى أو بعض الواحات والقرى على النيل النوبى قرب طريق القوافل المعروف بدرب الأربعين •

والاقليم الثانى ، يمتد بين خطى عرض ١٨ و ١٥ شمال خط الاستواء وهو اقليم شبه صحراوى تنمو فيه أعشاب متفرقة وبعض أشجار تحتمل الجفاف مثل شجر « الباربا ب » • ويمكن فى هذا الاقليم أن يعيش الجمل والبقر والخيل والحمير والماعز والضأن وبخاصة فى المناطق الأكثر تطرفا نحو الجنوب • ويسكن هذا الاقليم أيضا قبائل «التيبو» وبعض العرب الرحل • وكلا الاقليمين السابقين يمتاز بانعدام المياه الجارية فى شكل أنهار الا فى حالة السيول المفاجئة ، فتتحول مناطق كثيرة ، فترة قصيرة الى بحار من الماء الزاخر الذى سرعان ما يغوص فى الرمال • وتظهر الينابيع فى مناطق المنخفضات حيث يمارس الأهالى بعض الزراعات المحدودة وحيث توجد أشجار النخيل • وهناك مجرى جاف يربط بين منخفض « بوركو » وبحيرة «تشاد» يسمى بحر الغزال • وهو غير اقليم « بحر الغزال » فى جمهورية السودان ويرى علماء « الجيولوجيا » « والفيزيوجرافيا » من الفرنسيين الذين درسوا المنطقة أن الاقليم الممتد بين « تشاد » و « بوركو » وبحيرة « فطرى » كان على هيئة منخفض كبير تحتله مياه بحيرة كبيرة ابان عصور المطر فى الصحراء الكبرى • وان بحيرتى « تشاد » و « وفطرى » تمثلان أجزاء من هذه البحيرة بعد انكماشها •

أما الاقليم الثالث ، فيمتد جنوب درجة العرض الخامسة عشرة شمال

خط الاستواء حتى درجـــة العرض العاشرة أو التاسعةشمالخط الاستواء وهنا ندخل الاقليم السودانى الحقيقى المعروف بحشائش السڤانا العاليـة والأمطارالصيفية الوفيرةومجارى الأنهار الواضحة الدائمة الجريان نسـبيا • والتربة حول بحيرة « تشاد » ملحية ، ولهذا كان الملح أهم السلع التجارية لسكان « كانم » فى الشمال الشرقى من البحيرة • والى الشرق من بحيرة «وفطرى» نجد اقليم « واداى » وله شهرة تاريخية كبيرة وعاصمته «أبشه» التى تعد سوقا كبيرة لمنتجات «دارفور» و « واداى » معا • وفى كل من «واداى» و « كانم » نجد السكان مختلطين بين عرب رحل وعرب « بقـارة » وبعض « التيبو » وكثير من السكان القدامى مثل « التاما » و « المون » و « الارنجا » و « الداجو » وكلهم لهم امتدادات الى الشرق فى « دارفور » وداخل حدود السودان •

والى الجنوب من « كانم » والجنوب الغربى من « واداى » يمتـــد اقليم « باغرمى » • وهـــو أكثر مطرا من الأقاليم التى تليــه شـــمالا وأكثر استقرارا • وسكانه خليط قديم من الحاميين والعنـاصر الزنجية ، وأهم المجموعات القبليـــة فى « باغرمى » هى « الماسا » و « الموسجو » فى الغرب فى حـوض « اللاجونى » ومجموعة « ســارا » فى الجنوب وفى الشرق « الكنجا » و « البولالا » ، الى جانب عـرب رحل وبعض « الفولانى » •

وتحتل « باغرمى » الحوض الاوسط والادنى لنهر « شارى » وهذا النهرهو أهم مجارى الميـاه الدائمة فى اقليم « تشاد » بأكمله ويصب بدلتا كثيرة الأفرع فى بحيرة « تشـاد » • وشواطئه قرب المصب واطئة تنمو عليها النباتات المستنقعيةوتمرح فيهاالتماسيح وغيرها منالحيوانات البرمائية • وحدودالحوض واسعة وتبلغ المسـاحة التى يحتلها الحوض حوالى ٢٥٥ ألف ميل مربع • ويتكون من اتصـــال عدة روافد من المنطقة التى تقع حوالى خط ٦ الى ٨ شمال خط الاستواء ، وبعضها ـ مثل « شارى » نفسه ينبع من منطقـــة التلال فى اقليم « أوبنجى » وبعضها مثل بحر « السلامات » ينبع من جبال « دارفور » فى الشرق وبعضها الآخر ينبع منمرتفعات « الكمرون » الشرقية مثل « اللوجونى » • ومنطقة الاتصال تقريبا عند مدينة «فورت ارشمبولت»

وكل المجارى النهرية التى تقع أمام هذه المدينة (أى فى اتجاه المنابع) تسير فى مناطق عالية تكتنفها التلال ومجاريها محددة واضحة • والمجرى الممتد فيما بعد « فورت ارشمبولت » فى اتجـــاه المصب يســير فى أرض منبســطة مستوية تربتها طميــة الى عمق ٧٠ مترا أو أكثر ، حيث يبدأ القــاع الصخرى للحوض • ولا يوجد فى هــذه السهول الا منطقتان تظهر

فيهما الصخور فوق سطح الأرض ، هما منطقة تلال « نيلليم Niellim » التى تقع حوالى ٩٠ كيلو مترا شمال غربى « فورت ارشمبولت » ، ومنطقة « حجر الهامس Hagar El-Hamis » شرقى مصب « الشارى » ٠

وخلاصة هـذا الوصف للأحـوال الطبيعية والمناخية والنباتية والبشرية لاقليم « تشـاد » أن أهم أقاليمه هى بلا شك الجنوبيــة من ناحية الغنى والوفرة ، وعدد السكان ٠ وأهم طريق للهجرة والتجــارة هو طريق الحج المعروف الذى يخترق « تشـاد » من الشرق الى الغرب بين «كانم» و «واداى» «الى دارفور» والسودان من الشرق والى « نيجيريا » وغرب افريقية من الغرب ويتعامد على هذا الطريق طريق آخر الى الجنوب يتبع نهر « شارى » الذى يفتح ــ بسهولة مواصلاته النهرية ــ البــاب الى المناطق الجنوبية الغزيرة المطر ، الوفيرة المحصول ٠

وبهذا تربط « تشاد » حقــا بين اقليمين أساسيين فى أفريقية شمال خط الاستواء : حوض النيل الى الشرق وحوض « النيجر » الى الغرب ٠ وهى فوق ذلك لها من الناحية الاستراتيجية فى عصر الطيران أهميــة كبرى ، اذ أنها قاعدة خلفية هامة للطـائرات التى تعبر افريقية من الشرق الى الغرب ومن أواسط افريقية الى البحر المتوسط وأوروبا الجنوبية والشرق الاوسط ٠

٣ ــ لمحة تاريخية : هكذا يتكون اقليم « تشاد » من ثلاث ممالك قديمة لها تاريخ طويل ، ومن قبائل «التيبو» وبعض العرب الضاربين فى الصحارى ٠

وأولى هــــذه الممالك وأهمها هى مملــــكة «كانم » وقد حكمتهـا أسرة « سيف Seif » قرابة ألف عام من ٨٠٠ م ٠ الى ١٨٠٠ م ٠ وقد ظلت المملكة وثنية حتى دخلها الاسلام فى أواخر القرن الحادى عشر ، فى عهد « دوجو بريمى » (اختصار أو اشتقاق من ابراهيم) **الذى اتخذ عاصمة له** فى « نجيمى » فى شمال شرقى البحيرة وفى أوائل القرن الثالث عشر دخلت مملكة « كانم » عهدها الزاهر الأول فى حـكم الملك « دوناما ديابالامى » وقيل ان قوة الفرسان فى عهده بلغت ٣٠٫٠٠٠ فارس ٠ وقد امتدت حدود « كانم » فى عهده الى أقصى اتساع لها فشملت فى الشمال واحة « فزان » وفى الشرق « واداى » وفى الجنوب حتى الأطراف الشمالية لتلال «ماندارا» وفى الغرب حتى بلاد « الهوســـا » وبذلك تكون قد شـملت « بورنو » أيضا ٠ ومنذ أواسط القرن ١٤ م ٠ بدأ خطر كبير يهدد المملكة فى صورة تحرك قبيـــلة « البولالا Bulala » التى تعيش حول بحـيرة « فطرى » ٠ وقد استمر ملوك « كانم » يقاتلونهم حتى بداية القرن الخامس عشر ٠ وقتل فى هذه المعارك أربعة من ملوك « كانم » ٠

وأخيرا اضطر ملوك «كانم» الى الهجرة الى « بورنو » تاركين شرقي البحيرة نهبا « للبولالا » وغيرهم من القبائل البدوية • وتبع ذلك فترة تدهور حتى عمد الملك « على دوناما » (١٤٧٢ — ١٥٠٤) فهاجم « البولالا » وأعاد النظام الداخلي وفيما بين سنة ١٥٧١ و ١٦٠٣ تولى العرش « ادريس ألوما » وهذه هي فترة الازدهار الثاني للمملكة فقد وسع حدوده وانتصر على « الهوسا » في « كانو » ، و « التيبو » في « الصحراء » و « الطوارق » في « آير » وقبائل الجنوب الوثنية ، و « البولالا » في الشرق و «البودوما» في جزر « تشاد » واحتل « باغرمى » أيضا • وتلا ذلك فترة هدوء نسبي ثم تدهور حتى بدأ « الفولاني » غزواتهم في « نيجيريا » ، وحاولوا غزو « بورنو » و « كانم » ، ولكن الملك استدعى الشيخ محمد الأمين الكانمي الذى تمكن من صد «الفولاني» حوالى ١٨١٠ وأقام حكما ثابت الدعائم في « كانم » و « بورنو » ، وأخيرا تولى الحكم بنفسه وأنهى حكم أسرة «سيف» وتلا ذلك منازعات بين « باغرمى » و « واداى » و « كانم » حتى وصل الى الاقليم السلطان « رابح » (أحد قواد جيش سليمان بن الزبير باشا) في عام ١٨٩٣ فأنشأ امبراطورية قوية من « باغرمى » و « كانم » ، وقتل في المعارك مع الفرنسيين عام ١٩٠٠ •

أما « باغرمى » فتمثل أكثر أقاليم « تشاد » تطرفا للجنوب وأكثرها استقرارا وسكانا • وقد نشأت المملكة الاسلامية فيها على يد السلطان « بريمى » في أوائل القرن ١٦ م • وتمثل فترة الازدهار في حياة « باغرمى » فترة تولى السلطان الحاج محمود الأمين (١٧٥١ — ١٧٨٥) العرش • فقد وسع رقعة بلاده وضرب بيد قوية على قبيلة « البولالا » وقام بحملات ناجحة على قبائل «اللوجوني» وفي ١٨٠٦ وقعت « باغرمى » فريسة لسلطان « واداى » الذى نهبها وظلت تدفع الجزية ، حتى ضمها الشيخ الأمين الكانمي الى مملكته وأجبرها على دفع الجزية ، وظلت الأمور هكذا حتى عام ١٨٤٦ حين عادت لملوكها بعض القوة النسبية ، ولكن سرعان ما هاجمهم ملك « واداى » عام ١٨٧٠ ثم جاء « رابح » عام ١٨٩٢ فأقصى ملوكها الاسميين وضم « باغرمى » الى مملكته •

وتمثل « واداى » احدى المناطق التي دخلها الاسلام متأخرا نسبيا ، وذلك راجع الى تعدد القبائل والى وجود حكم أسرة « التنجر » التي هربت من « دارفور » والى بقاء « دارفور » نفسها دولة وثنية الى القرن الرابع عشر • وأول الملوك المسلمين هو السلطان « عبد الكريم »•• وهو عربي وأبوه من بلدة « شندى » على

النيل شمال « الخرطوم » • وقد حكم بين ١٦٣٥ و ١٦٥٥ فى هدوء نسبى وكانت « واداى » فى تلك الفترة تدفع الجزية « لدارفور » وفى بعض الأحيان « لكانم » • وفى أواخر القرن ١٧ تخلصت « واداى » من دفع الجزية « لدارفور » وبدأ عهد ازدهار المملكة بتولى الملك «صابون» العرش بين ١٨٠٥ و ١٨١٥ • وقد غزا « باغرمى » كما أسلفنا القول ، وقام بحملات على القبائل التى تعيش فى الجبال بين « واداى » و « دارفور » • وربما كان « صابون » من أحسن ملوك « واداى » حنكة ودهاء وسياسة عسكرية • وفى عام ١٨٤٣ تولى أخوه السلطان محمد شريف صالح الحكم ثم ابنه السلطان على (١٨٥٨ ـ ١٨٨٣) فعاد الى احتلال « باغرمى » وقوى دولته كثيرا وبعد ذلك بدأت فترة توالى فيها النزاع على العرش والنزاع بين الأسرة الحاكمة وطبقة النبلاء وانتهى الامر الى دخول الفرنسيين ١٩٠٢ « واداى » مناصرين أحد الأطراف على الآخرين ثم احتلوا الدولة •

ويرجع تاريخ استيلاء الفرنسيين على هذه الممالك الى عاملين : الأول توسع فرنسا من « الكنغو » شمالا ومن « السنغال » غربا الى « تشاد » • والثانى : أن قرارات مؤتمر برلين ١٨٨٥ والمعاهدات التى تلت المؤتمر بين فرنسا وانجلترا وألمانيا تركت هذه المنطقة لفرنسا • وقد تذرعت

فرنسا بحجة أن السلطان « رابح » من تجـــار الرقيق ، فقامت حملة « Genfil » من « الكنغو » متجهة الى الشمال مع نهر « شارى » • ووقع سلطان « باغرمى » المخلوع معاهدة حماية مع فرنسا نظير استرداد عرشه وفى الوقت نفسه تقدمت حملتـــان فرنسيتان من غرب افريقية ، واشتركت الجيوش الثلاثة فى عدة معارك عنيفة مع الســـلطان « رابح » بين ١٨٩٧ و ١٩٠٠ انتهت بمعركة « كسورى » التى قتل فيها «رابح» والقائد الفرنسى « لامى Lamy » • وتحول اسم « كسورى » بعد هـــذه المعركة الى « فورت لامى » وأصبحت عاصـمة الاقليم الفرنسى الجديد •

سمات الثقافة المصرية القديمة
وأثرها فى هضبة البحيرات وغرب افريقية

بقلم الأستاذ محمد عبد الفتاح ابراهيم

يدهشنا عندما ندرس تفصيليا السمات الثقافية فى قلب افريقية وغربيها أن نجد تماثلا كبيرا بين مصر القديمة وافريقية الحديثة فى هذا النطاق الجغرافى عند هضبة البحيرات فى أعالى النيل والكونغو مع امتداده لمنطقة الغابات المطيرة للغرب مما يدل على تأثير النفوذ الثقافى المصرى ووصوله فى تاريخ معرق فى القدم الى هذه المناطق ، وبقائه دون تطور مع الأيام كجزء من تقاليد سكان تلك البلاد وعاداتهم .

وتتعدد مظاهر انتقال بعض سمات الثقافة المصرية للجنوب تبعا لتوزيعها فى منطقةواسعة ، ومع تقديرنا لندورة عبادة الشمس فى السودان فاننا نجدها منتشرة بين قبائل « البورون » على الحدود الحبشية ، والباحثون يرجعون أصل هذه العبادة الى تاريخ أقدم من أن يذكروه ، وأنها جاءتهم من الشمال ، ونلقى فى أوغندة العلاقة أو الصلة المميزة بين الأعضاء الذكور فى البيت المالك وبين رمز النسر المصرى بالرغم من أنه لا توجد عشيرة للنسر فى أوغندة (١) ، وفى أوغندة نلقى محاولات واضحة للمحافظة على الجثمان الملكى (٢) وهى ترجع بلاشك الىمحاولات التحنيط فىمصر القديمة ، ونجد فى الكونغو البلچيكى الطابع المصرى لصناديق الموتى ثم هذه القطع الكبيرة من الأقمشة التى تلف بها الجثث ، وتنتشر بين القبائل التى تعيش على الروافد الشمالية لنهر الكنغو معتقدات بانتقال الأرواح فى الصورة التى عرفها المصريون الأولون ذاتها .

على أننا فىمناقشتنا لأوجه التماثل هذه نقف ازاء أمرين اثنين لهما

---

(١) « الباجندا » لروسكو ١٩١١ صفحة ١٠٨ .

(٢) نفس المرجع ص ١٠٥ .

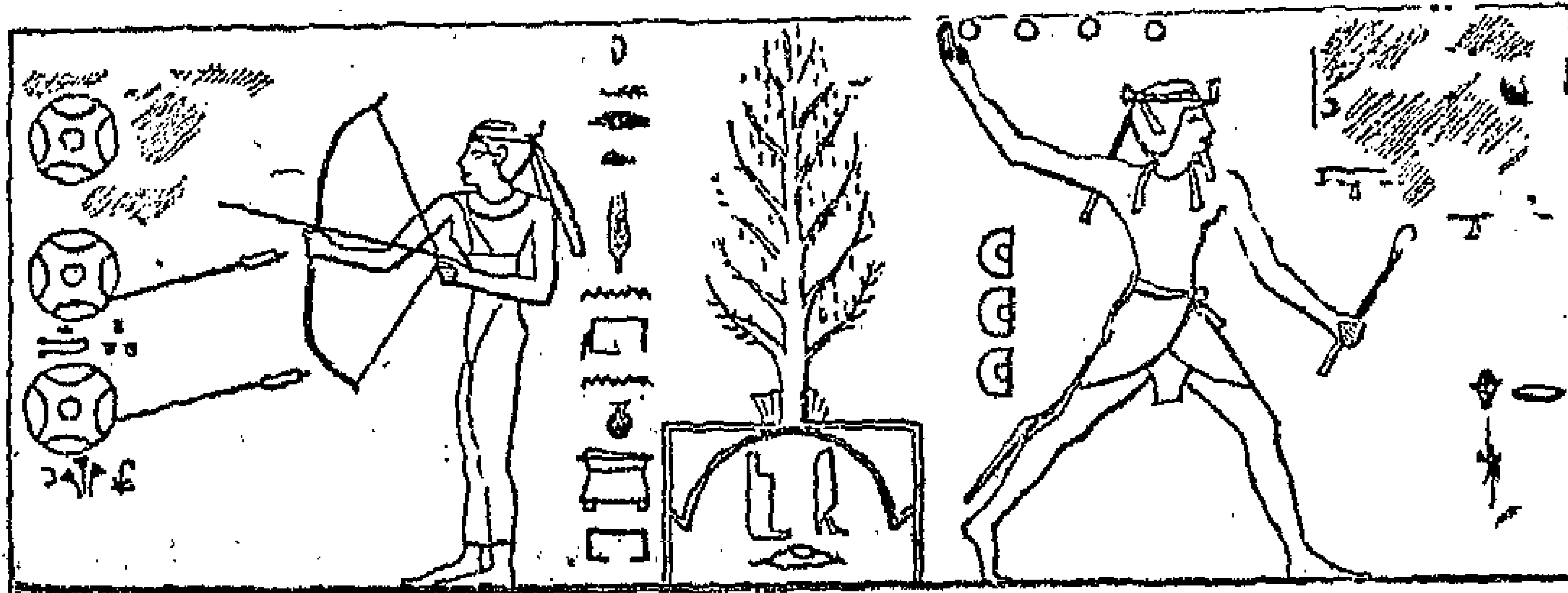
طابعهما القوى ، أولهما عادة اطلاق السهام « لصيد الأمم » التى كانت جزءا من احتفالات عيد السد المصرى والتى ما زال يمارسها ملك الباكتيارا من مجموعة البونيور من البنانتو الشرقيين الذين يعيشون حول بحيرتى ڤيكتوريا والبرت ، وثانيهما هذا التماثل العجيب الذى نجده بين الآلات الموسيقية المصرية القديمة والآلات الموسيقية فى غرب أفريقية حتى مطلع هذا القرن الذى نعيش فيه ٠

وتلقى هذه الرسوم المصرية القديمة فى لوحة الكرنك التى ترجع فى الغالب الى حفلات التتويج ، وقد نشرها لبسيوس فى اللوحة ٣٦ (ب) من الجزء الثالث وتمثل الفرعون يقذف بالسهام فى الاتجاهات الأصلية الأربعة ذاكرا أسماء البلاد المعروفة فى ذلك العصر، التى تقع فى كل من هذه الاتجاهات قاطعا على نفسه العهد للشعب بأن تصلها جنوده ٠



من لوحة الكرنك الفرعون يطلق السهام

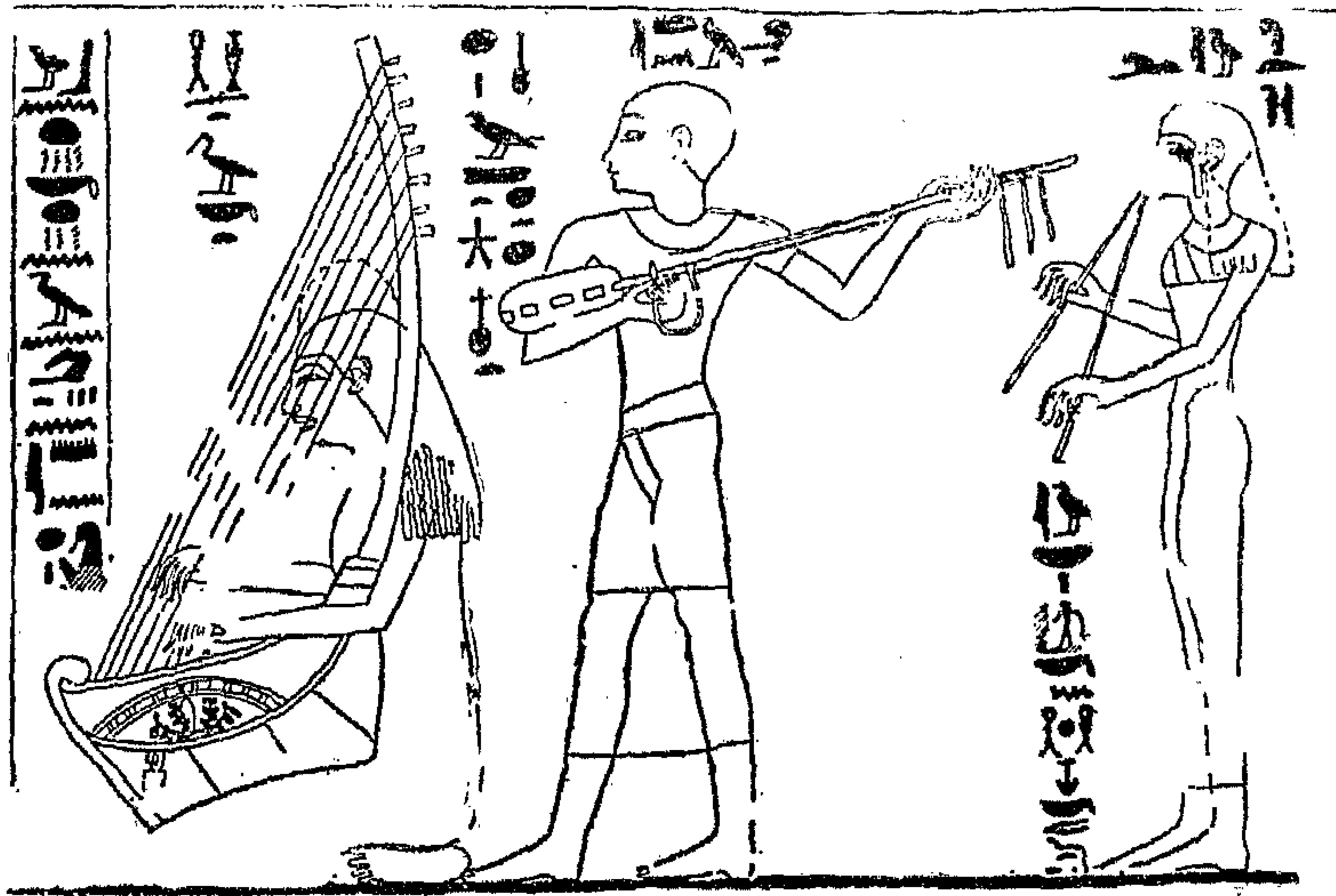
وتلتقى صورة أخرى مماثلة لهذه بين آثار الأسرة الخامسة والعشرين التى نشأت فى نباتا والتى ترجع أصولها فيما ترجع الى كهنة طيبة ، ونجد فى الصورة « طهراقا الملك » مع زوجته الملكة « ثابيرى » وهى تقوم باطلاق السهام ٠



من حفريات نباتا زوجة ((طهراقا)) تطلق السهام

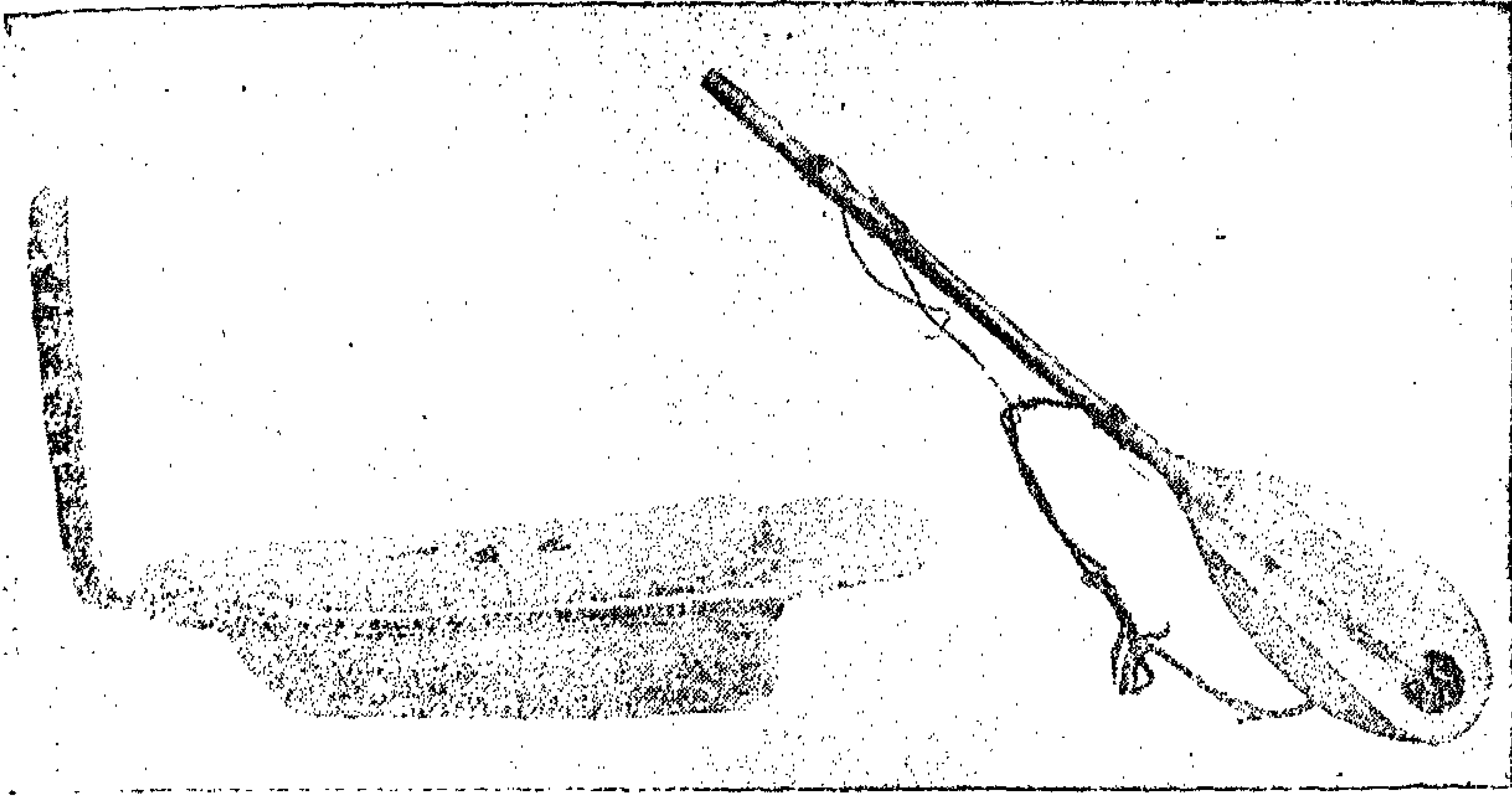
ويسجل روسكو أن ملك «الباكتيارا» كان يقول عند اطلاق السهام فى الجهات الأربع الأصلية « نداسيرى آماعنجا كوجاسنجا » أى « انى أقذف بسهامى الأمم لأتغلب عليها وأقهرها »

أما تماثل الآلات الموسيقية المصرية القديمة والآلات الموسيقية فى غرب افريقية حتى مطلع هذا القرن فهو أكثر اثارة للدهشة ، ففى قبر « امينمحات » أحد كبار موظفى حكومة تحتمس الثالث بطيبة نجد رسما يصور امرأة تعزف على «قيثارة » فى جوارها يقف رجل يعزف على (عود) — « مزهر » له طابع خاص بسبب طول عنقه .



من نقوش قبر امينمحات آلات موسيقية فرعونية

وفى المتحف البريطانى بلندن عدة نماذج من القيثارة والمزهر اللذين كانا يستخدمان عند شعوب غرب افريقية حتى مطلع هذا القرن ، وهما لا يشبهان النماذج المصرية فى المظهر العام فحسب ، بل ان التماثل يوجد حتى فى تفاصيل لا تعتبر ضرورية فى أنواع من الآلات الموسيقية نفسها .



من حضارة غرب افريقية آلات موسيقية فى الطابع المصرى القديم

فالقيثارة فى كلا النموذجين تتكون من جزءين أولهما : صندوق صوت مفرغ . الثانى : ذراع منحنية فى زاوية أقل أو أكثر من الزاوية القائمة ، ويفصل الطرف الأسفل للذراع بجسم صندوق الصوت ، وتسير الأوتار بين الذراع وبين صندوق الصوت فى ثقوب تخترق الغطاء الجلدى الذى يغطى صندوق الصوت .

أما « المزهر » — العود — فى كلا النموذجين القديم والحديث فله عنق طويلة تنتهى فى أسفلها بالمرور مخترقة الغطاء الجلدى لصندوق الصوت ، وتلف الأطراف العلوية للأوتار حول اليد .

وتزداد الدهشة عندما نجد التماثل قد جاء حتى فى الثقوب التى تمر بها الأوتار والمسامير الخشبية التى تثبت أطرافها فى صندوق الصوت .

وهنا قد يكون من الضرورى أن نناقش الطريق أو الطرق التى سارت فيها طوابع الثقافة المصرية القديمة لتصل حتى هضبة البحيرات ثم تمتد الى الغرب حتى جدار الاطلنطيق ، والواقع أننا اذا نظرنا الى مصور افريقية مقدرين ما فى داخلها من صحراوات ومن نطاقات للغابات فانا نجد ثلاث طرق يمكن أن نزعم احتمال كونها السبل التى سار فيها النفوذ الثقافى المصرى الى أعالى النيل والكونغو والغابات المطيرة للغرب فى أفريقية الاستوائية وافريقية الغربية .

وهذه الطرق هى :

(١) الطريق على النيل الأعظم حتى منابعه فى هضبة البحيرات .

(٢) الطريق على النطاق الساحلى لشمال أفريقية حتى تونس ومنها الى شمالى السنغال .

(٣) الطريق مع النيل الأزرق حتى منطقة سنار ثم الى سفوح الجبـال الحبشية ومنها الغرب الى أوغندة ثم الى الكونغو بعد اجتياز البحيرات الكبرى .

على أننا قد نستطيع اضافة طريق آخر تبعا للتماثل بين « دار النوبا » فى جنوب كردفان والمناطق الشـمالية فى ساحل الذهب . ويجرى خط المواصلات الثقافى هذا من « دار النوبا » عن طريق دارفور ووادای الى بورنو والمنـاطق الشمالية لنيجيريا على طول المنطقـة بين خطى العرض الشماليين ١٠ درجات و ١٥ درجة (١)

والطريق الأكثر بروزا من هـذه الطرق هو طريق النيـل الأعظم وان كان بعض علمـاء علم الانســان «الانثروبولوجى» يعترضون عليه على فرض أن المنطقة جنوبى ملتقى النهرين كانت لا ترحب بالاقامة ولا بالزيارة ، فضلا عن أن السدود كانت ولاشك تحد من هذه الرحلة الطويلة ، ومع هذا ، فانه عن هذا الطريق وصلت الى أعالى النيـل من مصر صناعة « التعويج » (Deformation) لقـرون الماشـية . كما نجد ذلك مصورا فى تاريخ مبكر على قبور الأسرة الخامسة من الدولة القديمة ونجد له صورة مماثلة بين النوير الآن (٢)

ولكن مهما تباينت الآراء بالنسبة الى الطريق الذى سارت فيه سمات الثقافة المصرية القديمة فان تأثير هذه الثقـافة ونفوذها الى هضبة البحيرات والى غربى أفريقية مما لا شك فيه .

---

(١) الأجناس فى افريقية لسيجمان ص ٧٨ ــ القبائل الوثنية فى السودان النيلى طبعة سنة ١٩٣٢ ص ١٦ .

(٢) راجع « دراسـات لجريفث » س . ج . سليجمان .

الكمرون

شعب جديد يتحرك

بقلم الدكتور حسين فوزى النجار

كان ربابين البرتغال يخوضون البحر الخضم جنوبا حول افريقية ، بحثا عن طريق الهند ، على حين اتجه ربابين اسبانيا نحو الغرب يحدوهم الأمل نفسه فى الوصول الى الهند .

وبينما كان ربابين البرتغال يتحسسون طريقهم حول افريقية ، كان الاسبان يقتحمون عباب الأطلنطى بين جبال من الأمواج تتأرجح فوقها سفنهم الشراعية الضخمة ، فكانوا بذلك أعظم جرأة من أترابهم البرتغاليين الذين لاذوا بالشواطىء المتجهمة العابسة المجهولة ، من غضب البحر وعصف رياحه ، لا يلقون الى ما وراءها بالا فى سبيل الأمل الكبير ، الذى يدفعهم قدما نحو الشرق البعيد فى آسيا .

ولكنهم بعد أن دانت لهم دنيا البحار مع أترابهم من الاسبان الذين نزلوا الى شواطىء الأمريكتين ، وأخذت وفود المقامرين والمهاجرين تنثال الى الأرض الجديدة والقوافل البحرية تحمل خيرات الشرق الى أسواق أوروبا ، احتدم الصراع بين الدولتين البحريتين فاحتكما الى البابا الذى أصدر قراره المشهور عام ١٤٩٤ وكان يقضى بفرض خط تقسيم من القطب الشمالى الى القطب الجنوبى يمر بالأطلنطى الى الغرب من جزر الآزور على مسافة ٣٧٠ فرسخا ، فكل ما يكشف شرق هذا الخط يكون من نصيب البرتغال ، وكل ما يكشف غربه يكون لاسبانيا .

وكان من نتائج قرار البابا أن اتجه نشاط الاستعمار الاسبانى الى الأمريكتين ، وأصبح طريق رأس الرجاء الصالح الى البحار الموسمية الغنية فى الشرق محظورا عليهم . ولكن البرتغاليين كانوا يعبرون شواطىء افريقية ، ولا يلقون مراسيهم الا ريثما يتزودون بالماء ، ثم يقلعون من جديد ، الا أنهم وجدوا فيها موردا خصبا لتجارة الرقيق ، فنزح اليها النخاسون مسلحين بأحدث آلات الفتك ، واتخذوا لتجارتهم مراكز قوية حصينة على السواحل ، يلجأون اليها بصيدهم الوفير بعد غاراتهم الدامية المروعة على القبائل والقرى الزنجية الآمنة .

وخضعت تلك السواحل الآمنة

لسطو النخاسين البرتغاليين ردحا من الزمن ، وهم الذين أطلقوا على الكمرون اسمها الذى عرفت به حين رأوا أن مياهها العكرة تموج بأسراب «الجمبرى» المسمى باللغة البرتغالية «كاميرويس» (Camaroés)

بعد ذلك الوقت جاء الهولنديون ، وراجت تجارة الرقيق لسد حاجة المستعمرات الأمريكية الجديدة الى الأيدى العاملة ، فلم تلق المناطق فى غرب افريقية من اهتمام المستعمر الأوروبى أكثر من أنها مورد لا ينضب للرقيق • حتى خرجت ألمانيا الى ميدان الاستعمار ، فوجدت الدول الاستعمارية القديمة قد سبقتها الى آسيا ولم تترك فيها مجالا لنشاط استعمارى جديد ، فولت وجهها شطر افريقية فى وقت بدت فيه المأدبة الافريقية تثير شهية المستعمرين القدامى والمحدثين معا •

ونزل الألمان الى الكمرون يلتمسون فى أرجائها خيرا ، حين رأى الانجليز بعد تردد طويل ضمها الى عجلة الامبراطورية البريطانية ، وبعثوا برسلهم اليها لمفاوضة ملوكها اذ ذاك • وكانت الاتفاقيات التى تبرم بين الوطنيين والدول الاستعمارية وما زالت احدى وسائل الاستعمار الأوروبى - بيد أن الألمان سبقوهم الى ذلك ، فنجح مبعوثهم « جوستاف ناختيجال » ، قبل خمسة أيام من وصول البعثة الانجليزية ، فى عقد معاهدة حماية عام ١٨٨٤ لمدة ثلاثين عاما مع ملكها ، تعترف فيها ألمانيا بسيادة الكمرون ، وتتعهد فيها الكمرون بمنح امتيازات المناجم والأراضى الزراعية وتقديم الأيدى العاملة للألمان مقابل قيام الألمان بتعليم الأهالى ، وضمان سلامة البلاد •

وأصبحت الكمرون مستعمرة الألمان المثلى فى أفريقية ، يستغلونها أبشع استغلال ، ويسيمون أهلها أشد ألوان العذاب تسخيرا فى المناجم ومزارع الموز والكاكاو ، حتى قامت الحرب العالمية الأولى ، فاجتاحت قوات الحلفاء الكمرون فى فبراير سنة ١٩١٦ واستولت عليها من الالمان وفى ١٠ يوليو عام ١٩١٩ صدر تصريح لندن المشترك بتقسيم الكمرون بين الانجليز والفرنسيين ، وفى ٢٠ يوليو سنة ١٩٢٢ صدر قرار عصبة الأمم بوضع الكمرون تحت الانتداب الانجليزى والفرنسى كل على ما يليه • وتضمن قرار الانتداب بنودا بتحريم الرق • وأعمال السخرة الا فيما تدعو اليه الانشاءات العامة ، وحظرت تجارة الأسلحة والخمور الا أنها فيما يبدو كانت بنودا مائعة ، تعنى بالشكل دون الموضوع •

وبعد الحرب العالمية الثانية تحولت البلاد من نظام الانتداب الذى أقرته عصبة الأمم الى نظام الوصاية الذى أخذت به الأمم المتحدة •

والكمرون بلاد واسعة مترامية الأطراف تقع بين افريقية الاستوائية الفرنسية الى الشرق ، ونيجيريا الى


خريطة الكمرون
تشاد
نيجيريا
ماروا
موبي
بولى
باميندا
كومبا
دوالا
ياوندا
فرناندوبو
افريقية الإستوائية
عبد الفتاح

الغرب ، وتمتد شمالا حتى بحيرة تشاد وتطل بساحلها البحرى على المحيط الأطلنطى ، وتبلغ مساحتها الكلية ٨٧٨ر٢٠٠ ميلا مربعا وعدد سكانها ٥٦٨ر٤٧٦ر٤ نسمة ، وتدير المملكة المتحدة القسم الواقع تحت وصايتها من نيجيريا وتبلغ مساحته ٨١٠ر٣٤ ميلا مربعا وعدد سكانه ٠٠٠ر٠٠٤ر١ نسمة ويمتد موازيا لحدود نيجيريا باتساع يبلغ فى أقصى مداه ٤٥ ميلا ، والقسم الباقى تحت وصاية فرنسا تديره من باريس

وهى بلاد غنية تفيض أرضها بالخير فتمتد مراعيها الى مدى البصر ، تموج بقطعان الماشية التى تصدر لحومها الى الخارج ، وتمون الكونغو البلجيكى وافريقية الاستوائية الفرنسية بحاجتها منها ، والكاكاو والموز والبن أهم حاصلاتها الزراعية ، والكمرون خامس بلد ينتج الكاكاو ، كما أنه من البلاد المصدرة للأخشاب الثمينة وتنطوى الأرض على كثير من المعادن كالذهب والألمنيوم والأورانيوم ، وأدى اكتشاف الأورانيوم الى حرص فرنسا على البقاء فى البلاد ، وقد فاضت الأرض بالبترول ونبعت أكبر آباره عام ١٩٥٥ ، ويعترض مجارى أنهارها ثلاثة عشر مسقطا للمياه ، يمكن توليد الكهرباء منها ، يستخدم بعضها فى توليد القوى الكهربية بأيسر السبل ، حتى ليقل سعر « الكيلووات » من الكهرباء فى الكمرون عن مثيله فى فرنسا باحدى وعشرين مرة ٠

وتفوق نسبة انتشار التعليم فى الكمرون مثيلاتها فى البلدان المجاورة فهى ١٠٪ فى غانة و ٧٪ فى نيجيريا و ٨٪ فى سيراليون و ٢٪ فى الجزائر ، بينما تبلغ ١٥٪ فى الكمرون ٠

وتمتد الحركة الوطنية فى الكمرون الى ما قبل الحرب العالمية الأولى ، وليس كما يرجعها الكتاب الأوروبيون الى فترة ما بين الحربين — فقد كان لبشاعة الاستغلال الالمانى أثره فى ايقاظ الوعى القومى ، وبرم الوطنيون بالاستعمار وتمردوا عليه تمردا دفعهم الى هجرة بلادهم والنزوح الى البلاد المجاورة ، فرارا من السخرة ، كما حمل القبائل على تنصيب ملوك وهميين يكونون ستارا للوكهم الحقيقيين الذين يتزعمون حركة المقاومة ، ليحولوا دون عسف السلطات الاستعمارية بهم .

واتخذت الحركة الوطنية فى البلاد شكلا منظما بتأسيس حزب اتحاد شعب الكمرون فى ١٠ من أبريل سنة ١٩٤٨ برياسة الدكتور « فيليكس رولاند مومى » «Felix Roland Moumie» هذا عدا بضعة أحزاب أخرى أهمها « حزب الشباب الديمقراطى الكمرونى» «Jeunesse Democratique du Caméroun» واتحاد نساء الكمرون الديمقراطى «Union Democratique des femmes Caméroun» ، ولكن ليس لهما من القوة ما لحزب اتحاد شعب الكمرون ٠

وتقوم مطالب الحزب على ما يؤخذ

من اسمه ، وعلى ما نص عليه برنامجه السياسى العام على أساس توحيد البلاد واستقلالها ، وللحزب عدا برنامجه السياسى برنامج عام للاصلاح أساسه تحقيق العدالة الاجتماعية والمساواة الاقتصادية ، فقد بلغت التفرقة بين الوطنيين والأوروبيين حدا بعيدا ، اذ يبلغ أجر الأوروبى عشرين ضعفا لأجر الكمرونى الذى يساويه فى الكفاءة والمؤهل .

ويقال ان حزب اتحاد شعب الكمرون يجد سندا قويا من تأييد الحزب الشيوعى الفرنسى ، وان لم تنم اتجاهات الحزب عن أية بوادر شيوعية ولا يتهم رئيسه بأى ميل شيوعى .

ولا يعترف الحزب بمعاهدة فرساى التى فرضت الانتداب على البلاد ، فان الكمرون لم تكن طرفا فيها كما لم تكن طرفا فى الحرب التى دارت بين ألمانيا وأعدائها ، وان المعاهدة التى تربط بين ألمانيا والكمرون تنتهى فى عام ١٩١٤ لا يبقى بعدها حق لألمانيا فى البلاد وليس من العدالة والقانون أن تفرض على الكمرون معاهدة لم يكن له رأى فيها .

ولم تقف سلطات الاستعمار مكتوفة أمام نشاط الحزب ، ففى ابريل سنة ١٩٥٤ أعدمت السلطات البريطانية اثنين من مجاهدى الحزب ونفت ثلاثة عشر آخرين من زعمائه وأصدرت أمرها بحل الحزب . وتبعتها السلطات الفرنسية فى ذلك فأصدرت أمرها بحل الحزب ومصادرة نشاطه العام ، وأنشأت من ناحيتها مجلسا تشريعيا وآخر تنفيذيا قاطع الأهالى انتخاباتهما مقاطعة قوية لم تمنع اجراء الانتخابات وقيام المجلسين التشريعى والتنفيذى الا أن ٥٥٪ على الأقل من أفراد الشعب لم يدلوا بأصواتهم ، كما يؤكد ذلك مراسل جريدة أفريقية الغربية ، الذى أوفدته صحيفته لموافاتها بأخبار الانتخابات .

ولم يمنع قيام المجلسين التشريعى والتنفيذى من قيام الاضطرابات فى البلاد ، ووقع أول صدام مسلح بين الوطنيين والسلطات الفرنسية فى ديسمبر سنة ١٩٥٦ بمدينة « دوالا » « Douala » ثغر الكمرون وأكبر مدنه التجارية أدى الى قتل ١٥٠٠ من الوطنيين .

ومنذ ذلك الحين أوغلت الثورة فى البلاد وكان يقودها حزب اتحاد شعب الكمرون فى قوة وجلد أشارت اليهما مجلة « افريقية الأسبوعية » بقولها « وحينئذ بدأت الكمرون ثورتها على الاستعمار ازاء حملات القمع والتنكيل التى تقوم بها السلطات الفرنسية على الوطنيين والتى لاتختلف عما يقومون به من حملات الابادة المزرية فى شمال افريقية ، وبالرغم مما يعانيه شعب الكمرون من املاق وفقر فانه ظل صامدا فى كفاحه محتميا بكهوف الجبال ومجاهل الغابات » .

ولم يكن كل نشاط الحزب ثوريا

بل انه كان يلعب دورا بارزا فى تهيئة أذهان الشعب للدور المقبل الذى يمكن أن يضطلع به بعد أن تنتهى الوصاية الدولية ويستفتى فى أمره ٠

ويمتد نشاط الحزب الى خارج البلاد قد كان دائب الاتصال بالهيئات الدولية ولا سيما بالجمعية العامة للأمم المتحدة ووفودها الممثلة لها ويلح الحاحا دائما لحمل هذه الوفود على اثارة مسألة الكمرون فى الأمم المتحدة وادراجها فى جدول أعمالها ٠

والحزب كما قلنا لا يعترف بالوصاية الدولية ، كأثر من آثار معاهدة فرساى التى لا يعترف بها فالانتداب ثم الوصاية قد فرضتا على مستعمرات ألمانيا وغيرها من الدول التى شاركتها أوضار الهزيمة والانتداب بالذات وقد صدرت به وثيقة دولية الا أنه قام فى الأصل لتنظيم تبعية الميراث الألمانى من المستعمرات فى نوع من الحكم لا يتنافى ودعوة الحلفاء الى حق تقرير المصير وحقوق الانسان ٠ فان دول الانتداب لم تلتزم بتنفيذ تعهداتها قبل عصبة الأمم للدول التى تديرها ، والهيئات الاستعمارية دائبة على تضليل مجلس الوصاية ٠

وقد أشار « كريشنامنون » فى تقريره الى الأمم المتحدة بعد زيارته للكمرون الى ما يلاقيه الشعب الكمرونى فى ظل الوصاية البريطانية والفرنسية من عسف واستبداد واهمال لشأنه وعرقلة نموه الاجتماعى والاقتصادى والسياسى ، ففرنسا تدير الكمرون كما لو كانت جزءا منها ، والتفرقة العنصرية قائمة ، ولا يهيأ الشعب لممارسة حقه الطبيعى فى الحكم الذاتى وهو الغرض الاصلى من فرض الوصاية فللفرنسيين وهم لا يزيدون عن (١٢٫٠٠٠) ثمانية عشر عضوا فى الجمعية التشريعية فى حين أن الوطنيين وهم أكثر من ثلاثة ملايين لا يمثلهم سوى ٣٢ عضوا ٠

والانجليز سادرون فى مصادرة الحريات ينزلون بالمواطنين أشد ألوان العقاب الجماعى وليس فى الكمرون البريطانى أية وسائل حديثة للمواصلات بل ليس فى الكمرون كلها من السكك الحديدية سوى ٣١٥ ميلا مدها الألمان من قبل ، ولا تلقى المملكة المتحدة بالا لرفع مستوى الشعب أو الاهتمام بالصحة أو التعليم ٠

وقد مثل حزب اتحاد شعب الكمرون أخيرا بلاده فى المؤتمر الآسيوى الافريقى الذى عقد بالقاهرة فى أواخر ديسمبر سنة ١٩٥٧ ٠

ويحمل شباب الكمرون ممن يتلقون تعليمهم فى الخارج عبء الدعاية لقضية بلادهم وهم فى فرنسا دائبون على اثارة مسألة الكمرون أمام الشعب الفرنسى ٠

وتعتبر الكمرون من أكثر البلاد تقدما فى غرب أفريقية ، ولذلك فان طريقها الى الحرية والاستقلال معبد يخط كفاح الشعب ، ويرسم خطواته ايمان أهل الكمرون بحقهم فى الحياة الحرة الكريمة ٠

غانة

بين القديم والحديث

بقلم الدكتورة كوثر عبد الرسول

– ١ –

كلنا يعرف الآن أن اقليم « ساحل الذهب » – الذى كان مستعمرة بريطانيـــة الى العام الماضى – قد نال استقلاله أخـــيرا ، وأصبح جمهورية افريقيـــة باسم « جمهورية غانة » . ولا شـــك أنه عالق بأذهاننا زواج نكرومه – رئيس وزراء الجمهـورية الجديدة – باحدى المصريات منذ أيام قليلة . وربما أدى هـــذا الزواج الى زيادة ادارك المصريين لأهمية الترابط بين الدول الافريقيـــة جميعا للصالح العام للبشرية . ولهذا الزواج أهمية تظهر من خلال السطور التالية . فقد كان فى تاريخ مصر الفرعونيـــــة مصاهرات عدة بين أبناء وبنات الأسر الحاكمة فى مصر والنوبة والسودان والقبائل الليبيـــة فهل هـــذا الزواج بداية عهد جديد تتكرر فيه أحداث تاريخيـــة قديمـــة بين مصر وبلاد افريقية ؟ وبعبارة أخرى هل كانت هناك اتصالات مصرية قديمة بين مصر وبلاد غرب افريقية ؟ بحيث يصح أن نقول ان المصاهرة التى تمت حديثا لها سوابق تاريخية بين مصر وغانة ؟ ان الاجابة على هذا السؤال تحتاج الى تضافر جهود علمية كثيرة ، وهذه المقالة محاولة لتسجيل أوجه الاتصال والارتباط القـــديم بين مصر وغرب افريقية .

وقبل الدخول فى التفصيلات أحب أن أضرب مثلا صغيرا . فمن المعروف أن «مملكة الحبشة» الحالية قد تحول اسمها منـــذ مدة الى اسم « مملكة اثيوبيا » و « أثيوبيا » اسم تاريخى قديم يصف بلادا تمتد قريبـــا من

الشلال الأول على النيل جنوبى أسوان الى اقليم الجزيرة فى السودان جنوبى الخرطوم فى غير ما حدود واضحة . ولا شك أن الخلط بين « اثيوبيا » التاريخية (التى تدخل الآن ضمن جمهورية السودان) و « اثيوبيا » الحديثة (التى تشتمل على منطقة الهضاب والجبال الحبشية شمال وجنوب الاخدود الافريقى) أمر غير صحيح علميا ، فلكل من «الاثيوبيتين» تاريخ وتكوين مختلف من النواحى المكانية الطبيعية والبيئية والبشرية والاقتصادية ينتفى معه افتراض أن « اثيوبيا » القديمة هى الحديثة أو العكس .

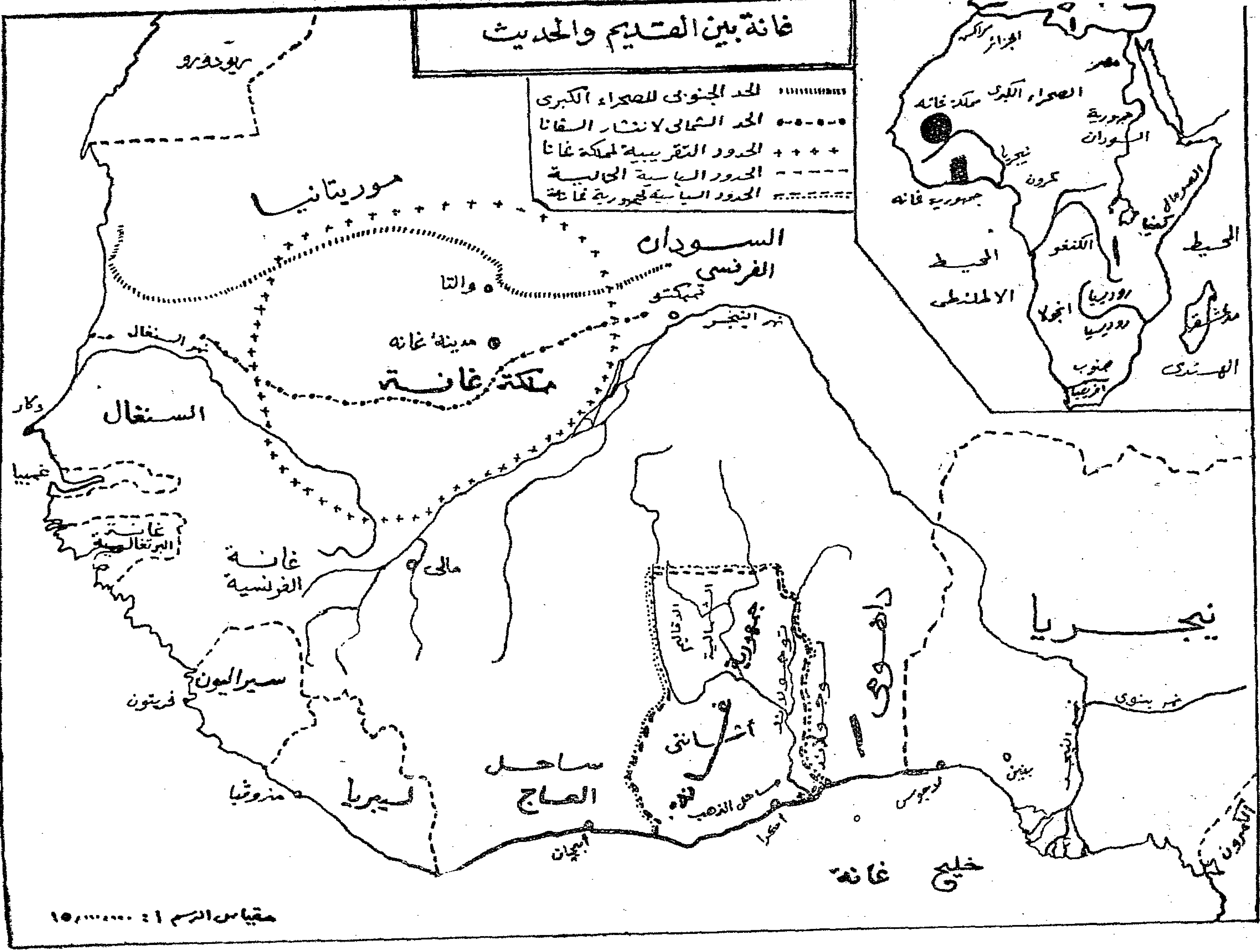
سقت هذا المثال على سبيل التوضيح لأن اسم « غانة » الذى اختاره شعب ساحل الذهب اسما لجمهوريتهم الحديثة ليس جديدا . فهو اسم جغرافى يطلق على كل ساحل غرب افريقية من جنوب السنغال الى مصب الكنغو وهو قبل كل هذا اسم تاريخى لمملكة قديمة فى غرب افريقية كانت تقع بين أعالى نهر النيجر ونهر السنغال ، فهل « غانة » القديمة هى « غانة » الحديثة أو كانت تشملها مع منطقة أكبر منها ؟ أم الوضع بين «غانة» القديمة والحديثة يشابه الوضع بين «اثيوبيا» الحديثة والقديمة ؟ وما مدى العلاقة بين مصر ووادى النيل من ناحية وغانة وغرب افريقية من ناحية أخرى ؟

ـ ٢ ـ

كانت غانة القديمة ـ التى عرفها الكتاب العرب ـ تمتد بين نهرى السنغال والنيجر وربما امتدت قليلا الى الغرب عبر نهر السنغال . وهى بذلك تشمل جزءا من المنطقة المسماة حاليا السودان الفرنسى . والراجح أن حدودها لم تصل الى المحيط غربا ، وحدها الشمالى غير معروف تماما ، وربما امتد قليلا الى مناطق الانتقال بين الأعشاب الفقيرة واقليم الصحراء الكبرى . وحدودها الشرقية كانت تقريبا متمشية مع نهر النيجر جنوب ثنيته المشهورة عند مدينة تمبكتو . أما الحد الجنوبى فليس معلوما ، ولكن الراجح أنها لم تمتد كثيرا الى جنوب خط السفانا بالغابات المدارية والاستوائية الكثيفة ، وبذلك لا يرجح اطلاقا أنها وصلت جنوبا الى ساحل غانة الحالى . أما العاصمة فكانت تسمى أيضا « غانة » وكانت تقع الى الغرب من تمبكتو والى الجنوب من « والتا » الحالية .

وقد نشأت المملكة فى عصر قديم غير معروف تاريخه تماما . وقد قال صاحب « تاريخ السودان » ان عدد ملوكها حتى عام ٧٩٠ م . كان ٤٤ منهم ٢٢ ملكا قبل التاريخ الهجرى . ومعنى هذا أن نشوء الدولة كان أوائل القرن السادس الميلادى .

والأرجح أن هذه التواريخ والأساطير التى نقلت الى « السعدى » مؤلف


غانة بين القديم والحديث
الحد الجنوبي للصحراء الكبرى
الحد الشمالي لانتشار السفانا
الحدود التقريبية لمملكة غانا
الحدود السياسية الحالية
الحدود السياسية لجمهورية غانا
ريودورو
موريتانيا
السودان
الفرنسي
تمبكتو
والاتا
مدينة غانة
مملكة غانة
نهر السنغال
نهر النيجر
داكار
السنغال
غمبيا
غانة البرتغالية
غانة الفرنسية
مالي
سيراليون
فريتون
منروفيا
ليبيريا
ساحل العاج
أبيجان
أشانتي
الأقاليم الشمالية
جمهورية غانة
ساحل الذهب
أكرا
داهومي
لاجوس
بنين
نيجريا
نهر بنوي
الكامرون
خليج غانة
مقياس الرسم ١ : ١٥,٠٠٠,٠٠٠
الجزائر
مراكش
مصر
الصحراء الكبرى
مملكة غانة
جمهورية السودان
نيجريا
كمرون
جمهورية غانة
الكنغو
الحيط الأطلنطي
روديسيا
انجولا
جنوب أفريقيا
الحيط الهندي
مدغشقر

« تاريخ السودان » مبالغ فيها فيما يختص بعدد الملوك القدامى • وعلى أية حال فان فى تاريخ غانة القديمة عهدين : أما الأول فلسنا متأكدين من بدايته ، وربما كان فى أوائل القرن السابع الميلادى ، ونهايته فى القرن الثامن الميلادى . وأما الثانى فينتهى عام ١٠٧٦ م • بسقوط غانة نهائيا فى أيدى أبو بكر ، قريب يحيى بن يوسف وابن ياسين ويوسف بن تاشفين أصحاب حركة المرابطين ونشر الاسلام فى غرب افريقية من مراكش الى السنغال. وقد استمرت مدينة غانة قائمة كمركز تجارى وعاصمة مملكة تدفع الجزية للمسلمين حتى عام ١٢٢٤ م • حين هجرها سكانها وتجارها من العرب والماندى والبربر الى مدينة « والتا » التى تقع شماليها حوالى ١٥٠ كيلو مترا • ومن بين أسباب هجر المدينة الغزوات المتعددة التى قامت بها بعض القبائل المتفرعة عن مجموعة قبائل السونينكة ومن أهمها قبيلة سوسو Soso • ففى عام ١٢٠٣ م • قامت هذه القبيلة بغزوة نهائية على غانة ، أتت على البقية الباقية من الطعام السياسى الذى استمر فى غانة منذ انشائها • ومنذ ذلك التاريخ عفى الدهر على غانة ، ولم يعد اسمها يسمع الا فى سجلات التاريخ ، وكاسم لمنطقة جغرافية من افريقية .

أما غانة الحديثة فهى عبارة عن مستعمرة ساحل الذهب • وتمتد بواجهة قصيرة على ساحل خليج غانة وتتوغل الى الداخل فى حوض نهر الڤولتا الى درجة العرض ١١ شمالا ، فيما يشبه المستطيل • وتنقسم الى عدة أقسام سياسية ادارية أكبرها مساحة الأقاليم الشمالية ، يليها دولة أشانتى Ashanti فى الوسط ثم ساحل الذهب على الساحل • وفى الشرق أجزاء من توجولاند التى كانت مستعمرة ألمانية حتى الحرب العظمى الأولى • ولعل أكثر هذه الأقاليم أهمية وازدحاما بالسكان هو اقليم اشانتى واقليم الساحل ، حيث توجد العاصمة « اكرا » Accra •

وقد كانت مملكة أشانتى دولة عظيمة نسبيا قبل الاحتلال الانجليزى يرأسها ملك وكانت مقسمة الى عدة أقسام ادارية منظمة ومناطق نفوذ الخ. ولكن الانجليز قضوا عليها بعد أن أثاروا الاشانتى على قبائل الجنوب ، ثم تذرعوا بحجة حماية الجنوب فهاجموا الاشانتى وحرقوا عاصمتهم •

رأينا أن كلا من غانة القديمة والحديثة يختلف اختلافا مكانيا ، وبالتالى اختلافا بيئيا طبيعيا واختلافا اقتصاديا • فغانة القديمة كانت دولة تجارية تتحكم فى الوارد والصادر بين اقليمين هما الاقليم المدارى الاستوائى فى الجنوب واقليم شمال افريقية وأوروبا فى الشمال ، فى حين أن جمهورية غانة الحديثة تمثل اقليما منتجا لخامات معينة سوق استهلاكها فى أوروبا وأمريكا وغيرهما من قارات العالم •

أما من ناحية السكان فربما كان سكان غانة الحديثة يشابهون سكان الاجزاء الوسطى والجنوبية من غانة القديمة فى السلالة والحضارة .

ـ ٣ ـ

اذن فهنـــاك نوع من الصلة بين سكان غانة القديمة والحديثة . ولكنها صلة مبهمة غيرواضحة تمامالوضوح . وربما أدت هـذه الصلة بالجمهورية الجديدة الى اطلاق اسم « غانة» عليها تيمنا بمستقبل مجيـــد لها ولاتحاد غرب افريقية الذى يأمل كثير منزعماء الحركة الوطنية فى هـذا الجزء من العالم تحقيقه فى المستقبل .

ولاشك أن أكثر الصلات الجنسية والحضارية وضوحا بين غانة القديمة والحديثة هو ما قيل ونقل عنأساطير مجموعة القبائلالمعروفة باسم «الأكان AKAN » التى تشتمل على عـــدة قبائل ومجموعات فى وسط وجنوب غرب اقليم ساحل الذهب . وأهم هذه القبائل هى الاشانتى بلا نزاع . ففى أســـاطير « الأكان » أنهم وصلوا الى مراكزهم ومواطنهم الحاليـــة نتيجة هجرة أتت من الشمال غير البعيد . ولا يستبعد أن يكونوا جماعة هاجرت أصلا من دولة غانة القـديمة بعــــد استيلاء المسلمين عليها ، أو بعد تفكك السلطة السياسية لهذه الدولة . بل ربما كان بعض « الأكان » من أصل الأسرات الحاكمة فى غانة القـــديمة الذين فروا أمام النظم الجـــديدة والديانة الجديدة الى مناطق الالتجاء فى الغـــابات الاستوائية الجنوبية ، مكونين امارات صغيرة يعيشون فيها حسب تقاليدهم القديمة .

ونحن نعرف أن دولة الأشانتى قد تكونت حوالى ١٧٠٠ م . وقامت على انقاض دول أخرى أقدم منهـــا ومن نفس السلالة ، ربما رجع تكوينها الى القرن الثالث أو الرابع عشر . وهذا التاريخ يكاد يتفق مع سـقوط غانة القديمة فى أوائل القرن الثالث عشر

هنا اذن تكمن ملامح الصـلة بين غانة القديمة والحديثة ، ولتأكيد هذه الملامح لابد من بحوث علمية جديدة عـلى نطـــــاق التخصص فى الآثار والانثروبولوجيا ، وهوما نأمل حدوثه فى القريب لفهم افريقية ووضع تاريخ جديد لها .

ـ ٤ ـ

والآن نعود الى السؤال الأول عن الاتصـــالات بين وادى النيل وغرب افريقية . وقد سبق أن قلنا ان تاريخ غانة القــديمة ينقسم الى حقبتين . ويشير كثير منالكتاب الانثروبولوجيين ومنهم :D. Westermann فى كتـابة Geschichte Afrikas (طبعة Grenen بكولونيا عام ١٩٥٢) الى أن الحقبة الأولى من تاريخ غانة القديمة تمثل حقبة كانتتحكم فيها جماعة من البربر الشماليين (وربما الطوارق) نزحت الى الجنوب من الصحراء . ثم حـدث أن تجمعت قبـــائل الســـونينكة

فى منطقــــة دالات النيجــر جنوبى تمبكتو ، وهاجــرت الى الغــرب الى اقليم واجادو ثم انقضت على غانة فى أواخر القرن الثامن الميلادى بقيادة أحد ملوكهم الذى أنشأ الأسرة التى حكمت غانة حتى القرن الثالث عشر الميلادى. والسونينكة عبارة عن جماعة نزحت من الشرق من حــول بحيرة تشــــاد ، أو من وادى النيــل على طول طريق الســڤانا العظيم الذى يعبر افريقيـــة من البحر الأحمر الى المحيط الاطلنطى • وليس من الضرورى أن يكون السونينكة قد أخـذوا هذا الاسم عن وطنهم الأول فى حــوض النيل ، بل الواقع أن الأسماء كثيرا ما تتغـــير وتختلف ، والدماء كثيرا ما تمتزج والقبــائل والدول تقوم وتنهــار ، وتعود الى الظهور بأسماء جديدة • وفى عهــد حكم السونينكة بلغت غانة القــديمة أوج مجــدها وحضارتها ، وذاع صيتها فى العالم • ونظرا للتماسك الشــديد فى الدولة استطاعت غانة أن تقف فى وجه تيار الاســـلام فترة طويلة نســـبيا ، وما تدهورت الا لعلاقات العداء التى نشأت فى الشمال نتيجــــة لانتشار الاسلام وتغير طرق التجارة • واذن فلابد من أن هذه الأسرة الحاكمة قد نقلت الى غانة نظاما سياسيا وحضاريا واقتصاديا كان سائدا ومعمولا به فى مناطق أخرى • وأحسن الأمثلة على ذلك هى مملكة « نباتا » و « مروى » فى السودان النيلى • وقد تحطمت مملكة « مروى » فى أواسط القرن الرابع الميلادى وهاجر سكانها الى الغرب عن طريق الســڤانا الى دارفور وتشــــاد وما بعدهما على حقبات زمنية مختلفة وأدت هـــذه الهجرات الى اقامة نظم مماثلة للنظم القــــديمة فى مروى ، ولكنها مختلفة نسبيا لاختلاف البيئة والسكان •

والمعروف والمتفق عليــه أن مروى كانت تمثل دولة متمصرة فى حضارتها وعاداتها وديانتها • وبذلك لا يستبعد أن نرى عناصر حضارية مادية وغير مادية مشـــابهة للعناصر المصرية فى أماكن نائية فى غرب افريقيــة ، أو حوض الكنغو الجنوبى أو هضـــبة البحيرات •

ومما يؤيد ذلك العثور على مصابيح برنزية قديمة فى ساحل الذهب من مخلفــات دول « الأكان » قبل توسع « الأشـــانتى » • وقد قرر علمـــاء الاركيولوجيا أن هذه المصابيح تشبه الى حد كبير المصابيح المصرية القديمة فى القرن الخامس الميلادى •

فالصلة اذن بين مصر وغرب افريقية قديمة ، نتجت عن هجرات السكان المتمصرين أو هجرة الحضارة المصرية ولهذا السبب ربما كانت المصـــاهرة الحديثة بين رئيس وزراء غانة واحدى المصريات رمزا لعودة الصلات القديمة بين وادى النيل وغرب افريقية •

قصة المسح الجغرافى لشرق أفريقية ووادى النيل

بقلم اللواء (أ ٠ ح) حامد أحمد صالح

قال زميل فى تقديمه لتاريخ بعض أعلام « وادى النيل » : « من الحقائق الثابتة أننا عندما نتعقب تاريخ شعب من الشعوب فى مكان ما من الكرة الأرضية التى نعيش فيها ، يجب أن نعنى بدراسة تطور الناس مع تطور الأرض ، وأن نتعمق فى دراستنا للأرض الى المدى الذى يصل اليه علم الجغرافية ، لأن الأرض هنا هى المحور الثابت للتاريخ ، وذلك للتأثير الكبير الذى للبيئة الجغرافية على البيئة البشرية وبخاصة فى ابراز النشاط الاجتماعى لها ٠٠ » .

وتكشف لنا قصة عمليات المسح عندما ندرس تاريخ جنوب وادى النيل والأرض التى تقع فى شرقيه ، من قارتنا الافريقية ، فقد عاونت المصورات التى رسمت شرقى افريقية ، وهضبة البحيرات وتقارير المسح الجغرافى التى صحبت هذه المصورات ووضعت فيها ، على معرفة الكثير من تاريخ الناس ومن ادراك صور الحياة فى شتى أنحاء البلاد .

وتكشف لنا قصة عمليات المسح الجغرافى هذه عن مشقة هذا العمل ، لسعة المنطقة مع عدم تيسر وسائل النقل الكافية فى هذه المنطقة المترامية الأطراف والبعيدة عن مجرى النيل الأعظم للشرق أو للغرب ٠٠

وفى مقدمة هؤلاء الرواد الأولين « محمد مختار » الرجل الذى جاب أرض الصومال وشرق السودان وساحل البحر الأحمر فى رحلتين متتابعتين بين سنة ١٨٧٦ وسنة ١٨٨٠

ولد محمد مختار (اللواء) ببولاق من أعمال القاهرة سنة ١٨٣٥ م ، وتلقى دراسته الأولية ، ثم تخرج من المدرسة الحربية فى الثانية والعشرين من عمره سنة ١٨٥٧ ، ليعمل فى وحدات الجيش ، وظل يترقى فى

صفوف الجيش . ويجاهد للاستزادة من الدراسة والمعرفة فى مختلف ألوان الثقافة العسكرية ، حتى كانت سنة ١٨٧٠ ، فالتحق بالقسم الثالث (قسم المساحة العسكرية) من هيئة أركان الحرب المصرية .

وشغلت هذه الهيئة الجديدة بدراسة الأرض للتسلط على النهر من منابعه حول « بحيرة فيكتوريا » حتى مصبه فى البحر المتوسط ، ومن «وادای» فى غربى السودان الى سواحل البحر الأحمر ، وفى فجر سنة ١٨٧٥ أرسل (محمد مختار) فى بعثة عبد الله فوزى لاستكشاف منطقة « سنكات » والتعرف على الطرق بينها وبين « سواكن » ، وقد كشف مختار عن أقصر الطرق ، ورسم مصورة دقيقة للمنطقة ، وأوضح موارد المياه ، وأشار الى ما يجب حفره من الآبار ، ونشرت مجلة هيئة أركان الحرب العامة تقريره هذا مع المصورة التى رسمها ، والتى كانت أول مصورة دقيقة لهذا الجزء من شرق السودان .

وفى سنة ١٨٧٥ رافق البكباشى محمد مختار اللواء رؤوف الى « هرر » رئيسا لهيئة أركان حربه ، وكان وجود مختار يعنى بلا شك قيامه بما هو أهم من تولى الجانب الادارى ، فقام بالمسح الجغرافى للأرض حول « هرر » متجها للغرب نحو وسط القارة ، وكانت تحقيقات مختار التى أوضحها فى المصورات التى رسمها أول أنباء دقيقة وصلت للعالم الخارجى عن هذا الجزء من قارة افريقية .

وقد وصف مختار فى تقريره الأحوال الطبيعية والبشرية للبلاد ، وحلل الموقع الجغرافى تحليلا بديعا مبينا أهميته فى التجارة الافريقية والعربية ، ورسم مصورة كبيرة للاقليم بين خليج عدن وغرب البلاد الحبشية نشرتها مجلة « أركان الحرب » سنة ١٨٧٦ .

وفى سنة ١٨٨٠ عاد « مختار » الى شرق السودان من جديد ، وتولى قيادة حملة استكشافية بدأت سيرها من « أبى حراز » متجهة شرقا الى « القضارف » ثم جنوبا شرقيا الى « القلابات » عند الحدود الحبشية ، وبعدها اتجهت للشمال الى « كسلا » عابرة نهر « العطبرة » .

ودون مختار مذكراته عن الرحلة ووصف المناطق التى اجتازتها البعثة وصفا جغرافيا كاملا من الناحيتين الطبيعية والاقتصادية ، كما حدد مناطق حفر الآبار للامداد بالمياه ، معاونة لقوافل النقل ، ووضعت مقترحاته موضع التنفيذ .

ولمحمد مختار عدة بحوث جغرافية عن شرقى السودان ، نشرتها مجلة هيئة أركان الحرب المصرية فى سنة ١٨٧٧ وما بعدها ، كما نشرت

له مؤلفه « المجموعة الشافية فى علم الجغرافية » ، وغيره من المؤلفات فى الرياضيات والفلك ، وكتابه « التوفيقات الالهامية فى مقارنة التواريخ الهجرية بالسنين الافرنجية ، والقبطية بين عام ١ للهجرة وعام ١٥٠٠ » .

ان جهود اللواء محمد مختار توضح صورة من جهود هؤلاء الرواد الأوائل من رجال هيئة أركان الحرب المصرية الذين قاموا بعمليات المسح الجغرافى فى حوض النيل وشرقى افريقية ، وكلها دراسات كانت ولا تزال لها قيمتها فى معاونة المؤرخين ، للتعرف على البلاد والسكان ، وتقويم تطور البشرية فى هذا الركن من العالم القديم .



بعض الظواهر القانونية في المشكلة الجزائرية

بقلم الأستاذ اسماعيل مبارك

ان استعراض المشكلة الجزائرية — فى أية ناحيـــة من نواحيها — ليؤكد حقيقة ثابتة هى أن الاســـتعمار فى محاولاته اضفاء الشرعية على عدوانه والباس باطله ثوبا يظهره بمظهر الحق لا يأتى بما يدعم مركزه ويوطد نفوذه بقدر ما يكشف زور ادعاءاته ويضيف الدليل على افتياتها .

وبالرغم من أن فرنسا تصدر فى مواجهتها المشكلة الجزائرية عن ادعاء ان الجزائر جزء من الاقليم الفرنسى فقد كان فى تقنينها لهـــذا الاقليم ما يدحض هذا الادعاء ويأتى عليه من القواعد .

لذلك اخترنا — فى هذا المجال — التعرض لبعض الظواهر القانونية فى تشريع فرنسا الجزائر وهى تكشف عن محاولات فرنسا تشويه الحقائق التاريخية والخـــروج عما تقتضيه صلات الدم ، وهى الى ذلك تخفى فى ثناياها الآراء الاستعمارية البحتة التى أملت هذه القوانين وأوحت بها .

١ — حديث عن التشريع الفرنسى فى الجزائر :

كان تطور التشريع الفرنسى منـــذ عام ١٨٣٠ يتمشى — من ناحية — مع معالم المراحل المتتابعة التى مر بها الاحتلال الفرنسى البلاد ، ويمثل من ناحية أخرى — مدى تغلغل السيطرة العسكرية فى ميدان التشريع .

وهناك فتـــرتان تحددان المعالم الأساسية فى تاريخ التشريع الفرنسى فى الجزائر . الفترة الأولى هى المعروفة بفترة « نظام المراسيم » قنن — فى ظله — الغزاة الغاصبون قوانين تسرى على الجزائريين بعد الغزو وهم من أريد لهم أن يشملهم اسم « الرعايا الفرنسيين » وقد عرفت هـــذه القوانين « بالقـــوانين الخاصـــة » أو « قوانين الاستثناء » والفترة الثانية هى تلك الفترة التى مهـــدت الطريق للنظام الحالى الذى يتسم بمحاولة ايجاد الحلول القانونية التى تتجاوب مع نظرية « بلاد الجزائر الفرنسية » .

وقد أنشىء نظام المراســـيم وفقا لقانون صدر فى الثانى والعشرين من يوليو عام ١٨٣٤ فى فترة كان الفتح الفرنسى فى أولى مراحله ، وظل قائما حتى عام ١٩٤٦ ، وكان الغرض من اصدار ذلك القانون النص على أن الجزائر اقليم محتل وما يستتبع ذلك من انشاء منصب الحاكم العام الذى

يتولى الرقابة العامة على الادارة للممتلكات الفرنسية في افريقية الشمالية ، ويعمل تحت امرته موظفون من السلكين المدنى والعسكرى .

وقد خول قانون ١٨٣٤ لرئيس الدولة سلطة التقنين فى الجزائر ويشاركه فيها البرلمان الفرنسى ، كما نص ذلك القانون على السماح لرئيس الدولة بتعديل القوانين الفرنسية اذ اريد لمجلسها الاقليمى أن يشمل بلاد الجزائر ، ثم نص بعد ذلك على حق الحاكم العام فى التشريع للجزائر — وذلك بصفته رئيسا لقوات الاحتلال — بما يخالف كل المخالفة القوانين التى تطبق فى فرنسا .

وفى ظل هذا النظام صدرت عدة قوانين تكشف التناقض بين ادعاء فرنسا أن الجزائر جزء منها وبين النيات المبيتة للاقليم ، وأصحابه الشرعيين ونذكر أهم هذه القوانين ما يلى :

١ — قانون ٤ مارس ١٨٤٨ الذى يقرر أن الجزائر جزء مكمل لفرنسا .

٢ — قانون ١٤ يوليو ١٨٦٥ الذى جعل للمسلمين الجزائريين صفة « الرعايا الفرنسيين » — وهو قانون اريد به التمهيد لاضفاء صفة « المواطن » على الجزائريين الذين يرتدون عن دينهم .

٣ — قانون ١٩ ديسمبر ١٩٠٠ الذى منح الجزائر استقلالا ماليا ، والذى أنشأ « البعثة المالية » وهى البعثة الذى كان يمثل المسلمين فيها ٢١ عضوا أى أقل من ثلث الأعضاء البالغ عددهم ٦٩ عضوا .

٤ — قانون ٤ فبراير ١٩١٩ الذى أباح لقاضى المصالحات أن يضفى صفة « المواطن الفرنسى » على الجزائريين الذين يبدون رغبتهم فى ترك دينهم .

٥ — بمقتضى قانون ٧ مارس ١٩٤٤ أصبح المسلمون الجزائريون فرنسيين وأبطلت القوانين الخاصة بالمسلمين بينما أصبحت طبقات معينة من المسلمين مواطنين فرنسيين بصفة شخصية محضة ، دون التخلى عن دينهم ، وقد رفع هذا القانون نسبة تمثيل المسلمين فى المجالس المحلية الى الخمسين .

٦ — قانون ٧ مايو ١٩٤٦ المعروف بقانون (لامين جوى Lamine Gueye) وهو القانون الذى منح صفة المواطن الفرنسى لكل سكان الأقاليم الفرنسية عبر البحار ومنها الجزائر .

وفى ٢٧ أكتوبر ١٩٤٦ ألف الدستور الفرنسى « نظام المراسيم » ، ونص على أن الجمعية الوطنية وحدها ستكون صاحبة الولاية فى التشريع .

٢ — مشاركة الجزائريين فى الهيئات الدستورية الفرنسية :

والتشريع الفرنسى الذى يطبق اليوم فى الجزائر ، يمتاز بصفة بارزة هى أنه ينظم التعبير عن الارادة من جانب واحد فى الهيئتين التشريعية والتنفيذية فالشعب الجزائرى لم يشترك أبدا بطريق مباشر أو غير مباشر فى اعداد

هذه القوانين ، بل لم يكن له الحق فى انكار سلطان تلك القوانين .

والقوانين التى وقعها (الداى حسين) وكذلك المعاهدات التى وقعها الأمير عبد القادر انما كانت فى حقيقتها قوانين تسليم أو معاهدات استسلام عسكرى وهى لا تمثل أى شكل من أشكال الاعتراف أو القبول للموقف الجديد الذى خلقه الاحتلال العسكرى الفرنسى .

والحكم الراهن فى الجزائر ما زال مستندا الى هذا الضم القسرى للجزائر وهو بهذه الصفة لا ينشىء — بأى معنى من المعانى ولا على أية قاعدة من القواعد — حقوقا دائمة لفرنسا . ويتبين من الدراسة القانونية لموضوع مشاركة الجزائريين فى الهيئات الدستورية والتشريعية فى فرنسا أن الحقيقة التى لا تقبل الجدل هى أن التشريع الذى يطبق على الجزائريين هو تشريع فرض عليهم فرضا ، ولم تتوافر له أسباب الرضا الصحيح .

وقد أصبحت فكرة التمثيل الجزائرى فى الهيئات الدستورية فكرة ممكنة بعد صدور مرسوم ٢٤ أكتوبر ١٨٧٠ الذى أعلن فيه أن الجزائر تكون ثلاث مديريات فرنسية .

ووفقا لدستور ١٨٧٥ الفرنسى كان تمثيل الجزائر فى البرلمان بمجلسيه الشيوخ والنواب مقصورا قصرا تاما على الأوروبيين (أى على المستوطنين الفرنسيين المقيمين فى الجزائر) .

وقد أباح قانون ٢٤ فبراير ١٨٧٥ فى المادة الثانية أن يكون لكل مديرية من مديريات الجزائر شيخ واحد ، كما أباح قانون ٢١ يوليو عام ١٩٢٧ أن يكون لكل مديرية ثلاثة من النواب وقد أنشأ قانون ٢٠ مارس عام ١٩٣٦ دائرة انتخابية رابعة لنائب فى مديرية الجزائر فوصل بذلك تمثيل الجزائر فى البرلمان الفرنسى الى عشرة من النواب الفرنسيين وثلاثة من الشيوخ

وكان الشيوخ ينتخبون وفقا للمادة الثانية من قانون ٢ أغسطس عام ١٨٧٥ المعدل بقانون ١٧ أكتوبر ١٩١٠ عن طريق جماعة الناخبين المكونة من النواب ، ومن الأعضاء الفرنسيين فى الجمعية العامة ، ومن الأعضاء الذين ينتخبهم الأعضاء الأوروبيين فى المجالس البلدية ، أو اللجان البلدية لجماعات الشعب المختلطة .

وكان النواب ينتخبون بالتصويت العام الذى يقوم به المواطنون الفرنسيون وحدهم ، وكانت جماعة الناخبين بين المواطنين الفرنسيين تتكون من الأوروبيين ومن اليهود الذين أصبحوا مواطنين فرنسيين بنص المرسوم المسمى بمرسوم المحامين ورجال السياسة الصادر فى عام ١٨٧١ ، ثم من قلة من الناخبين لا يتجاوز عددهم فى الجزائر كلها بضع مئات من الجزائريين الذين تجنسوا بالجنسية الفرنسية .

وقانون ١٧ أغسطس عام ١٩٤٥ نظم التمثيل الجزائرى فى الجمعية الدستورية الفرنسية (وهى جمعية ذات مجلس واحد) وذلك بتقوية

المبادىء التي قررها قانون ٧ مارس عام ١٩٤٤ . وهذا القانون رفضه الجزائريون بالاجماع وأثار حركة واسعة من الاحتجاج اجابت عليها السلطات الفرنسية بمذبحة شهر مايو عام ١٩٤٥ في منطقة قسنطينة .

وقد أعاد قانون ١٧ أغسطس تثبيت الحقوق الانتخابية في الجزائر باقامة جماعتين من جماعات الناخبين ، وكانت المجموعة الأولى تضم مواطنين فرنسيين ، وكانت الثانية تضم فرنسيين غير مواطنين ، وكان التمثيل بنسبة متساوية في العدد بواقع ثلاثة عشر نائبا لكل جماعة ، على الرغم من أن المجموعة الثانية كانت تتكون من ناخبين يمثلون عددا من السكان يبلغ عشرة أضعاف الناخبين في المجموعة الأولى .

وطريقة الانتخاب الحالية قائمة على أسس الدستور الفرنسي الصادر في عام ١٩٤٦ وطريقة تمثيل الجزائريين في المنظمات الدستورية الفرنسية لا ترتكز على أسس ديمقراطية ، ففيها التحدى للمنطق السليم ، وفيها التناقض مع التصريحات التي يعنيها الاستعماريون عن اعتبار الجزائر جزءا مكملا لفرنسا .

والى جانب التحيز في مسائل التشريع القائم على أساس التفرقة العنصرية ، فان تمثيل أكثر من عشرة ملايين جزائرى في الجمعيات الفرنسية يعتبر باعثا على السخرية ، اذا قورن بتمثيل السكان الفرنسيين والأوروبيين في الجزائر الذين يبلغون حوالى ٤٢ مليونا . فالجزائريون يمثلهم ١٥ نائبا من بين ستمائة وهم أعضاء الجمعية الوطنية ، كما يمثلهم سبعة شيوخ من بين ٣١٩ شيخا ، هم أعضاء مجلس الجمهورية .

ويصدق القول اذا قيل ان التمثيل الوطنى الجزائرى قد أصبح في هذه الجمعيات والمجالس محدودا أو ملغى وآية ذلك انه لم ينتخب غير خمسة أعضاء لتمثيل الجزائريين في الجمعية الوطنية ، أما في عام ١٩٥١ فلم ينتخب أحد . وأيا كان الأمر فان مشاركة الوطنيين الجزائريين في هذه المجالس لا تدل على رضاهم أو تمسكهم بالنظام السياسى الحالى .

٢ ــ التشريع الفرنسى الحالى فى الجزائر :

ان المشرع في الجزائر هو ــ من وجهة النظر الفرنسية ــ البرلمان الفرنسى . وقد لوحظ ان المادة الثالثة والسبعين من دستور عام ١٩٤٦ تنص على أن النظام التشريعى المديريات الواقعة عبر البحار هو نفس التشريع السارى على « الوطن الأم » وذلك فيما عدا ما قد يحدده القانون من استثناءات .

وقانون ٢٠ سبتمبر عام ١٩٤٧ الذى يتضمن القانون الأساسى للجزائر قد تضمن أيضا استثناء ضخما متعدد النواحى لهذا المبدأ الدستورى ، وهذا القانون ــ قانون ٢٠ سبتمبر ١٩٤٧ ــ معروف باسم « قانون الجزائر » .

وفيما يتعلق بالأسلوب التشريعي فان قانون الجزائر يقوم على أسس ثلاثة فهو يجعل للمرسوم حجية الغاء القاعدة القانونية الفرنسية بالنسبة للجزائر ، وهو يحدد تعريف دائرة القانون الفرنسي ، وهو يمكن الجمعية الجزائرية من أن تتخذ قرارات معينة فيما عدا المسائل التي يحصرها القانون .

والجمعية الجزائرية (وهي تتكون من ١٢٠ عضوا – لكل شعبة ستون عضوا ينتخبون لمدة ست سنوات) لهم سلطة اتخاذ القرارات في جميع المسائل التي لا تدخل في نطاق المدى التشريعي .

وتقضي المادة الخامسة من قانون الجزائر بأن الحاكم العام يمثل حكومة الجمهورية الفرنسية في جميع أنحاء الجزائر ، وهو مسئول لدى الحكومة الفرنسية ، وهو المشرف على سائر الادارات المدنية في الجزائر الا ما كان منها متعلقا بالعدل والتعليم .

ويساعد الحاكم العام مجلس استشاري حكومي قوامه ستة أعضاء يعين الحاكم العام اثنين منهما ، وتنتخب الجمعية الجزائرية اثنين (واحدا لكل شعبة) ثم الرئيس ونائبه وهما ينتخبان من الشعبتين السالفتي الذكر .

وهناك خاصية أخرى يتميز بها التنظيم الاداري فيما يتعلق بالأقاليم الجنوبية ، وهي أقاليم ممتدة الرقعة تبلغ مساحتها بالكيلو مترات المربعة مليونين ومائة واربعين الفا . ويقوم النظام فيها على أسس القانون الصادر في ٢٤ ديسمبر ١٩٠٢ . وهي أقاليم تتاخم الصحراء ، وهذه الأقاليم هي : « العين الصفراء » و « غاردايا » و « توغرت » ولكل من هذه الأقاليم حاكمها العسكري المعين بمرسوم ، والمسئول أمام الحاكم العام . وهذا الحاكم العسكري يجمع في يديه السلطتين العسكرية والمدنية .

٤ – خاتمة :

في شهر مايو عام ١٩٢٢ كتبت مجلة أفريقية اللاتينية Afrique Latine تقول : « نحن الفرنسيين نعد أنفسنا في بيوتنا اذا كنا في الجزائر فقد جعلنا أنفسنا سادة البلاد بالقوة ، ذلك لأن الفتح لا يمكن أن يتم الا بالقوة وهو بالضرورة يستلزم أن يكون هناك غالب ومغلوب . وعندما أمكننا التغلب على المغلوب أصبحنا قادرين على اعادة التنظيم . وهذا التنظيم يؤكد مرة أخرى فكرة تفوق الغالبين على المغلوبين أو فكرة تغلب المتحضرين على غير المتحضرين ، فنحن اذن المالكون الشرعيون للبلاد » .

هذه الفقرات المقتبسة تعكس مرة أخرى صورة الحالة العقلية لدى المشرع الاستعماري الفرنسي . فهذه الأوهام القانونية ، وهذه المصطلحات التي حلت منذ عام ١٩٤٦ محل كلمتي « الامبراطورية » و « المستعمرة » لم تغير بحال من الأحوال الحقائق الواقعة في الجزائر ، فالمشرع الفرنسي ينادي

بأن الجزائر جزء مكمل لفرنسا ، ولكن هذا التأكيد تنقضه قوانينه ، وينقضه تطبيق قانون فرنسى ملىء بخصائص معينة ؛ فيما يتعلق بالجزائر .

والعقلية الاستعمارية تنعكس صورتها فى كل مجال من مجالات النظام الادارى والسياسى ، وهى تبين بوضوح ان الجزائر لا يمكن بأية حال أن تقارن بمقاطعة « نورماندى » او مقاطعة « بريتانى » . فالشعبان الانتخابيتان القائمتان على دعائم من التمييز العنصرى ، والمراقبة المباشرة لعبادات المسلمين بواسطة السلطات الفرنسية والنظام الخاص بالجماعات المختلطة بالأقاليم الجنوبية ، والاستقلال المالى للجزائر منذ عام ١٩٠٠ لصالح المستوطنين الفرنسيين ، ووجود بنك يصدر أوراقا مالية تختلف عن أوراق فرنسا ، ووجود الحواجز الجمركية بين فرنسا والجزائر كل أولئك يبدو تناقضا فاضحا مع ما يبديه المستعمرون من صنوف الجدل .

وعندما يتدبر المرء القوانين التى تضمن تطبيق الحريات الدستورية ، وتبين طرق تنفيذها يستيقن أن المشرع الفرنسى المستعمر يرى أن الجزائر هى قطعا غير فرنسا — والنظام التشريعى الفرنسى كما يطبق فى الجزائر يتناقض مع حقائق الاستغلال والعسف الاستعماريين ، وكذلك يتناقض مع الحقائق التاريخية والجغرافية والعنصرية .

وبعد .. فان حق الفتح الذى تستند اليه فرنسا فيما تدعيه لنفسها بالجزائر يجب ما يستمسك به شعب الجزائر ، وما ينادى به كل نصير الحق والحرية ، وما يقوم عليه ميثاق الأمم المتحدة .. الا وهو « حق تقرير المصير » .

مصر وأفريقيا في العهد الفرعوني

بقلم الدكتور أحمد فخري

حوالى عام ١٨٧١ قبل الميلاد أى منذ ٣٨٢٩ عاما ذهب الملك « سنوسرت الثالث » أحد ملوك الأسرة الثانية عشرة الى دنقلة ، وأمر باصلاح الحصون القديمة ، وانشاء بعض حاميات لتأمين المواصلات ، وبشق ترعة فى صخور الشلال الأول لتسهيل الملاحة ، ثم أمر بتسجيل زيارته وسببها وعمل عدةصور من هذه اللوحة لتوضع فى المعابد القريبة جاء فى ختامها :

« ان أى فرد من سلالتى يحافظ على هذا الحد الذى أقمته هو ابنى وقد ولدته • انه ابن يشبه أباه ويحافظ على ملك من أنجبه • أما من يتقاعس ولا يذود عنه فهو ليس ابنى ولم يولد لى • انظروا لقد أقمت تمثالا الى جانب هذه اللوحة لتعمكم بركته وتحاربوا دونه » •

لقد مضى على هذه الصرخة ما يقرب من أربعة آلاف عام ولكن ألفاظها الصادرة من القلب ، ما زالت تجد صدى لها فى النفوس ، وقبل أن أتحدث عن « سنوسرت » الثالث وأعماله أعود الى حقبة أقدم لنعرف ما وصلت اليه آخر البحوث العلمية عن الصلة بين مصر والبلاد الواقعة الى الجنوب منها منذ فجر التاريخ • وسوف لا أطيل القول فى هذه النقطة ، بل أذكر فقط أن البحوث الأثرية أثبتت بصورة قاطعة ان أقدم السكان الذين سكنوا دنقلة والنوبة ومصر فى عهد ما قبل الأسرات كانوا من جنس واحد متحد الثقافة ، ولكن مع مضى الأيام لم يأت عام ٣٠٠٠ قبل الميلاد حتى أخذ الجزء الشمالى من وادى النيل يتقدم بخطى سريعة فى المدنية ، بينماظهرت عوامل عدةلم تجعل جنوبى الوادى يقف عند الحد الذى كان قد وصل اليه ، بل تأخر عن ذى قبل • ولهذا أسباب عدة ترجع الى ما ساد البلاد الجنوبية من

اضطراب . وما تعرضت له من محن بسبب هجرات القبائل المختلفة والتطاحن بينها .

ومهما كانت حالة البلاد فان التجارة لم تنقطع بين الشمال والجنوب ، ولم يكن النيل هو الوسيلة الوحيدة للانتقال ، بل كانت دروب الصحراء فى بعض الحالات احدى وسائل الانتقال ولا سيما لأنها أقل نفقة وأكثر أمنا ولهذا كانت القوافل تسير دائما بين الشمال والجنوب ، وظلت كذلك الى عهد قريب .

فاذا تقدم بنا الزمن بعض الشيء بدأنا نعرف شيئا عن هذه الصلة مرة أخرى اذ أن بلاد النوبة كانت دائما على صلة ودية بمصر ، وكان زعماؤها يسهلون أعمال البعثات التى كان يرسلها ملوك مصر لاحضار الجرانيت .

ويحدثنا التاريخ أن « سنفرو » والد « خوفو » أرسل حملة الى الجنوب ومن المرجح أنه أراد توطيد صلته بأمراء السودان ، فاتخذ لأحد أبنائه زوجة من بنات الجنوب ، وقد عثرت بعثة جامعة « هارفارد » على مقربة من هرم الجيزة فى قبر أحد أمراء العائلة المالكة على رأس تمثال يمثل زوجته الأولى وهى ذات ملامح نرى فيها أثرا واضحا للاتصال بالدم الزنجى .

وسواء أكانت هذه الأميرة من دنقلة أم من غيرها من البلاد ، فان أمامنا حقيقة تاريخية وهى أن صلة الشمال بالجنوب منذ هذا العهد البعيد لم تقم على فكرة الاستعمار ، بل كان الغرض الأساسى منها هو تأمين سلامة مصر وتوثيق المودة بين شمال الوادى وجنوبه ، وكان من مظاهر هذه السياسة أن تزوج أحد أبناء الملك من أميرات الجنوب . وأثمرت هذه السياسة وأصبحنا نرى أبناء الجنوب يؤدون لمصر أكبر الخدمات فكانوا حراسا لها من الداخل وجنودا يحاربون جنبا الى جنب مع اخوانهم سكان مصر ، وانى أشير الى ما قصه علينا القائد « أونى » الذى عاش فى الأسرة السادسة أى حوالى ٢٣٥٠ قبل الميلاد اذ يعدد لنا أسماء القبائل الجنوبية التى استعان بها عندما كلفه الملك « بيبى الأول » بالذهاب لتأديب بعض قبائل البدو فى جنوبى فلسطين .

ورأى ملوك هذه الأسرة أنه من الضرورى لأبناء الشمال أن يزدادوا معرفة بأحوال الجنوب ، فوضعوا سياسة ثابتة استمرت عدة أجيال ، وهى سياسة ارتياد بلاد السودان .

يرى السائر على شاطىء النيل فى مدينة أسوان فتحات فى صخور الجبل الغربى ، وما هذه الفتحات الا مقابر

أمراء أسوان وكبار كهنتها فى عهد الدولتين القديمة والوسطى ، ومن النقوش التى على جدرانها نعلم تمام العلم أن بعضها مقابر أقدم رحالة فى العالم ذهبوا الى داخل افريقية للكشف عن مجاهلها . قام هؤلاء الرحالة برحلات عدة مزودين بارشادات ملوك الدولة القديمة وتشجيعهم ، ليرتادوا مجاهل البلاد الجنوبية ويحضروا معهم خيراتها ، فكانت رحلاتهم مقدمة لاتحاد تلك البلاد بمصر فى الدولة الوسطى .

فعلى واجهة واحدة منها تقرأ قصة صاحبها الحاكم « سابنى » ووفاءه لأبيه « ميخو » الذى كان يقوم من آن لآخر برحلات الى الجنوب ، وفى آخر رحلاته اعتدت على قافلته احدى القبائل النوبية على مقربة من بلدة « توماس » فقتلوه ولكن اثنين من أتباعه تمكنا من النجاة ، وقصا على ابنه ما حدث ولم يتوان « سابنى » بل جهز فى الحال حملة قاصدا المكان الذى اعتدى فيه على أبيه ، وكتب خطابا الى الملك « بيبى الثانى » يستأذنه فى السفر ويوضح له السبب الذى حمله عليه ، ونجح الابن فى الانتقام من قتلة أبيه وأمكنه أن يعثر على بقايا جثته فأحضرها معه لتدفن فى أسوان . وسر الملك من اقدام الابن ووفائه ورأى فى عمله ما يستحق التقدير ، فأرسل اليه من منف سفينة فيها الكهنة والمحنطون والأثاث الجنازى وأرسل اليه خطابا جاء فيه : «سأعمل لأجلك كل شىء حسن ، مكافأة لك على عملك العظيم . وهو احضار جثة أبيك » وبعد أن دفن « ميخو » ذهب ابنه « سابنى » لمقابلة ملكه ، فأغدق عليه الهدايا وعينه حاكما فى وظيفة أبيه .

وعلى واجهة قبر آخر نقرأ قصة رحالة عظيم ، هو قائد الحملات « حرخوف » الذى قام بثلاث رحلات فى عصر الملك « مرنرع » وقام برابعة فى العام الثانى من حكم الملك « بيبى الثانى » الذىلم يكن قد تجاوزالعاشرة من عمره اذ ذاك أى أن رحلاته كانت بين عامى ٢٣٥٠ ، ٢٣٢٠ قبل الميلاد

ولنستمع الآن الى « حرخوف » وهو يقص علينا ذكر هذه الحملات وهى ترجمة حرفية للنص المصرى : « أرسلنى جلالة الملك « مرنرع » سيدى مع أبى الرفيق الأوحد الكاهن « ارى » الى بلاد « ايام » (وكلمة ايام تعبير عام عن البلاد الواقعة جنوبى وادى حلفا) لكى نفتح طريقا الى هذا الاقليم ، فأتممت ذلك فى سبعة شهور وأحضرت معى كل ما وجدته من خيرات هناك ، وحزت الثناء على ذلك .

وأرسلني جلالته مرة ثانية وحدى ، فذهبت فى طريق (...) مخترقا بلاد « ارثت » « وماحز » « وتررس » « وارتت » (وهى أسماء جغرافيــة قديمة لبعض المنـاطق الجنوبيــة) وقضيت نحو ثمانية شهور — وأحضرت عنــد عودتى محصولات تلك البلاد بكميات وافرة لم يأت أحد بمثلها الى هذه البلاد من قبل · وعدت مخترقا بلاد حاكم « ششو » و « ارثت » بعد أن فتحتها ، وهذا ما لم يتيسر لقائد أى حملة ذهبت قبلى الى بلاد أيام ·

ثم أرسلنى جلالتــه مرة ثالثة الى بلاد « أيام » فخرجت من غرب أسوان واتخذت درب الواحات فوجدت حاكم تلك البـــلاد ، ذهب ليغزو أرض « التمحو » بليبيا فى الربع الغربى من السماء ·

فتبعته الى بلاد « التمحو » وصالحته مما جعله يصلى للآلهــة لتحفظ حياة الملك · وقبل وصولى الى « ارثت » وبعــــد أن تركت « سثاو » قابلت حاكم « سثاو » و « واوات » وكان معى عند عودتى ثلثمائة حمار محملة بالبخور والأبنوس ، وزيت وحبوب نبات « سات » وجلد الفهد والعاج ، وعصى الرماية وجميع أنواع الهدايا »

أما رحـــلته الرابعة فكانت أهم الرحلات ، وقد توغل فى الجنــــوب وأحضر معه قزما ، وكتب للملك يزف اليه هذه البشرى ، ففرح بذلك فرحا شديدا ، وكتب اليه بخط يده ردا اعتز به الرحالة القديم ونقش صورته على واجهة قبره ، وهذا هو نص الرد :

« الديوان الملكى » العام الثانى الشهر الثالث من الفصل الأول اليوم الخامس عشر كتاب ملكى الى الرفيق الأوحد ، الكاهن ، قائد الحملة « حرخوف »

علمت بما جاء فى كتابك المرسل الينا لنعلم أنك عدت بخـير من بلاد « أيام » مع أفراد الحملة الذين كانوا فى صحبتك · وذكرت فى كتـــابك أنك أحضرت جميع أنواع الهدايا التى منحتها الألهة « حاتحور » الى الملك ؛ كما ذكرت أيضــا أنك أحضرت قزما من بلاد الأرواح ليقوم بالرقص الدينى مثل القزم الذى أحضره قائد الحملة « باوور — د د » من بلاد « بونت » فى عهد الملك « أسيسى » وقلت أيضا انه لم يتيسر لأى شخص أن يحضر مثيلا له قبل الآن من بلاد « أيام » ·

تصل الى سمعى كل عام أخبـــار أعمالك التى يحبها ويقدرها مولاك ، وكيف أنك تعمل فى النهــار والليل لاعداد الحملات التى يأمر بها مولاك ويحبها ويريد الاكثار منها · سيمنحك جلالتى الكثير ، مما ســـيكون فخرا وشرفا لك وحلية يتحلى بها أبناؤك

الى الأبد ، حتى يقول الناس عندما يسمعون أخبار ما فعلته لأجلك : هل هناك شيء مثل ما ناله الرفيق الأوحد « حرخوف » عندما سافر الى بلاد « أيام» وأظهر يقظة فى تنفيذ أمر مولاه استوجبت رضاه ومحبته ؟

تعال حالا الى الشمال (تعال) الى القصر ، وأحضر معك القزم الذى جئت به حيا وفى صحة جيدة من أرض الأرواح ، ليقوم برقصة الآلهة وليدخل السرور على قلب الملك • عندما يكون معك فى السفينة ، عين رجالا تثق فيهم ليكونوا على جانبيها واحذر من وقوعه فى الماء • وعندما ينام فى الليل دع رجالا تثق فيهم ينامون معه فى الحجرة وفتش عليهم عشر مرات كل ليلة • انى مشتاق لرؤية هذا القزم وهو عندى خير من هدايا بلاد « سينا » وبلاد « بونت » فاذا وصلت الى القصر وأنت سالم ، وفى صحة ورفاهية فسأغدق عليك أكثر مما أغدقه الملك « اسيس » على القائد « باوور ـ د د » لأن كل رغبة قلبى هى أن أرى هذا القزم وانى أرسلت الأوامر الى حاكم المدن الجديدة ليقدم لك كل ما تحتاجه من أى مخزن فى أى بلد أو أى معبد دون ابطاء » •

ولسنا نشك مطلقا فيما ذكره « حرخوف » من أن هذا الكتاب من انشاء الملك فاننا نلمح بين سطوره سن كاتبه وتلهفه ، ولكن يهمنا منه أمران : أولهما العلم بأن هذه الرحلات الاستكشافية كانت رحلات ترسلها الدولة ولها صبغة حكومية ويغدق الملوك على رجالها الهدايا وأنواع التكريم ، ويمجدون ذكرى من يموت منهم فى سبيل بلاده ، ويضمنون لأهله حياة رغدة كما حدث مع الرحالة « ميخو » وثانى الأمرين : هو دراسة الطرق التى اتخذها هؤلاء الرحالة والمدى الذى وصلوا اليه فى افريقية •

ومن دراسة حياة « حرخوف » وحدها نعلم أنه كان يقوم كل مرة فى طريق يختلف عن الرحلة السابقة لكى يفتح طرقا جديدة وبلادا جديدة كما يقول ، أيضا ان أرض « التمحو » وهم الليبيون الذين كانوا يقطنون الصحراء الكبرى كانت معروفة له وكذلك بلاد « بونت » التى ارتادها الرحالة المصريون قبل « حرخوف » بنحو مائة عام •

ولم يكن اهتمام المصريين بافريقية فى أيام الدولة القديمة قاصرا على ارسال الحملات الاستكشافية الى الداخل عن طريق البر وبالأخص مع مجرى النيل ، ولكنهم كانوا يرسلون حملات بحرية فى البحر الأحمر الى بلاد بونت التى أشرنا اليها ، وكانت تقع حول بوغاز «باب المندب» وتشمل الشاطئين الافريقى والآسيوى ، وبعبارة أخرى تشمل جنوبى بلاد

العرب ، وبخاصة اليمن ، وتشمل بلاد الصومال واريتريا .

نعرف الشيء الكثير عن أخبار حملات بونت منذ أيام الأسرة الخامسة ، وهو الوقت الذى بدأ فيه الاهتمام بالاتصال بداخل القارة ، ونعرف أن السفن كانت تصنع على شاطىء البحر الأحمر ، وأكثرها كان يقلع من ميناء على مقربة من « القصير » الحالية عند رأس الدرب الموصل بين البحر الأحمر والنيل مارا بوادى « الحمامات » ومنتهيا عند مدينة « قفط » ، فى مديرية « قنا » .

أما الهدف الذى كانت ترمى اليه تلك الحملات فقد كان دون ريب معرفة البلاد الواقعة على شاطىء البحر الأحمر ، والحصول على خيراتها ومحصولاتها والاتجار مع أهلها . وقد اشتهرت بلاد « بونت » فى جميع النقوش المصرية ، بأنها خير بلاد تنتج أنواع البخور ، واللبان والمر ، كذلك كانوا يحضرون منها العاج والآبنوس وريش النعام وبعض النباتات التى تستخدم فى شفاء الأمراض وبعض أنواع الأحجار نصف الكريمة ، كما ذكروا أيضا الذهب من بين ما كانوا يحضرونه من هناك .

من ذلك نرى أن صلة مصر بالبلاد الافريقية الواقعة فى جنوبها قد بدأت منذ أقدم العصور ، بل ان هذه الصلة فى حقيقة الأمر كانت صلة وحدة جنسية على طول مجرى النيل فى بلاد النوبة ، وأن المصريين أرسلوا البعثات الاستكشافية الى داخل القارة ، وفى البحر الأحمر حتى أنهم نفذوا منه ، وتاجروا مع من كان يعيش فى تلك المنطقة من شعوب .

وكانت هذه الرحلات الكشفية والبعثات البحرية تمهيدا لعلاقات أكبر فيما بعد فى أيام الدولة الوسطى وأيام الدولة الحديثة كما سنرى .

(يتبع)

السياسة البريطانية فى قلب افريقيا

(١٨٨٤ – ١٨٩٩)

بقلم الأستاذ الشاطر بصيلى

هذه محاولة لدراسة صفحة من صفحات الصراع الدولى الحاسمة ، فى قلب القارة الأفريقية ، فى السنوات الخمس عشرة من نهاية القرن التاسع عشر الميلادى ، خرجت فيها انجلترا عن نطاق سياستها التقليدية ، سياسة التربص والتطلع مع المحافظة على النفوذ غير المباشر فى توجيه الأحوال بما يتمشى مع أهدافها ، غير أن دخول عناصر أوروبية لها قوتها قد قلب هذه السياسة .

فكان بدء الصراع الحديث بين انجلترا وفرنسا عند انتقال ميدانه الى أرض القارة الأفريقية ، فى نهاية القرن الثامن عشر الميلادى ، الوقت الذى جاءت فيه فرنسا الى مصر لبسط سيطرتها على حوض البحرين الأحمر والأبيض ، لعرقلة طرق المواصلات بين انجلترا وآسيا ، واستطاعت بريطانيا بوسائلها الديبلوماسية اخراج فرنسا ، لكن الخطر الذى كانت تخشاه بريطانيا من نشاط فرنسا لم ينته عند الجلاء عن مصر ، أو عند توقيع معاهدة اميان . واتخذ الصراع صورة عملية فى النيف والستين عاما الأولى من القرن التاسع عشر ، لتحقيق مطامع أصحاب السلطان ورجال المال ، وكان هؤلاء قلة تتحكم فى موارد الدول ، وتدخل فى أحلاف انقسمت معها أوروبا الى معسكرين ، عمل كل فريق منهما جاهدا على تأمين طرق الملاحة البحرية واقامة محطات لتموين السفن ، وكان طبيعيا أن يحدث الاصطدام بسبب السباق على المحطات الاستراتيجية ، التى تتحقق معها السيطرة الملاحية ، وعلى موارد الخامات وأسواق التجارة كما اشتدت فى تلك السنوات حركة الكشف الجغرافى داخل القارة الأفريقية .

وبرزت سياسة عقد المعاهدات والمواثيق مع السلاطين والزعماء المحليين ، بوسائل لا تقوم فى أساسها على التكافؤ بين المتعاقدين . وأخذ الصراع يسرع الخطى منذ عام ١٨٨٠ الذى أصدرت فرنسا فى نهايته (٢٥ ديسمبر سنة ١٨٨٠ م) اعلانا عن حدود منطقة « أوبوك » الواقعة على الشاطىء الغربى للبحر الأحمر ،

عند مدخل بوغاز باب المندب . والتى احتلتها فرنسا . وأعلنت فرنسا فى العام الثانى (١٢ مايو سنة ١٨٨١) حمايتها على تونس . فاشتد بذلك الخطر على مصر ، التى كانت فيها كما ترى بريطانيا مصالح استراتيجية لها خطرها ، على علاقتها مع الشرق الأقصى ، وبخاصة الهند .

وفى الوقت الذى كانت فيه الدولتان تعدان خططهما ، لتتغلب كل منها على الأخرى فى السباق نحو السيطرة فى أفريقيــة ، كانت الادارة المصرية فى السودان قد بسطت نفوذها وسيطرتها على المناطق الجنوبية من حوض النيل الأعلى ، والتى اشتملت على جزء كبير يعرف عندنا اليوم باسم « بو أوغنده » وطلبت مصر من غوردون الذى خلف صمويل بيكر على ادارة المديرية الجنوبية الزحف جنوبا ، حتى ساحل البحيرات ، وكانت دوافع هذا التوغل نحو أعالى الجنوب من منطقة البحيرات انسانية خالصة للحد من تجارة الرقيق ، بوضع مصادرها تحت ادارة منظمة تعمل على استقرار الحياة وتنظيمها للسير فى ركب الحضارة ولفتح تلك البقاع للتجارة المشروعة ، وقد ساعدت مصر على دخول رجال الدين من المبشرين وقدمت لهم المساعدات ، وحاولت مصر النفوذ الى شاطىء المحيط الهندى ، لتسهيل الاتصال بين منطقة البحيرات وبين الشاطىء ، وللسيطرة على طرق القوافل ، لمنع تجارة الرقيق ، وكان الاتصال عن طريق المحيط الهندى أكثر صلاحية من طريق مجرى النيل ، لوجود شلالات تعطل الملاحة ، غير أن هذه المحاولة لفتح الطريق الى منفذ بحرى على الشاطىء الأفريقى قد باءت بالفشل ، لاعتراض انجلترا باسم السلطان « برغش » « سلطان زنجبار » ، وكانت انجلترا ترى فى ظهور مصر على الشاطىء الأفريقى المطل على المحيط الهندى ما يتعارض وسياستها الاقتصادية والسياسية ، فى الوقت الذى كان فى هذا الطريق ما يخدم رغبات انجلترا لمنع الرقيق ، وكان نزول البريطانيين فى مصر فى عام ١٨٨٢ م واشتداد الحركة المهدية فى السودان وتنفيذ سياسة الاخلاء . وكانت الدول تخشى من امتداد الحركة المهدية الى منطقة البحيرات والغرب من أفريقية ، ولم تنبت أقدام الأوروبيين بعد ، وقد ترك أخلاء السودان مديرية خط الاستواء وعلى ادارتها أمين باشا الألمانى فى عزلة تامة عن مصر ، وبخاصة بعد سقوط الخرطوم ومقتل غوردون وظهرت مطامع « ليوبولد » ملك البلجيك فى شرق أفريقية ، واستطاعت السياسة البريطانية تحويله الى الكونغو ، وجاءت الشركة الألمانية الأفريقية ، وحصل مندوبوها على معاهدات ومواثيق مع الزعماء والمشايخ المحليين ، فحصل « كارل

بيترز » على عدة معاهدات كما جاءت شركة « اخوان دنهارت الألمانية » «Denhardt Bros» التى بسطت سيطرتها على منطقة « ويتو » Witu وقامت شركة ألمانية أخرى باحتلال منطقة « لامو » Lamu ، وتقع المنطقتان شمالى « ممباسا » وقد أعلنت الحكومة الألمانية رعايتها وحمايتها لهاتين المحميتين ، واضطر سلطان زنجبار بناء على نصيحة القنصل البريطانى « جون كرك John Kirk » الى الاعتراف بالحماية الألمانية على المنطقتين ، كطلب الحكومة الألمانية التى أرسلت قطعا حربية الى «زنجبار» وأعطت السلطان مهلة أربع ساعات لاعلان اعترافه أو اطلاق النار .

أما بريطانيا فقد استطاعت أن تحصل من فرنسا فى ١٠ مارس سنة ١٨٦٢ على اعلانها استقلال زنجبار .

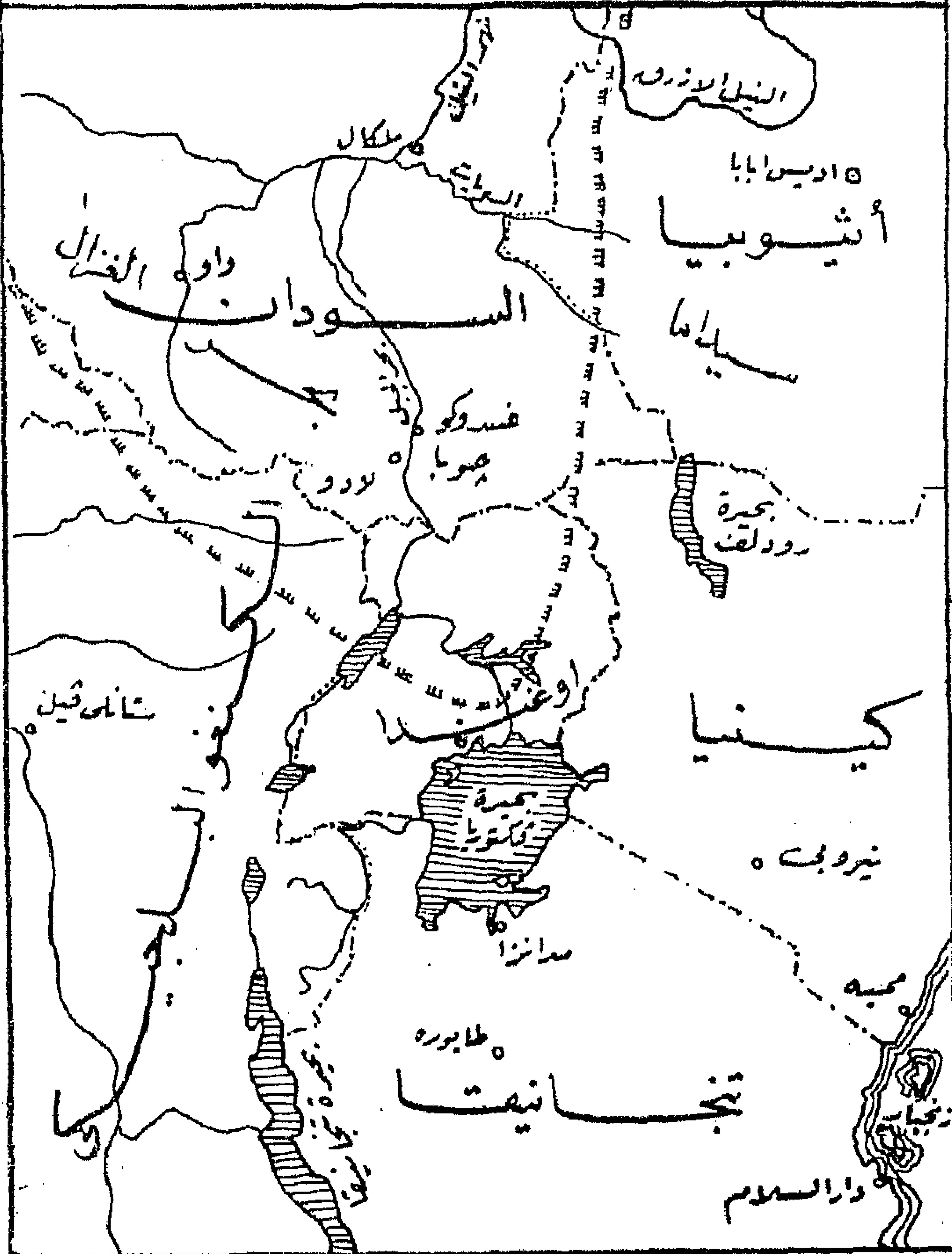
وأوعزت الحكومة البريطانية الى السلطان « برغش » أن يبسط نفوذه على الساحل الأفريقى ، على طول ستمائة ميل ، وعرض عشرة أميال تعمقا فى داخل البلاد ، كما طلب القنصل البريطانى من السلطان أن يتوغل تدريجيا فى داخل البلاد الى منطقة البحيرات ، وكان الهدف الوقوف فى وجه التوسع الألمانى ، غير أن النشاط الألمانى كان أسبق فى الدخول الى المنطقة الداخلية ، والحصول على معاهدات ومواثيق باركتها الحكومة الألمانية ، وبسط الألمان سيطرتهم على عدة مناطق منها « أوزمبارا » (Usumbara) شمالى « زنجبار » وأنشأ الألمان محطات تجارية فى الطريق الى بحيرة «تنجانيقا» وبرزت فى هذا الوقت مسألة اخراج أمين باشا من خط الاستواء ، وتكونت لذلك جمعية فى ألمانيا بناء على طلب « شفينفورت الألمانى » الذى كان فى القاهرة ، وكانت هناك فى الوقت ذاته جماعة تعمل فى انجلترا للغرض نفسه ، ولم يكن من السهل توحيد العمل ، ومرجع هذا الى أن كلا من ألمانيا وانجلترا تهدف الى تحقيق مطامع استعمارية ، اتخذت انقاذ «أمين باشا» ستارا لها .

وجاءت « الشركة الامبراطورية البريطانية لشرق أفريقية » وكان لها نشاطها بعد أن اتفقت مع سلطان « زنجبار » على نقل السلطات لادارة الجمارك الواقعة على الساحل ، وتوغلت الى منطقة البحيرات . وبينما كانت الشركتان الألمانية والبريطانية تتسابقان الى بسط نفوذهما ، كانت الحكومة البريطانية تحاول الاتفاق مع الحكومة الألمانية على تخطيط مناطق النفوذ ، الأمر الذى تم فى اتفاقية سنة ١٨٨٦ وقد تعدلت هذه المعاهدة فى عام ١٨٩٠ تنازلت فيها ألمانيا لانجلترا عن « ويتو » Witu « وقسمايو » .

هذه هي صورة النشاط الرسمية ، وقد كان بجانبه نشاط آخر قام به المبشرون الكاثوليك والبروتستانت في منطقة البحيرات . بين سنة ١٨٨٤ وسنة ١٨٨٨ ، الوقت الذي تغيرت فيه سياسة العرب الموجودين في وسط أفريقية ، وكان عدوهم لا يستهان به ، وهم منتشرون في مناطق مبعثرة ، ولا يعلم بالضبط الدور الذي لعبه السلطان « برغش » في الأحداث التي وقعت خلال تلك المدة ، ومن الصعب التكهن بما قام به هذا السلطان ، وسوف يبقى ذلك سرا الى الأبد ، ومما كتبه نائب القنصل البريطاني « بوكنان Buchanan » . وكذلك ما قاله القنصل الانجليزي في موزنبيق واسمه « أونيل O'Neill » ان الذين نظموا هذه الحركة كائنا من كانوا وأينما وجدوا ، فان المنظم الأول للحركة يسكن في زنجبار . والحركة المشار اليها هي من الحركات التي استخدم فيها العنف بسبب الاختلافات الطائفية . فكما نشب القتال بين المسلمين العرب وبين المسيحيين المبشرين وأتباعهم ، كذلك حدث بين المسيحيين انفسهم البروتستانت والكاثوليك ، الى درجة كان فيها المصلون يذهبون الى كنائسهم ومعهم أسلحتهم استعداداً للقتال . ويقول القس « ماكي Mackay » في خطاب منه الى « ايوان سمث Evan-smith » ان المدبر لهذه الحركة هو سليمان بن زهير الذي أرسله سلطان زنجبار ومعه رسالة القنصل البريطاني « هولم ــ وود Holm Wood » الى « الكباكا » (الملك) كووما Kwoma في يوغنده لأن هذا الرسول قد ترجم الخطاب الى الملك ، بأن يطرد جميع المبشرين من بلده . وقد اضطهدهم فعلا هذا الملك وقتل عدداً من الأفريقيين الذين اعتنقوا الديانة المسيحية التي جاء بها المبشرون .

ويبدو أن نصيب العرب في هذه المشاحنات بين المذهبين التبشيريين (الكاثوليكي والبروتستاني) وأن دخولهم كطرف ثالث فيه لم يكن كما صوره الفرنجة في كتاباتهم ، فقد كان « أمتيسا » (ملك يوغنده) المتوفى في عام ١٨٨٤ ، يعتقد أن المبشرين كان همهم التوسع الاستعماري ، وجاء في قوله « ان هؤلاء المبشرين ، عندما جاءوا استجابة لطلب ستانلي ، يخالفون التعاليم الدينية ، وأنهم يبشرون بتعاليم تخالف ما جاء في الكتاب المقدس ، وأنه من الخير لهؤلاء المبشرين أن يسووا خلافاتهم (يشير الى التنافس الشديد بين الكاثوليك والبروتستانت) وبعد ذلك يمكنهم القيام برسالتهم التبشيرية الصادقة » .

حركة أوغندا في شرق أفريقية



حدود الإدارة المصرية في عهد اسماعيل
الحدود السياسية الراهنة

وجاء فى المجلة الكنسية الانجليزية « اننا اذا عرفنا من هو « شارل مارتيال لافيجيرى Lavigerie » (١) لأمكننا أن نتعرف على أسباب الخصام الذى استمر خمسة عشر عاما بدأت منذ وصول رجاله الى هذه المنطقة .

ووصلت حالة القتال هذه التى بين الطوائف الى ذروتها فى نهاية عام ١٨٩٠ عند ما وصل « لوجارد » الى « يوغنده » ليشغل مركز مندوب الشركة الامبراطورية لشرق أفريقية ، واهتم « لوجارد » بالسفر الى المناطق البعيدة عن مركز الشركة فى « كمبالا Kampala » لعقد معاهدات مع زعماء « الانكولى Ankole » و « التورو Toro » وليجمع بعض الجنود السودانيين الذين تركهم أمين باشا عند بحيرة البرت فى أربعة حصون على حدود « البنيورو Bunyoro » . وعاد « لوجارد » الى « كمبالا » فى نهاية عام ١٨٩١ م وقد استد ساعد الكاثوليك فى غيبته . وكانت الشركة الامبراطورية قد أشرفت على الافلاس ولم تستطع الحكومة البريطانية امدادها بالمال .

وعمل السير « ماكنون Mackinnon » بمساعدة الانجليز من أنصار الارسالية الكاثوليكية على جمع مبلغ أربعين ألفا من الجنيهات الاسترلينية التى ساعدت الشركة على البقاء عاما آخر . وبدأ القتال الطائفى فى عام ١٨٩٢ م ، واتهم «لوجارد» بممالأة الكاثوليك ، وسادت حالة من القلق وعدم الاستقرار . وجاءت لجان التحقيق ، فقد حدث أن كاثوليكيا قتل بروتستانتيا فى الأسبوع الثالث من يناير سنة ١٨٩٢ . فى ظروف اعتبرتها قوانين البوغندا دفاعا عن النفس ، وتولى « الكباكا » (الملك) المحاكمة ، وبرأ المتهم ، وبعد أن أطلق سراحه طالب « لوجارد » بتسليم المتهم اليه ، واعتقد الكاثوليك أن « لوجارد » سوف يحكم على المتهم بالاعدام ، لذا رفض « الكباكا » تسليم المتهم ، وبدلا من أن يعمل « لوجارد » على حل المشكلة بالاتصال مع « الكباكا » فقد أصدر أمره الى الموالين للشركة البريطانية بمحاربة الثائرين ، وزودهم بالسلاح ، وصارت العاصمة فى حالة تربص ، واستمرت الحال الى اليوم الرابع والعشرين من يناير الذى فيه هجم الكاثوليك على المركز الرئيسى للبروتستانت فى « ناميرمبه Namirembe » وكان موقف « لوجارد » فى هذا التطاحن غير واضح فقد سمح للكاثوليك « والكباكا » بالهرب الى الجزيرة ، وطلب من «الكباكا» وزعماء الكاثوليك (ارسالية الآباء البيض) الاعتراف بسلطان الشركة فى «يوغندا» . ويبدو أن هذا هو ما كان يهدف الى تحقيقه « لوجارد » من وقوع

(١) كان « فيجيرى » هذا مطران قرطاجنة والجزائر ورئيس أساقفة افريقية . (انظر مجلة Light and Darkness فى شرق افريقية الصادر فى عام ١٩٢٧) .

الاشتباك بين الكاثوليك والبروتستانت .

وفى الخامس والعشرين من مايو سنة ١٨٩٢ طلب السفير الفرنسى فى لندن من الحكومة البريطانية التحقيق فى المعاملة السيئة التى عومل بها الرعايا الفرنسيون ، بواسطة الشركة البريطانية ، وقدم بيانا بالخسائر التى حلت بممتلكات الارسالية وهى كاتدرائية وستون معبدا واثنتا عشرة مدرسة أصابها التلف ، كما ان خمسين ألفا من الكاثوليك زعموا أن البروتستانت قد باعوهم كالرقيق . وقد أوضح السفير أن مسئولية هذه الأحداث تقع على عاتق الحكومة البريطانية ، وكانت الشركة تفكر فى اخلاء يوغنده ، وكان من المنتظر اذا تم الاخلاء أن تسود البلاد حالة من الفوضى ، يقتتل فيها الكاثوليك والبروتستانت ، ويقوم العرب والبانيورو بمهاجمة البوغندا ، ويمتد نتيجة لذلك النفوذ الألمانى والبلجيكى ، وأرسلت الحكومة البريطانية الى «ماكدونالد» للتحقيق . وأرسل فيما بعد « السير جيرالد بورتر Gerald Porter » للبحث فى تحسين أحوال البلاد .

وفى ١٨ مايو سنة ١٨٩٤ أعلنت بريطانيا حمايتها الشكلية على يوغنده ووافق البرلمان البريطانى فى ١٣ من يونيو سنة ١٨٩٥ على أن تتسلم الحكومة أعمال الشركة ، وتدفع لها تعويضا ماليا . وحتى بعد أن تسلمت الحكومة ادارة البلاد لم تخل البلاد من حركات أهمها ثورة الجنود السودانيين الذين كانوا فى يوغنده من جنود مديرية خط الاستواء ، التى حدثت فى سبتمبر سنة ١٨٩٧ م .

أما أمين باشا الألمانى الذى كونت من أجل انقاذه حملة « كارل بيترز » وحملة « أستانلى » فقد خرج مع « أستانلى » وبعد وصوله الى زنجبار عاد الى داخل البلاد للعمل على حكم البلاد باسم ألمانيا ، لكنه قتل على يد جماعة من « الكنين Kenin »

أما لماذا قتل أمين باشا ؟ ومن هم أولئك الذين دبروا الخيوط الأولى ؟ فيخيل الى أن تحقيق ذلك أمر بعيد المنال ، غير أن هنالك حقيقة واحدة ، فلا شك فى أن مقتل أمين باشا كان مصلحة للاستعمار البريطانى الذى تخلص من رائد الاستعمار الألمانى ، بعد أن ترك خدمة مصر ، ودخل البلاد وكيلا لألمانيا ، ولقد ذهب أمين كما ذهب غيره من الكثيرين فى القتال الطائفى الذى استمر مدة طويلة فى قلب القارة الأفريقية !

وخلاصة القول أن الصراع كان مريرا بين الألمان والبريطانيين ، بعد أن أقصيت فرنسا من ميدان التنافس باعلان سنة ١٨٦٢ الخاص بالمحافظة على استقلال زنجبار ، وقد صيغت عبارات هذا الاعلان فى صورة ألزمت فرنسا باحترام استقلال هذه السلطنة ولم تلزم بريطانيا ، ولم تفطن فرنسا لهذا الا بعد فوات الوقت ، وصارت

امام الامر الواقع ، واكتفت بمركزها الخاص فى مدغشقر ، وبعد سنوات غير قليلة من تاريخ الاعلان صارت زنجبار فىدائرة الاستعمار البريطانية ، وقد أقصى أيضـا « ليوبولد » ملك البلجيك ، وذلك بتحويل مطامعه فى شرق أفريقية الى حـوض الكونغو والاعتراف بملكيته الخاصـة لهذه المنطقة . وبالرغم من أنه كان فى موقف المتربص للتقدم نحو حوض بحر الغزال لضمه الى « الكونغو » فانه لم يفز الا بمنطقة « اللادو » السودانية التى منحت له لادارتها مدة حكمه فى بلجيكا فقط ، وجرت مناورات ودسائس فى توزيع مناطق النفوذ على هذه الرقعة الكبيرة منأفريقية وكان هدف بريطانيا اقصاء دولتى ألمانيا وفرنسا بعيدا عن حوض النيل الأعلى وموارد مياهه ، واسدل الستار على هذه المشكلات بانسحاب فرنسا من « فاشـودة » وبالاتفاق الودى فى عـام ١٩٠٤ ، وتم تكوين « يوغنده الجديدة » ما بينعامى ١٨٩٠و١٨٩٨ وضمت اليها مساحات من الأراضى السودانية ، كما ضمت مناطق كبيرة أخرى من « بحر الغزال» الى «الكونغو» وهكذا أفاد المستعمرون من جهود مصر فى امتداد ادارتها الى المناطق العليـا ، وفى كشف المناطق الجنوبية وتأمينها ، وبعد أن تم ذلك الدور الذى قامت به مصر ، خـلق المستعمر المشكلات والقلاقل ، وكان أحـد ركنى التوسـع الاستعمارى التبشـير وطبيعة الارساليات التى أخذت فى التطاحن والقتال ، فقـد كان لاتخاذها التبشير وسيلة لبسط السيطرة الكثـير من المآسى بدأت من أثيوبيا فى القرن السابع عشر الميلادى ، وأخذت تنتقل من رقعة الى أخـرى فى ركاب ما أسموه بالمدنية الأوروبية .

دراسات فى المكتبة الافريقية

تزخر المكتبة الافريقية دائما بالجديد من المؤلفات ، ودراسات الباحثين ، على أن بعض هذه المؤلفات يتأثر بالاتجاهات السياسية للدول صاحبة المصالح المتضاربة ، والتى هى علة الاضطراب السياسى فى العالم كله ٠

صحيح أن بعض المؤلفين قد يتأثرون بآراء وطوابع سياسية خاصة ، ويكون لهذه الآراء والطوابع صداها فيما يكتبون ، وقد لا يرضى عنها القارىء ومع هذا فلهؤلاء الكتاب عذرهم ، انهم يؤمنون بما يكتبون ، ومن يكتب خطأ عن ايمان لا يتردد فى العودة الى الصواب عندما يلم بالحقيقة ، وفيما يلى مجموعة من أحدث المؤلفات عن قارتنا افريقية ، فى عرض مختزل سريع حثا على مطالعتها :

The labour movement in the Sudan, 1946-1955

للدكتور سعد الدين فوزى ٠ طبع نيويورك ٠ لمعهد الشئون الخارجية ٠

١٩٥٧ — ١٧٥ صفحة — ٤ دولارات :

دراسة طيبة للازدهار الفجائى للحركة العمالية المنظمة فى اقتصاديات لها الطابع البدائى ، والكتاب على ما يبدو هو أصلا دراسة لنيل درجة علمية وقد اشتمل على احصائيات مقارنة توضح ازدهار الحركة العمالية تبعا للتطور الاقتصادى بازدهار التجارة والصناعة فى بلد موفور الامكانيات الزراعية ، وموفور الفرص للصناعات الصغيرة ٠

The Sudan's Path To Independence

بقلم ج ٠ دونكان — طبع بلاك وود بلندن ١٩٥٧ — ٢٣١ صفحة — ١٨ شلنا ٠

عرض شخصى يقدمه أحد رجال الادارة السياسية فى السودان للحوادث طوال الخمس عشرة سنة السابقة لاستقلال السودان ، وقد يكون صالحا على الأقل لايضاح وجهات نظر شخص كان له لون سياسى معين ٠

Les chances Économiques de La communauté Franco-Africaine

بقلم بييرموسى طبع كولين ١٩٥٧ — ٢٧١ صفحة ٩٠٠ فرنك ٠

دراسة قوية واضحة يقدمها مدير الشئون الاقتصادية بوزارة فرنسا فيما وراء البحار ، ويكشف فيها عن حقائق الحال والمشكلات والعلاقات الاقتصادية بين فرنسا وبين الممتلكات الفرنسية فى افريقية ، وأهم ما فى

هذه الدراسةايضاح الامكانياتالكبيرة فى العلاقاتالمعدنية والزراعية فى هذه الأجزاء التى تغطى رقعـــة كبيرة من أرض قارتنا الناهضة ، وتوضح لنـــا كيف يمكن استغلالها الصحيح من تنظيم نهضة اجتماعية عامة فى القارة كلها يكون لها أثرها فى النهوض بمستوى المعيشة للمواطنين الافريقيين

~~~~~~

Vérités sur l'Afrique du Nord

بقـلم بيير بوير دى لاتور ـ طبع بلون باريس ١٩٥٦ ـ ٢٠٥ صفحة ـ ٦٠٠ فرنك ٠

دراسة عن السنوات الأخيرة للحكم الفرنسى فى تونس ومراكش يكتبها آخر مقيم عام فرنسى فى كلتا الدولتين المستقلتين ، ومع أن الـكتاب يعتبر ذكريات شخصية الا أن قيمته المادية فيما تصل اليـه مما بين السطور عن قوة الوعى القومى الجارفة التى أطاحت بالاستعمار والمستعمرين ٠

~~~~~~

Aimée et souffrante Algérie

بقلم جاك سوستيل ٠ طبع بلون باريس ١٩٥٦ ـ ٣٠٧ صفحة ـ ٧٥٠ فرنكا ٠

تقرير للحاكم العام فى الجزائر سنة ١٩٥٥ مع ايضـــاح مشاعره وجهوده على الأقل من وجهة نظره ، أثناء جولاته لأداء الواجبالذى وكلاليه ، وقديكون هذا الكتاب الذى نحن بصدده كسابقه من ناحيةالتقدير الشخصىلآراء الكاتب ووجهات نظره ، ولكنه مع هذا يستحق المطالعة ٠

~~~~~~

La Valeur Politique Et Sociale de la Tutelle Française au Caméroun

بقلم مارسيل نجوينى ـ آبه آن بروڤانس ـ ١٩٥٦ ـ ٢٢٤ صـــفحة ١٤٠٠ فرنك ٠

دراسة مليئـة بالمعلومات ، كتبها مواطن من الـكمرون ليوضح الآثار والنتـــائج والتبعـــات السياســـية والاجتماعية للحكم الفرنسى للبلاد ٠

والـكتاب صرخـة مواطن حر النزعة ، متحرر التفكير ، تجد نفسك منساقا الى صحبته لاسلوبه السهل مع الصراحة التامة فى الحديث ٠

~~~~~~

Local Government in Southern Nigeria

بقلم فيليبهاريس ـ طبع « مطبعة جامعة كبمردج » نيويورك ١٩٥٧ ـ ٣٥٨ صفحة ـ ٥ر٥ دولار ٠

الـكتاب مجموعة من القوانين مع التعليق عليها كتبه ضابط سابق عمل فى حكم منطقة من نيجيريا ، وهـــذا الكتاب مثله مثل كتاب « دونكان » عن السنوات الخمس عشرة السابقة لاستقلال السودان ، من ناحية أنه رأى شـــخصى لرجل مسـئول ، وان كان الفرق أن الحديث هنا يهدف أصـــلا لشرح وايضاح الحكمالمحلى ، فى منطقة لها حساسيتها فى وسط القارة عند منابع الأنهار الكبرى ٠

~~~~~~

An African Soavey : Revised 1956

بقلم لورد هيلى ٠ « مطبعة جامعة أوكسفورد » نيويورك معهد الشئون
~~~~~~

الخارجية – ١٩٥٧ ، ١٦٧٦ صفحة – ٨٠ر١٦ دولار .

طبعة جديدة منقحة لدراسة طيبة ، سبق أن نشرت عام ١٩١٨ وأعيد تحريرها في ضوء ما حدث في العشرين السنة التي تلت نشر الكتاب لأول مرة ، ويعنى المؤلف بدراسة قارة افريقية جنوبي منطقة الصحراء أي من هضبة البحيرات حتى رأس الرجاء الصالح ، وتدل ضخامة حجم الكتاب على افاضة المؤلف في تناول موضوعاته .

~~~~~~~~

South Africa: Economic and Political Aspects:

بقلم هيكتور منتيث روبرتسون

طبع درهام – مطبعة جامعة ديوك ١٩٥٧ – ١٩٢ ص – ٥٠ر٣ دولار

ثلاث دراسات لأستاذ الاقتصاد بجامعة مدينة الكاب ، عنى فيها ببحث التطورات التاريخية لاقتصاديات جنوبي افريقية ، مع دراسة الصراع الدستوري الأخير في البلاد .

~~~~~~~~

The African Giant:

قصة رحلة – بقلم ستيوارت كلويت
طبع كولنز بلندن

١٩٥٧ – ٤٣٩ صفحة عدا لحق للكتاب في التعريف بأعلام الأشخاص والأماكن – ٦ خرائط و ٢٥ لوحة – ٢١ شلنا .

ولد ستيوارت كلويت في باريس وتعلم في لانسينج ، وبعد أن خدم في الحرب العالمية الأولى رحل الى الترنسفال لتربية الماشية والزراعة ، وكان الرجل ينحدر من أسرة جاء أول رجل منها الى جنوب أفريقية سنة ١٦٥٦ ليفلح الأرض وكان جده رئيس القضاة في مستعمرة الكاب ثم كان بعد هذا أول حاكم في ناتال .

اشتهر كلويت في ميدان التأليف كقصاص وروائي ، ولهذا فمن الممكن أن تخطيء التقدير لكتابه ، ولكنك لا تكاد تصحبه في صفحاته الأولى حتى تحس بجديته ودقة درايته بالموضوعات التي يعرض لها في حديثه ، بل ربما كان كلويت يعرف عن « أفريقية السوداء » أكثر مما يعرفه أي رجل أبيض آخر .

والكتاب عبارة عن وصف رحلة استمرت عاما كاملا تجول فيه المؤلف وزوجته من مدينة الكاب حتى وسط الصحراء في قلب أفريقية ، وفي هذه الرحلة يقدم لنا المؤلف هيئات التبشير والدبلوماسيين والأطباء الوطنيين وغيرهم من الشخصيات التي تحيط بهم هالات الضوء في هذا العصر الذي نعيش فيه ، ليوضح لنا المشكلات الخاصة بتعليم المواطن الأفريقي ، ولم يغفل الرجل عندما نصحبه عن أسماعنا أغرب الأقاصيص التي يرويها الرواة من التاريخ القديم لعصور معرقة في القدم .

ويدلنا الحديث على مدى الجهد والمشقة التي عاناها المؤلف في تنقله بالقطار وبالسيارة والطائرة ، وان كان الرجل لا ينسى أنه كان هو وزوجته كطردي بريد ينتقلان من يدي صديق الى آخر ، ولهذا لم يشعرا بالعناء ، ولم يواجها مأزقا مع طول الرحلة .

وقد تسأل نفسك وأنت تتابع الصفحات عما استهدفه الرجل ليركب الصعب في هذه الرحلة الطويلة ، والاجابة على هذا .. « أن العملاق يستيقظ ، وما في هذا من شك ، ومن الضروري للعالم كله وللناس أن يقدروا قيمة هذه اليقظة ، وأن يتعرفوا على ما فيها من امكانيات وقوة .. » .

« عين ألف »

سياسة بريطانيا الاستعمارية في كينيا

بقلم الدكتور يوسف خليل

اتبع الانجليز ، فيما يختص بالأرض في المستعمرات التى وضعوا أيديهم عليها فى افريقية ، طريقتين متغايرتين فهنـاك أولا مجموعة من المستعمرات استولوا فيها على الأرض اما للاستغلال واما للتعدين ، ثم مجموعة أخرى كانوا يتركون فيها الأرض للوطنيين ليقوموا بفلاحتها تحت اشرافهم . ومن أمثلة المجموعة الأولى اتحاد جنوب أفريقية وروديسـيا وكينيا ونياسالاند . وتشـمل المجموعة الثـانية بقية الممتلكات البريطانيـة فى أفريقيـة وسـنأخذ كينيـا كنموذج لدراسـة السـياسة الانجليزية الاستعمارية .

ويرجـع تاريخ حقوق الأرض فى كينيا الى عـام ١٨٨٨ الوقت الذى بسطت فيه شركة أفريقية الانجليزية الاستعمارية نفوذها على هـذه البلاد بمقتضى الترخيص الذى منحه اياها سلطان زنجبار فى عام ١٨٨٧ . وقبل أن تعلن الحماية الانجليزية على شرق أفريقية فى عام ١٨٩٥ الذى انتهى فيه عقد امتياز شركة شرق أفريقيـة الانجليزية كان المستعمرون الانجليز قد حصلوا على الأرض اما من رؤساء القبائل أو من الشركة المذكورة . وفى عام ١٨٩٩ ادعت الحكومة الانجليزية أن لها حق السـيادة على الأراضى بمقتضى اعلان الحماية .

وفى عام ١٨٩٧ أصدرت الحكومة الانجليزية تنظيمات تنص على اعطاء شهادة من أجل امتـلاك الأرض لمدة أقصاها واحـد وعشرون عاما . وفى عام ١٩٠١ تم انشاء الخط الحديدى الى أوغندة الذى يعبر منحدرات وعرة لمسافات طويلة وفى أرض مقفرة ، ومن ثم اشتدت الحاجة الى موارد محمية كينيا وذلك للمحافظة على هذا الخط . وقد كان هذا عاملا ، الى جانب صلاحية جبال كينيا للاستيطان ، دفع الحكومة الانجليزية الى اتباع سياسة الاستعمار التى أشار بها « سير تشارلز اليوت » الذى أعرب عن اعتقاده بأن أفريقية الشرقية سوف تصبح فى وقت قصير وطن الرجل الأبيض الذى لا تعد فيه المسائل الوطنية الا أمرا قليل الأهمية والاعتبار . وعلى هذا أصدرت الحكومة الانجليزية فى عام ١٩٠١ قانونا خاصا بأراضى شرق أفريقية أعتبر أن الأراضى التى يستلزم التصرف فيها ينبغى أن

تدخل ضمن نطاق ممتلكات التـاج ، ولهذا حدد القانون السالف ذكره أراضى التـاج بأنها « كل الأراضى العـامة التى تخضع اذ ذاك لاشراف جـلالة الملك بفضل أية معاهدة أو اتفـاق أو بفضل حماية جلالته ، وكذا كافة الأراضى التى حصل أو يحصل عليها جلالتـه فى المستقبل بمقتضى قانون امتلاك الأراضى الصادر فى عام ١٨٩٤ أو بأية طريقة أخرى كيفما كانت » .

وجعل للحـكومة الانجليزية حق التصرف فيها بالبيع أو بالايجار .

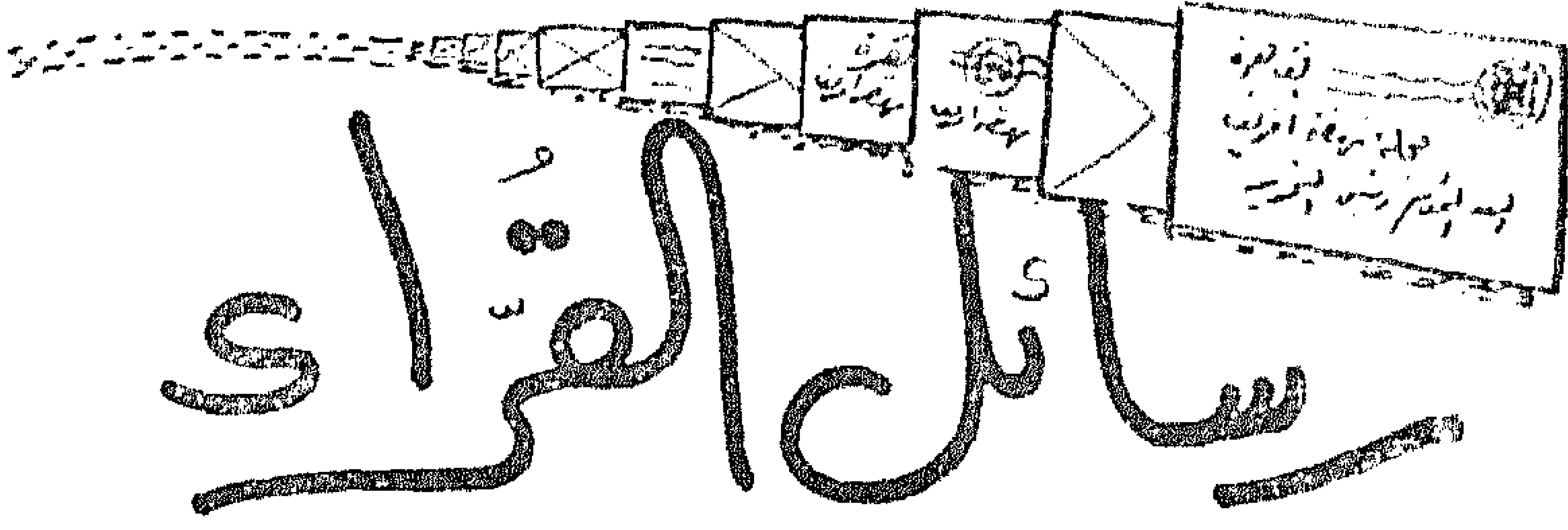
وفى عام ١٩٠٢ صدر قانون آخر أباح بيع أراضى التاج ، أو تأجيرها وان كان قد حفظ حقـوق الوطنيين فى الأراضى التى يملكونها . ولـكن هبات الأراضى تزايدت سريعا ، فيما بين عامى ١٩٠٢ ، ١٩٠٣ ، وسرعان ما تبين أنه قد نشأت ، نتيجة لذلك ، متاعب للقبائل فى كينيـا . فعينت لجنة محليـة فى عام ١٩٠٤ أوصت بأنه « بسبب الصعوبات الناجمة عن اخـراج الأهالى من أراضيهم ، يجب الاحتفاظ لهم بمساحات من الأرض ، وبأن هـذا العمل يجب أن يسبق انتشـار الأوروبيين للاستيطان »

وقبلت الحـكومة الانجليزية ذلك باعتبـار أنه يضمن للانجليز احتلال الأراضى الجبلية فى « كينيا » وترك ما عداها للقبائل ، ومع ذلك فان هذا لم يمنع من ابعاد الوطنيين فى بعض تلك الجهات الأخيرة ، فقـد كانت الحدود التى عينت المساحات التى ترعى فيها القبائل مواشيها قد جردتهم من المراعى الضرورية ، وتركت مواطـن الشرب خارج أراضى الأهلين .

وقد تعرضت الحكومة الانجليزية لهجوم صـدر من أجله قانون خاص بأراضى التـاج فى عام ١٩٠٥ ردد تحـديد أراضى التاج الذى تضمنه قانون عام ١٩٠٢ مضيفا اليه أن هذه الأراضى تضم كافة الأراضى التى تركت لكى تستعملها أية قبيلة وطنية . وكان الغرض من هذا القانون تأمين حقوق الأهلين وتحديدها تحديدا صريحا .

وفى عام ١٩٢٩ تكونت لجنة رأت ضرورة اعطاء الأهلين ضمانا لتـأمين حيازتهم لما ترك لهم من أراض . ومن ثم ألفت ، بمقتضى قرار من البرلمان الانجليزى ، لجنة محليـة من موظفى الحـكومة فى كينيا ، مكونة من ٢٢ عضوا من المجلس التشريعى يمثـل واحد منهم المصالح الوطنية وعهـدت اليهم النظر فى شأن تلك الأراضى .

وفى عـام ١٩٣٣ عينت لجنة برلمانية وضعت فى العام التالى تقريرا اقترحت فيه زيادة الأراضى المتروكة للأهـلين بمقدار ٢٦٢٩ ميلا مربعا ، كما رسمت حدود الجهات الجبلية « التى يتمتع فيها الأوروبيون بمركز ممتاز » ، وأوصت بتحديد بعض الحـدود لكى تضم مساحة ١٦٧٠٠ ميل مربع من بينها ٣٩٥٠ ميـلا مربعا من الأراضى المحجـوزة للغـابات ، ولكى تضمن للمستعمرين الانجـليز أن المساحة لن تتعرض لغزو من جانب الوطنيين اقترحت أن توضع الحدود بأمر ملكى وهـو ما وافقت عليـه الحـكومة الانجليزية فاستصدرت فى عام ١٩٣٧ أمرا ملكيا لوضع هـذه الاقتراحات موضع التنفيذ .



لم يكن تشجيع قرائنا للعدد الثاني من « نهضة افريقية » أقل مما بدا في رسائلهم التي تواترت الينا بعد صدور العدد الأول ، وقد تسرب العدد الثاني الى مناطق جديدة بعيدة واجتذب الى أسرة « نهضة افريقية » أعضاء جددا تعتز بهم الأسرة وتقدر آراءهم وترجو أن يثابروا على ابداء تلك الآراء التي تجد من هيئة تحرير المجلة كل عناية واهتمام • ونحن اذ ننشر خلاصة الرسائل الواردة للمجلة مشفوعة بعناوين السادة مرسليها انما نهيىء الفرصة لمناقشة المقترحات التي ترد الينا — من جهة — ونفتح باب التعارف والمراسلة بين قرائنا من جهة أخرى •

● كتب الينا السيد اليوزباشي البحري بالمعاش عادل شريف (٣ شارع عسكر بالدقي) • وسيادته محرر في جريدة « المساء » يقول: «ان مجلة نهضة افريقية سدت نقصا معيبا نحو أسمى هدف : إفريقية للافريقيين • ويقترح سيادته التعريف بكتاب المجلة ، وبخاصة غير المصريين » .

● وكتب السيد نوري عبد السلام بريون (٣ شارع رضا باشا — شقة / ١٠ — المبتديان — السيدة زينب) يقول : « انني مسرور بمجلتكم كثيرا لأنني افريقي ، وقد أخذت عددها الأول بمجرد وقوع نظري على كلمة « افريقية » وأقترح أن تخصصوا عددا لكل بلد من بلدان القارة وذلك لاعطاء الشباب معلومات عنها ••• انني طالب ليبي بكلية التجارة ، وقد لاحظت أن اخواني المصريين لا يعرفون شيئا عن ليبيا ••• »

وسوف تنتهز المجلة أول فرصة مواتية لاصدار أعداد خاصة عن الأقطار الافريقية •

● وبعث السيد محمد مصطفى الصيفي — كلية الآداب — جامعة القاهرة يقول :

أحييكم وأهنئكم بصدور «مجلة نهضة افريقية » وأرجو أن توجهوا اهتمامكم الى الاعتبارات الآتية التي هي من صميم أهداف المجلة :

١ — التاريخ السياسي والجغرافي للقارة •

٢ — التيارات السياسية العالمية المعاصرة •

٣ ـ نشر صور افريقيه

٤ ـ اتباع منهج البحث العلمى ..

● ومن رسالة للسيد محمد نور سليمان ـ (٧ أ شارع الجيش ـ القاهرة) .

« ان اصدار مجلة مثل « نهضة افريقية » لهو عمل عظيم لربط كفاح شعوب افريقية ضد الاستعمار وتوحيد هذا الكفاح . ونظرا لاهتمام الاستعمار الأمريكى على وجه الخصوص بالحركة النقابية عن طريق الاتحاد العالمى المعروف باسم « الاتحاد الحر » نقترح أن تهتم المجلة بنشر أخبار الحركة النقابية وكفاحها فى القارة الافريقية ... ونحن على استعداد للتعاون مع المجلة فى هذا الميدان ، ونرسل لكم كتاب « مؤامرات الاتحاد الحر ضد عمال افريقية والعمال العرب » ...

وهذا اقتراح جدير بالاعتبار وسوف ينال تقدير المجلة ان شاء الله .

● ومن رسالة مستفيضة للسيد فائز عونى (٢ شارع أحمد مرسى بالجيزة) :

« ان مجلة نهضة افريقية » هى المجلة الوحيدة التى تصدر فى الوطن العربى باللغة العربية لتصور ما يحدث بهذه القارة التى بدأت شعوبها تستيقظ وتناضل فى سبيل استقلالها الوطنى ... »

ويطلب سيادته موالاة الكتابة فى « القومية الافريقية » والأسس التى تقوم عليها ، ويختتم رسالته القيمة باعجابه بالجهود التى تبذلها المجلة فى نشر الموضوعات « التى تكاد تكون معدومة فى الكتب والمجلات العربيه ... »

● أما السيد ادوارد هنرى عبيد ـ (طرف سينما الهلال ـ شارع الجمهورية بنجع حمادى) فهو يرجو : « أن يرى المجلة أسبوعية » ويطلب فتح باب لحل مشكلات القراء ، ونشر بعض المقالات باللغات الافريقية ويقترح عمل مسابقات لأحسن قصة تصل الينا ..

● وكتب الينا كاتب لم يذكر اسمه ولا عنوانه يقترح أن تصدر المجلة فى حجم أكبر وأن تعنى بالأدب والثقافة بوجه عام وأن تقتصد فى الحديث عن الحوادث العامة التى يعرفها الجميع ، وتكتفى بالتنويه اليها وتعمل على اللحاق بالمجلات الأوروبية التى تكتب عن أفريقية وتجاوزها « فنحن أولى بقارتنا »

● والسيد أنور عبد الرحمن خليل أغا ـ بكالوريوس فى العلوم الاقتصادية وعنوانه (١٦ شارع الحلمية ـ امبروزو ـ الاسكندرية) يقول :

« ان مجلة نهضة افريقية » سدت فراغا كبيرا وملأت هوة سحيقة حفرها الاستعمار لتكون حاجزا بين شعوب افريقية ... انها أصبحت همزة الوصل بين الشعوب الافريقية المناضلة فى سبيل حريتها ، وأضاءت الشعلة التى ستنير « القارة المظلمة » فالى الأمام ...

● اما صديقنا « حسن محمد أحمد عبد الله » الساعى بادارة الهجرة والجوازات والجنسية بالمبنى المجمع بالقاهرة فيقترح اصدار عدد خاص عن « افريقيه وآسيا » ويبعث بتحية عاطرة لجميع اعضاء المؤتمر الآسيوى الأفريقى الذين كانوا مجتمعين بالقاهرة لأجل التحرير والاستقلال والسلام العالمى ...

● وجاءتنا رسالة من السيد أحمد عبد العزيز أحمد عبد العال رئيس نادى المراسلات العربية (٥ شارع الكنيسة المارونية — بالاسكندرية) يناشد فيها ممثلى الشعوب الافريقية والآسيوية مناصرة قضايا فلسطين والجزائر وعدن وعمان ويطلب امداد النادى ببعض المطبوعات التى نصدرها لكى يتمكن من اعطاء السادة وكلاء النادى بالبلدان العربية (فى آسيا وافريقية) فكرة واضحة عن الجهود الثقافية الافريقية فى مصر .

وسوف نعمل من جانبنا على تنسيق جهودنا مع نادى المراسلات العربية فى المستقبل القريب .

● ووصلتنا تحية كريمة من الأستاذ محمد عبد المنعم عباس المدرس بمدرسة أرمنت الثانوية ، وهو يبدى تفاؤله بصدور هذه المجلة وسروره بالترحيب الطيب الذى استقبلها به جمهور القراء .

ويرى سيادته ، ونرجو أن نكون عند حسن ظنه — أن اصدار هذه المجلة سيعطى القارىء — لأول مرة — صورة واضحة للكثير من مشكلات القارة ، من وجهة النظر الافريقية وبهذا ينحسر الستار الكثيف الذى ألقاه الاستعمار عليها ليمنع الصلة بينها وبين العالم الخارجى .

وفى رسالته دعوة هادفة الى تشجيع حركة تأليف عربية افريقية وأن نترجم الى العربية — أو نلخص على صفحات « نهضة افريقية » الجيد والمنصف مما كتب عنها باللغات الأجنبية ويخص بالذكر كتاب « صحوة افريقية » لمؤلفه « بازيل دافيدسون » .

ويختتم الأستاذ عباس رسالته بالاعجاب « بالنقد البانى » لكتاب « مستقبل افريقية السياسى » الذى نشر بالعدد الماضى ويرجو أن تعتبره « الرابطة الافريقية » عضوا منتسبا بها .

وهذه المجلة — والرابطة الافريقية ، يسعدهما أن ينضم السيد الأستاذ الى الركب الافريقى الصاعد المتزايد على مر الأيام .

● ومن ريف الوجه البحرى ، بعث السيد عبد العظيم حسن موافى عاشور من « ميت سلسيل — مركز المنزلة — دقهلية » بكلمات حماسية تحض على الدفاع عن الأوطان ...

والى اللقاء فى العدد القادم على هذه الصفحات

المحرر



مجلة شهرية للثقافة الإفريقية

رئيس التحرير : محمد عبد العزيز اسحق

محتويات العدد

نهضة افريقية

تهدف هذه المجلة إلى :

١ — تنمية الوعى القومى الإفريقى .

٢ — التعارف بين الإفريقيين فى مختلف بيئاتهم وحياتهم الإقليمية .

٣ — نشر البحوث الخاصة والعامة التى تهم كل إفريقى فى مجاله الحيوى

وللمشتركين الحق فى :

١ — الحصول على المجلة بانتظام ، وكذلك المطبوعات التى تصدرها المجلة بين وقت وآخر بثمن مخفض .

٢ — الإفادة من خدمة لجنة الاتصال بالمجلة بقدر الإمكان .

● ترحب «مجلة نهضة افريقية» بالمقترحات ، والآراء ، والنقد ، وتعمل على تحقيقها .

● ليس من الضرورى أن تكون المقالات التى تنشر فى هذه المجلة معبرة عن رأيها

ترسل المراسلات باسم :

السيد رئيس تحرير مجلة نهضة إفريقية

٥ شارع أحمد حشمت — الزمالك — بالقاهرة

تليفون المجلة ٨٠٧٦٥٨ جمهورية مصر

ترسل قيمة الاشتراك فى المجلة إلى :

دار أخبار اليوم للتوزيع : ٧ شارع الصحافة بالقاهرة

الاشتراك سنوياً : لمصر والسودان
٣٠ قرشاً

ثمن العدد
٣ قروش

حديث الشهر

جهاد الـ « كاباكا »

بقلم الاستاذ محمد عبد العزيز اسحق

يبـــدأ نهر النيـــل بشعب عريق وينتهي بشعب عريق ..

واذا كانت الاقـــلام قـــد سلطت أضواءها ، وما تزال ، على الشـــعب الثانى ، وهو الشعب المصرى ، فمـــا اقـــل ما انجهـــت تلك الأضـــواء الى الشعب الأول وهو الـ « باغنده » ..

ان الـ « باغنـــده » قـــوم لهم حضارتهم الناضجة منذ آلاف السنين

وهم ينحدرون ، فيما يبدو ، من أصل حامى ، تمتد جـــذوره الى هضـــاب اثيوبيا ، والجزء الأوسط من وادى النيل ، ومن هنـــا كان لونهم الذى هو أميل الى القهوة منه الى المسك ، ومن هنا ايضا كانت رقة قوامهم ودقة ملامحهم ، وأصالة تقاليدهم وأنظمتهم الاجتماعية ..

وهم يعيشـــون منذ أقدم العصور على « سطح افريقيه » أو ما يسميه الجغرافيون « هضبة البحيرات » . ويختصون الآن بالاقليم الجنوبى من محمية « أوغندة » وأهم هـــذا الاقليم « بوغنده » ويتحدثون لغة خاصة بهم هى الـ « لوغنده » ورأس الدولة أو الحاكم الأعلى هو الـ « كاباكا » ..

وقد ظل الـ « باغنـــده » خـــلال تاريخهم الطويل ، منذ استقروا على شواطىء « بحيرة الآلهـــة » ، وهى التى سميت « بحيرة فيكتوريا » ومنذ انتشروا على سفوح « جبال القمر » أو ما يسمى « رونزورى » ، ظلوا أحـــرارا يملكون أرضهم ويوجهـــون مصـــائرهم ، ويكيفون أنظمتهم وفق تراثهم ، وفى ضوء عاداتهم وتقاليدهم ، الى أن تسرب الى بلادهم وباء الاستعمار ، فى منتصف القرن الماضى مـــع المكتشفين والمبشرين والتجـــار والأفاقين ، الذين مهدوا جميعا لمبعوثى الحكم البريطانى ..

وعنـــدما وصـــل المستكشف المبشر « ستانلى » الى أوغنـــده عام ١٨٧٥ وجد على رأس الى «باغنده» حاكمهم العظيم الـ « كاباكا » موتيزا الأول ، وهو يصفه فى مذكراته التى نشرت بعنـــوان « خـــلال القـــارة المظلمـــة "Throngh the Darh Contiment" » فيقول :

« لقد وجدت الكاباكا رجلا طويل القامة ، حليق اللحية ، واسع العينين ، متوقد الحـــركة ، يرتدى طربوشـــا وعباءة سوداء تحتـــها ثوب أبيـــض ممنطق بالذهب ..

وقد تناول يدى مصافحا فى حرارة مؤثرة ، وهو يومىء ايماء رشـــيقا ، ويدعونى أن أجلس بجانبه .

ولقد ايقنت أن موتيزا « امبراطور » قوى ، له ، على جيرانه ، أعظم النفوذ ، ومن حوله حاشـية فخمـة الملبس والمظهر ، وهو يسكن قصرا منيفـا على ربوة عاليـة ، يشرف منـه على شـعبه الذى يقلده ، ويترسم خطاه فى كل كبيرة وصغيرة ..

وقد كان موتيزا يحتفظ بفـرقة موسيقية بارعة تضم أربعـين حامل طبلة ، وعشرين صـاحب مـزمار ، وعشرة يعزفون على القيثارة ، هذا الى الحرس الراكب ، والحشد المائج فى القصر العظيم ،من الخدم والرسل، وحملة الشارات والأعلام .

وكان مـوتيزا وأكابر قـومه ال « باغنده » يعـرفون اللغة العربيـة ويقرؤنها ، ويكتبون بهـا فى يسر وسهولة على رقائق ناعمة من أعواد القطن ، وقد شهدت مجموعة ضخمة من تلك الرقائق كتب عليهـا ال « كاباكا » خلاصة خبرته وتجاربه ، وسماها « فصول الحكمة » . . .

وعندما تأهب ال «كاباكا» للقتال، كان فى حوزته مائة وخمسـون ألف مقاتل مسلح ، وأكثر من خمسين ألف امرأة ، ومثلهن من الأطفال والخدم ، حتى لقد بلغ عـدد أفـراد الحملة المعسكرة أكثر من مائتين وخمسين ألف نسـمة ، وكان يعزز الحمـلة أسطول تحت امرة الزعيم « جابونجا » مكون من خمسمائة مركب محتشدة على مياه البحيرة الكبرى ، حاملةعلى ظهـرها أكثر من سـتة عشر ألف مقاتل .. »

هذه هى صورة دولة ال «كاباكا» وحاكمها العظيم عندما نفذت اليهـا طلائع الاستعمار على يدى (ستانلى) والمبشرين الأوائل الذين رحـب بهم موتيزا الأول ، واعتنق المسيحية على أيديهم ، ومهد لهم سبل النشـاط فى مملكته المترامية الأطراف .

ولما توفى موتيزا عام ١٨٨٤ وتولى الملك بعده ابنه « موانجا » وجد ال « كاباكا » الجديد بلاده فى دوامة من التيارات الدخيلة الطـارئة ، فهنـاك المبشرون الذين تكاثروا فى بلاده ، وتسللوا الى بلاطه ، وانقسموا أحزابا يكيـد بعضهم لبعض ، ويتـآمر البروتستنت منهم ضد الكاثوليك ، وهناك العرب الذين سبقوا المبشرين الى تلك الديار، ونشروا لغتهم ودياناتهم فى كل مكان ، وهنـالك الشركات التجـارية الأوروبية التى بدأت تنسج شباكها لكى تتصيد أقاليم أفريقية واحدا أثر آخر ..

وقد ألقى « موانجـا » بنفسه فى الدوامـة ، محـاولا أن يسـتخلص شعبه وبلاده فتحالف أولا مع المبشرين ولم يفلح ، فتحالف مع العرب ،ولكن البريطـانيين لم يمهلوه ، فتـدخلوا بقواتهم وعزلوه وألقوا به فى المنفى ، الى جزيرة سيشل ، حيث مات كمدا

وفى مستهل هـذا القرن فـرض الانجليز على « بوغندة » وعلى أقاليم

أوغندا الثلاثة المجاورة « معاهدة الحماية » وأقاموا حكمهم المباشر عليها جميعا ، وألحقوا ادارتها بوزارة الخارجية البريطانية أولا ، ثم نقلوا الادارة بعد ذلك الى وزارة المستعمرات ، وأسدلوا ستارا كثيفا بين تلك المناطق الافريقية ، وبين العالم الخارجي .

على أن المستعمرين الغزاة لم يستطيعوا أن يتجاهلوا مكانة الـ « باغنده » الممتازة بين شعوب « أوغنده » فاستثنوا ذلك الشعب العريق ، وأعفوه من حكمهم المباشر ، وأبقوا على مجلسه القومي المسمى بالـ « لوكيكو » واعترفوا في المعاهدة بحق الـ « لوكيكو » في اختيار الـ « كاباكا » ، واستطاع شعب « بوغنده » أن يحتفظ بحق ادارة شؤونه الداخلية بواسطة الـ « كاباكا » واشراف « لوكيكو » على الرغم من أن بريطانيا قد احتفظت للحاكم العام بحق « الفيتو » ..

وقد مرت عشرون سنة بعد أن عقدت معاهدة الحماية في عام ١٩٠٠ دون أن يحدث بين الـ « لوكيكو » والـ « كاباكا » من جهة ، وبين دولة الحماية صدام يذكر ، وان كان شعب الـ « باغنده » لم يغمض عينيه عما يدور حوله في المستعمرات البريطانية عامة ، وفي مستعمرة كينيا المجاورة على وجه الخصوص ، بل ان هذا الشعب الأصيل قد تنبه منذ البداية الى المحاولات الخبيثة التي بذلت لايقاعه في مصير كينيا وافريقية الجنوبية والوسطى .

وكانت أولى هذه المحاولات في عام ١٩٢١ عندما قامت جماعة من المتوطنين الانجليز في كينيا بالدعوة الى ضم أوغنده الى كينيا وتنجانيقا . وهنا تحرك شعب الـ « باغنده » وعلى رأسه الـ « كاباكا » (داودي تشوا ، وهو والد الكاباكا الحالي) وبالتضامن مع الـ « لوكيكو » نظمت حركة مضادة استمرت نحو عشر سنوات واضطرت بريطانيا أو تؤلف احدى لجانها المعهودة للتحقيق ، وهي لجنة « أورمسبي جور » في عام ١٩٢٤ ، وشفعتها بلجنة أخرى هي لجنة « هيلتون — ينج » في عام ١٩٢٧ وأثبتت اللجنتان عداء الـ « باغنده » وموقفهم الحاسم ، ضد الاتحاد مع المستعمرات المجاورة . وفي عام ١٩٣١ سافر وفد من « بوغنده » الى لندن ، واحتج على « فكرة الاتحاد » أمام لجنة مشتركة من مجلسي العموم واللوردات .. وكانت النتيجة عدول بريطانيا (مؤقتا) عن تلك الفكرة الخبيثة وتأكيدها للوفد الـ « بوغندى » انها لن تعمد الى وضع نظام (للتقريب) بين أقطار شرق افريقية الثلاثة دون الحصول مقدما على موافقة تلك الأقطار .

ولكن الـ « باغنده » لم يغفلوا لحظة عن توقع الخداع البريطاني ، وأخذوا يفسرون كل خطوة (اصلاحية)

تقترحها بريطانيا لبلادهم في ضوء « مؤامرة الاتحاد » التي ترمي الى سقوط بلادهم في يد المستوطنين الانجليز ، وهكذا رفضوا انشاء « مجلس تشريعي » في « بوغنده » لأنه يضم أعضاء من الأجانب ، وتمسكوا بال «لوكيكو» وهو المجلس القومي الذي يضم أولي الأمر بين ال « باغنده » ، ورفضوا منح مساحة من الأرض لحكومة الحماية لكي تبني عليها كلية جامعية مما جعل الحاكم العام يستصدر قانونا بنزع الملكية بموافقة رئيس الوزراء الأوغندي ، ويوم أن صدر القانون قتل الشعب رئيس الوزراء ..

وما لبث الوعي الوطني أن تبلور على صورة هيئات قومية منظمة كان أهمها هيئتين : « حزب الباتاكا » الذي أسسه زعيم ريفي يدعى « جيمسي ميتي » ويدعو الى اصلاح أداة الحكم ، واقتباس الاجراءات الديموقراطية في اختيار ال «لوكيكو»، ووضع نظم عادلة لتوزيع الأراضي .

والهيئة الثانية هي : « اتحاد اوغنده الافريقي » وقد أسسه « اغناسيو موسازي » وهو مثقف مكافح نفاه الانجليز في عام ١٩٤٥ ، واضطروا بعد ذلك لاعادته الى بلاده، وهو الحزب الذي تحول فيما بعد الى « المؤتمر الأوغندي الوطني » ..

ويرمي هذا الحزب الى « تدعيم الاقتصاد الزراعي ، ومقاومة تحكم العناصر الأجنبية في الصناعات الزراعية ، واقامة محالج القطن ، وتعميم الجمعيات التعاونية » .

وعلى الرغم من أن الأهداف المكتوبة لهذه الهيئات لا تتضمن شعارات سياسية ، الا أنها توجه تنظيماتها فورا ، عند الحاجة للكفاح الوطني ومقاومة المشروعات الأجنبية ، وهكذا رأيناها تنشط للعمل السياسي ، عندما أعلنت وزارة المستعمرات في عام ١٩٤٧ قرارها بانشاء منظمة مشتركة اسمها «اللجنة افريقية الشرقية» رغم أن القرار قد حصر مهام اللجنة في « تنسيق الخدمات الرئيسية ، وتنظيم المصالح الاقتصادية المشتركة بين كينيا وتنجانيقا وأوغنده » وعلى الرغم من النص صراحة في القرار على أن الحكومة البريطانية مدركة عدم الرغبة في التقارب السياسي بين الأقطار الثلاثة ..

وبينما كانت هذه الأحداث تجري في « بوغنده » التي أصبحت تقود بقية مقاطعات « أوغنده » في كفاحها الوطني ، كان ال « كاباكا » الحالي موتيزا الثاني يكمل تعليمه في كيمبردج . لقد انتزعته بريطانيا من أبيه ، منذ كان طفلا في الخامسة من عمره ووضع في مدرسة داخلية للتبشير في أوغنده ، ثم واصل دراسته الثانوية في مدرسة تبشيرية أخرى ، وعندما بلغ مرحلة الشباب أرسلوه الى بريطانيا أملا في أن تضع جامعة كيمبردج اللمسات الاخيرة

لشخصية يريدونها بريطانية الروح فى ثياب افريقية ..

وفى عام ١٩٤٩ عاد الكاباكا الشاب موتيزا الثانى الى بلاده ، وتولى حكم « بوغنده » بمعاونة « لوكيكو » ، وقد وجد الروح الوطنية متأججة والشعب بجميع طبقاته وهيئاته ، متطلعا الى التحرر من النير البريطاني ، متوجسا يترقب المؤامرات الأجنبية ، وعلى رأسها « مؤامرة الاتحاد » التى تختفى حينا لتعود من جديد ..

وقد وجد شعب الـ « باغنده » فى « الكاباكا » موتيزا الثانى حاكما وطنيا ، حريصا على التحرر والاستقلال ، ولم يستطع الانجليز ان يدركوا ، الا بعد فوات الفرصة ، ان جهودهم التى بذلوها بعناية وصبر واحكام لاخماد روح القومية الافريقية فى هذا الشاب الأصيل منذ تسلموه وهو فى الخامسة من عمره ، أن جهودهم تلك قد ذهبت أدراج الرياح .

ففى عام ١٩٥٣ ، وفى شهر يوليو من ذلك العام ، ألقى المستر أوليفر ليتلتون وزير المستعمرات البريطانى خطابا ذكر فيه ما يرجوه من قيام اتحاد فى المستقبل بين كينيا وتنجانيقا وأوغنده ، وكان الـ « كاباكا » عندئذ فى لندن فأسرع بالعودة الى بلاده ، وعند وصوله وجد وزراءه قد اتخذوا خطوة رسمية مضادة ، اذ وجهوا رسالة الى الحاكم العام يحتجون فيها على ماورد فى خطاب وزير المستعمرات ويعربون عن اعتقادهم بأن خطاب مستر ليتلتون من شأنه أن يزعزع الثقة فى نفوس الـ « باغنده » وأن يفسد العلاقات القائمة بينهم وبين بريطانيا .

وبعد أن تشاور الحاكم مع وزير المستعمرات كتب الى وزراء الـ « باغنده » يؤكد لهم أنه لا ينبغى أن يتطيروا مما حدث ، وان مستر ليتلتون قد خوله أن يقرر أنه « فيما يختص بالنوايا الحالية لحكومة جلالة الملكة ، فان الحكومة لا تنوى أى تغيير فى سياستها السابقة ، وان أى تطور يتصل بأقطار شرق افريقية لابد أن يراعى فيه ، على وجه العموم ، الاتجاه الغالب لدى الرأى العام هناك » ..

ولكن هذه التأكيدات لم تجد قبولا من الـ « كاباكا » ولا من وزرائه ، ولم يلبث الـ « كاباكا » أن بعث برسالة مسهبة الى الحاكم العام يستعرض فيها تاريخ العلاقات بين بريطانيا وأوغنده (بأقطارها الأربعة) ويعدد الامثلة على سياسة « خلف الوعود » التى درجت عليها بريطانيا فى علاقاتها مع المستعمرات ، ويتقدم فى النهاية بمطالب محدودة ، تتلخص فى نقل شئون « بوغنده » من وزارة المستعمرات الى وزارة الخارجية ، وفى وضع خطة واضحة يتم بموجبها استقلال البلاد فى فترة قصيرة معينة ، وفى استبعاد أية تدبيرات قد تتخذ فى الوقت الحاضر أو فى المستقبل لانشاء اتحاد شرق افريقية .

وقد حاول الحاكم العام (أندرو كوهين) عبثا أن يثنى الـ « كاباكا » عن مطالبه ، فلجأ — من وراء ستار — الى الوزراء فوجدهم صفا واحدا يؤيدون زعيمهم ، فعاد يجس نبض الـ « لوكيكو » فلم يجد عضوا واحدا

من اعضائه يتراجع عن مطالب ال « كاباكا » وهنا افلت زمام السياسة ، وكشرت بريطانيا عن أنيابها « التقليدية » وسدر الأمر بنفى ال « كاباكا » .

وفى ذات يوم من نوفمبر عام ١٩٥٣ دعا الحاكم العام ال « كاباكا » موتيزا الثانى الى قصره ، موهما اياه أنه يريد التفاوض حول المطالب الوطنية ، ولكنه كان قد أعد قرار العزل والنفى ، وفى قصر الحاكم العام أحاط الجند بال « كاباكا » وذهبوا به الى طائرة معدة من قبل ، ولم يأذنوا له بأن يودع زوجته وأهله ، ولا أن يستحضر ملابس الشتاء ، (وقد علم أنه سوف يبعد الى لندن) ، وما هى الا ساعات معدودة حتى كان ال (كاباكا) منفيا دون أن يعلم أحد من شعبه بهذا السلوك الهمجى من بريطانيا « المتمدنة » ..

ولقد قامت قيامة ال « باغنده » عندما انتشر الخبر ، وعم الاضطراب انحاء البلاد ، وتوقفت الأعمال ، واجتمع ال « لوكيكو » ، واختار وفدا ليسافر الى لندن ويثير القضية فى المحافل الدولية ، واثيرت المشكلة فى مجلس العموم ، وانقسم الرأى العام البريطانى والصحافة البريطانية الى فريقين متنابذين ، وأصر وزير المستعمرات على موقفه ، وأخذ يصدر التصريحات بأن قرار « العزل والنفى » قرار نهائى لا رجوع فيه ، واخذ « يساوم » الكاباكا على مكافأة سنوية ضخمة لكى يغريه على قبول الأمر الواقع .. !

ولكن شعب ال « باغنده » وال « لوكيكو » والوزراء الوطنيين لم يتزحزحوا عن موقفهم ، وأبلغوا الحاكم العام أنه يستطيع أن يعزل ال « كاباكا » ، ولكن ال « لوكيكو » هو الذى يستطيع وحده بحكم معاهدة ١٩٠٠ ، أن يعين « كاباكا » جديدا ، وأن شعب « بوغنده » لن يرتضى « كاباكا » غير موتيزا الثانى .

واندلعت نيران الكراهية بين الافريقيين والأجانب فى بوغنده ، وقاطع الطلبة الافريقيون زملاءهم الانجليز فى الجامعات البريطانية ، وامتنع المسيحيون فى بوغنده عن الاتصال بالمبشرين أو الذهاب الى الكنائس ، وانسحب الوطنيون من النوادى والهيئات الثقافية التى يشترك فى عضويتها بريطانيون ، وامتنع القسس ورجال الدين الوطنيون عن اتمام عقود الزواج ، وأخذت حركة التذمر والعداء للبريطانيين تنتقل من بوغنده الى جميع أنحاء أوغنده ، والى تنجانيقا والأقطار المجاورة .

ولم يتراجع وزير المستعمرات ولا الحاكم العام ، ولكن البرلمان البريطانى قرر وضع خطة للتراجع تبدأ بتكوين « لجنة للتحقيق » . وذهبت لجنة « هانكوك » وبحثت الموقف (على الطبيعة) وعادت فصورت حماقة الفعلة التى ارتكبتها وزارة المستعمرات ومعها الحاكم العام ، وكان لابد من مضى وقت تنقذ به الحكومة البريطانية ماء وجهها أمام الشامتين .

وفى خريف عام ١٩٥٥ ركب ال « كاباكا » طائرة أقلته من لندن الى بلاده حيث استقبله شعبه المنتصر ، وكان مع الشعب فى مطار « عنتيبى » سعادة الحاكم العام « سير أندرو كوهين » .. !

ابن بطوطة وشرق أفريقية

بقلم الاستاذ الشاطر بصيلى

خرج محمد بن عبد الله بن محمد ابن ابراهيم اللواتى الطنجى « ابن بطوطة » من مسقط رأسه «طنجة» فى عام ١٣٢٥ م ، وقد بلغ الثانية والعشرين من عمره . وقام برحلات ثلاث جاب فيهما أطراف العالم الاسلامى والممالك المعروفة فى زمنه ، فمر فى رحلته الأولى ـ التى قصد فيها أولا الذهاب الى بيت الله الحرام ـ بمراكش والجزائر وتونس وليبيا ثم مصر ، وذهب الى عيذاب لعبور البحر الأحمر الى الحجاز فلم ينجح بسبب القتال الذى كان ناشبا فى تلك المنطقة ، الأمر الذى دفع حاكمها الى خرق السفن حتى لاتكون صالحة للملاحة ، فعاد أدراجه الى مصر ومنها الى فلسطين ولبنان وسوريا والحجاز ، وبعد أداء فريضة الحج سافر من مكة الى العراق وفارس والأناضول ، ورجع الى مكة لحجته الثانية ، ومكث فى مكة عامين مجاورا ، وخرج الى جدة ، ومنها ركب البحر ، وبعد سفر يومين هادئين اشتدت الأمواج ، ودخلت فى المركب فتغير اتجاه المركب ، وألقت مراسيها فى « رأس دوائر » (١) الواقع بين عيذاب

---

(١) يقول ابن بطوطة أنه وصل « فى ذلك اليوم الى جزيرة سواكن وهى على نحو ستة أميال من البر ، ولا ماء بها ولا زرع ولا شجر ، والماء يجلب اليها فى القوارب ، فهو قد خرج من جدة قاصدا فيما يبدو مرسى عيذاب ، الا أن الرياح قد حالت دون تحقيق ذلك واضطرت السفينة الى الرسو فى مرسى رأس دوائر فيما بين عيذاب وسواكن ، وبعد مسيرة يومين وصل الى حى العرب . ومن حى العرب هذا خرج الى جزيره سواكن التى وصلها فى يومه ، وهذا يحدد لنا موضع حى العرب فيما بين مرسى الشيخ برغوث « بورسودان الحالية » وسواكن ، وقد حاول بعض الكتاب نفى زيارة ابن بطوطة الى هذه المنطقة لأن سواكن لا تقع على بعد ستة أميال من البر وانها جزيرة كبيرة ؛ وهذا الادعاء من جانب أولئك الكتاب غير صحيح لقيام قرى على نحو هذه المسافة ، وقد اندثرت بسبب أو آخر . أما مساحة الجزيرة فهذه مسألة نسبية لا تغير من الواقع شيئا .

وسواكن ، وخرج من هـذه المرساة عن طريق البر ، واستخدم الجمال الى جزيرة سواكن ، وخـرج منهـا الى اليمن ، ومنها الى عدن ومن ثم ركب البحر الى زيلع ، ومنـها الى مقدشو فمنبسى (ممباسا) وكلوه وعاد من كلوه الى جنـوب الجـزيرة العربية .

ويهمنـــا من رحلتـــه ذلك الجزء من أسفاره من زيلع الى كلوه والخروج منها الى جنوب الجزيرة العربية ، وكان ذلك فى عام ١٩٣٢ م . ويعتبر ابن بطوطة أول رحالة عربى فى العصر الوسيط كتب عن شرق افريقية ـ ساحل خليج عدن وساحل الصومال، وكينيا وتنجانيقا ـ وقد زار هذه المنطقة بنفسه ، ولم يسبقه فى ذلك أحد من قبل غير كاتب مجهول ألف كتاب «الملاحة فى البحر الارتيرى(١)» وجمع فيــه الكثير من المعلومات عن موانى بحرى الزنج والأحمر وخليج عدن .

ونتقل فيما يلى ما كتبه ابن بطوطة عن رحلته الى موانىء بحـر الزنج ، لكى نعطى للقارىء صورة صحيحة عن الحيـاة اليـوميـة والتنظيمـات الاجتماعية ؛ ومما تجدر الاشارة اليه أن هذه المناطق ما زالت فى حاجـة قوية الى دراسات أوسع مدى للتعرف على النشاط العربى والهجرات ، فهذا الجزء من الشاطىء الافريقى ـ ساحل بحر الزنج وساحل البنـادر يكونان القاعدة الأساسية التى خرجت منها الجماعات العربية الى داخل القـارة الافريقية ، وبخاصة الى الحبشـــة ، وقد تأثر بهذه الهجرات سودان وادى النيل الى حد كبير .

... وسافرت من مدينة عدن فى البحر أربعة أيام ووصلت الى مدينة :

زيلع

وهى مدينة البربرة ، وهم طائفة من السودان شافعـية المـذهب ، وبلادهم صحراء مسيرة شهرين أولها زيلع وآخرها مقدشو ، ومواشيهم الجمال ولهم أغنام كبيرة لها سوق عظيمة ، الا أنها أقذر مدينة فى المعمورة، وأوحشها وأكثرها نتنا ، وسـبب نتنـها كثرة سمكها ، أو دماء الابل التى ينحرونها فى الأزقة ، ولما وصلنا اليها اخترنا المبيت بالبحر على شدة هوله ولم نبت بها لقذرها ، ثم سافرنا منها فى البحر خمس عشرة ليلة ، ووصلنا مقدشو (وضبط اسمها بفتح الميم واسكان القاف وفتح الدال المهمل والشين المعجم واسكان الواو) وهى مدينة متناهية فى الكبر ، وأهلها لهم جمال كثيرة ينحرون منها المئين كل يوم ، ولهم أغنام كثيرة وأهلها تجار أقوياء ، وبها تصنع الثياب المنسوبة

The Periplus of the Erythraean Sea

نشره Schaff فى سنة ١٩١٢ . وكانت تسمية البحر الارتيرى تمتد فى ذلك الوقت (حوالى عام ٦٠ م) الى خارج خليج عدن .

اليها التى لا نظير لها ، ومنها تحمل الى ديار مصر وغيرها .

ومن عادة أهل هذه المدينة انه متى وصل مركب الى المرسى تصعد الصنابق ، وهى القوارب الصغار اليه ، ويكون فى كل صنبوق جماعة من شبان أهلها ، فيأتى كل واحد منهم بطبق مغطى فيه الطعام ، فيقدمه لتاجر من تجار المركب ، ويقول هذا نزيلى ، وكذلك يفعل كل واحد منهم، ولا ينزل التاجر من المركب الا الى دار نزيله من هؤلاء الشبان ، الا من كان كثير التردد الى البلد ، وحصلت له معرفة أهله ، فأنه ينزل حيث شاء ، فاذا نزل عند نزيله باع له ما عنده واشترى له ، ومن اشترى منه ببخس أو باع منه بغير حضور نزيله فذلك البيع مردود عندهم ، ولهم منفعة فى ذلك .

ولما صعد الشبان الى المركبالذى كنت فيه جاء الى بعضهم فقال له أصحابى ليس هذا بتاجر ، وانما هو فقيه فصاح بأصحابه ، وقال لهم هذا نزيل القاضى ، وكان فيها أحد أصحاب القاضى فعرفه بذلك فأتى الى ساحل البحر فىجملة من الطلبة ، وبعث الىأحدهم فنزلتأنا وأصحابى وسلمت على القاضى وأصحابه ،وقال باسم الله نتوجه للسلام على الشيخ، فقلت له ومن الشيخ ؟ فقال السلطان وعادتهم أن يقولوا للسلطان الشيخ ، فقلت له اذا نزلت توجهت اليه فقال لى ان العادة اذا جاء الفقيه أو الشريف أو الرجل الصالح لا ينزل حتى يرى السلطان فذهبت معهم كما طلبوا .

ذكر سلطان مقدشو

وسلطان مقدشو كما ذكرناه انما يقولون له الشيخ وأسمه أبو بكر ابن الشيخ عمر وهو فى الأصل من البربرة وكلامه بالمقدشى ويعرف اللسان العربى .

ومن عوائده أنهمتى وصل مركب يصعد اليه صنبوق السلطان فيسأل عن المركب من أين قدم ومن صاحبه ومن ربانه ومن الرئيس ، وماوسقه ، ومن قدم فيه من التجار وغيرهم ؟ فيعرف بذلك كله ويعرض على السلطان فمن استحق أن ينزله عنده أنزله ، ولما وصلت مع القاضى المذكور ـ وهو يعرف بابن البرهان المصرى الأصل ـ الى دار السلطان خرج بعض الفتيان ، فسلم على القاضى ، فقال له بلغ الأمانة وعرف مولانا الشيخ أن هذا الرجل قد وصل من أرض الحجاز فبلغ ثم عاد وأتى بطبق فيه أوراق التنبول والفوفل فأعطانى عشرة أوراقمع قليل من الفوفل ، وأعطى للقاضى كذلك ، وأعطى لأصحابى ولطلبة القاضى ما بقى فى الطبق وجاء بقمقم من ماء الورد الدمشقى فسكب على وعلى القاضى وقال ان مولانا أمر أن ينزل بدار الطلبة وهى دار معدة لضيافة الطلبة

فأخذ القاضى بيدى ، وجئنا الى تلك الدار وهى بمقربة من دار الشيخ مفروشة مرتبة بما تحتاج اليه ، ثم اتى بالطعام من دار الشيخ ومعه أحد وزرائه وهو الموكل بالضيوف ، فقال مولانا يسلم عليكم ويقول لكم قدمتم خير مقدم ، ثم وضع الطعام فأكلنا . وطعامهم الأرز المطبوخ بالسمن يجعلونه فى صفحة خشب كبيرة ، ويجعلون فوقه صحاف الكوشان وهو الأدام من الدجاج واللحم والحوت والبقول ، ويطبخون الموز قبل نضجه فى اللبن الحليب ويجعلونه فى صحفة ويجعلون اللبن المريب فى صحفة ويجعلون عليه الليمون المصبر وعناقيد الفلفل المصبر المخلل والمملوح والزنجبيل الأخضر والعنبا (وهى مثل التفاح ولكن لها نواة) وهى اذا نضجت شديدة الحلاوة وتؤكل كالفاكهة وقبل نضجها حامضة كالليمون ويصبرونها فى الخل ، وهم اذا أكلوا لقمة من الأرز أكلوا بعدها من هذه الموالح والمخللات ، والواحد من أهل مقدشو يأكل قدر ما تأكله الجماعة منا عادة لهم ، وهم فى نهاية من ضخامة الجسوم وسمنها . .

ثم لما طعمنا انصرف عنا القاضى ، وأقمنا ثلاثة أيام يؤتى الينا بالطعام ثلاث مرات فى اليوم وتلك عادتهم ، فلما كان فى اليوم الرابع وهو يوم الجمعة جاءنى القاضى والطلبة وأحد وزراء الشيخ وأتونى بكسوة وكسوتهم فوطة خز يشدها الانسان فى وسطه عوض السراويل فانهم لا يعرفونها ، ودراعة من المقطع المصرى معلمة وفرجية من القدسى مبطنة وعمامة مصرية معلمة ، وأتوا لأصحابى بكسى تناسبهم ، وأتينا الجامع فصلينا خلف المقصورة ، فلما خرج الشيخ من باب المقصورة سلمت عليه مع القاضى فرحب وتكلم بلسانهم مع القاضى . ثم قال باللسان العربى : قدمت خير مقدم ، وشرفت بلادنا وآنستنا ؛ وخرج الى صحن المسجد فوقف على قبر والده وهو مدفون هناك فقرأ ودعا ثم جاء الوزراء والأمراء ووجوه الأجناد فسلموا وعادتهم فى السلام كعادة أهل اليمن يضع سبابته فى الأرض ثم يجعلها على رأسه ، ويقول: أدام الله عزك . ثم خرج الشيخ من باب المسجد فلبس نعليه ، وأمر القاضى أن ينتعل وأمرنى أن إنتعل ، وتوجه الى منزله ماشيا وهو بالقرب من المسجد ، ومشى الناس كلهم حفاة ورفعت فوق رأسه أربعة قباب من الحرير الملون ، وعلى أعلى كل قبة صورة طائر من ذهب ، وكان لباسه فى ذلك اليوم فرجية قدسى أخضر ، وتحتها من ثياب مصر وطروحاتها الحسان ، وهو متقلد بفوطة حرير ، وهو معتم بعمامة كبيرة ، وضربت بين يديه الطبول والأبواق والأنفار ، وأمراء الأجناد أمامه وخلفه والقاضى والفقهاء والشرفاء معه ، ودخل الى مشورة على تلك الهيئة وقعد الوزراء

والأمراء ووجوه الأجناد فى سقيفة هنالك ، وفرش للقاضى بساط لايجلس معه غيره عليه والفقهاء والشرفاء معه ، ولم يزالوا كذلك الى صلاة العصر فلما صلوا العصر مع الشيخ أتى جميع الأجناد ، ووقفوا صفوفا على قدر مراتبهم ، ثم ضربت الأطبال والأنفار والأبواق والصرنايات وعندضربها لا يتحرك أحدولا يتزحزح عن مقامه ومن كان ماشيا وقف فلم يتحرك الى خلف ولا الى أمام ، فاذا فرغ ضرب الطبلخانةسلموا بأصابعهم كما ذكرناهوانصرفوا ، وتلكعادة لهم فىكل يومجمعة ، واذاكان يومالسبت يأتى الناس الى باب الشيخ فيقعدون فى سقائف خارج الدار ، ويدخل القاضى والفقهاء والشرفاء والصالحون والمشايخ والحجاج بالمشور الثانى فيقعدون علىدكاكين خشب معدة لذلك ،ويكون القاضى على دكانهوحده وكل صنف على دكانة تخصهم لا يشاركهم فيها سواهم ثم يجلس الشيخ بمجلسه ويبعث الى القاضى فيجلس عن يساره ثم يدخل الفقهاء فيقعد كبراؤهم بين يديه وسائرهم يسلمون وينصرفون ، ثم يدخل الشرفاء فيقعد كبراؤهم بين يديه ويسلم سائرهم وينصرفون وان كانوا ضيوفا جلسوا عن يمينه ، ثم يدخل المشايخ والحجاج فيجلس كبراؤهم ويسلم سائرهم وينصرفون ،ثميدخل الوزراء ثم الأمراء ثم وجوه الأجناد طائفة بعد طائفة أخرى فيسلمون وينصرفون ، ويؤتى بالطعام فيأكل بين يدى الشيخ القاضى والشرفاء ومن كان قاعدا بالمجلس ويأكلالشيخ معهم وان أراد تشريف أحد من كبار أمرائه بعث اليه فأكل معهم ويأكل سائر الناس بدار الطعام ، وأكلهم على ترتيب مثل ترتيبهم فى الدخول على الشيخ ، ثميدخل الشيخ الىداره ويقعد القاضى والوزراء وكاتب السر وأربعة من كبار الأمراء للفصل بين الناس وأهل الشكايات ، فما كان متعلقابالأحكام الشرعيةحكمفيهالقاضى وما كان سوى ذلك حكم فيه أهل الشورى وهمالوزراء والأمراء وماكان مفتقرا الى مشاورة السلطان كتبوا اليه فيه فيخرج لهم الجواب فى حينه على ظهر البطاقة بما يقتضيه نظره وتلك عادتهم دائما .

ثم ركبت البحر من مدينة مقدشو متوجها الى بلاد السواحل قاصدا مدينة كلوا من بلاد الزنوج فوصلنا الى

جزيرة منبسى

(وضبط اسمها ميم مفتوح ونون مسكن وباء موحدة مفتوحة وسين مهمل مفتوح وياء) هى جزيرة كبيرة بينها وبين أرضالسواحلمسيرةيومين فى البحر ولا بر لها ، وأشجارها الموز والليمون والاترج ، ولهم فاكهة يسمونها الجمون هى شبه الزيتون ، ولها نوى كنواه الا أنها شديدة

الحلاوة ، ولا زرع عند أهل هذه الجزيرة انما يجلب اليهم من السواحل ، وأكثر طعامهم الموز والسمك وهم شافعية المذهب أهل دين وعفاف وصلاح ، ومساجدهم من الخشب محكمة الاتقان ، على كل باب من ابواب المساجد البئر والثنتان، وعمق آبارهم ذراع أو ذراعان فيستقون منها الماء بقدح خشب قد غرز فيه عود رقيق ... فى طول الذراع ، والأرض حول البئر والمسجد مسطحة ، فمن أراد دخول المسجد غسل رجليه ودخل ، ويكون على بابه قطعة حصير غليظ يمسح بها رجليه ، ومن أراد الوضوء أمسك القدح بين فخذيه وصب على يديه ويتوضأ ، وجميع الناس يمشون حفاة الأقدام .

وبتنا بهذه الجزيرة ليلة وركبنا البحر الى مدينة كلوا (وضبط اسمها بضم الكاف واسكان اللام وفتح الواو)وهى مدينة عظيمة ساحلية أكثرأهلها الزنوج المستحكمو السواد ، ولهم شرطات فى وجوههم كما هى فى وجوه الليميين من جنادة .

وذكر لى بعض التجار أن مدينة سفالة على مسيرة نصف شهر من مدينة كلوا وأن بين سفالة ويوفى من بلاد الليميين مسيرة شهر ، ومن يوفى يؤتى بالتبر الى سفالة .

ومدينة كلوا من أحسن المدن واتقنها عمارة ، وكلها بالخشب وسقف بيوتها الديس ، والأمطار بها كثيرة ، وهم أهل جهاد ، لأنهم فى بر واحد متصل مع كفار الزنوج ، والغالب عليهم الدين والصلاح وهم شافعية المذهب .



أفريقيا المنتصرة

للشاعر عبده بدوى



الفجر الأسمر يرتعد
ويهز الأفق باصراره
وبأغواره !
قد دوى طبل فى الغاب
ومشى زأرا خلف حراب
خلف الأحقاب ! الأحقاب !
ويدق بصوت صخاب ..
« .. شجر الأبنـــوس غدا حـ
والقطن . القطن غدا حرا
والبن بسحنته الافريقيه
والنيم (١) بقامته الاستوائية !

***

وأفاقت افريقيا العظمى
شيئا ضخما !
شيئا يتمدد بعروقى !شيئاجهما!
شيئا مغروسا أعرفه فى البشريه

(١) شجر ينمو فى المنـــاطق الاستوائية .

فى بيت غزلت شرفتـه بخيـوط عبير شرقيه
فى طفل مشدوه يرنو من خلف ضفائر زنجيه
فى فأس قد لمعت فيها كل الغابات السحريه !
فى كرمة ضوء منفعل ! فى اغنيه !
فى همس نقوش مصريه !
فى أمنية
فى شيء سمى « حرية !! »

***

افريقيا
لا شيء اليوم سوى افريقيه
أحواض الشمس ستجعلها بالذرة رؤيا ذهبيه
لتغطى العرى بقريتنا
لترفرف فى هدب صبيه !
لتلون خد حديقتنا
لتزف سنابل ضوئية
لتشد ضفائر « قرويه »
لتعيد السلم الى قلبى
ولهذى الكرة الأرضية !!



بول كروجر

صفحة من الصراع الاستعماري في افريقية

للاستاذ مصطفى الشهابى

كان البرتغاليون أسبق الأمم الأوروبية الى ارتياد سواحل افريقية الغربية ، والمرور بجنوبها فى طريقهم الى آسيا .

ولم يجد البرتغاليون فى جنوب أفريقية ما يغريهم باستعمارها فانصرفوا عنها الى غيرها كما ألهت كنوز الهند وبيرو والمكسيك باقى الدول الأوروبية المستعمرة عن الاهتمام بافريقية ، اللهم الا فى أماكن قليلة على الساحل الغربى ، كان الغرض من الاقامة بها اقتناص السود والاتجار بهم .

واقتفى الهولنديون آثار البرتغاليين فى الاتجار مع آسيا ، وأنشأوا لهم مركزا عند « رأس الرجاء الصالح » سنة ١٦٥٢ لتموين السفن ، ومنذ ذلك التاريخ بدأوا الهجرة فى جماعات كبيرة أقامت عند « رأس الرجاء الصالح » وعرفت باسم « البوير » ، أى المشتغلين بالزراعة .

أما الانجليز فلم تتطلع أنظارهم يومئذ الى جنوب افريقية اكتفاء بجزيرة « سنت هيلانة » ولاهتمامهم بتوطيد استعمارهم فى الهند .

وعندما شبت نار الحرب بينهم وبين فرنسا من سنة ١٧٨٩ الى ١٨١٥ اتجهت أنظارهم الى « رأس الرجاء الصالح » لأنه كان خاضعا لهولندة التى كانت تحت حكم فرنسا حينئذ ولذلك احتلوه سنة ١٧٩٥ ثم أقر مؤتمر فينا سنة ١٨١٥ ضمه الى انجلترا .

ولما استتب لهم الحكم فيه جعلوا اللغة الانجليزية لغة التعليم والتقاضى كما ألغوا الرق مما أثار البوير .

وتجنبا للاصطدام بالانجليز ورغبة فى التخلص من سلطانهم قام البوير بهجرتهم الكبرى « The Great Trek » سنة ١٨٣٦ متجهين نحو الشمال فى جماعات كبيرة بلغ عددها نحو ١٠٫٠٠٠ وكان بين المهاجرين غلام نجيب هو « بول كروجر » .

ونزلت بعض هذه الجماعات فى « ناتال » واستوطن بعضها الآخر بين « نهر الأورنج » وفرعه المسمى « فال أو «Vaal » وأقام فريق ثالث فى اقليم شمال النهر الأخير ٠

وأنشأت الجماعة التى استوطنت « ناتال » جمهورية سنة ١٨٣٨ لم يلبث الانجليز أن تعقبوهم اليها ، وأعلنوا ضمها الى « رأس الرجاء الصالح » سنة ١٨٤٤ ٠

ولم يجد البوير مفرا من الرحيل مرة أخرى ، فغادروا « ناتال » الى الشمال ، وأقاموا « جمهورية أورنج الحرة » التى أعلن الانجليز ضمها الى « الرأس » سنة ١٨٤٨ ٠

واضطر البوير الى الهجرة من جديد لينضموا الى اخوانهم الذين عبروا « نهر فال » وكونوا « جمهورية الترنسفال » أو « جمهورية جنوب افريقية » سنة ١٨٤٩ ٠

واعترف الانجليز باستقلال هذه الجمهورية سنة ١٨٥٢ ، واستقلال « جمهورية الأورنج » سنة ١٨٥٤ ٠

وقد ولد « بول كروجر » ذلك الغلام النجيب الذى أشرنا اليه فيما سبق ، فى أكتوبر سنة ١٨٢٥ فى مدينة « كولزبرج Colesberg» احدى مدن « مستعمرة الرأس » ٠ ولما بلغ العاشرة صحب والديه فى الانتقال الى « ناتال » ثم الى الترنسفال فيما بعد ، ولذلك لم يبرح ذاكرته ما قاساه هو وأهله من مشاق ، مما ترك فى نفسه كل الكراهية للانجليز واشتغل مع أسرته بالزراعة ، ولما استوى عوده انضم الى فريق من الشباب لتوطيد الأمن والسلام على الحدود ، وكانت مهارته فى الرماية وبراعته الفائقة فى تذليل الخيل والثيران فضلا عن قوته الجسمانية الخارقة عوامل هامة جعلته مبرزا بين قومه ٠

وأتاح له نشاطه وغيرته أن يظهر بين الصفوف الأولى من العاملين على بناء الوطن الجديد ، وزاد اعجاب قومه به قدرته على اجتذاب القلوب بعباراته الفكهة وأسلوبه الجذاب ، وسلوكه الدينى ، وبساطته الظاهرة ولذلك انتخب نائبا لرئيس جمهورية الترنسفال سنة ١٨٧٣ ٠

غير أنه لم ينعم بالهدوء طويلا فى هذا المنصب ، لظهور عامل لم يكن فى الحسبان ، وهو اكتشاف الماس بالترنسفال ، وظهوره عام ١٨٧٥ بوفرة فى « كمبرلى Kimberley» لذلك لم يلبث الانجليز أن أعلنوا فى سنة ١٨٧٧ بلسان «لورد بيكنزفيلد» (دزرائيلى) رئيس الوزارة وزعيم المحافظين يومئذ ضم الترنسفال الى انجلترا ، بحجة قيام فتن متواصلة بين الترنسفال وجاراتها مما يهدد ممتلكات انجلترا ٠

والواقع أن الذى شجع « دزرائيلى »

على انتحال هذا السبب لضم الترنسفال الى الأمبراطورية هو أنه استطاع فى سنة ١٨٧٥ شراء أسهم مصر فى قناة السويس ، وبذلك اطمأنت انجلترا الى سلامة الملاحة نحو الشرق كما أضاف لقب أمبراطورة الهند الى ألقاب الملكة فكتوريا ، ولم يبق أمامه سوى « الترنسفال » والأورنج لكى ينشىء أمبراطورية جديدة فى جنوب افريقية

ولكن « كروجر » أبى الخضوع الى هذا القرار فبعث بوفد الى انجلترا محتجا على هذا القرار ولكن ذهبت احتجاجاته عبثا ، فقد أعرض عنها الانجليز وأصروا على موقفهم .

لذلك أخذ « كروجر » يتأهب لملاقاتهم ، فأرسلوا اليه بضع حملات فشلت كلها ، بل ان احداها منيت بهزيمة شنعاء ، وحدث تغيير فى الحكومة البريطانية ، وتولى الحكم « غلادستون » زعيم الأحرار الذى لم يكن يرى فائدة من ضم هذه البلاد فلما انهزم الجيش الانجليزى فى موقعة « تل ماجوبا » فى فبراير سنة ١٨٨١ اعترف « غلادستون » باستقلال الترنسفال تحت سيادة التاج البريطانى ، وأبرم معها اتفاقية « بريتوريا » سنة ١٨٨١ .

ولكن « كروجر » لم يرض بعد قليل بهذه الاتفاقية ، وذلك للغموض الذى اكتنف عبارة « تحت سيادة التاج البريطانى » فقصد الى انجلترا ، عقب انتخابه رئيسا للجمهورية ١٨٨٣ ، وأبرم مع الانجليز معاهدة جديدة فى سنة ١٨٨٤ ، استبدلت فيها كلمة السيادة « بشرط جديد يقضى بأن يباح للبيض أن يهاجروا الى تلك الجمهورية ، وأن يشتغلوا بالتجارة ، وألا تفرض عليهم ضرائب أكثر مما يفرض على البوير أنفسهم ، وأن تبقى علاقة البوير الخارجية بالدول الأخرى فى يد انجلترا وما كادت تنقضى على ذلك الاتفاق ثلاثة أعوام حتى اكتشف الذهب فى الترنسفال ، واجتذب اليه كثيرا من الأوروبيين ، وفى طليعتهم الانجليز بينما البوير منصرفون الى الاشتغال بالزراعة ورعى الماشية ، وظهرت مدينة جديدة هى مدينة « جوهانسبرج » التى بلغ عدد سكانها بعد قليل نحو مائة ألف نفس كما اكتشف الماس فى جمهورية الأورنج ، فنزح اليها الأوروبيون بدورهم .

وسال لعاب الحكومة الانجليزية ، وتطلعت أعينها الى امتلاك هاتين الجمهوريتين من جديد . وفى هذا الوقت كان « سيسيل رودس » (١)

---

(١) ولد « سيسل رودس » سنة ١٨٥٣ ودرس بجامعة « اكسفورد » وقدم الى جنوب افريقية سنة ١٨٧٠ ، واشتغل بتجارة الماس والبحث عنه ، وكون ثروة عظيمة ، ولما انتخب نائبا فى برلمان « مستعمرة الرأس » سنة ١٨٨٤ أخذ يعمل على توسيع الاملاك الانجليزية فى جنوب افريقية ، وفى سنة ١٨٩٥ عين رئيسا لوزارة هذه المستعمرة ، وتوفى سنة ١٩٠٢ .

يعمل جاهدا على اقامة جمهورية بريطانية واسعة النطاق فى أفريقية تمتد من مدينة الرأس الى مدينة القاهرة ويربطها خط حديدى يصل بين هاتين المدينتين ، وقد شجعه على التفكير فى هذا المشروع :

(١) توطيد سلطان الانجليز فى الهند وتتويج ملكتها امبراطورة ٠

(٢) احتلال انجلترا لمصر سنة ١٨٨٢ على أثر الثورة العرابية ٠

ولذلك أنشأ فى عام ١٨٨٩ شركة افريقية الجنوبية الانجليزية ، على غرار الشركة الهندية ، واستطاعت هذه الشركة بمعاونة الحكومة الانجليزية انشاء مستعمرة فى حوض « نهر الزمبيزى » سميت « روديسيا » نسبة الى اسمه ٠

وأدرك « كروجر » ما ترمى اليه السياسة الانجليزية ، فبدأ بالحد من الهجرة الى جمهوريته ، كما حرم على الأجانب — وكان جلهم من الانجليز — حق الانتخاب حتى لا يكون لهم رأى فيما يختص بالمسائل السياسية ٠

وأخذت الجاليات الأجنبية فى « جوهانسبرج » تردد الشكاوى للحكومة البريطانية ، وأيقن «كروجر» أن هؤلاء القوم الذين أثروا بفضل اقامتهم فى جمهوريته ينصبون له المكايد ، ويعملون متعاونين مع الحكومة البريطانية على القضاء على دولته ٠

وواتت الفرصة « سيسل رودس » فاتصل بهؤلاء المهاجرين ، وحثهم على الثورة ضد البوير ، وفى الوقت نفسه جهز على حدود الترنسفال مخفرا به فرقة من الجنود تابعة لشركته ٠

وفى شهر ديسمبر سنة ١٨٩٥ وصلت الى هذا المخفر رسالة يستنجد فيها سكان « جوهانسبرج » بالقوة العسكرية فيه ، للدفاع عنهم وحمايتهم مما يحيق بهم من أخطار ٠

فبادر « دكتور جمسون » قائد هذا المخفر الى مهاجمة الترنسفال فى ٢٩ ديسمبر ، ولكنه هزم شرهزيمة

وتلقى « كروجر » برقية تهنئة من امبراطور ألمانيا عقب اعلان نبأ هذه الهزيمة مما ثار الانجليز ، ولكنهم فى الوقت نفسه شعروا بالفشل والخذلان ، فأنكرت الحكومة البريطانية معرفتها شيئا من أمر هذه الغارة ، وأعلنت استنكارها لها ٠

وأظهر « كروجر » منتهى النبل ، فسلم أسرى هذه الحملة لمستعمرة الرأس ، وانتظر أن تعاقب الحكومة البريطانية المسئولين عنها ، ولكنها لم تتخذ أى اجراء ، مما أثبت له أنها كانت على علم تام بها ٠

ومرت ثلاثة أعوام اتسعت خلالها هوة الخلاف بين الانجليز وبين البوير الذين وحدوا صفوفهم ، وتطلعوا الى « كروجر » بطل الاستقلال ٠

واتخذ « كروجر » أهبته ، فأبرم تحالفا مع جمهورية الأورنج سنة ١٨٩٧ وأخذ يستورد من أوروبا كميات وافرة من الأسلحة والذخائر ٠

وعادت شكاوى الانجليز فى الترنسفال الى الظهور سنة ١٨٩٩ ، وبعثوا يتظلمون فجرت مفاوضات بين السير « الفرد ملنر » المندوب السامى وبين « كروجر » و « ستين Steyn» رئيس جمهورية الاورنج الحرة ، كان محورها منح الأجانب الجنسية البويرية واعطاءهم حق الانتخاب ، ولكن «كروجر» رفض هذا الطلب .

وبينما كانت المفاوضات تجرى كان الانجليز يوزعون الأسلحة سرا على القبائل الأفريقية داخل الترنسفال والأورنج ، ويحرضونهم على احداث قلاقل ، تمهد السبيل الى التدخل والقضاء على استقلالهما ، كما استقدموا جنودا من انجلترا ومن الهند ، مما أظهر بجلاء اتجاههم نحو حرب ضروس بعد أن انتهوا من اعادة فتح السودان ، وسويت الى حد كبير وجوه الخلاف بينهم وبين الفرنسيين .

ولم ينتظر « كروجر » حتى يهاجمه الانجليز بل أرسل انذارا نهائيا فى أكتوبر ١٨٩٩ طلب فيه :

١ ـ مغادرة جميع الجيوش البريطانية الموجودة على حدود الترنسفال والأورنج البلاد .

٢ ـ ترحيل جميع الامدادات التى جاءت الى جنوب افريقية منذ أول يونيو سنة ١٨٩٩ .

٣ ـ ايقاف أنزال القوات القادمة فى البحر .

وأعطى الحكومة البريطانية مهلة قدرها ٤٨ ساعة ، يعتبر انقضاؤها دون رد من قبلها اشهارا للحرب .

ولكن الحكومة البريطانية لم تكترث لهذا الانذار ، فبادر « كروجر » الى اعلان الحرب ، فبدأ بالهجوم على «ناتال» و « الرأس » وتدمير الخطوط الحديدية الموصلة الى جمهورية الاورنج ثم حاصر « كمبرلى » و « مافيكنج » و « لاديسمث » .

وقدرت انجلترا أنها ستهزم الدولتين بسرعة وبالقوات التى أمكنها حشدها ، ولكنها فشلت فشلا ذريعا ، ومنيت بهزائم شنيعة ، ولا سيما فى الستة الشهور الأولى ، وذلك لمهارة البوير فى الرماية ، واقتناص الضباط الانجليز بصفة خاصة .

ولكن الانجليز حشدوا قوات جديدة وأسندوا قيادتها الى « لورد روبرتس » ومعه « كتشنر » رئيسا لأركان حربه وقد استطاعا فك الحصار عن «كمبرلى» ثم « لاديسمث » فالتجأ البوير الى جمهورية الأورنج ، وتجمعوا فيها ولكنهم هزموا مرة أخرى ، وعقب ذلك استسلمت للانجليز مدينة « بلومفنتين » .

وشعر « كروجر » باقتراب الهزيمة فاتصل بالانجليز بغية عقد صلح شريف ، ولكنهم اشترطوا عدم بقاء الجمهوريتين مستقلتين .

ورغم هذه المساعى للصلح من قبل « كروجر » فقد استمرت الحرب ، وتوالت الهزائم على البوير ، وأعلن الانجليز ضم الأورنج فى ٢٨ مايو ، كما استولوا على « بريتوريا » فى ٥ يونيو ، وأعلنوا ضم الترنسفال فى الأول من سبتمبر ٠

ورغم هذ التشتت نتيجة للهزائم المتوالية استمر البوير فى المقاومة الباسلة ، مع علمهم أنهم يسيرون من سيىء الى أسوأ ٠

وبدأت حرب العصابات وكاد « لورد روبرتس » يقع أسيرا ، وبدأ الانجليز حربا وحشية لا مثيل لها فى التاريخ فكانوا يحرقون القرى والمزارع والأشجار ، حتى شاع الخراب فى كل مكان ، وأصبح البوير شبه عرايا لا طعام لهم سوى الأعشاب وأوراق الأشجار ، حتى فتكت بهم الأمراض والأوبئة والجوع ٠

ولما توغل الانجليز فى الترنسفال اضطر « كروجر » الى الالتجاء الى المستعمرات البرتغالية ومنها قصد الى أوروبا ٠

ورغم مغادرته للميدان ظل القتال مستمرا باستبسال لم يشهد له التاريخ مثيلا الا فى حروب «قرطاجنة»

ووصل « كروجر » الى فرنسا ، فأحسن القوم استقباله ، ولكنهم لم يلبوا رجاءه ، فقصد الى ألمانيا وهناك اعتذر امبراطورها عن مقابلته ، ولما توجه الى هولنده اعتذرت عن الوساطة بحجة أن ذلك من شئون الدول العظمى ٠

وتوالت الهزائم فاضطر باقى البوير الى طلب الصلح ، فأبرمت معاهدة ٣١ مايو سنة ١٩٠٢ وفيما يلى أهم شروطها : ــ

١ ــ تسليم البوير لأسلحتهم والاعتراف بسلطان الملك « أدوارد السابع » ٠

٢ ــ عودة من يوجد من البوير خارج حدود الترنسفال والأورنج ، وكذلك أسرى الحرب الى أوطانهم الأولى بشرط الاعتراف السابق ٠

٣ ــ لا يحاكم البوير العائدون بسبب الحرب ويستثنى من خالفوا القواعد المرعية فى الحروب ٠

٤ ــ تعلم اللغة الهولندية فى مدارس الترنسفال والأورنج الى جانب اللغة الانجليزية ٠

٥ ــ يصرح بحمل السلاح لكل بويرى بعد الحصول على ترخيص ٠

وكان اغتباط الانجليز بالصلح عظيما ٠

وقد بلغت خسائرهم ٢٢٣ مليون جنيه و ٣٨٫٠٠٠ قتيل و ٧٤٫٠٠٠ جريح ، أما البوير فكانت خسائرهم ١٨٫٥٠٠ قتيل و ١٥٫٠٠٠ جريح ٠

ولما أبلغت شروط الصلح الى « كروجر » قصد الى « اترخت » حيث أملى مذكراته ٠

ثم قصد الى « كلارنس Clarens » على شواطىء بحيرة جنيفا ٠ وهناك أقام حتى وافته منيته فى ١٤ من يوليو سنة ١٩٠٤ وفى ١٥ من ديسمبر نقل جثمانه الى « بريتوريا » حيث وورى مثواه الأخير ٠

مصر وأفريقيا في العهد الفرعوني

(٢)

مرت على مصر فى أواخر الدولة القديمة فترة ضعف استمرت نحو مائتى عام تغلبت فيها القبائل الجنوبية على السودان الشمالى ، فلما توطد الأمر فى مصر بمجيء الأسرة الثانية عشرة حوالى عام ٢٠٠٠ ق ٠ م ٠ بدأ مؤسسها الملك « أمنمحات الأول » تأمين حدوده ، ونهج ابنه « سنوسرت الأول » نهج أبيه وأراد أن يطهر الجنوب مما حل به ويؤمن حدود مملكته الجنوبية ، فأوسل عدة حملات الى بلاد النوبة ودنقلة ، وذهب بنفسه الى هناك فى عام ١٩٦٢ ق ٠م ٠

وها هو أحد رجاله « أمينى » أمير اقليم « بنى حسن » يحدثنا عن ذلك فى نص مكتوب فى مقبرته : « تبعت سيدى (يقصد سنوسرت الأول) عندما أبحر متجها نحو الجنوب ليقضى على أعدائه فى البلاد الجنوبية ٠ وسافرت جنوبا كرئيس لرجال اقليم الغزال (أبو قرقاص) ممثلا لوالدى الذى كبر فى السن ، وكان ذلك عن رضا السراى وتفضيل رجال البلاط ٠ فاخترقت بلاد « كوش » وسرت فى النيل حتى وصلت الى آخر حدود البلاد ، وأحضرت من هناك ما هو مستحق لسيدى (يقصد الضرائب) وبلغ مدح الناس لى الى عنان السماء ٠

وعاد سيدى بسلام بعد أن هزم أعداءه ، وعدت معه بعد أن صقلتنى التجارب ، وعاد معى رجالى سالمين ولم يفقد واحد من بينهم ... » .

وأسس « سنوسرت » كثيرا من الحصون فى المواقع ذات الأهمية الحربية ٠ سواء على مداخل الدروب الموصلة الى المناجم فى بلاد النوبة والسودان أو فى البقع التى يضيق فيها النيل مثل حصون « سمنه وكمه » جنوبى « حلفا » أو فى المواقع الهامة مثل « كرما » فى « دنقلة » .

وكانت تعيش فى تلك الحصون حاميات من الجنود المصريين ونشأت مع مرور الزمن على مقربة من كل حصن قرية تسكنها جالية مصرية ، زاولت التجارة والصناعة والزراعة ، وأخذت تنشر ثقافة الشمال فى البلاد الجنوبية ٠ وكانت بلدة « كرما » هى مقر حاكم البلاد الجنوبية ،

وفيهـــا عاش مصريون كثيرون مع عائلاتهم · وظل السودان فى هدوء تام مـدة ثلاثة وثمـانين عاما يؤدى الموظفون وحكام البلاد وأمراء الاقاليم واجبهم ، ولكن بعض القبائل الجنوبية قامت بثورة ، فلمـا علم بذلك الملك « سنوسرت الثالث » سارع بالذهاب بنفسه على رأس الجيش فى العـــام الثامن من حكمه أى عام ١٨٧٩ ق·م فأعاد النظام ووضع أساليب جديدة لادارة البلاد ، وشـيد المعاقل وأمر بأصلاح الحصون القديمة التى كانت قد بدأت تتـــأثر بمضى الزمن ، ونالت منهـــا الثورة ، كما أمر بشق ترعة فى صخور الشلال الأول ، لتسهيل مرور السفن حتى لا يتعطل ارسال الامدادات مستقبلا ، وأقام فى حصن « سمنه » وغـيره لوحات ، تخليـــدا لانتصـــاراته كما أشرت الى ذلك فى بداية هذا المقال ·

وأقام الكثيرون من أهل شـــمال وادى النيل فى السودان هم وعائلاتهم وزاد نفـوذ كهنة أمـون وانتشرت ديانته وأنشأ الفراعنة منذ عهد الملك « امنحتب الأول » وظيفة أطلقوا عليها « الابن الملـــكى فى كوش ــ حاكم البلاد الجنوبية » كانوا يطلقونها على الحاكم الذى كان يقيم فى « نباتا » على النيل فى البلد المعـروف باسم جبـل برقل ، وكان هؤلاء الحـكام يعيشون فى الســـودان ويحضرون كل عام الى « طيبة » ليقدموا هدايا الجنوب ، ويأتى معهم زعماء القبائل السودانية لزيارة العاصمة ·

وفى مقابر « طيبة » وعلى الأخص مقبرة « حوى » ٤٠ وهو حاكم كوش فى عصر الملك توت عنخ آمون نرى مناظر هذه الزيارات مفصلة تفصيلا واضحا ، ونستطيع أن نحكم بسهولة على ما وصلت اليه صناعة السودان من رقى كبير فى القرن الرابع عشر قبل الميلاد · وأقام الكثير من سكان الجنوب فى مصر وتركوا أثرا كبيرا فى حياة الأهالى اذ كانت منهم فرق للبوليس وبلغ بعضهم أرفع المناصب كمـا أن موســـيقى الســـودانيين ورقصاتهم ، وبعض أزيائهم وجدت رواجا كبيرا بين ســـكان « طيبة » وكثيرا ما اعتزوا برسمها على جدران مقابرهم ·

وأدرك الفراعنة تفوق أبناء السودان كمحاربين ، لا تلين لهم قناة ، فكونوا منهم فرقا كانت تحارب الى جانب أبناء الشمال فى الكثير من المعارك وساروا جميعا ، يفتحون بلاد آسيا وشاطىء افريقية وجزر البحر الأبيض المتوســـط · واعتبر ملوك الأسرة الثامنة عشرة جميع بلاد الجنوب جزءا لا يتجزأ من الشمال يهتمون برفاهية « أمون رع » تمجيدا له كلما حصلوا على نصر كبير فى بلاد آســيا ، ولما قام « اخناتون » بثورته الدينية وأراد

أن يمحو عبـادة « أمون » أرسل من يحطم اسمه أينما وجده سواء في مصر أو في النوبة أو في السودان وأنشأ له أيضا في السودان مدينة جديدة أطلق عليها اسم « جم – با – أتون » بنى فيها معبدا لالهه الجديد الذى أراد أن يكون الاله الأوحد فى الأرض كلها .

واحتلت عبادة الاله « أمون » مركزا رفيعا فى السودان ، وكان لكهنته فى « نباتا » نفوذ وثروة ، وكانوا يتصلون فى كل أمورهم بكهنة « طيبة » ويعتبرون أنفسهم فرعا لهم ، وكان هؤلاء الكهنة من نسل الكهنة المصريين الذين استوطنوا فى الجنوب ، وكانوا يعتبرون أنفسهم متصلين صلة روحية كاملة بطيبة ، وكان هذا الشعور الدينى الى جانب الشعور الوطنى هو خير ما يربطهم بالشمال وأهله . وزادت هذه الصلة عندما تولى كهنة « أمون » حكم مصر فى الأسرة الحادية والعشرين ، وأصبح كبير الكهنة يجلس على عرش البلاد . فلما تعرضت مصر لحكم عائلة أخرى أبى كهنة « طيبة » أن يخضعوا لحكمهم ، وظل الصعيد فى قلاقل فترة طويلة ، أما النوبة وما يليها من الجنوب فقد ظلت بعيدة عن نفوذ الأسرة الجديدة ، وعقد أبناء جنوب الوادى أمرهم ، وعلى رأسهم كهنة آمون بالطبع على أنهم حملة اللواء ، وأنه ليس من حق أحد أن يجلس على عرش طيبة غيرهم ، واعتبروا أنفسهم ملوك « طيبة » ومصر كلها .

وأول من نعرفه منهم هو « ألارا » ثم خلفه غيره على العرش ، وكانوا يحملون أولا لقب حاكم «كوش» ولكن لم تمض سنوات حتى أصبح اللقب الرسمى « ملك كوش وطيبة »

بدأ الملك « كاشتا » فى اقامة المعابد عند سفح جبل « برقل » فى عاصمة ملكه ثم خلفه على العرش ابنه « بعنخى » الذى أقام عدة معابد فى مختلف أنحاء البلاد ، وزاد فى فخامة المعبد القديم ، ووضع فيه لوحته الشهيرة التى دون عليها أنباء حملته الحربية .

وكان كهنة « طيبة » قد أرسلوا يطلبون مساعدته فى ايقاف «تفنخت» حاكم « صا الحجر » الذى بدأ فى اخضاع البلاد كلها لسلطانه ، وكان فى طريقه الى طيبة فى محاولة له لتوحيد مصر بعد تمزق شملها . ولبى « بعنخى » نداء كهنة « أمون » وأرسل جيشا من « نباتا » زوده بنصائحه في يوم رحيله ، وها هى بعض فقرات مما أوصى بها جنوده ، لنعرف شعور « بعنخى » ونظرته التى كان ينظر بها الى مصر :

« واذا ما وصلتم الى « طيبة » أمام « الكرنك » انزلوا فى النهر ،

واغتسلوا فى مياهه ، والبسوا ملابس الكتان الجميلة ، وضعوا القوس جانبا واخلعوا عنكم جعب السهام . لا يفخرن رئيس منكم بقوته فانه لا قوة لمن لا يؤمن بآمون ، انه يحيل الضعيف الى بطل ، ويجعل الجموع تجرى أمام فئة قليلة ، ويستطيع فرد واحد أن يتغلب على الف بمعونته . رشوا ماء مذابحه عليكم ، وقبلوا الأرض أمامه ، وقولوا له قدنا لنحارب فى ظل سيفك القوى ! ان الجيوش التى تأتى اليك يصبح نصرها محققا ، لأنها ستهزم كل الجموع » .

وفعل جنوده ما أوصاهم به زعيمهم ، وأخذوا يخوضون معركة بعد أخرى فى الشمال دون أن يتمكنوا من احراز نصر حاسم . وكانت أخبار هذه المعارك تصل الى « بعنخى » أولا بأول وهو فى « نباتا » فتضايق ، وصمم على أن يذهب بنفسه الى مصر ومعه امدادات من الجيش ليضع حدا لما هو حادث هناك فسافر الى « طيبة » وقضى فيها أيام عيد (ابت) وهو أكبر أعياد « آمون » ، وكانت الاحتفالات به تستمر أربعة وعشرين يوما ، ثم سار نحو الشمال وكانت جيوشه تحاصر « الأشمونين » فشدد عليها الحصار الى أن سلم له أمرها .

ومن طريف ما حدث أن «بعنخى» زار اصطبلات هذا الأمير ، ورأى ما آل اليه أمر جياده التى هزلت فصاح فى الأمير « انى أقسم بحب « رع » لى أن ما أصاب هذه الخيول من الجوع أحزن قلبى أكثر من أى شىء أتيت به فى سبيل تنفيذ مآربك » .

ويستمر النص القديم فيحدثنا كيف ضم « بعنخى » كل ما وجده فى المدينة من ثروة وكنوز الى خزائنه وخزائن « أمون » ثم يستمر «بعنخى» فى زحفه حتى جاء أسوار « منف » واستولى عليها بعد تنفيذه خطة حربية تشهد بمقدرته ، واستسلمت له البلاد ، واستقرت فيها الأمور ، ورأى من حسن السياسة أن يقبل خضوع الأمراء الذين كانوا يقاومونه فتركهم فى اماراتهم بعد أن تعهدوا بالخضوع له ، وعاد « بعنخى » الى « نباتا » ومعه كنوز لا تحصى من أموال الأمراء الذين استولى على مدنهم ، فأقام المعابد وزخرفها وقدم الى الاله آمون وكهنته كثيرا من الأموال والهدايا .

ومرت على مصر فى فترة من فترات ضعفها أيام حالكة عند ما أغار عليها بعض الأعداء ، ووقعت فريسة لقبائل « الهكسوس » وكان من نتيجة ذلك احتلالهم لبلاد الدلتا ، وفرض سلطتهم على الصعيد ، واستمر حكمهم لمصر نحو مائة عام .

ونحن حتى اليوم نجهل كيف سارت الأمور فى جنوب وادى النيل وكيف كان حال الجاليات المصرية هناك وكيف كانت نهاية الحصون المصرية ، وما فيها من جنودهم وعائلاتهم ٠

فلما أراد الله للروح الوطنية أن تهب من رقادها ، وسار أمراء « طيبة » على رأس جيشهم يطاردون المحتلين حتى استأصلوهم من البلاد بدأت العلاقات بين شمال النيل وجنوبه مرة أخرى ٠

وأثناء احتلال « الهكسوس » لمصر ، وانقطاع الصلة بين الشمال والجنوب نشأت فى جنوب مصر مملكة عرفت باسم « كوش » وهو الاسم الذى بدأ يظهر للدلالة على تلك البلاد منذ الدولة الوسطى ، وكان لها ملك جاء ذكره على اللوحة الجديدة التى عثر عليها فى « معبد الكرنك » فى عام ١٩٥٣ وهى من عهد الملك « كامس » الذى كان يحارب « الهكسوس » ٠

جاء فى هذه اللوحة أن ملك « الهكسوس » بعث برسالة الى ملك « كوش » يطلب فيها منه أن يهاجم مصر من الجنوب أثناء انشغاله بالحرب معه فى الشمال ، ويعرض على ملك « كوش » أنهما يتقاسمان بينهما المنطقة التى يسيطر عليها أهل «طيبة» فى الصعيد ، ولكن هذه الرسالة وقعت فى أيدى رجال « كامس » وبالرغم من ذلك فقد احتاط للأمر وحصن حدوده الجنوبية ، وأرسل حامية الى الواحات البحرية ، لئلا يتقدم جيش « كوش » من الجنوب عن طريق الواحات ٠

ورأى الملك « أحمس الأول » الذى تولى الملك بعد أخيه « كامس » وأتم الفوز على الأعداء أنه لن يطمئن على سلامة مصر طالما كان لعدو البلاد قوة حربية على مقربة من حدودها ، فتبع « الهكسوس » الى فلسطين حيث حاصر قوات أعدائه ثلاث سنوات ٠ حتى استولى على مدينة « شاروهانا » التى عسكروا فيها ولم تعد الجنود المصرية الى وادى النيل بعد أن طهرت فلسطين بأكملها من جنود العدو ، بل زادت على ذلك بأن وضعت الحجر الأول فى بناء امبراطورية مصرية ٠

وفى الأعوام الأولى المليئة بالصعاب بل فى أول عهده لم ينس « أحمس الأول » أنه لا حياة لمصر ولا طمأنينة لملكها الا اذا كانت الطمأنينة تسود الأقاليم الجنوبية ، ويحدثنا أحد قواد « أحمس » ابن « ابانا » فى تاريخ حياته الذى سطره على جدران مقبرته فى الكاب على مقربة من « أدفو » أنه كقائد بحرى ذهب مع سيده فى حملة الى بلاد « واوات » ثم تكررت الحملات ولم ينته عهد أول ملوك الأسرة الثامنة عشرة وهو

« أحمس الأول » الا بعد أن عادت الصـــلات بين شـــمال وادى النيل وجنوبيه الى ما كانت عليه من قبل وأخذت القوافل البرية وسفن النيل تأتى الى « طيبة » محملة بخــيرات السودان من ذهب يستخرجونه من مناجم النوبة ، وبخاصة فى « وادى العلاقى» أو من التبر فى شرقى السودان على حدود الحبشة ، وخشب الآبنوس والعاج وريش النعام وبيض النعام وجلد الفهد ، وغيره من الحيوانات والصمغ والعطور والنباتات المستعملة فى الطب ، وتعود محملة من مصر بالكثير من مصـنوعاتها المطـلوبة فى السودان ، وأهمهـا الحلى وأنواع العقود المختلفة والأسـلحة بأنواعها والعطور ، وفى الأسرة الثانية عشرة والتاسعة عشرة اصطبغت بلاد النوبة وشمال السودان بصبغة مصرية تامة وأنشأ ملوكها المعابد فى جميع أرجاء بلاد « النوبة » و « دنقلة » وعبدت البلاد كلهـا الاله « أمون رع » اله طيبة .

وكانت أيام حكم هـذه العائلة فى الشـمال معاصرة للوقت الذى بدأ فيه نجم الدولة الأشورية فى الارتفاع وأخذت تمد سـلطانها على جميع بلاد آسيا الغربيـة ، وتخضع الدويلات السورية واحدة بعد أخرى ، وأصبحت وجهـا لوجه أمام مصر . وبذل « طهراقا » ابن « بعنخى » كل ما فى وسعه سواء بتأليب بعض بلاد فلسطين وسوريا على الأشوريين ، أو بخوض غمار الحرب بنفسه على رأس جيشه ولكن الأمر انتهى بهزيمته وارتداده الى « نباتا » .

ولما استولى الأشوريون على مصر ، رأى ملوك « نباتا » أن عاصمتهم قريبة من الحدود ، ولهذا أنشـأوا عاصمة ثانيـة الى الجنوب منها ، وهى مدينة « مروى » التى أصبحت بعـد ذلك ببضعة قرون عاصمة الجنوب ، وكانت منذ عام ٣٠٠ قبل الميـلاد على وجه التقريب عاصمة المملكة المروية الشهيرة والتى بقيت نحـو ٦٥٠ عاما ، حتى قضت عليهـا مملـكة « اكسوم » المسيحية فى الحبشة .

وكان لنقل العاصمة الى الجنوب على مقربة من مدينة « شـندى » الحالية أثر كبير فى وصول الحضارة المصرية القديمة الى المناطق الجنوبية ، فوصلت الى كثير من أطراف السودان الحالى ، والى البلاد المحيطة ــ ولهذا لا نعجب اذا رأينا أو قرأنا عن عادات أو طقوس دينية أو أساليب فنية ، تشبه العادات أو الطقوس أو الفنون المصرية الفرعونية فهى اما أن تكون باقية بين الشعوب التى تشترك مع قدماء المصريين فى أصلهم الحضارى منذ أبعد العهود ، واما أن تكون باقية بينهم ، منـذ مدت مملكة « مروى » نفوذها السـياسى والتجارى الى قلب القارة الافريقية ،

وكانت حضارتها دون شك متأثرة الى أبعد الحدود بالحضارة المصرية ٠

وفى جميع العهود ظلت صلة مصر التجارية ببلاد « بونت » مستمرة وذلك لحاجة المعابد الى البخور أثناء الطقوس الدينية ، وحاجة الناس الى العطور فى حياتهم الخاصة ٠ وعندما اشتد التنافس التجارى بين أمم البحر الأبيض المتوسط فى القرن السادس الميلادى ، وكان نجم اليونانيين قد أخذ يعلو اذ ذاك وأصبحوا خطرا على الفينيقيين ، كما كانت مصر فى الوقت ذاته قد دخلت فى فترة من فترات نهضتها ، فقد أراد « نكاو الثانى » أن يجد أسواقا ومجالات جديدة ، فأرسل أسطولا صغيرا ليتتبع شاطىء افريقية الى نهايته. ويقص علينا المؤرخ « هيرودوت » الذى عاش فى القرن الخامس قبل الميلاد نبأ هذه الرحلة ٠ ويذكر أنهم قضوا فيها ثلاث سنوات حتى عادوا من جبل طارق الى البحر الأبيض ٠

ويلقى « هيرودوت » شيئا من الشك على ما ذكره أولئك البحارة بأنهم عندما بدأوا فى رحلتهم من البحر الأحمر سائرين على مقربة من الشاطىء ظلوا دائما فى طريقهم نحو الجنوب ، وكانت الشمس تطلع من الناحية اليسرى ، ولكن ذلك تغير فى أحد الايام ، ووجدوا أن الشمس قد بدأت تطلع من ناحية اليمين حتى دخلوا البحر المتوسط ٠ يتشكك هيرودوت فى هذه النقطة بالذات لغرابتها فى نظره ، ولكنا نعلم الآن أنها أكبر دليل على صدقهم لأن تغير طلوع الشمس قد حدث عندما داروا حول رأس الرجاء الصالح ٠

وعاد ذلك الأسطول الصغير ومعه حاصلات وخيرات كل ما مر به من بلاد على شواطىء افريقية كلها من الشرق والغرب والشمال ، وعادوا أيضا دون شك بكثير من القصص والمعلومات عما شاهدوه وعمن قابلوه من شعوب ٠

وكثيرا ما نقرأ فيما بين أيدينا من كتب أن « لفنجستون » وستانلى وسبيك وشفينفورت » وغيرهم من الرحالة الافرنج هم أول من اكتشف افريقية وأول من وصل الى داخلها الى آخر ما هناك ٠ ونحن لا ننكر على هؤلاء الرحالة العلماء شجاعتهم وفضلهم ، ولكن واجب التحقيق العلمى يحتم علينا أيضا أن نعرف شيئا عن جهود الرحالة المصريين الذين زاروا تلك المناطق قبلهم ببضعة آلاف من السنين ٠

ونذكر أيضا فضل مصر ، وهو بلد واقع فى القارة الافريقية ، فى ايصال الكثير من عناصر المدنية والعلم الى داخل القارة ، ونذكر أيضا أن ذلك لم يقتصر على داخلها ، وانما امتد الى جميع البلاد الواقعة على شاطىء البحر الأحمر منذ أقدم العصور ، وأنه حوالى عام ٦٠٠ قبل مولد المسيح أى منذ أكثر من خمسة وعشرين قرنا سارت السفن التى بعث بها « نكاو الثانى » ملك مصر حول شواطىء افريقية كلها وعرفت شعوبها ٠



جوموكينياتا

تمتلىء افريقية اليوم بالبطولات السياسية والكفاح المستميت ، وتستطيع فى كل مكان تذهب اليه أن تلمح « جباها عالية » تزدحم حولها آمال الشعوب فى الحرية ، والمساواة، وازالة الفوارق اللونية ، والحواجز الوهمية ، واسترجاع الأرض الطيبة ..

ومن هذه الجباه العالية نلمح « جوموكنياتا » البطل المكافح الذى عاش مرارة بلاده وأوجاعها وضياعها منذ عام ١٩٠٤ مع ٥ر٥٠٠ر٠٠٠ مواطن كينى ،فقد ولد فى أسرة فقيرة مطرودة من الجنة الكينية التى يطلق عليها «الأرض العالية » والتى تتميز بالخصب والجمال مع كثيرين من ضحايا الرجل الأبيض ، وكم فى هذه الأرض للشعب الكينى من ذكريات وآمال وعمر ، وتراث • !

... وكثيرا ما أطل « جومو » مع صبيان قبيلة كيكويو من السفح الذى ألجئوا اليه فى حنان وألم الى هذه الأرض الجميلة ، فقد سمعوها قصة تروى من شفاه شيوخ القبيلة، ومن عيونهم أيضا ، فقد كانوا يبكون حينما يذكرونها فى حلتها الخضراء المتوجة بأشجار البن ! ! وكثيرا ما كانوا يطرقون وهم يتحدثون فيخيل للسامع من البريق الذى يلمع فى عيونهم وحديثهم أنهم يرونها فى أعماقهم أيضا !فقد عاشوها فصولا ، وبراعم ، ومراعى ، وأشجارا ...

ومن هنا فلم يذق «جومو» اليتم لأول مرة حين مات والده وهو فى العاشرة من عمره • لأنه كان قد ذاق هذا اليتم فى اليوم الذى عرف فيه أن « الأرض العالية » كانت يوما لأسرته ، وأنه لا يستطيع الآن الا أن ينظر اليها فقط ! وكبرت هذه الحصيلة من الألم حينما أشرف فى أحد أمراضه على الموت •

وقد ساعدكل هذا فى النمو السريع لانسانيته فكان رفيقا بزملائه فى الارسالية ، ومسرعا الى مساعدة الراهبات بعد فراغه من دروسه ، وكثيرا ما ضاعف عمله كنجار ليرسل الى أسرته بالنقود • فقد كان يخفف المشقة عليه أن العرق الذى يتصبب من جبينه سيتحول الى ابتسامات فى وجوه سمراء يحبها ! وجوه افريقية يأكله الحنين اليها ! •

وقد خرج تماما من ذاتيته الضيقة الى ذاتية شعبه سنة ١٩١٩ حينما عين فى منصب مترجم بالمحكمة العليا . ورغم أنه حورب فى رزقه اكثر من مرة الا انه وصل بفضل ذكائه وقلمه الى منصب رئيس تحرير « مويجتانيا » كما قفز الى رياسة الجماعة التى اخذت على عاتقها تحرير بلاده .. خاصة وأن تجاربه قد نضجت بأسفاره المتعددة، وقد كان لأسفاره الى روسيا وانجلترا أثر كبير فى نفسه ففى انجلترا درس وقام بتدريس علم الأجناس فى جامعة لندن ، واتصل بكل من يهمهم أمر بلاده ، وفى سنة ١٩٤٢ . تزوج انجليزية لا تؤمن بالتفرقة العنصرية واسمها « اونا جريس كلارك » وحينما عاد الى بلاده عام ١٩٤٦ رأى الفقر الذى عم البلاد بعد مجاعة ١٩٤٣ فقد أرهق الشعب بسبب مظالم البيض ؛ واستيلائهم على الأراضى الصالحة للزراعة ، وفداحة الضرائب . فالفقراء هم الذين يدفعون نفقة تعليم قلة من البيض على حد تعبيره ! هذه القلة التى لا يتجاوز عددها ٤٢٠٠٠ غاصب ، والتى لا تهتم بشىء قدر اهتمامها بتجميد أرزاق ودموع الكينيين فى بنوكهم البعيدة ! والذى يزور هذه البلاد يرى أن جميع المرافق الكينية قد أهملت اهمالا متعمدا ! اهمالا يحول كل المشاعر الطيبة فى الانسان الى مشاعر حاقدة على صانعى المأساة

ولنأخذ مثلا واحدا على المواصلات لجون جنتر فهو يقول « قد ظل البريطانيون فى كينيا ٥٠ سنة ، ومع ذلك فان طرقها تتفوق فى رداءتها على طرق صحراء التبت ، وبعض هذه الطرق اسوأ من طرق غرب أمريكا قبل اختراع السيارات .. »

ومهما يكن من شىء فقد كان للمد الثورى الذى عم البلاد بعد الحرب العالمية الثانية ونضوج الوعى التحررى أثر كبير فى تحول البلاد عن الهدوء والصمت الى الاصرار والمقاومة فقد استحالوا جميعا الى حقد غاضب ، ورمح مشتعل وغابة تتوعد وهكذا تجمعت العزائم الكينية فى تكتلات عنيفة قامت بها جماعة « الماو ماو » فأصبح لها نشيد يرعد، وقسم يوفى به ، ونظام ينتقم . فقد أصبح شعارها « لن نلقى السلاح حتى نسترد أرضنا من الرجل الأبيض ! » ومن أهم أغراض هذه الجمعية أن تصبح كينيا للكينيين ، وأن يعيش كل مواطن فى حرية وسلام، ويمكنك أن تلمح هذا الاصرار الرائع فى قسمهم الذى يقول « **ليقتلنى هذا القسم اذا ارتكبت عملا من أعمال الخيانة أو شهدت على عضو فى الجمعية ، وليقتلنى هذا القسم اذا لم أقتل أعداء الجمعية ومنهم الأوروبيين عندما يطلب منى ذلك ، وليقتلنى هذا القسم اذا دعتنى الجمعية ولم ألب النداء ، وليقتلنى**



جوموکنیاتا

هذا القسم اذا لم أؤيد زعماء الجمعية فى أية قضية قانونية ، وليقتلنى هذا القسم اذا لعنت بيت « مومبى » (قبيلة كيكويو) ، أو هذه الجمعية ، وليقتلنى هذا القسم اذا بعت أرضى لأحد غير بيت ((مومبى)) ولتذهب نفسى شعاعا ، وليقتلنى هذا القسم ان أفشيت سر الجمعية !)) .

ورغم أن الاستعمار حكم على « جوموكنياتا » بالأشغال لمدة سبع سنوات الا أن الشعلة التى رفعها لا تزال مرفوعة على الظلام !.

لقد قال مستر هكسلى «ان الشىء الوحيد الذى قامت به بريطانيا فى كينيا هو أنها جعلت من حياة الفلاح جحيما لايطاق . اذ يملك السكان البيض وهم البريطانيون وعددهم ثلاثون ألف نسمة كل الاراضى الزراعية . فى حين أن سكان كينيا وهم خمسة ملايين لا يملكون شيئا » .

... ولكن هذه الأرض سترد الى شعب « جوموكينياتا » وسنغرس الرماح الكينية كالأعلام ـ والرماح هى أعلام افريقية ـ حول هذا الوطن الكبير . ولن يتحدث الشيوخ مرة ثانية عن أرضهم بعيونهم الدامعة بفضل رجل فى كينيا عاش مرارة بلاده وأوجاعها وضياعها ... رجل افريقى يسمى « جوموكينياتا » .

***

.. ولقد أحب الأدباء العرب هذا الوجه الافريقى المنحوت من امجاد كينيا ومشكلاتها ، فتردد فى أعماق الكثير منهم شعرا وقصة ولوحة . ومن أجمل صوره الكفاحية تلك الصورة التى رسمها له الشاعر السودانى الكبير محيى الدين صابر فى عمق ، وحب . فهو يقول :

هذه كينيا مشت للثورة
واستجاشت ثورة صاعدة
فهى رمح من نداء الغابة
« جوموكنياتا » مشى يحملها
أقسمت « كينيا » له ثائرة
انها افريقيا ناهضة
سجنوا « جومو » فما تهمته ؟
ان سجنتم جسمه لن تسجنوا
.. شعب «كينيا» أنت فى معركة

مشية الأحرار للحرية
يا لها من ثورة صاعدة
وهى فأس من اباء القرية
شعلا صادرة عن شعلة
بالدم الساخن فوق الحربة
كلها « ماو ماو » يوم النهضة
حب كينيا يالها من تهمة !
روح « جومو » فهو رمز العزة
وستلقى النصر فى المعركة

ع . ب

سلطنة آل بوسعيد
وأرض الزنج في شرق أفريقية

بقلم الآنسة سميرة محمود حسن

(١)

القسم الاول من نشأتها حتى نهاية القرن الثامن عشر

تمهيد

عرفت المنطقة من الساحل الافريقى الشرقى باسم « أرض الزنج » . وتبدأ من سفاله (فى موزنبيق) فى الجنوب الى رأس غوردفراى فى الشمال وشملت هذه المنطقة الساحلية من البقاع الداخلية جنوب أتيوبيا وصوماليا بأقسامها الثلاثة (البريطانية والفرنسية وصوماليا) وكينيا وتنجانيقا ويوغندا وكذلك الجزائر الواقعة بالقرب من الساحل ، وقد أطلق على الرقعة المائية التى تطل عليها هذه المنطقة اسم « بحر الزنج » وهذا التعريف قديم ورد فى الكثير مما وصل الينا من كتابات منها «جغرافية بطليموس الاسكندرى» (حوالى ١٣٠ م) ومن بعده « كوزموس Cosmos الاسكندرى » أيضا (فى نهاية القرن السادس الميلادى (١) . ونقل عنهما الكتاب والرحالة العرب (٢) . وقد كانت هذه المنطقة معروفة منذ أربعة آلاف عام لوجودها فى نطاق المدنيات القديمة ، فقد أرسل اليها المصريون القدماء قوافلهم البحرية للحصول على البهارات والأخشاب العطرية والمر والعاج والابنوس . خاصة وأن الأخشاب العطرية كانت من مستلزمات الطقوس الدينية ؛ وجاء اسم هذه المنطقة فى الآثار المصرية باسم بلاد بونت Punt ؛ كما جاء

---

(١) Ptolemy Geography-Cosmoss Topopaphia Christiana.

(٢) ابن خرداذبه ، ابن الفقيه ، الاصطخرى ، ابن حوقل ، المسعودى ، الادريسى ، ياقوت ، القزوينى ، أبو الفدا ، ابن الوردى ، ابن خلدون ، ابن بطوطة وغيرهم .

اليها العرب من جنوب الجزيرة وغربيها ، وجاءت أيضا السفن من الخليج الفارسى والهند وشرقى آسيا واندونسيا والصين . وقد ترك هؤلاء الكثير من آثارهم فى بناء السفن والملبس والزراعة . وكان اتصال هذه المنطقة بالأوروبيين فى نهاية القرن الخامس عشر الميلادى بعد أن تعطلت التجارة مع موانىء البحر المتوسط باستيلاء العثمانيين على القسطنطينية وسيطرتهم على موانىء ذلك الشاطىء (١) .

وكانت السفن تسير فى قوافل تحمل السلع من المناطق الآسيوية ومنها البلح والملح والسمك المجفف والمنسوجات ، للتبادل بطريق المقايضة .

ويعتبر العاج من أهم هذه السلع وكانت هذه السفن تبدأ رحلاتها فى بداية الرياح الموسمية الشمالية الشرقية ، وتعود فى حقبة الرياح الموسمية الجنوبية الغربية (الرياح الموسمية الشمالية من نوفمبر الى مارس، والجنوبية من ابريل ومايو ، وتعقبها أمطار غزيرة تقل فى أكتوبر) .

واتخذت هذه المجموعات وغالبيتها من العرب ، وبعض أهل شيراز والهنود (البنيان) محطات لها على الشاطىء الافريقى للأغراض التجارية، ولاقامة منشآت للتخزين ولتموين السفن بحاجياتها المختلفة ، وهبطت على الجانب الافريقى من خليج عدن جماعات من أهل الجزيرة الغربية، وقد انشأت فيها محطات ، وعرف ذلك الشاطىء باسم البنادر ، وكان نشاط هؤلاء فى الأماكن التى حطوا رحالهم فيها مقصورا على ممارسة التجارة ، وقامت فيها زعامات ورياسات محدودة فى أضيق الأوضاع وازداد النشاط التجارى فى صدر الاسلام ، كما ازدادت الهجرات الى الشاطىء الافريقى الشرقى ، والى الأقاليم التى ضمتها دار الاسلام ، وتتابعت الهجرات الى خارج الجزيرة العربية ، بسبب الخلافات والانقسامات التى حدثت فى القرن التاسع الميلادى . ولم يمض طويل وقت حتى تكونت من هؤلاء المهاجرين أقاليم ومدن قامت منها سلطنة الزنج التى استمرت أكثر من خمسة قرون ، وانتهت فى أوائل القرن السادس عشر الميلادى بدخول البرتغال الى هذه المنطقة . ومما تجدر الاشارة اليه أن هؤلاء المهاجرين من العرب والفرس وغيرهم قد جاءوا الى هذه الرقعة بمدنية البلدان التى خرجوا منها ؛كما خلقوا أمة سواحلية ، ولغة جديدة للتفاهم، تفى بالكثير من المطالب اليومية التى أخذت من لغات الوافدين ،وهذه اللغة هى المعروفة « بالسواحلية » .

---

(١) مقال تيبوتيب ــ مجلة نهضة افريقية ص ١١ ــ العدد الأول نوفمبر سنة ١٩٥٧ .

"Ki Swahili" الواسعة الانتشار في هذه المنطقة بصفة خاصة ، وفي داخل البلاد بصفة عامة .

وقد أصيبت السلطنة في سنواتها الأخيرة بالتدهور من جراء الخلافات الداخلية ، وكان مصدر هذا الخلاف هو التنافس بين الحكام ، ونظم ولاية العرش ، واغتصاب بعض الوزراء للسلطات من السلطان الشرعي ، وعزل هذا واقامة ذاك تبعا لأهوائهم .

وكانت سلطنة الزنج بوضعها الذي وصلت اليه في نهاية القرن الخامس عشر الميلادي فريسة هينة لاستيلاء البرتغال على المنطقة ، وفرض سيادتهم عليها . وتدخل الأسطول العثماني في القرن السادس عشر الميلادي ، غير أنه أصيب في نهاية الصراع بهزيمة ساحقة أسر فيها قائد الأسطول على بك بعد أن نجح في اخراج البرتغال من غالبية المحطات الشمالية ، ونقل على بك الى البرتغال حيث توفى بعد بضع سنوات ، غير أن الصراع لم يمت بل استمر حتى القرن الثامن عشر ، وانكمش سلطانهم الواسع على طول شاطىء بحر الزنج في موزنبيق . ولم يترك البرتغاليون أثرا في هذه المنطقة اللهم الا بعض كلمات دخلت اللغة السواحلية ، كما أدخلوا زراعة أشجار الأناناس والكاسافا ؛ وهواية مصارعة الثيران بصورة قد تختلف بعض الشيء عما هو متبع في وطنهم .

(٣)

اللغة السواحلية :

لايعلم على وجه التحقيق والتحديد التاريخ الذى بدأ فيه استخدام السواحلية كلغة للتخاطب في المعاملات اليومية بين مجموعات السكان المتباينة ، ومختلف الجماعات من التجار الوافدين من آسيا وغيرها من المناطق المجاورة ؛ ويعتقد أن هذه اللغة قد تدرجت مع مرور الزمن كنتيجة النشاط التجارى مع التجار من العرب والفرس والهنود والملايو وسوريا واندونسيا وغيرها ؛ وكان طبيعيا أن تدخل هذه اللغة كلمات كثيرة من مختلف لغات التجار الوافدين ، وأخذت هذه اللغة في النمو والانتشار بصورة محددة بعد قيام سلطنة الزنج في القرن العاشر الميلادى ؛ متمشية في ذلك مع ازدياد الحركة التجارية ، ونتيجة لهذه الزيادة في التجارة أخذت في التغلغل نحو الداخل مع القبائل التى تمارس التجارة او تضطر بسبب أو آخر الى الرحيل من مواطنها الى مواطن أخرى؛ وقد أخذت هذه اللغة أيضا من اللغة البرتغالية ، ومازالت تدخلها كلمات من اللغات الاجنبية ؛ وتستخدم هذه اللغة في حدودها اللغوية ، كلغة للتفاهم بين مختلف القبائل ـ بالاضافة الى لغاتهم الخاصة ـ في المنطقة من ساحل البنادر (خليج عدن) شمالا

الى موزنبيق جنوبا وتمتد فى الساحل حتى الجانب الشرقى من الكونغو .

وتعرف هذه اللغة باسم ال كى سواحلية "Ki Swahili" (وكى Ki معناها لغة ـ وسواحلى . ساكن الساحل) ومما تجدر الاشارة اليه أن هذه اللغة قد تأثرت الى حد بعيد باللهجات القبلية المحلية فى مخارج الحروف ، وفى استبدال حرف بحرف (مثل الفاء والباء) فالسواحلى الذى يسكن منطقة « مقدشيو » مثلا ينطقها بصورة مغايرة لساكن منطقة ممباسا وهكذا ، ولكنها فى جميع لهجاتها المحلية لا تختلف فى أصولها الاساسية عن العربية والفارسية واللغات المحلية ، وتكتب هذه اللغة السواحلية بالأحرف العربية ، ويهتم الأوروبيون بنشرها بأحرف لاتينية .

وقد اهتم الأجانب بدراسة هذه اللغة ، وأخرجوا لها مراجع كثيرة ، ومازال ميدان البحث فى حاجة الى دراسة أوسع للتعرف على مراحل انتشار هذه اللغة وتطورها ، ومدى أثر اللهجات المحلية عليها فى مختلف المناطق ، وهذه الدراسة سوف تساعد كثيرا على معرفة الهجرات العربية والمسالك التى اتخذت منها خطوط سيرها بين الداخل والساحل .



خريطة توضح بحر الزنج والمناطق المجاورة

(٣)

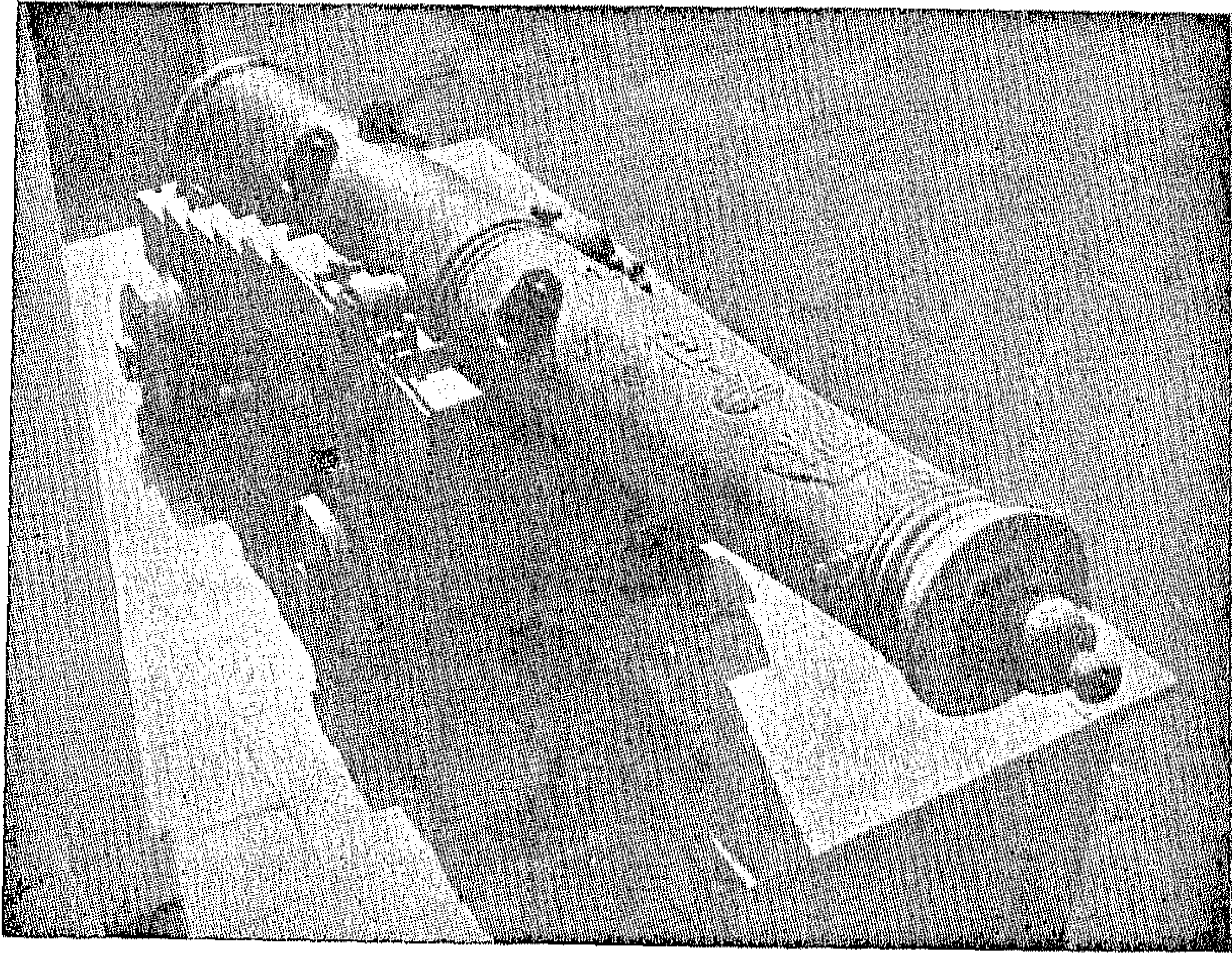
الأسرات العمانية وشرق افريقية

قامت هذه الأسرة فى عمان (الواقعة فى جنوب الجزيرة العربية وتطل على خليج عمان من جهة الشرق وعلى بحر العرب من الجنوب) وذلك فى حوالى ٧٥٠ م وذلك عندما نادى الجلند بن مسعود بنفسه حاكما للمنطقة ، واتخذ لنفسه لقب امام عمان ، وقد توارث هذا اللقب خلفاؤه الأربعة ، وينتمى الجلند الى الأزد وهو أباضى المذهب وقد حافظت هذه الأسرة على استقلال بلدهم أمام محاولات خلفاء بغداد ، واستمر هذا البيت فى الحكم مائة عام تقريبا ، وبوفاة الامام الخامس انتقل الحكم الى بنى نبهان الذين اتخذوا لأنفسهم لقب « سلطان » واستمروا فى الحكم لحوالى أربعة قرون تعرضوا خلالها لمحاولات غزو الفرس ، وبسط سلطان الفرس عليهم ؛ وكان لقسوة ملوك بنى نبهان أثر فى ثورة السكان فى عمان وانتزاع الحكم منهم واسناده الى أمير من بيت الجلند وجعلوه اماما عليهم ، وجاء الاسطول البرتغالى الى هذا الشاطىء فى عام ١٥٠٨ م استطاع قائده البوكرك Al Buquerque احتلال الشاطىء الشرقى من عمان وجعله مستعمرة برتغالية ، وقد استمر حتى أوائل القرن السابع عشر .

وعندما انتقل الحكم الى اسرة جديدة على رأسها ناصر بن مرشد ، الذى يرجع أصله الى اليمن استطاع هذا الامام الجديد بسط سلطانه وسيطرته على المشيخات الصغيرة ؛ فى وحدة اقليمية جمعت أشتاتهم المتفرقة ؛ وبعد أن استتب الأمن الداخلى اتجه لمحاربة البرتغال وأجبرهم على دفع اتاوة سنوية لوجودهم فى مسقط واحتل جزيرة هرمز . وبوفاته أسند الحكم الى الامام سلطان سيف بن سلطان ؛ الذى استمر فى محاربة البرتغال حتى اجلاهم عن أرضه ، وجاءت اليه الوفود من سكان الشاطىء الافريقى الشرقى تطلب المعونة فى صراعها ضد البرتغال ، وقد ذهب بنفسه الى تلك المنطقة ، ودخل فى صراع مرير مع البرتغال ، وكانت تساندهم بعض الزعامات المحلية ، وبعد فتحه مدينة ممباسه أقام عليها حاكما وعاد الى وطنه عمان لقمع ثورة قام بها المشايخ . وقد مات هذا الامام فجأة ويعتقد أنه مات مسموما بدسيسة من البرتغال غير أن ذلك لم يخمد نار الصراع مع البرتغاليين فى شرق افريقية ، وكان جلاء البرتغال عن الساحل بين بمبا وكلوه — وعين ناصر بن عبد الله حاكما على ممباسا ويرجع نسبه الى بيت قوى مشهور بالثراء ، وقام فى زنجبار حاكم قوى من بيت الحارثى ، وهو من بنى نبهان فى عمان ، وامتد سلطان حاكم مباسة على باتا باتا .

وحاول البرتغاليون استعادة ما فقدوه بالدسائس أحيانا ،والحرب حينا آخر . وحصلت ثورات داخلية الى زمن بعيد بعد اجلائهم نهائيا فى عام ١٧٣٠ م ، ودخل الحكام فى حرب مع بعضهم واعلنوا استقلالهم عن امامة عمان ،وأسس ناصر بن عبدالله، الذى عينه الامام حاكما لمباسه ، أسرة مستقلة عرفت «ببيت المازروى» وتكون ملكه الجديد من ممباسه وبمبا ، والشاطىء على طوله من مالندى الى بانجانى . واستمر هذا البيت فى الحكم على هذه المنطقة حتى حوالى ١٨٣٠ م ؛ اما قطاع زنجبار فقد حافظ على ولائه لسلطنة عمان.

وحاول الامام الجديد ـ احمد بن سعيد اعادة سيطرة عمان على الشاطىء الافريقى فى عام ١٧٤٢ ، وتمكن الامام السيد سعيد من بسط سلطانه على جميع الشاطىء الافريقى الشرقى ، كما سنوضحه فى البحث القادم .



مدفع قديم فى زنجبار منذ احتلال البرتغال

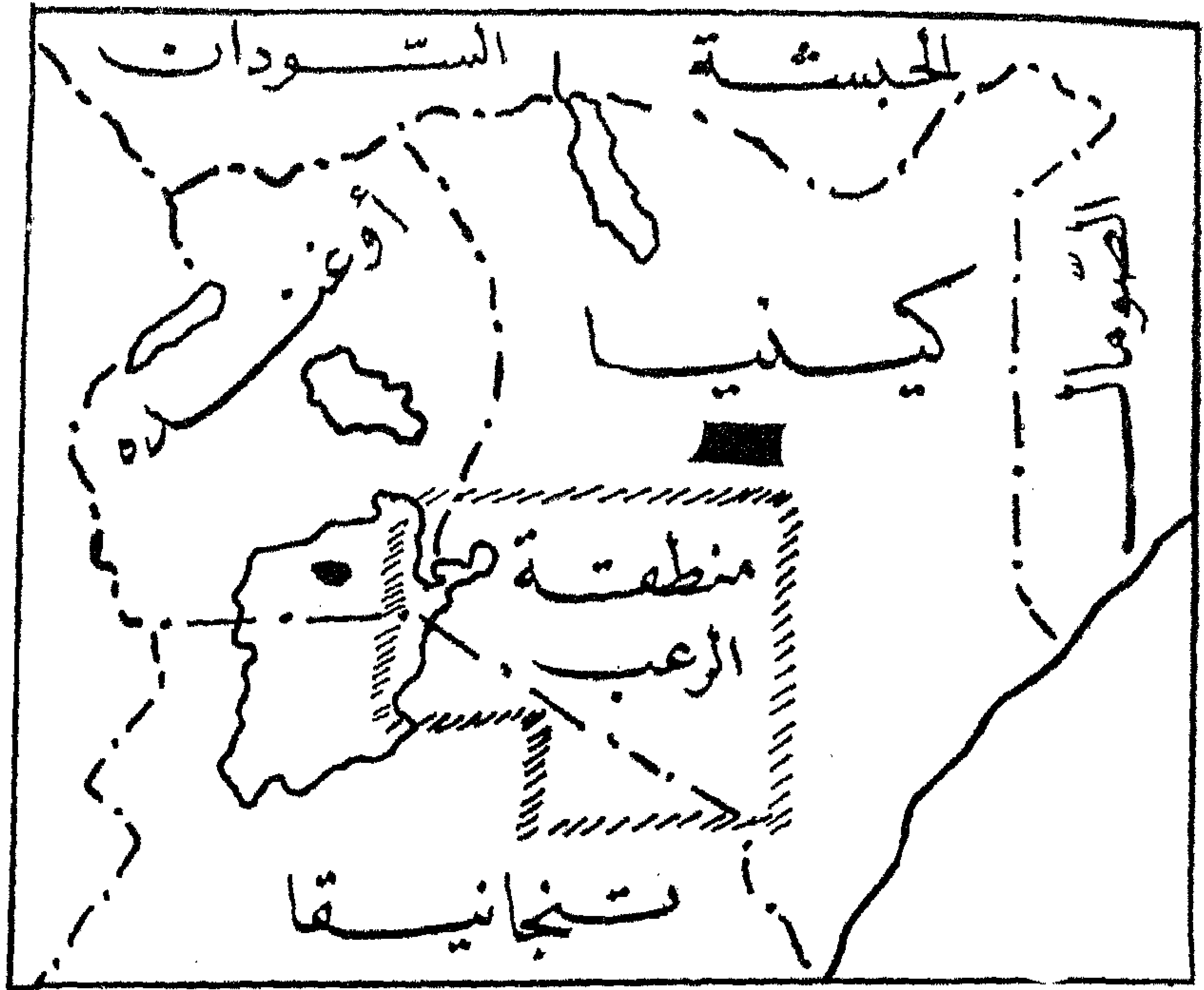
الزراعة والرعب
في أرض الكيكويو ...

بقلم الأستاذ محمد عبد الفتاح ابراهيم

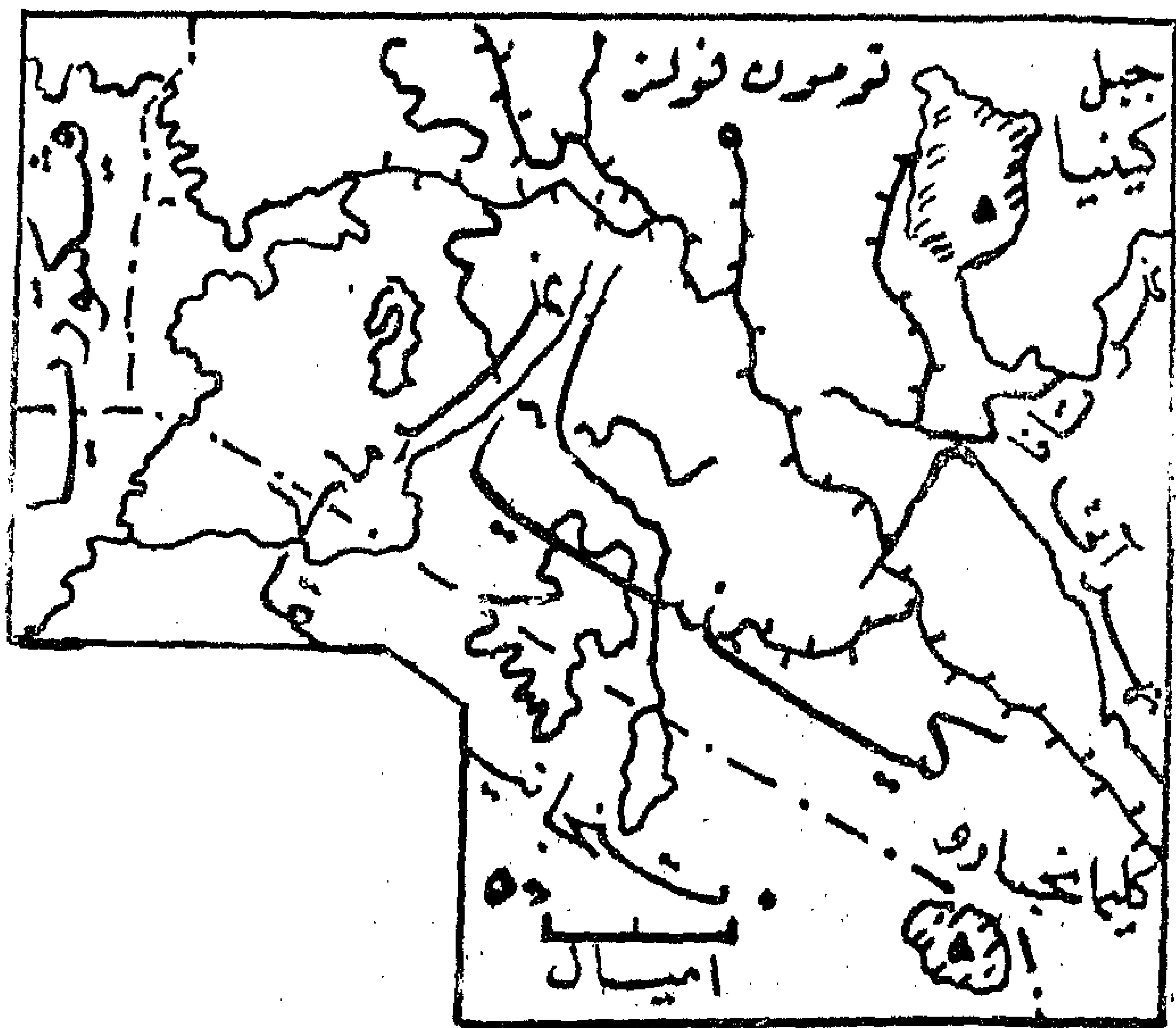
من الحقائق الثابتة : انه عندما يبدأ المستعمر في الاعتناء بسلامته ، والانصراف الى اقامة ما يكفل له الأمن ، يكون هذا دليلا على أن الاستعمار في طريقه الى الزوال ، وأن المستعمر في طريقه للرحيل ، مخليا الأرض لأصحابها الأحرار المكافحين ، اذا ما اشتدوا في هجومهم عليه للقضاء على تنظيماته الادارية ، ومهما طالت مقاومة المستعمر فان نتيجة هذا كله الفشل تلو الفشل ! .

كانت هذه حقيقة في الماضي ولا تزال حقيقة في الحاضر ، ذلك لأنها وليدة تجارب كفاح الأحرار الى تاريخ قريب ، والفكرة في هذا أن المستعمر عندما يبدأ التفكير في أمنه وسلامته يكون قد فقد سيطرته وليدة القوة ، وتبعه لفقد السيطرة فقد الثقة في قوته ، وبالتبعية في تنظيماته ، ثم في تكوينه وبقائه .

وهذه هي الصورة الواضحة اليوم في أرض الكيكويو في المربع الذي يحيط بنيروبي ويغطي رقعة كبيرة من الأرض في كينيا وأوغنده وتنجانيقا ، وسط قارتنا افريقية ، ونستطيع من تنظيمات المستعمر أن ندرك مدى الرعب الذي يعيش فيه ، وليس أدل على هذا من أن نجد « ضابط الزراعة » يعمل في الوقت نفسه « ضابط الأمن » وأن نجد هذا الرجل لا يعنى اليوم بزيادة خصب التربة ، ولا بزيادة الانتاج النباتي والحيواني بقدر ما يشغل باعداد القلاع القروية من جذوع الأشجار المحكمة الربط بالأسلاك الشائكة ، وبقدر ما يشغل بازالة الأحراش الصغيرة لمنع توافر الساتر للقوات من متحرري الماوماو ، وباقامة المعسكرات لارغام السكان على الاقامة فيها ضمانا للسيطرة ، وللحد من حركات الكفاح والتحرر ، ومنعا من تجمع القبائل كلها للمشاركة في حركة المقاومة .



أرض الكيكويو



منطقة الرعب

وتمتد منطقة الرعب بين بحيرة فيكتوريا — في الغرب ، ونهري آثي وتانا في الشرق ، وبين جبل كينيا في الشمال ، وجبل كليمانجارو في الجنوب ، وهي منطقة تتسع لأكثر من سبعين الف ميل مربع تكثر فيها المرتفعات ويجتازها عدد كبير من مجاري المياه ..

وشعب الكيكويو من أنصاف الحاميين البانتو في شرق افريقية . مثلهم مثل الأكامبا واتينا والوشاجا ، ويكونون معا المجموعة الشمالية الشرقية للبانتو على ما يقول سليجمان ، ويجتمع الكيكويو أصلا حول جبل كينيا كما تتجمع « الآكامبا » على نهر « تانا » وتتجمع « الوشاجا » على المنحدرات الجنوبية لجبل كليمانجارو .

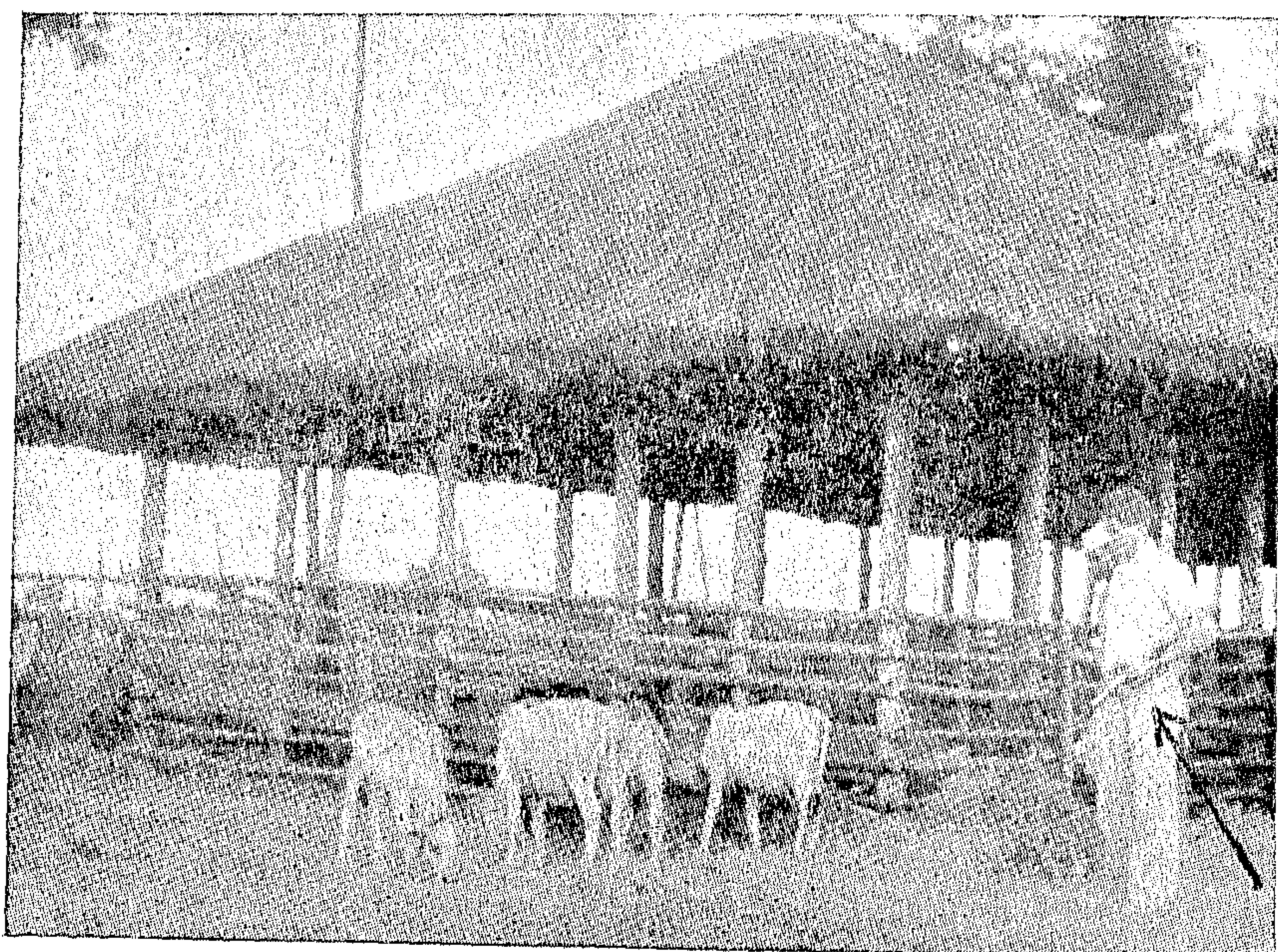


« سوق القرية » صورة من الطابع العام لأرض الكيكويو

... بين العشائر بالنسبة للزعامة القبلية فان الجميع يتفقون فى التقاليد والمحرمات ومكانة الرجل فى القبيلة تستند دائما الى صلته بالجيل الناشىء الجديد ، وعندما يصل الطفل الأول للرجل الى سن التكريس ينقل الرجل الى المرتبة الثانية بين رجال القبيلة ويكون أهلا لعضوية مجلس كبار السن حكام القبيلة (١) .

والكيكويو أصلا يعملون فى زراعة الأرض وقد اصطنعت حكومة المستعمر من النظم ما يعطل رفع مستوى المعيشة للأسرة ، ذلك لأنها تمنع تملك قطعة كبيرة من الأرض فى منطقة واحدة ، ولهذا فقد يمتلك رب الأسرة عشرة أفدنة ، ولكنه يتملكها على أقسام الى عدة مناطق ، وقد تصل القطعة الى نصف أو ربع فدان ، ومثل هذا التوزيع يتطلب جهدا فى التنقل الجهود عند القليل المتجاور الذى تستطيع الأسرة أن تعمل فيه ؛ ويزعم رجال الحكومة من المستعمرين البيض أن حل هذه المشكلة يتطلب حشد الناس للاتفاق معا على تبادل الأرض ، حتى يتم تسجيل هذا التبادل لمنع اثارة مشكلات أخرى مستقبلا ، ولا يرضى المستعمرون بأى تنظيم آخر غير احتشاد الناس ، وهم فى الوقت نفسه يعرفون أن تبادل الأرض مستطاع ، لأن الحكومة تمنع تجمعات الأهالين الا للعمل الجماعى تحت سيطرتها ، ثم أن الحكومة لو سمحت بمثل هذا التجمع فهو غير مستطاع لأن بعض الناس يعيشون فى الغابات مع جماعات الماو ماو ويغيرون على قوات الحكومة من وقت الى آخر ، ويزج ببعضهم الى السجون والمعتقلات ، وفى العاصمة نيروبى يعملون فى بعض الأعمال الأخرى ، ولا يذهبون لزراعة أراضيهم الا لفترات موسمية ، وبخاصة فى موسم الحصاد .

(١) سليجمان « الاجناس فى افريقية » ص ١٦٤\٢١٤\٢١٩ — ٢٢١ .



مستعمر يقف عند حظيرة الماشية

والكن « الثورة » دوافع أعمق من هذا . فقد كان الناس منذ عهد بعيد يزرعون ما شاءوا حيثما شاءوا مستهدفين انتاج محصولات يمكن مبادلتها بالسلع المستوردة ، ولم يكن هذا يمكنهم من الحصول على مايرفع مستوى المعيشة للأسر الوطنية المتعددة الأفراد الا أنه كان يرضى الأفراد ، ثم كان أن منعت الحكومة هذا الحق ، وفرضت زراعة البن فى مناطق محددة ، وتبعا لأوامر ضابط الزراعة بدعوى منع تسرب الحشرات والآفات الزراعية الى مزارع الأوروبيين المجاورة ، بل انه عندما يسمح ضابط الزراعةلأسرة مابزراعة أرضها فان رب الأسرة يزرع أرضه على نظام الحدائق لا نظام الحقول ، فلا يسمح له بأن يزرع أكثر من مائة شجرة ، فاذا أثبت رب الأسرةجدارة ومهارة ، لا فى عمله الزراعى فحسب بل وفى ولائه للحكومة المستعمرة سمح له بزراعة مائة شجرة اخرى ، وهكذا ، والا حرم من حقه الأول وأرغم على زراعة الحشائشللماشية، والقياس هنا يتأثر بعدالة المستعمر الذى لا عدالة عنده !! .



مستعمران عند حقل من حقول الأرز

وفى الوقت نفسه عمدتالحكومة المستعمرة الى ازالة الأحراش وتمهيد الأرض فى منحدرات الجبال بانشاء مستويات على نظام « المصاطب » ، أى المساحات التى تتدرج هابطة من أعلى الى أسفل تبعا لدرجةالانحدار، وفرضت الحكومة على الأهلين نظام العمل الجماعى الاجبارى ، وفى أربعة أيام أو خمسة من كل أسبوع ينفخ رئيس القبيلة فى بوقه فى الصباح فيجمع الناس حتى النساء للعمل فى شق الأرض وتمهيدها ، وازالة الأعشاب ، واقامة الحواجز منجذوع الأشجار حتى يكون حول مزارع الأوروبيين الفسيحة فى السفوح ما يشبه القلاع التى تحد منتحركات المتحررين المكافحين ، الذين يعيشون

فى الغابات والأحراش للانقضاض على جند الحكومة المستعمرة بين الحين والحين ، ولا ينال الناس اجرا على هذا العمل الا أنه يسمح لهم بزراعة البن على حوافى هذه المناطق الممهدة وراء الحواجز ، حتى يضطر هؤلاء الناس بدورهم الى أن يكونوا حراسا فى معاونتها ، اذ تكون لهم مصالح خاصة فى الابقاء على هذه الحواجز ، ومنع جماعات الماو ماو من اقتلاعها وعبورها للانقضاض على مزارع المستعمرين فى سفوح الجبال .

ومع هذا فان المستعمرين يعيشون فى رعب دائم وراء الحواجز ونطاقات الأسلاك الشائكة التى تدور حول مزارعهم الفسيحة ، وبرغم هذه القوات التى جاءت بها حكومة المستعمر للقضاء على الحركات التحررية ، وانهاء العصيان المدنى المصحوب بأعمال العنف ، ويحيط المستعمرون حظائر ماشيتهم بنطاقات الأسلاك الشائكة ، فاذا خرجت الى المرعى نهارا حمل المستعمرون أسلحتهم ولو كانوا يبعدون عن المرتفعات والغابات مئات الأميال ، ذلك لأنهم يظنون مهاجما وراء كل شجرة ، ويحسبون كل ظل عدوا ينقض للقضاء عليهم .

واغلب المستعمرين يعيشون متدثرين فى كسى أشبه ماتكون بالكسى العسكرية لا تغيب أسلحتهم عن ايديهم ، ولكنهم مع هذا لا يعرفون السلامة ، ولا يجدون الأمن ، ولا تستطيع الحراب أن تكبح عواطف الشعوب المتحررة المنطلقة ، وان عقلت السنتهم جيلا أو عطلت أيديهم جيلا .

ان المستعمر يعيش فى قلب افريقية فى رعب ، ومن الحقائق الثابتة « أنه عندما يبدأ المستعمر يعنى أهم ما يعنى بسلامته ، وينصرف الى ما يكفل له الأمن ، يكون هذا دليلا على أن الاستعمار فى طريقه الى الزوال ، وان المستعمر فى طريقه الى الرحيل ، مخليا الأرض لأصحابها الأحرار المكافحين اذا ما أشتدوا فى هجومهم عليه للقضاء على تنظيماته الادارية ، ومهما طالت مقاومة المستعمر ، فان نتيجة هذا كله الفشل تلو الفشل ..

اقرأ المقال من جديد
ولن تندم اذا ما فعلت ...



... عروس الرمال

بقلم الاستاذ انور فريد

مامن شك فى أن التعاون الصادق بين الشعوب الافريقية ، وتضامنها باخلاص فى كفاحها المشترك ضد الغاصبين ، سوف يحقق نجاحا مؤكدا فى تحرير قارتهم الافريقية ، وتخليصها من الاستعمار وبطشه .

ومن خير الوسائل التى تمهد لهذا التعاون وتدعم أركانه ، أن تتعارف شعوبها بعضها ببعض ، وأن يحيط افرادها علما صحيحا فى قارتهم وامكانياتها ، وما يجرى فيها أو يدبر لها من أمور .

ومن اجل تعريف الأفريقيين بقارتهم ، تتاح لى فرصة كريمة الآن كى أكتب هذا الفصل عن احدى المدن الافريقية : هى مدينة الأبيض أكبر المدن السودانية بعد الخرطوم ـ أم درمان ، وأهم مدينة على الاطلاق فى غرب السودان سياسيا واقتصاديا .

تقع الأبيض ـ القاعدة الادارية لمديرية كردفان ـ عند ملتقى خط عرض ١٧ر١٣ شمالا و ١٦ر٣٠ طولا فى جوف الصحراء الممتدة الى الغرب من النيل الأبيض ، ويربطها بالخرطوم خط حديدى يبدأ من العاصمة ، ويسير محاذيا للنيل الأزرق ثم ينحرف غربا عند واد مدنى . فيعبر النيل الأبيض عند كوستى ويوغل سيره غربا فى صحراء قاحلة ، حتى ينتهى عند مدينة الأبيض ، كما تربطها خطوط طيران فرعية تابعة لمصلحة الخطوط الجوية السودانية بالخرطوم شمالا ، وجوبا فى الجنوب والفاشر فى اقصى الغرب . أما الطرق البرية التى تصل بينها وبين مدن السودان الأخرى ، فهى مثل واضح لسياسة الاستعمار فى اعاقة ازدهار البلاد التى تنكب به ، اذ تعمد البريطانيون أثناء سيطرتهم على السودان أن تظل طرقه بدائية لا تصلح للسيارات الا بمشقة وعناء .

وتعرف الأبيض عند السودانيين أو المتصلين بالسودان باسم عروس الرمال ، وهو اسم تستحقه عن جدارة اذ هى مدينة عامرة ، تزهو فى وسط الصحراء المجدبة بمساكن حديثة ، يتمتع قاطنوها باضاءة كهربائية ، ومياه جارية صالحة للشرب ، ولها مجلس بلدى منتخب يرعى شؤونها ، ويسهر على مصالحها . كما تزخر متاجرها بكافة البضائع التى يحتاج اليها سكانها أو سكان المدن الأخرى المجاورة لها . وفضلا عن ذلك فانها

تمتاز بمناخ طيب معتدل صيفا وشتاء . ومن المناظر التى تبهج وتسر العين ان يشاهد المرء الصحراء الفسيحة ، المحيطة بالأبيض فى فصل الخريف ، وهو فصل الأمطار فى غرب السودان ، اذ تكسوها الأعشاب ذات الخضرة الزاهية ، المرصعة بالكثير من الزهور البرية المختلفة الألوان .

ويزيد سكان الأبيض عن مائة الف نسمة معظمهم من السودانيين الذين ترتد أصولهم الى قبائل عربية ، هاجرت الى السودان وتوطنت فيه منذ أحقاب بعيدة ، كى توجد بها أقلية وفد أفرادها الى المدينة من منطقة جبال النوبة ولهم لغة خاصة بهم تختلف عن اللغة العربية اختلافا بينا .

وللأبيض حظ موفور من الجاليات الأجنبية ، ففيها حى قائم بذاته يعرف باسم « حى الفلاته » يجمع فيه المهاجرين اليها من نيجريا ، كما استوطن الأبيض عدد من المهاجرين المصريين من مديريتى أسوان وقنا على الأرجح ، هذا بالاضافة الى جالية سورية موفورة العدد ، وأخرى يونانية ، وبعض الأسر الهندية .

والمهنة الأساسية لمعظم سكان الأبيض هى التجارة ، اذ أنها مدينة تجارية أولا وقبل كل شيء .. ونظرا لوقوعها فى نهاية الخط الحديدى فانه يصدر عن طريقها الجزء الأكبر من حاصلات غرب السودان ، ويأتى فى مقدمتها لب البطيخ ، والصمغ العربى ، ونوع من القطن الامريكى مستنبت بجبال النوبة ، والسمسم ، والفول السودانى وكذلك الأبقار والأغنام .

وفى أحد أطراف المدينة يشاهد الزائر سوقا صغيرة هى « بورصة » الصمغ . وبالرغم من مظهرها البدائى ، فان لها أهمية كبرى اذ يتم فيها بيع وشراء ٩٠٪ من أجود أنواع الصمغ العربى المستخرج من شجر الهشاب . وقد أضفى مركزها التجارى على غرفتها التجارية أهمية خاصة ، كما أفسح لنشاطها التجارى مجالا كبيرا للعمل المصرفى لبنوك ثلاثة هى البنك الأهلى المصرى ، وبنك مصر ، وبنك باركليز .

أما من ناحية النشاط الاجتماعى والترفيه ، فان الأبيض زاخرة بنواديها الاجتماعية والرياضية ، اذ بها نادى كردفان المخصص لكبار الموظفين والأعيان ، ونوادى الجاليات المصرية والسورية واليونانية ، كما يوجد بها أكثر من عشرين ناديا رياضيا وعماليا ، كما يستمتع سكانها بالأفلام الأمريكية والمصرية والهندية فى دارين مخصصتين لذلك ، وتعد احداهما من أحدث دور السينما فى السودان من ناحية جمال المبنى ونظافته .

وللأبيض مستشفى حكومى كبير به حوالى ٣٠٠ سرير ، واستعداد أقسامه المختلفة لسد حاجيات

المدينة وضواحيها استعداد لا بأس به . هـذا بالاضافة الى العيادات الخاصة للأطباء الحكوميين أو الأطباء المتفرغين لمزاولة مهنتهم .

واقبال أهالى الأبيض على معاهد العلم ــ كما هى الحال فى باقى أنحاء السودان ــ أمر يستلفت النظر . فعلاوة على المدارس الحكومية الابتدائية للبنين والبنات ، فانه يوجد بها مدرسة حكومية ثانوية ، ومدرسة أهلية ثانوية خاضعة لاشراف وزارة التربية والتعليم المصرية ، ومدرسة صناعية اولية ، ومعهد دينى وكذلك فرع لمدارس كمبونى التابعة لاحدى الارساليات التبشيرية الايطالية .

والغالبية العظمى من أهالى الأبيض من المسلمين ، وينتمى عدد كبير منهم الى الطوائف والفرق الصوفية.

وأهم هذه الفرق بحسب الكثرة العددية : (١) الأنصار (٢) الختمية (٣) التيجانية ، أما الطرق الصوفية الأخرى فانه وان قل عدد أتباعها الا أن لها نشاطا فى المناسبات الدينية .

وقبل أن أنهى هذا الفصل القصير ينبغى أن أسجل التقدير لعروس الرمال ، اذ تصدر بها صحيفة نصف أسبوعية ناطقة باسمها ، تعد من خيرة الصحف السودانية مادة وطباعة، فضلا عن اعتدال أسلوبها ونقدها النزيه ، لمشكلات المجتمع الذى تصدر له ، وتعمل من أجله .

الخرطوم

مدينـة كالزهرة المونقة — تنفح بالطيب على قطرها
ضفافها السحرية المورقة — يخفق قلب النيل فى صدرها
تحسبها أغنية مطرقة — نغمها الحسن على نهرها !٠
مبهمة ألحانها مطلقة — رجعها الصيدح من طيرها
وشمسها الخمرية المشرقة — تفرغ كأس الضوء فى بدرها

التيجانى يوسف بشير

الإسلام في أفريقية

للاستاذ محمد عبده مخلوف

يمكن القول بأن الاسلام قد دخل أثيوبيا قبل أى بلد افريقى آخر ، اذ أن النبى صلى الله عليه وسلم حينما شرع فى بث دعـوته وهب المشركون يعارضون ويشتدون فى حملتهم عليه ، آثر أن يأذن لبعض أصحابه بالهجرة ، فهاجروا الى أقرب بلد افريقى تربطهم به علاقات التجارة والمودة القديمة ، ولم يكن سوى أثيوبيا التى رحب ملكها النجـاشى بهم وآواهم وأمنهم وأثنى عليهم وعلى نبيهم خـيرا — ولم تلبث الدعوة الاسلامية أن انتشرت على أيدى القبـائل التى هاجرت الى اريتريا والصومال وبقيـة أثيوبيـا ، حتى أصبحت العقيدةالاسلامية دين الغالبية من أبناء هذه البقاع ٠

وقد كان هـذا الساحل مجـال تجـارات العرب الذين كان يطلق أسمهم على البحر الأحمر الحالى ، فكان يسمى (بحر العرب) ، فكانت لهم على طول الساحل منذ أقدم العصور المراكز التجارية ، على شاطىء الصومال وكينيـا وتنجانيقا كما استوطنت جزيرة زنجبار ، حتى اذا جاء الاسلام واعتنقه العرب تحولت تلك المراكز الى بقع اسلامية على الشـاطىء الشرقى الافريقى تتحكم فى طرق التجارة الى داخل تنجانيقا وقلب الكونغووتمتد الى بحيرة فكتوريا ، ولقد أدى ذلك الى انتشار الدين الاسلامى فى هذه البقاع ولا تزال تسكن فى أنحائه جماعات من المسلمين غير قليلة العدد أو هينة الشـأن ، وكان من نتيجة اتصال المسلمين (العرب) بالأهالى أن ظهرت اللهجة السواحلية ، وهى من اللهجات المحلية الافريقيـة التى يتحدث بها أغلب شعوب شرق القارة وهى خليط من ألفاظ زنجية وعربيـة وفارسية وهندية ٠

وهـكذا بلغ المسلمون فى شرق أفريقيـة حوالى ثلاثة ملايين ، وفى أفريقية الوسطى حوالى ١٠ر٠٠٠ وفى الكونغو وأعالى النيل حوالى ٣٠٠ر٠٠٠

وانتشر الاسلام فى غرب القـارة الافريقية عن طريق قبـائل البربر المغربية التى اعتنقت الاسلام ، وعن طريق غرب السودان والقوافل المحملة بالتجارة التى تعودت أن تسـافر الى غرب افريقيـة ، فقد انتقلت الديانة الاسلامية الى الغرب ، وانتشر المسلمون فى السنغال وفى مملكة غانة (القديمة) وامتـدت فتوحاتهم الى داهـومى

الشمالية ، وفى سنة ١٥٩١ ميلادية ، أرسل سلطان مراكش حملة حكمت تمبكتو باسم السلطان ، وبذلك عبر الاسلام الصحراء الكبرى ، وأطل على مجاهل القارة واستطاع بفضل طريقتى التيجانيــة والقــادرية الصوفيتين أن ينتشر وأن يجد صدى فى نفوس كثير من أبناء غرب افريقية ، وأن تتوطد أقدامه لدرجة أن الفرنســيين لمــا استعمروا افريقيا الغربية عملوا على التقرب من زعمــاء المسلمين ليستتب لهم الأمر ، لما يتمتع به هؤلاء الزعماء من احترام ونفوذ بين الناس ٠

وكذلك نيجيريا وسائر غرب أفريقية انتشر فيها الدين الاسلامى عن طريق المغاربة وأهل الطرق الصوفية ، وبلغ بهم الأمر فى نيجيريا أن كان النيجيريون أنفسهم دعاة للاسلام فى ترحالهم على الاقدام للحج سنويا مخترقين قلب افريقية ثم غرب السودان فشرقه ، ثم عابرين البحر الأحمر لزيارة الكعبة المقدســة ثم العودة الى بلادهم ، وفى نيجيريا الشمالية الآن معهد دينى فى « كانو » تدرس فيه العلوم العربية والاســلامية ، يراد به أن يكون من الدعامات التى ترتكز عليهــا الدعوة الاسلامية فى غرب أفريقية ٠

ويبلغ المسلمون فى الوقت الحالى فى غرب القارة حوالى ٣٠٠ر٠٠٠ فى ليبريا وعشرة ملايين من نيجــيريا ونصف مليون فى الكمرون ، ومليونا فى أفريقيــة الغربيــة الفرنســية و ١٥٠ر٠٠٠ فى غانة و ٨ ملايين فى افريقية الغربيــة الفرنسية ، وحوالى نصف المليون فى سيراليون ٠

ولم يستطع الدين الاســـلامى أن ينتشر بشــكل ملحوظ فى جنــوب افريقيــة ، اذ لم تكن السبيل بينه وبين تجارات العرب ميسرة بقــدر ما كانت بالنسبة لشرق افريقية ٠

على أنه توجــد قلة من المسلمين لم يصلهم الاسلام الا عن طريق الهنود والباكستانيين الذين اتصلوا بهم فى شئون معاملاتهم ٠

والهنود والباكستانيون يبلغون فى افريقية حوالى المليون ، ومنشأ وجودهم فى افريقية هو التجارة ، فمنذ القدم والهنود (قبل تقسيم الهند واستقلالها بشطريها) يرتادون القارة الافريقية ، ويمهد لهم هــذا الارتياد القائمون بالادارة والحكم للاسـتعانة ببعضهم فى شــئون الدواوين الحــكومية والتجارة ٠ وفعلا كان القوم من النشاط بحيث انبثوا فى شرق وجنوب ووسط وغرب افريقية ولم يلبثوا بعد استقلال بلادهم (دولتى الهنــد والباكستان) أن أصبحت كل فئــة منهم تزيد من نشاطها غير الســياسى ، الأمر الذى ترحب به السلطات الحاكمة ، وظهرت من بينهم الدعوة الى رفع شأنهم وشأن معتنقى رأيهم فى الاسلام ، فقد كان أغلب الهنــود يتبعــون الطائفــة الاسماعيلية ، والباكستانيون يتبعون الطائفة القاديانية ، والأولون أتباع

أغاخان والأخيرون أتباع غلام ميرزا أحمد القادياني ـ وليس الأمر بصدد مناقشة ما اذا كان هؤلاء أو أولئك على شيء من الدين أم لا ٠

ويرجع الفضل الأكبر في نشر الاسلام بين قبائل الزنوج في افريقية الغربية وأواسطها الى نشاط الدعاة من أرباب الطرق الصوفية الاسلامية وقد وجد فيه الزنوج الطمأنينة ، بفضل نظامه الاجتماعي ، وما أحسوا به في ظل نظام الطرق الصوفية من أمن وطمأنينة خلال أسفارهم للتجارة ، كما أن هذا النظام لم يحملهم من الشعائر الدينية الا أداء الفروض اليسيرة ، ثم انهم وجدوا في شيخ الطريقة أماما مزودا بقوى روحية ٠ وأقدم الطرق الصوفية التي انتشرت في افريقية الطريقة القادرية التي أسسها في العراق السيد عبد القادر الجيلاني ولها أدعية وحلقات ذكر جماعية (حضرة) وقد اعتنق هذه الطريقة الكثيرون في جنوب مراكش والسنغال ٠

أما الطريقة التيجانية التي نشأت في شمال افريقية وأسسها السيد أحمد التيجاني في مدينة فاس ، فقد انتشرت بدورها انتشارا واسعا في افريقية السوداء ، ذلك أنها لا تتطلب من مريدها وقتا طويلا ولا مجهودا فكريا ٠

وقد اشتهر كثير من أتباع هاتين الطريقتين بالتضلع في الشريعة والعلوم ، وامتد نشاطهم من السنغال الى غينيا والسودان وساحل العاج وموريتانيا ، والتجار المسلمون يذرعون تلك الأرجاء في القارة الافريقية ، ناثرين معهم بذور الدعوة الاسلامية فينتشر الاسلام رغم شدة نشاط المبشرين المسيحيين ٠

والأزهر الشريف لم يقتصر دوره في الدعوة للاسلام في افريقية على أنه مجرد جامعة تقدم العلم وتدعو للاسلام وتنشر الثقافة العربية في البقعة التي أنشئت فيها وهي مصر ، بل تعدى الأمر الى أن يسر الأزهر لأبناء القارة الافريقية سبل الوفادة اليه ، وقدم اليهم الثقافة العربية سائغة مقبولة ، فانتهلوا من مورده وعاد كثير من الافريقيين بعد ذلك الى ديارهم ينشرون الثقافة العربية بين أهليهم ، ويبصرونهم بشئون دينهم ودنياهم ٠

ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل عمل الأزهر على أن يوفد الى الافريقيين في عقر دارهم من ينقل اليهم الثقافة العربية والحضارة الاسلامية من مبعوثيه وأبنائه ، بل وأسهم في انشاء المعاهد الدينية بأمواله وجهوده أو بمن يعيرهم من علمائه ومدرسيه ٠ ولم يفت في عضد الأزهر هذا النشاط التبشيري الضخم ، فرغم ما تقوم به الارساليات التبشيرية فالاسلام يقوى وينتشر وصدق سبحانه وتعالى (انا نحن نزلنا الذكر وانا له

لحافظون) وخاصة بعد أن سارت حركة الاصلاح الاسلامى جنبا الى جنب مع انتشار اللغة العربية فى بلاد افريقية بفضل وسائل المواصلات التى تذلل يوما بعد يوم والسمعة الطيبة للاسلام والثقافة العربية التى تتوطد أركانها يوما بعد يوم ، ولعل من نتائج ذلك ما تقدمت به الجمعية الوطنية فى السنغال من اقتراح تطلب فيه أن تكون اللغة العربية لغة اجبارية فى برامج الدراسة ·

وفى عام ١٩٥٤ ظهر المؤتمر الاسلامى كهيئة اسلامية دولية ، وقد ساهمت فى انشائه مصر والمملكة السعودية والباكستان ، واختيرت مصر مقرا لسكرتاريته العامة · وهكذا خرجت فكرة المؤتمر ، ورائدها الخير لجميع المسلمين ، وتعبئة قواهم المعنوية ، ورفع مستواهم ، وتنظيم حياتهم ·

فعمل على دراسة أحوال المسلمين وظروف حياتهم فى شتى بلادهم من النواحى الدينية والتاريخية والاجتماعية ثم أسهم فى تقديم المعونة الفنية توثيقا لروابط المحبة بين المسلمين ، وخطا فى سبيل ذلك خطوات واسعة ، ووطد العلاقات الثقافية وشئون التعاون فى أمور التعليم ، وقدم المنح الدراسية والاعانات للمعاهد والجمعيات الخيرية بالبلاد الاسلامية ، وأوفد المبعوثين ، وأهدى الكتب الدراسية والعلمية · وهكذا صار المؤتمر قوة جديدة فمنذ خرج الى الوجود وهو يعمل لخير المسلمين أجمعين ·

وأخيرا فها هو الاسلام تعتنقه الملايين من الافريقيين ويسارعون الى الدخول فيه ، فقد وجدوا فى جماعة المسلمين ، وفى الأخوة الاسلامية ، وفى سعة الافق وسعة الصدر اللتين يتسم بهما الاسلام ما يجعلهم بمنجاة من استغلال الرجل الأبيض غير المسلم لهم ، وما يرتفع بمستواهم العقلى والروحى عن الوثنية التى تنبهوا الى ما هى عليه من مخالفة للعقل والتطور فأقبلوا على دين قام على دعوة مخلصة بعيدة عن العنف تعتمد على الاقناع والايمان قبل كل شىء ، وهكذا لم تلبث حتى انتشرت من جماعة الى جماعة ، ومن شعب الى شعب ·



دراسات فى المكتبة الافريقية

«تهدف هذه المجلة ، فيما تهدف اليه من توجيهات»
« للوعى الافريقى ، الى أن تقدم فى عرض موجز سريع»
« أهم المؤلفات فى الدراسات الافريقية ، وبخاصة »
« المؤلفات التى تتوافر فى دور النشر المختلفة »
« ولا يمكن القول بأن مثل هذا التعريف الموجز عرض »
« كامل لهذه المؤلفات ، ولا أنه ايضاح متكامل »
« لما فيها من معلومات أو آراء أو اتجاهات ولكن »
« الفكرة الأساسية هى تعريف القارىء الافريقى »
« بالكتب الحديثة للاستزادة من المعرفة ، »
« لأن المعرفة هى المرحلة الأولى فى سبيل التحرر »
« الثقافى والوعى القومى .. »

• Christianity And Politics in Africa By John Taylor.

● «المسيحية والسياسة فى افريقية» بقلم جون تيلور — مجموعة بنجوين فى عام ١٩٥٦ — بين السلسلة الافريقية التى يتولى تحريرها داڤيد وهيلين كمبل — فى ١٢٧ صفحة — والثمن ٢ شلنا .

كتب جون تيلور كتابه هذا لمواجهة مشكلة محدودة ، فلقد جاءت المسيحية الى افريقية فى جنوبى الصحراء بوساطة الأوروبيين ، وقامت جماعات التبشير بتدريب رجال الدين الافريقيين الأوائل ، ويبدو أن ثمار هذا التدريب والاعداد انتهت الى أن نظر هؤلاء الى السيادة الأوروبية على أنها حقيقة واقعة ، ولكن المسيحى الافريقى نظر الى الدين على أنه انقاذ شخصى لا علاقة له بالسياسة ولا بالقومية ، وبخاصة فى أعنف اتجاهاتها ، ولهذا فان الافريقى اليافع الذى يعتبر « القومية » أقوى قوة دافعة فى « العالم من حوله » يضطر الى أن يتجه دائما بعيدا عن ارتباطات الدين .

وهكذا كانت اجابة «مستر تيلور» على هذه المشكلة هى الاجابة التى لا يختلف فيها ذوو العقليات المرنة المتزنة من الناس اذ أن الناس لا يبدون قابلية نحو الدين الذى لا يعنى بأهم مشكلاتهم ، وان الكنيسة يجب أن تقوم بدور رئيسى له مسئولياته فى

تطور السياسة الافريقية ، كما تفعل في أي مكان آخر من العالم .

وقد أحسن المؤلف في اختيار النماذج من العهد القديم ، وان كان من الممكن نقد بعض ما اختاره ، مثل حديثه عن أحقية الدولة في السيطرة عند الضرورة ، كما كان في تعيين يوسف الصديق امينا وخازنا لقمح مصر .

واذا كان النقاد قد نظروا الى مؤلفه على أنه دراسة واقعية يجب أن تدرس في المملكة المتحدة من ناحية المدى الذى يجب أن تتطور اليه السياسة الافريقية ، أو بمعنى أصح « السياسة التى تتبع للنظر الى المشكلات الافريقية » ، أن هذا الكتاب يجب أن يدرس لمعرفة عمق وقوة مؤثرات القومية في المواطن الأفريقى الذى استخدم الدين يوما ما وسيلة لحكمه واستعمار بلاده ، واستغلال خيراتها ، ومن هذه الناحية ولا أقول النافذة — يجب أن تبذل الجهود لزيادة عمق الوعى القومى في الفرد الافريقى والمجتمع الافريقى على أساس أن الدين لله والوطن للجميع .

***

• The Press in Africa By Helen Kitchen.

● « الصحافة فى افريقية » بقلم الدكتورة هيلين كتشن طبع عام ١٩٥٦ فى ٩٦ صفحة والثمن ٥ر٧ دولار ، طبع واشنجتون .

يكون هذا المسح للصحافة في افريقية الجزء الأول من سلسلة مراجع في المسح الثقافى لمختلف الاتجاهات الثقافية في القارة الافريقية ، ولو كانت الاجزاء القادمة من السلسلة في مستوى هذا الجزء الأول لكان من الضرورى أن يعتبر اضافة جديدة لمعلوماتنا عن افريقية الحديثة .

لقد كان من الممكن — فيما مضى — أن نحصل على حاجتنا من المعلومات عن الصحف التى تصدر بمختلف اللغات الأوروبية في القارة الافريقية من عدة مصادر متباينة ، أهمها نشرات معهد الصحافة الدولى بزيورخ .

وكان من الممكن الحصول على معلومات عن الصحافة المحلية من التقارير السنوية للمستعمرات ، ومناطق الوصاية « والانتداب » ، ولكن المعلومات التى تنشرها مثل هذه التقارير غير كاملة ، وهكذا تتضح لنا قيمة كتاب الدكتورة كيتشن وأهميته .

ان الصحف الوطنية تقف الآن في المرحلة الأولى من تطورها ، ويمكن من تجاربنا في البلاد الآسيوية أن نعرف ما سيكون لها يوما ما من نفوذ وتأثير في التشكيل السياسى لافريقية .

والواقع أن حركة النشر تزدهر اليوم في مناطق قليلة جدا في جنوبى

الصحراء مثل نيجيريا وغانة ، وان كان ماهو مسجل عنها لايعتبر مرشدا صحيحا دقيقا .

ان الصحف الوطنية تعانى الكثير من المتاعب ، بسبب عدم وجود هيئات منظمة للتوزيع ، وعدم كفاية ماتحصل عليه هذه الصحف من الاعلانات ، ثم أن جل من يعملون فى هذه الصحف غير مدربين ، ولهذا أعدت بعض دراسات ترعاها الحكومة فى أوغندة وتنجانيقا ، لرفع مستوى العاملين فى الصحافة المحلية .

ومن الواضح أن الخلاف الكبير فى اللغات المستخدمة فى افريقية قد يستمر كعائق يعطل من تطور وتقدم الصحف المحلية ، كما ستستمر هذه الصحف المحلية تقاسى الكثير بسبب منافسة الصحف ، التى تصدر باللغات الأوروبية ، ولكن من الضرورى أن تعرف بأن للكلمة المطبوعة مكان الصدارة ، وأن قيمتها وتأثيرها أكبر مما للراديو أو السينما من تأثير ، وبخاصة لأنه يقلل من تأثير السينما . هذا الجو غير الواقعى وبذلك لم تستطع الوصول الى المستوى الذى يجعلها عاملا فعالا ، لنقل الآراء والاتجاهات التى يعنى بها جماهير الناس ، كما يمكن أن ندرك بأن الذى عطل من تأثير الراديو أنه أقل توافرا للعدد الكبير من السكان الوطنيين عندما نقارنه بالصحف .

أن لكتاب الدكتورة هيلين قيمته الكبيرة بسبب ما يقدمه من معلومات عن الصحف الأوروبية التى تنشر خصيصا كأسلحة من أسلحة الدعاية الاستعمارية الموجهة ، كما أن له قيمته لنعرف نحن الافريقيين صور العلاقات التى بين الصحف والحكومات المختلفة ، وبخاصة الحكومات المتحررة التى تعنى بتقدم المجتمع فى تلك البلاد .

***

- L'Industrialisation de l'Afrique par Jean Chardonet.

● « تصنيع افريقية » : مؤلف لا غنى عنه بقلم چان شاردونيه طبع مينار بباريس ودروز بجنيف — فى ١٢٩ صفحة مع الخرائط — والثمن ٨ فرنكات سويسرية .

قدم المؤلف فى كتابه سلسلة من المحاضرات التى ألقيت فى المعهد الجامعى للدراسات الدولية العليا عن التطور الصناعى الواسع المدى فى افريقية ، وبخاصة من ناحية ايجاد صناعات أساسية قاعدية مثل توليد القوى الكهربائية ، واستخراج المعادن ، ولهذا أثره ، لأن الاتجاهات فى الماضى — على حد قول المؤلف — كانت قاصرة على الصناعات الاستهلاكية .

وقد استند المؤلف فيما قدمه من حقائق ، الى معلوماته عن طبيعة الحياة فى شمال وغربى افريقية ، ولهذا فالكتاب من هذه الناحية يعتبر مرجعا قيما لايضاح طبيعة التطور الصناعى فى تلك البلاد .

وتقدم الدراسة عرضا لسياسة يعتبرها المؤلف ضرورة يجب العمل على تحقيقها ، أكثر من أن تعتبر نقاشا منطقيا لتحليل العوامل الاقتصادية التى تقف فى جانب التطور الصناعى .

وقد استبعد المؤلف فكرة امكان رفع مستوى المواطن الافريقي ، باضطراد التحسين للزراعة ، وأجاب عن هذه الفكرة بجملة واحدة فى صفحة ٤٨ من الكتاب ، ودافع فى باقى كتابه عن وجوب اتباع سياسة التصنيع فى افريقية ، هذه السياسة التى بدأت تأخذ طابعا جديا فى الكثير من بلاد أفريقية ، منذ سنة ١٩٤٠ .

على أن فى الكتاب نقطة ضعف واحدة لها خطرها ، وهى أن البيانات التى قدمها عن التطور الصناعى ، وهى فى رأيى أهم جزء فى كتابه ، لم تستند الى وثائق ومستندات رسمية ، كما كان من الضرورى أن تكون ، بل جاءت كلها تقديرية ، أو من بيانات من هيئات لا تعتبر مسئولة ، ولكنها مع هذا تعطى فكرة لا بأس بها عن موقف التطور الصناعى فى القارة الناهضة الهادفة نحو المجد .

● Public Administration in Ethipia
By William E. Edward.

● « الادارة العامة فى أتيوبيا » دراسة بين « الآمال واحياء الذكريات » بقلم ويليم هوارد طبع جريجورى لونز نيويورك فى ديسمبر سنة ١٩٥٦ فى ٢٠٤ صفحة بالصور والجداول .

الثمن ٤ دولارات ــ و٥ر١٢ ريال حبشى .

وبالرغم من أن الكتاب قد صدر فى آخر سنة ١٩٥٦ الا أن الكثير من المعالم تدل على أن الكتاب قد انتهى تحريره سنة ١٩٥٣ ــ ١٩٥٤ ، ولهذا كان تحريره المبكر نقطة الضعف فيه عند صدوره للقراء مع فجر سنة ١٩٥٧ ، ذلك لأن الحديث عن الادارة فى أثيوبيا بنى على أساس دستور سنة ١٩٣١ ، مع أن دستورا جديدا صدر فى سنة ١٩٥٥ ، ولم يتعرض المؤلف للنظم التى جاءت فيه .

والواقع أن كتاب هوارد قد سار على الأسلوب ذاته ، الذى اتبعته مس برهام فى كتابها « حكومة أثيوبيا » الذى نشر سنة ١٩٤٨ ولكنه يقل عنه بكثير ، لقد قدم هوارد حديثا طيبا عن تاريخ البلاد وجغرافيتها واقتصادياتها ، ولكن الذى لم يصل فيه الى المستوى الجيد الذى بلغته مس برهام فى كتابها الأول هو الدراسة النقدية للتنظيم الادارى .

والغريب أننا عندما نطالع كتاب هوارد لا نحس أن الرجل قد زار الحبشة ، لبعض الأخطاء التى جاءت فى أسماء البلاد ، مما يظن معه أن الرجل قد نقل عن غيره ، وأن أسماء البلاد قد أخذها عن بعض الخرائط الخاطئة وهذا يقتضى جهدا جديدا لتصويبه فى الطبعات القادمة .

والشيء الآخر هو أن جزءا من الكتاب تبدو فيه ملامح زيارة الرجل « لأديس أبابا » ولكن الكتاب فى جملته يدل على جهل المؤلف تماما بالحياة ، وحقيقة الحال فى الأقاليم .

وقد قدم المؤلف فى ختام كتابه أسماء الكثير من الكتب والدراسات الخاصة بالحبشة ، وأهمل أهمها الا وهو كتاب ترنجهام « الاسلام فى أتيوبيا » .

على أن المهم أن نفهم بأن أثيوبيا فى الواقع هى النوبة العليا ، على ما أطلقه الجغرافيون القدامى عليها ، وأن التسمية الصحيحة للدولة الافريقية الشقيقة هى « الحبشة » .

(ع ٠ أ)

جولة حول أفريقية

أوغنده : مشكلات دستورية

تجرى فى المجلس التشريعى بأوغنده معارك حامية بين النواب الوطنيين وهم أقلية وبين السلطات الانجليزية التى تملك الأغلبية فى المجلس الاوغندى ، وتدور المعركة حول الدستور القادم ومشكلات الانتخابات فيه ، وكانت الصحف قد اعلنت من قبل أن المجلس لن يوافق على اعلان اللائحة العامة للانتخابات قبل سنة ١٩٦١ ، وذلك بأغلبية ٣٤ صوتا ضد ٢٠ صوتا .

وقد أعلن أخيرا « السيد سازى » والسيد « دافيد لابوجو » عضوا حزب المؤتمر الوطنى الأوغندى انهما قد قدما استقالتهما من المجلس التشريعى ، وقالا فى بيانهما « انهما يستقيلان احتجاجا على رفض طلبهما لمناقشة بعض المسائل الجارية » والواقع أن هذه المسائل تنحصر فى جعل أغلبية الأعضاء من الافريقيين ، وأن تكون الانتخابات مباشرة لذلك، فقد جاء فى بيانهما « ان طلبهما كان يعارض فكرة عدم احداث أى تغييرات دستورية قبل سنة ١٩٦١ كما يعارضان فى الا يكون بالمجلس القادم ١٨ عضوا افريقيا لأنهما يريدان ٦٣ عضوا افريقيا من المجموع البالغ ٨٤ عضوا . كما كان طلبهما « هو أن ينتخب المجلس التشريعى انتخابا مباشرا أو تؤجل اللائحة انعامة لينظرها المجلس التشريعى القادم الذى يمثل الشعب ، ولذلك فانهما يرفضان أن تقوم الانتخابات القادمة على هذه اللائحة قبل أن ينظرها المجلس .

وقد احتج النائبان على قول الوزير الأول « H. Hartwell » أن الافريقى الذى ينتخب مباشرة لا يصلح للمنصب الوزارى وقالا انها اهانة كبيرة للافريقيين وجاء فى بيانهما « ان الحكومة قد عزمت على أن تعتمد على أغلبيتها فى المجلس ، وتتجاهل رغبة الشعب الذى نمثله » ولذلك قدما استقالتهما .

« ممباسا تايمز »

كينيا : استقالة جماعية

دعا الأعضاء الافريقيون بالمجلس التشريعى بكينيا الى عقد مؤتمر لجمع التأييد لهم فى مشروع الاستقالة من المجلس ، وذلك قبل أن تجرى الانتخابات فى الدوائر الباقية . ووجهة نظر الأعضاء الافريقيين فى هذه الاستقالة هى انها فرصة لكى لا يكون لهم دور فى الدستور الاستعمارى المقترح أو فى انتخابات جديدة .

« كينيا ويكلى نيوز »

تنجانيقا : تضامن الأسيويين والافريقيين فى شرق افريقية .

عارضت الرابطة الهندية فى ممباسا الدستور الذى أعلنه مستر لينكس بويد وزير المستعمرات البريطانى خاصا بكينيا ، ودعت الرابطة الى عقد مؤتمر مع الحكومة البريطانية برياسة خبير دستورى محايد لوضع دستور للمستعمرة .

وقال للمستر «T.T. Inamdor» سكرتير الرابطة « ان هناك أملا فى اتحاد الرابطة الهندية بممباسا مع المؤتمر الهندى بكينيا تحت قيادة الأولى ، ومعنى ذلك الا يقبل الهنود دخول الوزارة حكومة كينيا .

وقال مستر « انا مدر » ان الآسيويين اذا اتحدوا مع الافريقيين فى رفض مشروع لينكس بويد ، فان الحكومة البريطانية سترجع عن المشروع .

وجاء فى قرار اللجنة الادارية للرابطة الهندية فى ممباسا « ان مشروع « لينوكس بويد » يهدف الى تجميد القوة العددية لمختلف الأجناس على أساس تجارى وذلك لمدة عشر سنوات دون مراعاة لتضخم عدد من ينتخبون فى المجلس التشريعى . كما أن مشروع «بويد» يحاول السير على الأسس غير العادلة فى دستور Lyttalton من مساواة الأوروبيين بغيرهم فى مجلس الوزراء . والاحتفاظ بالوزارات الهامة للأوروبيين . وان اختيار ١٢ عضوا من غير الأجناس فى كينيا يهدف الى تغليب عدد الأوروبيين فى المجلس التشريعى .

التصويت الجماعية الاجبارية . وقال سيادته : ان الحزبين السياسيين بتنجانيقا يعارضان هذه الطريقة . ثم قال : ان موقف حزبه كان صعبا جدا نتيجة اغلاق مكاتب الحزب فى أغلب مناطق تنجانيقا ، وان الاشتراك فى الانتخابات يستدعى اباحة قدر من الحرية كما هى الحال مع الأحزاب الأخرى .

« تنجانيقا ستاندرد »

نيجيريا مشكلة الأقليات :

ما زالت مشكلة الأقليات تثار فى نيجيريا بين حكومة الشرق ، برياسة دكتور أزيكوى وحكومة غرب نيجيريا . اذ يرى الأول ضرورة اقامة حكومة خاصة لكل منطقة تريد ذلك وقد كان يؤيد مطالب أهل لاجوس فى العام الماضى فى انشاء حكومة خاصة للاجوس ، ثم تكونت لجنة هذا العام لبحث مشكلاتهم فى أنحاء نيجيريا . وقد عين حزب المجلس الوطنى (حزب أزيكوى) السيد « دنجل فوت D. Foot » لعضوية هذه اللجنة الا أن حكومة غرب نيجيريا تضيق عليها الخناق فلا تستطيع تأدية واجبها فى بحث مخاوف الأقليات لذلك طلب السيد « فوت» من وزير المستعمرات أن يعطى اللجنة سلطات أوسع بهذا الصدد .

عيـــد اســـتقلال غانا

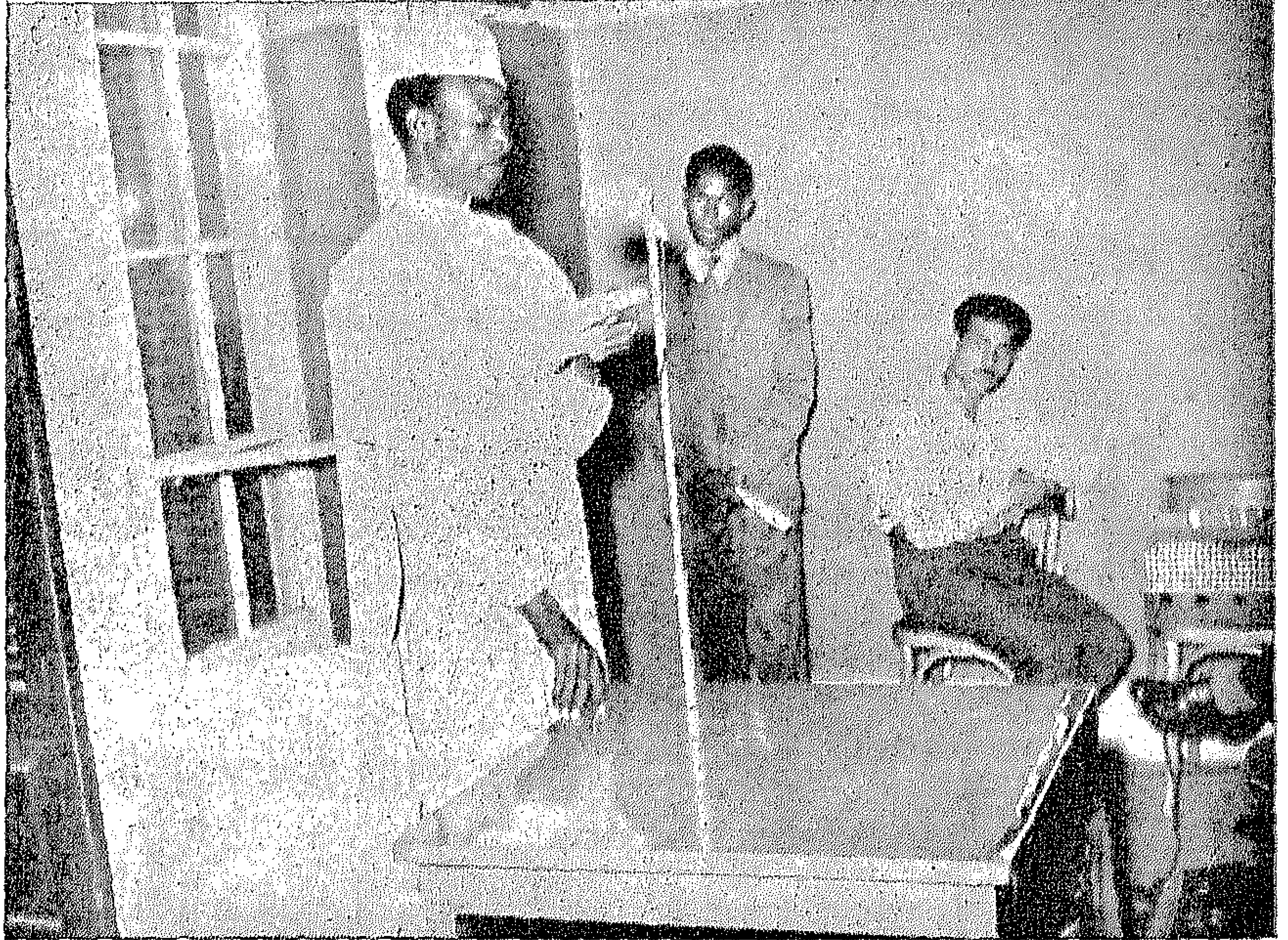
فى مساء الخميس ٦ مارس الحالى أقامت الرابطة الأفريقية حفلا شائقا بمناسبة مرور عام على اعلان استقلال « غانا » . وقد تسابق الكثيرون من أبناء الدول الأفريقية الى الحضور لتبادل التهانى بهذه الذكرى الجايلة .

وعندما اكتمل عقد المدعوين بدأ الخطباء يتبارون فى اظهار عواطفهم نحو هذه الدولة الفتية التى برزت الى الوجود نتيجة كفاح طويل مع الاستعمار .

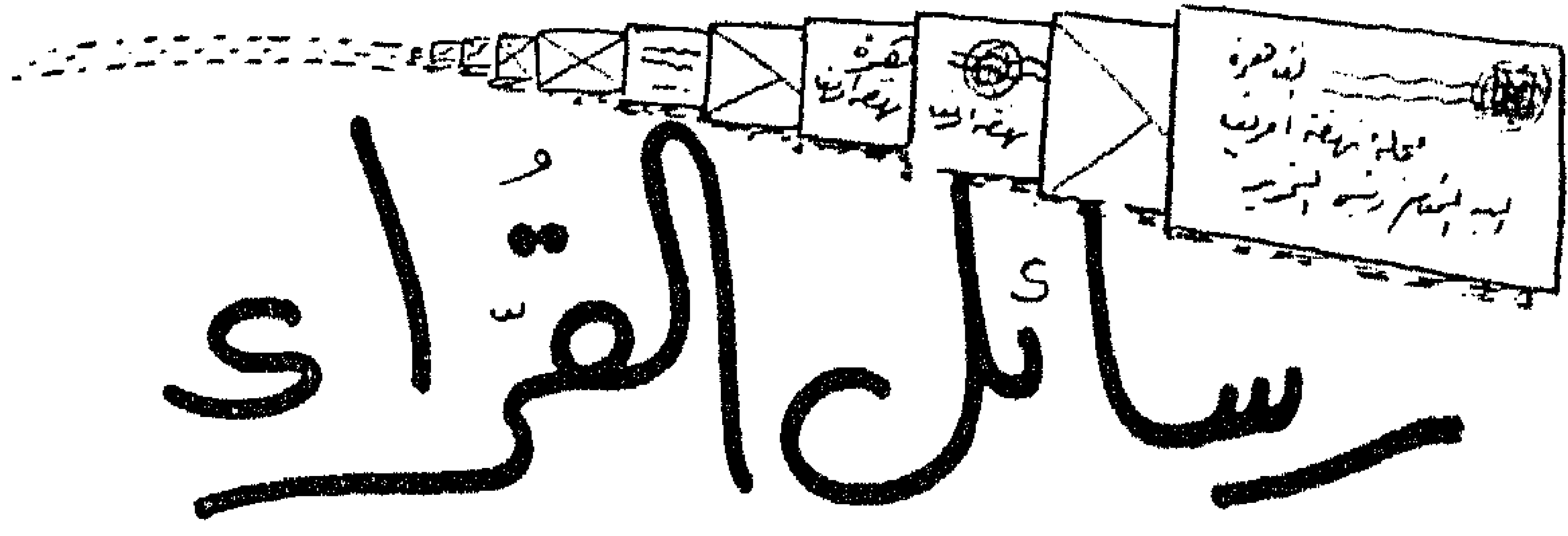
وقد نوه السيد أحمد عبد الرحمن احد أبناء غانة بما بذله الدكتور كوامى نكروما من جهاد مرير تعرض خلاله لكثير من أنواع الاضطهاد من سجن وتعذيب وتشريد دون أن يكل عزمه أو تهن ارادته حتى استطاع أن يحقق آمال شعبه الكريم .

وأشاد الاستاذ جون كاليه من زعماء أوغنده بما أظهرته الدول الافريقية وفى طليعتها مصر من روح التأييد لقضية غانا فى مختلف مراحلها حتى تحقق لها ما صبت اليه من آمال نحو حياة مشرقة كريمة .

وقد تخلل الحفل الوان جميلة من الأغانى الافريقية الحماسية كما أدى الشبان رقصات شعبية افريقية بهيجة كان موضع اعجاب الجميع .



السيد أحمد عبد الرحمن أحد أبناء غانا
يخطب فى حفل استقلال غانا



رسائل القراء

نحو .. وصرف .. ودعابة !

بعد أن أشبع قراؤنا هذه المجلة ثناء وترحيبا ، وتهنئة وتقريظا ، مما لخصناه مشفوعا باسماء القراء الاعزاء وعنواناتهم فى الأعداد السابقة ،أخذت الرسائل « الموضوعية » تتوافد الينا .. فى بعض منها تعليقات نفاذةتتناول الأحداث الجارية فى قارتنا العتيدة ، وفى بعضها الآخر نقد طريفمستطيل مستعرض يدل على العناية البالغة بتفحص محتويات المجلة من ألفها الى يائها .. وانه ليسعدنا أبلغ السعادة أن تتكاثر رسائل أصدقائنا القراء ، من كل لون ، ونتطلع الى اليوم الذى تمتلىء فيه صفحات المجلة بأفكارهم فيستريح السادة المحررون ، ويقوم رئيس التحرير بدور «جندى المرور» .... مرور الأفكار ، من قرائنا واليهم ...

لم يكن بد من هذه التقدمة قبل أن نعرض لأولى الرسائل ، من أستاذ تواضع فوقع رسالته المسهبة : « م . ع . » مدرس اعدادى بقهوة النيل بالمنشيةبالاسكندرية ،و «قهوة النيل » ، كما لا يخفى ، هى مقر سيادته المختار ، ومنها صوب سهام النقد ، وقام برسم تخطيطى « لكل نوع من أنواع الأخطاء .. النحوية والاملائية والأسلوبية واللغوية والبلاغية .. التى عثر بها فى العدد الثانى من المجلة وقد تكلف سيادته فى سبيل أداء واجبه جهدا ومالا ، ولكن الواجب الوطنى دفعه « الى التعاون ، والى التضحية بالوقت وبعض القروش . وهذه وان كانت قليلة ــ بل ضئيلة ــ يبخل بها بعض الأغنياء ليضيفوا قرشا الى ملايين ، أما مثلى ، والحمد لله ، فلا يجد ما يضيفه اليه حتى يحرص على ما يضاف ، ومع ذلك فنحن راضون تمام الرضا ! .

رضينا قسمة الجبار فينا

لنا علم وللجهال مال (...!)

ويمضى الاستاذ (م.ع.م) فى رسالته ، أو فى فذلكتها :

« وبالرغم من رقة الحال هذه فبسرور فى سبيل الواجب أرسل لكم هذا البريد المسجل لاالمعتاد ،ومعذرة فانى لا أستطيع أن أكتب لكم كل الأخطاء ... ولا أستطيع أن أرسل

لكم العدد نفسه ، فقد نفد من هنا ، وأنا أريد الاحتفاظ به حتى يمكننى العثور على العدد الأول فأجعلهما وباقى الأعداد مجموعة .. »

واني اذ أشكر الأستاذ المفضال على ما تجشم به من عناء أدبى ومادى ، لأستميحه العذر ألا أنشر قائمة «الأخطاء» التى أجاد سيادته تنسيقها وتبويبها ، ذلك أن هذا الباب ، باب الأخطاء النحوية واللغوية يؤدى ، اذا فتحنا مجال النقاش فيه ، الى متاهة لا يعلم مساربها الا الله سبحانه وتعالى ، والأستاذ يعلم ولا ريب ، عن شيخ النحاة الجليلل الذى مات (وفى نفسه شىء من حتى ..) ولو ننا أطلقنا العنان للبحث حول « لاسيما » وتتبعنا آراء «البصريين» وشواهد «الكوفيين» وتأملنا ماذهب اليه « ابن خروف » وما يؤكده «ابن عصفور » وما يصر عليه « ابن دقيق العيد » ، لمرت أعياد وأعياد قبل أن نصل الى بر الهدى والرشاد ..

ولقد يهون الخطب على الأستاذ الكريم ، وعلى ضميره اللغوى أن مادة هذه المجلة يغربلها ــ قبل الطبع ــ نفر من نطاسيى النحاة ، فلا يخشى سيادته أن يصيب الناشئة أذى مما يقرءونه فى هذه المجلة من أساليب ومن مفردات ...

ماذا وراء مؤتمر غانا ؟

وكتب لنا الاستاذ صافى امام موسى ــ من القاهرة ــ ٣٠ شارع الملك الصالح ــ منيل الروضة مقالا عنوانه: « ماذا وراء مؤتمر غانة ؟ » استهله بوصف موجات التكتلات التى تجتاح العالم فى هذه الأيام ، والتى تصطبغ بصبغة شعبية فى مناطق معينة ، وتقيمها الدول الاستعمارية وتشرف عليها فى مناطق أخرى ...

وقد أشار الكاتب الى نظرية الفيلسوف الهندى «شرى أوروبندو عن «التجمع التلقائى» وقابلية القوميات للذوبان فى « بوتقة عالمية » وأن هذا التجمع يتخذ مظاهره الأولى فى المؤتمرات التى تعقد ، والمنظمات التى ترسى قواعدها فى مختلف البقاع .

وتساءل عن الدوافع التى تكمن وراء هذا المؤتمر المزمع عقده فى غانة، وعما سبقه من أحداث كزيارة « نيكسون » لتلك البلاد ،وتنقلات « ريتشاردز » مبعوث أيزنهاور .. ويستطرد فيقول : ان النظرة العميقة تدفعنا الى تتبع مراحل تكوين هذا المؤتمر وتناوله ، منذ كان فكرة ، والزعيم الذى تبلورت فى مخيلته هذه الفكرة هو الرئيس « كوامى نكرومه » ... هذا ومعرفتنا لتاريخ حياة هذا الرئيس الحافلة بصراع متواصل وكفاح مرير تجعلنا لا نجد فى حياته ما يعزز شكنا وعدم ارتياحنا ، بل ، على العكس من ذلك ، فان ما نعلمه من أن « نكرومه » كان فى كل مرحلة من مراحل حياته عملاقا يحمل راية

التحرير الافريقى ، ويمثل بوضوح صورة المارد الافريقى الذى انطلق .. ان علمنا هذا يزيل بعض ما يجثم فى صدورنا من شك وعدم ارتياح .

ويمضى الأستاذ فى بحثه فيقول : « ولكن يجب علينا بالرغم من ذلك أن نصور واقع هذه القارة العذراء ، ونوضح الظروف التى تكتنف شعوبها ثم نتحدث عن مؤتمر غانة ، فى ضوء ما قد يتمخض عنه من نتائج ..

هذا لو نظرنا الى افريقية من زاوية دولية لألفينا أن ما يقرب من ١٤٠ مليونا من سكانها ، يمثلهم فى الهيئات الدولية ومنظماتها نفر قليل من الاستعماريين الغربيين ، بمعنى أن هذا الخضم البشرى الهائل يعيش فى محيط العالم دون قدر يذكر .

هذه هى الحقيقة الأولى ، وأما الثانية فان جانبا من المجتمع الأفريقى كان حتى بداية الحرب العالمية الأولى، وما يزال بعضه الى الآن ، فى مرحلة بدائية ، وهذه المرحلة هى التى تعلم الأنسان فيها وسائل زيادة الانتاج الطبيعى عن طريق مجهوده الخاص . نعم هنالك من الأفريقيين من لا يزالون يعيشون فى مرحلة ما قبل المدنية ، ولكن هؤلاء يقطعون طريقهم للوصول الى هذه المرحلة الأخيرة فى عدة سنوات ، مع أن البشرية لم تصل اليه الا عبر فترات ممتدة من طويل الزمن .

وأما الجانب الأكبر من هذه القارة فقد بلغت بذور الثورة عند شعوبه مرحلتها الحاسمة أو كادت تبلغها . وأحدث المارد الأفريقى بالفعل انتفاضات تنبىء باستيقاظه ، مما خلق الرعب فى نفوس الاستعماريين الغربيين . وتهافتت بريطانيا وفرنسا، وهما الدولتان اللتان تسيطران على جانب كبير من هذه القارة .. تهافتت هاتان الدولتان على خلق أقنعة جديدة تغطيان بها هذا النظام البشع وأنتجت عبقرية الساسة الانجليز نظام الاستقلال المجزأ ، أو بعبارة اخرى منح الاستقلال المقنع ، ويتبع خطاهم فى ذلك الفرنسيون ».

الأنجليز يحاولون خلق اتحادات بين الأقاليم المختلفة التابعة لهم ، فيشرعون لربط كينيا وتنجانيقا وأوغندا فى شرق افريقية ، ويعملون على ربط روديسيا الشمالية الجنوبية بنياسالاند فى جنوبها ، والفرنسيون تتفتق أذهانهم عن مشروع آخر هو « الاتحاد الفرنسى » .

ذلك هو وضع أوروبا فى مواجهة أفريقية ، أما مقتضى التبشير الذى يقومون به فى أنحاء أفريقية فيتلخص فى خلق اتحاد أوروبى افريقى ، وهذا مشروع سبق الأيطاليون فى القول به أبناء عمومتهم الفرنسيين ، هذا المشروع المسمى ب Euro-Afria لم يظهر الا ليقاوم حقيقة واقعة تظهر اتحادا جذريا بين الشعوب الأفريقية

والآسيوية ، فى أعماق جذوره آلام وآمال مشتركة ، وعدو مشترك ، وهدف واحد . هذا الارتباط الوثيق القائم بالفعل من قديم الزمن كشف عنه النقاب مؤتمر باندونج ، هذا الاتحاد والتضامن الأفريقى الآسيوى ، الذى عرفه الغربيون بـ Afro-Asia خلق فيهم نوعا من البلبلة الفكرية ، وابتدأوا يقولون دون حياء « **الهند الجائعة ستلتهم افريقية** » ... « **تزايد عدد السكان فى الهند ستقابله موجة طاغية من النزوح الهندى الى القارة الأفريقية** » ... « **الخطر الأصفر سيكون وبالا على القارة** السوداء » .

بهذه الصفاقة ينشر الأوروبيون دعاياتهم الجوفاء ، ولكنهم يعلمون بأن أفريقية ستستحيل الى ميدان للصراع الدموى العنيف ، فهل يتخلون عن ذهب « جوهانسبرج » ويورانيوم « الكونغو » وكروم الجزائر وبترولها وقصدير روديسيا وماس جنوب أفريقية ونحاس سائر أقطار أفريقية وفوسفاتها ومنتجاتها الزراعية بسهولة . ان أفريقية فى عرفهم أو بالأحرى فى تعريفهم هى The Land of milk hony وهذه هى أفريقية التى يريدونها ، ولكنهم يعرفونها كذلك بأنها "The ever Growing Continent" وهذه هى أفريقية التى يخشونها .

ولعله يجدر بنا أن نذكر الدخيل الثالث الذى يطل من على ناطحات السحاب على خيرات هذه القارة ، ويتأهب لابتلاعها ، تمثل هذا الدخيل الاحتكارات الأمريكية التى تنظر الى القراصنة بعين يكشف عما يحتويه النظام الاستعمارى من تناقضات بين قوى المستعمرين المختلفة .

نصل من هذا الى أن الجماهير الأفريقية ستخوض المعركة الدامية ضد الاستعمار ممثلا فى القراصنة الأوروبيين والاحتكارات الأمريكية ، هذا واقع لا شك فى ذلك ، ولكن هل ستخوض معها الشعوب الأفريقية التى استقلت ؟؟ ..

ان الدول الأفريقية المستقلة تعيش حبيسة اطار جامد يسمى الديبلوماسية ، فهل ستكون الشعوب حبيسة هذا الأطار ؟؟ .. أم انه لن يكون للحدود السياسية بين الشعوب الافريقية وجود ؟؟ .. هل تستطيع الدول الأفريقية المستقلة التى ستجتمع فى غانة ، أن ترغم بلجيكا على أن تحترم آدمية الأفريقيين فى الكونغو ؟ .. وأن تتخلى فرنسا عن وسائلها البربرية فى الجزائر ؟ .. وأن يتصرف الأنجليز ــ فى سائر الأقاليم التى يسيطرون عليها ــ تصرف الآدميين ؟ .. هل ستتمكن من ذلك ؟ . أم أن الأطار الديبلوماسى والالتزامات الدولية التى تثقلها ستحول دونه ؟؟ . اننا سنترك للزمن فى المستقبل القريب أن يجاوب على استفساراتنا هذه .

ولكننا واثقون من شىء واحد

تستطيع أن تفعله هذه الدول الأفريقية وتتوج به قراراتها .. انها تستطيع أن تساهم في المعركة القادمة بدور فعال قوامه القومية . ان الجماهير الافريقية في رحلتها التحررية الثائرة ستكون بحاجة الى نوع من التطعيم الفكرى . وهذه الدول تستطيع أن تجعل حرية شعوبها حرية لكل أفريقى من كل اقليم ، تستطيع أن توفر للأفريقيين المناضلين مجالا ينمون فيه نزعتهم التحررية .

ويختتم الاستاذ صافى بحثه بقوله :

« هذا هو ما نراه في الامكان ، ولعل ما سيتمخض عن ذلك المؤتمر يكون أوقع مفعولا وأبلغ أثرا » .

نعمة الحرية :

وكتب الينا السيد على محمد التوتى — رئيس جمعية طلاب غرب افريقية بمناسبة الاحتفال باستقلال غانة يقول :

« لا غرو أن نحتفى بهذه المناسبة العظيمة ، فان للاستقلال أثره العميق فى نفوس الأمم والشعوب ، والاستقلال كلمة غالية ، ولفظة سامية عالية ، تهتز لها القلوب فرحا وسرورا ، وتميل اليها النفوس شفقة وانعطافا وحبورا ، وتطأطىء لها الرءوس خضوعا وخشوعا ، وتتناولها الأفواه لثما وتقبيلا ..

ان سعادة الأمة متعلقة بعيشها فى بلادها على الوجه الذى تريده وتختاره ، فلا تقهر على الخضوع لقوانين أجنبية ولا لمشروعات خارجية ، أو على التخلق بعوائد غير وطنية .. والأمة المستقلة هى التى تتصرف بحرية فى تدبير شئونها وسن قوانينها وبيدها حظوظها ومستقبلها ..

واستطرد سيادته محذرا من « مشروعات الاصلاح » الاستعمارية ، كمشروعات الحكم الذاتى التى عرضتها فرنسا على أقاليم افريقية الغربية ، ولكن الشعوب هبت فى وجه فرنسا ورفضت مشروعاتها .

وفى ختام رسالته تحدث باسم المجاهدين الافريقيين طالبا من السيد الرئيس جمال عبد الناصر « **أن يهيىء** لنا سبل المساعدة والتأييد بكل أنواعها حتى ننال نحن الافريقيين ما نصبوا اليه من الحرية الكاملة ، والاستقلال التام » .

م . ع . ا

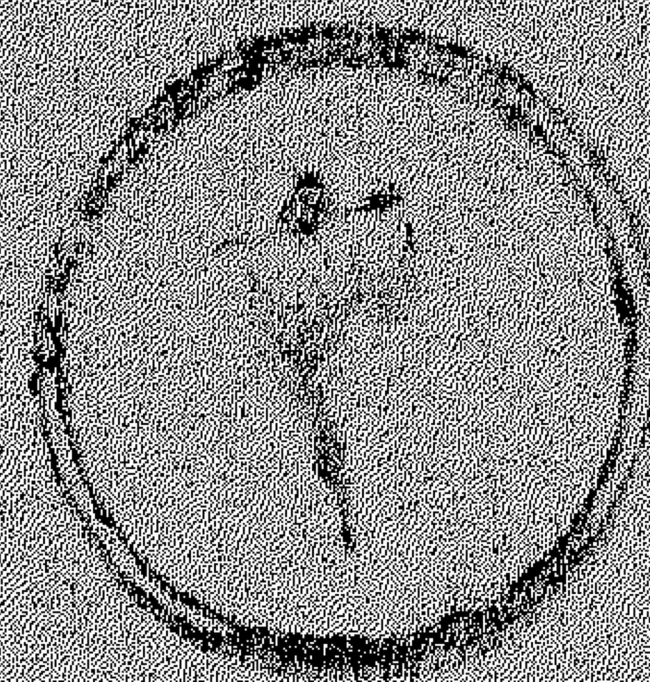


السنة الأولى

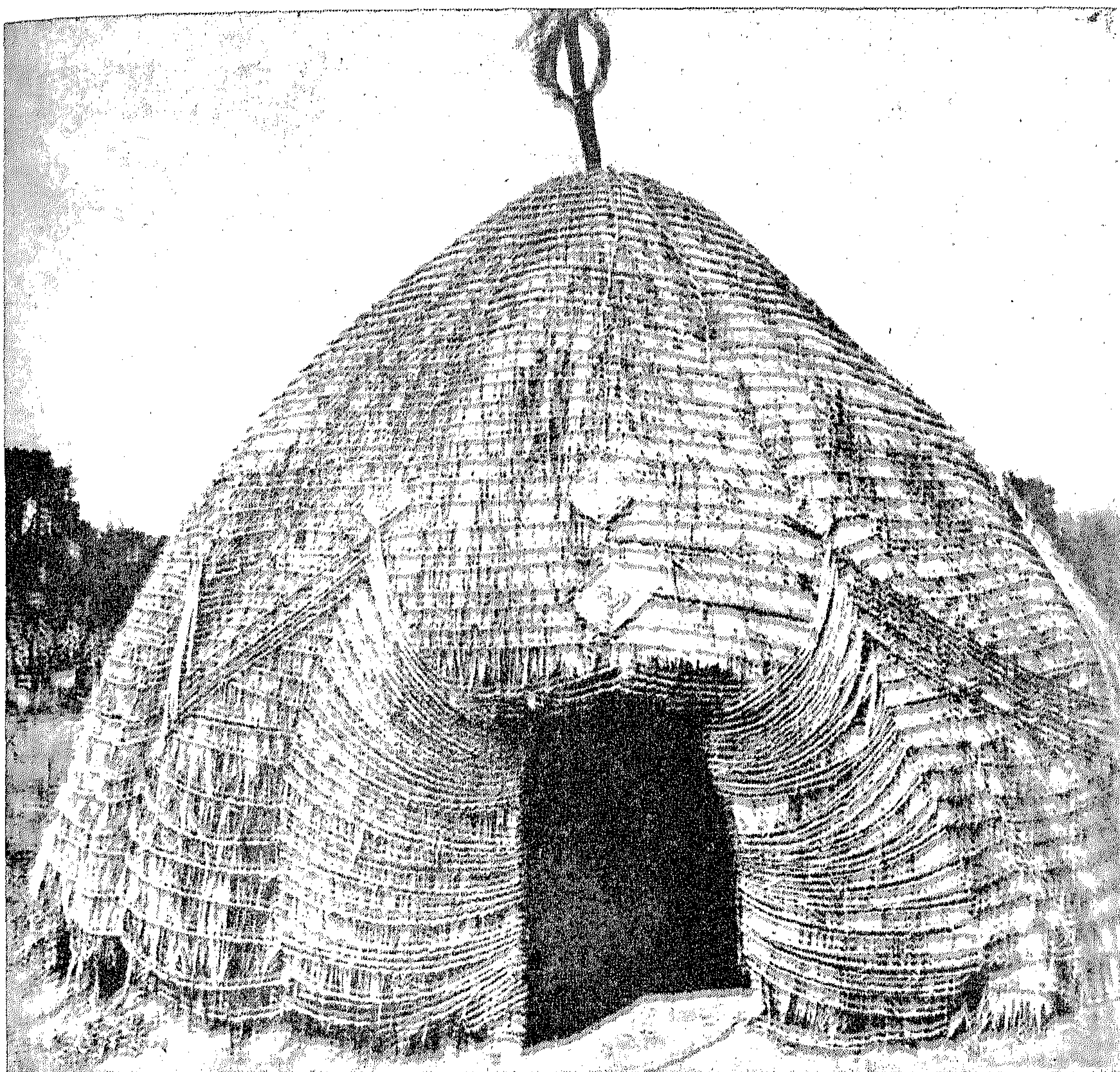
العدد السادس أبريل سنة ١٩٥٨



نهضة افريقية



فى هذا العدد



عش افريقي



مجلة شهرية للثقافة الإفريقية

رئيس التحرير : محمد عبد العزيز اسحق

محتويات العدد



الشهيد كمال الدين صلاح

الدبلوماسي الشهيد

للأستاذ محمد عبد العزيز اسحق

فى مثل هذه الأيام من العام الماضى ترددت فى أنحاء العالم ، وفى أنحاء القارة الافريقية المثخنة بالجراح ، أصداء حادث لم يعرف له تاريخ مصر ولا تاريخ افريقية مثيلا ، الا وهو الاعتداء على حياة دبلوماسى ، ألمعى ، وطنى ، شريف ، هو المغفور له ، الوزير المفوض ، كمال الدين صلاح المندوب المصرى فى اللجنة الاستشارية الدولية للصومال الايطالى .

ولم تكن بشاعة الحادث مستمدة من أن الاعتداء على الفقيد الكريم هو فى الواقع اعتداء على المعانى المثالية الخلقية والوطنية والانسانية التى كان يمثلها ويدعو اليها ، ولا من أن المعتدى الآثم انما هو نكرة امعة أضلته حقارة المادة ، وحولته الى وحش مسعور ، وانما كانت البشاعة التى انتشر الثائر بها فى أركان العالم المتمدن راجعة الى أن الفقيد ، كان باعتباره دبلوماسيا . أبعد الناس عن منهج العنف والشراسة ، والهمجية العمياء ، وكان ـ باعتباره مصريا ـ تعمر قلبه الرحمة بأبناء هذه القارة المعذبة المهيضة الجناح ، وباعتباره شخصا دوليا ، تتجسم فيه آمال هيئة الأمم المتحدة فى سعادة البشرية ، ورخائها وتقدمها ، واشاعة السلام والطمأنينة فى أقطار الأرض جمعاء ..

ولهذا فقد أحدث الاعتداء على كمال الدين صلاح صدمة كادت تقلب موازين الناس فى حكمهم على الأشياء ، وأوشكت أن تفسح الطريق لموجات التشاؤم والتطير من بنى الانسان ، لولا أن الاستعمار كان يطل بوجهه البشع الكريه من وراء الجريمة النكراء فلم يكن مستغربا أن تأتى الخسة من منبعها ، والنذالة من أهلها ، ولم يكن بد من جمع شتات الآمال الوطنية والتحرر والكرامة ، لمواجهة الطاغوت الاستعمارى فى مربضه هناك من أرض الصومال ، وما جاورها ، وما تباعد عنها من أقاليم افريقية شقيقة طامحة للعزة والاستقلال .

لقد وجد الاستعمار فى كمال الدين صلاح خطرا محققا ، وتيارا متدفقا لا يمكن صده بالوسائل الرجعية العنيفة البالية ، فقد رسم ، رحمه الله لمهمته منهجا واقعيا موضوعيا متكاملا ، من شأنه أن يحقق الرسالة التى وضعتها مصر ، وتبنتها هيئة الأمم ، لكى يخرج الصومال ، فى مدى عشرة أعوام ، من ظلمات الاستعمار الى نور الاستقلال .

وكانت عناصر الخطة الواقعية الموضوعية كفيلة بأن تحقق للصومال شخصية قومية دولية ، وأن تمده بعناصر القوة المادية والمعنوية ، وأن تتيح له فرصة النهوض والنمو ، والتسامى والازدهار ·

فقد رأى الفقيد أن الصومال اقليم مترامى الأطراف ، متنوع الامكانيات فيه الأنهار الجارية ، وفيه المرعى الخصيب ، وفيه الثروات المعدنية المدفونة التى حرص المستعمرون على أن تظل مكانها مجهولة الى أن ينفردوا بها فى حين قريب أو بعيد ، ورأى أن « دولة الصومال » المستقلة لابد لها من موارد مادية تقيم شئونها ، وتصلح من أوضاع سكانها · فتقوم بالمشروعات التى من شأنها أن تنهض بالثروة الحيوانية ، وأن توسع من الرقعة الزراعية ، وأخذ يحامى عن استيلاء الأجانب على الثروة المعدنية ، ويحاول أن يبعد عنها « طلاب الامتيازات » الى أن يوضع زمام الوطن الصومالى فى أيدى أبنائه من الوطنيين المخلصين ·

ورأى الفقيد أن الامكانيات المادية وحدها لا تقيم دعائم دولة حديثة ، وأنه لا مناص لها من دعائم معنوية تسرى فى عروقها ، وتمنحها الحيوية والفتوة والنشاط ، وكانت هذه تتركز لديه فى : اللغة ، والدين ، والثقافة ، والتعليم ·

ان الصوماليين يتحدثون لغة خاصة بهم ، لغة محلية لم تتح لها الظروف التاريخية أن تمتد على رقعة واسعة من الأرض ، ولا أن تخرج عن نطاق اقليمها وتتمازج وتتفاعل ، وتتولد فيها روافد انسانية ، وآداب عالمية ·

ولهذا فقد فطن المتنورون من الصوماليين الى أن بلادهم مهما احتفظت بلغتها الاصلية ، فانه لا غنى لهم ، فى هذا العالم المتشابك ، عن لغة عالمية تربط ما بينهم وبين اخوانهم فى الانسانية ، وتكون نافذتهم الى مجالات العالم وبالفن والفلسفة · وكان من الطبيعى أن تتجه أذهانهم الى اللغة العربية ، فالعرب أصهارهم وجيرانهم ، وأجداد الكثيرين منهم ، ولغتهم ، لغة القرآن الكريم الذى يتلونه ويرتلونه بالغدو والآصال ، ثم انها هى اللغة التى حملت أمانة التعبير عن المعانى والحضارة الانسانية آمادا طوالا ···

وفى هذا الاتجاه التقى أولئك المواطنون الصوماليون وفقيدنا الكريم فمد يده الى أيديهم ، واتجه بآمالهم الى مصر فلم تخيب لهم مقصدا · وتوافد رسل اللغة العربية الى الصومال ، وتكاثروا ، وتضاعف عددهم العام بعد العام ، على يدى كمال الدين صلاح ·

وقد وجد الفقيد أهل الصومال من أشد الشعوب الاسلامية تمسكا بتعاليم

دينهم ، ووجد أفواج المبشرين ـ وهم رسل الاستعمار ـ تتجمع ثم تتكسر على سواحل الصومال ، ثم تعود ، فى مثابرة ، لتتجمع من جديد .

واتجهت الأنظار مرة أخرى الى رسول مصر ، لعله يمد الشعب الصومالى المسلم بروافد من الأزهر ، تعينه على تثبيت العقيدة ، ونفض الغبار عنها ، وتغذيتها بالمستحدث من الآراء والأفكار ، وجعلها عنصر تماسك للقومية الصومالية التى يهاجمها دعاة التفكك والانحلال ، من كل جانب . وجاء كمال الدين الى مصر ، ثم عاد وقد شق الطريق لتيار اسلامى صاف أخذ يتدفق ويتزايد سنة بعد أخرى وينتشر وتبدو آثاره فى الصومال من أدناه الى أقصاه .

وقد تبين للفقيد ، منذ وطئت أقدامه أرض الصومال ، ما أحدثه المستعمرون من جدب ثقافى ، وما أوجدوه من تخلف فى ميدان التعليم ، فقد كان هدف الاستعمار أن تظل العقول مغلقة وألا تتسرب العلوم اليها والخبرة الى أبناء الشعب فيتنبه الى حقوقهويطالب بها ، ويكافح فىسبيلها ، ويقض مضاجعالمستعمرين فما ان التمس الصوماليون معونة مصر ، الأخت الافريقية الكبرى ، على يدى ابنها البار كمال الدين حتى اتخذتطلائع المدرسينالمصريين سبيلها الى الصومال ، وأخذت تعمر المدرسة تلو المدرسة ، والمعهد تلو المعهد ، وانفتحت أبواب « المركز الثقافى » على مصاريعها ، تستقبل المتعطشين من أبناء الصومال الى العلم والمعرفة .

ولما ضاقت امكانيات الصومال مصاريعها ، تستقبل المتعطشين من افتتاح ما يفىبحاجة الشعبمن معاهد ومدارس ، يسر الفقيد للشباب الصومالى أن يرد مناهل العلم فى مصر وكان الطلاب الصوماليون يعدون فى مبدأ الأمر بالعشرات ثم أصبحوا يعدون بالمئات ، من البنين والفتيات

وقد أوشك الكثيرون منهم على اتمام تعليمهم ، والعودة الى بلادهم مزودين بأحدث وسائل العلم والمعرفة .

وقد لقيت أعمال الفقيد تجاوبا ، يندر أن يكون له مثيل ، مع أمانى الشعب الصومالى وزعمائه وأولى الامر فيه ، وقد كانت سياسته ، رحمه الله قائمة على التعرف الشخصى والتعاطف والاقناع ، واقامة علاقات المودة والالفة والثقة المتبادلة ، ولهذا فقد تكلف كثيرا من المشقة ليزور جميع البقاع فى القطر الصومالى ، فى البادية والحواضر ، وكان يجد فى متاعبه راحة الضمير ، اذ يؤدى رسالته الانسانية بأقصى ما يستطيع .

ولم يكن كمال الدين صلاح ، فيما أداه للصومال من خـدمات ، مدفوعا بأفكار ضيقة عن التعصب للقومية ، ولـــكنه كان ، فى الواقع ، مؤمنـــا بالرسالة العالمية التى تحمل لواءها هيئة الأمم المتحـدة ، والتى كان هو مبعوثها الى الصومال • ولهـذا فان خصوم هــذه الرســالة العالمية من المستعمرين ، على اختلاف ألوانهم ، وجدوا فى فهمـــه لتلك الرسالة ، واصراره على أدائهـا ، وحماسته فى سبيل اتمامها ، وجدوا فى ذلك ، وفى تجاوب الشعب الصومالى مع الفقيد خطرا على مصالحهم الجشعة وأنانيتهم ونذيرا بفشل خططهم التى رسموها لجعل الصومال ضـيعة للاستعمار من جديد ، فحاولوا أن يثيروا الغبار حول نشاط الفقيد ، ولكن أحدا لم يستمع اليهم ، وتقدموا بالشكاوى الى الحكومة المصرية ، والى مجلس الوصـاية فى هيئة الأمم ، ولـكن الشكاوى كانت قد تكشفت عن زيف وبطلان ، وأخيرا لجأ الاستعمار الى التآمر فى الظلام •

ولم يدر المتآمرون الذين حركوا يد المجـــرم الآثم التعس أنهم بجريمتهم المنكرة قد أعلنوا على العالم هزيمتهم أمام الفقيدالبطل ، فى ميدانالسياسة الدولية ، وأنهم قد جعلوا منه شهيدا خالدا على مر الزمن ، ينقش اســـمه بأحرف من نور فى تاريخ الصومال ، وفى تاريخ مصر ، وفى تاريخ القارة المجيدة ، يوم يسطر تاريخها الحديث •



كمال الدين صلاح كما عرفته

للأستاذ الشيخ عبد الله المشد

كان أول لقاء بيني وبين الفقيد في لبنان سنة ١٩٤٠ ، وكنت عضوا في بعثة التعليم هناك . كما كان الفقيد عضوا في الهيئة القنصلية المصرية في بيروت ، وكان آنئذ في مقتبل شبابه ، وقوة نشاطه ، ومع ذلك فقد كان جم التواضع . راسخ الايمان بدينه وعروبته ، دائب العمل والنشاط في الدعوة الى مثله العليا ، والتوفيق بين الجماعات والأفراد ، لجمعهم على الخلق الفاضل لتخليص الوطن العربي من براثن الاستعمار الذي فرق وحدة الأمة العربية ، وأشاع فيها الفرقة والضعف ، وقسم وطنها الى دويلات يكيد بعضها لبعض ، وقد تنتصر لدول الاستعمار الكبرى على حساب الدين والقومية والأخلاق .

فكان لا يمضي أسبوع دون أن يلقي كلمة في ناد . أو حديثا في جماعة . أو محاضرة في معهد علمي أو مجتمع سياسي . يبين فيها أغراضه ويوضح أهدافه ، وهو في كل ذلك لا يطلب جزاء ، اللهم الا ارضاء ضميره ، وتحقيق رسالته ، وكان في دعوته شجاع القلب صريح القول يضحي في سبيل عقيدته الشريفة وأهدافه السامية بكل مرتخص وغال

ولقد ضحى بماله وبراحته وبوظيفته وبمستقبله في سبيل قهر الحلفاء ، ونصرة وطنه العربي .

فكشفت معرفتي به عن قرب طيب عنصره ، وصفاء معدنه ، وقوة روحه حتى عد في جميع ذلك مثالا يحتذيه الفضلاء ، ويقتدى به العظماء ، فتوثقت بيني وبينه عرا الود ، وتوطدت أواصر الحب وزاد منها ما كشفته فيه من صدق في القول وثقة في الدين ، وبخاصة بعد أن ظهر لي أنه نشأ في بيت اشتهر بالعلم والدين والطهر والعفاف :

جرت على سنن التوحيد نشأته
في الله والرأى اخلاصا وايمانا

كان لبنان في هذه الفترة تحت سلطان حكومة فيشي ، بعد أن سقطت فرنسا على يد المحور ، وكان الانجليز والديجوليون يستعدون لغزوه من فلسطين ، ولكل من الجانبين أنصار وأعوان في البلد العربي . أما كمال الدين ومريدوه من الصفوة العربية الممتازة ، فكانوا يعملون جاهدين ضد المعسكرين سرا وجهرا . حتى يخلص الوطن العربي لأبنائه لا يخيفهم وعيد ولا ينال منهم تهديد ، ولا يردهم عن

مقصدهم رنين المال ، أو معسول الوعيد · واستمر رحمة الله عليه يجاهد بكل ما يملك من قوى ، حتى اذا انتصر الحلفاء فى هذا البلد كان أول ما طلبوه ابعاد هذا المجاهد الكريم عن لبنان ، فخرج راضيا مرضيا عنه من أبناء العروبة الخلص ، ذاكرين له حسن بلائه وجميل جهاده ·

ثم باعدت بيننا الأيام واختلاف الأعمال ، وأخذ ينتقل رحمة الله عليه فى مناصب مختلفة من السلك السياسى وأخذت أتسقط أخباره فى مناصبه ، فكانت كلها مجمعة على أنه لم يتحول عن أسلوب حياته ، وحمل رسالته فى كل بلد أجنبى حل فيه بل كانت الأيام تزيده تمسكا بأهدافه ، وقوة دعوته ، وفى سنة ١٩٥١ اختارتنى مصر لدراسة أحوال المسلمين فى بلاد الصومال والحبشة ، وأرتيريا ، وعدن ووضع تقرير عن أحوال هذه البلاد وما يمكن أن تقوم به مصر نحو مسلميها من مساعدات تخفف عنهم وطأة الاستعمار ، وتنهض بهم مما وقعوا فيه من ذل وجهل ، فلبيت الطلب ، ووضعت تقريرا عن أحوال المسلمين عامة فى هذه البلاد ، وعن علاج مواطن النقص والضعف عندهم التقرير والاستهداء به فى أداء واجباتها نحوهم ·

وفى عهد الثورة سنة ١٩٥٤ أختير رحمه الله عضوا فى المجلس الاستشارى لهيئة الامم بالصومال وكاشفته رحمة الله عليه بما سيلاقيه من عناء وتعب فى سبيل أداء رسالته فى تلك البلاد ، التى تعاون المستعمرون جميعا على وقف تقدمها وحريتها واستقلالها ، حتى لا يمتد نور الاسلام وتنبثق ثورة الحرية من هذه البقعة الى قلب القارة السوداء وجوانبها الشرقية والجنوبية ، فيقضى ذلك على دعايات المبشرين ومصالح المستعمرين فوجدت منه عزما قويا ، وروحا عاليا، واعتزازا باختياره لهذا العمل الجليل وآلى على نفسه أن يضحى بكل عزيز لديه فى سبيل اعزاز الحق ونصرة المستضعفين · حتى يستخلص لهم حقوقهم أو يموت دون ذلك فى ميدان الجهاد والشرف ــ ثم سافر يحمل بين جنبيه تلك الروح العالية ، والاخلاص المتدفق ، والأمل والرجاء · وكانت أعماله وأخباره ترد الى تباعا فى كل أسبوع فى كتب يكتبها الى الصوماليون تفيض حبا وثناء ، وتقديرا واشادة بما يقدمه الى هذا البلد من جهاد جبار وعمل دائب ، ونشاط ، لا يفتر فى الدفاع عن حقوقه ، والقضاء على ما يحيكه المستعمرون من مؤامرات ، وما ينسجونه من دسائس ثم اذا فرغ من ذلك اتجه الى توصية الأهلين نحو ما يرفع من اقتصادياتهم ، أو يحسن من اجتماعياتهم ، ويخرجهم من تقاليدهم الرجعية ، وعاداتهم القبلية

التى كانت تضعف من شوكتهم ، وتفرق كلمتهم وتمزق شملهم • فيعودون اخوة متحابين ، ومواطنين صالحين متعاونين ، حتى فوت على المستعمرين أغراضهم ، وأقض مضاجعهم ، فبيتوا له بليل واستأجروا له أفاكا أثيما عن طريق جماعة لا يتجاوز عددها أصابع اليد من المرتزقة ، ومحترفى السياسة ليغتالوه غدرا وخيانة ، وهو أنشط ما يكون حركة ، وأعمق ما يكون ايمانا بدينه وبربه ، وتركا لشئونه الخاصة وشئون ولده وأسرته اخلاصا فى عمله لصالح هؤلاء القوم فطعنه الآثم طعنات أودت بحياته الغالية ونفسه الطاهرة وروحه البريئة البارة ، فى وقت كنا أحوج ما نكون فيه الى اخلاصه ، وعمله ، وتفانيه ، ولكن حم القضاء فذهب مبكيا عليه الى جوار ربه الكريم فى زمرة الشهداء والصالحين ، وحسن أولئك رفيقا •

وأنزل الله علينا جميعا ، وعلى حرمه النبيلة الصبر والسلوان ، وعوضنا خيرا فى أنجاله •

وهكذا بين عشية وضحاها ، تختنق بين غمام الاستعمار شمس • وينطفىء بين غشاوته شعاع • أقوى ما يكون ضوءا • وأزهى ما يوجد هداية •

وتلك لعمر الله • ان دلت على شيء فانما تدل على سياسة بالية ، ترجع بنا الى شريعة الغاب • اذ كان المنطق يعتمد على القوة • واستعباد القوى للضعيف ، وتحكم الأهواء ، فلا وازع من ضمير ، ولا رادع من شعور ووجدان ، فما يكاد يجأر بالحق مجاهد ، ويصرخ فى وجه الظلم صارخ ، الا رد على عقبه ، وخنق فى عشه قبل أن يطير ، ولو كان الثمن غاليا • فان أهون شيء على المستعمر ازهاق الأرواح ، وأسالة دماء الأبرياء

فما أكثر صنائعهم وعملاءهم الذين يسلطون على الضحايا ، وبهذه الوحشية تكون غاية المجاهدين الصابرين ، وبهذه الوحشية كذلك ذهبت روح كمال الدين صلاح قربانا على معبد الوطنية وفداء لها • (ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون) فلله نفس وثابة طموح ، وروح آمنة مطمئنة جاهدت فلقيت فى جهادها حتفها وماتت ولكنها حية بالذكرى فى سجل الخالدين •

من أجل أفريقية

كثير من الناس يتحولون من بشر الى افكار ، حينما يرتبطون بالواقع النفسى والاجتماعى لبلادهم وللبشرية جميعا . وما أكثر الذين تحولوا من بشر الى أفكار فى « افريقيـة » فالصراع قد دار فيها كأشد مايكون الصراع عنفا وقسوة . والصورة التى ترتبط فى ذهن الانسان عنها فى هذه الأيام هى صورة العملاق الذى كسر قيوده وأخذ يضم أرضه وأمجاده فى حب ورحمة وحنين ! .

... وفى هذه الفترة العصيبة للقارة طلعت علينا قيادات جبارة كلها اخلاص وتضحية ، ومن بين القيادات من لايزال يحمل الراية فى شوق وحب ، ومنها من سقط كل شىء فيه الا اليد التى تحمل هذه الراية الافريقية التى تنادى بالحرية والسلام للبشر . وفى طليعة هذه القيادات نستطيع أن نلمح انسانا قد تحول الى مجد ودموع ولا تزال يده فى اصرار تحمل « الراية الافريقية » .

تحملها فى « صوماليا » . هذا الوطن الموضوع تحت وصاية هيئة الأمم المتحدة والذى سينال استقلاله عام ١٩٦٠ والبالغة مساحته ١٩٨٫٠٠٠ ميل مربع ، والبالغ عدد سكانه ١٫٢٤٦٫٠٠٠ . هذه اليد التى ماتزال ترفع الراية ــ لتذكر بحرية الصومال وبضم أجزائه ــ يد مصرية ! يد الشهيد « كمال الدين صلاح » .

وليست هذه اليد أول يد مصرية رفعت فى هذه البلاد ، فصلة مصر بالصومال قديمة ، وتأثير لغتها فى لهجاته ما يزال حيا وقد أطلقت مصر عليها « بلاد بونت » فبين الشعبين تاريخ وصلة . ومن هنا فلم يكن الشهيد غريبا فى هذه البلاد بعد أن ذهب اليها وهو فى قمة خبراته وتجاربه بعد حياة عاصفة قضاها فى القدس وفلسطين حينما كانت تحت الانتداب ، وفى بيروت واليونان ، وعمان وتشيكو ــ سلوفاكيا ، ودمشق ، واستوكهلم ، وفرنسا ، وقد أسلمته هذه البلاد بعضها الى بعض ، فى حب وشوق . الى أن اختير ممثلا لمصر فى المجلس الاستشارى للأمم المتحدة بالصومال .

... وفى الصومال هذه البلاد الطيبة أحس بالسعادة وهو يلقى عليها النظرات الأولى فقد وجد شعبا يغمره الوعى القومى ، والرغبة الخالصة فى الحرية وفى ضم أجزائه المتقطعة . اذ أن الصومال مقسم الى خمسة أقسام قسمان تحت السيطرة البريطانية وقسم خاضع لفرنسا وقسم خاضع لأثيوبيا وقسم كان تحت السيطرة الايطالية وهو الذى يسمى الآن « صوماليا » .

وفى هذا القسم الذى استنزفته ايطاليا . وتآمرت عليه انجلترا

وصدرت اليه أمريكا خبراءها ومدت اليه الحبشة رغباتها • في هذا القسم الذى تهب عليه هذه التيارات وقف الشهيد فى ايجابية جبارة يدافع عن القيم الانسانية • وعن شرف الانسان فى كل مكان . هذا الانسان الذى من حقه أن يعيش • وأن يستمتع بحياته وحريته وأرضه !

وبخاصة أنه شاهد كرامة الانسان قد أهدرت فى هذه البلاد فقد حارب الدخلاء قيمه وتقاليده واللغة العربية التى يريد أن يتكلم بها ، واذا عرفت أن هذه البلاد قد دخلها الاسلام حوالى عام ١٤٠٠ وأن ٩٩٪ من سكانه مسلمون ، وأن العروبة مستقرة فى أعماقه ، اذا عرفته هذا أمكنك أن تعرف أعباء المسئولية التى كانت ملقاة على عاتق « كمال الدين صلاح » كانسان وكعربى • ومن هنا فهو لم يقف موقفا سلبيا فى الصراع الدائر فى الصومال • وما كان له أن يقف هذا الموقف السلبى وهو يفكر بعقل مصر الذى يحب الخير للناس ، وبسياسة مصر التى تسعى لتحرير القارة ، ومن هنا نراه قد التزم جانب الشعب . جانب الحق ، فوقف يدافع من دونه فاشية الدكتور فرانكا ، ومؤامرات اميديميكايل ديساليج ، وأطماع لصوص البترول ، ورجعية ادمندو ومخالب القنصل الانجليزى •

.. فلقد كان هؤلاء جميعا هم المعول الذى يهبط ويصعد فى غير رحمة على قلب هذا الشعب • ومن وجهة أخرى فلقد كانوا الوجه الخفى للقاتل ! الوجه الخفى لمحمد شيخ عثمان ! لقد كانوا البندقية وكان الرصاصة . كانوا الخنجر وكان اليد التى دفعته فى قسوة وحقد فى ظهر القيم الشريفة كلها ! فى ظهر مندوب مصر ! .

.. ولقد نزع كمال الدين نفسه هذا الخنجر من ظهره لأنه كان يريد بقية من أمل : بقية من عمر ليخدم بها هذا البلد الذى أحبه ، ولما لم يكن هناك شىء من الأمل أغمض أحدى عينيه على أسرة بعيدة فى القاهرة . والعين الأخرى على الصومال الذى أحبه . الصومال الذى استشهد فيه!

وابتسم وهو يحتضر فى المستشفى فقد كان يغفر . والغفران ابتسام • !

.. ومهما يكن من شىء فقد ركز للعروبة شعلة على جانبى خط الاستواء بعد أن هدأت هذه الشعلة فترة من الزمن نتيجة لانهيار امبراطورية الخديوى اسماعيل وفتح قناة السويس • وتكالب الغرب على الاستعمار فى القرن التاسع عشر ..

نعم لقد ركز كمال الدين للعروبة شعلة فى أجزاء الوطن المفكك . وأحضر من مصر رسلها فقاموا وما زالوا يقومون ببث هذه الفكرة التى مهما قاومها الاستعمار فستهزم الاستعمار لأنها نبات افريقى يستطيع أن يؤتى ثماره فى كل مكان بافريقية ! •

.. وليس كمال الدين صلاح أول شهيد لمصر فى افريقية ، ولن يكون الأخير ، ما لم ينحسر عنها الاستعمار وتصبح بحق للافريقيين • ولعل خير ما يعزينا فى يوم ذكراه أنه تحول الى فكرة كبيرة •

فكرة بالحرية ! •

وفكرة بالانسانية ! .

ع • ب

ذكريات عن كمال الدين صلاح

في مكتبه بوزارة الصحة قابلته.. صديق قديم لشهيدنا البطل المكافح كمال الدين صلاح ... طلبت منه ان يحدثني عن صديقه ... وصمت الدكتور نورالدين طراف وزير الصحة وسرح بطرفه بعيدا ثم قال :

« كأنما كان شهيدنا العزيز كمال الدين صلاح يحس بأن أيامه على هذه الأرض معدودة فراح يشحنها بالعمل، ويملأ ساعاتها بالكفاح عله يستطيع أن يحقق بعض ما يملأ صدره ، ويشغل نفسه الكبيرة وقلبه المؤمن .

كان يدرك أن في عنقه رسالة نحو وطنه ، فأخذ يفنى نفسه فى خدمة هذه الرسالة ويركز جهوده لتحقيقها ويبذل من طاقته وكيانه لها .. حتى بلغ البذل مداه فوهب حياته كلها يوم مصرعه فداء لهذه الرسالة .

عرفت الفقيد العزيز فى صدر شبابه يأخذ مكانه المرموق فى كل حركات الشباب ويفيض عليها من ايمانه ووطنيته شيئا جديدا لم يكن لهم به عهد .

وكان كمال الدين يؤمن أن الشر الذى أصاب بلادنا انما يرتكز أولا وقبل كل شيء على الاستعمار ثم على الطبقات التى نمت وترعرعت واثرت ونالت الحياة والقوة فى ظله حتى وان كانت بعض هذه الطبقات قد اتخذت لنفسها ستارا خداعا من الوطنية الزائفة ، وأدرك الفقيد العزيز أنه لا يمكن لشعبنا ولا لأى شعب مستعمر أن ينجو من شرور الاستعمار وأن يأخذ مكانه الا اذا حارب هذه القوى المخربة وقضى على قوى الاستعمار وأعوانه .

ومن هنا آمن كمال الدين ايمانا مطلقا بالشعب الكادح الفقير وآمن بأن العمل لايقاظه ، واثارة وعيه ، ورد الثقة اليه هو السبيل الأوحد لتحرير وطنه وتحقيق الأهداف الوطنية التى يعمل لها ، واشتد هذا الايمان فى نفسه وتركز بعد أن التحق بوزارة الخارجية المصرية وهى فى أول عهدها بالحياة فأتيحت له الفرصة ليجوب بلادا كثيرة فيرى فيها ما رأى فى وطنه من تصارع القوى الرجعية ممثلة اما فى استعمار سافر أو مقنع مع القوى الشعبية المتحررة المناضلة .

ورأى كمال الدين صلاح فى الصومال كيف تتكالب قوى الاستعمار على تجريد شعب أصيل فقير من حقوقه . فعاهد نفسه على الأخذ بيد الشعب ، وثار فيه ايمانه الراسخ بالشعوب ، وحقوقها ، وكرهه الأصيل للاستعمار وأعوانه ، وأقبل على عمله

فى اصرار وتركيز ، واخذ يضيق الخناق على المستعمرين ويكشفهم ويفضح اساليبهم ويثير وعى الصوماليين وثقتهم بأنفسهم حتى لم يجد الاستعمار وسيلة للتخلص منه الا القضاء على حياته واغتياله فى هذه الصورة البشعة ..

وبهذا انضم الشهيد كمال الدين الى تلك القائمة الطويلة من الشهداء واصحاب الرسالات الذين كان كفاحهم وجهادهم من فجر التاريخ منار الانسانية وهديها ثم كانت دماؤهم الفداء الذى ترعرعت عليه أسمى المبادىء التى عرفتها البشرية » .

ثم قال الدكتور طراف :

« ان من حق المواطنين فى كل أرجاء العالم أن يعرفوا كمال الدين صلاح وأن يعرض عليهم كفاحه وأن يروا كيف بلغ هذا الكفاح قمته يوم مصرعه واغتياله » .

وتركت الدكتور نور الدين طراف وزير الصحة وانا محمل بالذكرى العطرة لواحد من أبناء مصر آمن بالحرية وآمن بالمثل الوطنية العليا

((**أبو الحجاج حافظ**))

اقتصاديات إفريقية

تعتبر افريقية أهم مستودع فى العالم للمواد الأولية . مع أنه لم يتم استغلالها استغلالا تاما فهى تنتج ما يقرب من ٩٨ ٪ من انتاج الماس فى العالم ، ٥٥ ٪ من ذهبه ، ٢٢ ٪ من نحاسه . كما تنتج ٦٦٪ من كاكاو العالم و ٦٠٪ من زيت النخيل . كما تحتوى على كميات وافرة من المنجنيز والكروم والأورانيوم . وتعتبر أرضها صالحة لكل أنواع النباتات .. ومع كل هذا الغنى فانها تعتبر من جهة النظر الاقتصادى فقيرة لأنها لا تصدر الا ثلاثة فى المائة من مجموع صادرات العالم من المواد الأولية . كما أنها لا تنتج ما يكفيها من الطعام . ومع ذلك فانها تعتبر أعظم مورد محتمل للثروة والانتاج فى أنظار العالم .

دماء في إفريقية

مهداة إلى روح الشهيد كمال الدين صلاح

للشاعر عبده بدوى

قد كنت للصومال خير سلاح ... وغدا يرفرف فى الدجى بصباح
فى هذه الأرض البعيدة أطلقت ... كفاك فجر نبوة وصلاح
أيقظت فيها الشعب فاحتشدت قنا ... وتربصت فى ربوة وبطاح
وفتحت فى غدها نوافذ من شذى ... فتدفقت مثل اللظى المجتاح
وتحدرت صوب العدو عزائماً ... ورماحها موصولة برماح !
حتى أطل الفجر ، فجرخلاصها ... من بين أغنية وألف جناح

* * *

بينا يد الظلمات تشهر حقدها ... ناداك قلب هاهنا « بصلاح »
والذعر صاح بجفن طفل ألثغ ... مسترطب كحديقة التفاح
وتجمعت مصر ومدت دمعها ... لتراك بين تجلد وصياح
.. أودعت فى جفنيك حلماً أخضراً ... عن نيلها ! عن فجرها الصداح
عن عشك الشادى الذى خلفته ... بيد ملوحة ، ووجه ضاحى
وفم يغرد « لا تغب يا والدى ... وارجع إلينا مورق الأفراح
أنا فى انتظارك حاملا لى لعبة ... وعلى يدى أسندت كل مراحى
فلأنت أحلامى التى أشدو بها ... فى غدوتى ، وأعيشها برواحى »

* * *

.. ولقــد رجعت نبوّة مجروحة وقصــيدة قد قفّيت بنواح
فاستعبرت مصر ولفت صبحها في ليــلة زنجيــة الأتراح
ظل الهــدوء بمقلتيه لم يزل ببريقــه . بجنينه اللمــاح
والبسمة الزهراء لمــا غيبت من ثغره ... قد فتحت بجراح ،

* * *

بينا حريق النصل يغرس بغضه قد كان يصفح عن يد السفاح
فلقد أحب بلاده ورعى بهــا شــعباً يعيش معذب الأفراح
غصبوا الضياء بجفنه فتدفقت من قلبــه إشراقة الإصباح
واستنزفوه فلا ترى في قلبه إلا احتضار النور في المصباح !

* * *

شرعوا النصال لقتله ، فحميته من دونهم ، وسقطت بين الساح
الله في دمك الزكي ، وقد جرى شــعلا تقود مواكب الأرواح
قد هز من « افريقيا » أوجاعها فحنت على جرح قديم صاحي
لكن قلبك وهو في رعشاته مسح الظلام برقة ، بسماح ،
وهوى الجبين السمح بينا كفه كانت تجرجر ألف ألف صباح !



ذكرى شهيد

بقلم الشاعر الصومالى أحمد عمر الأزهرى

(كمال) لم يمت أبداً وفينـــا ... ميـــادئه ونحن الحـــاملونا
نقـــدسها ونحفظها ونبنى ... بهـــا استقلالنا مهما حيينا
ففى مصر مئات من بنينا ... لهاتيك المبـــادىء مخلصونا
لقد قتلوه لمـــا صاح فينا ... ألا فلتحذروا المستعمرينا
فان ظنوا بأن (كمال) شخص ... فقد وهموا وصاروا خاسرينا
(كمال) صار فى الصومال نوراً ... وناراً تحصـــد المتآمرينا
(كمال) انه فى كل حفل .. ... يقول لشعبنا لن نستكينا
(كمال) انه مع كل طفـــل ... كوالده ولن ينسى البنينا
لقد فتح المدارس فى بلادى ... وكان الجهل يرتع فى بنينا
(كمال) كان حامينا جميعاً ... وكان العين ترعى النائمينا
وكان لساننا فى كل ناد ... ويدفع عن بلادى الطامعينا
بنى الفاشيست قد خنتم عهودا ... وأنتم شر من فى الغادرينا
بنى الفاشست ننذركم بأنا ... ســـنلتهم السلاسل والكمينا
سنبنى مجـــدنا بالفأس ان لم ... نجـــد غير الفؤوس لنا معينا
لقد ولت عهود كان فيها ... لكم سوط على ظهرى دفينا
ولكن لم يعد شعبى قطيعاً ... فيرعاه اللصوص الظالمونا
(كمال) أنت قد خلدت فينا ... وكل شـــبابنا أدى اليمينا
سنمضى فى خطاك ونحن جند ... لأخذ الثأر إنا لن نلينـــا
وفى الصومال يا مصر قلوب ... تحن لأرضك الخضرا حنينا

أصل واحد لشعب واحد

من ساحل البحر المتوسط الى هضبة البحيرات فى وسط افريقية

بقلم الاستاذ محمد عبد الفتاح ابراهيم

منذ أيام ، أدلى زعيم سياسى كبير ، من زعماء شمالى افريقية ، بحديث الى صحفى أمريكى فقال كلاما لا يخرج فى معناه عن « أنه يتجه نحو الغرب لا نحو الشرق ، وأنه يطل نحو جدار الأطلسى لا نحو الخليج العربى ، وأن الناس فى شمالى افريقية من هضبة السلوم الى حوافى الاطلانطيق من عنصر آخر غير أولئك الذين يعيشون بين النيل والفرات ، وأن هذه المجموعة التى تعيش فى الغرب لها طوابعها وحضاراتها ، وأنه كانت فى بلده منذ ثلاثة آلاف سنة حضارة لها طارفها وتليدها ، فقد عاشت عند تقاطع الطرق الطبيعية بين ثقافة الشرق وثقافة الغرب !! ، ثم أن هذه المصالح المشتركة لهذه الكتلة الغربية لا يفهمها أولئك الذين يعيشون عند مشرق الشمس » ، « وأن .. وأن » مما لا محل هنا لتقديمه ، على علاته ، فى بحث ينصرف الى حديث الدراسة العلمية .

ومع هذا فمن الممكن القول بأنه غاب ، ولا شك ، عن الزعيم السياسى الكبير أن حديث العلم أقوى من حديث السياسة ، وأن حديث الروابط الحضارية من عوامل الدين والثقافة واللغة أعمق من التفكير فى المصالح المصطنعة ، وليدة الظروف الخاصة بتقدير خاص ، وأن اللهجات المختلفة التى تغير من مخارج الألفاظ أو بعض مدلولات الكلمات لا تضعف الأصل فى اللغة الواحدة ، بل توضح سعة الأصل ، ورحابة التقبل للكثير من الاتجاهات الفرعية المتأثرة بالهجرات العارضة ، أو وليدة العزلة القديمة الماضية .

فالناس فى النصف الشمالى من قارة افريقية فى القطاع المستعرض بين البحر المتوسط وهضبة البحيرات ، وبين سواحل البحر الأحمر وبحر العرب ، وبين الاطلانطيق حتى خليج غانة ، الناس فى هذه المنطقة الفسيحة من الأرض على متباين ألوانهم وصورهم من أصل واحد هو الأصل الحامى .. ، ومن ثقافة متصلة وثيقة حتى مع تقسمها ثقافة اللغات السامية واللغات الحامية ، وكل الفروق البسيطة فى اللون للبشرة أو للعينين ، وتباين صفات الشعر انما هى فواصل عارضة جاءت نتيجة تزاوج واختلاط

فى منطقة أكثر مما جاءت فى منطقة أخرى ، أو لتعرض بعض المجموعات لهجرات مارة ، أو هجرات مقيمة ، مما أوجد بعض الصور الفرعية ؛ ولكن كل هذه الصور الفرعية لا يمكن أن تتنكر للعامل الأساسى ، عامل الأصل الواحد ، ولهذا فمن الضرورى أن تكون الاتجاهات واحدة !!!

فلا ينظر الناس للشرق ولا للغرب، ولا يطلون على بحر العرب ، أو على جدار الأطلنطى ، وانما ينظرون الى أنفسهم ، ويطلون على وحدتهم ، ويكونون كتلة واحدة مثلها مثل العصى اذا ربطت معا استحال كسرها .. واذا تفرقت تكسرت آحادا .

وليس هذا من اصطناعى انا .. بل هو حديث العالم ، وحديث علماء علم الانسان وأعماله .

والواقع أن الأصل فى هذا هو أن حضارة افريقية حضارة حامية ، وأن كل أولئك الذين يعيشون فى النصف الشمالى بين هضبة البحيرات حتى يساحلون البحر المتوسط من الأصل الحامى ، وأن المؤثرات السامية التى لحقت بهم قد جاءت فىعصور متقاربة، وكان من الضرورى أن يكون تأثيرها فيهم متماثلا متقاربا ، ما فى هذا من شك ، على أننا قبل أن نناقش هذا ، وقبل أن نناقش أهمية الدور الذى لعبه الحاميون فى افريقية ، قد يكون جميلا أن ننظر فى تعمق وتفكير الى مصورة الأستاذ ستروك لتوزيع اللغات الافريقية فى التقسيم المجمل العام للمجموعات اللغوية ، دون ما تقدير للهجات الخاصة وسط هذه المجموعات ، لندرك أن روابط الأصل الجنسى (الحامية) لم تلبث أن قوت منها روابط التفاهم اللغوى والثقافة (السامية) وان كانت قد بقيت على حوافى المنطقة اللغة الحامية ، مقترنة بالأصل الجنسى الحامى .

فالناس من أصل واحد ، هو الأصل الحامى ، وهم فى جملتهم يمثلون شقى هذا الأصل ، أو على ما يقسمه علماء علم «الانثروبولوجيا» الانسان وأعماله الى :

الحاميين الشرقيين و ... الحاميين الشماليين ، فالحاميون الشرقيون ، يكونون المصريين القدامى والمحدثين ، ثم البجة ، والنوبيين ، والجالا ، والصوماليين ، والدناكل ، ثم غالبية الأحباش .

ويتكون الحاميون الشماليون من سكان طرابلس فى غربى ليبيا ومراكش والطورق والتيبو سكان الصحراء ، والفولا سكان نيجيريا ، ثم الجوانشى سكان جزر الكنارى ، على مرمى حجر من ساحل افريقية الغربى علىالمحيط الأطلسى .

ويشير سيرجى الى أنه فى مثل هذه المجموعات الموزعة فى نطاق واسع ، يجب أن نتوقع بعض التباين (غير الحاد) المتقارب فى الخواص الرأسية ، وقد وضحت هذه فى الحاميين الشرقيين أكثر من وضوحها فى الحاميين الشماليين ، تبعا للاختلاط بدماء من المجموعة القريبة ، كما حصل فى الأنوف المنحنية غير المستقيمة نتيجة الاختلاط بدماء من المجموعات الأرمنية

على أن الأهم من هذا هو أن أصل هؤلاء الناس كلهم (الأصل الحامى) قد انصهر فى ذات البوتقة التى انصهر فيها الأصل « السامى » ، فقد كان مهد الجنس الحامى بشقيه مهدا آسيويا ، ربما كان فى جنوب بلاد العرب ، بل ربما فى منطقة أبعد من هذا للشرق ، وحتى الرأى القائل بأن مهد الجنس الحامى برز للناس قبل التاريخ المسطور فى البروز الافريقى للشرق ، الا أنه كان مهد انتقال ، أى أنه كان الخطوة الثانية لبروز الأصل الجنسى ، ومع هذا فان الحاميين والساميين يجب أن يعتبرا تبسيطا لجنس أصلى واحد ، لم يكن فيه منذ بعيد أى من أوجه الخلاف على مايعرفه علماء الأنثربولوجى من عوامل الخلاف بين المجموعات البشرية ؛ وهذا بالاضافة الى دليل أقوى يقدمه استمرار الروابط الثقافية العامة والصلات اللغوية .

يقول « اليوث سمث » فى كتابه «المصريون القدامى ، وأصل الحضارة»

.. « واذن فان المصريين فيما قبل الأسرات كانوا من السلالات التى تصل طول القامة بينها فى المتوسط الى ٦٤ أو ٦٥ بوصة مع نسبة رأسية ٧٤٫٩ ومع سواد الشعر والعيون ، على مثال ما نجده الآن على كلا جانبى البحر المتوسط ، وقد امتدت نفس المجموعة فيما وراء مصر العليا الى النوبة التى لا يزال لها الطابع الأساسى للسكان الأصليين ، ثم اتجهت المجموعة الى الغرب ، فأوجدت هذا التماثل الواضح فى أوروبيى البحر المتوسط ، ومن يقال لهم البربر ، كما اتجهت الى الشرق فأوجدت التشابه الكبير بين أفراد القبائل التى تسكن الصحراء والمرتفعات بين وادى النيل والبحر الأحمر ، ثم انحدرت الى الجنوب الشرقى ، فشملت كل من فى أرض البجة ، وامتدت فى أراضى ارتيريا حتى وصلت الى الحبشة ، وفى هذا الاتجاه نجد على التوالى من الشمال للجنوب العبابدة والبشاريين والهدندوة بما فيها من الأمرأر والنوراب والأشراف والارتيجاثم مجموعة بنى عامر » .

والواقع أن « اليوث سمث » لم يعن بأن يقدم ما قدمه تفصيليا ، فقد قدمه مجملا لايمانه بأنه ليس فى حاجة الى المزيد من التفاصيل لاثباته ، على خلاف سليجمان الذى ذكره تفصيليا عندما تحدث عن الحاميين الشماليين فى كتابه « أجناس افريقية » وأفاض فى المقارنات بين طول القامة والنسبة الأنفية والرأسية للمجموعات الثلاث التى تكون الحاميين الشماليين مستثنيا المراكشيين مرة ، وجامعا بينهم وبين الجزائريين والتونسيين والليبيين مرة أخرى .

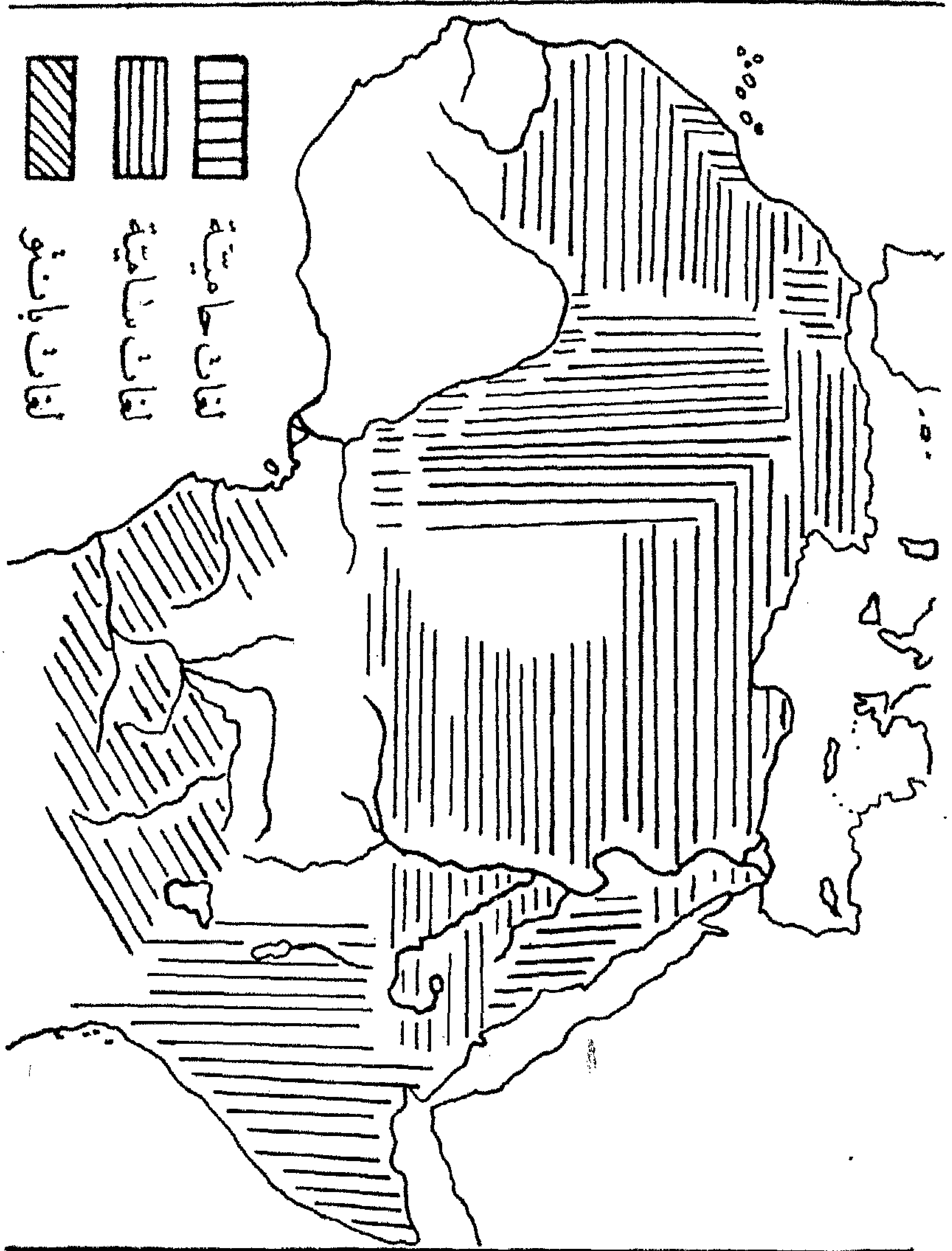
وقد لا تتسع مجلتنا الحبيبة « نهضة افريقية » الى تقديم هذه التفاصيل العلمية التى يمكن أن يرجع اليها من شاء مزيدا من الدراسة التفصيلية ، ولكن الشىء الذى يعنينا أن نؤكده هنا هو ما أثبته العلم من ناحية الدراسة التاريخية لأصول الناس ، ولحفريات الأقدمين ودراسة نظم الدفن وتنظيم القبور ، وما وجد فى جوارها من أدوات العمل أو الزينة أو القتال ، كل هذه الدراسات على شتى صورها واتجاهاتها بالنسبة

للقدامى ، ثم ما صحبها من اختبارات عملية على المحدثين من ناحيــــة علم « الأنثروبومیتری » قياس أعضـــاء الانسان ، ومن ناحية دراسة مجموعات الدم ، بل وما هو أعمق من هــذا من الدراسات النفسية واختبارات الذكاء، كل هذه قد أثبتت بما لا يدخله الشك ان كل هؤلاء الناس من أصل واحد ، هو « الأصل الحامى » ، وأن المجموعات العامة ـ يقصد الشـــعوب ـ التى تتكون من هذا الأصل تتجــه اتجاها روحيا وعاطفيا واحدا ، ومهما كان جنوح بعض الزعماء السياسيين ، فان قوة وحدة الأصل ووحدة الثقافة ، ثم وحدة اللغة ، ووحدة الدين أقوى من عوامل الجنوح وأثبت ! .

ولم ينكر سـليجمان كما لم ينكر غيره من العلماء الذين درسوا شـــمال افريقية دراسة تفصيلية ، ولم يقنعوا بالدراسة العـــامة للأصول العـــامة للجماعات ، لم ينكر هؤلاء كلهم وجود بعض مؤثرات أخرى كان لهـا بعض الأثر فى التصوير الجنسى السكان ، وليست هذه المؤثرات بالأمـر الذى يعتبر بدعة بالنسبة لشمال افريقية فان المؤثرات العارضة كثيرة ، وبخاصة التى تتسبب من الهجرات المتنوعـة المتتالية ، على مثال ما حدث فى مناطق الفرات العلوى عند الجـــدار الأيمن للعالم العربى ، ولكن الذى يقرره العلماء فى دراساتهم العلمية من المؤثرات ، ما هو دائم التأثير لأجيال متعاقبـة كالهجرة الكبيرة التى تنتهى الى اقامة دائمة . والى تزاوج بالسكان ، ثم تؤثر هذه الهجرات تبعا لسيادة اللغـــة والثقافة ، أو بالنسبة لتقاليد النسب والوراثة ، ونظـــام الحكم أهم صور الانثروبولوجيا الاجتماعية .

ونحن هنا فى هذه الدراسة لم نتعـرض لمؤثرات الدين واللغـــة . المؤثرات التى أوجدت طابع «التعريب». فان هذا الطابع ليس مدار حديثنا اليوم ، وانما مدار حديثنا هو الأصل الحامى الواحد الذى يجمع بين كل الناس فى شمال افريقية من البحـر الأحمر الى جدار الأطلنطى فى الشرق والغرب ومن البحر المتوســـط الى هضبة البحيرات فى التحديد للشمال والجنوب ، هذا الأصل الحامى الذى نشأ بدوره فى جوار الأصل السامى فى منطقة ما ، جنوب بلاد العرب ، أو أبعد من هذا قليلا للشرق .

هذا هو هدفنا الذى قدمنــاه ، وقدمنا الدراسات العلمية المجملة العامة لاثباته ، وبعد هذا لم يعد من مكان لاستزادة فى البحث الا أن أكرر ماسبق أن قلته فى صدر المقال ، من أن الأصل واحد ، ولهذا فمن الضرورى أن تكون الاتجاهات واحدة ، فلا ينظر الناس للشرق ولا للغرب ، ولا يطلون على بحر العرب أو على جدار الأطلنطى ؛ وانما ينظرون الى أنفسهم ويطلون على وحدتهم ، ويكونون كتلة واحدة مثلها مثل العصى اذا ربطت معا استحال كسرها ، واذا تفرقت تكسرت آحادا .


لغات حامية
لغات سامية
لغات بانتو

سلطنة آل بوسعيد

وأرض الزنج فى شرق أفريقية

بقلم الآنسة سميرة محمود حسن

ولاية بو سعيد للامامة

جاء الامام سيف بن سلطان الى ساحل أفريقية الشرقى فى عمارته البحرية ، التى كان قوامها ثمانى وعشرين مركبا معدة للقتال وعليها الجنود ، وقد وصلت هذه العمارة الى « ممباسة » فى يناير سنة ١٦٩٨ م ، وكان الغرض من هذه الحملة انقاذ مناطق الساحل الافريقى الشرقى من ظلم الاحتلال البرتغالى ، وقسوته فى معاملة السكان ، وانتهاكهم المشاعر والقيم الانسانية — من ذلك أن القائد البرتغالى قد اختار « بات باتا PATE PATTA » لتكون مقرا لمركزه العام ، واتخذ من المسجد الرئيسى فيها ديوانا له ، وحول المساجد الأخرى الى زرائب للخيل والماشية ، وقد أثارت هذه الأعمال حفائظ الأهلين واضطرتهم الى الوقوف فى وجه البرتغاليين ومحاربتهم وقد نجح العرب فى اخراج البرتغال قبل نهاية عام ١٦٨٧ م ، وسرعان ما عادوا فى حملة كبيرة للأخذ بالثأر والانتقام ، وكان أول عمل قاموا به فتح موانىء الشاطىء الافريقى الشرقى للتجار الهنود ومجىء البرتغاليين فى جموع كبيرة لغرض الاستيطان ، غير أن هذه المحاولات من جانب البرتغال للسيطرة على الشاطىء واقتصادياته لم تنجح بسبب الثورات المستمرة ، التى لم تكن لتهدأ فى مكان ما الا لتستجمع قوتها ، وكان أن طلب الزعماء المحليون من الامام « سيف ابن سلطان » المعونة العسكرية لطرد البرتغاليين ، والاعتراف بسيادته على الشاطىء الافريقى الشرقى • فكانت حملته البحرية التى وصلت الى « ممباسة » كما أوضحنا أولا فى يناير سنة ١٦٩٨ م • وقد نجحت الحملة العمانية فى احتلالها للمدينة واجلاء البرتغاليين ، وأخذ الامام سيف فى توطيد سلطة عمان على الشاطىء الافريقى ، وصارت « بمبا Pemba » و « كلوه Kilwa » تابعة لعمان مباشرة •

وأدخل هذا الامام اصلاحات كثيرة من أهمهـا زراعة عشرات الآلاف من أشـجار جوز الهند ، وبعد موته الفجائي كما أشرنا في المقال السابق ، انتقل السـلطان الى ابن له صغير السن - ويقـال في رواية أخـرى الى حفيـد له صغير السن ، وعرف الامام الجديد باسم سلطان في رواية ، وسيف الثاني في رواية أخرى • وقام اذ ذاك منافسون له يطالبون بالامامة أشعلوا نيران الفتنـة الداخلية بين القبائل ، وكثر عدد هؤلاء مما مكن مؤيدى الوارث للامامة من الاحتفـاظ بالعرش له • وقد تولاه فعلا عند بلوغه السن فى سنة ١٧٢٨ • لكن ذلك لم يحل الموقف حلا حاسما ، فقـد انتهز البرتغاليون حالة عدم الاستقرار والتطاحن الداخلي حـول الامامة ، وأغاروا على شرقى افريقية ، واحتلوا ممباسة •

دخول الجيش الفارسي أرض عمان :

واشتد الصراع فى عمان الى الحد الذى اضطر معه الامام سيف الثانى الى طلب معونة شاه الفرس ، لمساعدته على توطيـد عرشه ، وأسرع الشاه بارسال جنوده ، وقد وجد فى هذه الفرصـة ما يحقق مطـامع الفرس التقليدية على شـواطىء خليج عمـان والخليج الفارسى • جاء جنود الفرس واحتلوا البـلاد ، كأنهم قد فتحوها بحـد السيف ، فكانوا قساة طغـاة أذلوا العبـاد ، وخربوا البلاد التى كانت فى حالة انقسـام ، وأخذت الأحوال تسير من سيىء الى أسوأ ، حتى قيض الله تعالى بظهور أحمـد ابن سعيد الذى وصل الى الامامة فى حوالى ١٧٤١ م ، وأسس الأسرة التى عرفت ببيت آل بو سـعيد ، التى استمر حكمها على الشاطىء الافريقى الشرقى بصورة عملية لمدة طويلة ، وان هذا الحكم وان كان باقيا حتى اليوم فى زنجبار وبعض الساحل ، الا أن رقعتـه قد انكمشت فى المائة العام الأخيرة •

هذا والمعلومات قليلة ان لم تكن معدومة بالنسبة لنشـأة هذا الرجل أكثر من أن الأمام سيف الثـانى قد اختـاره عاملا على مدينة صحار الهـامة التى تقع على خليج عمان ، وقد أحاطت بشخصيته أساطير كثيرة حملت اليه بصورة أو أخرى البشرى بامامتـه المنتظرة ، وسواء أكان لهذه الأساطير والروايات نصيب من الصحة أم لم يكن ، فالحقيقة التى لا شك فيها هى أن الأزمات والنكبات ، التى حلت بعمان وبخاصة بعـد احتلال الفرس لها ، قد مهدت بظهور شخصية أحمد بن سـعيد ، فسلطة الامام قد اغتصبها الفرس ، وتطـاحنت القبائل وضعف سـلطان عمان على شرق افريقيـة واستغل الكثير من المراكز على ذلك الشـاطىء ولم يبق الا زنجبار على ولائهـا للامام سيف الثانى •

الامام أحمد بن سعيد والفرس

وكما أشرنا من قبل الى ان أحمد ابن سعيد كان عاملا على مدينة صحار ، وقد حاصره الجيش الفارسى نحو تسعة أشهر ، وجد الفرس فى نهايتها الخير فى مصالحة هذا العامل لما وجدوا فيه من صفات القوة والعزم الأكيد ، واصراره على طردهم شر طردة والخلاص منهم نهائيا . فطلبوا منه الاتفاق على سحب جنودهم والرجوع الى بلدهم ، وفى الوقت الذى كان فيه الفرس يحاصرون صحار توفى الامام سيف الثانى ، فاتجهت الانظار نحو « أحمد بن سعيد » لاختياره للامامة التى أسندت اليه فعلا فى حوالى ١٧٤١ ، وكان أول عمل قام به بعد توليته الامامة التفكير فى الخلاص من الفرس الذين بقيت قواتهم فى مسقط ، وقد استقر رأيه على مصانعتهم للخلاص منهم عن طريق الحيلة ، وبخاصة أن الشاه كان مشغولا فى حروب خارج بلاده ، فوجه الامام دعوة الى كبار رجال الجيش الفارسي وضباطه ، لحفل وداع أقامه فى أحد الحصون ، وكانت فيه مائدة كبار القوم ، وبعد دخولهم الى مقاعدهم أطلق النفير ونادى الامام من كان له ثار عند الفرس فليأخذ حقه ، فهجم العمانيون على الفرس العزل ، وقطعوهم اربا اربا . كما هجم السلطان على بقية المدعوين الفرس ومن كانوا خارج الحصن من الفرس . وهربت فلول منهم الى مراكبهم للاقلاع فأسرع اليهم مطمئنا ، لكنه بعد قليل أشعل النيران فى السفن ، فقضى على البقية الباقية من الفرس احراقا واغراقا . وليس من اليسير التحقق من صحة هذه الرواية ، واذا ما صحت فانها تدل على عمق الأثر السيء الذى تركه الفرس فى نفوس السكان من أهل عمان ، وبعد ذلك بفترة وجيزة ذهب الامام الى البصرة ، وقضى على القوة العسكرية الفارسية ، التى كانت مرابطة فى ذلك الميناء . وقد أعجب السلطان العثمانى بهذا العمل ، ولذلك كان يرسل لامام عمان هدية سنوية فى ذكرى هذا الحادث ، وقد استمرت الهدية حتى أوائل القرن التاسع عشر الميلادى .

تنظيم أعمال الامامة وتأمين مصالحها فى أفريقية :

وجه الامام اهتمامه الى اصلاح ادارة مملكته ، فوضع الأسس لجمع موارد الدولة والقضاء ، كما عزز القطع البحرية ، وخرج لوقف نشاط القراصنة عند مداخل الشاطئ الهندى ، وعاد من حملته محملا بالهدايا من نواب امبراطور المغول ، وعقد معاهدة مع حيدر على .

هذا ما كان فى الجانب الآسيوى . أما الجانب الافريقى فقد أعلن المازروى عامل الامامة على ممباسة استقلاله عن

عمان واحتذى حذوه فى الانفصال عن عمـــان عدد من الموانىء الســـاحلية الاخرى ومنها « باتا Patto » وبقيت زنجبار على ولائها لامام عمان ، الذى أرســـل فى عام ١٧٤٦ م قـــوة من المحاربين الى زنجبار ، للدفاع عنها ومنع عامل ممباسة الذى أعلن انفصاله عن الامامة ، من غزوها ولم يهتم الامام أحمد بن ســعيد كثيرا بشئون شرق افريقيـــة فى أول الأمر غير أن عزم ممباســـة على غزو زنجبار قد جعله يهتم بارسال حملته التى اتخذت من « بمبا Pemba » قاعدة لها ، لأن حاكم ممباسة كان قد نزل بالجزيرة ، وفشل فى دخـــول الحصن لوقوع خلاف بين المهـــاجمين بمقتل عـلى ابن عثمان حاكم ممباســـة ، فعـاد المهاجمون الى ممباسة وكان ذلك فى حوالى ١٧٥٣ م • وبقيت « بمبا Pemba » تحت سلطة حاكم ممباسة من عائلة المـــازروى ، واستمرت كذلك حتى عام ١٨٢٢ م بهزيمة البيت المازروى على يد محمد بن ناصر عامل زنجبار • من قبل عمان •

وفاة مؤسس الاسرة وانتقال الامامة لأبنائه :

توفى امام عمان أحمد بن سعيد فى يناير سنة ١٧٧٥ • وقد ضايقه أبناؤه فى أخريات حيـــاته ممـــا أحزنه ، وقد ترك سبعة أولاد وثلاث بنات وانتقلت الامامة الى ابنـــه الخامس المسمى سلطان ، الذى ورث الكثير من الصـــفات القوية عن والده أحمد • وتوفى سلطان فى نوفمبر سنة ١٨٥٤ برصاصة من أحد أعدائه من العرب ، وكان عائدا من البصرة بعد استلام الهدية السنوية من سلطان تركيا • وانتقل الحكم الى ابنه سعيد الذى ولد فى سميل فى عمان فى ١٧٩١ م • وكان عمره عندمقتل والده ثلاثة عشرة عاما • وقام بالوصـــاية عمه المدعو البدر ، وكانت السلطة فى الواقع فى يد عمته « بنت الامام » وكانت ذات شخصية قوية ، وتناقلت الشائعات ان « البـــدر » له مطامع فى العرش فما كان من الامام سعيد الا أن تخلص من عمه بقتله بخنجره •

اصلاحات الامام سعيد :

وبعد أن استتب الأمر لسعيد فقد أمضى العشرين عاما الأولى من حـكمه الطويل ، الذى بلغ حـوالى الخمسين عاما • فى تهدئة القبائل الثائرة فى داخل حدود بلده ، وكان يخشى من أعدائه خارج بلاده ، وقام ذلك العداء لأسباب مذهبية • وقد استعان سعيد بحـــكومة الهنـــد فى عامى ١٨٠٩ م و ١٨٢٠ م أرسلت له القوات لاخضاع القبـــائل الثائرة • ولم يهتم سعيد بشرق أفريقية الا فى عام ١٨٢٨ ، حيث خرج فى يناير من ذلك العام فى قوة بحرية ضخمة ، وبعد معركة قصيرة سلمت القلعة ، وعقدت اتفاقية وترك الامام ثلاثمائة جندى فى القلعة

وأقلع صوب زنجبار التى رحبت بمقدمه ترحيبا عظيما ، وقد اتخذ هذه الجزيرة عاصمة له منذ عام ١٨٣٢ م ، ومن أبرز أعماله اهتمامه بزراعة أشجار القرنفل التى أمر بأن تزرع بواقع ثلاثة أشجار قرنفل وواحدة من شجر جوز الهند • حذر المخالف لأوامره بمصادرة مزرعته • وتجارة القرنفل اليوم تدر ربحا كبيرا على السكان •

بداية النفوذ الاوروبى

وقد اهتم الأوروبيون بتزايد النفوذ العربى على الشاطىء الشرقى لافريقية وخشيت انجلترا على مصالحها فى هذه المنطقة الهامة ، وسعت الى توطيد العلاقات مع سعيد ، بتعيين قنصل ووكيل هو « الكبتن هامرقون » وأرسلت له عربة فخمة ، غير أنه لم يستطع استعمالها ، لعدم صلاحية المسالك فى زنجبار ، وبعد أن بقيت فى صناديقها مدة طويلة أهداها الى « نظام حيدر أباد » تقديرا لمعاملته الطيبة لأهل زنجبار ، الذين يمارسون التجارة فى بلده •

وتوفى سعيد فى أكتوبر سنة ١٨٥٦ وله من العمر ستة وخمسون عاما حكم منها اثنين وخمسين عاما • وقد توفى على ظهر الفرقاطة فكتوريا عند عودته من عمان ، وكانت مملكته عند وفاته تشمل عمان وبعض الجزر فى الخليج الفارسى وعلى الشاطىء الافريقى الشرقى ، وطول الساحل الافريقى الشرقى بين رأس غردافوای ورأى دلجادو Delgado ، وشملت أملاكه منطقة داخلية من افريقية وتتكون ، حسب دعواه من جميع المنطقة الوسطى الى منطقة البحيرات والى ما بعدها غربا •

وفاة الامام سعيد وتقسيم ولايته :

وترك سعيد عند وفاته ابنه الأكبر « السيد ثوينى » على عمان وابنه الثانى « مجيد » على زنجبار ، ونشب خلاف بين الابنين ، ورأى الابن الأكبر السيد « ثوينى » أن زنجبار من حقه أيضا أى أن له حق الولاية على جميع ممتلكات والده ، وعمد ثوينى الى تحقيق ذلك بقوة السلاح ، فجمع القبائل العمانية فى مسقط استعدادا لغزو زنجبار • وطلب « السيد مجيد » من الحكومة البريطانية التدخل فى الأمر ، وأجبرت « السيد ثوينى » على وقف استعداداته ضد زنجبار ، وأمرت الطرفين المتخاصمين أن يتقدما الى اللورد كانتج Canning حاكم الهند حينئذاك للتحكيم فى الخلاف ، وكان من نتيجة ذلك أن صارت عمان فى عام ١٨٦١ تحت حكم « السيد ثوينى » ، و« السيد مجيد » سلطانى زنجبار ، وبدأت حركة الكشف عن مجاهل أفريقية عهدا مجيدا ، وتنبه الرأى العام الأوروبى للقارة الافريقية على اعتبار أنها أرض بدون مالك وأخذ الصراع بين الدول فى

الامتداد الى القـــارة الافريقية ، وكان التسابق على امتلاك الأرض وعقـــد المحالفات والاتفاقيات ٠

الاتفاقيات مع أمامة عمان :

وكانت أولى الاتفـاقيات بين امام عمـــان والحكومة البريطانيـــة فى عام ١٧٩٨ م التى وقعهـــا « السيد سلطان بنسعيد » امام عمان ، وشركة الهند الشرقية ، وذلك لضمان تأييد عمان للخطط البريطانية التى وضعت لمحاربة النفوذ الفرنسى ٠ والاتفاقية الثانية فى ١٨ يناير سنة ١٨٠٠ التى سمح بموجبها لمندوب شركة الهنـد الشرقية بالاقامة فى مسقط ، وليكون ضابط الاتصال بين شركة الهنـد الشرقية وعمان ، والاتفاقية الثالثة فى سبتمبر ســـنة ١٨٢٢ لمنع النخاسة والاتفاقيـــة الرابعة فى ١٨٤٥ لمنع ارسال الرقيق من افريقية الى عمان ، كما عقدت اتفاقيات مع الدول الأخرى فقد عقد اتفاق تجـــارى مع الولايات المتحدة الامريكية فى عام ١٨٣٣ ومع فرنسا فى نوفمبر سنة ١٨٤٤ ومع ألمانيا فى ١٨٥٩ (عصبة هامنسيتيك) ومع ايطاليا فى مايو ١٨٧٩ وفى نفس العـــام مع البرتغال ومع النمسا فى ١٨٨٧ ومع الروسيا فى ١٨٩٨ ، وكل هذه الاتفاقيات تهـدف نحو تسهيل التجارة والامتيـــازات التى تحصل عليها الدول ٠

الصراع الدولى وسلطنة زنجبار :

حكم السيد مجيد من عام ١٨٥٦ الى ١٨٧٠ ، وبعد وفاته تولى السلطنة فى زنجبار السيد برغش بن سعيد ، وقد بلغ الصراع الدولى فى عهده أقصى مراحله المختلفة الصور والألوان ، فقد كانت بلاده تحتل مركزا له أهميته على المحيط الهندى ، وتقع من ورائها منطقـة البحيرات التى كانت موضع اهتمام بريطانيا ، فمنها يخرج النيل ويربط بين قلب افريقيـــة والبحر المتوسط ٠ لذا نجد أن هذه الرقعة من وسط افريقية كانت مركزا للنشاط الاســـتعمارى ، التقت فيـــه بادىء ذى بدء فرنســـا وانجلترا ، وكانت فرنســـا تهـــدف نحو السيطرة على الشـــاطىء الافريقى الشرقى ، وعلى جزيرة مدغشــقر ، وعملت بريطانيا جاهـــدة لابعـــاد فرنسا بالوسائل الديبلوماسية ، فعقدت معها اتفاقيـــة مارس سنة ١٨٦٢ ٠٠ التى أعلنت فيها الدولتان المحافظة على اســـتقلال كل من مسقط وزنجبـــار ، وتركت بريطانيا جزيرة مدغشقر لفرنسا ، وجاء بعد ذلك ليوبولد الثانى وكانت له أطماع فى شرق افريقيـــة ، لكن « اســـتانلى » استطاع أن يوجهه الى الكونغو ، وجاءت ألمانيـــا وايطـاليا وفرنسا مرة أخرى ، واشتد الصراع وكثرت القلاقل والفتن فى داخليـة البلاد الواقعة خلف المنطقة الساحلية للشـــاطىء الافريقى الشرقى ٠ وكان

للسياسة البريطانية ، ومركزها على أرض السلطان ، دورها الهام فيهذه الأحـداث • وحكم « السيد برغش » حتى ١٨٨٨ ، خلفـه السيد خليفة ابن سعيد الى عام ١٨٩٠ ، ومن بعده السيد على بن سعيد الى عام ١٨٩٣ •

اعلان الحماية البريطانية على زنجبار :

وفى عام ١٨٩٠ أعلنت بريطـانيا حمايتهـا على السلطنة ، وبعد وفاة السيد على بن سعيد فى ١٨٩٣ وهو آخر أبناء السلطان سعيد اختير السيد « حامد بن ثوينى » أكبر أحفاد السيد سعيد ، وقدأثار هذا الاختيارمعارضة السيد خالد بن برغش ، وطـالب بالعرش وهدد بالقتال ، غير أن تدخل بريطانيا قد أوقف الحرب الأهليـة ، وبقى السيد خالد فى موقف المتربص حتى واتته الفرصة بوفاة السيد حامد فى عام ١٨٩٦ ، فهجم عـلى القصر ، ونادى بنفسـه سلطانا • وكان ذلك فى يوم ٢٥ أغسطس سنة ١٨٩٦ . والسلطان الراحل لم يدفن بعد •

وطلب اليه « السيد لويد ماثيوس » أن يخلى القصر فرفض ، وصـدرت التعليمات للأسطول البريطانى بضرب القصر بالقنـابل فى حالة عدم قبول السيد خالد للانذار بالتسليم فرفض أيضا ، وفى صبيحة ٢٧ من أغسطس قصفت المدافع القصر وهدمته • وهرب السـيد خالد ملتجئا الى القنصلية الألمانية ، وخرج منها فى مركب ألمانية الى دار السلام ، وحارب مع الألمان فى افريقيـة فى الحرب العالمية الأولى ، ووقع فى الأسر فنفى الى سنت هيلانة ومنهـا الى سيشـيل ، وتوفى فى عام ١٩٢٧ فى ممباسة • وتولى السلطنة السيد حامود بن محمد من ١٨٩٦ الى ١٩٠٢ ، وفى عـام ١٩٠٣ تدخلت بريطانيا لتعديل نظام الوراثة للعرش فبعـد أن كانت السلطنة من نصيب الابن الأرشد فى الاسرة ، صارت وفق النظام الجديد • من الأب الى الابن •



مروج الوحوش في أفريقية

للأستاذ مصطفى الشهابى

عندما تقلد زعيم البوير . بول كروجر منصب نائب ثم رئيس جمهورية الترنسفال (١٨٧٤ ـ ١٩٠٠) لاحظ أن الحيوانات البرية فى تلك المنطقة مهددة بالفناء نتيجة لاقبال الصيادين على صيدها للتسلية أو لبيعها لحدائق الحيوانات أو لهواة اقتنائها أو للاتجار فى جلودها . وأنيابها الخ .

لذلك أصدر بضعة قوانين للمحافظة عليها وفكر فى تخصيص مناطق معينة يحرم الصيد فيها حتى يمكن الابقاء على سلالات تلك الحيوانات ، ولكن كفاحه ضد الانجليز شغله عن التنفيذ .

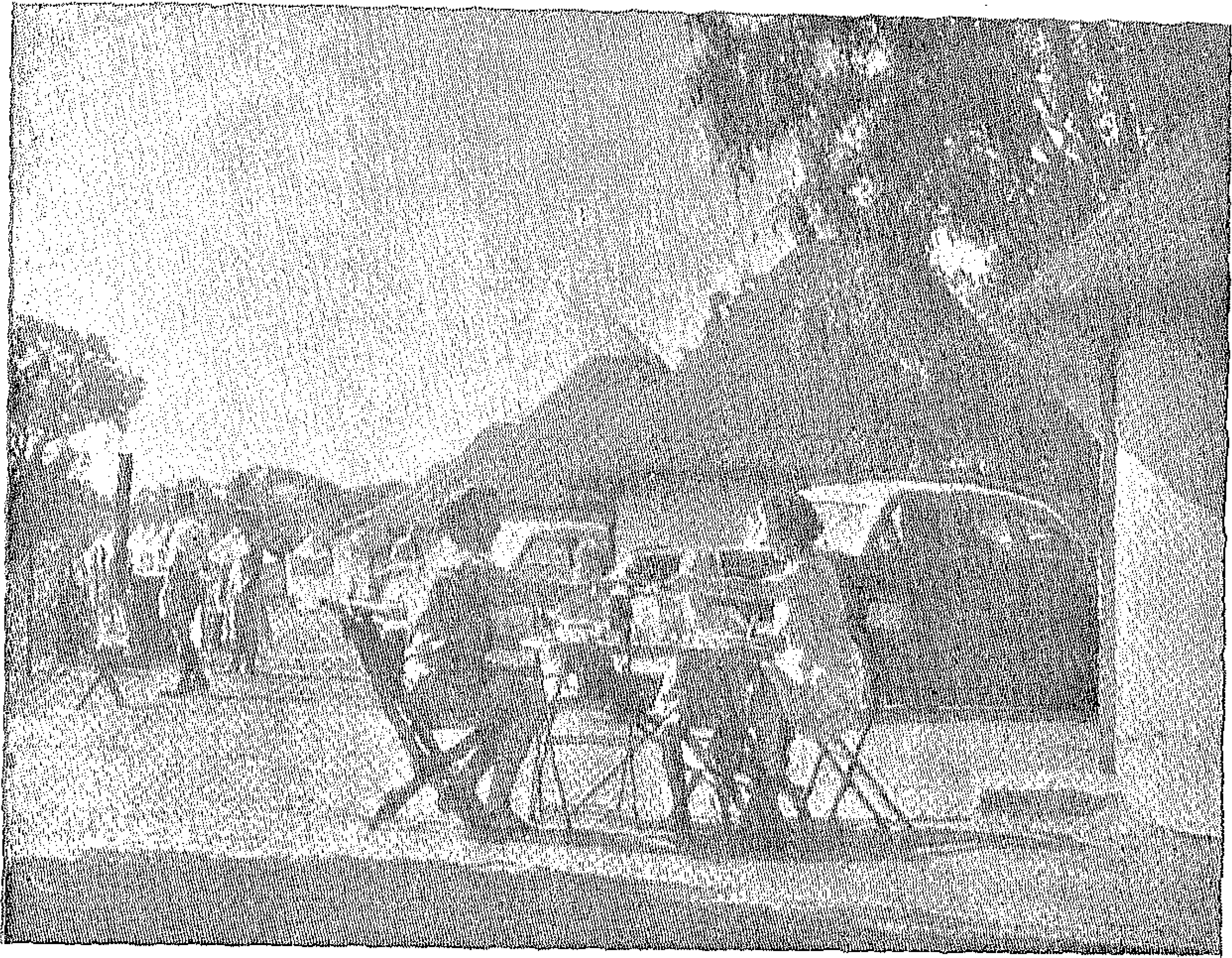
ولم تخرج الفكرة الى حيز الوجود الا فى سنة ١٩٢٦ . اذ خصصت مساحة قدرها ٨٠٠٠ ميل مربع حرم فيها الصيد بأية وسيلة من الوسائل كما تقرر أن تبقى تلك المساحة على ما هى عليه دون أى تغيير أو تبديل فى طبيعتها .

وقد عرفت هذه المنطقة منذ انشائها باسم مرج كروجر الأهلى Kruger National Park تكريما له وما كاد نبؤها يذاع حتى صارت مقصد السائحين يتجهون اليها فى سياراتهم للتمتع بجمالها أو لدراسة طبيعتها وتصوير ما بها من نباتات أو حيوانات وطيور ويزورها كل عام ما لا يقل عن ١٦٠٠٠ سيارة .

والزيارة مقيدة بتصريحات خاصة والغرض من ذلك هو الحد من عدد الزائرين حتى لا تسبب كثرتهم ازعاجا لتلك الحيوانات فتهاجر من تلك المناطق .

وقد أقيمت خمس عشرة استراحة مزودة بكل ما يلزم للاقامة فيها عدة أيام .

وهذه الاستراحات مقسمة الى بضع درجات يمكن لذوى الدخل البسيط أن يقيموا فيها نظير مبالغ معقولة تتفق وحالاتهم المالية والغرض من ذلك هو تسهيل زيارتها للجميع دون استثناء .



وهذه الاستراحات بعيـدة كل البعد عن مظاهر المدينة فهى أشبه بالأكواخ منها بالفنادق والحياة بها فى منتهى البساطة بعيـدة عن صخب المدنية وليس هناك من ضوضاء سوى زئير الأسود أو خوار البقر الوحشى أو عواء الضباع ليلا .

ويبدأ موسم الزيارة من يونيو الى منتصف أكتوبر وفى هذه الفترة يكون الجو فى غاية الاعتـدال ، ويستحب التجول بالسيارات على شبكة الطرق التى تبلغ نحو ألف ميـل مما يتيح للزائرين فرصة رؤية شـتى أنواع الحيوانات التى تقيم هناك على سجيتها دون أن تتأثر برؤية السيارات وكأنها تدرك تمام الادراك أن تلك السيارات لا ضرر البتـة منها . ولذلك فهى لا تعيرها أدنى اهتمام ويحدث أحيانا أن يمر أسد بجوار سيارة وهو على مسافة خطوة منها دون أن يلتفت اليها وكانما هى شجرة أو شىء لا ضرر منه اطلاقا بل ان بعضها يجرى ويلعب مع صغاره .

ومن الحيـوانات المألوف رؤيتها بكثرة : الفيل ، الجاموس الافريقى ، فرس النهر ، حمار الوحش ، الأسد الوعل ، الفهد ، القرد ، الضـبع ، التمساح ، الزرافة ، النعامة . الخ ..

هذا عدا الطيور الجميلة الألوان والطيور الجارحة كالنسور التى تقيم فى أعالى الأشجار .



وهواة التصوير يجدون فى تلك المنطقة ميدانا مشجعا لتصوير شتى أنواع الحيوانات وكثير من الأفلام السينمائية التى شاهدناها عن حياة بعض الحيوانات ومزاح بعضهما مع بعض ، أو افتراس بعضها بعضا تم تصويره بها .

وعلى الحافة الجنوبية الشرقية للكنغو البلجيكى توجد منطقة مماثلة تبلغ مساحتها ٣٫٥٠٠ ميل مربع وتسمى حدائق البرت نسبة الى الملك البرت وقد أنشئت سنة ١٩٢٥ . وهى تشبه فى نظامها وقيودها حدائق كروجر .

وقد عملت الحكومة البلجيكية احصاء تقريبيا لما بها من حيوانات فظهر أن بها نحو ٢٠٫٠٠٠ نوع من الحيوانات الثديية و ٤٥٫٠٠٠ نوع من الطيور وان عدد ما بها من أفيال يبلغ نحو ٢٦٫٠٠٠ ومن جاموس وحشى ٤٣٫٠٠٠ ومن وعول ٣٠٠٫٠٠٠ ومن أفراس النهر ٨٠٫٠٠٠ .

وارتياد تلك المروج مقيد بشروط يجب اتباعها ، وأولاها العودة الى الاستراحات عقب الغروب كما لا يصح مغادرة الاستراحات قبل شروق الشمس بنصف ساعة مع التزام البقاء داخل السيارات باستمرار حتى تقترن صورة السيارات فى أذهان الحيوانات بصورة الانسان عدوها التقليدى فتهاجم السيارات .

ومن المحتم ألا تسير السيارات فى غير الطرق الخاصة بها والا تزيد سرعتها عن ٢٥ ميلا فى الساعة .

وقد تبدو تلك القيود ثقيلة على بعضهم ، ولكنها وضعت للمحافظة على الحيوانات من جهة ، وحماية للزائرين حتى لا يتعرضوا لأية أخطار قد تصل أحيانا الى الموت .

ويظن بعضهم أن تجاهل الأسود والفيلة والنمور والجاموس للسيارات دليل على انها أصبحت أليفة ولكن التجارب الماضية أثبتت أن منظر الانسان يثيرها غالبا فتبادر الى مهاجمته .

وقد يغرى أحد المجارى المائية الصافية وما يحيط به من أشجار يانعة على السباحة فلا تكاد قدم الزائر تلمس الماء حتى ينقض عليه تمساح .

ولهذه المناطق موظفون مهمتهم مراقبة تصرفات الزائرين وتنبيههم الى ما يصدر عنهم من مخالفات تحت تأثير المغريات المؤقتة .

من ذلك ما حدث منذ عدة أعوام عندما استرعى انتباه أحد الزائرين منظر مجموعة أسود نشب بينها صراع دام فأخذت تهاجم بعضها بعضا على مسافة تقدر بخمسين مترا من السيارة .

وخلب هذا المنظر لب الزائر فرفع غطاء سيارته وأخذ فى تسجيله بجهاز كان معه وما هى الا لحظات حتى كان أحد الرقباء الى جواره ولما وجه نظره الى مخالفته للقوانين أظهر امتعاضا زاعما أنها فرصة ثمينة لا يسمح الدهر بمثلها .

وهنا ضحك الرقيب قائلا :

انظر خلفك ياسيدى .

ولما التفت الزائر خلفه هاله ما رأى فأسرع فى لمح البرق الى اعادة غطاء السيارة الى ما كان عليه ذلك لأنه وجد على قيد بضعة أمتار أسدا قد ربض بين الحشائش ولعابه يجرى فى انتظار أكلة شهية قد لا يجود الدهر بمثلها بالنسبة له أيضا .



طلائع العروبة فى أفريقية

بقلم الدكتور ابراهيم أحمد العدوى

تستمد النهضات التحررية القائمة فى قلب افريقية اليوم أسباب يقظتها ومقومات نشاطها من ينابيع عميقة الغور ، يحاول الاستعمار الأوربى جاهدا اخفاء معالمها حتى يحرمها من عناصر غذائها ويحول بينها وبين الوصول الى أهداف الفوز والنصر التام . ويتوقف نجاح حركات التحرر فى افريقية على كشف تلك المنابع الدافقة ، والحصول على ما يحفظ لها السلامة ، وتوجد أصول تلك الينابيع المطمورة فى الجهات التى تضمها المستعمرات الفرنسية بالسنغال ونيجيريا والسودان الغربى من قلب افريقية فى الوقت الحاضر . فقد اتصلت تلك الجهات منذ القرن التاسع الميلادى بتيار العروبة ، الذى سبق أن شق طريقه فى اقليمين شاسعين من أقاليم افريقية ، هما مصر وبلاد المغرب .

واتسم تيار العروبة اذ ذاك بأنه حمل الى كل مكان مر به بذور الاخاء والمساواة ، وحب الحرية ، وكان السر فى قوة تلك الخصال التى اتصفت بها العروبة هو استناد حضارتها التى أطلت على العالم منذ القرن السابع الميلادى الى تعاليم الدين الاسلامى التى تصهر أتباعها فى وحدة متماسكة الأوصال . فتجنبت الحضارة العربية معاثر الحضارات القديمة ، التى قامت على أساس تقسيم أبناء المجتمع الواحد الى طبقتين ، احداهما للسادة الأحرار ، والأخرى للأتباع ، مسلوبى حق الحرية الشخصية ، والتى لاهم لها الا الكدح فى سبيل رفاهية الطبقة الأولى . وفضلا عن ذلك لم يستطع أحد من أبناء الطبقة التابعة أن ينتقل الى مصاف السادة ، مهما أظهر من النبوغ والمقدرة العالية ، لأنه يعتبر من طينة غير طينة أهل السيادة والسلطان .

وفى نفس الوقت ظلت العروبة الى العصر الحاضر بمعزل عن الآثام التى انطوت عليها الحضارات الأوربية التى تحاول بسط نفوذها على بلاد افريقية اليوم . اذ تنزهت العروبة عن شرور الحضارات الأوربية التى تنادى بتقسيم البشرية الى أجناس يعلو بعضها فوق بعض طبقات ، ووضعت الحاجز اللونى ، الذى لا يسمح للرجل الأبيض بالاندماج والاختلاط مع قرينه صاحب البشرة السمراء .

ولكن العروبة انفردت من دون سائر تلك الحضارات جميعها ، القديم منها والحديث بخلوها من نظام الطبقات البغيض ، أو الحاجز اللونى المهين المشين ، وانما اتسمت بسعة

الأفق . بحيث جعلت كل من يتكلم بلسانها عربيا صادقا ، دون اعتبار لأصله أو لونه ، وامتدت العروبة في تلك الصورة الرائعة الى قلب افريقية، بعد أن شيدت لها مركزين عظيمين بقارة افريقية ، في مصر وبلاد المغرب، واتخذت منهما مصدرا لاشعاع النور والعرفان بين أرجاء قلب افريقية ، التي يجثم على أنفاسها حتى اليوم كابوس الاستعمار الفرنسي . وتعاون كل من مركزي العروبة في مصر وبلاد المغرب على تدعيم أواصر القربى والمودة بينهما ، وبين أبناء الجهات من قلب افريقية ، وجعلهم أصهارا وأبناء بررة للعروبة وأهلها في كل مكان .

وأخذت طلائع العروبة تشق طريقها الى قلب افريقية مع التجار العرب من أهل مصر والمغرب ، الذين اجتازت قوافلهم أرض الصحراء الكبرى ، متجهة الى الجهات التي تعرف اليوم باسم السودان الفرنسي . وكانت تلك الجهات الافريقية تضم منذ القرن العاشر الميلادي ممالك وطنية ، أولها مملكة غانة القديمة التي امتدت رقعتها بين نهري السنغال والنيجر ، والتي اشتهرت بأنها مصدر عظيم من مصادر الذهب في العالم القديم . فحمل التجار العرب الى تلك المملكة منتجات بلاد المغرب من البلح والملح وغيرهما من المواد الغذائية ، واستبدلوا بها مع سكان غانة معدن الذهب .

واشتهر التجار العرب بالأمانة والاخلاص ، مما حببهم الى نفوس السكان الوطنيين ، وسمحوا لهم بالاقامة في العاصمة نفسها ، التي سميت باسم غانة كذلك (وكانت تقع الى الجنوب من والتا الحالية) .

وكثرت الجالية العربية في تلك العاصمة ، حتى ان أفرادها بلغوا نصف عدد سكان المدينة ، واتخذوا لهم أحياء جميلة كانت مراكز اشعاع للعروبة في قلب افريقية . ذلك أن العرب بنوا لأنفسهم مساجد في عاصمة غانة ، بلغ عددها اثنى عشر مسجدا ، للدرس والتحصيل . وسرعان ما تطلع السكان الوطنيون الى العرب ، وأخذوا ينقلون عنهم مظاهر زيهم واعتنقوا دينهم فكان الثوب الفضفاض والمسبحة والوقار الديني وشعائر الصلاة وكذلك الكتابة العربية من الأشياء التي أضفت على العربي المهابة والجلال ، وجعلت السكان الوطنيين يقبلون على التحلي بها ، لأنها تكسب المرء شخصية محترمة ، وتزيده قوة وحيوية .

وفي تلك الأثناء هرع الدعاة العرب الى شتى الأرجاء من قلب افريقية ينشرون بها الدين الاسلامي . وأدى هذا الحماس الديني الى تدعيم مظاهر العروبة في تلك النواحي الافريقية .

وبلغت حركة العروبة وانتشار آدابها ولغتها أشدها في المراكز التجارية التي صارت مصدر الاشعاع للهداية والتقدم في سائر أنحاء أواسط افريقية . ويتجلى ذلك في مدينة تمبكتو التي تأسست سنة ١١٠٠ م ، وصارت مركزا هاما للقوافل وتبادل المتاجر بين بلاد المغرب والسودان الغربي . ولم تلبث هذه المدينة أن صارت قاعدة كبرى للعروبة والاسلام بعد تأسيسها بسنوات قليلة ، اذ توافد عليها الطلبة وعلماء الدين في جموع كبيرة ، يدفعهم الى تلقي العلم الرعاية والتشجيع اللذان قامت بهما السلطات الحاكمة هناك . وجرى التعليم في معاهد تمبكتو وفق الأساليب

التى اتبعتها سائر البلاد العربية الأخرى . فكان تعلم اللغة العربية يقتصر على مكاتب تحفيظ القرآن ، التى عرفت باسم الخلاوى .

وقامت مدن أخرى على النيجر أسهمت مع تمبكتو فى نشر الثقافة العربية فى قلب افريقية ، ومن ذلك مدينة «جنى» التى روى أن عدد العلماء بها بلغ نحوا من أربعة آلاف ، تفقهوا فى الدين واللغة . وقام فى تلك المدينة مسجد عظيم صار مدرسة العروبة فى تلك الجهات من أواسط افريقية .

وتعزى كثرة العلماء فى تلك المدينة الهامة الى أنها تمتعت مثل جارتها تمبكتو بمركز هام على طريق القوافل بين بلاد المغرب وأواسط افريقية ، فضلا عن أن ارتحال العلماء الى تلك المراكز التجارية كان أمرا شائعا وطبعيا ، حيث يسهل اتصالهم بطلاب العلم ، ونشر آرائهم .

ولم تفتر تلك النهضات العربية فى أواسط افريقية بسبب التطورات السياسية التى تعرضت لها الممالك السياسية فى تلك الجهات ، فعندما انتقل سلطان غانة الى مملكة تكرور ظلت العروبة تتابع تقدمها ونشاطها . واهتم حكام تلك المملكة بتقوية أواصر المودة والخلافات بينهم وبين دولة المرابطين ببلاد المغرب ، واستدعاء العلماء المشهورين من كل مكان . وعلا ذكر مملكة تكرور حتى ان التجار العرب ذكروا أن سلطانها امتد على سائر أرجاء افريقية الوسطى والغربية واشتهر أهل تكرور كذلك بحبهم للارتحال فى طلب العلم ، والذهاب الى مراكز العروبة الزاهرة مثل مصر . وذلك أن الأزهر فى مصر يعتبر أعظم الجامعات العلمية فى بلاد الشرق العربى ، وقد حضر الطلبة من أعالى النيجر لتلقى العلم على أساتذته المشهورين . وكان الطلبة من مملكة تكرور يجلسون الى جوار اخوانهم من أهل مصر يتلقون العلم من منبع واحد ، وتؤلف بين عقلياتهم وآمالهم الثقافة العربية . ثم ان طلبة تكرور كثروا بتلك الجامعة الأزهرية ، حتى انه تأسس لهم رواق خاص ما زال اسمه قائما الى اليوم .

ويعتبر هذا الارتباط الثقافى بين مصر وقلب افريقية منذ تلك الفترة المبكرة عنوانا على قوة العروبة وقدرتها على لم شمل سكان افريقية فى صعيد واحد ، رائده التفاهم والامتزاج والتعاون . ثم ان رسالة الأزهر العلمية فى سبيل نشر العروبة تنهض دليلا آخر على أن ثمار المعرفة فى الحضارة العربية ملك مشاع لكل من يتكلم العربية وأن كل شخص يستطيع أن يفهمها مهما بعدت به الشقة عن موطن تلك الثمار ، طالما عرف اللسان العربى ، وتذوق نتاجه الأدبى والعلمى .

وكانت تلك الظاهرة الثقافية الكبرى من أهم الخصائص التى تحلت بها العروبة فى كل مكان ، وجعلت من أبناء البلاد العربية وحدة متماسكة ، ثم كان اتصال طلبة تكرور بهذا الفيض العظيم من الثقافات العربية فى أعظم مدرسة للعروبة فى العصور الوسطى ، وهى الجامعة الأزهرية من أقوى الأسباب فى غرس نواة العروبة فى قلب افريقية على أسس سليمة صحيحة . وادراك سكان تلك البلاد لقيمة الكنز الثقافى الهائل الذى يمكنهم الاستفادة منه .

وبلغت العروبة أوج مجدها فى قلب افريقية فى عهد مملكة مالى التى خلفت كلا من غانة وتكرور فى السيادة والسلطان . اذ اتسع سلطان تلك المملكة بدورها ، وصارت قوة سياسية عظمى فى قلب افريقية . واشتهرت هذه المملكة فى تاريخ العروبة على عهد ملكها « منسا موسى » الذى تولى العرش سنة ١٣٠٧ م . اذ حرص هذا الحاكم الافريقى على تدعيم الروابط الثقافية والسياسية والاقتصادية بين بلاده ، وبين مركزى العروبة فى كل من بلاد المغرب ومصر . فحافظ على مكانة المدن التجارية القديمة مثل تمبكتو وجنى وغيرهما ، وشجع القوافل على ارتياد تلك المحطات التجارية ، وتبادل السلع . فوفدت القوافل من مصر وفزان وسجلماسة وسوسى ببلاد المغرب الى مدينة تمبكتو بانتظام ، ووفد فى ركابها العلماء وغيرهم من انصار العروبة على اختلاف ثقافاتهم وشتى معارفهم . وقد أسهم هذا النفر من أبناء العروبة فى تعمير تلك الجهات من قلب افريقية، ووضع مواهبهم فى خدمة حكامها .

وتجلت ثمار العروبة وانتشارها فى قلب افريقية حين صمم « منساموسى » على الخروج للحج الى مكة . فكان الحج يعتبر من أهم العوامل التى ساعدت على خلق أسباب التفاهم بين قادة العرب الذين يجتمع بعضهم ببعض فى هذا الموسم الدينى الجليل . اذ خرج منها موسى قاصدا الحج سنة ١٣٢٤ م ، واتجه فى طريقه الى مصر أولا ، واتصل بالسلطات العربية فيها ، تدعيما لأواصر الصداقة والمودة بين بلاده فى قلب افريقية . ومركز العروبة الزاهر بمصر .

ومهما يكن من شىء فقد تلا هذا النشاط السياسى الذى قام بين مملكة مالى ومراكز العروبة فى مصر وبلاد المغرب ازدياد عدد الجاليات العربية فى قلب افريقية ، ونزوح بعض القبائل العربية من بلاد المغرب بخاصة اليها. فخرجت من تونس عدة قبائل ، اخترقت الصحراء ، ونزلت بالسودان الغربى ، حيث مملكة مالى . وقد خلف لنا شاهد عيان ، وهو الرحالة ابن بطوطة ، صورة رائعة عن سهولة الاتصال بين مراكز العروبة فى مصر وبلاد المغرب ، وبين قلب افريقية ، وقوة المظاهر العربية فى تلك الجهات . ذلك أن هذا الرحالة الواسع الاطلاع زار مملكة مالى سنة ١٣٥٢ م فى عهد خليفة « منساموسى » بتكليف من سلطان فاس ببلاد المغرب ، وبعد أن قطع طريق القوافل فى الصحراء الكبرى دخل مدينة « ايوالاتن » أولى مدن السودان الغربى . وغيرها من المدن .

.. ولا شك أن تلك الظاهرة الجديدة فى انتعاش العروبة فى قلب افريقية ، واتصالها بمنابع الثقافة العربية فى الجمهورية العربية المتحدة كفيلة بتقويض دعائم الاستعمار من شتى أرجاء قارة افريقية ، وتهيئة الفرص أمام سكان قلب افريقية للمساهمة فى بناء مجد العروبة ، الذى أخذ صرحه يعلو اليوم من القاهرة ، قلب العروبة فى العصر الحديث .



المنافسة الدولية فى أعالى النيل

بقلم الدكتور على ابراهيم عبده

١٨٨٠ ــ ١٩٠٦

اعتقد أن لموضوع « المنافسة الدولية فى أعالى النيل » أهميته من نواح مختلفة ، أظهرها ما يتصل بقضية الاستعمار فى افريقية وتقسيمها بين الدول الأوروبية ، والصراع القائم الآن بين الشعوب الافريقية المتعطشة للحرية . والتى تصر اصرارا شديدا على الفوز بها ، وبين الدول الاستعمارية المستميتة من أجل البقاء فى هذه القارة ، الغنية بطاقتها البشرية ومواردها الاقتصادية . كما أنه يتصل بمسألة المياه فى أعالى النيل وأثرها الواضح فى التطورات التاريخية لهذه المنطقة ، ويتلخص الموضوع فيما يأتى :

نظمت مصر أمور السودان فى أوائل القرن التاسع عشر . فقد أرسلت الحملات التى استولت على الشاطىء الغربى للبحر الأحمر وامارة هرر ، وأرادت تمهيد السبيل للكشف العلمى عن الأجزاء التى كانت لاتزال مجهولة فى أواسط افريقية وخاصة منابع النيل . واستعانت فى ذلك بالكاشفين والضباط الأوروبيين وخاصة الانجليز منهم . ولما كانت انجلترا مهتمة منذ النصف الأول من القرن التاسع عشر بتمهيد سبيل الاستعمار فى افريقية بواسطة المبشرين والكاشفين ، فقد عمل هؤلاء الانجليز الذين استعانت بهم مصر ، لحساب السياسة البريطانية التى كانت تطمع منذ ذلك الوقت فى استعمار اعالى النيل . فى سنة ١٨٦٩ عين السير صمويل بيكر حكمدارا لمديرية خط الاستواء لتنظيم البلاد الواقعة فى جنوب غوندو كورو ، والغاء تجارة الرقيق ؛ فأساء معاملة الأهالى . وكان لذلك أثر كبير فى اساءة سمعة مصر بين سكان تلك المناطق . ولاشك أن ذلك كان فى صالح السياسة البريطانية . وبعد استقالة السير صمويل بيكر فى سنة ١٨٧٣ استخدم انجليزيا آخر هو جوردون ، الذى عين فى سنة ١٨٧٤ حاكما على مديرية خط الاستواء . وكانت مهمته الرسمية توطيد الامن وفتح طرق التجارة ومدها الى البحيرات الاستوائية . ولكنه لتفادى اغضاب انجلترا منع مصر من توطيد قدمها فى أوغندة بعد أن احتلت عاصمتها . وبعد انتهاء مدة خدمة جوردون فى سنة ١٨٧٦ استدعى مرة ثانية ، حيث عين فى فبراير سنة ١٨٧٧ حاكما عاما للسودان ، فأخذ يعمل لصالح دولته ، واتبع سياسة قاسية

أثارت الأهالى ضد مصر . وأخيرا استقال فى سنة ١٨٧٩ بعد أن تحرجت الأمور فى السودان ، وأصبح على وشك أن يهم بالثورة . ويبين لنا هذا بصورة واضحة عمق السياسة البريطانية وتمهيدها السبيل لاحتلال مناطق أعالى النيل .

بعد استقالة جوردون بسنتين قامت ثورتان : أما الأولى فهى الحركة العرابية فى مصر ، وأما الثانية فقد قام بها المهدى فى السودان ، ودخل مصر جيش انجليزى لتثبيت عرش توفيق واحتل البلاد . وترك السودان فى ثورته ، فأباد قوة أرسلت لاخضاعه بقيادة هكس ، وألحق بها قوة أخرى زحفت اليه فى سواكن بقيادة بيكر باشا . وهنا أشارت انجلترا تمهيدا لسياستها ، على الحكومة المصرية باخلاء السودان ، واستدعى جوردون للقيام بهذه المهمة . وانتهى الأمر بسقوط الخرطوم فى يناير سنة ١٨٨٥ . واتفقت انجلترا والحبشة على تسهيل خروج الحاميات المصرية التى كانت مهددة فى السودان الشرقى ، فوصلت هذه الحاميات الى مصوع ومنها الى مصر .

وان المؤرخين يعتبرون الاحتلال البريطانى لمصر والثورة المهدية وفشل جوردون ونهايته واخلاء السودان مهمة جدا بالنسبة لشيئين : أولهما بالنسبة للعلاقات السياسية الكبرى فى أوروبا نفسها ، وثانيهما بالنسبة لحركة الاستعمار بصفة عامة وفى افريقية بصفة خاصة .

ولأضرب مثلا على تأثيرها فى السياسة الأوروبية . ان أهم حقيقة فى تاريخ العلاقات السياسية الكبرى قبل الحرب العالمية الأولى كانت الحقيقة التى تولدت عنها المحالفات الكبرى وهى حرب فرنسا وألمانيا سنة ١٨٧٠ واستيلاء ألمانيا على الألزاس واللورين ، وتصميم فرنسا على استرداد ذلك الجزء فى يوم من الأيام . ترتب على ذلك تحرك الدول نحو تنظيم المحالفات فابتدأ بين فرنسا وروسيا التقارب الذى انتهى بالمحالفة الروسية الفرنسية على اعتبار ان المانيا عدو مشترك للدولتين فى وسط أوروبا . أما ألمانيا فجمعت اليها الامبراطورية النمسوية وايطاليا . وكانت الامبراطورية النمسوية تعتمد على ألمانيا لأنها كانت لها آمال ومطامع فى البلقان وتخشى من امتداد النفوذ الروسى فى هذه المنطقة . أما ايطاليا فكانت حليفا ثالثا غير موثوق به كل الوثوق ، لأنها كانت لها مصالح مع أوروبا الوسطى من جهة ، ومن جهة أخرى كانت تحب مصالحة الدول البحرية كانجلترا وفرنسا . والذى يهمنا من هذا أثر احتلال مصر ومشروعات تقسيم افريقية فى علاقات الدول الأوروبية بعضها ببعض من حيث أن هذه المسائل من ناحية تبعد بين الدول ومن ناحية أخرى تستخدم فى سبيل الغايات الأوروبية نفسها .

فكانت أول نتيجة لاحتلال انجلترا لمصر أن فرنسا ساءتها تلك النواية . وإن هذا أوجد جفوة بين الدولتين الغربيتين ، وأن بسمرك استخدم هذا ليحول دون أى تقارب بين الكتلة الروسية الفرنسية وانجلترا ؛ وعمل طوال مدته على تأييد الاحتلال الانجليزى لمصر وأفاد ذلك انجلترا كثيرا ، لأن فرنسا كلما أثارت صعوبات أمام الاحتلال الانجليزى يأتى التأييد الألمانى ويفسد كل تلك الصعوبات . ثم تستخدم السياسة الألمانية تأييدها لانجلترا هذا كوسيلة لتحقيق أهداف معينة كجعل انجلترا تبتعد عن فرنسا وكحمل الانجليز على التسليم بمشروعات استعمارية المانية فى افريقية .

أما عن تأثير تلك الحوادث التى ذكرتها وهى الاحتلال البريطانى لمصر والثورة المهدية وفشل جوردون ونهايته واخلاء السودان فى تقسيم افريقية ، فالكلام فيه له وجهان : الوجه العام وهو المتعلق بمساعى الدول المختلفة لاقتطاع أجزاء من افريقية ، ويمكننى أن أقرر أنه تم فى العشرين سنة الأخيرة من القرن التاسع عشر وضع الخطوط الرئيسية للخريطة الافريقية ، وأن هذه المدة تعتبر عصر تقسيم افريقية الذى التهمت فيه أراضى القارة الالتهام المعروف ، وكان هذا بموجب عمليات دقيقة متصلة أكبر الاتصال بالدبلوماسية الأوروبية العالمية فى ذلك الوقت . والدول التى اشتركت فى التقسيم كانت ايطاليا وبلجيكا وفرنسا وألمانيا وانجلترا . أما عن الوجه الخاص وهو المتعلق بمنطقة أعالى النيل نفسها فقد همت تلك الدول بالاضافة الى الحبشة بأن تصل اليها . أى أن كل مسعى لهذه الدول فى التقدم من سواحل افريقية كان للوصول الى أعالى النيل . وعلى هذا الأساس عندما أعلن اخلاء السودان وترك لعوامله الداخلية بعد سقوط الخرطوم اعتبرته هذه الدول كلها ــ ما عدا انجلترا طبعا ــ أرضا بلا صاحب ، وحاولت الزحف نحو تلك الأرض ، فانجلترا كان أملها أن تمنع ذلك الزحف ، لأنها كانت تريد أن تكون هى الوريثة عندما تحين لها الفرصة لتحقيق ذلك ، فكانت سياستها مقاومة كل من يعترض سبيلها فى اتمام مشروع تأسيس امبراطورية من البحر المتوسط الى رأس الرجاء الصالح ، وأن تحول دون أية دولة والاستيلاء على منطقة أعالى النيل ، فهى حجر الزاوية للقبو العظيم الذى تستند عليه الامبراطورية الافريقية . كما أنها كانت تريد منع وقوع أعالى النيل فى أيدى دولة أوروبية فتهدد مصر وهى صاحبة الشأن فيها . لذلك أصبحت حماية أعالى النيل أحد مفاتيح السياسة البريطانية فى افريقية .

البقية فى العدد القادم

ابن بطوطة وشرق أفريقية

للأستاذ الشاطر بصيلي

(٢)

ذكر سلطان كلوا

وكان سلطانهم فى عهد دخولى اليها أبو المظفر حسن ، ويكنى أيضا أبا المواهب لكثرة مواهبه ومكارمه ، وكان كثير الغزو الى أرض الزنوج يغير عليهم ويأخذ الغنائم فيخرج خمسها ويصرفه فى مصارفه المعينة فى كتاب الله تعالى ، ويجعل نصيب ذوى القربى فى خزانة على حدة فاذا جاءه الشرفاء دفعه اليهم ، وكان الشرفاء يقصدونه من العراق والحجاز وسواهما ، ورأيت عنده من شرفاء الحجاز جماعة منهم محمد بن جماز، ومنصور بن لبيدة بن أبى نمى ، ومحمد بن شميلة بن أبى نمى ، ولقيت بمقدشو أتيل بن كبيش بن جماز ، وهو يريد القدوم عليه وهذا السلطان له تواضع شديد ويجلس مع الفقراء ويأكل معهم ، ويعظم أهل الدين والشرف .

حكاية من مكارمه

حضرته يوم جمعة وقد خرج من الصلاة قاصدا الى داره ، فتعرض له أحد الفقراء اليمنيين ، فقال له يا أبا المواهب ؟ فقال لبيك يا فقير ما حاجتك ؟ فقال اعطنى هذه الثياب التى عليك فقال له نعم اعطيكها ، قال الساعة ؟ قال نعم الساعة . فرجع الى المسجد ودخل بيت الخطيب فلبس ثيابا سواها وخلع تلك الثياب ، وقال للفقير ادخل فخذها فدخل الفقير وأخذها وربطها فى منديل وجعلها فوق رأسه وانصرف ، فعظم شكر الناس للسلطان على ما أظهر من تواضعه وكرمه ، وأخذ ابنه ولى عهده تلك الكسوة من الفقير وعوضه عنها بعشرة من العبيد ، وبلغ السلطان ما كان من شكر الناس له على ذلك فأمر للفقير أيضا بعشرة رؤوس من الرقيق وحملين من العاج . ومعظم عطاياهم العاج وقلما يعطون الذهب .

ولما توفى هذا السلطان الفاضل الكريم رحمة الله عليه ولى أخوه داود فكان على الضد من ذلك ، اذا أتاه سائل يقول له مات الذى كان يعطى ، ولم يترك بعده ما يعطى ، ويقيم الوفود عنده الشهور الكثيرة ، وحينئذ يعطيهم القليل ، حتى انقطع الوافدون على بابه .

وركبنا البحر من كلوا الى ظفار الحموض (وضبط اسمها بفتح الظاء المعجم والفاء وآخره زاء مبنية على

الكسر) . وهى آخر بلاد اليمن على ساحل البحر الهندى ، ومنها تحمل الخيل العتاق الى الهند ،ويقطع البحر فيما بينها وبين بلاد الهند مع مساعدة الريح فى شهر كامل ، وقد قطعته من قالقوط من بلاد الهند الى ظفار فى ثمانية وعشرين يوما بالريح الطيبة لم ينقطع لنا جرى بالليل ولا بالنهار ، وبين ظفار وعدن فى البر مسيرة شهر فى صحراء وبينها وبين حضرموت ستة عشر يوما وبينها وبين عمان عشرون يوما ومدينة ظفار فى صحراء منقطعة لا قرية بها ولا عمالة لها والسوق خارج المدينة بربض يعرف بالحرجاء ، وهى من أقذر الأسواق وأشدها نتنا وأكثرها ذبابا ، لكثرة ما يباع بها من الثمرات والسمك ، وأكثر سمكها النوع المعروف بالسردين وهو بها فى النهاية من السمن ، ومن العجائب أن دوابهم انما علفها من هذا السردين وكذلك غنمهم ، ولم ار ذلك فى سواها ، وأكثر باعتها الخدم وهن يلبسن السواد ، وزرع أهلها الذرة وهم يسقونها من آبار بعيدة الماء ، وكيفية سقيهم أنهم يصنعون دلوا كبيرة ويجعلون لها حبالا كثيرة ويتحزم بكل حبل عبد أو خادم ويجرون الداو على عود كبير مرتفع عن البئر ، ويصبونه فى صهريج يسقون منه ، ولهم قمح يسمونه العلس وهو فى الحقيقة نوع من السلت ، والأرز يجلب اليهم من بلاد الهند وهو أكثر طعامهم .

ودراهم هذه المدينة من النحاس والقصدير ، ولا تنفق فى سواها ، وهم أهل تجارة لا عيش لهم الا منها، ومن عادتهم أنه اذا وصل مركب من بلاد الهند أو غيرها خرج عبيد السلطان الى الساحل ، وصعدوا فى صنبوق الى المركب ومعهم الكسوة الكاملة لصاحب المركب أو وكيله ، وللربان وهو الرئيس ، وللكرانى وهو كاتب المركب ، ويؤتى اليهم بثلاث أفراس فيركبونها وتضرب أمامهم الأطبال والأبواق من ساحل البحر الى دار السلطان فيسلمون على الوزير وأمير جندار وتبعث الضيافة لكل من بالمراكب ثلاثا وبعد الثلاث يأكلون بدار السلطان وهم يفعلون ذلك استجلابا لأصحاب المراكب ، وهم أهل تواضع وحسن أخلاق وفضيلة ومحبة للغرباء ، ولباسهم القطن وهو يجلب اليهم من بلاد الهند . ويشدون الفوط فى أوساطهم عوض السروال وأكثرهم يشد فوطة فى وسطه ويجعل فوق ظهره أخرى من شدة الحر ، ويغتسلون مرات فى اليوم ، وهى كثيرة المساجد ولهم فى كل مسجد مطاهر كثيرة معدة للاغتسال ، ويصنع بها ثياب من الحرير والقطن والكتان حسان جدا ، والغالب على أهلها رجالا ونساء المرض المعروف بداء الفيل ، وهو انتفاخ القدمين ، وأكثر رجالها مبتلون بالأدر والعياذ بالله ومن عوائدهم الحسنة التصافح فى

المسجد أثر صلاة الصبح والعصر ، يستند أهل الصف الأول الى القبلة ويصافحهم الذين يلونهم ، وكذلك يفعلون بعد صلاة الجمعة يتصافحون أجمعين ، ومن خواص هذه المدينة وعجائبها أنهلا يقصدها أحد بسوء الا عاد عليه مكروه وحيل بينه وبينها .

وذكر لى أن السلطان قطب الدين تمهتن بن طوران شاه صاحب هرمز نازلها مرة فى البر والبحر فأرسل الله سبحانه عليه ريحا عاصفا كسرت مراكبه ورجع عن حصارها وصالح ملكها .

وكذلك ذكر لى أن الملك المجاهد سلطان اليمن عين ابن عم له بعسكر كبير برسم انتزاعها من يد ملكها وهو أيضا ابن عمه ، فلما خرج ذلك الأمير عن داره سقط عليه حائط وعلى جماعة من أصحابه فهلكوا جميعا ، ورجع الملك عن رأيه وترك حصارها وطلبها .

ومن الغرائب أن أهل هذه المدينة أشبهالناس بأهلالمغربفى شئونهم ، نزلت بدار الخطيب بمسجدها الأعظم وهو عيسى بن على ، كبير القدر كريم النفس ، فكان له جوار مسميات بأسماء خدم المغرب احداهن اسمها بخيتة والأخرى زاد المال ، ولم أسمع هذه الأسماء فى بلد سواها وأكثر أهلها رؤوسهم مكشوفة لا يجعلون عليها العمائم ، وفى كل دار مندورهم سجادة من الخوص معلقة فى البيت يصلى عليها صاحب البيت كما يفعل أهل المغرب وأكلهم الذرة .

وهذا التشابه كله مما يقوى القول بأن صنهاجة وسواهم من قبائل المغرب اصلهم من حمير ، ويقرب من هذه المدينة بينبساتينها زاويةالشيخ الصالح العابد أبى محمد بن أبى بكر ابن عيسى من أهل ظفار وهذهالزاوية معظمة عندهم يأتوناليها غدوا وعشيا ويستجيرون بها فاذا دخلها مستجير لم يتعرض له السلطان ، وفى الأيام التى كنت بها استجار بها كاتب السلطان وأقام فيها حتى وقع بينهما الصلح ، أتيت هذه الزاوية فبت فى ضيافة الشيخين أبى العباس أحمد وابى عبد الله محمد ابنى الشيخ ابى بكر المذكور وشاهدت لهما فضلا عظيما ، ولما غسلنا أيدينا من الطعام أخذ أبو العباس منهما ذلك الماء الذى غسلنا به فشرب منه ، وبعث الخادم بباقيه الى أهله وأولاده فشربوه ، وكذلك يفعلون بمن يتوسمون فيه الخير من الواردين عليهم ، وكذلك اضافنى قاضيها الصالح أبو هاشم عبد الملك الزبيدى ، وكان يتولى خدمتى وغسل يدى بنفسه ،ولايكل ذلك الى غيره وبمقربة منهذه الزاوية تربة سلف السلطان الملك المغيثوهى معظمة عندهم ويستجير بها من طلب حاجة فتقضى له ، ومن عادة الجند أنه اذا تم الشهر ولم يأخذوا أرزاقهم استجاروا بهذه التربة وأقاموا فى جوارها الى أن يعطوا أرزاقهم .

وعلى مسيرة نصف يوم من هذه المدينة .

الأحقاف

وهى منازل عاد ، وهناك زاوية ومسجد على ساحل البحر وحوله قرية لصيادى السمك ، وفى الزاوية قبر مكتوب عليه هذا قبر هود بن عابر عليه أفضل الصلاة والسلام ، وقد ذكرت أن بمسجد دمشق موضعا عليه مكتوب « هذا قبر هود بن عابر » والأشبه أن يكون قبره بالأحقاف لأنها بلاده والله أعلم، ولهذه المدينة بساتين فيها موز كثير كبير الجرم وزنت بمحضرى حبة منه فكان وزنها أثنتى عشرة أوقية ، وهو طيب المطعم شديد الحلاوة ،وبها ايضا . . . التنبول والنارجيل المعروف بجوز الهند ولا يكونان الا ببلاد الهند وبمدينةظفار هذهلشبهها بالهند وقربها منها ، اللهم الا فى مدينة زبيد فى بستان السلطان شجيرات من النارجيل ، وإذ قد وقع ذكر التنبول والنارجيل فلنذكرهما، ولنذكر خصائصهما .

ذكر التنبول

التنبول شجر يغرس كما تغرس دوالى العنب ، ويصنع له معرشات من القصب كما يصنع لدوالى العنب أو يغرس فىمجاورة شجرةالنارجيل فيصعد فيها كما تصعد الدوالى وكما يصعد الفلفل ولا ثمر للتنبول وانما المقصود منه ورقه وهو يشبه ورق العليق ، وأطيبه الأصفر وتجنى أوراقه فى كل يوم ، وأهل الهند يعظمون التنبول تعظيما شديدا ، وإذا أتى الرجل دار صاحبه فأعطاه خمس ورقات منه فكأنما أعطاه الدنيا وما فيها ، ولا سيما ان كان اميرا أو كبيرا ، واعطاؤه عندهم أعظم شأنا وأدل على الكرامة من اعطاء الفضة والذهب ، وكيفية استعماله ان يؤخذ قبله الفوفل وهو شبه جوز الطيب فيكسر حتى يصير أطرافا صغارا يجعله الانسان فى فمه ويعلكه ، ثم يأخذ ورق التنبول فيجعل عليه شيئا من النورة ويمضغها مع الفوفل وخاصيته أنه يطيب النكهة ويذهب بروائح الفم ويهضم الطعام ،ويقطع ضرر شرب الماء علىالريق ويفرح آكله، ويعين على الجماع ، ويجعله الانسان عند رأسه ليلا ، فاذا استيقظ من نومه أو أيقظته زوجته أو جاريته أخذ منه فيذهب بما فى فمه من رائحة كريهة ،ولقد ذكر لى أنجوارى السلطان والأمراء ببلاد الهند لا يأكلن غيره ..

ذكر النارجيل

وهو جوز الهند ، وهذا الشجر من أغرب الأشجار شأنا وأعجبها أمرا ، وشجره شبه شجر النخل لا فرق بينهما ، الا أن هذه تثمر جوزا وتلك تثمر ثمرا وجوزها يشبه رأسابن آدم لأن فيها شبه العينين والفم داخلها شبه الدماغ اذا كانت خضراء وعليها ليف شبه الشعر ، وهم يصنعون منه حبالا يخيطون بها المراكب عوضا عن مسامير الحديد ، ويصنعون منه الحبال للمراكب والجوزة منها وخصوصا التى بجزائر ذيبة المهل تكون بمقدار رأس الآدمى.

ويزعمون أن حكيما من حكماء الهند فى غابر الزمان كان متصلا بملك

من الملوك ومعظما لديه ، وكان للملك وزير بينه وبين هذا الحكيم معاداة فقال الحكيم للملك ان رأس هـذا الوزير اذ اقطع ودفن تخرج منـه نخلة تثمر بثمر عظيم يعود نفعه على أهل الهند وسواهم من أهل الدنيا ، فقال له الملك فان لم يظهر من رأس الوزير ما ذكرته قـال ان لم يظهـر فاصنع براسى كما صنعت برأسـه فأمـر الملك برأس الوزير فقطـع ، وأخذه الحكيم وغرس نواة تمـر فى دماغه وعالجها حتى صارت شجرة وأثمرت بهذا الجوز ،وهذه الحكاية من الأكاذيب ولكن ذكرناها لشهرتها عندهم .

ومن خواص هذا الجوز تقوية البدن واسراع السمن والزيادة فى حمـرة الوجه وأما الاعانة على البـاءة ففعله فيها عجيب ، ومن عجائبه أن يكون فى ابتداء أمـره أخضر فمن قطـع بالسـكين قطعـة مـن قشرة رأس الجوزة شرب منها ماء فى النهاية من الحـلاوة والبرودة ، ومزاجـه حار معين على الباءة فاذا شرب ذلك المـاء أخذ قطعة من القشرة وجعلها شـبه الملعقة وجرد بها ما فى داخل الجوزة من الطعم فيكون طعمه كطعم البيضة اذا شويت ولم يتم نضجها كل التمام ويتغذى به ، ومنه كان غذائى أيام اقامتى بجزائر ذيبـة المهل مدة عام ونصف عام ، ومن عجائبه أنه يصنع منه الزيت والحليب والعسل أما كيفية صناعة العسل منه فان خدام النخل، ويسمون الفازانيـة ، يصعدون الى النخلة غدوا وعشيا اذا أرادوا أخـذ مائها الذى يصنعون منه العسـل ، وهم يسمونه الأطواق فيقطعون العذق الذى يخـرج منـه الثمـر ويتركون مقدار أصبعين ويربطون عليه قـدرا صغيرة فيقطر فيها الماء الذى يسيل من العذق ، فاذا ربطها غدوة صعد اليها عشية ومعه قدحان من قشر الجوز المـذكور أحدهمـا مملوء ماء فيصب ما اجتمع من ماء العذق فى أحد القدحين ويغسله بالماء الذى فى القدح الآخر وينحر فيه العذق قليلا ويربط عليه القدر ثانيـة ثم يفعـل غدوة كفعله عشية ، فاذا اجتمع له الكثير من ذلك المـاء طبخه كما يطبخ ماء العنب اذا صنع منه الرب فيصير عسـلا عظيم النفع طيبـا فيشتريه تجار الهند واليمن والصين، ويحملونه الى بلادهم ويصنعون مثل الحلواء .

وأما كيفية صنع الحليب منه فان بكل دار شبه الكرسى تجلس فوقه المرأة ويكون بيدها عصـا فى أحد طرفيها حديدة مشرفة فيفتحون فى الجوزة مقدار ما تدخل تلك الحديدة ويجرشون ما فى باطن الجوزة وكل ما ينزل منها يجتمع فى صحفة حتى لا يبقى داخل الجوزة شىء ثم يمرس ذلك الجريش بالمـاء فيصـير كلون الحليب بياضا ، ويكون طعمه كطعم الحليب ويأتدم به الناس .

واما كيفيـة صنـع الزيت فانهم يأخذون الجوز بعد نضجه وسقوطه عن شجره فيزيلون قشره ويقطعونه قطعا ويجعل فى الشمس فاذا ذبل طبخوه فى القدر واستخرجوا زيته وبه يستصبحون ويأتدمون ، ويجعله النساء فى شعورهن وهو عظيم النفع .



دراسات فى المكتبة الافريقية

كان لشرقى افريقية نصيب كبير فى المؤلفات الحديثة التى صدرت بالانجليزية فى بريطانيا والولايات المتحدة ، بين ختام سنة ١٩٥٦ وفجر سنة ١٩٥٨ ، وبخاصة تلك المؤلفات التى اتجهت لتقديم دراسات علمية ، مستهدفة التعريف بمصادر الثروة والانتاج ، والتى تعنى باضطراد التحسين فى وسائل النقل والمواصلات فى هذ الركن من قارتنا افريقية ، ولا شك أن هذه المؤلفات تتباين فيما حققت من دقة فى البحث أو سطحية الدراسة فى البعض الآخر .

الا أنها فى جملتها — ما فى هذا من شك — تستحق منا الدراسة على الأقل لأنها تقدم لنا بعض الصور من قارتنا ، الصور التى لا يجب أن تغيب عنا فى هذه « النهضة الافريقية » الحالية .

ينبوع الشمس :

THE FOUNTAIN OF THE SUN.
by Douglas Busk.

طبع لندن ١٩٥٧ ٩ × ٥ر٦ بوصة
٢٤٢ صفحة — ٣٥ شلنا

كتب هذا الكتاب ، وصور خرائطه ورسومه سفير بريطانيا السابق فى أتيوبيا (الحبشة) فاكتسب الكتاب من هذه الناحية وحدها طابعا يحث القراء على مطالعته ، ذلك لأن الرجل كتبه فى أسلوب مرح ، ثم ان ما به من رسوم لها طلاوتها .

ولكن فيما عدا هذا ، فالكتاب سيخيب أمل كل من يصل الى يده ، فقد جاء الكتاب غير متماسك من ناحية الموضوعات التى يعرض لها بالدراسة فان المائة والخمس والعشرين صفحة الأولى من الكتاب تقدم جولات طويلة من السيارات عبر أراضى أثيوبيا ، وتقدم الفصول الثلاثة الأخيرة من الكتاب وصفا لبعض الرحلات لتسلق جبال « روونزورى » و « كليما نجارو » ، والشىء الوحيد الذى يربط بين هذه الفصول الثلاثة الأخيرة وبين القسم الأول من الكتاب هو أن المؤلف قد قام بهذه الرحلات الجبلية عندما خلا من منصبه فى أديس أبابا فى أجازة قصيرة قضاها فى شرقى افريقية

ولو كان الرجل قد أطال الحديث فى القسم الأول من الكتاب حتى شغل به صفحات الكتاب كله لقدم دراسة حديثة لحياة الأسفار فى الحبشة بعد الحرب العالمية الثانية ، وبخاصة لو أنه قرن هذا الوصف بالحديث عن الدوافع الحقة وراء صور الحياة التى يصفها ، ولكن الرجل كان حريصا على أن لا يلمس ولو من بعيد أيا من

الجوانب التى تعرضه للتحدث فى السياسة (!!) وهو كرجل من رجال السلك السياسى قد يكون فى حديثه خطر لا يغنى عنه حذر ٠

ويذكرنا كتاب « بوسك » بالكتاب الذى كتبه « صولت » عن رحلاته فى الحبشة سنة ١٨٠٩ ـ ١٨١٠ من ناحية أن كلا الكتابين يقصان الأحاديث عن رحلات هنا وهناك ، لا تقدم للقارىء شيئا من التاريخ ، ولا تصلح لأن تكون اجابات للكثير من الأسئلة التى لابد وأن يسألها القارىء عند ما يصل الى يده كتاب عن أرض النجاشى ٠

والشىء الوحيد الذى نجح فيه السفير المؤلف هو أنه أغفل الاشارة تماما للدور الذى قام به الايطاليون فى بناء الطرق ، هذه الشبكة التى تعتبر العمود الفقرى للمواصلات فى البلاد الحبشية ٠

وقد كان هذا الاغفال واضح القصد لأن الصور الجميلة التى قدمها الى جانب الوصف الشعرى الذى كان أبرز ما فى أسلوبه تدلنا على أن الطر ق بل والمواصلات فى جملتها هى الناحية البارزة فى الكتاب كله ٠

والغريب أن يقترن صدور كتاب السفير «بوسك» بصدور طبعة جديدة من كتاب صدر قبل أعوام :

THE BRITISH EAST AFRICAN TRANSPORT COMPLEX.

للدكتورة ايرين فان دونجين من قسم الجغرافيا بجامعة شيكاغو (الولايات المتحدة) ٠

فى ١٧٢ صفحة عدا المقدمة والخرائط والرسوم ٩ × ٦ بوصات ـ ٣ دولارات والواقع أن الدكتورة ايرين تقدم دراسة طيبة ضافية لتطور وسائل المواصلات فى كينيا وأوغندة وتنجانيقا وتوضح الدكتورة ايرين كيف أنه بالقليل من الجهد والصبر أمكن أن ترتبط بعض العناصر فى نسيج قوى يمكن أن يخدم احتياجات منطقة واسعة من الأراضى ٠

وقد تحدثت المؤلفة عن المواصلات الحديدية والبرية والجوية ، كما وجهت بعض عنايتها للحديث عن الموانى البحرية ، ولكنها ذكرت القليل جدا عن الملاحة النهرية فى داخل البلاد ٠

على أن اتجاه المؤلفة الى دراسة المواصلات والنقل فى شرقى افريقية جعلها تسهم بنصيب كبير فى الحديث عن الجغرافية الاقتصادية للبلاد ، وبخاصة عندما مدت من مدار حديثها لتتحدث عن جغرافية الانتاج ، ولكن لمساتها تبدو سطحية ، ونجد هذا واضحا على سبيل المثال فى حديثها عن زراعة الأشجار فى أوغندة مما يكشف عن نقص تعمقها فى دراسة هذه الناحية ٠

على أن فى هـــذا الـــكتاب بعض الهنات الهينات ، فالخريطة التى فى صـــفحة ٤٠ والتى توضح المنسوب السنوى لسقوط الأمطار فى شرقى افريقية تدلنا على أن منسوب الستين بوصة يغطى منطقـــة تمتد من بحيرة فيكتوريا الى حافة وادى الشق الغربى ولكنها أغفلت هنا أنهذه المنطقة تحف بالنطاق الجاف المخرب ، ومرة أخرى فى صفحة ١٢٠ من الكتاب تقرر أن الخط الحديدى من تقاطع كاهى الى ممباسا أطول بثمانين ميلا من الخط الحديدى بين تقاطع كاهى وتانجا ، مع أنه أقصر منه بعشرين ميلا .

ثم ان كل الاحصائيات التى قدمتها فى الكتاب ترجع الى ســـنة ١٩٥٢ وقدمت فى المراجع التقـــارير التى ظهرت الى سنة ١٩٥٤ ، ولهذا فان كل ما حدث حتى نهاية سنة ١٩٥٦ وبخاصة اتمام مد الخط الحديدى الى كاسيس ـ ليمكن نقل نحاس مناجم كيليمبى الى أفران الصهر فى چنچا ، ليحول الى صناعات ـ لم يظهر فى صحفات كتابها الذى هو بلا شك رغم هذا من أجمل الدراسات لهذا الركن من شرقى افريقية .

THE EAST AFRICAN RIFT SYSTEM. by F. DIXEY London 1957 9 1/2×6 Inches

طبع لنـــدن ســـنة ١٩٥٧ ـ ٧١ صفحة وخرائط صدرت الطبعة الأولى من هـــذا الكتيب كملحق لعدد مجلة « الجيولوجيا وموارد المعـــادن » فى آخر سنة ١٩٥٦ .

والواقع أن منطقـــة وديان شرقى افريقية بين (الزمبيزى) الأسفل وبين (لوانجوا) لها أهميتها لا بالنســـبة لعلماء الجيولوجياوحسب بل بالنسبة للرحالة تبعـــا لمنـــاظرها الجميلة فى الأراضى المنخفضة المجاورة للهضاب والجبـــال ، ثم لحقولها البركانيـــة وبحيراتها وأنهارها .

وقد عنى الدكتور ديكسى منذ وقت طويل بدراسة التـــاريخ الجيولوجى القديم لهذه الوديان التى نشأت من الاضطرابات فى جوف الأرض وأثرها فى تشقق القشرة الأرضية ، وبخاصة فى نياسالاند حيث بدأ ديكسى دراسته الأولى ، وما تبع هذا من تجواله فى روديسيا الشمالية وكينيا ، مما كان الدافع لعدد من الدراسات المنفصلة الى نشرها فى سنة ١٩٥٥ .

والحقيقة أن عمليـــات التصوير الجوى وما صحبها من عمل خرائط جيولوجية تفصيلية دقيقة لتلك المنطقة منذ سنة ١٩٤٦ ، ثم هذه الدراسة العميقة لديكسى بالاضـــافة الى أعمال المساحة الحديثة ، قد أضافت كلها الكثير الى معلوماتنـــا عن البنـــاء الجيولوجى لشرقى افريقية ، والذى لم يكن الناس خارج القارة لا يعرفون عنه الا معلومات سطحية تافهة .

على أن الجديد فى دراسات ديكسى أيضا هو التاريخ للعوامل المؤثرة التى

أوجـــدت هذه الظاهرة في القشرة الأرضية ، وسببت بتشققها تكوين هـذه الوديان ، والعصر الذي يمكن تحقيق حدوث هـذا فيه ، وكذلك مناقشـــة المدى لاتجاه هذا التشقق شـــمالا وامتداده الى البحر الأحمر والأردن وسورية ، وامتداده في اتجاه جنوبي الى موزمبيق والنياتال •

وقد دلت الدراســـات الحـــديثة لشركات البترول عند قنال موزمبيق على تماثل وتشابه في عصور التحركات أسفل القشرة الأرضية في تلك المنطقة مع ما هو واضح في دراسات وديان شرقي افريقية بين الزمبيزي ولونجوا ويقرر ديكسي أن انغمار ساحل شرقي افريقية تحت سطح الماء يعاصر الى حد بعيـــد الارتفاع الذي حدث عند الوديان الداخلية ، وقد كانت المدرسة الالمانية هي أول من أثار هذه الحقيقة ثم جاء ديكسي فأكدها بكتابه •

والواقع أن أحاديث الرحلات كان لها أيضـــا جانبها الكبير في هذه الدراسات ، وأبرز ما كان في إنتاج السنتين الآخيرتين :

THE CRY OF THE FISH EAGLE
by JOHN POLLARD London 1957

ADVENTURES BEGIN IN KENYA
by PETER MOLLOY London 1957.

وقد كان من الممكن أن يتقبل كتاب مولوي على أية صورة جاء فيها من أجل هذه الصور واللوحات الجميلة التي تملأ صفحات الكتاب بالبهجة ، فهي تقدم صورة لامعة للسودان الجنوبي

ولكن مع هذا كان من الممكن تقبل الكتاب حتى بدون هـــذه الصـــور واللوحات ، وذلك للحديث الجيد في وصف رحلات الصيد ، وفي الحديث عن سكان هـذه البلاد ، وعن حياة كينيا ، فيكشف عن ميل الرجل الى الطيور وحيوانات الصـــيد ، وكل وكل ما يعاب على الكتاب هو الخطأ في هجـــاء بعض أسماء البـــلاد ، مما قد تضطرب معه الصورة بالنسبة للقـــارئ العـــادي ، الذي لا يعرف السودان الجنوبي ، أو لم يقرأ عن بلدانه وأنهاره وسكانه من قبل •

أما كتـــاب بولارد عن رحلاته في تسلق الجبال والى دراســـة حياة الطيور ، ويقدم الرجل حديث رحلاته في تسلقه لجبل كينيـــا على أنهـــا محاولات رحالة مبتدئ من هواة تسلق الجبـــال الا أن الوصف وملاحظاته لطبيعة الأرض ، وخط سيره في هذا التسلق ثم ترتيبـــاته في صـــعوده وهبوطه لتدل على ثبات قدمه في هواية تسلق الجبال ، ثم على عمق دراسته لطبيعة الارض •

والكتاب مثله مثل كتاب الكولونيل مولوي تحتل الصور والرسوم الجميلة مكانا طيبا وان لم تكن هي أبرز ما في الكتاب ، الا بالنسبة للقارئ العادي الذي لا يجهد نفسه في عمق الدراسة واصابة التفكير •

عين • ألف

مازال الصومال حبيبا الى قلبى

تحقيق صحفى مع حرم الشهيد « كمال الدين صلاح قامت به الآنسة ايرين عبد السيد مندوبة مجلة نهضة افريقية ..

قبل أن أذهب الى منزلها مرت الحوادث فى ذهنى سريعة متلاحقة . تصورت فى ذهنى هذه البلاد البعيدة لابد أن أهلها كانوا سعداء بكل شيء فيها . بالأرض . بالسماء . بالحياة البسيطة الهادئة . ثم استحالت الصورة الوردية لهذه الحياة الجميلة الى صورة قاسية ، فقد تدافع الى ذهنى منظر المستعمرين الذين يقتحمون الحياة فى هذه البلاد بقسوة ووحشية ... واستمرت الصور متلاحقة الى ذهنى الى أن انتهت بصورة أشد وأقسى ، صورة خنجر يصوب ! ودماء تتدفق ! وقارة تستغيث ..

.. وهكذا ظللت منفعلة بهذه الصورة ، الى أن انتهيت الى زوجة الشهيد ، وما تزال فى نفسى بقايا ثورة ! وبقايا دمع ! ووجدت لقائى لهذه السيدة شيئا طبيعيا ، لكل هذه الذكريات التى تدافعت الى نفسى ، فقد كنت أحب أن أهدأ ووجدت عندها الهدوء !. وخاصة وأن آخر ساعة فى أحد أيام رمضان تكون هى الأخرى مشبعة بالهدوء .. وبالأمل ووجدتنى أسأل السيدة — وهى فى ثياب الحداد — عن المرأة فى الصومال فقالت : —

ان الحياة فى الصومال بسيطة جميلة ، كالصومال نفسه . ذلك لأن الناس فيه ما زالوا يعيشون على الفطرة . والفطرة كلها خير ، ومن هنا رأينا المرأة فى الصومال تحاول أن تجعل من بيتها « جنة صغيرة » فهو يأخذ كل وقتها . وكل عمرها . وهى

فى الوقت نفسه متفتحة للحياة الخارجية . للمساهمة فى العمل الكريم من أجل رفع مستواها الاجتماعى ! .

ومن هنا قمنا بتأسيس جمعية نسائية ، لتعلم الأشغال اليدوية ، والحياة المنزلية ، والعناية بالطفل .. وكان ثمرة هذه الجمعية معرض للأشغال اليدوية . ! ومن هنا فقد حاربنا الأجانب بكل قوتهم ! بكل حقدهم وكانت التهمة التى ألحقت بالجمعية أنها جمعية تقوم على السياسة التى تهدف الى ضم الصومال الى مصر ! .

وقد سمينا هذه الجمعية « الجمعية الخيرية الاسلامية الصومالية» وسرعا ما سرى نفوذها ، وضمت ستين عضوا . وأقنعت الحكومة بأن تمنحها منزلا ، ليكون ملجأ للأطفال . وهكذا أثمرت جهود الجمعية وأصبحت مؤسسة ، تسهم فى عمل الخير للصومال ... اننى كنت أتمنى أن تطول مدة اقامتى بينهم ، فالصومال يستحق كل خير ، وكل جهد ، ولكنه الاستعمار !! .

... وزحف الصمت ثقيلا رهيبا على جلستنا ، فأردت تغيير الجو بالقاء بعض الأضواء فوق كل هذا الحزن ،



« حرم الفقيد مع ابنها وابنتها »

فقلت هل يمكن معرفة شيء عن نظام التعليم بالصومال • فقالت « توجد في الصومال مدرسة حكومية ، أسسها الشهيد « كمال الدين صلاح » فهو الذى اشترى لها المبنى ، وهو الذى جمع التبرعات ، ورسم خطة مصرية ، تسير عليها ••

••كما توجد لكل حزب من الأحزاب مدرسة خاصة به ، فهناك مدرسة حزب « وحدة شباب الصومال » ، ومدرسة حزب « رجل ومرفلة » ومدرسة « حزب بنادر » •

•• كما توجد أيضا مدارس ايطالية تسير على الأساليب الايطالية ••

•• وفى نهاية الحديث أقبل علينا أطفالها الثلاثة « فريد وليلى وهشام » التلاميذ بمدرسة النصر بمصر الجديدة وقد أعجبنى الجميع بذكائهم وحماسهم ومصريتهم • رغم سنهم الصغيرة • فأكبرهم لا يزيد عمره على عشر سنوات ••• وهكذا تعطيهم أمهم خلاصة تجاربها وأمومتها ، فقد صاحبت زوجها فى كل بلد ذهبت اليه فى حياته السياسية • وبالرغم من كثرة البلاد التى زارتها كالسويد واليونان • وتشكوسلوفاكيا الا أنها تطرق قليلا ، ثم تقول بصوت حزين

« ومع أن زوجى قد استشهد فى صوماليا ، الا أنى أفضلها على أى دولة أخرى ، فقد كنا نخدم شعبا جديرا بالخدمة » ثم تصمت قليلا لتقول بالصوت الحزين والذى يتلون قليلا بالامل « شعبا افريقيا ! » •

••• ورأيتها تستريح لجو الذكريات الحبيبة ، فسألتها عن الشهيد ، فقالت والذكريات الجميلة تطل من عينها :

« •• لقد جمعتنى بالشهيد صلة قرابة ، قبل هذه الصلة التى جمعتنى به كزوجة ، وهكذا عشت له وبه ، ولعل ما يسعدنى بعض الشيء أنى أجده هنا من حولى فى أبنائه ، وأنى أستحضره دائما لهم فى أحاديث جميلة ، تجمعنا فى كل أمسية ! » وبخاصة بعد أن أعود من دراستى فى الجامعة المصرية •

•• ولا أدرى لماذا داخلنى شعور حقيقى ، بأن « كمال الدين صلاح لم يمت انه حى ملء افريقية •• ملء أبنائها ! »

من عادات الشعوب فى افريقية

من ألطف العادات المألوفة فى اريتريا أن الصبيان يحلقون شعورهم ويتركون منها خصلافى أماكن مختلفة من رءوسهم ، فأحيانا يتركونها فى وسط الرأس وأحيانا على جانبه ، وتارة يجعلونها مثل (عرف الديك) على مقدمة الجبهة ٠

أما البنات فانهن يتركن الشعر يسترسل على الرقبة حتى الكتفين ويلففنه على السوالف وحول الرأس وفوق الحواجب حتى الخدين ، ويجعلن أطرافه خصائل تهتز كالفرس الكريمة التى ينفر شعرها كلما تلفتت ذات اليمين أو ذات الشمال ٠٠٠

هذا عن الفتيات الأبكار ٠

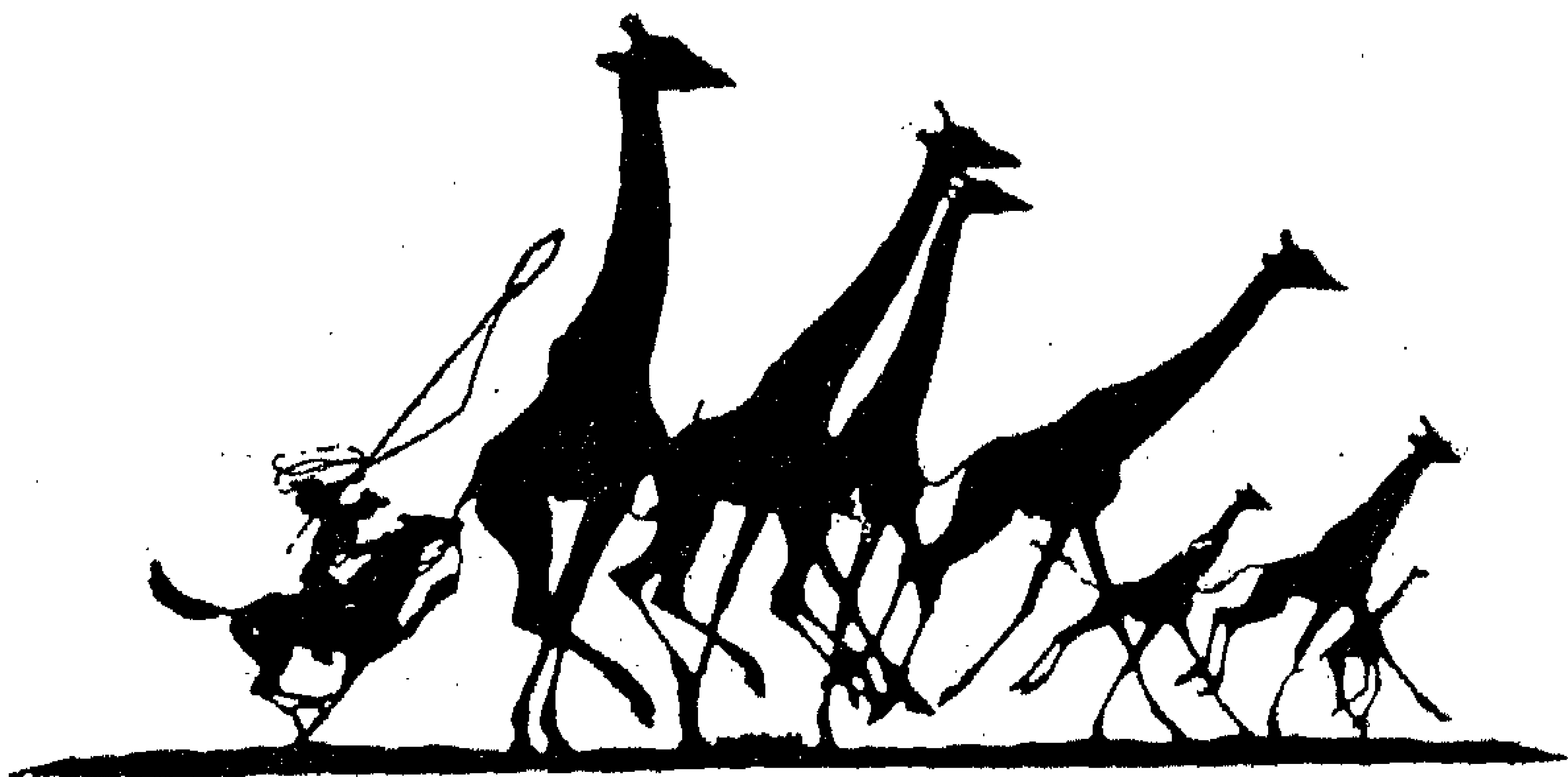
أما المتزوجات فانهن يتركن خصلة فى وسط الرأس تضمها حلقة من الفضة يسمونها « كوفيت » ومن تلك الخصلة يتفرع الشعر الى جوانب الرأس ، ويتبدى أسود فاحما ناعما من تحت « الشال » الحريرى الأحمر الجذاب ٠

ومن معتقدات الشعب الاريترى أنهم يرون للشعر قوة سحرية ، فعندما يقصون شعورهم يجمعونها ويخفونها تحت أى شىء أخضر ، من فروع الأشجار أو غيرها ، أو يضعونها فى مكان أمين بحيث لا يراه أحد أو يطؤه بقدميه ، وبحيث لا تعبث به الرياح ٠ وهم يعتقدون أن الشعر اذا تبعثر وتطاير فان صاحبه قد يفقد عقله أو تتبعثر أسرته كما حدث لشعره ٠

وهم يقلمون أظافرهم ولا يرمونها وانما يعملون أيضا على اخفائها خوفا من أن يسألوا عنها بعد مماتهم يوم القيامة ويضطرون الى جمعها ٠٠

حامد محمد آدم

أريتريا



من قصص المقاومة الافريقية :

البلطة والشجرة

بقلم الأستاذ فؤاد دوارة

كان يأمر أتباعه وتلاميذه بقتال الانجليز أنى قابلوهم .. وكان يطلب اليهم أن يقابلوا رصاصهم وحرابهم بصدورهم العارية ، اذا لم يتمكنوا من الحصول على السلاح .. فاذا سأله واحد منهم : « واذا قتلونا ؟ » أجابه على الفور :

ـ لن تخسروا شيئا سوى الجوع والذل والقيود !

وما لبث الشعب كله أن أصبح من أتباعه وتلاميذه ، وكان ينشر تعاليمه الغريبة بينهم بوسائل متعددة ، وكان يعتبر القصة احدى الوسائل الهامة فى نشر أفكاره فى المقاومة .. كان يؤلفها بسيطة ساذجة أشبه بالأسطورة ويرويها للمجتمعين حوله ، فسرعان ما تنتشر فى المدن والقرى ، ويرويها الكبار والصغار على السواء فتؤثر فى نفوسهم تأثير السحر ، وتنشر الوعى والقوة والعزم بين مختلف طبقات الشعب .. واليك واحدة من هذه القصص القوية .. البسيطة .. الساذجة !

« كانت شجرة ضخمة كبيرة ، متشابكة الأغصان نضيرة الأوراق تعيش سعيدة آمنة فى قلب احدى الغابات بعيدا عن أعين الحطابين . ولكن القدر ـ الذى يضن دائما بدوام السعادة والاستقرار حتى على الأشجار أبى ألا أن يبعث القلق والفزع فى نفس هذه الشجرة الآمنة ... فقد استيقظت ذات صباح على مشهد غريب بعث الرعب بين أغصانها وفروعها .. فهناك على الأرض وبالقرب من جذعتها ، كانت قطعة من الحديد المصقول على شكل بلطة مما يستعمله الحطابون فى قطع الأشجار ، وفزعت أغصان الشجرة وفروعها ، وتمايل بعضها على بعض فى جزع من المصير . فعما قليل سيصل الحطاب ، وسيعمل هذه القطعة من الحديد فى جذع الشجرة ، فيقضى عليها وعلى حياتها الطويلة الهائلة ، وسيحرم البلابل التحليق بين أغصانها شادية بأعذب الألحان ، وسيحرم الفراشات التنقل بين أوراقها فى رقة الضوء وخفة

الأرواح ، وارتفع عويل الأغصـــان والفروع ٠٠ غـير أن صـوتا عميقا وقورا ما لبث أن ارتفع وسط العويل والهمهمة ٠٠ وكان الصـــوت لفرع غليظ كبير ، أكسبته السنون والتجارب خبرة بطبائع الأشياء ، وقال الفرع الهرم فى صوته الهــادىء العميق ، موجها حديثه لبقية الاغصان :

ـ استمعوا جيدا لما سأقول ، ان هذه القطعة من الحديد التى تفزعكم وتثير ذعركم لا خطـر منها أبدا ٠٠ فهى وحـــدها لا تستطيع أن تمسنا بسوء ، ولو وضعت بين يدى أمهـر الحطابين فستظل مع ذلك عاجزة عن ايذائنا ٠٠ أما الخطر الحقيقى فكامن هنا ٠٠ بيننا فلو قبـل غصن منا أن يصبح يدا لهذه القطعة من الحديد عنـــدئذ فقط ، تصبح خطرا علينا ويسـهل أن تنــال منا ، وتقضى علينا ٠٠ » ٠

ويمضى أفراد الشعب يروون فيما بينهم هــذه القصة البسيطة ذات المغزى العميق ٠ فالمسـتعمر ـ وقد رمزت له القصـــة بقطعة الحديد ـ لا يستطيع وحــده ، مهما بلغت قوته أن ينال من شعب حر ، أو أن يسخره لأطماعه ومآربه ٠٠ لا يستطيع ذلك مهما اتبع من وسائل الا اذا عثر من بين أفراد الشعب ذاته على من يقبل أن يتعاون معه ٠٠ ويمهد له الطريق وقد رمزت القصـــة لهؤلاء الخـونة والانتهازيين بغصن الشجرة الذى يقبل أن يصبح يدا للبلطة ٠٠

يروى أفراد الشعب هذه القصة ، وأمثالها ، فى مجالسهم وفى منتدياتهم فتزداد صـــلابتهم ، وتشتد حـــدة مقاومتهم للمستعمر ، وصمودهم أمام بطشه ٠٠٠

ومؤلف القصـــة الشيخ العجوز الأسمر رابض فى المســجد لا يمل الحديث ٠٠ ولا رواية هـــذه القصة وأمثالها للمصلين والوافدين لسماعه من كل الأديان ٠

ولم تكن هذه الوفود لتنقطع بالليل ولا بالنهار حتى أصبح شوكة فى حلق الاستعمار البريطانى فى صوماليا عدة سنوات ٠

وبالرغم من كفاحه الطويل ودوره الخطير فى تأليب قوى المقــاومة فى بلاده ٠٠ فقــد نجح الاســتعمار الانجليزى فى طمس تاريخه ، واسدال ستار كثيف من النسيان على ذكراه وجهاده ٠٠ حتى تلاشى اسمه الحقيقى من كتب التاريخ التى أشارت اليه ، وحل مكانه اسم آخر مشوه وصمه به وكلاء الاستعمار وهو : «الملا المجنون» و (The Mad Mulla)

ولولا أن كاتبـا انجليزيا حرا ، روى طرفا من سيرته فى أحد كتبه ، لما عرف العالم المتحضر شيئا عن ذلك المجاهد الكبير الذى نجح فى أن يدفع شعبه البدائى الأعزل الى أن يصمد فى وجه جنود الاستعمار البريطانى عدة سنوات ، أذاقهم خـلالها صنوفا من التنكيل والفتك ٠

أضواء على الصومال

للحاج محمد حسين حامود
رئيس حزب وحدة الشباب الصومالى

لا يزال الاستعمار يحيك مؤامراته ، ويحكم حلقاته حول شعوب آسيا وافريقية وقد عانينا نحن الصوماليين من هذا الوباء الاستعمارى الذى فتت وحدتنا وشتت شملنا وقسم أرضنا وعمل على اضعافنا ماديا ومعنويا .

ولكن بين كل هذا الظلام استطعنا أن نخلق فجرا ونحقق أملا . فالحرية كامنة فى روح كل انسان والناس يولدون احرارا كما قال عمر ابن الخطاب . ولا يولدون كما قال أحد زعماء الحرية وعلى ظهور بعضهم «البرذعة» وفى أقدام بعضهم الركاب: لتركب القلة الكثرة . ويستعبد الانسان أخاه الانسان ...

ومن أجل هذه الحرية الغالية قامت الحركة الوطنية الصومالية قبل نهاية الحرب العالمية الأخيرة من شباب اجتمعت قلوبهم على حب الصومال ورمت الى هدفين أولهما الحرية وثانيهما السلام ..

وقد وضعت الحركة الوطنية مبادىء لتسير على أضوائها وتتلخص فيما يلى : ـ

أولا : ـ النضال من أجل تحرير الصومال من التبعية السياسية والاقتصادية والثقافية للاستعمار الحالى والوقوف جنبا الى جنب ضد أى تسلل لاستعمار آخر . والكفاح الواثب من أجل تحرير بقية أجزاء الصومال من السيطرة الاستعمارية وتحقيق الوحدة الشاملة بين أجزاء الوطن الصومالى الكبير التى يغتصبها حاليا الانجليز والفرنسيون والايطاليون . وتخطيط واضح لسياسة عدم الانحياز بين الكتلتين الشرقية والغربية وكسب صداقة العالم ..

ثانيا : ـ توثيق روابط الصداقة والتعاون السياسى والاقتصادى والثقافى مع دول العالم كافة بغير تمييز على أساس الاحترام المتبادل والتكافؤ ، وبخاصة دول آسيا وأفريقية .

ثالثا : ـ مناهضة المشروعات والاحلاف العسكرية الاستعمارية كحلف الحزام الافريقى وحلف حوض البحر الأحمر ، والمساهمة فى الجهود الدولية التى تبذل لوقف انتاج

الأسلحة الذرية وتحريم استخدامها، وتوجيه الطاقة الذرية لخدمة التعمير والتقدم ، وحماية السلام العالمى .

رابعا : ــ تأييد ومساندة الحركات التحريرية فى العالم بصفة عامه وفى أفريقية بصفة خاصــة . والوقوف بعزم الى جانب الوطنيين فى الجزائر . وفى قبرص وفى عمان وفى كينيا وفى مستعمرة جوا وفى ايريان الغربية . واستنكار التفرقة العنصرية فىجنوب أفريقية والعمل من أجل عودة اللاجئين الفلسطينيين الى ديارهم .

هذه هى الأهداف التى يعمل أهل الصــومال على تحقيقها وهى أهداف ليس الوصــول اليهــا ســهلا . . وستعترضنا عقبات اذا كنا لا نبــالى بها فانا لا نستهين بها . وستعترضنا صعوبات ولكنا لا نخشى اليأس ونحن نواجهها . فنحن نتسلح فى مواجهتها بالعزيمة والحزم والاتحاد ، ورائدنا قول الزعيم المصرى مصــطفى كامل « أن من يتســاهل فى حقوق بلاده ولو مرة واحــدة يعش حياته مزعزع العقيدة سقيم الوجدان » .

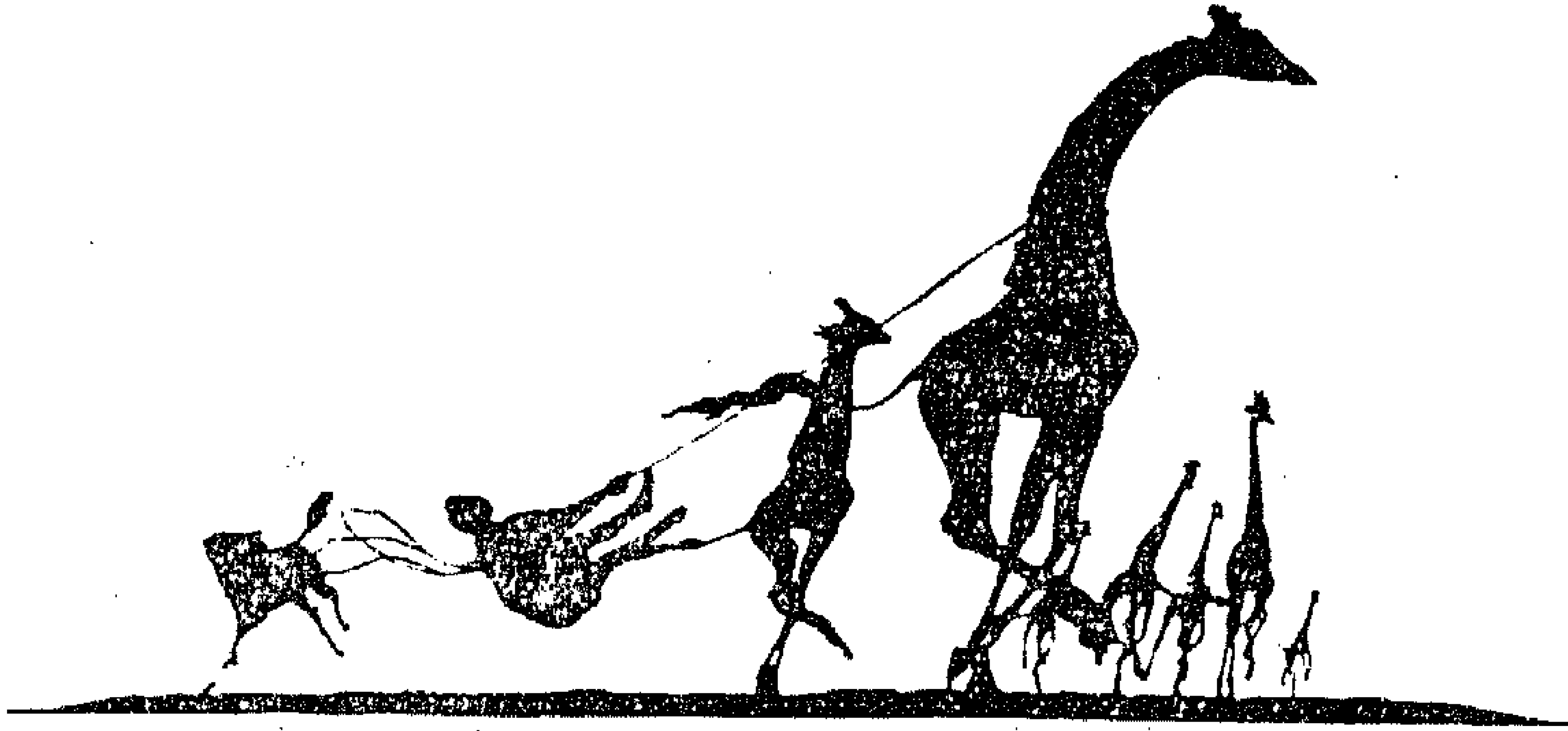
ان الصــومال الموضــوع تحــت الوصــاية الدوليــة على جانب خط الاســتواء والذى تمتــد أراضيــه الشاسعة على ساحل المحيط الهندى وخليج عدن ، والذى يعيش الشعب فيه داخل الحدود المصنوعة وخارجها، هذا الصومال يعتبر بلاده جزءا من المجمــوعة الآسيوية الأفريقيــة وأنه ليضع جهوده الصــادقة فى خــدمة أهداف هذه المجموعة ، فالصومال قد استطاع بجهاده وبجهود الأمم المتحدة وبمعاونة شعوب أسيا وأفريقية أن يصل الى مركز دولى يساعد اليوم على استكمال استقلاله وبفضل تلك الجهود كونت أول وزارة صوماليــة فى تاريخ الصومال . وكان من حسن الطالع أن كونت هذه الوزارة من حزب وحدة الشباب الصومالى سنة ١٩٥٦ وسيعمل الحزب على ايقاظ الشعب الصومالى بأسره ليكافح على استكمال استقلاله وسيادة الصومال . ودعم ذلك الاســـتقلال ورعايتــه والمحافظة عليه . بأن تحمــل الوزارة أعبــاء الشئون الخارجية ، وأعباء الدفاع عن الصــومال ، وتحــرير اقتصــادياته تحريرا كاملا . وذلك بانشاء علاقات اقتصادية بين الصومال وبين مجموعة الدول الآسيوية والافريقية .

ان شــعب الصـــومال يعلم أن الاستقلال ليس هدفا فى ذاته ولكنه وسيلة لتحقيــق رفاهية الأمــة فى الداخل ، فضــلا عن مساهمتها فى توطيد السلام فى العالم كله . ولذلك فاننا نسعى فى الميدان الداخلى لرفع مستوى الشعب الصومالى الثقــافى والاجتماعى . ونحن لانألو جهدا فى توثيق الصلة القائمة بيننا وبين بلاد آسيا وأفريقية . وان الثناء على جهد هذه الدول وبخاصــة مصر الكبرى لهو دين فى عنق كل صومالى .

وكما يقول المثل اللاتيني القديم « أن من شرب من ماء النيل مرة • لابد أن يعاود الكرة » • فقد غادرت هذه البلاد منذ مدة ثم عدت اليها بعد ذلك. لا لأشرب من مائها فقط • بل لأشارك العطشى الى الحرية فى النهل من المبادىء التى تحققت فى المؤتمر الآسيوى الافريقى ، وهى مبادىء السلام والحرية •

ان الصومال يعانى عجزا سنويا فى ميزانيته مقداره أربعة ملايين من الدولارات ، وذلك يرجع الى توجيه السياسة الاقتصادية لصالح الاستغلال الاستعمارى ، وفى الوقت نفسه يبدى المستعمرون استعدادهم لتكملة هذا العجز مقابل تنازلنا عن جزء من سيادتنا وقبولنا مشروعات السوق الأوروبية المشتركة ، والتكتلات العدوانية ؛ والمعاهدات غير المتكافئة. ولكن هيهات أن يخدعنا •

ان شعب الصومال يدعو البلاد الآسيوية والأفريقية ، باسم الأمل والألم والكفاح المشترك لتعمل معنا على هدم المشروعات الاستعمارية الهادفة الى التآمر على استقلال الصومال المرتقب فى سنة ١٩٦٠ ، وأن تطالب هيئة الأمم المتحدة بتغطية العجز الوارد فى ميزانيتنا ، حتى نتمكن من بناء اقتصادنا على أسس سليمة •



commerciali fra la Somalia e la collettività afro-asiatica.

Il popolo somalo sa bene che l'indipendenza non è una meta per se stessa, ma un mezzo, per realizzare il benessere della nazione nell'interno del paese e per conseguire la sua partecipazione alla restaurazione della pace nel mondo. Perciò cerchiamo sempre di migliorare le condizioni sociali e culturali del popolo somalo, e facciamo pure del nostro meglio per stringere sempre più le relazioni esistenti fra noi ed i paesi afro-asiatici, e ci sentiamo debitori di elogi e di congratulazioni verso i suddetti Stati, primo fra tutti il Grande Egitto.

Un antico motto dice: "Chi assaggia una volta l'acqua del Nilo, deve senz'altro berne un'altra volta". Infatti avevo lasciato l'Egitto tempo fà, e vi ritornai, non solo per bere la sua acqua, ma per dissetarmi assieme ai sitibondi di libertà, alla vera fonte di pace e di libertà che ha sgorgato dal Congresso Afro-Asiatico.

Sarebbe opportuno accennare ad un'altra questione che turba la vita economica della Somalia.

La Somalia ha nel suo bilancio un deficit che ammonta a quattro milioni di dollari all'anno, e ciò è dovuto al fatto che il colonialismo dirige la politica economica del Paese secondo il suo interesse, e dimostra nel frattempo una falsa generosità dichiarandosi pronto a colmare questa differenza passiva, chiedendoci invece in cambio, la rinuncia ad una parte della nostra sovranità e l'accettazione delle iniziative del Mercato comune europeo, nonchè la partecipazione ai patti d'aggressione e la conclusione di trattati privi di ogni equilibrio.

Ma invano l'imperialismo tenta d'ingannarci.

Il popolo somalo, fa appello ai Paesi afro-asiatici, in nome delle nostre speranze, sofferenze e lotte comuni, per annientare i progetti colonialistici miranti a complottare contro l'indipendenza della Somalia che dovrebbe avvenire nel 1960 e li esorta di chiedere all'O.N.U. la copertura del deficit del nostro bilancio, per poter sistemare le nostre risorse economiche su basi ben solide e sicure.

Mohamed Hussein Hamoud
Capo del Partito
"Unione della gioventù somala"

Terzo—Opposizione ai progetti ed ai patti militari imperialistici, come il patto della cintura africana e quello del bacino del Mar Rosso, e partecipazione agli sforzi internazionali per il disarmo e la messa al bando delle armi atomiche in modo che l'energia nucleare sia messa al servizio del progresso umano e della pace mondiale.

Quarto—Appoggiare tutti i movimenti liberali in qualsiasi parte del mondo, con particolare riguardo all'Africa, parteggiando per i patriotti d'Algeria, di Cipro, di Oman, del Kenya, della colonia di Joa, dell'Irian occidentale, condannare il razzismo dell'Africa del Sud ed operare per il ritorno dei profughi palestinesi alle loro case.

Questi sono gli obiettivi a cui mirano i Somali. Ma queste mete non sono facilmente raggiungibili, perchè il cammino è interrotto da gravi ostacoli. Peró noi non ci lasceremo abbattere dalla disperazione ed affronteremo questi scottanti problemi armati di buona volontà, risoluti e compatti, avendo sempre per ideale il motto del leader egiziano Mustafa Kamel : "Chi trascura i diritti della sua Patria anche una sola volta, è infedele ed incoscente per tutto il rimanente della sua vita".

La Somalia sottoposta all'amministrazione fiduciaria dell'O.N.U. attraversata dalla linea equatoriale ed i cui vasti territori si estendono lungo le sponde dell'Oceano Indiano e quelle del Golfo di Aden, ed il cui popolo vive entro ed oltre i confini tracciati, detta Somalia si considera membro della collettività afro-asiatica e pone i propri sforzi al servizio delle aspirazioni di questa collettività.

La Somalia ha potuto, grazie alla sua lotta, agli sforzi dell'O.N.U ed all'appoggio dei popoli d'Asia e d'Africa, raggiungere una posizione internazionale tale da permetterle di completare la sua indipendenza. Infatti grazie a questi sforzi, è stato costituito il primo ministero somalo nella storia della Somalia. Fortunatamente questo ministero è stato formato dal Partito dell'Unione della gioventù somala, l'anno 1956, e questo partito continuerà ad operare per il risveglio del popolo inducendolo a lottare per il compimento della sua indipendenza e la sovranità della Somalia, indi a consolidare tale indipendenza e proteggerla affidando al suddetto ministero le responsabilità degli affari esteri e l'incarico della difesa del Paese e della liberazione completa della sua economia, creando delle relazioni

UNA V CE DALLA SOMALIA

L'imperialismo continua ad ordire i suoi intrighi ed a stringere sempre piú le sue tenaglie attorno ai popoli afro-asiatici. E noi Somali abbiamo molto sofferto nella nostra lotta contro il colonialismo che infranse la nostra unità, spezzò i vincoli piú sacri della nostra gente, suddivise i nostri territori e fece tutto il suo possibile per indebolirci dal punto di vista materiale e morale. Ma in mezzo a quelle tenebre, potemmo far sorgere una aurora e realizzare una speranza.

L'uomo nasce libero, tanto è vero che Omar Ibn El-Khattab disse : "Gli esseri umani sono generati liberi" ; ed un altro difensore della libertà disse che gli uomini non nascono alcuni colla sella sul dorso ed altri col piede nella staffa, di modo che una minoranza cavalchi una maggioranza e che gli uni pongano gli altri in uno stato di schiavitù.

Il movimento nazionale somalo fu organizzato prima della fine della seconda guerra mondiale, e animato da giovani ardenti ed audaci che mossi dall'amòr patrio decisero di consacrare la loro vita alla grandezza del proprio paese. Tale movimento tende a raggiungere i due seguenti obiettivi: libertà e pace.

Gli scopi principali di tale movimento consistono in quanto segue :

Primo—La lotta per liberare la Somalia da ogni genere di dipendenza politica, economica e culturale e da ogni ingerenza straniera e l'opposizione a qualunque infiltrazione colonialistica in avvenire. Di conseguenza lotta per la liberazione dei diversi territori della Somalia dal dominio straniero, ed il conseguimento della completa unità fra le varie parti della Patria somala, usurpate attualmente dagli Inglesi, dai Francesi e dagli Italiani. Cosí unita, la Somalia potrà perseguire una politica estera basata sulla neutralità fra i due blocchi orientale ed occidentale e guadagnarsi l'amicizia di tutte le nazioni.

Secondo—Stringere sempre più le relazioni amichevoli e collaborare nel campo politico, economico e culturale con tutti gli Stati del mondo senza distinzione, ed in special modo con quelli asiatici ed africani, cioè un' armonica collaborazione basata sul rispetto reciproco.

inishwa na bwana (Chikakola malando) katika gazeti hili hili kuwa hauna maslaha yeyoye.

Na katika jmla ya matencenezo ya muungano wa namna hii hi ambaouko njiani hivi sasa na ambao umeleta mzozano mkubwa baina ya mugereza na wananchi wa Africa, ni muungano wa Nigeria na mashruu ya mungano wa Africa ya mashariki ambao maksudiyo yake kuunga (ugauda) na (kenya) na (Tanganyika) mashruu ya mungano wa Africa ya mashariki aliyapinga 'His Highness' (Kabaka) hatte ikampelekea kutengwa na nchi yake halafu akarejeshwa na mpaka sasa mzozano haujeshe.

Vile vile mugereza anajaribu kutaka kuleta muungano katika miji ya kusini yabara arabu south East Arabu iwechiniya mashekhe ili azidi kupata nafasi kuinyonya petroli yao. Muungano huu unati a Mshkil na huko kunakwenda vita vikali baina ya mugreza muscati na Imam.

Njia ya kuvikimbia vitimbi hivi vya hizi dola zinazotawala ni kuungana wana nchi wenyewe kwa wenyewe muungano wanaotaka wenyewe, walioukinai wenyewe wana nchi kuwa utawaletea maslaha kama muungno wa Misri na Siriya.

Na sisi tunapoangaliya mustakbali kwatamaa njema hetuwachi kuwona ishera ya muingiliano baina ya majimbo mawili haya makubwa na kuungana dola mwbili hizi zilizoilekea Europa ni mfano mzuri wa juhudi ya Asia na Africa katika kuukabili itawaliaji wa dola za maghazibi.

M.F. ...

ribi na bada ya kutawaliwa kote huku imesaliya lugha ya kiarabu. Na msikiti mkubwa masjd el amawi ndio ulioeleya lugha ya kiarbu hata ikawa haikuathirika juu ya mambo yote yaliyoyipitia

Kama ilivyokuw a Suria ni mji wa kiarabu uliyoko Asia bas Misr ni mji wa kiarabu uliyoko Africa. Misri imeweza kujuwa mambo ya mji mbali mbali ya Africa ya kusini kwa njia ya mto wa nile na imejuwa mambo ya Africa ya kaskazini kwa njia ya Sahara (Kwa Misafara ya ngamia) na wamepata fikra nakujiwa misuko misuko kutoka katika dola za magharibi kwanjia ya bahari ya mediteranean.

Na kama ilivyokuwa, Masjid el Amauw umeichunga Lugha ya kiarabu katke Asia basi na masjid el Azhar' vile vile Tangu miyaka elfu nyuma ulikuwa ukileya lugha ya kiarabu na haikupoteya hatta kidogo.

Basi haikuwa tena ajabu kuugana baada ya kupatikana mambo yote yanayo pelekea kungana namatokeoyatarehe ambayo, yametia mbegu zakekatika mkutano wa 'Bandung' na ukachauuwa katike mkutano wa Cairo, haukuwacha kuwa na taathira juu ye umoja huu

Matokeo muhimu ya mikutano miwili hii (Wa Cairo na wa Bendung) ni kushikilia kwa shaab wa mijimbo miwili haya (Africa na Asia) wasiwache wenye we kwa wenya kupenda kutawala kuwaougozea mambo yao kwani dole zenye kutawala baada ya kushin dwa zinaanza kukubali hukuki za uma szilizowanyanganya lakini za tumia uwonngo na siasa ili wazidi kuchelewesha mambo na kuzidi kutilia ncuva maukif yao yanayo lenga lenga.

Vile vile dole zenyekutawala hupenda kuwagawa shaab vikundi ili wadhoofike kama walivyofanza (Korea). (Indo cheina), India, na kama wanavyofanya indonesia kuifarikisha na west new Tumea na kama anvyofanya mugereza katika (Kobrs) kutake kukigawa kisiwa sehemu mbili baiana ya ma yunani — ambao ndio wengi — na maturki ambao ni wachache to katika hicho kisiwa.

Hivi ndivo wanavyofanya Asia, ama africa mucereza anampanqo mwencine kabisa, nao ni kuiunga miji mbali mbali isiyokuwa nauhuru ili iwe chini ya commonwealth ili faida yota imrejee mwenyewe mugereza kwani yeye ndiyo mwenyeu wezo na katika jumla ya hiyo miji anayotaka kuunganishwa ni (Rlodesie) ya kaskazini na nyasaland, muu ngano ambao umeba-

ya umoja katika nyoyo zao basi na watu wa misr wameamini kabla, tangu zama za (Firauni) kuwa kufarikiana ni kuangamiya.

Hii ndiyo itikadi ya wa atu wa misr tangu zamani na diyo itikadi ya warabu killa ukati na wala heli-kukoseya gazeti la „Time" lili-potuja aya hii tukufa ya kuashiriya umoja makosayake ni pale alipo-toka katika maudhuu akajaribu kuleta sababu za juu za huu umoja na akasema kwamba hii ni natija ya kugombania ukubwa baina ya 'parties' za siasa za suria na kosa jengine ni vile kusema kwamba misri ameitikia muito huu wa umoja ili kuitia kidole cha jigao baghdad pact.

Misri (Africa) taarekh yake yote ni kutafuta umoja vile vile Suria (Asie) siku zote ikilingania huwo huwo umoja.

Itisali zote walizokuwa waki-fanya watu wa misri na nchi za africa na asia tangu misafara ya kupekuwa mpaka ya biashara na megineyo yote ni kutafuta muun-gano baina ya watu ili kuzidi kuupeleka mbele ustaarabu wao.

Vile vile jitihada ya suria yote, zamani na sasa, makusudio yake ni kutafuta umoja, wa warabu. Mambo aliyoyyafanya „Presedent" wa Suria pamoja na ahzaab zote za siasa katika kutengeneza umoja huu wa warabu ni mfano mzuri kabisa wa kujinyima kwa sababu ya mafenikiyo ya uma.

Siajabu misri na suria kuweza kufanya ushujaa mkubwa wa siyasa kama huu uliyopelekea dola mbili hizi kuungana upesiupesi kufmba na kufumbuwa kwani mambo ya-kuwapelekea kuchanganyika hayana idadi.

Misr nasuriya zinalinganr kwa ustaarabu kwa ni zote nchi mbili hazikuchuliwa na juwa la ustaarabu tangu karne nyingi ziliyopita ija-pokuwa katika muda wote huu haukosi kuwapo-wakati uliyorejea myuma ustarabu wao lakini maisha yao yaijitimai, na uhodariwao wa siasa na biashara na fani nyen-ginezo heukupata kupata kusangaa juu ya kuhujumiwa na kutawaliwd.

Misri na snria walita wliwa na dole nyingi na killa dola iliyota-wala ilikuja na ustarabu wake. Misri na Suria zimekunya ustarabu wote huu na uwarabu wao ulikuwa pale pale kwa hivyo nchi mbili hizi zikingojaea fursa tu za kurudisha uwarabu wao.

Suria ni mji wa kiarabu tangu asli na kama ilivyokuwa watu wa Suria ni mashhur wa kazi za mikono basi vile vile ni mashhur kwa tabia nzuri ambazo wame-zipata kwa kutawaliwa na madola mbali mbali ya mashriki na macha-

Kaumu Mbili Zimekutana Katika Jamhuria mmoja

Imeandikwa na Aboud Alazizi Ishaka

Na huu Uma wenu niuma mmoja namimi mola wenu kadhalika (Kuraan Tukufu).

Gazeti la kimarekani the Times limeanza Maneno yake, juuya kuasisiwa kwa jumhuria ya kiarabu iliyo unganisha Misri na suria, kwa aya hii ya Qurani.

Wala sikwamba gazeti hili mashuhuri la kimarkani limetwa dalili kwa aya hii ya quraan, kwa sababu ya imani juu ya ujumbe wa mtume ou kwa sababu ya kutukuza kitabu cha mungu hasha bali limefanya hivi ili-kwa vile ilivyo kuwandiyo mwendo wao kusema sana — kuonyesha kwamba wao yanawelea sana, mambo ya watu hata yale yaliyofichika. Na safari hii takariban wamesema maneno si kwa makusdio bali wameshindwa kuzuwiya nafsi zao kwa ule mshangao uliyowapata kwa kuona jabo ambalo kwaitikadi zoo halikwelekea ndiyo mana wakaleta taawili ya kisufi kuwonyesha hatta kurani imeishiria umoja ili kuficha mshangao wao.

Dola za maggharibi zilikuwa zikidhani kwamba warabu hawana lao Jabo, baada ya kwisha kuwafisidia nchi zao na kuwatia katika umaskini na ujinga na kuwagombanisha wenyewe kwa wenyewe na kutokisikilizana katika siyasa hata wakawa hawawezi kuendelea wala kufikilia makusudiyo wala kuungana kwa kumzuwiya adui wachiliyambali kuungana katika kuvuna rizki zao zisiyokuwa kidogo. alizowaruzuku mwenyezimungu.

Vitendo vya siasa na vita na iktisad vimewathubitishia watu wa magharibi kuwa warabu wamekwisha zao na fikra ya kuungana ni ndoto tu wanayoiyota baadhi ya waongozi wao. Lakini kuungana ishirini na nana million ya warabu wa misir na suria kwa wepesinamna huu imerejesha dhana zao zote

Hapana shaka hii ni siri ay mwenyewe mungu. Hatuwezi kusema lolote illa kurejeya katilka Quraan, kupekuwa. Hapo tutaziyona ishara za kusifiwa umoja huu, ambao huja ukiondoka halafu ukarejea tena, juu ya mapingamiza yanayouzuwiya.

Ikiwa warabu — ambao hii aya ya kuashiriya umoja imeshuka kwa lugha yao wenyewe-wameamini jun



العودة من السوق

Vol. 1 No. 6 April 1958



Nahdatu IFRIQUIAH

IN THIS ISSUE



نهضة افريقيه

مجلة شهرية للثقافة الإفريقية
رئيس التحرير : محمد عبد العزيز اسحق

محتويات العدد

نهضة افريقية

تهدف هذه المجلة إلى :

١ ـ تنمية الوعى القومى الإفريقى .

٢ ـ التعارف بين الإفريقيين فى مختلف بيئاتهم وحياتهم الإقليمية .

٣ ـ نشر البحوث الخاصة والعامة التى تهم كل إفريقى فى مجاله الحيوى .

وللمشتركين الحق فى :

١ ـ الحصول على المجلة بانتظام ، وكذلك المطبوعات التى تصدرها المجلة بين وقت وآخر بثمن مخفض .

٢ ـ الإفادة من خدمة لجنة الاتصال بالمجلة بقدر الإمكان .

- ترحب «مجلة نهضة افريقية» بالمقترحات ، والآراء ، والنقد ، وتعمل على تحقيقها ·
- ليس من الضرورى أن تكون المقالات التى تنشر فى هذه المجلة معبرة عن رأيها

ترسل المراسلات باسم :

السيد رئيس تحرير مجلة نهضة إفريقية

٥ شارع أحمد حشمت ـ الزمالك ـ بالقاهرة

تليفون المجلة ٨٠٧٦٥٨ جمهورية مصر

ترسل قيمة الاشتراك فى المجلة إلى :

دار أخبار اليوم للتوزيع : ٧ شارع الصحافة بالقاهرة

الاشتراك سنوياً : لمصر والسودان
٣٠ قرشاً

ثمن العدد
٣ قروش

ماذا بعد أكرا ؟

بقلم الأستاذ محمد عبد العزيز اسحاق

فى منتصف الشهر الماضى تحقق حلم ، كان يراود خيال الأحرار فى افريقية ، منذ تفتح الوعى القومى لدى حفنة كانت مشردة مضطهدة من هؤلاء الأحرار ..

ولو أن أحدا تنبأ منذ عشر سنوات بأن مجموعة الأمم الافريقية المستعمرة سوف تبرز من بينها ثمانى دول مستقلة . وأن هذه الدول سوف تجلس حول مائدة واحدة . لكى تنظم صفوفها ، وتنسق جهودها وتمد أيديها الى اخواتها المكافحات الصامدات ، لو أن أحدا تنبأ بهذا منذ عشر سنوات لرماه الناس عامة والمستعمرون بصفة خاصة ، بالاغراق فى أحلام اليقظة والانسياق وراء الأوهام .

ولكن الأوهام المزعومة قد أصبحت حقيقة واقعة . وهى أى الحقيقة لم تأت عفوا ، ولم تقدم نفسها من أيسر سبيل ، وانما جاءت بعد مخاض أليم امتحنت فيه الشعوب الافريقية أعسر امتحان ، وبعد محاولات مضنية مخلصة لاستئصال رواسب الاستعمار من أذهان كثير من المسئولين والقادة والزعماء .

وقد كان المفترض أن ينعقد « مؤتمر أكرا » فى العام الماضى . ولكن العوامل المعرقلة التى أشرنا اليها اجمالا أخرت هذا الانعقاد الى هذا العام ، واستدعت أن توفد غانه وفدا على رأسه وزير العدل فيها « السيد أكوأجى » .

وطاف هذا الوفد بالأقطار التى دعيت الى المؤتمر ، فأوضح للمسئولين فيها ما يهدف اليه الزعيم « نكرومه » من اجتماع الدول الافريقية المستقلة على صعيد واحد ، وألقى ضوءا على كثير من علامات الاستفهام ، التى كانت تطوف بتفكير المسئولين فى تلك الدول .

وعندما مر هذا الوفد بمصر فى أوائل مارس الماضى أقامت له الرابطة الافريقية حفل تعارف واستقبال ، وأتاحت له أن يلتقى بنخبة من الافريقيين المقيمين بمصر طلبا للعلم ، والوافدين اليها من السادة الأحرار الذين أخرجهم الاستعمار كرها من ديارهم ، ووجدوا ها هنا ملجأ وملاذا .

وفى ذلك الاجتماع تحدث أفراد وفد غانه شارحين الهدف من مؤتمر

أكرا ، وكيف أنه مقدمة لمؤتمرات أشمل وأوسع نطاقا ، وانهالت عليهم الاستفسارات من الافريقيين المجتمعين عن أسباب اقتصار الدعوة الى المؤتمر على الدول المستقلة ، في حين ان أغلبية الأقطار الافريقية التى ترزح في أغلال الاستعمار في حاجة الى الاجتماع بأخواتها ، وبسط قضاياها ، وشرح مشكلاتها ، وطلب العون من هؤلاء الأخوات والزملاء للافلات من الأغلال

وعلى الرغم من تأكيد وفد غانه للسادة المتسائلين ، بأن المؤتمر لن يغفل شأن الأقطار الشقيقة التى لم توفق لنيل استقلالها ، الا أن كثيرا من علامات التعجب والاستفهام ظلت عالقة بالأذهان ، بل انها قد استطاعت أن تفتح الطريق لمزيد من التكهنات التى لا تغرى بالتفاؤل من المؤتمر المبرعم الجنين ٠

وما ان أكمل الوفد جولته في الأقطار الافريقية المدعوة حتى كانت الأقطار قد قبلت الدعوة ، وأعدت وفودها للسفر وما ان أشرف يوم الافتتاح حتى كان ممثلو الدول الثمان في مقاعدهم حول مائدة المؤتمر ، وحتى حدثت احدى المفاجآت السعيدة التى تنبثق تلقائيا عن شعور الوطنية المتوهج المقدس ، والتى لم تكن تخطر للمترددين والمتوجسين ، والظانين الظنون بمؤتمر أكرا ٠٠

ذلك أن المؤتمر قرر أن يأذن لمندوبى اقليمين افريقيين مجاهدين لم يحصلا على استقلالهما بعد وهما (الجزائر والكاميرون) بأن يجلسوا الى المائدة الافريقية المستقلة وأن يضعوا مشكلات بلادهم على بساط البحث ٠

وكانت هذه أول صدمة للاستعمار الذى كان يأمل ، بفضل نفوذه المتوطن لدى كثير من الدول الافريقية المستقلة ، أن تجامله هذه الدول ، ولا تنكأ جراحه التى تسيل دما في جبال الجزائر ، وفى أدغال الكاميرون

وكان الاستعمار أيضا يأمل ، ويذيع أن يحدث تجمع الافريقيين شدخا في الكتلة الافريقية ، الآسيوية ، التى تبلورت وتجسمت في « باندونج » واذا بالمؤتمر يؤكد ارتباط افريقية بأختها العظيمة آسيا ، واذا به يصفق لرئيس وفد مصر وهو يقدم بلاده كدولة افريقية آسيوية ، واذا به يصدر من بين قراراته التاريخية ، قرارا بادانة الصهيونية ، والاعتراف بحق عرب فلسطين في العودة الى ديارهم ٠

ونحن لا نرمى الى تعداد تلك القرارات التاريخية ، ولكننا نقصد تسجيل الظواهر التاريخية العامة لهذا المؤتمر العتيد ، وكيف استطاعت روح التحرر والوطنية الافريقية أن تبدد غيوم الشك ، وأن تقضى على أحلام الاستعمار ٠ ولعل أقوى تلك الظواهر هى أن قرارات المؤتمر لم يأت

من بينهـا قرار واحـد يرضى عنه الاستعمار ، أو يومىء الى انحياز الدول الافريقية المتحررة ، من قريب أو من بعيد الى أولئك الذين سبق لهم أن اسـتعبدوها ، ويحاورون اليوم أن يجتذبوها من طرف خفى الى حظيرة الاستعباد .

لقد أجمع المؤتمرون فى « أكرا » على سياسة عدم الانحياز ، وأجمعوا على ادانة الاسـتعمار ، وقرروا أن يضعوا خطة عاجلة للتقريب والتفاهم بين بعضهم والبعض الآخر فى جميع مناحي الحياة ، من سياسة ، واقتصاد ، وثقافة ، واجتماع . واستطاعوا أن يلمسوا نقطة حساسة بالعلاج ، حينما قرروا ربط الأقطار الافريقية بأحدث وأسرع وسائل المواصلات . فكم كان مؤلما وباعثا للأسى أن تسـافر وفود افريقية كثيرة الى غانة عن طريق أوروبا وذلك بسبب احتكار السادة الأوربيين لخطوط الطيران فوق القارة العذراء .

ولقد أثار المؤتمر بعـد انفضاضه وصدور قراراته ، ألوانا متباينة من الآراء والتعليقات . فقد وجد الترحيب والتحبيذ من كتلة باندونج عامة ، ومن الكتلة الشرقية على وجه الخصوص ، ووجد التجاهل المريب ، والاقلال من أهميته لدى ما يسمى « بالعالم الحر » الذى كان وما يزال مصدر الاستعمار البغيض ، ومصـدر الشرور المادية والمعنوية لافريقية والافريقيين ، ومن هذا « العالم الحر » انطلقت تيارات متناقضة ، يرمى بعضها الى وصف اجماع دول أكرا بأنه ظاهرة سطحية تخفى وراءها خلافات عميقة ، ويهدف بعضـها الآخر الى تحـذير الدول الاستعمارية من النتائج البعيدة لهذا المؤتمر ، ومن الهزات العنيفـة التى ينتظر حدوثها ، نتيجة له ، فى الأقطار المتطلعة للتخلص من نير الاستعمار .

وهذان تياران متناقضان ينبئان عن عقليـة رجعية متهالكة مفككة الأوصال ، مؤذنة بالتخلخل والانهيار

وفى الوقت الذى خرجت فيه الدول الافريقية المستقلة من مؤتمر أكرا صفا واحدا متناسق الخطى محدد الأهداف سقطت الوزارة الفرنسية ، وتبعثرت الأحزاب فى تشكيل وزارة جديدة ، وأنشبت الأزمة السياسية والاقتصادية مخالبها فى فرنسا . وما تزال آخذة منها بالخناق ..

وفى تونس ومراكش هرع سفراء فرنسا يستفهمون فى جزع عن موقف الحكومة التونسية والحكومة المراكشية من قرارات مؤتمر أكرا . وما يختص منها بمعونة الجزائر المجاهدة ، كأنما يجهل هؤلاء السادة السفراء أن وفد تونس كان يمثل تونس ، وأن وفد مراكش كان يتحدث باسم مراكش .

وفى مصر كان رد الفعل أسرع من البرق الخاطف ، فقد قررت الحكومة المصرية أن تفتتح فورا مركزا ثقافيا فى أكرا ، وأن تتخذ من التدبيرات ما يكفل تنفيـذ باقى القرارات السياسية والاقتصادية والثقافية ..

وفى كينيا قامت حركة سياسية بقيادة الزعيم الشاب « مبويا » لعرقلة النظم البرلمانية المزيفة التى أعدها « لينوكس بويد » وزير المستعمرات البريطانى ...

وثارت ثائرة الادارة الاستعمارية فى كينيا ، بعد أن خيل اليها أنها قضت على الروح الوطنية باخماد حركة « الماوماو » ثارت ثائرتها فألقت القبض على « مبويا » وسبعة من أعوانه ووضعتهم فى السجون والمعتقلات .

وفى أوغنده ، قام حزب المؤتمر الوطنى الأوغندى بزعامة « موسازى » ليقف فى وجه الانتخابات المزيفة التى تجريها الادارة البريطانية ، وقرر الحزب أن يخرج بقضية أوغنده من نطاقها المحلى الى النطاق العالمى ، وأن يشكو بريطانيا الى هيئة الأمم ....

وفى اتحاد وسط افريقية انشق الحزب الأوروبى الحاكم ، وأخذت النقابات الوطنية فى جمع صفوفها تمهيدا لهجوم وطنى شامل .

وفى اتحاد جنوب افريقية فاز أنصار التعصب الأعمى فى الانتخابات فازدادت روح الكفاح لدى المواطنين الافريقيين اشتعالا ...

وفى زنجبار تكتل العرب والافريقيون ، وتقدموا بمطالب الحكم الذاتى ، وبنظام برلمانى نظيف ...

وفى توجولاند — وهى مستعمرة ألمانية سابقة مجاورة لغانه ، وضعتها هيئة الأمم تحت الوصاية الفرنسية — حدث أعظم رد فعل بعد المؤتمر مباشرة فقد أجرى هناك استفتاء لتقرير المصير تحت اشراف الأمم المتحدة ، وعلى الرغم من ضغط الادارة الفرنسية الحاكمة فقد جاءت نتيجة الاستفتاء (بأغلبية ٧٠ ٪) فى جانب الاستقلال ، وأصبح من المحتم أن تنال توجلاند استقلالها ، وأن تنضم فى القريب العاجل الى أخواتها من الدول الافريقية المستقلة .

لقد أعلن وزير خارجية مصر على العالم فى أكرا أن الشخصية الافريقية قد ظهرت على المسرح الدولى ، ولم تمض أيام على انفضاض المؤتمر واذاعة قراراته ، ومن بينها قرار تنسيق الجهود بين الدول الافريقية فى المجالات الدولية . لم تمض أيام على ذلك حتى التأم شمل الوفود الافريقية فى نيويورك ، وقررت أن تطالب بأن تكون رياسة الدورة القادمة لهيئة الأمم من نصيب احدى الدول الافريقية ، وقال متحدث رسمى باسم هذه الدول « **ان تعداد قارتنا يزيد على ٣٠٠ مليون من البشر . وقد مر على انشاء هيئة الأمم اثنا عشر عاما ، ولم تكن الرياسة فى أى عام من نصيبنا ، وقد آن الأوان لنيل حقوقنا ...** »

لقد شاءت أبواق الدعاية الاستعمارية أن تقلل من شأن مؤتمر أكرا وقراراته ، وحينما دعت سكرتارية مؤتمر التضامن الآسيوى الافريقى بالقاهرة منذ أيام ، الى مؤتمر صحفى بمناسبة تلك القرارات لم يحضر المؤتمر صحفى واحد من « العالم الغربى » ولكن النتائج الباهرة التى أشرنا اليها قد استطاعت أن تجتذب انتباه العالم ، وأن تتحدث عن نفسها ..



كوامى نكرومه *

للاستاذ عبده بدوى

هناك فى افريقيـــة يتألق عملاق جبار كالوسام على صدر القارة ٠

عمـــلاق نبع من قلب القـــاعدة الشعبية الجماهيرية ٠ فهو فى صعوده واصراره ، وتألقه يحمل معه أفراحها وأوجاعها ، ونظرتها البعيدة الى غـد مشرق سعيد ٠

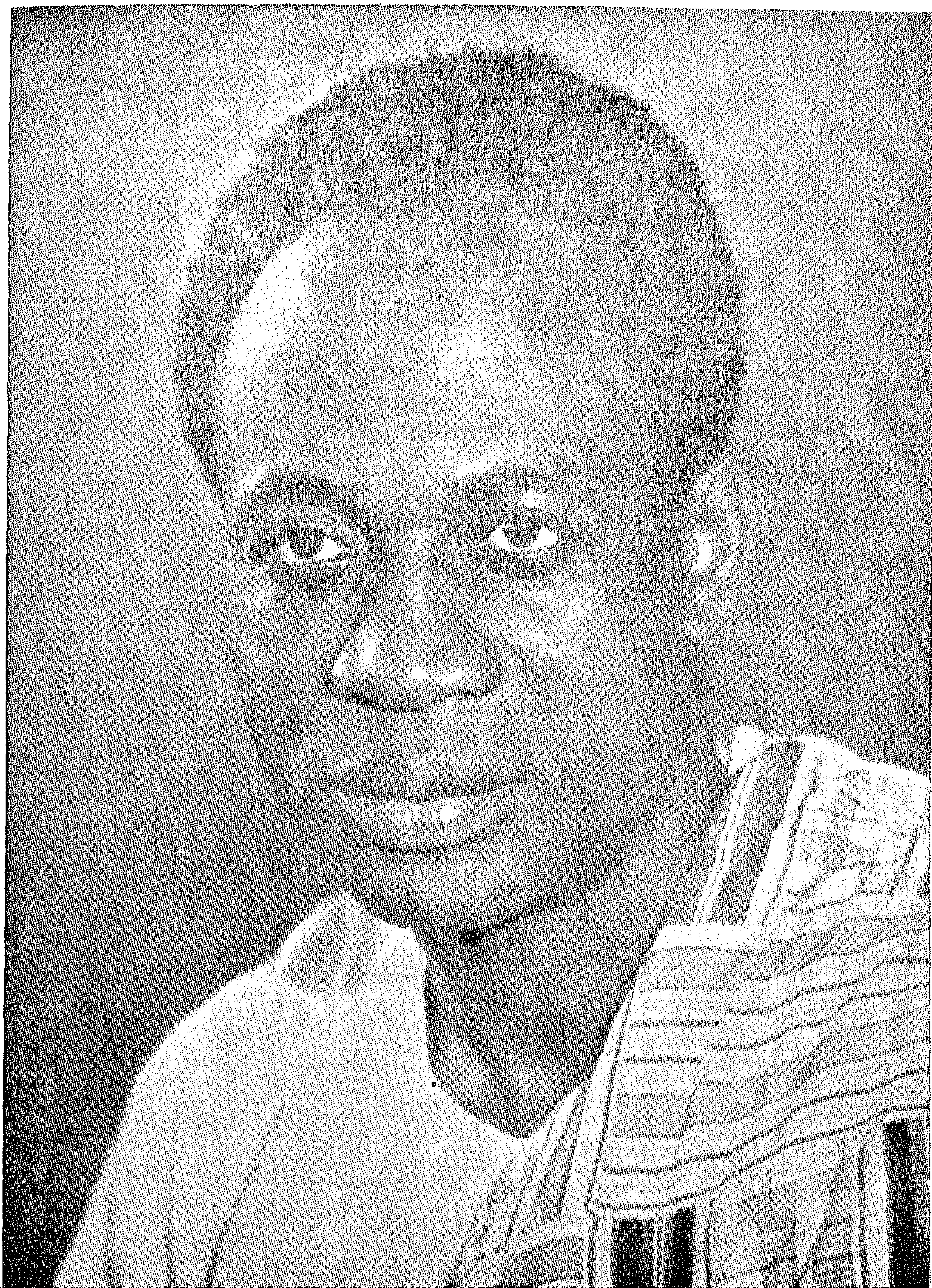
٠٠ فهو بحق قد وهب أيامه للشعب واخلاصه للحياة ، ومن هنا فلم يحمل اسما خاصا به يجسده ويظهره فرديا وانمـــا حمل فى أمانة وشرف اسم قريتـه الحبيبة « **نكرو !** » بالاضافة الى الزمن القوى الجبـــار ٠ الى يوم السبت ٠ فمعنى يوم السبت فى اللغة الوطنية « **كوامى** » ٠ ومن هنا تكون اسم بطلنا الافريقى «**كوامى نكرومه** »

هذا الرجل الذى يدق كالقلب فى قلب افريقيـــة العظمى ٠ فى قلب « غانة » ٠

٠٠ فقد ولد عام ١٩٠٩ فى قرية « نكرو » الفقيرة ، فى الوطن الغانى الـــكبير ٠ هـــذا الوطن الذى تبلغ مساحته ٩٢٠٠٠ ميل مربع ، ويزيد عـــدد ســـكانه على خمسة ملايين ، وهكذا حمل كوامى نكرومه أيامه يوما بعد يوم ، وموقفا بعد موقف لبلاده الفقيرة ، وشعبه الطيب ٠٠

واذا كان قد أخذ من قريته سخاء أشجار « الكاكاو » ! ومن الزمن عمقه وجديته ! فانه قد اكتسب صفة أخرى بالوراثة ٠ وهذه الصفة هى صفة الصلابة فقد كان أبوه حدادا فقيرا يطوع الحديد بيديه فاذا هو تين ٠ ويطوعه بأفكاره فاذا هو بلطة أو فأس ٠ أو شىء آخر يدق الأرض فى اصرار ! كما كانت أمه تدير متجرا صغيرا لتساعد زوجها الحداد الفقير فى توفير الرزق ٠ ومن خلال هـــذه الطبقـــة الكادحة نشأ « كوامى نكرومه » خصبا كالقرية ! قويا كالزمن ! صلبا كالحديد ! مفيدا كالمتجر ! ٠

٠٠ عـــلى أنه قد عرف بالذكاء المتوهج فى صغره ٠ والطيبة الرفيقة الحانية ، ومن هنا فلم يضن عليه أهله الفقراء بالتعليم ٠ فنظروا شـــمالا ويمينا يتحسسون له مدرسة تحمل



« كوامى نكرومه »

تقاليد بلادهم وأمجادها • فقد كانت من قبل مهد الحضارة عظيمة ، ولما لم يجدوا شيئا من هذا أدخلوه على خوف مدارس الارسالية الكاثوليكية وقد اجتاز مراحلها بتفوق • ووصل بتفوقه هذا الى القيام بعملية التدريس فى نفس المدرسة التى كان يدخلها فى خوف وحذر ! •

•• على أن شيئا جديدا لم يطرأ على حياته •• فمازال كما هو فى مأكله ، ومشربه وملبسه • بل ومبالغا بعض الشيء فى هذا التقشف الذى كان يسيطر على حياته وهو تلميذ • ليدخر من كل هذا ما يعينه على التعليم العالى • فاذا تم له ما كان يقتطعه من نفسه توجه الى كلية « أخيموتا » بالقرب من « أكرا » •

ولا يكتفى بما حصل فى كلية « **أخيموتا** » وانما يحس فى نفسه الحنين الدافق الى منابع العلم السخية فالتعليم فى بلاده قشور وجمود • ويحدث بهذا أحد أقربائه • فيسعى له قريبه هذا حتى يلتحق بجامعة « لنكولن » احدى جامعات الزنوج بأمريكا •• وفيها يحصل على أربع درجات علمية فى العلوم واللاهوت •

•• وفى أمريكا يلقى الاضطهاد العنصرى كما يلقى التحقير اللونى فلا يحطم هذا من عزمه ولا يثير فى نفسه الحقد والكراهية • وانما يثير فى نفسه شيئا من العطف على هذا « المرض » الذى تعانى منه هذه البلاد وانه ليبتسم بمرارة فى احدى المرات حينما يسأل أمريكيا فى مدينة « بلتيمور » عن أحد الأمكنة التى يستطيع أن يشرب منها جرعة ماء • فاذا بالأمريكى « المتحضر ! » يشير له الى أحد الأماكن المخصصة لشرب الحيوانات ، ولعل هذا يذكرنا بما حدث بعد ذلك لوزير مالية « غانه » حين طرد من مطعم أمريكى لأنه ملون واضطر ايزنهاور للاعتذار اليه رسميا !! وهكذا ينتصر الشاب الأفريقى على هذه البلاد التى ذهب اليها وليس فى جيبه سوى عشرة جنيهات وحبه لبلاده ، والذى اشتغل فيها عامل مصعد • ثم غسال أطباق بمطعم ، وحمالا بالسكة الحديد وعاملا بطلاء السفن • انتصر على حقدها بالحب الذى يحمله فى قلبه ، وبالقيم الشريفة التى يحملها الانسان خاصة اذا كان هذا الانسان من أفريقية !! من غانه !! •

•• وبعد أمريكا سافر الى انجلترا لدراسة الاقتصاد • وفى هذه البلاد نراه يلقى بنفسه فى تيارات السياسة فيحضر اجتماع أحد الأحزاب بلندن ويتحمس له كما يعمل مع زملائه من الافريقيين على تحرير القارة ، والاجتماع بكل من يهمه أمرها وهكذا لم يضيعوا أيامهم فى العبث ، والتطلع الى الواقع الانجليزى بوجه مشدوه ، وعين مستغربة • وانما تلاقى هذا الشباب الافريقى فى جمعية « اتحاد الشعوب

الافريقيـــة » ففى عام ١٩٤٥ أصبح سكرتيرا لهذا الاتحاد فى الوقت الذى كان فيه « جوموكنياتا » رئيسا ... هذه الجمعية التى قامت على أساس من تحطيم الاستعمار فى كل مكان بافريقيـــة وعلى احتقار هذا الحاجز اللونى الذى كان يقابلهم فى كل خطوة وكل نظرة .

وهكذا عاش نكرومه فى مشاكل القارة وأوجاعها وكم حنـــا عليها وهدهدها بين نفسه . فقد شاهدها تذل فى بلاده من الانجليز . وشاهدها تذل فى أسفار خارج القارة . فقد كانت تحتقر فى وجهـــه الأسود ! وتجرح فى ملابسه الوطنية ! وتجلد فى كل نظرة يرفعها فى حب واعجاب . فقد تقع مرة على لافتة تقول « مخصص للبيض » ! وقد تقع أخرى على لافتة تقول « ممنوع دخـــول الســـود والكلاب » ! .

ومهما يكن من شىء فقـــد حددت هذه الجمعية مشاكل القارة فى نفسه فلما عاد الى بلاده عام ١٩٤٧ بعد غربة دامت اثنى عشر عاما . كانت أهداف بلاده واضحة فى نفسه . وبشوق ودموع عانق كل شىء فى بلاده . عانق العمال المجهدين الذين يتصببون عرقا فى المناجم ! والفلاحين الذين ينحنون على حقولهم وفوق شفاههم غناء حزين يدور حول جوعهم ورغبتهم فى الخلاص والحـــلم بالبطل الذى سيقودهم فى معارك التحرير ! .

عانق كل شىء حتى الفقـــر والألم والدموع . فبلاده كانت قد استحالت الى مأســـاة ! الى مستعمرة من الفقر والألم والدموع ! .

وماكان ليضيع الوقت فى الاجتماعات والاحتجاجات ، ورفع المذكرات . وانما نراه وهو الذى فهم الانجليز جيدا يقود الشعب الى ثورة جارفة ضـــــد ممتلكات الأوربيين . وحقا لقد آتت هذه الثورة العـــــارمة ثمارها بنفس السرعة التى قامت بها . فقد هبت بعد عودته بشهرين . وأمام هــــذه الثورة وافق الانجليز على اشراك أهل البـــــلاد فى الحكم . بعد أن أودعوه السجن فى بلاده .

وما كاد يخـــرج من السجن حتى رأيناه يؤسس حزبه « حزب الشعب » ويجعل أول هـــــدف من أهدافه هو « الحرية » ويلجأ الانجليز الى سلاحهم سلاح المفاوضـــــات ، ومحاولة تفتيت الجبهـــــة الوطنيـــــة فلا يلاقون منه الا اصرارا وعنادا . ويعود مرة أخرى الى سياسته التى تقوم على رد الفعل السريع . فيقطع المفاوضـــات ويلجأ الى سلاح « المقاومة السلبية والعصيان المدنى » ، وتلجأ انجلترا هى الأخرى ثانية الى سلاحها الفاشل . فتحكم عليه بالسجن سنتين عام ١٩٥٠ ..

.. وما تكاد تضمه قضبان السجن حتى يتحول الى أســطورة فى ذهن الشعب الغانى فهو « قصة » فى الشمال

المناجم لافريقية الغربية الفرنسية ، وهو « موال » فى الشرق القريب من نيجيريا ، وهــو « ملحمة » فى الغرب المطل على ساحل العاج • وهو «أغنية» رقيقة حالمة فى الجنــوب المتكىء على المحيط الهندى !!

ويجىء موعد الانتخــابات فيفوز حزبه • حزب الشعب بالأغلبيـــة الساحقة • رغم وجوده فى السجن • ذلك لأنه كان رغم القضبان فى كل مكان بغانه ! كان فىقلب عمال المناجم وهم يســـلمون المـــاس والذهب الى الأجانب ! وكان فى اطراق الفلاحين وهم يجمعون لغيرهم أشجار الكاكاو ! وكان فى ذهن كل مواطن وهو يجر عينيه فى حنق على الوجوه الأجنبية ! فبفضل هذا الشعب المكافح نال حزبه الأغلبيةالساحقة عام ١٩٥١ • ويصله هذا النبأ فى سجنه أو بعبارة أدق فى « حريتــه ! » لأنه رغم القضبان كان سجانا لكلأعداء الشعب • يصله هذا النبـــأ فيزداد ايمانه بالشعب وبالحيــاة ، وان الدموع لتتحدر من عينيه حين يرى فى استقباله على باب السجن ١٠٠ر٠٠٠ مواطن غانى

ويتلقفه كل شىء فى غانه بالحب والشوق والايمانبرسالته • وما يزال يعمل مستلهما آمال شعبه وأوجاعه حتى يصل به الى اليوم السادس من شهر مارس عام ١٩٥٧ ثم يعلن ميلاد دولة جديدة داخل « ألكمونولث » •• يعلن ميلاد « غانه » فى غرب القارة !! ومن يوم أن تولى الوزارة وهو يعمــل باخـــلاص وحب لبـــلاده • ويحقق انتصارا بعد انتصار • فنراه يرسى قواعد الديمقراطية البرلمانية فى بلاده التى تنقسم الى خمسة أقسام ، ويدعم اقتصادها حتى يصل به الى ٢٣٣مليونا من الجنيهات •

•• وفى الوقت نفسه يتوجه الى التعليم فيبلغ عدد الطلبة فى المدارس الحرفية ٤٩٣ طالبا وطالبــة ، وفى المدارس الثـــانوية ١٢ر٠٠٠ طالب وطالبـــة ، وفى المدارس المتوســطة ١١٩ر٠٦٨ تلميـــذ وتلميذة ، وفى المدارس الابتدائيـــــة ٤٤٣ر٧١٠ • فميزانيــة التعليم تبلغ سبعة ملايين من الجنيهات •



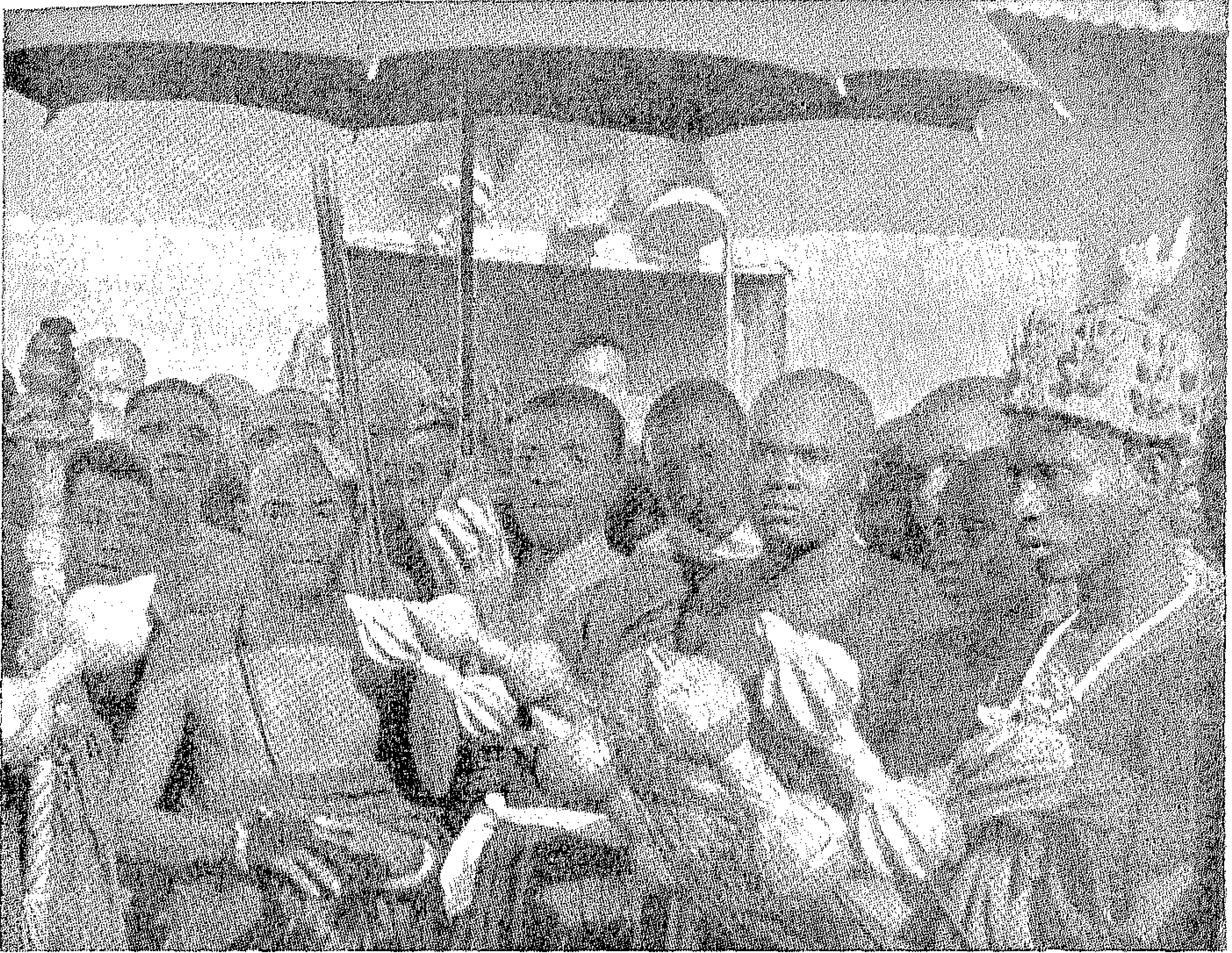
تلميذ فى المدارس الحرفية

•• وهو فى الوقت نفسه يعمل على تحصين بلاده داخليا وخارجيا ، يقول جون جنتر « •• ان لحــركة نكرومة ثلاثة أوجه أولها : ثورة الشباب ضد الجيل القديم • والثانى : ثورة الشعب

ضـــد الرؤساء المحليين الذين نالوا سلطتهم بالاقطاع وفى ظل النظـــام القبلى • والثالث : ثورة الوطنيين ضد الاستعمار •• ومن العجيب أن نكرومه يمسك بقيادة كل هـــذه الاتجاهات فى يديه القويتين » •

« •• انه رغم وجود فوارق فى اللغة والثقافة والعقيـدة فان أفريقيتنـــا تربطنا جميعا برباط واحد ، وبهذه الروح سنقابل كل هذه العقبات • وسنتغلب عليها • !! » •

•• وفى الغد القريب حينما يرفرف



الرؤســاء المحليون يحملون شعارات الحكم

••• وما كان له رغم كل هـــذه الانتصارات أن ينطوى على نفسه داخل بلاده • وهو يحس بأوجاع القـــارة أنى أطل بوجهه من حـدود بلاده •

ومن هنا فقد كان من الطبيعى جدا أن يعقد مؤتمر « أكرا » فى بلاده على مستوى عال من الحب والفهم العميق لمشاكل القـــارة • وأن نسمع صوته القوى فى غرب القارة قائلا « **أرفعوا أيديكم عن افريقية !** » ثم نراه يقول

علم افريقية الكبير على كل القارة الحرة حينما يرفرف هـذا العلم • سيذكر أبناؤنا رجلا صـــاح بأعلى صوته فى مؤتمر «أكرا» بأن افريقية للافريقيين!! رجلا اسمه « كوامى نكرومه » •

انه كما قلت فى أول حديثى طيب كقرية « نكرو » فى غانة ! •

عميق كالزمن ! كيـــوم السبت المسمى فى اللغة الوطنية « كوامى »!

صلب كالحديد الذى كان يطوعه أبوه بيديه وبأفكاره ! •

المحصول الرئيسي في غانه

بقلم الاستاذ مصطفى الشهابى

عنـــدما عاد خرستوف كولمبس لاسبانيا سنة ١٤٩٤ بعـد كشفه لما سمى فيما بعد بأمريكا ، حمل معه الكثير من خيرات هذا العالم الجديد وكان من بين ما حمله بعض حبـوب الكاكاو التى كانت تستعمل هنـاك كوسيلة رئيسية للتعـــامل بدلا من النقود فضلا عن اتخاذها غذاء وشرابا مجددا للنشاط ولكن أحدا لم يهتم بتلك الحبوب وذلكلعدم الالمام بطريقة الاســـتفادة منها لاحتفاظ السكان الأصـــليين بطريقـــة استعمالها .

وانصرمت عدة أعوام تمكن الاسبانيون خلالها من الوقوف على الكيفية التى يمكن بها شرب الكاكاو ، وذلك عندما دخلوا قصر منتزوما امبراطور الأزتيك (الأزانقة) بالمكسيك ســنة ١٥١٩ واحتفظ الاسبانيون بسر صناعة هذا الشراب نحومائة عامولكنه أخذ يتسرب الى قصور الملوك وقد عرفته فرنسا فى عهد لويس الرابع عشر ثم تلتها انجلترا ثم انتقـــل الى الطبقـــات الارستقراطية وظل استعماله قاصرا على تلك الأوساط حتى القرن الثامن عشر لارتفاع ثمنه اذ كان ثمن الرطل منه ٧٥ قرشا بعملة تلك الأيام وهذا يساوى نحو عشرة جنيهات اليوم ،

ولم يبدأ انتشـــار شراب الكاكاو بين سائر الطبقـــات الا فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر عندما تمكن الهولنـديون من ابتكار طريقة لفصل زبدة الـكاكاو بطريقة العصر

وســـاعد على انتشـــار استعمال الكاكاو انتقال زراعته من أمريكا الى أفريقيـة وذلك بفضل شاب افريقى يدعى « تتتى كويزى Tetti Quesi » كان أبـوه (كويزى) ممن حملهم تجار الرقيق الى البرازيل حيث قضى نحو نصف قرن يعمل فى زراعة البن والكاكاو .

وعرف فيه صاحب المزرعة الذى اشتراه الأمانة والاخلاص فى العمل فزوجه بفتاة افريقية أنجبت له غلاما أسماه « تتى Tetti » وما كاد هذا الغلام يشب عن الطوق حتى قامت الحرب الأهلية فى الولايات المتحدة (١٨٦١ ـ ١٨٦٥) وانتهت بتحرير الافريقيين المقيمين فى تلك الولايات ، وجاراها فى ذلك باقى الدولالامريكية وأصبح كويزى وولده تتى حرين .

وكان الفتى يسمع من والده الشىء الكثير عن البلاد التى ولد فيها اذ كان يتحدث اليه طويلا عن خيراتها الوفيرة

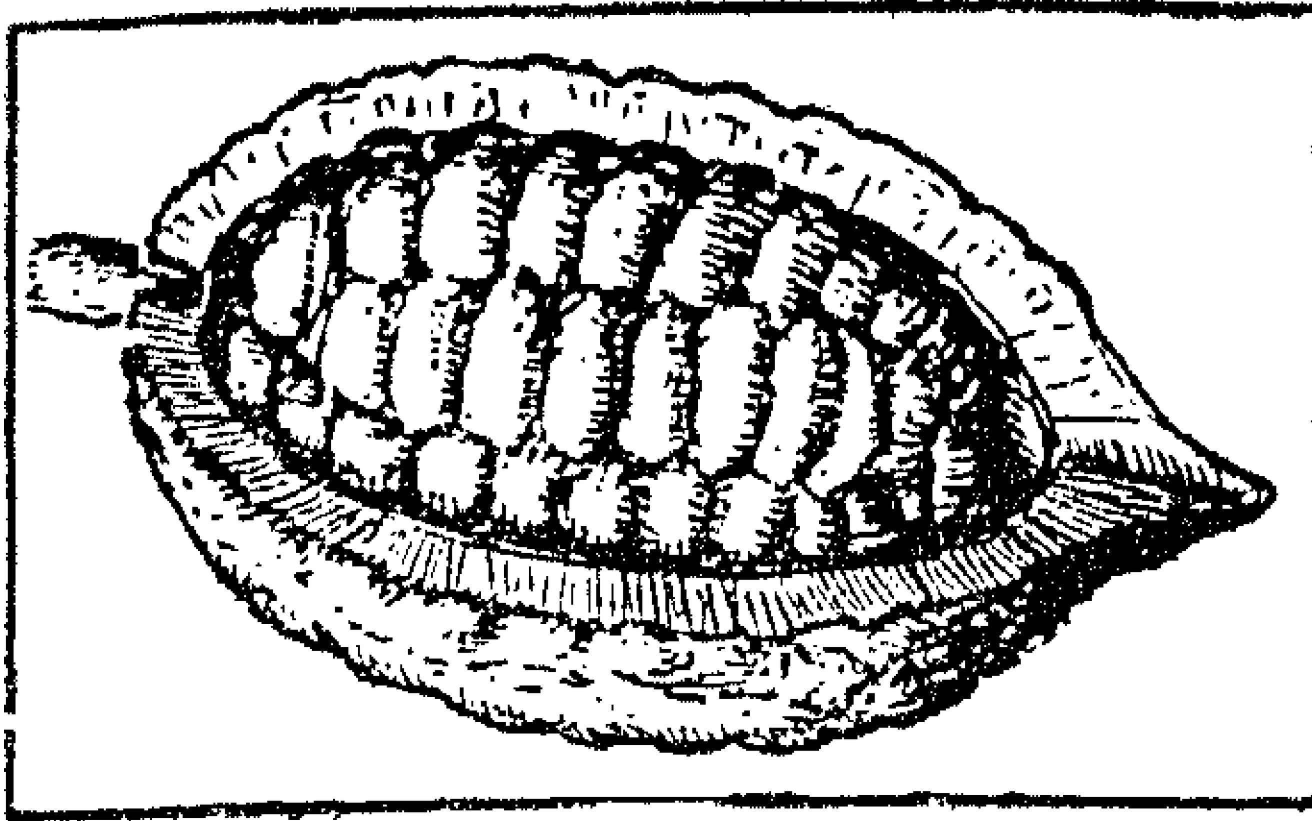
ومحاصيلها العديدة ، وجوها المشابه لجو البرازيل التى يقيمون فيها ،ووعى الفتىما رواه أبوه فازدادشوقه للعودة الى تلك البلاد فلما وافت المنية والديه عزم على الهجرة الى موطن أجـــداده وتذكر ما ســـمعه عن جـوها ورأى بفطنته أنه لو حمل حبوب الـكاكاو اليهـــا فلربما أثمرت كما تثمر فى البرازيل ٠

ولذلك ما كادت تطـأ قدماه أرض أفريقية حتى بادر الى غرس ما معه من حبوب ٠

وصح ما توقعه هذا الشاب فنمت تلك الحبـوب وأثمرت أشـــجارها الكاكاو ٠

كان ذلك فى ســنة ١٨٧٩ ومن ذلك التـــاريخ أصبح الكاكاو أحد المحاصيل الرئيسية فى ساحل الذهب واشـــانتى اللتين تكونان الاجـزاء الرئيسية لغانة ٠

وتنتج غانة اليوم نحـو نصف محصول العالم من الكاكاو ويبلغ ذلك ٢٥٠٫٠٠٠ طن قيمتهـا نحو أربعين مليونا من الجنيهات بواقع الطن ١٦٠ جنيها وهى تمثل أكثر من ثلاثة أرباع الصادرات أى أن الكاكاو هناك أشبه بالقطن فى الاقليم الجنوبى (مصر) من الدولةالعربية المتحدة وتنمو شجرة الكاكاو الى ارتفاع نحو سبعة أمتار وهى دائمة الاخضرار وتحتاج الى جو حار رطب وتربة خصبة ٠



ثمرة الكاكاو

وثمرة الكاكاو أشبه بالقاوون أو الشمامويبلغ طولها نحو٢٠ سنتيمترا ويوجد داخل كل ثمرة نحو ٤٠ حبة أشبه بحبوب الفول الرومى وعنـد بدء ظهور الثمرة يكون لونها أخضر ثم يتحول الى أحمر فأصفر ثم الى بنى وذلك اشارة الى تمام نضجها ٠

وتثمر شجرة الكاكاو بعد ٤ أو ٥ أعوام من غرسها وهى تعطى محصولين كل عام أولهما وأهمهما من أكتوبر الى ديسمبر وثانيهما من مارس الى مايو ، ولذلك تختلف عن باقى النباتات فى أن ثمارها لا تفارقها طول العام ٠

والشجرة تنتجنحو أربعين ثمرة ، كل عشر منها تكفى لعمل رطل كاكاو وبعـد جنى المحصول تنزع القشرة الخارجية للحبوب التى تكوم وتغطى بأوراق الموز لتدفئتهـا وتترك لمـدة خمسة أيام حتى تختمر فقد ثبت أن هذه العملية تسبب طيب النكهة ٠ وبعدئذ تنشر الحبوب لتجف بتأثير أشعة الشمس ثم تعبـأ فى أكياس وتصدر الى الخارج ٠



جمع ثمار الكاكاو

ولتجهيز الكاكاو للاستعمال تجرى عليه العمليات الآتية : —

١ — التحميص ليسهل فصل القشرة عن اللب ٠

٢ — نزع القشور فى ماكينات تتطاير فيها القشور كما يحدث عند فصل القمح عن التبن ٠

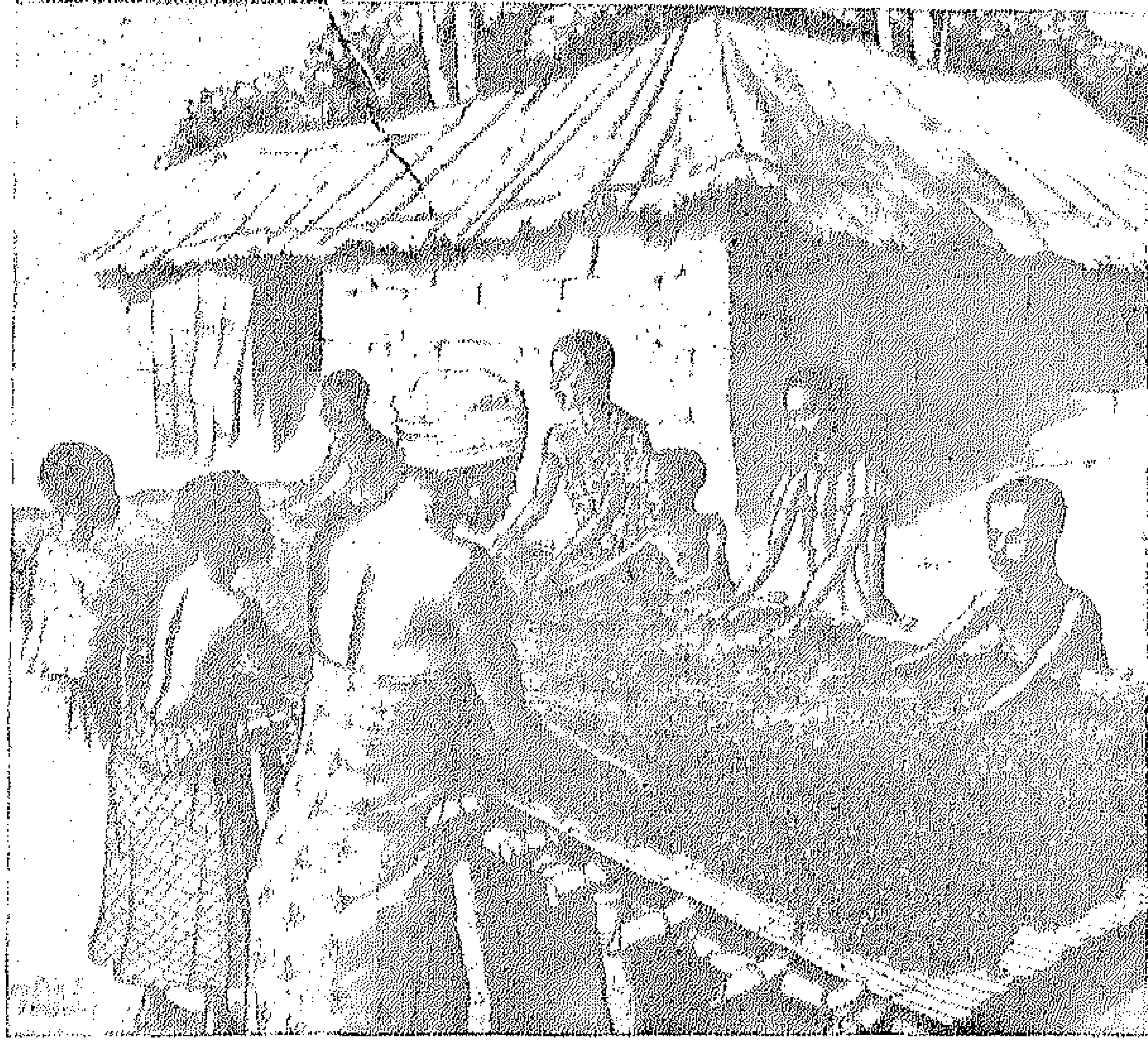


تغطية حبوب الكاكاو

٣ — الطحن لتحويل اللب الى عجينة تعصر لفصل دقيق الكاكاو عن زبدته ٠

وكان لنجاح زراعة الكاكاو أثر كبير فى اقبال السكان على زراعته ولما أدرك الأوربيون هذه الحقيقة حاولوا شراء مزارع واسعة لاستغلالها ومال البريطانيون الى التصريح لهم بذلك ولكن السكان ثاروا وقتلوا حاكمين بريطانيين مما اضطر البريطانيين الى الرضوخ لتلك الروح الوطنية السامية فحرموا امتلاك الأراضى على الأوربيين وصار الأمر كله بيد الوطنيين فيما يختص بالكاكاو ٠

والكميات التى تنتجها تلك البلاد من الكاكاو تزداد تدريجيا ، لاهتمام الحكومة بحماية أشجاره من جميع الآفات ، وعملها على زيادة المساحات الممكن زراعتها ٠



تجفيف حبوب الكاكاو

ولأبنـــاء غانة أن يفخروا بهـــذا المحصول ، لا لأنه مصـــدر ثروتهم فحسب بل لأنه المحصول الوحيـــد الذى لا يتدخل الأجانب فى انتاجـه فى أية مرحلة من المراحل •

وقد كان للكاكاو الفضل فى نشر الطرق المعبـــدة والسكك الحديدية لتسهيل نقل محصـوله الى الموانىء لتصديره للخارج كما ساعد على ازدياد الثروة القومية ورفع مستوى الدخل •

ويسمى الكاكاو عنـد علماء النبات « طعام الآلهـــة » ولعله سمى كذلك لوفرته بالمواد المغذية التى تعين الجسم على النمو كالدهن والـكاربوهيدرات والبروتينات والحديد •

وأبنـــاء غانة يغـــذون مواشيهم بالأغلفـــة الخارجيـة للحبوب كما يستخدمون أوراق الشـجر فى بناء الأكواخ وعمل الحصر والقبعـــــات والسلال والمراوح •

أما دقيق الكاكاو وزبدته فيستعملان فى صناعة الحلوى والفطائر ومختلف أنواع الشيكولاتة •

فلنذكر ـ كلما تناولنا أى طعام أو شراب يدخل الكاكاو فى صناعته ـ غانة ذكر القطر الشقيق الذى انضم الى أسرة الدول الافريقيـة المستقلة الناهضة •



الأقزام

بقلم الدكتور احمد فخرى



يرى الزائر لمقابر سقارة أو الجيزة أو غيرها من مقابر الدولة القديمة بعض مناظر تمثل أقزاما ، يعملون اما فى صناعة المعادن بوجه عام والحلى الذهبية بنوع خاص ، واما كأتباع لأحد الأغنياء يحملون بعض متاعه ، أو يعنون بالحيوانات الأليفة كالكلاب والقرود ، ويسيرون وراءه عندما يخرج فى نزهاته . نرى مثل هذه المناظر فينتقل بنا الفكر سريعا الى تلك الرحلات التى كان يذهب فيها الرحالة القدماء الى قلب افريقية ، ليعرفوا طرقاتها ويجلبوا خيراتها . وكان السعيد من بينهم من يستطيع أن يحضر قزما حيا لكى يؤدى رقصة الآلهة ويدخل السرور على القلوب ، كما رأينا بالتفصيل فى مقال « مصر وافريقية فى العهد الفرعونى » الذى نشر فى العددين الرابع والخامس من هذه المجلة . ولكن أين يعيش هؤلاء

الاقـزام الآن ؟ ومن هـم والى أى جنس ينتمون ؟ وماذا عرفه القدماء عنهم ؟ هذا ما سنجيب عليه مع ذكر بعض المعلومات الأخـرى عنهم موضوع هذا البحث القصير .

موطن الأقزام :

هنالك فرعان رئيسـيان للجنس الأسود أو الجنس المسمى « أشباه الزنوج » أو « المتزنجون » وهمـا الزنوج الأفريقيون ، والجنس الأسود الآخـر الذى يعيـش فى جـزر الأوقيانوسية فى جنوب شرق آسيا، ويسمون البابوو ــ ميلانيزيين ،وهما وان تشابها فى اللون وبعض المظاهر الجسمانية الا أنهما يختلفان فى شكل الأنف وفى نوع الشـعر اختـلافا ظاهرا . وليس يعنينا الآن توضيح الفوارق بين هذين الفـرعين اللذين يعيشان على جانبى أحد المحيطات ، أو الاطالة فى موضـوع أصلهما أو موطنهما ، ولكن تعنينا نقطة أخرى وهى أنه يوجد فرع ثالث آخر من أشباه الزنوج يعيش فيه أيضا على جانبى المحيـط وهم « الأقـزام المتزنجون » أو « النجريتو » الذين نرى بعضهم يعيش حتى الآن فى بعض مناطق الفلبين وفى شبه جزيرة الملايو وفى جزر أندمان وغيرها ، ويعيشون أيضا فى أفريقية الاستوائية .

ولا يزيد طول القزم الذكر عن ١٥٠ سم ولكنه فى المتوسط أقل من ذلك أى حوالى ١٣٠ ــ ١٤٠ سم ،ولايزيد وزنه عن تسعين رطلا . وهم يختلفون عن الزنوج أو غيرهم من المتزنجين ، لا فى طول قامتهم فحسب ، بل فى شـكل رؤوسهم اذ أنهم ذوو رؤوس عريضـة ، كمـا يختلفون فى لون جلودهم اذ هى أفتح لونا وتشوبهم بعض الصفرة ، كما يختلفون أيضا فى لون ونوع شعرهم وفى شكل شفاههم وأنوفهم . ولا يرجع قصر قامتهم الى تشويه فانهم أقوياء متناسـبو الأعضـاء ، والأرجح أنهم بقايا من جنس كان منتشرا فى أرجاء كثـيرة من العالم فى آسيا وافريقية وفى جزر الأوقيانوسية ، ولـكنه أخذ يتناقض منذ آلاف السنين ، وذلك بسـبب ما تعرضوا له من ضـغط أجناس أخرى أقوى منهم أجسـاما وأكثر نشاطا حتى أصبحوا الآن على ما هم عليه يعيشون عيشة بدائية فى جوف الغابات على الصيد وجمع الغذاء . ولكن هنالك نظرية أخرى لا تجد لها قبولا بين كثيرين من علماء الأجناس تقول بأن مظهرهم الحالى راجع الى عوامل بيئية أثرت على بعض غددهم فأثر ذلك على قامتهم وأثر على بعض ملامحهم .

ولنترك الآن أقـزام آسـيا والأوقيانوسية ، ونقصر حديثنا على أقـزام افريقيـة الذين اتصـل بهم المصريون منذ أقدم العصور ، والذين نرى صـورهم على الآثار ، والذين عرفتهم الشعوب القديمة الأخرى ،

يذكرهم ووصف مظهرهم بعض كتاب اليونان والرومان . وربما كان الأقزام يعيشون فى تلك الأيام الخالية فى مناطق أخرى أكثر انتشارا من المناطق التى يعيشون فيها الآن ، وبعبارة أخرى لم يكن جيرانهم من الزنوج الآخرين قد استولوا على أراضيهم وأجبروهم على الالتجاء الى بعض مناطق الغابات فى الكونغو ، وعلى الأخص الكونغو البلجيكية بين نهرى نيجايو وايتورى وبين ايبوتو وجبل بيجاه . وهم يعيشون حياة بدائية تامة معتمدين على جمع الغذاء – سواء بالصيد أو جمع الثمار أو الجذور ، وفى الوقت ذاته يحصلون على بعض الطعام وما يلزمهم من أدوات الصيد مثل رؤوس الحراب ، أو رؤوس السهام المصنوعة من الحديد ، وبعض أدوات الزينة من جيرانهم – بطريق المقايضة بما لديهم من جلود الحيوانات أو سن الفيل أو بعض الأشياء الأخرى من داخل الغابة ، التى يحرص أولئك الجيران على الحصول عليها من داخل الغابات .

ويقدر أكثر الباحثين الذين زاروا منطقة الأقزام بأن مجموع عددهم لا يزيد على خمسين أو ستين ألفا يعيشون فى قرى صغيرة متفرقة وغير ثابتة فى مكان واحد ، ولكنهم ينقسمون الى خمسة قبائل رئيسية تعيش كل منها فى منطقة محددة . تنتقل العائلات أو الجماعات فيها من مكان الى مكان . ولهذا يطلقون على كل جماعة كبيرة منها اسما خاصا حسب المكان الذى تعيش فيه . على مقربة من القرى الزراعية المستقرة التى يعيش فيها جيرانهم من الزنوج . وأهم الأسماء التى تطلق عليهم :

١ – أكا ، فى منطقة مونبوتو .
٢ – أ – تيكى – تيكى ، فى الأزاندا أو نيام نيام .
٣ – ورشو ، فى مومو و .
٤ – أ – فى ، فى ، فى مابورداى .
٥ – باتوا ، فى أونيورو .
٦ – أوبونجو ، فى الجزء الأعلى من نهر أوجوه .
٧ – باموكو .
٨ – جولباكو .

ويعيش الأقزام فى صميم الغابة أو على حافتها ، ولكنهم لا يستقرون طويلا فى مكان واحد ، لأن مدة اقامتهم فى أى مكان تعتمد على موارده الطبيعية التى تكفل لهم الحياة . ولهذا نجدهم يبنون أكواخا بسيطة من الأغصان ، بعضها ضيق جدا ويشبه خلية النحل فى مظهره ، وربما لم يزد ارتفاع الكوخ منها عن ١٢٥ سنتيمترا ، وقطره أقل من ذلك . ولكن يوجد من بينهم من يبنى أكواخا ارتفاعها الى مترين وقطرها الى نحو مائة وثمانين سنتيمترا ، ولا ينام داخل هذه الأكواخ الا المتزوجون والمتقدمون فى السن ، أما الصغار والشبان فيشيدون لأنفسهم مأوى بسيطا من فروع

الأشجار على مقربة من تلك الأكواخ .

ويمشى الأطفال من الجنسين عراة الأجسام ، وكذلك يفعل البالغون من الرجال اذا كانوا يعيشون فى داخل الغابة أو يتجولون فى أرجائها ، أما اذا اختلطوا بغيرهم فانهم يسترون الجزء الأوسط من أجسامهم بنقبة بسيطة من أوراق بعض الشجر أو من قلفها أو من أليافها ؛ أما النساء فسواء كن داخل الغابة أو خارجها فيسترن دائما الجزء الأوسط من الجسد . وهم يختلفون فى أطوالهم وذلك بسبب اتصالهم بغيرهم من الزنوج واقبال بعض الزنوج على الزواج من فتياتهم، لأنهم بالرغم من قصر قامتهن فان أعضاءهن متناسبة ، ويمتزن بالطاعة والتفانى فى العمل المنزلى فضلا عما يعرف عنهن من شكل مقبول نسبيا ، واتقان لفن الحديث ،وادخال السرور على القلوب .

ويتميز القزم عن جيرانه من الزنوج بجبهته العريضة وصدغه البارز العظام ، وكثافة شعر جسمه ، وبخاصة شعر الصدر الكثيف وشعر لحيته الكثة ، وهو الشيء النادر بين أفراد الزنوج .

ولا يميل الأقزام الى الافراط فى التحلى بالخرز ، أو بغير ذلك من الحلى المعدنية ، كما أنهم لايميلون أيضا الى احداث علامات قبلية خاصة فى وجوههم أو فى أجسامهم كما يفعل جيرانهم ، كما أنهم يحملون معهم أى أدوات اللهم ما يستخدمونه فى الصيد ،وهو لا يعدو القوس والسهام والحربة وسكينا صغيرة أما من الحديد أو من الظران ، وهم يحصلون على الأدوات المعدنية من جيرانهم . ولا يستخدم الأوانى المعدنية أو الفخارية فى طهى الطعام الا القليل من بينهم ، الذين أخذوا يقلدون سكان القرى من الزنوج . ويكتفى أكثرهم بلف اللحم فى بعض أوراق الشجر ، ويضعونه فوق جمرات النار المتقدة ، وهم يفضلون اللحم على كل طعام آخر ، وأحب اللحم اليهم لحم الغوريلا .

والقزم يجيد فن الصيد اجادة تامة ، وهو أمهر سكان الغابات الاستوائية فى عمل الفخاخ لصيد الحيوانات . ويحيط الأقزام قراهم بالكثير من تلك الفخاخ والأشراك يحفرونها فى الأرض ، ويجيدون اخفاءها عن العيون بوضع الأغصان وأوراق الأشجار ، فتسقط فيها الحيوانات المفترسة الكبيرة الحجم عندما تأخذ فى دورانها حول الأكواخ، وهى تتطلع خائفة وجلة الى النار المشبوبة فى المكان الفسيح فى وسط القرية طول الليل .

وبالرغم من أن القزم ضئيل الجسم ،ودون جيرانه من الزنوج فى القوة ، الا أنه أخف حركة ، ولا يمل من العمل المستمر ،وهو يفوق الزنجى فى اتقانه للصيد ، كما يعتمد عليه

جيرانه من الزنوج اعتمادا تاما عند دخولهم الى صميم الغابة أو لتحذيرهم من اقتراب الأعداء أو فى نصب الفخاخ لأعدائهم من البشر أو من الحيوانات المفترسة .

وبالرغم من اعدادهم القليلة وقاماتهم القصيرة ، فان جيرانهم من الزنوج يحاذرون من مناصبتهم العداء أو محاولة اغتصاب مامعهم من أشياء أتوا بها للمبادلة عليها ، أو استغلال فقرهم أو جوعهم ، فلا يقدمون لهم ما يعادل قيمتها الحقيقية . فان أهل القرية الزنجية يتعرضون بعد ذلك الى أشد أنواع الانتقام التى يجيدها أولئك الأقزام ، اذ ينتقمون لأنفسهم ولا يستطيع الزنوج أن يتبعوهم الى داخل الغابة فانهم اذا فعلوا ذلك يتعرضون لخسائر أعظم .

ويقضى الأقزام وعلى الأخص الذكور منهم أكثر أوقاتهم فى الصيد والبحث عن الطعام اللازم للعائلة ، ولكنهم يقبلون اقبالا كاملا على الرقص والغناء ، ويمضون ساعات طويلة فى رقصاتهم على دقات الطبول ، وهم يأتون فيها بحركات غريبة بأيديهم وأرجلهم ، أو بالتعبيرات التى ترتسم على وجوههم ، وهى كلها تدعو الى ادخال السرور على النفس ، بل تدعو الى الاغراق فى الضحك ونسيان الهم سواء أكان المشاهد لهم من الأقزام أنفسهم أم من الزنوج ، أم من الغرباء عن هؤلاء وهؤلاء . وقد أطال بعض رحالة القرن الماضى أمثال شفينفورت وستانلى وسبيك ودى شايو وكاسانى فى وصف تلك الرقصات والحركات وقدرة الأقزام المنقطعة النظير فى اضحاك الغير ، وادخال السرور على القلب ، وذلك بما أوتوا من خفة الحركة مع ذكاء خبيث متأصل فى طباعهم ، وحيلة واسعة ، وادراك لما يعتمل فى نفس الآخرين ، فيفعلون ما يجعله يقبل عليهم اذا اضطرتهم الظروف للاتصال به لأنهم عادة يكرهون ، بل يخافون من الاتصال بغيرهم . وربما كان ذلك راجعا الى ماكانوا يتعرضون له دائما من اختطاف الآخرين لهم لبيعهم ، ولأنهم أقل قوة من جيرانهم الذين يعيشون حولهم على حافة الغابة .

ومن عادة الأقزام استخدام السهام ، والحراب المسمومة فى الصيد . ويستخدمون فى ذلك مادة سامة يحصلون عليها من جذور نبات يسمى « كيلابو » ، وهم يعرفون تماما طبيعة جميع الحيوانات المفترسة ، ويعرفون أيضا كيف يلاقونها ، وكيف يحصلون عليها على لحم الفيل والثور الوحشى وفرس النهر وحيوان الأوكابى والخنزير البرى ، بحفر فخاخ فى الأرض واخفائها . ومن عاداتهم أيضا عند عبور نهر من الأنهار فى داخل الغابة ، يرون فيه التماسيح تمرح وتنتظر أمثالهم للفتك بهم ، فان أهل القرية جميعا يستطيعون الانتقال من

شاطيء الى آخر بعمل نوع من الحبال من أغصان الأشجار ، وربطه فى أعالى الأشجار ، وتطويح أنفسهم فى الهواء الى الأشجار التى على الشاطيء الآخر ، وقد تجمعت التماسيح تحتهم ناظرة اليهم دون أن تستطيع الحاق أى أذى بهم . أما اذا كان بعض الرحالة من الافرنج ، ومن معهم من الزنوج الذين يحملون أمتعتهم ، يسيرون فى الغابة تحت ارشادهم ويصلون الى مثل هذا النهر الملىء بالتماسيح أو الذى يكمن فيه أى نوع من الخطر فانهم يجيدون عمل كوبرى معلق من فروع النباتات والأغصان يمشى كل فرد فوقه وهو آمن ، لأنهم يجعلون لهذا الكوبرى أو القنطرة المعلقة حاجزا على الجانبين .

ولقد تحدثت عن مظهر الأقزام وعن مساكنهم وعن مهارتهم فى الصيد وعن مهارتهم فى الرقص وفى الغناء وفى التعبير بحركات وجوههم وأجسامهم ، ولكنا حتى الآن لم نذكر شيئا عن لغتهم أو ديانتهم . فاما عن اللغة فلا شك أن للأقزام لغتهم الخاصة التى يتفاهمون بها ، ولكن كل جماعة منهم تستطيع أن تتفاهم أيضا بلغة الزنوج الذين يعيشون على مقربة منها ويتصلون بها . أما عن حياتهم الدينية فانهم يؤمنون باله أعظم خلقهم وقدر عليهم أن يعيشوا حيث ولدوا ويسمى « موونجو » يقولون عنه : « انه هو الذى صنع الكون وهو الذى يمتلكه ، وهو الذى يأتى من آن لآخر الى الأرض فيهز الأرض بالزلازل ، ولكنه يعيش عادة فى السماء ، وليست الشمس الا النار التى يوقدها أثناء النهار ، وليس القمر الا مشعلة أثناء الليل ، والرياح هى أنفاسه ، أما السحب فهى دخان غليونه ، والرعد صوته ، أما العاصفة الشديدة فهى مظهر غضبه .

وتعتقد القبائل الخمس فى وجود هذا الاله ، وفى كل قرية من قراها يقيمون له هيكلا صغيرا من غصون الأشجار يغطونها بأوراق شجر ال « موجنجو » لكى يأتى اليه عندما يدعونه لتحل فيهم بركته ، ويرعاهم عندما يخرجون للصيد . وهم يقدمون له القرابين من اللحم والدخان البرى . ولرئيس القرية أو سلطانها وحده حق اقامة هذا الهيكل وهو وحده الذى يقوم بدفن من يموت من أهل قريته الذين لا يزيد عددهم عادة على الستين شخصا من الرجال والنساء والأطفال ، وهو الذى يقرر أن يسمح بالزواج ، والذى يوزع بالعدل جميع لحوم الحيوانات الى يصطادها كل فرد بين الجميع ، ويحتفظ لنفسه بضعف الكمية التى يحصل عليها أى فرد آخر .

ولقد عرف المصريون القدماء مدى ما كان يستطيع الأقزام ادخاله من السرور على قلوب الناس ، وقد عثر على هياكل عظمية لبعضهم مدفونة على مقربة من قبور أحد ملوك الأسرة الأولى ، وربما كانوا يؤمنون أيضا بأنهم يجلبون الحظ والسعادة ولهذا كانوا يحرصون على احضارهم أحياء الى مصر . ونقرأ فى نصوص الأهرام التى يرجع تاريخ تدوينها الى القرن

الخامس والعشرين قبل الميلاد ولكنها أقدم من ذلك ، ذكر أولئك الأقزام . ولم يجد المصريون غضاضة فى أن يصفوا الملك المتوفى بأنه القزم الذى يرقص أمام الاله أوزيريس لادخال السرور الى قلبه ، كما أن المصريين أيضا لم يجدوا غضاضة فى عبادة الاله المسمى « بس » : وكان على صورة قزم عريض الوجه مفتوح الساقين يحلى رأسه بتاج من الريش ، كما يفعل الأقزام حتى الآن ، وقد ظهر هذا الاله فى الديانة المصرية منذ الدولة الوسطى أى حوالى عام الفين قبل الميلاد ، وقالوا عنه بأنه كان أصلا من الشرق ، وأنه من «أرض الاله» وهو الاسم الذى كانوا يطلقونه أحيانا على جنوبى الجزيرة العربية أو على شاطىء افريقية الشرقى . وكانت ترتبط عبادة الاله « بس » على هيئة القزم بكل ما يدخل السرور على القلب ، وعندما أقبل المصريون على الملذات أيام الدولة الحديثة ، كان الاله «بس» هو الاله الحامى للمغنيات والراقصات والضاربات على آلات الموسيقى وكثيرا ما كن يرسمن صورته على أفخاذهن بطريقة الوشم ، ونرى رسم الاله « بس » على الأسرة والكراسى ووسادات الرأس ، كما كانت التمائم التى على شكله وصورته من أحب الأشياء الى قلوب المصريين فى العصر المتأخر .

ونعرف من دراسة الآثار المصرية أن ذكاء أولئك الأقزام هيأ لهم الوصول الى مراكز هامة فى الدولة . وجمع بعضهم ثروة مكنته من تشييد آثار لنفسه مثل القزم « سنب » من عهد الأسرة السادسة المصرية الذى شيد لنفسه قبرا فى منطقة أهرام الجيزة . ولكن يبقى بعد ذلك سؤال أخير وهو أصل الكلمة الدالة عليهم . فكلمة قزم فى اللغة العربية تقابل كلمة « بيجمى » فى اللغات الأوروبية المختلفة ، وهى كلها مشتقة من كلمة يونانية معناها المسافة بين الكوع وأصابع اليد . أما فى اللغة المصرية القديمة فكان الاسم الدال عليهم هو « دنج » وهى قريبة من الكلمة الأمهرية « دنك » ولكن الأقزام أنفسهم فى العصر الحالى يطلقون على أنفسهم اسما من الأسماء المختلفة التى ذكرناها فى صدر هذا المقال .

وما زال الأقزام حتى الآن يعيشون حياتهم البدائية ، وان كانوا قد بدأوا يطمئنون قليلا الى جيرانهم من الزنوج ، ويختلطون بهم أو ببعض الأوروبيين الذين يعيشون فى تلك المناطق ولكن أغلبهم ما زال يعيش داخل الغابة تلك الحياة البدائية التى كان يعيش عليها فى القرن الماضى ، والتى عاشها أجداده منذ عشرات الآلاف أو ربما مئات الآلاف من السنين ، وذلك لأن الاستعمار يأبى أن يدخل شيئا من التعليم أو التقدم فى أية منطقة من المناطق اذا رأى أن ذلك يحتمل أن يؤثر بأية صورة من الصور على استغلاله المطلق لمواردها .

انجلترا وبلاد الصومال

حتى نهاية القرن التاسع عشر

بقلم الدكتور جلال يحيى

لم تكن للحكومة الانجليزية سياسة مرسومة ، تجاه بلاد الصومال، قبل العقد الثامن من القرن التاسع عشر — ذلك العقد الذى سبق طور التكالب على تقسيم القارة الافريقية بين الدول الأوروبية المستعمرة ، كنتيجة للثورة الصناعية الأوروبيــة ، وحاجتها الى المواد الأولية ، وللأسواق الافريقية ، لتصريف تلك المصــنوعات . ولكن انجلترا كانت قد رسمت لنفســها سياسة خاصــة فى الشرق الأقصى ، هى سياسة التوسع فى الهند واستعمار استراليا ، وكان تنفيذ هذه السياسة الأخيرة يمس بلاد الصــومال بطريق غير مباشر .

كانت انجلترا تعتمد ، فى توسعها فى الهند وفى استعمارها لاستراليا ، على قوتها البحــرية وما يلزم تلك القوة من قواعد حربية ومراكز للتموين . وقد رأت انجلــترا امكان تهــديد مستعمراتها ، نتيجة لقيام قوة حربية كبيرة فى شرق البحر المتوسط ، كما حدث عند مجىء الحملة الفرنسية الى مصر : اذ لم يكن لانجلترا يومئذ غير طريق رأس الرجاء الصالح رغم طوله .

لذلك فان انجلترا صممت ، منذ ذلك الوقت ، على الاحتفاظ بالطريقين : طريق الكاب ، وطريق البحر الأحمر ، ولكن قيام امبراطورية مصرية فى النصف الأول من القرن التاسع عشر هــدد انجلترا فى كيانها الاستعمارى ، فقــد ظهرت تلك القوة العسكرية المصرية ، كنتيجة طبيعية لحيوية الشــعوب العربية التى حملت ، رغم سياستها الظاهرية ، عوامل النضال من أجــل الحياة ، مما دعا انجلترا الى اعــلان الحرب على مصر ، وتقوية مراكزها العسكرية فى المحيط الهندى ؛ وذلك باستيلائها على عدن سنة ١٨٣٩ .

وقد دفعت انجلترا الى اختيــار مدينة عدن عوامل استراتيجية بحتة ، فهى نقطــة متوســـطة بين كل من مستعمرة جنوب افريقية والهنــد ، تمكن الأساطيل البريطانية من السيادة البحرية على سواحل افريقية الشرقية من ناحية ، والسواحل الجنوبية لبلاد العرب من ناحية أخرى ، كما كان فى استطاعة انجلترا من تلك القــاعدة الجديدة أن تمنع خــروج الأساطيل المصرية من مضيق باب المنــدب الى

خليج عدن والمحيط الهندى ، أو أن تقوم بهجوم بحـــرى انجليزى على القصير أو السويس .

ولئن كانت انجلترا قد نجحت فى اختيار موقع استراتيجى هام ، فانها قد فشلت فى اختيار منطقة مكتفية اكتفاء ذاتيا من حيث التموين ، ذلك أن عدن كانت تعتمد اعتمادا كليا على زيلع وبربرة ، الواقعتين على ساحل الصومال الأفريقى ، واللتين كانتا عبارة عن محافظات تركيـــة تحت حكم « باشاوات » ، وكان بعد هذه المناطق عن تركيا ، وضعف تلك الدولة أكبر ضمان لكى تقوى انجلترا قاعدتها فى ذلك الموقع الاستراتيجى الهام ، دون أن يعارضها معارض .

ونجحت انجلترا فى القضــــاء على التفوق الحــربى المصرى ، الذى كان يهدد مواصلاتها فى الشرق الأقصى ، كما نجحت فى انشاء قاعدتها البحرية الدفاعية الهجومية فى عدن ، واطمأنت انجلترا على التجــارة بينهـــا وبين مستعمراتها فى الشرق .

ولما بدأت مصر تكوين امبراطورية فى قلب افريقية سنة ١٨٦٩ تقابلت وجها لوجه مع المصالح الانجليزية فى اقليم هضبة البحيرات ، وفى السواحل الافريقية المواجهة لعدن ، وزاد الطين بلة اتمام حفر قناة السويس ، ومسارعة دول أخرى مثل ايطاليا وفرنسا الى انشاء قواعـد ومحطات بحـرية على سواحل البحر الأحمـــر ، فى طريق الملاحة بين السويس والشرق الأقصى فتقابلت تلك التيارات جميعا فى بلاد الصومال .

ولم تكن مصر ترغب فى الاصطدام بانجلترا ، حتى لا تفشل فى مشروعها . ولذلك عهد اسماعيل تنفيذ هـــذه السياسة الى بعض الانجليز مثل السير صـاموئيل بيكـر وغوردون ومالكولم وماكيلون ، وهكذا حمل المشروع عوامل الفشـــل فى نفس الوقت الذى بدأ التنفيذ فيه ، لأنه لم يكن من المتوقع ابدا أن تنتصر سياســـة مصر على سياسة انجلترا ، وقد ظهر ذلك جليا فى حملة ماكيلوب باشا سنة ١٨٧٥ الى سواحل الصــومال ، تلك الحملة التى كان على غوردون أن يسير اليها من هضبة البحيرات الاستوائية ، والتى اضطرت ـ نتيجة لعدم تحرك غوردون من ناحيــة ولتدخل انجلترا من ناحية أخرى ـ الى أن تخلى سواحل الصومال ، وتعود الى السويس .

ولكن انجلترا لم تكن لترضى بأن ترى بعض الدول الأوربية كايطاليــا وفرنسا ، تقوم بانشاء قواعد ومحطات فى طريق الملاحة الجديد ، عبر قنـاة السويس الى المحيط الهندى ـ لذلك فانها لم تعارض السياســة المصرية الخاصـــة ببسط حكمها على جميع السواحل الغربيـــة للبحر الأحمــر والسواحل الأفريقية لخليج عــدن . حتى لا يوجـد أى منافس أوروبى آخر ، يكون بطبيعة الحال أكثر خطرا عليها من مصر ، ولذلك فانها اعترفت بملكية مصر لهذه الســواحل تحت سيادة السلطان العثمانى ، وذلك فى اتفاقية سنة ١٨٧٧ ، واستمرت هذه السياسة حتى احتلال انجلترا لمصر سنة ١٨٨٢ .

أما فرنسا وايطاليا فقد تطلعتا بدورهما الى امتلاك أجزاء فى هذه المنطقة ، ولذلك أقامت ايطاليا محطة بحرية فى عصب ، أما فرنسا فانها اشترت أرض أوبوك سنة ١٨٦٢ .

وقد فضلت انجلترا أن تكون مجاورة للممتلكات الايطالية ، لأنه لم يكن فى مقدور ايطاليا أن تنافس انجلترا فى سيادتها على البحار ، كما كانت شواطئها الطويلة تجعلها تحت رحمة الأسطول الانجليزى . وكان لاحتلال فرنسا لتونس ، ولاعلان حمايتها عليها أكبر الأثر فى دفع ايطاليا الى الانضمام الى منافسى فرنسا وأعدائها ، فكان من الطبيعى اذن أن تقترب ايطاليا من انجلترا ، أما الثمن الذى دفعته انجلترا لايطاليا فى هذا الوقت فهو الاعتراف بمحطتها البحرية فى عصب . وعدم معارضتها للتوسع الايطالى فى جنوب البحر الأحمر . من تلك المحطة شمالا فى اتجاه مصوع وجنوبا من اتجاه باب المندب .

وقد كانت حالة مصر يومئذ أكبر مشجع لانجلترا وللدول الأوروبية على اغتصاب أجزاء من أملاكها ، بسبب الاحتلال البريطانى ولوجود خديوى ضعيف تحمى عرشه جنود بريطانية ، كما شبت ثورة فى السودان معلنة حربها على « الوضع الراهن » ، ولكن انجلترا فشلت فى فرض نفوذها على الأقاليم السودانية ، بينما كانت ترغب فى أن تمد سلطانها على القارة الافريقية من القاهرة حتى مدينة رأس الرجاء الصالح ، كان هدف انجلترا هو احتلال وادى النيل ومنابع النيل ، والسيطرة على جميع المخارج الطبيعية لذلك الاقليم ، سواء أكانت تطل على البحر المتوسط أم البحر الأحمر أم المحيط الهندى .

كانت بربرة هى أولى الموانىء التى يهم انجلترا أن تحتفظ بها ، اذ أنها كانت ، ولا تزال حتى الآن ، أكبر ميناء لتصدير غلات بلاد الصومال . رغبت انجلترا فى أن تسيطر سيطرة فعلية على تلك المدينة وما يجاورها ، دون أن تعترف بأن هذه السيطرة ستكون تغييرا للوضع الراهن . كانت انجلترا تتبجح فى ذلك الوقت بأن وجود قواتها فى مصر هو للمحافظة على الوضع الراهن ، وكان تصرفها فى جزء آخر من الأراضى المصرية بسياسة مخالفة يعطى الدول الأخرى المنافسة لها — مثل فرنسا — فرصة للتدخل ، لكى تفضح أعمال انجلترا أو لكى تحصل على تعويضات توازى ما قد حصلت انجلترا عليه .

وصلت أخبار فناء حملة هيكس ، فى ربوع كردفان ، الى القاهرة ، فأكدت ضرورة اجلاء القوات المصرية عن أقاليم معينة من السودان ، وجاءت فى نفس الوقت أنباء تفيد بأن الأحباش وقبائل العيسى يهددون القوات المصرية فى زيلع وبربرة وهرر . وأسرعت حكومة الملكة باتخاذ القرارات لمواجهة الحالة ، ولكنها ادعت حماية المصالح المصرية بطبيعة الحال .

ان القرارات الانجليزية الخاصة بالسودان هى قرارات معروفة ، تتلخص فى اجبار مصر على سحب قواتها من السودان ، أما قرارات

انجلترا الخاصة بسواحل البحر الأحمر فهى تعزيز قطع وقوات الأسطول البريطانى ، حتى تستطيع فرض سلطانها على الموانىء المصرية .

وادعت انجلترا فى نفس الوقت أنها تحافظ على تلك الموانىء لأنها أملاك مصرية ، وأن سبب اتخاذ هذا القرار هو سوء الحالة فى تلك البلاد .

وأرسلت انجلترا غوردون لاخلاء السودان ، وقبلت وزارة نوبار ذلك الوضع ، ولم يكن من المنطق أن تقبل مصر اخلاء السودان ، وأن تعارض فى اخلاء بلاد الصومال لمدة طويلة .

ولذلك لجأت الى استبدال الحكم المصرى فى بلاد الصومال بالحكم الانجليزى ، مع احتفاظها برفع العلم المصرى حتى لا تثير مشكلات قد تكون لها صبغة دولية ، وعقدت معاهدات مع الأهالى نصت على أنه نظرا لقرب جلاء القوات المصرية من سواحل وبلاد الصومال ، فان هذه القبائل تتعهد بألا تتنازل عن أى جزء من أراضيها أو تبيعها أو ترهنها لغير انجلترا .

وانا لنعجب هنا كيف يستطيع الأهالى فى ظل الادارة المصرية والسيادة العثمانية أن يأخذوا على أنفسهم مثل هذا التعهد ، وهم لا يزالون خاضعين لادارة مصر ولسيادة الدولة ؟ أرادت انجلترا أن ترجع الى حق « الميراث » فى القانون الدولى ، ولكن كيف يتسنى لورثة أن يتصرفوا فى ميراثهم قبل أن يختفى المورث ؟ ثم ان المسألة فى أساسها ليست مسألة توريث اذ أن الدولة لم تتنازل على حق من حقوق سيادتها لأهالى تلك البلاد .

واعتمدت انجلترا على الترغيب وعلى الترهيب . حتى تجبر الأهالى على امضاء هذه الاتفاقات : بعد أن فشلت حكومة عدن فى أن تشتريهم بالمال . ولكن انجلترا حصلت — فى نهاية الأمر — على أوراق مختومة أو مبصوم عليها من بعض الأهالى .

وصل الى أوبوك فى تلك الفترة قائد فرنسى جديد كانت سياسته هى نفس سياسة انجلترا ، أى الاستيلاء على جزء من الساحل ، وشراء بعض المشايخ حتى يقوموا بتوقيع معاهدات تنازل عن أراضيهم وبلادهم للحكومة الفرنسية ، ولقب الفرنسيون هؤلاء المشايخ بالسلاطين ، وأثبتوا بوضوح فى تلك الاتفاقيات أنهم رؤساء مستقلون ، ولهم سيادة تامة .

وسار النشاط الانجليزى والنشاط الفرنسى جنبا الى جنب ، وطالب السلطان كلا من هاتين الدولتين بتفسيرات عن ذلك النشاط وخصوصا انجلترا ، نظرا لرغبتها فى ارسال الحاميات المصرية من زيلع وبربرة الى السويس . وضعت انجلترا أسس سياستها فى بلاد الصومال ، وكان هدفها من ذلك الاحتفاظ بجميع الساحل الجنوبى لخليج عدن ، رغم احتجاجات تركيا ، أو مؤامرات السلطات المحلية الفرنسية .

رفضت انجلترا الاعتراف بسيادة السلطان على تلك السواحل الممتدة من زيلع شرقا الى رأس حافون ، ولما أشار السلطان الى معاهدة ١٨٧٧ الانجليزية — المصرية ، ردت انجلترا بأن السلطان لم يصدق على تلك

المعاهدة التى تعتبر لهذا السبب غير ذات موضوع . أما فيما يخص بربرة نفسها ، فان انجلترا قد ادعت بأنها لم تخضع الا للادارة المصرية ، ولما كانت هذه الادارة فى سبيل الانسحاب من ذلك الميناء ، فان انجلترا قد قررت الاحتفاظ بها ، حتى تؤمن على مصدر تموين قاعدتها فى عدن. وأما السواحل الممتدة من زيلع غربا وشمالا حتى باب المندب — وهى السواحل التى كانت فرنسا قد بدأت تنفذ سياستها التوسعية فيها — فان انجلترا قد اعلنت استعدادها لتسليمها الى قوات السلطان حال وصولها . وكان من الواضح اذن أن انجلترا ترغب فى الاحتفاظ لنفسها بالجزء المهم من بلاد الصومال ، وترغب أيضا فى ايقاع صدام مسلح بين تركيا وفرنسا .

لم تكتف انجلترا بذلك ، بل انها شجعت ايطاليا على الاستيلاء على مصوع ، وعلى أن تتوسع جنوبا على طول الساحل الغربى للبحر الأحمر . وكان هدفها من ذلك أن توقع بين تركيا وايطاليا من ناحية ، وايطاليا وفرنسا من ناحية أخرى ، وأن تظهر جليا للسلطان أنه أمام ثلاث دول استعمارية فى سبيل اقتسام البلاد فيما بينها .

لم يتحدث أحد يومئذ عن اتفاقيات باريس سنة ١٨٥٦ أو برلين سنة ١٨٧٨ التى ضمنت فيها نفس هذه الدول الاستعمارية سلامة أراضى الدولة العثمانية ، لم يشر الى تلك الاتفاقيات الدولية الا سلطان تركيا فى احتجاجاته لدى حكومات لندن وروما وباريس ، ولم يكن من المتوقع أن تأخذ هذه الدول ، تلك الاحتجاجات بعين الاعتبار .

خرجت تركيا اذن من الميدان وتركت بلاد الصومال بين تنافس انجليزى — فرنسى — ايطالى ، أرادت انجلترا أن تمد نفوذها غربا ، وان تغرى ايطاليا بأن تمد نفوذها جنوبا ، حتى تقلل من منطقة التوسع الفرنسى . أما فرنسا فانها أرادت أن تمد نفوذها شرقا وشمالا معارضة فى ذلك كلا من انجلترا وايطاليا — وكانت ترغب فى نفس الوقت فى التوسع غربا حتى تسيطر على طرق تجارة القوافل مع هرر وجنوب الحبشة ، وأما ايطاليا فانها كانت ترغب فى التوسع جنوبا والتوسع غربا فى الحبشة ، وأخيرا فانها عملت على التوسع فى الساحل الشرقى لبلاد الصومال ، ذلك الساحل المطل على المحيط الهندى ، والذى يقع الى الشمال من شواطىء الزنجبار .

قبلت انجلترا ألا تتوسع فى اقليم هرر على أساس أن تأخذ فرنسا نفس التعهد على نفسها ، ولكن هذا الاقليم وقع فى قبضة منليك الثانى ملك الحبشة فى سنة ١٨٨٧ . قبلت انجلترا أن تسوى حدودها مع فرنسا فى بلاد الصومال ، فى اتفاقية سنة ١٨٨٨ على أساس خط يسير مع طريق القوافل المار من زيلع الى هرر . ثم قبلت أخيرا تحديد حدود صومالها مع الصومال الايطالى بمعاهدة سنة ١٨٩٤ حددت هاتان الاتفاقيتان حدود الصومال الانجليزى حتى سنة ١٨٩٧ ، حين اضطرت انجلترا الى أن تفاوض الأحباش بعد هزيمتهم للايطاليين فى موقعة عدوه . ورغم أن انجلترا قد تنازلت للحبشة فى تلك المعاهدة الجديدة عن مناطق كانت داخل حدود مستعمرتها ، حسب معاهدة سنة ١٨٩٤ الا أن انجلترا احتفظت لنفسها بكل ما يلزمها ، بل وبأكثر مما يلزمها لتأمين تموين عدن :

مهدى الصومال

الوداد (١) محمد بن عبد الله حسن

(١٨٧٠ ؟ الى ١٩٢١)

بقلم الأستاذ الشاطر بصيلى

هذه محاولة لدراسة الصومال فى حركته التحررية ، خلال المدة من ١٨٨٤ الى ١٩٢١ بصفة عامة ، والمدة من ١٨٩٩ الى ١٩٢١ بصفة خاصة ، وقد تميزت المدة الأخيرة بقيام حركة الوداد محمد بن عبد الله حسن .

فأرض صوماليا فى وضعها الكبير تمتد من خليج تاجورة الى مصب نهر « تانا Tana » ويبلغ طول الساحل ما يقرب من ٢٢٠٠ كيلو متر ، وقد امتدت الامارة المصرية على جزء كبير منه — من خليج تاجورة لغاية رأس حافون ، الذى أطلق عليه الايطاليون « دانتى Dante » ، كما أن نفوذ الادارة المصرية قد امتد الى نهر الجوبا الذى نزلت فيه قواتها فى نهاية عام ١٨٧٥م، غير أنها قد أخلته لتدخل بريطانيا وسلطان زنجبار .

وقد أخلت مصر هذه المناطق تحت ضغط الحكومة البريطانية ، التى كانت محتلة لمصر ، وقابضة على أزمة الأمور فيها ، وكان الاخلاء فى عام ١٨٨٤ وهو العام الذى نزلت فيه بريطانيا فى هذه المنطقة ، وأخذت فى بسط سيطرتها ، وسرعان ما تقاسمت فرنسا وبريطانيا وايطاليا هذه الرقعة من أفريقية ، وكان من نصيب بريطانيا المنطقة الوسطى المطلة على خليج عدن .

ولهذه المنطقة أهمية استراتيجية لسيطرتها من الجانب الأفريقى على مدخل البحر الأحمر ، وتقابلها على الجانب الآسيوى منطقة عدن .

قامت الادارة المصرية خلال السنوات القليلة التى أمضتها فى ادارة البلاد الصومالية ، بتنظيم النشاط الزراعى ، واستقرار الأمن بين القبائل، وانتعشت فى ظل هذه القوى الجديدة التجارة بين الداخل والخارج — فكانت تجلب من الداخل الى الساحل على ظهور الابل ، وتنقل على البواخر التى رتبت سفراتها فى مواعيد محددة . واهتمت الادارة بالبناء والتعمير ونشر التعليم ، ولقد كان لهذا التطور فى حياة المجتمع بالصومال أثره فى حركات المقاومة التى قامت فى وجه الاحتلال البريطانى وأخذت الحركات تنمو وتنتشر تدريجيا خلال الخمسة عشر

(١) الوداد فى اللغة الصومالية معناها القاضى أو الفقيه أو الواعظ . أو بمعنى أدق الشخص الذى يقوم بالتدريس والافتاء .

عاما التى جاءت بعد اخلاء الادارة المصرية للبلاد ونزول البريطانيين ، وفى عام ١٨٩٩ تزعم الحركة فقيه صومالى اسمه محمد بن عبد الله حسن ، ومما يؤسف له أنه ليست لدينا مصادر أولية يعتمد عليها فى دراسة هذه الحركة وما لها وما عليها . وكل ما هو معروف عن هذا الزعيم أنه قد ولد فى العقد السابع من القرن الماضى فى منطقة « ضلبهانته Dulbahanta » ، وأن والده من قبيلة « باه قرى Bah-Geri» من الأوجاديين ، وبعد أن تلقى تعليمه مارس الملاحة شأنه فى ذلك شأن الشباب الصومالى ، وسافر الى الحج أكثر من مرة ، واستقر به المقام فى ميناء بربرة فى عام ١٨٩٥ م ، كخليفة للشيخ محمد صالح صاحب الطريقة الصالحية ، وعمل على نشر هذه الطريقة ، وعلى تعليم الشعائر الدينية والصلوات ، وانتقل الى كيرت حيث أقام مسجدا ، وانتقل منها الى موطن أمه فى وادى السنولى وأقام مسجدا ثانيا فى « كوب فارادود Kob Faradod وقد استمر فى نشر دعوته فى هدوء وسلام غير أنه اصطدم بالعادات والتقاليد التى تربط بين الزعيم القبلى وأبناء قبيلته . ولم يكن من السهل التغلب على ذلك كله فى سرعة ، لتوحيد كلمة الصوماليين ، فقد طالب بالخضوع لأوامره وتنفيذها بوصفه الزعيم الدينى ، والتسليم بذلك معناه انهاء الولاء للزعيم القبلى ، وهذا بدوره يعنى تحطيم أسس المجتمع الممثلة فى بناء القبيلة ، وهذا فيه ثورة على الأوضاع الخاصة بتنظيم المجتمع فخلق لنفسه أعداء من الزعماء القبليين الذين اتجهوا نحو المستعمر الأجنبى .

نادى بنفسه أنه « المهدى » وهنالك الكثير من أوجه الشبه بين هذه الحركة ، وبين الحركة التى قامت فى سودان وادى النيل ، وانهما ان اختلفا بعض الشيء فى المراحل الأولى الا أن سياسة انجلترا تجاه الحركتين تكاد تكون واحدة . فمهدى الصومال قد سيطر على داخلية البلاد لحقبة من الزمن بلغت العشرين عاما تقريبا ، أقض خلالها مضاجع الانكليز الذين اضطروا الى اخلاء المناطق الداخلية من الصومال ، والمحافظة على الموانىء الساحلية . وهذا يصور لنا بوضوح أنه لم يكن من اليسير على الادارة الانكليزية أن تبسط نفوذها الفعلى عند احتلالها للأراضى الصومالية فى ١٨٨٤ م ، بسبب أن السكان قد بلغوا مرحلة متقدمة من الوعى القومى تحت الادارة المصرية .

جمع الوداد الصومالى أتباعه ومريديه الذين كانت غالبيتهم من « الدرود Darod » وبعد ذلك أخذ فى تدريبهم فى مجموعات أطلق على كل منها اسما خاصا بها ، وأعلن الجهاد ضد المشركين التى شملت فى تفسيرها كما حدده هو ، الأجانب ، وجميع أهل الصومال الذين رفضوا الانضمام تحت لوائه فى الجهاد ؛ وكانت أول غزوة له الهجوم على أتباع الطريقة القادرية فى بلدة الشيخ ، وقد أبادهم جميعا ، وأرسل الانكليز أربع حملات بين ١٩٠٠ و١٩٠٤ م وبالرغم من أن هذه الحملات قد كبدت رجال المهدى الصومالى خسائر جسيمة الا أن ثورته

لم تخمد ولم تكن هنالك معركة حاسمة ؛ ولا شك فى ان الابقاء على حالة القتال مستمرة لسنوات عدة له أثره النفسانى فى المجتمع كما أن تلك الحالة تترك انطباعاتها وانعكاساتها على الحياة اليومية وعلى العلاقات بين أفراد القبائل وزعاماتها . ولعبت الاتصالات السياسية دورها ، فقد حدث بعد الحملات الأربع التى ارسلت كما أشرنا ولم تنجح فى القضاء عليه ، ان اتفقت ايطاليا مع الوداد محمد بن عبد الله مهدى الصومال ، وكان ذلك برضاء انجلترا ، وجعلت هذه الاتفاقية المهدى الصومالى بصورة أو أخرى تحت الحماية الايطالية غير أنه لم يتوقف عن غزواته ، وبدأت التحرشات بينه وبين الانكليز ، ورأى البرلمان البريطانى فتح باب المناقشة فى هذا الموضوع ، وبخاصة بعد أن أنفقت الخزانة الانجليزية أربعة ملايين من الجنيهات دون نتيجة حاسمة ، وتقدم المستر ونستن تشرشل ، الذى كان وزيرا للمستعمرات بتقرير عن زيارته لشرق أفريقية فى نهاية عام ١٩٠٧ ، وبعد نقاش طويل استقر الرأى فى مارس سنة ١٩٠٩ على أن يطلب الى « السير ريجنلاند ونجت R. Wingath » حاكم السودان العام وسردار الجيش المصرى بالسفر الى الصومال ، وتحقيق الموضوع وارسال تقرير بما يراه لعلاج الوضع .

ذهب ونجت من بور سودان فى ١٨ أبريل سنة ١٩٠٩ وبصحبته سلاتين باشا مفتش عام السودان وكلايتون Clayton ، وأرمبرستر Armbruster ، وكان الأخير يشغل وظيفة مدير الجمارك السودانية ، وله المام باللغة الامهرية ، وبقيت البعثة شهرين فى الصومال . تم خلالها الاتصال بالمهدى الصومالى . وكان التقرير الذى كتب واضحا وصريحا ، وطالب باتخاذ سياسة محددة ؛ وهى القضاء النهائى على الحركة بالمعاونة مع السلطات الايطالية والاتيوبية ، والاتفاق مع الفرنسيين الذين كانوا يبيعون الأسلحة للمهدى الصومالى عن طريق جيبوتى . واضافت المذكرة انه اذا لم يكن من اليسير تنفيذ المقترح الأول فهنالك باب للمفاوضة معه ، لاستقرار السلام، أو الاحتفاظ بخطة الدفاع التى كانت متبعة بالرغم من تكاليفها . غير أن الحكومة البريطانية قد احتفظت بخطة الدفاع ، واستمر النضال، واستطاعت قوات الصومال الوصول الى بربرة ، واستطاعت بريطانيا فى نهاية الحرب العالمية الأولى استخدام السلاح الجوى الذى تقدم لحد ما فى ذلك الحين ، وأخذت فى شن غاراتها على رجال مهدى الصومال ، وانتهت الحركة بخروج الوداد محمد بن عبد الله الى أتيوبيا فى نهاية عام ١٩٢٠ بعد أن تفرقت قواته أثر هزائمها ، وانتقل الى رحمة مولاه فى يناير سنة ١٩٢١ ، وبهذا طويت صفحة من صفحات الجهاد . ونرجو أن يهتم أبناء صوماليا بجمع أخبار هذه الحركة لدراستها وتحقيقها وبخاصة القصائد الشعرية التى كان يرتجلها هذا الزعيم والتى أثارت الحماس ، وكذلك جمع القصائد الشعرية المضادة التى كتبها مناوئوه ، ومنها الرثاء الذى كتب بمناسبة قتله لأتباع الطريقة القادرية فى بلدة الشيخ كما أشرنا من قبل ، والله الموفق .

المنافسة الدولية فى أعالى النيل

للدكتور على ابراهيم عبده

(٢)

فى ساحل افريقية الشرقى اتبعت انجلترا سياسة انتهت بتقسيم هذه المنطقة مع ألمانيا بمقتضى معاهدة بين الطرفين فى سنة ١٨٩٠ ، وباحتلال انجلترا لأوغندا واعلان حمايتها عليها فى سنة ١٨٩٤ .

وفى الغرب كما فى الشرق أرادت الحكومة البريطانية اتخاذ احتياطات لحماية أعالى النيل من الاعتداء . فعقدت مع ألمانيا معاهدة فى نوفمبر سنة ١٨٩٣ تسمح للممتلكات الألمانية فى الكمرون بأن تمتد شمالا حتى بحيرة تشاد وشرقا حتى حدود دولة الكنغو بحيث تكون بعيدة عن أعالى النيل . وكانت انجلترا ترمى من وراء ذلك الى قطع الطريق على امتداد المناطق الفرنسية الى النيل . ولكن فرنسا استطاعت أن تتفق مع ألمانيا فى مارس سنة ١٨٩٤ على تحديد الحد الشرقى للكمرون بحيث تركت لفرنسا الحرية فى التوسع شمالا حتى بحيرة تشاد وشرقا كما تريد . وبذلك أعطت ألمانيا لفرنسا ما أخذته من انجلترا قبل ذلك بثلاثة أشهر . فاتجهت انجلترا الى ليوبولد ملك بلجيكا ، وعقدت معه اتفاقا فى مايو سنة ١٨٩٤ تنص المادة الثانية منه على تأجير منطقة بحر الغزال الى ليوبولد ، وذلك لمنع الفرنسيين من التقدم الى أعالى النيل من ناحية الغرب ، وتنص المادة الثالثة على أن يؤجر ليوبولد الى بريطانيا ممرا عرضه ١٦ ميلا وطوله ١٨٨ ميلا ويمتد من بحيرة تنجانيفا الى بحيرة البرت ادوارد . وهذا الممر كانت تريده انجلترا لأنه كان حلقة اتصال هامة فى المشروع المشهور بالخط الحديدى من الكاب الى القاهرة . احتجت فرنسا وألمانيا على هذا الاتفاق ، فاضطرت بريطانيا وبلجيكا الى التراجع وأعلنتا بطلان هاتين المادتين . كما اضطر ليوبولد الى أن يوقع اتفاقا مع فرنسا فى أغسطس سنة ١٨٩٤ تنازل بمقتضاه عن فكرة احتلال منطقة بحر الغزال . فبقى الطريق مفتوحا أمام الفرنسيين للوصول الى أعالى النيل من ناحية الغرب .

ثم جرت مباحثات بين انجلترا وفرنسا فى أوائل سنة ١٨٩٥ كان

نتيجتها الفشل فادى هذا الى تحمس كبير من جانب الامبرياليين الفرنسيين . وأصبحوا يحلمون — أكثر من أى وقت مضى — ببلوغ النيل عن طريق بحر الغزال . ولمعارضة المشروع البريطانى الذى يهدف الى وصل الكاب بالقاهره فى خط غير منفصم من الأراضى البريطانية قام مشروع وصل الاطلنطى بالبحر الأحمر فى خط من المراكز الفرنسية . وقد شبه ذلك بقطع الكمثرى الافريقية بالعرض قبل أن تقطعها انجلترا بالطول، كما أن ليوبولد قام أيضا فى تلك السنة بمباحثات فى لندن وباريس يهدف من ورائها الى اعطائه كل وادى النيل من الخرطوم حتى بحيرة فكتوريا بصفة ايجار . ولكنه لم ينجح فى هذه المباحثات ونظر الى نشاطه باستخفاف .

وعلى العموم كانت بريطانيا فى أوائل عام ١٨٩٦ غير مستعدة لاعطاء فرنسا أو بلجيكا أو غيرهما أية امتيازات حقيقية فى أعالى النيل . وكان هدفها تأجيل المسألة المصرية السودانية حتى يتم استعدادها فتعمل فيها بقوة . ولكن لم تتح للانجليز فرصة اختيار الوقت المناسب لهم . فلقد انقلب الموقف السياسى وزاده تعقيدا انهزام الايطاليين على يد الأحباش فى عدوة فى مارس سنة ١٨٩٦ .

وعلى أثر هذه الهزيمة اتخذت انجلترا فورا قرارها بالتقدم لاسترداد السودان عن طريق وادى حلفا والنيل . ويعلل بعض الكتاب مثل ونستون تشرشل اتخاذ هذا القرار بأن الرأى العام البريطانى ضغط على الحكومة لشعوره بوجوب الأخذ بثأر جوردون . ويقول الآخرون ان الذى أزعج الانجليز حقا هو النشاط الذى استأنفه الدراويش فى شرق السودان ، وأنه كان هناك تفاهم بينهم وبين امبراطور الحبشة . والحقيقة أنه بهزيمة الايطاليين — أصدقاء الانجليز — فى عدوة تحطم السد الذى حاول الانجليز اقامته فى وجه فرنسا فى الناحية الشرقية حتى لا تصل الى أعالى النيل من هذه الناحية . ولما أدرك البريطانيون خطورة موقفهم بهزيمة أصدقائهم وانكشاف جناحهم الشرقى أسرعوا فى تنفيذ استرداد السودان لكى يصلوا بقواتهم الى أعالى النيل قبل وصول الفرنسيين . وكانت حملة استرداد السودان بقيادة كتشنر وانتهت بهزيمة التعايشى فى أم درمان فى سبتمبر ١٨٩٨ .

وكانت فرنسا لسنين عدة تريد جلاء الانجليز عن مصر . وعندما فشلت فى هذا الأمر قررت الاندفاع الى أعالى النيل لترغم الحكومة البريطانية على الاتفاق بخصوص المسألة المصرية ولتضع حدا لحلم البريطانيين بربط مصر برأس الرجاء . فقررت فى سنة ١٨٩٦ ارسال حملة الى أعالى النيل بقيادة مارشان .

ووصل مارشان الى فاشودة – عن طريق الكنغو – فى يوليو ١٨٩٨ مصحوبا بستة ضباط أوروبيين ونحو مائة وعشرين من السنغاليين ، ورفع العلم الفرنسى على انقاض القلعة المصرية القديمة هناك. كما أن ليوبولد نظم بعثتين عظيمتين فى الكنغو للتقدم تجاه النيل الى لادو ، وذلك لمساعدة مارشان ان أمكن ضد أى هجوم من الدراويش ولحماية مؤخرته . وفى الوقت نفسه اتفقت فرنسا مع امبراطور الحبشة على ارسال حملات فرنسية من الصومال الفرنسى وأخرى حبشية ، لتتجه غربا الى النيل الأبيض لمقابلة مارشان . ونلاحظ أن الحبشة كانت تطمع فى امتداد أراضيها حتى النيل ، ولذلك اشتركت مع فرنسا فى هذه الحملات . وعلى العموم وصل مارشان الى فاشودة ، ولم تجد هذه الحملات لفشلها فى الوصول ولأنها لم تعمل حساب المستنقعات والنهيرات الكثيرة التى واجهتها فى طريقها خصوصا وأن وقت تقدمها كان يتفق مع بدء سقوط الأمطار فى هذه المنطقة وعلم كتشنر وهو فى الخرطوم بوصول مارشان الى فاشودة فذهب الى هناك وقابله فى ١٩ سبتمبر واحتج عليه ، ولكنه رفض الانسحاب بدون تعليمات من حكومته ، وتحرج الموقف بين فرنسا وانجلترا ، وأخذت كل منهما فى استعداداتها الحربية ، وتأزمت الأمور حتى كادت تؤدى الى حرب بينهما ، ولكن فرنسا رضخت فى النهاية وقررت الانسحاب من فاشودة بلا قيد ولا شرط .

ولموضوع فاشودة أهمية كبيرة من الناحية الاستعمارية العامة ، ومن ناحية ارتباطه الوثيق بالمسألة المصرية ومسألة وادى النيل . وأصبح اسم فاشودة ، هذه القرية الصغيرة على النيل الأبيض علما بين وقائع التاريخ العالمى المعاصر ، ورمزا لمنتهى ما وصلت اليه المنافسة الامبريالية بين انجلترا وفرنسا ، ودليلا على ما كانت تستطيعه القوة البحرية من الفصل الحاسم فى الأمور والأزمات الدولية ، ونهاية عملية حقيقية لموقف المعارضة القوية الذى وقفته فرنسا بازاء الاحتلال البريطانى لمصر . ولذا فموضوع فاشودة مهم من حيث التاريخ الدولى العالمى ، ولكنه يهم أبناء وادى النيل بصفة خاصة لما كان له من أثر فى تقوية دعائم النفوذ الانجليزى فى وادى النيل .

وبعد مسألة فاشودة تمت فى المدة من ١٨٩٩ – ١٩٠٦ التسويات النهائية للمنافسة الدولية فى أعالى النيل ، بمقتضى اتفاقات ومعاهدات بين الدول المتنافسة : ففى يناير سنة ١٨٩٩ وقعت اتفاقية بين مصر وانجلترا بشأن السودان . تلك الاتفاقية التى جعلت ادارة السودان اسما ثنائيا . أما فى الحقيقة فان الحاكم العام ومجلس مستشاريه ومعظم حكام المديريات ، كانوا من ضباط الجيش البريطانى ، واقتصر نصيب مصر فى الحكم على وظيفة سد العجز السنوى فى ميزانية السودان .

وفى مارس سنة ١٨٩٩ كان الاتفاق الانجليزى الفرنسى الذى بمقتضاه

عينت الحدود بين السودان وافريقية الاستوائية الفرنسية بحيث استبعدت فرنسا من حوض النيل كله ، ولكن ترك لها اقليم واداى وكل منطقة السودان من دارفور شرقا الى بحيرة تشاد فى الغرب . وهكذا فقدت فرنسا أملها فى الوصول الى شاطىء النيل وامتداد ممتلكاتها من الصومال فى الشرق الى الكنغو فى الغرب ، بينما تحقق حلم بريطانيا بتوصيل ممتلكاتها من جنوب افريقية الى شمالها ، فيما عدا الممر الضيق بين بحيرتى البرت ادوارد وتنجانيقا.

وفى مايو سنة ١٩٠٢ أبرمت اتفاقية بين بريطانيا والحبشة خططت بمقتضاها الحدود بين السودان والحبشة ،بحيث يقع النيل الأبيض والأجزاء السفلى من العطبرة والنيل الأزرق والسوباط داخل دائرة النفوذ البريطانية . وهذه المعاهدة فى الواقع نهاية دور الصراع الاستراتيجى بين الدول الأوروبية على أعالى النيل . وتعتبر انتصارا لسياسة بريطانيا لأنها أعطتها ما كانت تريده فيما بين حدود مصر وأوغندة .

وفى ابريل سنة ١٩٠٤ تم الاتفاق الودى بين انجلترا وفرنسا ، الذى به أطلقت فرنسا يد انجلترا فى وادى النيل كله ، كما أطلقت انجلترا يد فرنسا فى مراكش .

وفى سنة ١٩٠٦ وقعت معاهدة بين بريطانيا وفرنسا وايطاليا والحبشة ، كان من أهم بنودها أن الدول الثلاث تعهدت باحترام استقلال الحبشة ، وأن بريطانيا حصلت على تأكيد بعدم التدخل فى مياه أعالى النيل .

وفى مايو ١٩٠٦ أيضا كانت الاتفاقية بين انجلترا وبلجيكا التى بمقتضاها سويت الحدود بين السودان ودولة الكنغو . وتنازل ليوبولد فيها عن مطالبته باستئجار منطقة بحر الغزال ، ولكنه أعطى لمدة حياته المنطقة التى يطلق عليها حاجز لادو . وتنص المادة الثالثة من هذه المعاهدة على أن حكومة دولة الكنغو لا تقوم بأى عمل من شأنه تقليل كمية المياه الداخلة الى بحيرة البرت الا بالاتفاق مع حكومة السودان .

بهذه التسويات انتهى النضال الدولى من أجل أعالى النيل ؛واصبح كل مجرى النيل ــ من منابعه من بحيرات وسط افريقية الى البحر المتوسط ــ تحت سيطرة بريطانيا وحدها فعلا . والواقع أن النزاع الدولى من أجل أعالى النيل اتخذ ، ــ أكثر من أى مشكلة دولية أخرى قبل الحرب العالمية الأولى ــ مظهر أسطورة من الأساطير . اذ كانت هناك نتائج ذات أهمية عظمى ، وكانت هناك أفكار ومشروعات ومنافسة استمرت أكثر من عقد واحد من الزمن .

وبالرغم من كثرة ما كتبه الأوروبيون متفرقا عن بعض نقط هذا الموضوع ، فأعتقد أنه لم تكن هناك اية دراسة تناولته بروح محايدة ومن شتى نواحيه تناولا كافيا ؛ لأن الأمر معقد لدرجة كبيرة ؛ ومما يزيده تعقيدا التناقض فى معظم الوجوه .

افريقية والجمهورية العربية المتحدة

بقلم الأستاذ محمد مصطفى هدارة

درج الكتاب الغربيون على اعتبار شاطىء افريقية الشمالى افريقيا بالمعنى الجغرافى ، وغير افريقى من ناحية الحضارة والعادات والتقاليد والنوع البشرى . فهم يؤكدون دائما انه الشاطىء الجنوبى للبحر المتوسط ، ويستدلون على ذلك بالتاريخ القديم اذ كان هذا الشاطىء أيام الرومان جزءا من أوروبا ، أكثر مما كانت اسكندناوة أو حتى بريطانيا . كما يستدلون أيضا بحضارة هذا الشاطىء ، وانها بعيدة عن روح أفريقية كل البعد ، فمراكش والجزائر وليبيا ومصر لا تختلف مدنيتها عن مدنية جنوب أسبانيا أو ايطاليا أو اليونان .

ولا شك أن هذه الفكرة لها ما وراءها . فاذا جاءوا اليوم وادعوا أن الصحراء الكبرى عبارة عن بحر من الرمال ، يفصل أوروبا عن افريقية أكثر مما يفصلهما البحر المتوسط ، فتلك دعوى المقصود من ورائها صرف بلدان الشاطىء الافريقى الشمالى — تلك التى نالت حريتها واستقلالها — عن الاهتمام بشئون القارة الافريقية ، وربط مصيرها بأوروبا دائما ، وذلك حتى يخلو الجو لمستعمرى أفريقية من الأوروبيين فى التصرف بمصائر الشعوب الافريقية المستعبدة ، آمنين من عدم تسرب روح الوطنية والقومية من بلدان افريقية التى تحررت الى داخل مستعمراتهم .

ولكن هل ينتهى الأمر هكذا كما يشاء دهاقنة الاستعمار ومستعبدو الشعوب ؟ الواقع أن مصر — على وجه الخصوص — قد أولت هذا الموضوع أهمية عظمى منذ ثورتها التحررية الكبرى عام ١٩٥٢ . فآمنت ايمانا راسخا قويا بقوميتها العربية أولا ، ثم بكونها جزءا لا يتجزأ من القارة الافريقية العظيمة . ونجحت مع غيرها من الدول المحبة للسلام ، المؤمنة بالحياد الايجابى والتعايش السلمى — فى تكوين كتلة الدول الآسيوية الافريقية التى ترى أن مبادئها لن تتحقق الا بمحاربة الاستعمار أينما كان ، حربا لا هوادة فيها حتى يجلو عن معاقله ، ويترك للشعوب المستعبدة حرية الأمل والعمل : الأمل فى حياة مطمئنة مستقرة تسود العالم ، والعمل فى سبيل الرخاء الاقتصادى وتطور الفرد نحو حياة أفضل .

وبدأت مصر من جانبها تحارب الاستعمار فى افريقية خاصة بكل ما تملك من وسائل : فى ميدان هيئة الأمم المتحدة ، عن طريق ممثليها الدبلوماسيين وبوساطة برامجها الاذاعية الموجهة للقارة الافريقية . فى كل مكان تستطيع أن تخدم فيه قضايا افريقية فى التحرر والسيادة .

واليوم — بعد مولد الجمهورية العربية المتحدة — نستطيع أن نفعل الكثير من أجل افريقية ، لأن فى ازدهار

هذه القارة ازدهارا للقومية العربية ، وانتصارا لقوى الحياد وعدم الانحياز، وطريقا واضحا للسلام العالمى .

ويكفى لتوضيح هذه الفكرة أن نذكر ما يقوله الكاتب الأمريكى جون جنتر « ان هذه القارة المذهلة المتحدية مهمة أهمية جوهرية للعالم الغربى، لا لموقعها الاستراتيجى الهام ، ولا لغناها الفاحش فى المواد الأولية الخام فحسب، بل لأنها آخر حدود الغرب . لقد ضاع معظم آسيا ، وافريقية هى الباقية » .

تلك هى أمانى الغرب الطامع المستعمر ، الذى يريد استغلال الشعوب واستعبادها تحقيقا لرفاهيته ولكن تلك الأمانى لن تتحقق أبدا اذا رصدت الجمهورية العربية المتحدة امكانياتها للوقوف فى وجه الاستعمار الغربى ، وذلك بتشجيع حركات التحرر فى القارة الافريقية . والواقع أن صيحة القومية تتردد أصداؤها فى كل مكان من هذه القارة . وليس هناك افريقى ـ نال قسطا من المعرفة ـ لا يعتنق الوطنية مبدأ ، والحرية لبلاده هدفا يفنى فى سبيله . ان عهد الاستعمار الأوروبى قد بدأ فى الانهيار من أساسه ، واثبت الافريقيون ـ الذين أتيح لهم حكم أنفسهم بأنفسهم ـ قدرتهم على شغل فراغ بلادهم وسد كل ركن فيها بمهارة وكفاية .

ونظرة واحدة الى تعداد شعب افريقية بالنسبة للمستعمرين الأوروبيين ، تقنعنا بالواجب الملقى على عاتق الجمهورية العربية المتحدة ، من بذل الجهود فى سبيل اثارة الوعى القومى ونزعة التحرر فى أرجاء افريقية، تلك التى تضم ١٩٣ مليون افريقى و ٥ ملايين فقط من الأوروبيين . وهذا يؤكد لنا أن أية حركة قومية تقوم فى أى جزء من افريقية ، وتكون على شىء من القوة والتنظيم ، سوف تقضى على حركة الاستعمار الأوروبى القضاء المبرم ، مهما أمدت الدول الأوروبية قواتها فى المستعمرات بالرجال والعتاد .

وهذه النقطة تكشف لنا عن حقيقة أخرى ـ لا احسب انها تغيب عن بال الساسة فى الجمهورية العربية المتحدة ـ وهى أهمية ايجاد اتصال بين الحركات التحررية فى جميع انحاء افريقية . فالحدود السياسية المصطنعة لا تكاد توجد من الناحية الواقعية . وكان يراد بها فى أغلب الأحيان تعيين أين يبدأ حكم مستعمر أوروبى ، وأين ينتهى ليبدأ حكم مستعمر أوروبى آخر . ولهذا كان الأوروبيون يقيمون هذه الحدود بوساطة خطوط الطول والعرض فى معظم الحالات . ونظرا لأهمية اقامة الحواجز السياسية وحصر كل مجموعة من الافريقيين فى دائرة معينة ، شجع الاستعمار الأوروبى بقاء الروح القبلية فى افريقية، بل غذاها ونماها بصورة قوية ، وقسم القبيلة الواحدة بحدوده الوهمية ، مثل القبائل التى تعيش على جانبى الحدود المشتركة لكينيا وتنجانيقا . والذى يؤكد وجود هذه الفكرة عند المستعمر الغربى قول جون جنتر « طالما بقى الافريقيون فى قبائلهم ـ كما هى الحال فى أجزاء من الكونغو ـ افريقية البرتغالية ـ فهم ليسوا بمشكلة » .

ومما يقض مضاجع المستعمرين الأوروبيين انتشار الاسلام بين

الافريقيين بصورة قوية ، على الرغم من البعثات التبشيرية المتعددة التى تتغلغل فى جميع أنحـــاء افريقية ، ظاهرها التبشير بالمسيحية ، وباطنها تحبيب الاســـتعمار الى نفـــوس الافريقيين ، وربطهم بعجلته الى الأبد.

وفى افريقية اليوم نحو ٦٠ مليون مسلم ، وحوالى ٢١ مليون مسيحى، ولا يزال العدد الأكبر من الافريقيين ويبلغ نحـــو ١١٢ مليونا ـــ يعيشون على الوثنية فى صور مختلفة . ومما لاشك فيه أن الجمهورية العربيـــة المتحدة لها من الامكانيات والوسائل ما يمكنها من العمل فى هذا الميدان ، بنشر الاسلام بين الافريقيين الوثنيين كخطوة أساسية هامة فى العمل على ترقية الوعى القومى فى افريقيـــة ، والقضاء على حركة الاستعمار الغربى فيهـــا .

تلك هى المعالم البارزة لسياسة الجمهورية العربية المتحـــدة ـــ كما أتصورها ـــ تجاه افريقية . سياسة أساسها تحرير الشعوب المســتعبدة فى جميع أنحاء افريقية ، والقضاء على الاستعمار الغـــربى فيها ، وتمكين الافريقيين من حكم أنفسهم بأنفسهم، واستغلال ثروات قارتهم العظيمة فى رفع مستوى شعوبهم والعمـــل على تقدمها .

ولتحقيق هذه السياسة يجب :

أولا : أن يشمل التمثيل السياسى للجمهورية العربية المتحـــدة جميع البلاد الافريقية التى نالت استقلالها ، وأن يكون هناك تمثيل قنصلى شامل فى البلاد الافريقيـــة التى لا تزال مســـتعمرة ، أو الموضـــوعة تحت الوصاية .

ثانيا : ارسال بعثات من رجال الدين لنشر الاسلام بين القبائل الوثنية، وربطه بمعـــانى الحـــرية والكرامة الانسانية .

ثالثا : انشاء مراكز ثقافيـــة فى افريقية لنشر اللغة العربية والثقافة العربية فى الأماكن التى يتوق أهلها الى تحسين لغتهم العربية ويحـــاول المستعمر قطعهم عنها .

رابعا : استقدام عـــدد كبير من الطلاب الافريقيين للدراسة فى جامعات الجمهورية العربية المتحدة على نفقة الحكومة .

خامسا : زيادة الاهتمام بالاذاعات الموجهة للافريقيين فى شتى بقاعهم ، مع التوسع فى استخدام اللغات المحلية الافريقية التى توجه بها الاذاعات .

سادسا : زيادة الاهتمام بالشئون الافريقية فى اقليمى الجمهورية العربية المتحدة ، ودراسة الأوضاع المختلفة من سياسية واجتماعية واقتصادية فى افريقية .

واذا كانت الحرية التى هى سبيل المجد للأمة ، والاتحاد الذى هو سبيل القوة لها ، يعتبران فى رأى خـــبراء الساسة مرضا معديا يصيب الجار ومن هو أبعد من الجار ، فلنـــا أن نستبشر بمولد الجمهورية العربيـــة المتحدة فى سبيل التعجيل بحـــرية افريقية ونهضتها المرتقبة .

السياسة الفاشية في أثيوبيا

بقلم الدكتور زاهر رياض

بدأ الصراع بين ايطاليا الفاشية وأتيوبيا في الخامس من ديسمبر سنة ١٩٣٤ بحادث « وال وال » — المنطقة المتنازع عليها بين الصومال الايطالي وأتيوبيا ، وطلبت ايطاليا أن تقدم أتيوبيا الاعتذار والتعويض ، الأمر الذي رفضته أثيوبيا مطالبة باجراء تحقيق لتحديد المسئولية .

وفي السابع من يناير عام ١٩٣٥ عقدت ايطاليا وفرنسا اتفاقية تنازلت بموجبها فرنسا عن جزء من الصومال الفرنسي لايطاليا ، وباعت لايطاليا أسهما في سكة حديد أتيوبيا . التي تبدأ من جيبوتي ، وأخذت ايطاليا في ارسال حشودها الى شرق أفريقية ، وفي شهر مايو من تلك السنة أحالت عصبة الأمم مشكلة « وال وال » للتحكيم ، وقد فشلت هذه اللجنة ، واجتمعت الوفودالبريطانية والفرنسية في باريس ، وقدمت بريطانيا وفرنسا الى ايطاليا فرصا للعمل على ترقية أتيوبيا ، على أن توافق الأخيرة على ذلك . وقد رفضت أتيوبيا هذه المقترحات ، وأعلنت لجنة التحكيم في الثالث من سبتمبر أنه لا مسئولية على أحد الطرفين المتنازعين بشأن حادث « وال وال » .

وفي الثالث من أكتوبر بدأ الزحف الايطالي على أتيوبيا ، واجتمعت عصبة الأمم ، وقررت أن ايطاليادولة معتدية ، وفرضت عليها عقوبات غير أن ايطاليا الفاشية لم تذعن لذلك واستخدمت أسطولها الجوي على نطاق واسع ، واستعملت الغازات السامة ، التي تحرمها القوانين الدولية ، وكان نتيجة العمل الشائن المخالف للانسانية أن انهارت المقاومة الأتيوبية ، ودخلت قوات الفاشية العاصمة « أديس أبابا » في الخامس من مايو سنة ١٩٣٦ ، التي تركها النجاشي الى الساحل ومنه الى فلسطين ومن ثم الى انجلترا .

ولم يكد الفاشيون يدخلون البلاد حتى بدأوا بتنفيذ سياستهم التي وضعوها لحكم البلاد ، وكانت هذه السياسة تقوم على أسس محدودة أهمها : —

١ — صبغ البلاد بالصبغة الفاشية :

٢ — سياسة « فرق تسد » بين السكان من المسيحيين والمسلمين .

٣ — القضاء على التعليم والمتعلمين .

٤ — جعل أتيوبيا جزءا من الوطن الايطالي .

٥ ـ التفرقة العنصرية بين البيض والملونين .

٦ ـ القضاء على العناصر الوطنية .

* * *

١ ـ صبغ البلاد بالصبغة الفاشية:

أعلن الماريشال بادوليو غداة دخوله العاصمة الاتيوبية أنه قد سكن الجبى Gebbi (١) القديم ، واتخذ الجبى الجديد مكتبا له ، وأنه سينتقل فيما بينهما أربع مرات كل يوم ، فعلى الراكبين أن يترجلوا وعلى السائرين أن يتوقفوا ، وأن يلتفتوا بوجوههم الى ناحية موكبه ، وأن يرفعوا أيديهم بالتحية الفاشية ، ولم يمض على دخولهم العاصمة أسبوعا حتى افتتحت مراكز الحزب الفاشى ، وخرج موظفوه ورعاته يجوبون الأحياء الوطنية فى عملية احصاء لتعداد السكان ، وجاءت السيارات تحمل اليهم الدقيق والأرز هدية من الدوتشى ، واستقبل مراكز الحزب فتيان الاتيوبيين وفتياتهم لتدريبهم وتنظيمهم فى مواكب تذرع شوارع العاصمة هاتفة « دوتشى ! دوتشى ! » بعد أن وزعت عليهم القمصان السود والسراويل القصيرة والقبعات السوداء ذات الزر الصغير ، وذهب الدعاة الى المناطق النائية حيث تقيم القبائل البدائية لتعليم أفرادها التحية الفاشية برفع اليد « اليمنى » الى أعلى .

ورفع العلم الايطالى على سارية عالية أمام المبانى الحكومية ، وجعلت تحيته فرضا على كل داخل أو سائر برفع القبعة ، أما غير المتقبع من الأتيوبيين فعليه واجب الانحناء .

٢ ـ سياسة فرق تسد . بين السكان :

أعلن الايطاليون غداة دخولهم العاصمة انتهاج سياسة التفرقة بين السكان من المسلمين والمسيحيين ، وأعلن بادوليو تبرع الدولة الايطالية بمبلغ كبير من المال لبناء مسجد فى العاصمة يليق بالسكان المسلمين ، الذين يكونون غالبية تجاهلتها الحكومة الأتيوبية . وبدأ العمل فى ارساء قواعد البناء ، ولكن يبدو أن هذه السياسة قد تراخت فى أواخر العهد الفاشى ، فقد شاهدت هذا المسجد فى أديس أبابا فى عام ١٩٤٣ ولم يتم بناؤه بعد ، فأصدر الأمبراطور هيلا سلاسى أمره باتمام البناء ، وتبرع بفرشه بالسجاد بنفقته الخاصة .

وفى المناطق ذات الأغلبية الاسلامية تعرض المسيحيون لاضطهاد الفاشيين حيث طردوهم من وظائف الدولة ، واستبدل بهم المسلمون ، وحدث العكس فى المناطق ذات الأغلبية المسيحية حيث طرد المسلمون واستبدل المسيحيون ، وألغى تدريس

(١) الجبى Gebbi = القصر الملكى ، كما يسميه الأتيوبيون ، وهى لفظة معناها التل لأن القصر يبنى عادة على تل مرتفع .

اللغة الأمهرية فى المدارس الاسلامية ، واستقدم المدرسون من ليبيا لتدريس الدين الاسلامى .

٣ ـ القضاء على التعليم والمتعلمين :

أغلقت المدارس التى كانت قائمة قبيل دخول ايطاليا ، وألحق من كان بها من المدرسين الوطنيين أو الأجانب بدور الاذاعة والجريدة الايطالية التى أصدرها الطليان ، وبعد عام من احتلالهم أعيد فتح المدارس ، وجعلت اللغة الايطالية لغة التعليم ، وحرم الأتيوبيون من الالتحاق بها ، كما أغلقت الصحف الاتيوبية ، وعزل جميع الموظفين الذين كانوا يشغلون الوظائف الكبرى ، وأخذ الفاشست فى استدعاء هؤلاء الموظفين الكبار فريقا اثر فريق ، لسبب أو غيره ، وكان هذا الاستدعاء نذيرا باختفائهم الى الأبد ، وحرص الايطاليون حين فتحوا مدارسهم الجديدة على أن تكون فى أماكن جديدة ، وجعلت المدارس القديمة مخازن ومعسكرات .

٤ ـ جعل أتيوبيا جزءا من الوطن الايطالى :

ألغيت الرسوم الجمركية على المصنوعات الايطالية ، وخفضت رسوم البريد الى ايطاليا الى واقع الفئة المحلية واستولت الحكومة على الأراضى الزراعية التى كانت ملكا للحكومة أو لأفراد الأسرة المالكة أو الأمراء الذين هجروا البلاد ، أو الأهالى الذين قتلوا ، وأخذت فى اعداد هجرات من الفلاحين الايطاليين للعمل فى تلك الأراضى ، وسرعان ما قسمت الى عدة قرى يرأس كلا منها "Cabo - Lnori i" مهمته مراقبة تقسيم الأراضى ، وتوزيعها على المهاجرين

وكانت الهجرة تنظم عن طريق مكتب الهجرة فى روما ، حيث يقيد الطالب اسمه وعدد أفراد أسرته . وعمر كل منهم ، وسرعان ما تسلم اليه بطاقة تحدد له تاريخ السفر على المراكب الايطالية بالمجان ، حتى اذا ما وصل الى مصوع وجد من ينتظره ليحمله فى السيارات المعدة لذلك الى القرية المبينة على بطاقته ، وفى القرية يجد بيتا صغيرا مجهزا بكل ما يلزمه وأفراد أسرته . ويحدد له الرئيس مساحة المنطقة التى يعمل بها ومكانها ، مع حق استعمال الآلات التى أعدتها الدولة نظير أجر زهيد . وهذه هى نفس السياسة التى سارت عليها فرنسا فى الجزائر ومستعمرات غرب أفريقية ، والتى أطلق عليها سياسة الامتصاص .

وأقبلت الشركات الايطالية على افتتاح فروع لها ، وجعل جميع موظفيها من الطليان واهتموا بانشاء بعض الصناعات الاستهلاكية التى لا يستغنى عنها الايطاليون أو التى تلزمهم فى مرحلة الانشاء ، كمضارب الطوب ، ومصانع المكرونة والزيوت والصابون ، وعمال جميع هذه

المؤسسات من الطليان ، ولم يترفع الايطاليون ترفع المستعمر من الدول الأخرى ، بل أقبلوا على احتراف المهن المختلفة ، مهما كانت مكانة أصحابها الاجتماعية كالجزارين والحلاقين والبقالين ، وعملوا أيضا فى تعبيد الطرق ٠

خامسا ـ التفرقة العنصرية بين البيض والسود :

فقدصدر فى يناير سنة ١٩٣٧ قانون بمنع اختلاط الايطاليين بالأثيوبيين ومنع رجال الدين من عقد الزواج المختلط ٠ كما خصصت أوتوبيسات للبيض وأخرى للسود ٠ ومن الطبيعى أن تكون الأولى كبيرة نظيفة ذات مقاعد مريحة ، نصيب الجالسين فيها كبير ٠ على عكس الثانية التى كانت صغيرة قذرة ذات مقاعد خشبية ٠ نصيب الواقفين فيها أكبر من نصيب الجالسين ٠ وحرم الوطنيون من غشيان الأماكن التى يتردد عليها البيض ٠

ولكن هذا لم يمنع فعلا اختلاط الايطاليين بالأثيوبيين ، بل قد تزوج كثير منهم كثيرات من الأثيوبيات ٠ ولم يحاول الايطاليون أن يرتفعوا بمستوى زوجاتهم الى المستوى الأوروبى ٠ بل انحدر هؤلاء الى مستوى الاثيوبيات وعاشوا فى أكواخهن المظلمة القذرة ٠ حتى اذا خرج الايطاليون سنة ١٩٤١ لقى أولاد هذا الزواج المختلط كل هوان ومذلة ٠

سادسا وأخيرا ـ القضاء على العنصر الوطنى :

فكان الفتك بالوطنيين يقع بالجملة فى مناطق عدة فى آن واحد ٠ ففى الثامنة من مارس سنة ١٩٣٨ جمع الايطاليون ستة من شيوخ قرية صغيرة شمال جوندار ، وذكروا لهم أنهم سيحملونهم الى روما لزيارة الملك ٠ وفى اليوم الثانى خرجت فتاة الى الغابة لجمع الخشب من أجل الوقود ٠ فوجدت جثث هؤلاء الستة مهشمة على الصخور التى تحف بمجرى النهر ٠ ومنذ هذا اليوم أصبح تعبير (الذهاب الى روما) رمزا للموت ٠

ولعل أفظع ما حدث فى سبيل هذا الهدف هذه المذبحة التى حدثت فى أديس أبابا فى المدة بين التاسع عشر والحادى والعشرون من فبراير سنة ١٩٣٧ ٠

فقد كان من عادة الأمبراطور السابق أن يوزع الاحسان على الفقراء يوم التاسع عشر من فبراير من كل عام ٠ فأراد الماريشال جرازيانى أن يجرى على نفس العادة ٠ فأعلن عن اجتماع بالميدان العام ٠ **وأقبل هو بموكب كبير يصحبه المطران المصرى الأنبا كيرلس** ، وكان الأعيان قد سبقوه وما كاد الاحتفال يبدأ ويقف الماريشال يلقى كلمته ٠ حتى سمع صوت انفجار مروع فكان صوت قنبلة زمنية قريبة من المكان الذى جلس فيه الماريشال

والمطران • فانطرح الضباط الايطاليون أرضا • ومرت برهة صمت يسيرة تحقق فيها الجميع أن ليست هناك قنبلة أخرى • قام الايطاليون على أثرها • ليخرج كل منهم مسدسه ويصوبه الى الأثيوبيين الذين أمامه • وبدأ هذه الحركة الضابط « كورتز Cortes » رئيس الشباب الفاشى وحذا الباقون حذوه فى سرعة عجيبة وفى أقل من دقيقة واحدة كان هناك أكثر من ثلاثمائة قتيل • وكان عدد الذين نجوا من المذبحة يسيرا • هذا بينما اندفع أصحاب القمصان السوداء ، الذين كانوا يحيطون بالمكان الى حيث يجدون شخصا أثيوبيا أينما كان ليطلقوا عليه الرصاص دون سبب ما •

وكان انفجار هذه القنبلة فى الساعة الحادية عشرة ، فلم تمض ساعة واحدة حتى كانت جميع شوارع أديس أبابا فى حالة ذعر تام ، فالدكاكين قد أغلقت ، والمواصلات قد أوقفت ، واجتمع أكثر من ألف من ذوى القمصان السوداء فى مركز النادى الفاشى برياسة كورتز ، ليتلقوا أوامره ، ولم يطل الاجتماع اذ خرجوا جميعا كاملى السلاح ليطلقوا الرصاص على كل من يقابلهم • وليشعلوا النار فى كل ما يظنونه من أملاك الوطنيين ، وليست هناك مغالاة مطلقاً اذا قيل ان الدماء قد جرت فى المدينة أنهارا •

ولكن هذه المذبحة النهارية لا تقاس فى قليل أو كثير بمذبحة الليل ، حين دارت السيارات الكبيرة لتجمع كل من يشتبه فيه من الوطنيين يحرسهم ذوو القمصان السوداء . وأية اشارة من أحدهم حتى وان كانت لطرد ذبابة من على وجهه كافية لارساله الى العالم الآخر •

ومن الطبيعى أن كل ملون كان موضع الشبهة • ومن بقى منهم حيا أوصل الى الساحة الكبرى أمام القصر الملكى الجديد (رسدست كيلو) حيث حرست مداخل الميدان • حتى اذا تجمعت السيارات أشعلت النار فيها بحمولتها من الآدميين ، ولذا سمى هذا الميدان عند عودة الحكم الوطنى بميدان الشهداء • وكذلك دارت فرق النار لتحرق ما تشاء من المنازل وفيها أهلها • ومن جرأ من أهل المنزل على الخروج أطلقت عليه النار لساعته • وفى خلال ذلك كانت السيارات الفخمة يركبها عدد من الضباط ذوى المناصب الكبيرة تجوس خلال الطرق ليشاهدوا ما لذ لهم من هذه المناظر • وكان المايشال جرازيانى ـ وقد حمل جريحا الى المستشفى الايطالى ـ يشاهد هذا كله من خلال زجاج نافذته ، فقد وقف أكثر من مرة ليمتع نظره بما لم يتمتع به أحد فى التاريخ الا سميه « نيرون » •

ولم يكن هذا التقتيل من نصيب الآدميين وحـــدهم ، فقد هجم ذوو القمصان السوداء أيضا على زرائب البقر ـ وهى أساس ثروة كثير من النـــاس ـ وأحاطوها بسـيول من البنزين وأشعلوا فيها النار ، ووقفوا بعيدا وهم يشاهدون ويضحكون ٠

وقد صرح أحد الأطباء الايطاليين من فرقة الصليب الأحمر ٠ بأنه كثيرا ما شاهد المعارك وحمل اليه الجرحى بالمئات ، فلم يفقد أعصابه ، ولكنه ازاء مأســـاة أديس أبابا فقـــد كل أعصابه ولعل أكثر ما حز فى نفسه ـ كما قال شعوره بالأمن فى وسط هذا اللهيب المشتعل والمجزرة التى لا تهدأ وشعوره أيضا ان أغلب هؤلاء القتلى لم يرتكبوا جريمة ما ٠ ولم يحملوا سلاحا قط ٠

ولم تكن الليلة التاليـة بأقل من الليلة الأولى ، ويقول أحـد من قضوا هذه الليـلة فى أديس أبابا ان خادمه الأثيوبى طلب منه أن يقضى الليل معه فسمح له ، وقد ظل هـذا الاثيوبى ساهرا طول الليل ٠ وهو ينظر الى السماء من خلال النافذة ٠ وقد حاول السيد أن يوجه اليـــه حديثا ، فلم يملك الخـــادم القـــدرة على الاجابة أو الرد ٠

وكان فى أديس أبابا قليـــل من رجال الطيران الايطالى ، الذين عز عليهم عدم اشتراكهم فى هذه المذبحة ولذا سعوا حتى أخـذوا أمرا بالقاء القنابل خلال الليلة الثانية ٠ على كل ما يحيط بالعاصمة ٠ فرسمت حلقة الموت حولها ، وظلت الطائرات تصلى المدينة قنابلها الثقيلة حتى الصباح

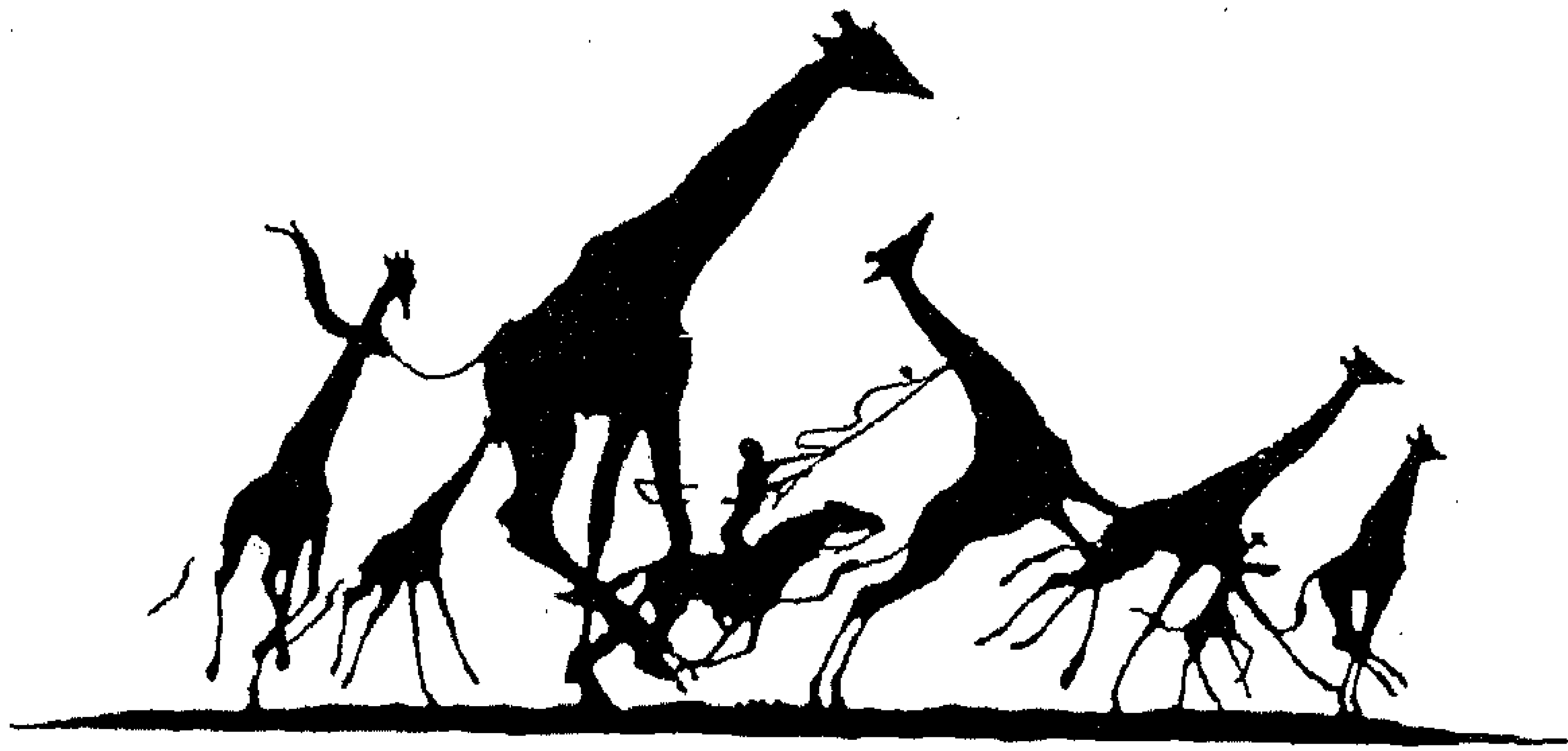
وفى اليوم الثـالث تكرر ما حدث فى اليومين السابقين ٠ ولم تهـــدأ الحركة الا مساء اليوم الحادى والعشرين من فبراير بحادثة فريدة فى نوعها ٠ اذ اجتمع فريق من الوطنيين فى كنيسة الأقبـــاط ، ووقف أمامهم الـكاهن الأثيوبى ، ووجهه الى المذبح حين دخل أحد ذوى القمصـــان السوداء ، وهو الســـنيور جاكينى ليخترق جمهور الأثيوبيين ، ويصل الى الرجل ويطعنه فى ظهــره بخنجر كبير ، بينما كان منحنيا على المذبح وبذلك انتهكت كل المقدسات الدينيـة المسيحية فى هذا العهـــد المســـيحى ، بل المتعصب لمسيحيته ٠

وبدأت موجات التفتيش بعد ذلك للبحث عن شىء ما ٠ ودخلوا منزلا وطنيا قريبا من كوبرى ماكونن فلم يجدوا ســـلاحا ٠٠ ولكنهم وجدوا صـــــندوقا من الصفيح به عشرة تالسبرات فأخـذوها ، واتجهوا الى الباب لينصرفوا لولا أن رأوا صـــورة الامبراطور فى احدى زوايا البيت ، فكان جزاء ذلك اشعال النار فى المنزل وأصحابه بداخله فاحترقوا أحياء ٠

وقد كتب أحد المسلمين فى جما الى الدكتور مارتن الذى كان ممثلا لأثيوبيا فى لندن حتى سنة ١٩٣٦ يقول : انها كانت لحظة سجدت فيها لله شكرا على أنى لم أكن مسيحيا · حين شاهدت بعينى يوم الأحد الماضى أحد الايطاليين البيض يدخل كنيسة القرية ، ويقرع جرسها · فأقبل المسيحيون اليها · وما أن تجمعوا أمام بابها · حتى خرج هذا الايطالى · ووقف عندالمدخل وظهره الى الكنيسة وركز مدفعه الرشاش فى سرعة وفتحه فحصد جميع القادمين ، كما كانت الأوامر الأولى لدى الايطاليين هى قتل كل من يحمل صليبا · فكانوا يلقون بالصلبان على الأرض ، حتى اذا انحنى الاتيوبى لالتقاطها كان رصاص الايطاليين أسرع اليه من كل شىء ·

ولعل أبلغ ما يعبر عن محنة الاحتلال الايطالى لاثيوبيا هذه المذكرة التى قدمتها الحكومة الاثيوبية الى مؤتمر باريس ، تقدر فيها قيمة الخسائر التى تحملتها البلاد بمبلغ ١٨٤٫٧٤٦٫٠٢٣ جنيها وعدد من قتلوا فى المعارك ٧٨٫٥٠٠ وعدد من قتلوا بالقنابل ١٧٫٨٠٠ **ومن مات فى مذبحة فبراير بثلاثين ألفا** · ومن قتلوا بأحكام عسكرية بعشرين ألفا · ومن قتلوا فى معسكرات الاعتقال · خمسة وثلاثين ألفا ومن قتل خلال حرق القرى بثلاثمائة ألف أى ما يعادل ٢٪ من عدد السكان أما نصيب المتعلمين فقد قدرت الحكومة الأتيوبية عدد المتعلمين الذين قتلوا ب ٧٥٪ منهم ·

وكان هذا واحدا من أفضال المدنية الأوروبية المتقدمة على أفريقية المتأخرة ·



النوادي الأفريقية بالقاهرة

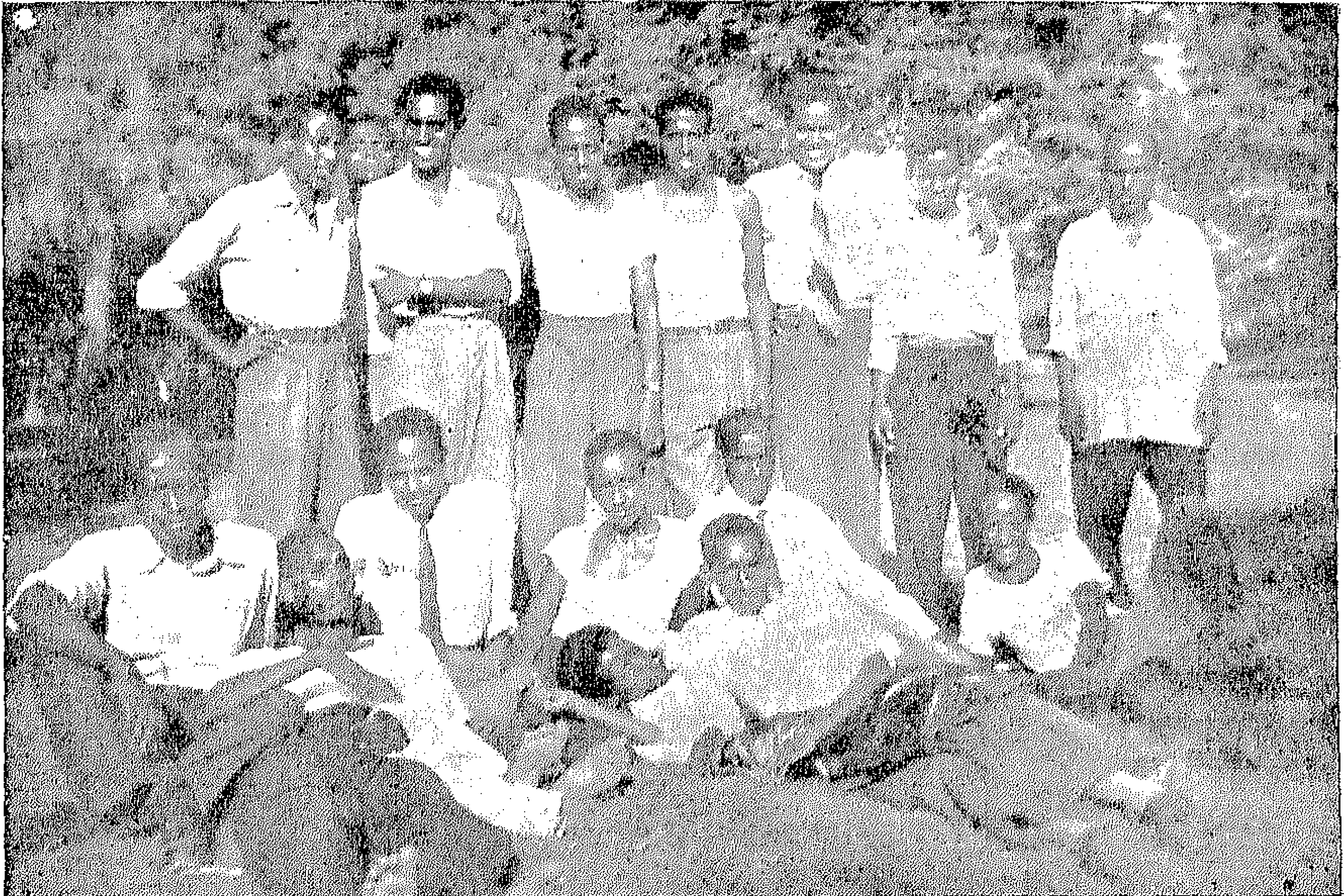
النادى الثقافى الأثيوبى :

فى شارع الجمهورية ، وعلى قيد خطوات من ميدان رمسيس يقع النادى الثقافى الأثيوبى ، الذى يعد من أهم النوادى الثقافية الافريقية فى القاهرة

فى هذا النادى يجتمع كل ليلة نحو خمسين عضوا من أبناء أثيوبيا ذوى الوجوه السمراء ، التى تبدو متفائلة بالمستقبل • وأول شىء يجذبك الى النادى الأثيوبى هوصوت الموسيقى الشعبية •

وأهم نشاط لهذا النادى يظهر فى تدريس « اللغة الأمهرية » اذ يتعلمها الأثيوبيون أنفسهم ، لأنها لغة البلاد الرسمية وهى لغة الدولة منذ القرن الثالث عشر للميلاد ، وتصاغ بها قوانين الدولة والمكاتبات الرسمية وغير الرسمية •

ومع أن بلادهم تنقسم الى اثنتى عشرة ولاية لكل منها لغتها الخاصة وعاداتها وفنونها ، الا أن الملاحظ أن الموظف والعامل والطالب جميعهم يواظبون على تلقى العلوم والدراسات باللغة الامهرية بجانب لغتهم الخاصة الأخرى •



أعضاء النادى الاثيوبى بالقاهرة فى رحلة خلوية .

وهذا النادى يضم ١٥٠ عضوا من طلبة الجامعات الثلاث والجامعة الأزهرية • ويرأس النادى السيد

والأمهرية ، تظهر مرة كل أسبوعين • ويشرف على تحريرها السيد عمران محمد رشيدى الطالب بالجامعة الأزهرية وعنوان هذه الجريدة «الزهرة الجديدة»



كلمة طريفة ، يلقيها طالب أثيوبى بالأزهر

سراج محمد ابراهيم الطالب بالجامعة الأزهرية ، كما يتولى سكرتارية النادى السيد محمد عبد الرحمن وهو أيضا طالب بالجامعة الأزهرية •

وللنادى أوجه نشاط أخرى فى النواحى الثقافية تظهر فى القاء المحاضرات ، وعقد الندوات الثقافية من حين الى آخر ، حيث تلقى قصائد الشعر الحماسية والشعبية ، وفى تحرير جريدة حائطية باللغتين العربية

وهو الترجمة الحرفية لكلمة « اديس أبابا » عاصمة أثيوبيا •

والواقع أن هذا النادى ليس الا نتيجة جهود متواصلة بذلها المثقفون الأثيوبيون فى مصر منذ أعوام طويلة ، لكى يوجدوا مكانا يجمع شملهم ويتيح لهم من ألوان التبادل الثقافى والفنى ما يصبو الجيل الأثيوبى المتوثب الى تحقيقه • وقد آتت هذه الجهود ثمارها فافتتح النادى وأخذ ينمو ويتزايد نشاطه ، ونحن نتطلع الى المزيد من هذا النشاط •

نادى هواة الصيد :

لأبنـــاء النوبة والـكنوز والسـودان

أهداف النادي :

١ ـ تيسـير رياضـة الصيد ، والارتقاء بها ٠

٢ ـ تحنيط الحيوانات والطيور ٠

يقع فى حى عابدين هـذا النـادى الشعبى الافريقى ، لهواة الصـيد من أبنـاء النـوبة والكنـوز والسودان ، ويعتبر بحق منافسـا لنادى الصيد المصرى ٠

ولقد وجدت هـذه المنافسة منذ العهد الملكى لاحتكار « نادى الصيد الملكى » يومئذ لأماكن الصيد الممتازة ومنذ قامت الثورة انتهز هواة الصيد من أبناء النوبة والسودان الفرصـة وحصلوا على تصريح لهم بانشاء ناد شعبى للصيد ، وبلغ عـدد الأعضاء مائة وثمانين عضوا ، منهم الهواة ، ومنهم المحترفون ومنهم الطلبة ٠

والرئيس الفخرى للنـادى هو اللواء عبد العزيز عبد الحى ، المدير السـابق لمديرية أسوان ، (وهو سودانى) ٠

أما الرئيس العـامل فهو السيد الحاج أحمد ابراهيم التاجر ٠

ومن أهم أهداف النـادى توحيد جهود الصيادين ، وتدريب الشباب على حمل السلاح ٠

وقد حصل النادى على جزء كبير من بركة قارون بالفيـوم ، ليقوم الأعضاء بنشاطهم هناك ٠

ومن أهم أوجه نشـاط النادى كذلك القيـام بالرحلات الى البحر الأحمـر ، والسويس ، والصـحراء الغربية والشرقيـة ، وبلاد النوبة والسودان ٠

وأهم الحيوانات التى يصـطادها الهواة : الغزلان ، والطيور والبط ، والحمام ، والسمان ، واليمام ٠

ومما هو جدير بالذكر أن النادى له معمل خاص بتحنيط الحيـوانات والطيور ، وهويقدمها هدايا للمهتمين بالدراسات الطبيعية ، وبخاصة طلبة المدارس والمعاهد العلمية والجامعات ٠

ايرين عبد السيد

في ذكرى الشهيد كمال الدين صلاح ...

وافق يوم الأربعاء ١٦/٤/١٩٥٨ ذكرى عزيزة على كل انسان فى القارة الافريقية فكل انسان أحس وقعها الأليم فى نفسه . واذا كانت قد اتخذت وقت وقوعها شكلا عنيفا مرعبا ، حتى لقد تحسس كل انسان فى نفسه المكان الذى طعن فيه الشهيد « كمال الدين صلاح» واعتبر أن ضربة الخنجر هذه قد أغمدت فى ظهر القارة كلها . . فان هذا الشعور الحاد قد أخذ شكلا استشهاديا عميقا . ومن هنا خفت النبرة الحادة . وشاع فى الجو معنى حزين متفائل يربت على المتألمين فى رفق وفى سماحة وظهر هذا المعنى واضحا فى كلمة السيد الأستاذ فتحى رضوان « ... ولكن الشيء الذى جعل لحياة كمال هذا المعنى الذى يضيء نوره فى القلوب هو أنه أراد أن يختم حياته الخاتمة التى تناسبه . وليس هناك خاتمة تناسبه الا أن يموت . يموت على هذه الصورة . لا يفكر فى أولاده . ولا فى زوجه ولا فى شيء آخر .. ولقد أحسن الى نفسه أعظم الاحسان ، فكلنا سنموت ، ولا يمكن أن ينقذنا من الموت مطلقا حذر أو احتياط . سنموت ولو تعددت الأسباب ، وتخلفت الأعمار .. ولكن العظيم هو الذى يختار لحياته العظيمة الخاتمة العظيمة ! » .

ولقد أحسنت «الرابطة الافريقية» — وهى النبض المنتظم للقارة فى مصر — حين دعت الى هذه الذكرى .

* * *

وما كاد يعلن الأستاذ محمد عبد العزيز اسحق عن افتتاح الحفل حتى تقدم الدكتور أحمد عبد الغفار ليلقى كلمة المؤتمر الاسلامى بالنيابة عن السيد أنور السادات الذى كان فى الاقليم الشمالى من الجمهورية العربية المتحدة .

وبدأ الكلمة بعرض حياة الشهيد داخل الاطار الافريقى العام ، فذكر أن الحوادث كانت دائما على ميعاد مع الشهيد ، وقد بدأت هذه الحوادث مع الشهيد فى القدس سنة ١٩٣٦ ، حينما كانت الثورة العربية محتدة فى فلسطين ضد الانكليز واليهود معا . ثم نقل الى اليابان والحرب الثانية مشتعلة ، ثم الى بيروت المحتلة بحكومة فيشى والتى كانت ملاذا للعرب الفارين من سيطرة الانكليز فى العراق وفلسطين وايران ، وكان بدوره يقدم لهم كل المساعدات الممكنة .

وكان هذا بالطبع لا يرضى الانكليز فطلبوا من الحكومة المصرية استدعاءه فحضر على مضض لأنه سيترك المهاجرين



السيد وزير الارشاد القومى يلقى كلمة الأسرة

العرب بلا نصير ، وفي مصر يقع اغتيال الدكتور أحمد ماهر باشا ويعتقل الأستاذ فتحي رضوان ، وحينما يذهب لزيارته يقبض عليه ثم يطلق سراحه ويلفى أمر نقله الى سان فرانسيسكو ، وينقل الى اليونان وفيها شاهد الحرب الأهلية بين أعوان الحكومة والشيوعيين ، ثم نقل الى عمان ليسهم في حرب فلسطين ، ثم الى دمشق ليعطل اصطدام تشرشل بالشعب السوري ، ثم الى مرسيليا التي كانت في هذا الوقت مركزا من مراكز نشاط الثوار الجزائريين . ثم الى الصومال حيث كافح الاستعمار والرجعية والحقد ووقع كجسد ليرتفع بعد ذلك كعلم كبير من أعلام التحرير في أفريقية .. ثم جاء في ختام الكلمة .. انه اذا كان المؤتمر الاسلامي قد استطاع أن يصنع شيئا للصومال ابتغاء وجه الله ومصلحة الصوماليين . فانما يرجع الفضل في ذلك الى كمال الدين صلاح ... وان معركة الصومال قائمة دائرة ، وان من يعتقدون أنها تخلفت فانهم في ذلك جد مخطئين ان معركة الصومال باقية لا تزال ...

* * *

... ثم تحدث الدكتور الخشاب فذكر معرفته بالشهيد من يوم كان طالبا في كلية الحقوق مولعا بأفكار عالمية سابقة على زمانها . منها عنايته بتنفيذ فكرة مؤتمر الطلبة الشرقيين . ثم قدم عرضا لبلاد الصومال وصلتنا القديمة بها فذكر أن قدماء المصريين كانوا على صلة شديدة بالصومال وأن نقوشا في «الدير البحري» توضح أن الملكة حتشبسوت كانت ترسل سفنا محملة بالبضائع الى بلاد بنط ومنها الى الصومال .

وأن رمسيس السادس كان من أشد الناس عناية ببلدين هما الصومال وشبه جزيرة سينا ، ثم خلص من هذه الصلة الفرعونية الى الصلة العربية فذكر أن العرب كانت لهم السيادة قبل الاسلام على البحر الأحمر وكذلك بعد الاسلام . وأن هذه السيادة لم تخرج من أيديهم الا في القرن الخامس عشر الميلادي — وأن بلاد الصومال بلاد عربية وأن بلاد أقسون كانت عربية خالصة وأن ملك الصومال كان ملكا عربيا وكذلك ملك أقسون .

وأن جاليات عربية كثيرة كانت تقيم في هذه البلاد مستقبلة التجار العرب ومهيئة لهم الحياة السهلة ، هذا بالاضافة الى روابط الدين واللغة . وخاصة أن هذه البلاد لم تنقطع صلتنا بها الا في القرن الخامس عشر أو بالتحديد سنة ١٤٨٣ حين استغل مرشد عربي مشهور هو « شهاب الدين » لاستكشاف بلاد الصومال .

وتعرض الدكتور الخشاب لموضوع اللغة العربية فقال « واستطاع كمال الدين أن يعرف ما يدبره الاستعمار

للغة العربية فقد حاربها حين فصل الوية الموصل عن تركيا وضمها الى العراق وعز عليه أن يتحدث أهاهـا باللغة العربية فأشار بأن تكون اللغة الكردية لغة الأكراد . وأن تكون اللغة الأشورية لغة الأشوريين ، وأن تكون اللغة الكلدانية لغة الكلدانيين . وكل أقلية فى بلد من البـلاد التى يظلها الاستعمار ينبغى أن تتحدث بلغتها . .

وفى الصومال شاهد كمال الدين صلاح هذه المعركة ضد اللغة العربية فحاول أن يفسد على الاستعمار سياسته ، وأن يبين للصوماليين أن الفكرة التى يستغلها الاستعمار وهى أحياء لغـة قديمة ليست الا فكرة اسـتعمارية خالصة ، وليست الا هدما للدين قبل أن تكون هدما للغة من اللغات . . . » .

. . ثم ذكر أن القتـل لا يقف فى سبيل القيم والمبـادىء الشريفـة .

« . . ومن قبل قتـل بعض الولاة المجوس عمـر بن الخطاب فاتسعت الدائرة الاسلامية بعد عمر ، وفتحت بلاد ودخل الفرس كلهم أو جلهم فى الدين الاسلامى ، واتسع الاسـلام اتسـاعا عظيما حينما قامت الدولة الأموية ، بل تطورت من دولة برية الى دولة برية وبحرية معا ، واستطاعت الدولة الأموية أن تتصل بالصومال وبغير الصومال عن طريق البحر . فالذين يظنون أن قتل الأفراد سيوقف التقدم يخطئون . . » .

* * *

. . . ثم تكلم الأستاذ أحمد بهـاء الدين فذكر أنه لم يعرف الشـهيد معرفة شخصية ولكنه أحبـه كفكرة للتحرر والنضال فى كل مكان ذهب اليه ، وأنه عاش معـه فى نضـاله ومذكراته حياة خصبة ناميـة ، ثم تحدث عن افريقية فذكر أنها القارة الوحيدة التى يوجـد فيها أربعـة وأربعون قطرا لا يتمتع بالاسـتقلال منها الا ثمانية فقط ، وأن بعض هذا الاستقلال مهـدد غير ثابت . وأنها تضم أبشع صور الاستغلال البشرى والتفرقة العنصرية . . . ورغم أهميتها الاقتصادية والاستراتيجية فهى تقع فى قلب العالم وتطل على عدد كبير من المحيطات . وتتمتع بثروات هائلة .

. . ثم ذكر أن الدور الذى لعبـه كمال الدين صلاح ذو شقين .

الشق الأول ــ هو الدفاع عن حقوق الصومال السياسية والاقتصـادية ، والعمل على تطبيق قرار الوصـاية تطبيقا سليما نزيها يصل بالصومال الى الاستقلال الحقيقى ، الخالى من الشوائب فى الموعد المحدد لذلك وهو عام ١٩٦٠ .

الشق الثـانى ــ هو الدفاع عن المقومات الأساسية لشعب الصومال . . وذلك بالاحتفاظ له بثقته فى نفسه ، وروحه المعنوية ، ومميزاته القومية . وهذا يبدو فى دفاعه المستميت عن حق الشعب الصومالى فى الحصـول على التعليـم الذى يريده ، والكلام

باللغة التى يريدها . وفى الوقوف ضد كل ما يمس كرامة شعب الصومال وكبرياءه . ومساواته المطلقة بسائر الشعوب والأجناس .

.. ثم تكلم عن محـــاولة البيض تدمير المقومات الافريقية . فذكر أنه فى جنوب أفريقية المشهورة بالمبالغة فى التمـــييز العنصرى وقـــف رئيس الوزراء يخطب منذ أيام قائلا :

« .. اننا نؤمن بأن الله قد وضعنا فى كعب افريقية الجنـــوبى لكى نقيم حضارة بيضاء . وسوف ندمر أية محاولة لخلطها بأى لون آخر .. » .

وقريب من هذا التدمير تصريحهم دائما بأن افريقية لا تحتاج الى تغييرات سياسية ، ولكنها فى أمس الحاجة الى تغييرات اجتماعية فقط . وأن الكفاءات اللازمة للحكم فيها غير موجودة . فاذا ترك الحكم لهم تحكم بعضهم فى بعض وضاعت التقاليد الديمقراطية بالاضافة الى تسرع حركاتهم .

وقد ختم الأستاذ بهاء كلمته ختاما رائعا بقوله « .. ان البطل يســـقط عادة وهو يحمل راية واحدة ، ولكن كمال الدين صلاح سقط وهو يحمل أكثر من راية : راية الصومال ، وراية الجمهورية العربية المتحـــدة ، وراية افريقيـــة ، وراية الأمم المتحـــدة ، فلا حزن ولا أسى ولا دمـــوع فى يوم ذكرى كمال الدين صـــلاح . ولكن تصميم وشجاعة وعزم . فقصـــة كمال الدين صلاح تمنحنا الشجاعة لا الحـــزن .. تمنحنا البـــداية لا النهاية » ..

* * *

ثم تحدث طالب صـــومالى فسرد قصـــة بلاده كاملة مع المستعمرين . وتعذب وهو يسرد القصة . فقد كان يعيش عذاب بلاده فى كل حـــرف . وكل كلمة .

* * *

ثم ألقى الأستاذ فتحى رضوان كلمة الأسرة بعد أن عمق هـــذه الكلمـــة وأخرجها من نطاقها الصغير الى النطاق الكبير الى الأسرة الكبيرة التى تضـــم البلاد العربية والبلاد الافريقية والبلاد التى تكافح من أجل الحرية ومن أجل حياة أفضل ومستقبل أعظم . وباسم هذه الأسرة الكبيرة أيضا حول المأساة الى شىء من التفاؤل الحزين ، فذكر الشرف الذى أضفته هذه الميتة على هذه الأسرة ، بل وصـــل الى معنى انسانى عميق فى قوله « ولو خيل لنا أن نختار وكان لنا أن نستشير أخانا كمال فيما يختار فلا أحسبه كان يشير علينا بأن نطلب الى القدر أن يطيل فى حيـــاته ، وأن يحرم من هذه الميتة المشرفة العظيمة التى ستكون ثروة لا لأولاده فحسب ، ولا لأمته المصرية فحسب ، ولا للجمهورية العربيـــة المتحدة فحسب . بل لهؤلاء الملايين الذين لا يزالون يكافحون فى ظروف شـــبيهة بالظروف التى كافح هو فى ظلها .. » .

فنحن هنا فى الشرق فى حاجة الى مثل عليا تبذل الوقت والمال والدم ، وفى حاجة الى الايمان بالشرق وقضاياه .. الايمان الذى يدعم السلاح ، ويصوب البندقية الى صدور أعداء الحياة الانسانية الشريفة الكريمة ، ولا يمكن أن ينبعث الايمان فى قلوب الناس الا حينما يرون بأعينهم مؤمنين لا يعبأون ولا يجزعون .. » .

ثم قص سيادته قصة مؤتمر الطلبة الشرقيين ، وان المؤتمر كان المقصود منه أن يكون للعرب ، ولكن كانت هناك حكومات استعمارية تمانع فى المؤتمر لو سمى التسمية الأخيرة ، وكيف سافر مع الشهيد الى دمشق وصور هذه المقابلة مع المواطن العربى الأول شكرى القوتلى .

« .. وذهبنا متأخرين بضع دقائق فوجدنا الرجل العظيم فى قامته الطويلة الفارعة ينتظر شابين صغيرين مجهولين . لا يعبأ بهما ، ولا يحتفل بوجودهما . ثم بعد ذلك بدأنا نشغل بما فى المصنع . أما أنا فقد قلت ما يقال فى هذه المناسبة ، وأما كمال التلميذ الصغير فقد انتحى بشكرى القوتلى جانبا ، وسأله هل يستطيع أن يشترى بضعة أسهم فى هذه الشركة؟ فقال له « حبا وكرامة » . ولم تكن معنا الا دريهمات قليلة أخرج منها كمال أكثرها ليساهم فى هذه الشركة. فلما عاتبته وقلت له « لا تزال لدينا فى رحلتنا أيام طويلة فكيف ننفق على أنفسنا ؟ قال « الله معنا » .

.. هذه الأسهم تدل على أن قلب كمال كان يعلم أن الجمهورية العربية المتحدة ستوجد ، وأن الدول العربية كلها ستتحد ، وأن هؤلاء الذين تفرقوا وبعثروا يمينا وشمالا يحاول الاستعمار أن يحطم وحدتهم ، وأن يمحو صفحتهم .. سيظلون كما كانوا كلا لا يتجزأ ، أمة واحدة لا تتفرق . تمثل ايمانا مضيئا مشرقا ليضىء الطريق لهذه الانسانية التى عذبت طويلا بفعل الغازات السامة فى الماضى ، وبالقنابل الذرية فى الحاضر .

سيعيش هؤلاء جميعا أمة واحدة ، أمة تقود هذه الانسانية الحائرة ، وتقود هذه الانسانية المعذبة الى طريق السلام والايمان والحب .

وعندما يتحقق هذا ولا بد أن يتحقق ، سنشعر بأن كمالا يعيش معنا وأن روحه ترفرف علينا ، وأن دمه لم يذهب عبثا . بل كان السطر الأول فى كتاب عظيم خالد ستقرؤه الأجيال القادمة . وهى تترحم عليه » .

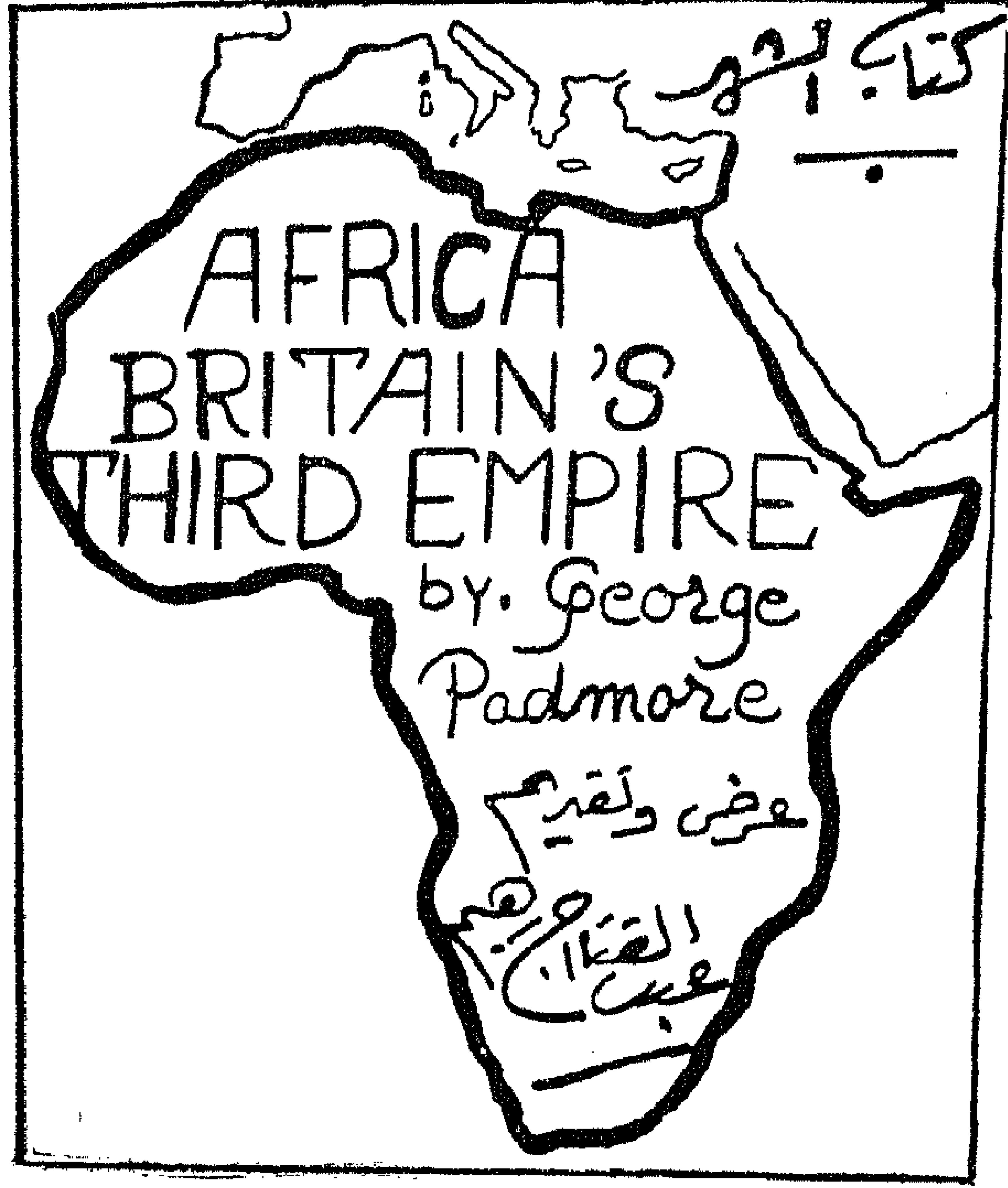
وانتهى الحفل الذى أقامته «الرابطة الافريقية » . فى دار نقابة المهن الزراعية .

بدون دموع . وبدون ألم . لقد انتهى بعزم جديد .

واصرار على أن ينال كل مكان فى افريقية حريته !

وسينال كل مكان فى افريقية حريته!

** بدوى**



ليس هذا الكتاب جديدا ؛ فقد نشرت طبعته الأولى الكاملة منذ ست سنوات أن لم تخنى الذاكرة ، ومع هذا فاننى أراه جديدا فى كل يوم ، فقد قرأته مرات على فترات من الزمن غير رتيبة ولا متصلة ، وكلما فرغت من تلاوته مرة عدت الى صفحاته الأولى من جديد ، وقد ازددت ثقة بأنه كتاب لا يجب أن تخلو منه مكتبة افريقى مثقف ، ولا يجوز أن يعترف مسئول ما فى قارتنا افريقية بأنه لم يقرأه ؛ ذلك لأنه يقدم دراسة طيبة لماضى وحاضر كتلة واسعة من الأرض على طول النطاق الأوسط بين شرقى أفريقية وغربيها ، ومن هذه الدراسة نستطيع أن نخرج باتجاهات هذه الأرض وشعوبها — على وجه أصح — فى المستقبل .

على أننى قبل أن أعرض للكتاب بالدراسة أجد لزاما على أن أقدم صاحب الكتاب للقراء ، فبادمور رجل عرف منذ فجر حياته بكراهيته للاستعمار ، وله عدة مؤلفات تكشف عن نظريته التحررية وتقديره لحقوق المواطنين الافريقيين أصحاب الأرض والغلات التى فى باطنها والتى تنبت على سطحها (١) ؛ ولكن جورج بادمور

(١) أهم المؤلفات :

Life and Struggles of Negro Toilers.
How Britain Rules Africa.
Africa and World Peace.
Africa and World Peace.
Whife Marl's Duty.
Hands Off Protetorates.
White Mans's Duty.

وقد قدم لكتابه الثالث السير ستافورد كريبس الذى وضع أول تقرير أدى الى خروج الانجليز من الهند .

يمتاز عن غيره من الكتاب الذين حاربوا الاستعمار — الاستعمار فى كل مكان — بأنه لم يكن انشائيا ، ولم يكتف بالحملة على الاستعمار ومهاجمة المستعمرين ، بل كان موضوعى البحث والدراسة ، فهو يعرض الحقائق ويحللها وينقدها ويعلق عليها ، ولهذا فان كتاباته تقدم وجهة نظر افريقية صحيحة خالصة ، ولو طلب من افريقى ان يكتب لايضاح ضرر الاستعمار وخطره لما كتب أحسن مما كتب بادمور .

ولكن الجديد فى هذا الكتاب أن الرجل قد جمع فيه كل دراسته العملية وكل خبرته من مشاهداته ودراساته ، متحدثا بأنه انما كتبه بدعوة من « مؤتمر كل افريقية » لدراسة مشكلة الاستعمار فى ضوء الأوضاع الاقتصادية التى استحدثتها وزارة الاستعمار الانجليزية فى أعقاب الحرب العالمية الثانية زاعمة أنها استهدفت تقدم البلاد المستعمرة ورفاهيتها ، ولهذا فقد أهدى بادمور كتابه الى رجلين من الرواد الغربيين الذين يدافعون عن حقوق الانسان الافريقى النبيل ، أولهما « بورجاردت دوبوا » المدير السابق لادارة البحوث الخاصة بتقدم الشعوب الملونة وعضو لجنة العلوم الأمريكية ؛ وثانيهما « كاسلى هايفورد » السياسى مؤلف كتابى « المعاهد الوطنية فى ساحل الذهب » و « حقيقة مسألة الأراضى فى غرب افريقية » .

ويمهد بادمور لكتابه بمقدمة ، أبرز ما فيها ايضاحه أن مسألة الاستعمار ترتبط وثيقا بالسياسة الخارجية ، وأن وزير المستعمرات (شريك صغير) لوزير الخارجية ، وهنا يلقى بادمور الضوء على الكتاب الأزرق الذى أصدره مستر بيفن وزير خارجية العمال من أن تنظيم غرب أوروبا يجب أن يدعم اقتصاديا على أساس التعاون الوثيق بين بريطانيا والكومنولث وممتلكات بريطانيا وفرنسا وهولندة والبلچيك فيما وراء البحار ؛ ذلك لأن هذه الممتلكات « فيما وراء البحار » تعتبر مناطق الانتاج والامداد الرئيسية للغذاء والقوى العددية والمواد الخام ، وأن هذه كلها يمكن أن تحول لنفع اهالى البلاد ولفائدة أوروبا ، والعالم كله ، فان غرب أوروبا لا يستطيع موازنة الدفع للحصول على توازن عالمى الا بأن يجمع كل موارد هذه البلاد الافريقية فى صعيد واحد وتحت ادارة متعاونة متحدة (!!!) .

على أن النظرة الى افريقية لم تكن اقتصادية فحسب بل كانت عسكرية أيضا ، فانه بالاضافة الى القواعد العسكرية والبحرية والجوية فى شمالى وجنوبى وشرقى وغربى افريقية كان الاخصائيون يرون ضرورة اعداد جيشين عدة كل منهما مائة ألف مقاتل فى شرقى وغربى أفريقية يكونان من المواطنين الافريقيين لمدة ثلاث سنوات منها ستة شهور فى تدريب مهنى ، مع اعداد وسط وجنوبى افريقية كمركز استراتيچى عندما يزداد مدى مرامى الصواريخ الموجهة ، وكانت كل هذه التدابير الاستراتيچية فى تقرير للبريجادير مكنزى استند اليها وزير المستعمرات البريطانى عندمناقشة مسألة المستعمرات فى مجلس العموم سنة ١٩٤٨ .

* * *

ويقسم بادمور كتابه الى أربعة أقسام :

يعرض فى القسم الأول المشكلات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية فى جنوبى افريقية وروديسيا ، وفى شرقى افريقيه ثم فى غربيها ، وكان بادمور موفقا فى عرضه الدقيق الأمين لحياة ثمانية ملايين افريقى لا يعاملون معاملة المواطنين ، بل معاملة الأتباع عبيد الأرض فى القرون الوسطى .

وينتقل الى القسم الثانى ليعرض صورتى الحكم : صورة الحكم « غير المباشر » فى ساحل الذهب ونيجيريا وشرقى افريقية وتنجانيقا واوغنده ، ثم صورة الحكم « المباشر » فى نيجيريا (أيضا) وسيراليون وغامبيا ووسط افريقية .

فاذا كان القسم الثالث عرض للمشروعات التى ظنت وزارة المستعمرات البريطانية أنها تصلح اساسا لرفاهية الشعوب الافريقية ، ولكنها فى الواقع أثارت شكوك الافريقيين الى أعمق ما يمكن ، وقوت من ايمانهم بأنه لا هدف لهذه المشروعات غير استغلال افريقية لصالح بريطانيا وصديقتيها فى غرب أوروبا : فرنسا والبلچيك .

ويوضح بادمور فى القسم الرابع كيف يواجه الافريقيون ـ الذين توافر لهم الوعى السياسى ـ تهديد الاستعمار الاقتصادى ، كما يوضح كيف أن تقاليد القومية الافريقية أعمق مما يظن الأوروبيون ، وأن ما حدث فى الهند وبورما وسيلان فى السنوات التى تلت الحرب العالمية الثانية هو الذى وجه الافريقيين الى الحركات التى تنادى بمبدا « افريقية للافريقيين » فى كل الأقطار الافريقية .

* * *

ويبدأ بادمور قسمه الأول بالحديث عن هجرات قبائل البانتو التى ظلت قرونا تندفع جنوبا من شرق ووسط افريقية ، وعن أثر هذا على السكان الأصليين من البوشمان والهوتينتوت : فقد جاء الرجل الأبيض لينازع البانتو السيادة ، واتجه (الرجل الأبيض) شمالا وشرقا من أرض الكاب : واستولى على الأرض الزراعية من الافريقيين بشتى ومختلف أساليب الاغتصاب ، كان هذا فى الماضى ، ولكنه لم يقنع بل ما زال يطمع فى المزيد ، فلما كان العصر الحديث عاد الى الاغتصاب مستندا الى قوانين تدعم سلطانه على الأرض ، وتمكنه من السيطرة على تحركات الافريقيين ، واصطنع البيض قوانين «الملونين» للمواطنين الافريقيين وفرضوا غيرها على الآسيويين الذين جىء بهم للقيام بالعمل الشاق المرهق فى المناجم ، ومن أجل مليونين وربع المليون من البيض يعيش بلا حقوق ـ بحكم القانون ـ تسعة ملايين وربع مليون من البانتو والآسيويين ؛ لأن الرجل الأبيض لا يفهم الكرامة الانسانية الا بأسلوبه الخاص !!!

ان سياسة (عدم المساواة) بين البيض والسود فى الكنيسة (!!) وفى الدولة هى حجر الزاوية فى سياسة الحكومة ، وتعترف بهذه السياسة كل الأحزاب السياسية من الاتحاديين والقوميين ، وحتى حزب العمال والحزب الافريقى ، وكانت أبرز وسائل تنفيذ هذه السياسة القهرية قوانين

الأراضى وهى القوانين التى مكنت من اغتصاب الأرض من الافريقيين الذين يعيشون فى المناطق الريفية وأرغمتهم على الاتجاه الى مناطق خاصة عرفت بمناطق « اللجوء » !!!

واستكملت الحكومة هذه السياسة القهرية بعدة قوانين استهدفت بهـا اضعاف اقتصاديات السود ، قد يكون أبسطها قوانين الضرائب بالرغم من فداحتها ، فالافريقى يدفع ضريبة لبناء كوخه ولتمهيد أرضه ، بل يدفع ضريبة للعمل أو للتعطل (!!) وعلى حين يدفع الأوروبى ضرائب العمل عندما يصل الحادية والعشرين فان الافريقى يدفعها عندما يصل الثامنة عشرة ؛ ولكن الأكثر امعانا فى القهر هو قانون (جواز المرور) : التصريح الذى يجب أن يحصل عليه الافريقى قبل تنقله من مكان لآخر ، من الريف الى الحضر ، أو للبقاء بعد العاشرة مساء فى مناطق الحضر ، ولم يمنح حق المرور دون هذه التصاريح الا ستة آلاف افريقى يعملون فى التبشير الدينى والتدريس وغيرهم من الأطباء وموظفى المصانع الكبيرة .

* * *

فاذا كان القسم الثانى من الكتاب عرض بادمور للحكم غير المباشر أى الادارة الوطنية ، وللحكم المباشر أى الادارة التى يقوم بها الموظفون المستعمرون . .

ويقصد بالحكم المباشر أن تكون أنظمة الادارة أنظمة مستحدثة ، وأن يتولى الاشراف عليها الرؤساء البيض ، فتقسم المنطقة الى أقسام وكل قسم الى أقسام أصغر ، وعلى رأس كل قسم موظف يجوز أن يكون من أهل البلاد فى المناصب الدنيا .

أما النوع الثانى ، وهو الحكم غير المباشر فيقوم على أساس الاعتراف بالجماعات الوطنية كأن تكون هناك قبيلة أو نظام قبلى فيناط بشيخ القبيلة بعض الشئون ، كالفصل فى القضايا أو الادارة المالية مثلا ، وبطبيعة الحال لا يستقل شيخ القبيلة بتلك الشئون ، وانما يعمل تحت اشراف مدير من البيض ، ولكن بهذه الطريقة يحتفظ للجماعات بشخصيتها ويستمال رؤساؤها أو شيوخها للانحياز الى جانب الادارة ، فيخضع الناس لرؤسائهم الطبيعيين ويختفى الحاكم الأجنبى بعض الشىء ، على أن الشرط الوحيد هو أن الشئون المحالة الى الجماعة يتم الفصل فيها طبقا للعادات والتقاليد ، فلا يحس الأهلون أنهم قد أرغموا على التخلى عن الأنظمة والعادات والتقاليد .

ويقدم بادمور فى مطلع حديثه عن الحكم غير المباشر أى الادارة الوطنية شخصية لوجارد الرجل الذى عمل كما عمل معاصراه ، سيسيل رودس وسير هنرى جونسون لضم مناطق واسعة فى شرق وغرب افريقية للامبراطورية ، على أساس أن هذا الغزو للبحث عن أسواق جديدة لسد الأسواق القديمة بالحواجز الجمركية ولأن ممتلكات بريطانيا القديمة قد باتت تنافسها تجاريا ، وكان لوجارد فى رأى بادمور هو راعى الحكم غير المباشر والداعى له والمنفذ ، وقد كان لوجارد مكرها على هذا ؛ ففى هذه

الأيام البعيدة كانت القبائل لا تزال تقف موقف العدوان من الحكم الاستعماري ، وكانت العصابات تعمل بعنف فيما وراء مراكز الحاميات العسكرية للمستعمرين ، ولم يكن من الميسور توافر الاداريين البيض ولا احتلال كل الأرض بسبب أخطار الأمراض فى المناطق الاستوائية ؛ فالاستعانة بالطبقات الحاكمة القديمة، والانتفاع بتقاليد الأمراء الوطنيين للحكم كانت ضرورة لا ابتداعا ، وكانت سياسة تنفيذية لسلطان الاستعمار أكثر من أن تكون احتفاظا بشخصية الجماعات الوطنية .

ويقدم بادمور صور الحكم غير المباشر فى «ساحل الذهب» و«نيجيريا» و « سيراليون » و « وسط افريقية الشرقى» وفى « تنجانيقا » و «أوغنده» وهى صورة لا تخرج عن السطور التى أوضح فيها نظام الحكم غير المباشر وفكرته ، ولكن أجمل ما فى هذه المرحلة من الكتاب حديث بادمور عن « الحكم غير المباشر والتطور القومى » .

وفى مطلع هذا الفصل من الكتاب يعرض بادمور « الحكم غير المباشر » من وجهة النظر الاستعمارية البريطانية، التى تقول بأن هذا الحكم «قليل النفقات وله أثره ، ثم أنه يساعد على الاتصال بكل الافريقيين مهما كان مدى تأخرهم أو تخلفهم بمعنى أدق » ، ذلك لأن بريطانيا كانت تستطيع السيطرة على منطقة من الأرض تماثل غرب أوروبا بعدد من الموظفين لا يزيد عن ألفين وخمسمائة موظف من البيض (!!) .

ولكن الصحيح أن بريطانيا كانت تظن أنها بهذه الطريقة ستجعل طبقة الحكام الوطنيين تعنى دائما بمصالحها، ومعنى هذا أن الطبقة الحاكمة دائما ستعطل تقدم الأهلين ليضمن أفرادها لأنفسهم البقاء .

وفى مثل هذا الحكم لا محل للمتعلمين .. ، وأصح ما يوصف به الحكم غير المباشر أنه حكم الجهال للجهال ، ولكن مع انتشار التعليم بين الجماهير ومع تطور المستويات الاقتصادية بحكم التطور العالمى كله الذى لم تعد منطقة بسببه بمعزل عن المستويات العالمية كلها — لم تعد الطبقة الحاكمة تستطيع متابعة سلطاتها القديمة الا باستنادها الى السلطان الاستعمارى .

ويقدم بادمور هنا ما جاء فى برنامج حزب العمال البريطانى عن هذا من أن السلطة فى الحكم غير المباشر لا يجوز أن تكون وسيلة للابقاء على أوتوقراطية رؤساء القبائل ومنع تعليم وتطور الافريقيين ، بل ان هذا الحكم يجب أن يستهدف اعداد الوطنيين لتكوين الحكومة المحلية ، كما يجب أن تتوافر وسائل تدريب الوطنيين وتأهيلهم لروح ومبادىء الحكم الديمقراطى الصحيح (١) ..

---

(١) « المستعمرات » سياسة حزب العمال لما بعد الحرب عن المستعمرات فى افريقية والباسفيك لندن سنة ١٩٤٣ .

ولكن العامل الفعـال عامل الوعى القومى ودور الشباب الافريقى المثقف فى المشكلة كان أقوى وأسرع من تخطيط حزب العمال البريطانى لاتجـاهات الحكم غير المباشر ، وهى اتجـاهات يحسن تخطيطها على الورق ، ولكن تنفيذها مسألة أخـرى ؛ لأن حكام المستعمرات الاداريين هـم عادة من المحافظين لا العمال !!!

فاذا ما انتهى بادمور الى القسـم الثالث من كتابه بدأ يناقش « التطور الاستعمارى ومحاولة العمل لازدهار الحياة الاقتصادية فى المستعمرات » ؛ والواقع أن بريطانيا وصلت فى ختـام الحرب العالمية الثانيـة الى حـال اقتصادية سيئة ، كانت قد فقـدت أسواقها القديمة ، وأضاعت كل نقدها الأجنبى ، وأثقلت بالديون ، وخلت المتاجر من البضائع الاستهلاكية التى تفتقر اليها الأسر للعودة الى مستويات الحياة فى الأيام التى سبقت الحـرب العالمية الثانية .

فكان من الضرورى اذن أن تبحث بريطانيا عن موارد جديدة للمواد الخام والأغذية : ولا سـبيل لهـذا الا فى امبراطوريتها الافريقية ، ومن ثم كان تشجيع المشروعات الزراعية الواسعة فى شرقى افريقية هو فى الواقع وليد حاجة بريطانيا نفسها .

ولكن جاء الى الميدان عامل جديد ، نجده أيضـا فى بيان وزارة خارجية بريطانيا العمالى عندما يقول :

« وان منظمة غرب أوروبا (!!) يجب أن تدعم اقتصاديا ، ولا يتطلب هذا كل معاونة ممكنة من الكومنولث فحسب بل من الممتلكات فيما وراء البحـار كذلك وبخاصة فى افريقية ، وليس من الممتلكات البريطانية وحدها ، بل من الفرنسـية والهولنـدية والبلچيكية والبرتغالية أيضا ، ان هذه المناطق فى افريقية وجنوب شرقى آسيا تعتبر مراكز الانتـاج الرئيسية ، وتتطور امكانياتها بسرعة ، مما يسـاعد على استمرار هذا التطور فى المستقبل ، ان فى هذه المناطق الكثير من المواد الخام والموارد والأغذية التى يمكن أن توجه للفائدة المشتركة للأهلين فى هـذه المناطق ، ثم لأوروبا ، بل للعالم كله . انه لا يوجد أى تضارب بين التطور الاقتصادى والاجتماعى لهذه الممتلكات فيما وراء البحـار وبين كونها مورد امدادات لغرب أوروبا ، وكل ما أود أن أشير اليه هنا لضمان هذا هو الموازنة فى « المدفوعات » .

فكان هـذا أسـاس مشروعات السنوات العشر فى نيچيريا ، وفى كينيا ، وكان عامل تكوين مؤسسة بنك باركليز لتمويل هـذه المشروعات باقـراض حكومات المستعمرات لعدم استطاعة المستعمرات طرح قروض محلية بين الأهلين الوطنيين والمستعمرين البيض على السواء ، لعدم توافر النقد السائل الذى يمكن استغلاله فى هذه المشروعات ، ونستطيع أن ندرك هذا بوضوح عندما نعرف أن نيجيريا قد قررت فى أول

مرحلة اقتراض ثمانيــــة ملايين من الجنيهات لتنفيـــذ مشروعاتها التى تضمنت :

● تزويد المناطق الحضرية والريفية بمياه الشرب لعشرين مليــــونا من السكان .

● انشـــاء الطرق والمواصـــلات التليفونية .

● اصلاح وسائل الرى .

● انشاء مؤسسات الكهرباء .

● توسيع الخدمات الصحية بما فى هذا انشاء المستشفيات ودور الحضانة ومحاربة الأمراض المتوطنــة كالملاريا ومرض النوم (١) .

● زيادة مساحة الأراضى الزراعية وأراضى الغابات والخدمات البيطرية .

وكان مشروع السنوات العشر لكينيا بالأسلوب نفسه وان كان كل الخلاف فى أن الجزء الخاص بالطرق قد نفذ ضمن المشروعات الخاصة بالقـاعدة العسكرية فى كينيا التى أنشئت أثر سحب بريطانيا لقواتها العسكرية من مصر والهند وفلسطين والسودان .

وهكذا يصل بادمور الى القســم الرابع والأخير من الكتاب ، وهنا كان لزاما عليــه أن يعرض الاتجــاهات القومية فى غرب افريقية وشرقيها فى أكثر من خمسين صــفحة كاملة من الكتاب .

وهو يفتتح هــذه الدراسة بما أستطيع أن أسميه « دعاء التحرير » :

« نحن سكان افريقية نصر على أن نتحرر » .

« اننا نطالب بالعلم . نطالب بحق الحصول على حياة لائقة » .

« اننا نطالب بحقنا فى التعبير عن آرائنا ومشاعرنا » .

«اننا لا نخجل من هذا الصبر الطويل الذى عشنا فيه . ونحن على استعداد لأن نتابع التضحية ، ولكننا لا نريد أن نتضور جوعا باختيارنا كى تستند الارستقراطية الزائفة والاستعمار الى فقرنا وجهلنا » .

« اننا نلعن الرأسمالية الاحتكارية . ونمتهن تحكم رءوس الأموال الخاصة. ونجرف بالصناعات التى تقام لصالح أصحاب رءوس الأموال وحدهم » .

« انـــا نرحب بالديمقراطيـــة الاقتصـــادية ، الديمقراطية الحقــة الوحيدة ، ومن أجـل هــذا سنشكو ونعمل ونجاهد لنجعل العـالم يلتفت لحقيقة أحوالنا ، وسنقاتل بكل وسيلة من أجل حريتنا ومن أجــل تقدمنا الاجتماعى » . .

والدعوة الى التحرر نتيجة للوعى القومى فى افريقية السوداء قديمة : بدأت فى ســاحل الذهب فى غـربى افريقية سنة ١٨٦٨ ، ودعت الى هذه الحقوق السياسية والاقتصادية ، ثم

(١) كان فى نيجيريا طبيب واحد لكل ١٣٣٫٠٠٠ من السكان وفراش واحد فى المستشفى لكل ٣٫٧٠٠ من الســكان ، ويجب أن نلاحظ أن أغلب ما جاء فى المشروع عن الخدمات الصحية نفذ بواسطة هيئة الصحة العالمية وهى احدى مؤسسات منظمة هيئة الأمم المتحدة «الكاتب»

كانت دعامة برنامج الحركات القومية فى افريقية كلها منذ فجر الربع الثانى من القـرن العشرين ، وازدهرت فى أعقاب الحرب العالمية الثانية .

وقدبدأت أولىآثارهذا الوعيالقومى فى مؤتمر اكرا فى مارس ١٩٢٠ م ، وقد انتهى المؤتمر الى عدد من التوصيات كان من الضرورى أن تعـرض على حكومة لندن ، وقد كان أبرز ما فيها :

- الحكم الذاتىللشعوب الافريقية .
- حق الانتخاب .
- الغاء تعيين الأعضاء للمجالس التشريعية .
- الفصل بين السلطة التشريعية والسلطة التنفيذية .
- انشاء محكمة للنقض فى غربى افريقية .
- حق محاكمة الوطنيين بنظام المحلفين فى الجنايات .
- زيادة سلطات المحاكم الوطنية .
- تعيين وعزل الرؤساء بواسطة الأهلين .
- الغاء الموانع لشغل الوظائف بسبب الجنس واللون .
- استخدام الأهالى الوطنيين فى الخدمة الطبية .
- تنظيم الهجرة الى غربى افريقية .
- انشاء جامعة فىغربىافريقية .
- ادخال نظام لانشاء البلديات فى غربى افريقية .
- يتم تقسيم توجولاند تبعا لرغبات الأهلين .
- اعادة النظر فى القوانين الخاصة بالمناطق غير المسكونة ، الغرامات الجماعية ، قوانين الجنايات .

على أنه بمجرد أن غادر وفد المؤتمر غربى افريقية بعث الحاكم العام الى وزير المستعمرات يخبره بأن الوفد لا يمثل الأهلين ، كما دفع الحاكم العام بعض الزعماء الى نزع الثقة من وفد المؤتمر .

ووصل الوفد الى لندن فصـدم بهذه الدعوى ، وعرف الأعضاء كيف يدافعون عن سمعتهم ، ويقدمون الأدلة التى تثبت حقهم فى التحدث باسم أهالى غـربى افريقيـة ، واكتسبوا عطف الكثير من الدوائر البرلمانيـة ، وانتهى الأمر الى أن قبل اللورد ملنر وزير المستعمرات مقابلة الوفد .

وقد رفض وزير المستعمرات جل الطلبات ، ولكنها كانت محاولة أولى لها ما بعدها !!

فقد بدأت الحركات السياسية فى سيراليون .

وقامت حركات الشباب فى نيجيريا والكمرون .

وانتشرت الدعـوة للاتحـادات التجارية .

وفى ربع القرن بين مؤتمر اكرا وبين نهاية الحرب العالميـة الثانية انتشر الوعى القومى فى كل مجتمع فى غربى افريقية ، وكان لهذا الانتشار صداه فى قلب القارة .

على أن الاتجاه القومى فى جنـوب وشرقى افريقية ، وبخاصة فى جنوب القارة قد أوجدته دوافع أخرى ؛ فان عوامل المنافسة والشقاق بين زعماء قبـائل البانتو ما كانت لتمكن من اتحاد النـاس فى صـعيد واحد يعملون لاتجاه واحد لولا الاضـطهاد

الذى لاقوه من البعض ، ولولا هـذه القوانين التى أصـدرتها الحكومات المتتابعة فى جنوب القـارة على تباين أحزابها مما أشرنا اليه فى بداية هـذا العرض عند الحـديث عن هجرات قبائل البانتو .

وقد بدأ أول تكتل قومى للبانتو فى سنة ١٩١٣ عنـدما بدأت الحركة للاحتجاج ضد قانون الأراضى ، وفى العام التالى سافر وفد الى لنـدن ، ولكن المهذبين فى وزارة المستعمرات أخبروا الوفد بأن البرلمان الانجليزى لا يستطيع حماية الافريقيين (السود) فى جنوبى افريقية ؛ لأنهم يعيشون فى بلد تحكمه حكومة لا سلطان للبرلمان الانجليزى عليها ؛ وفى سنة ١٩١٩ زار وفد آخر لندن وكان نصيبه كسابقه، ورجع وفد البانتو الى جنوبى افريقية اكثر حكمة وخبرة وتجربة ؛ فقـد عرفوا أنهم سبق أن عاونوا بريطانيا ضـد البوير ، ولكن بريطانيـا لا أصـدقاء دائمين لها بقدر ما لها من أعداء دائمين . وانها لمصالحها الخاصة لا تتردد عن التضحية بهم للتقرب الى البوير ، وأن عليهم أن يعتمدوا على أنفسهم ، والبانتو يتعلمون بسرعة ؛ ولهذا فانهم أنضج سياسيا من باقى الافريقيين .

وفى سنة ١٩٣٥ انتهى مؤتمر غير الأوروبيين فى جنوب افريقيـة (أى المؤتمر الذى ضم الجماعات الآسيوية أيضا) بوضع عشرة مبادىء لحقوق الانسان هى :

- حق الانتخاب لكل رجل وامرأة بعد الحادية والعشرين ؛
- التعليم الاجبارى لكل فرد حتى سن ١٦ مع وجبات غذائيـة مجانيـه ومع صرف الكتب والأدوات للمحتاجين .
- حرمة حرية الفـرد الشخصية وحرمة منزله .
- حرية الخطـابة والصـحافة والاجتماعات .
- حرية العمل والتنقل .
- المساواة بين كل الأفـراد دون تمييز ما بسبب اللون أو الجنس .

وفى ضوء ما ذكر

- اعادة النظر فى قوانين الأراضى .
- اعادة النظر فى قانون الجنايات .
- اعادة النظر فى نظام الضرائب .
- اعادة النظر فى تشريعات العمل .

ان قصة الكفاح فى جنوبى وشرقى افريقية قصة طويلة ، قلت أن بادمور قد قدم مبادئها فى خمسين صفحة من كتابه ، وحديثه حرى بالدراسة .. ولكن القصة نفسها والتاريخ للحركة وتطورهافيما بين الحربين العالميتين ، ثم فيما بعدهما حتى العصر الحاضر يتطلبان فى الواقع دراسة خاصـة تجىء وحدها خالصة للتاريخ للحركة القومية فى جنوبى القارة وشرقيها .



الافريقيون ليسوا كسالى

كان الاستعمار فى افريقية يصف أهلها دائمــا بالكسل ، والرغبة عن العمل . ناسبا ذلك الى المنـاخ تارة والى الجهل تارة أخرى ، وأحيانا الى وفرة الحاصلات الغذائية ، ولا سيما فى المناطق الاستوائية .

ولصقت طبيعة الكسـل بأذهان كثير من أبناء الدول الغربية باعتبارها احدى صفات الافريقيين .

غير أن كاتبا غربيا ، من الانجليز هو الكابتن « أور Orr » الذى قضى أكثر من عشرة أعوام يتجول فى المناطق الاستوائية دارسا طبـاع سكانها وعاداتهـم ، ذكر فى كتابه المسمى تكوين نيجيريا The Making of Nigeria ما يأتى :

« لقد حان الوقت الذى يجب فيه ابطال ذلك الزعم القديم الذى ذهب الى وصـف الافريقيين بالكسـل . فالافريقى لا يعمل الا اذا وجد لذة فى عمله ووجد تقديرا من رؤسـائه وتركوا له حرية السير فيما يعمـل مع تحمل المسئولية ، عنـدئذ يكون انتاجه مماثلا لانتاج أى شخص من أية أمة أخرى من الأمم التى تعد فى المرتبة الأولى .

أما اذا قيدت حريتـه ، وسلبت ارادته ، ونظر اليه أصحاب العمـل كما ينظرون الى آلة ميكانيكية فان السأم والملل يتسربان الى نفسه فيبدو كسولا ، وهذا أمر لا ينبغى أن يعتبر نقيصة بل هى طبيعـة البشر التى تتساوى ازاءها جميع الأجناس .

ولو أن العامل الافريقى كان على شىء من التعليم لثار وطالب بحقوقه كاملة » .

هل تعلـم ؟

أن اليزابث ملكـة الانجلـيز (١٥٥٨ — ١٦٠٣) كانت تتجـر فى الرقيق لحسابها الخاص ، وأنهـا شاركت جون هوكنس أعظم نخاس فى التاريخ ، وبعد أن أعجبت ببطولته رفعته الى مرتبة النبـلاء ، وجعلت شعاره رقيقا يرفل فى السـلاسل والقيود . ثم عادت فأعارته احـدى سفنها المسماة (يسوع) ليحمل عليها شـحناته الآدمية من افريقية الى انجلترا ، حيث يعـاد شـحنها الى أمريكا .

وقد بدأت ثروة انجلترا بهـذه التجارة الغبراء ، وكذلك بدأ عمران أمريكا على أيدى هؤلاء الأرقاء المساكين!

السنة الأولى

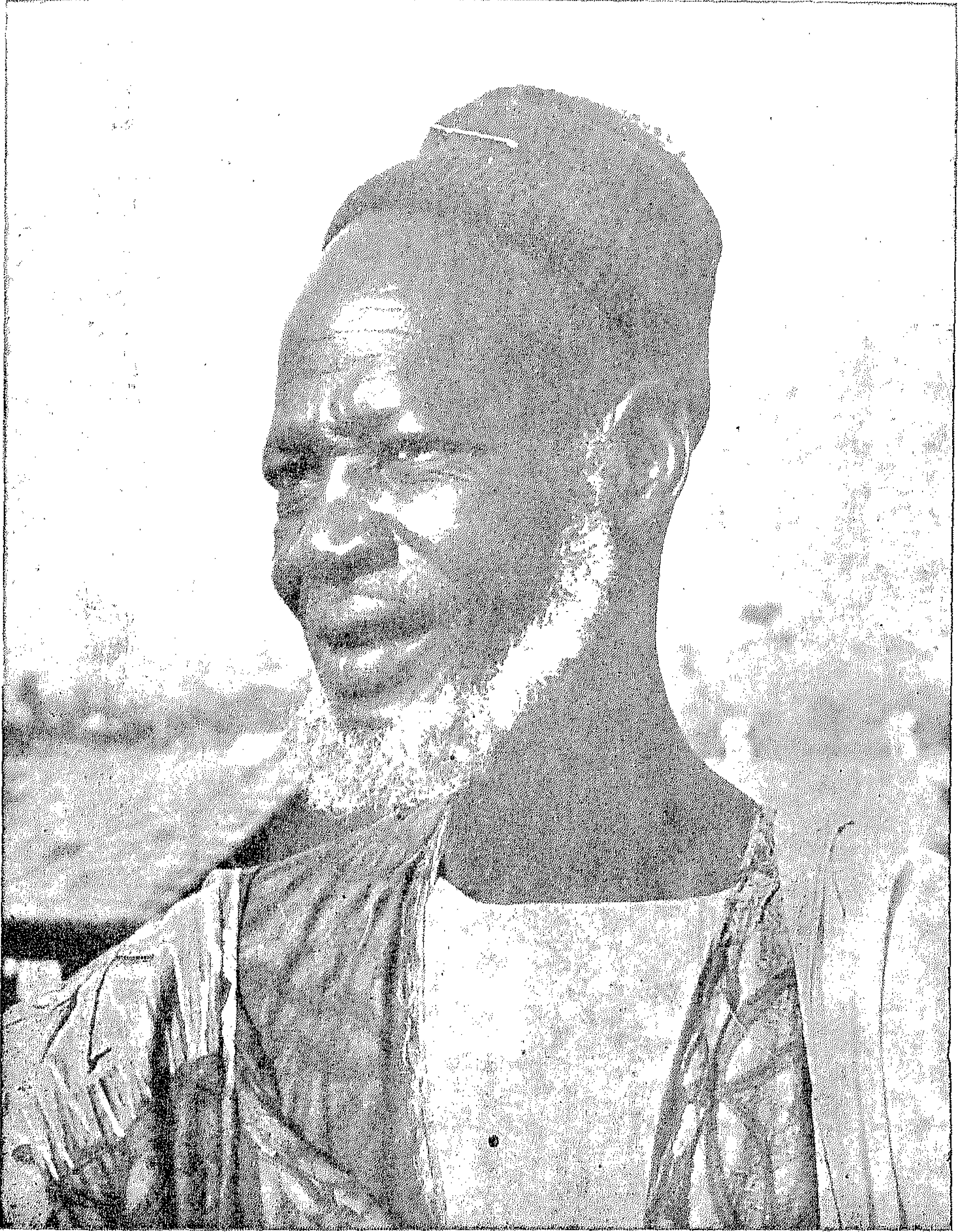
العدد الثامن يونيو سنة ١٩٥٨



نهضة إفريقية

في هذا العدد

عدد خاص
عن غانه



وجه من غانه

عدد خاص عن غانه الثمن ٣ ص

السنة الأولى العـــدد الثامن يونيـــو ١٩٥٨

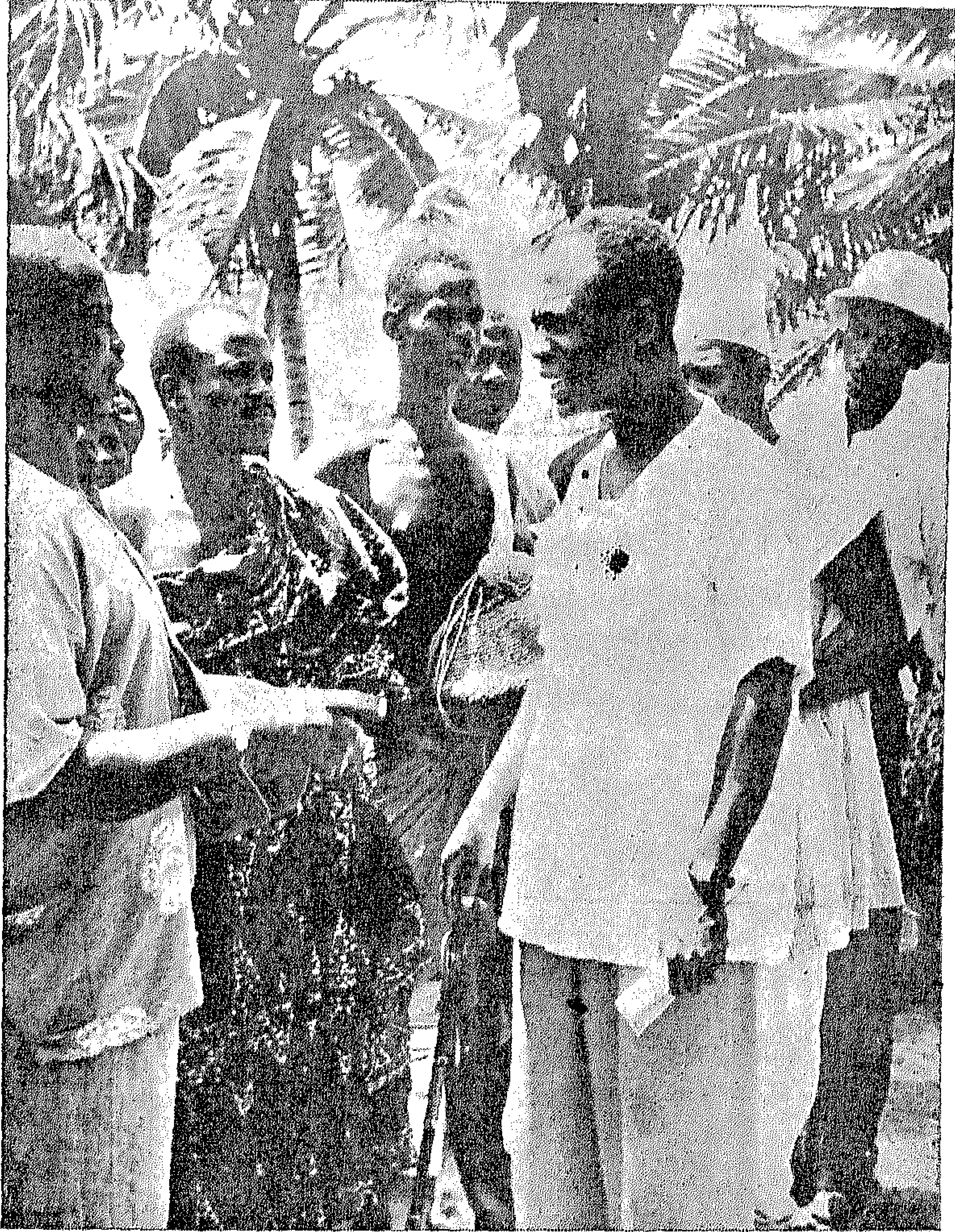


نهضة افريقيه

مجـلة شهـرية للثقـافة الإفـريقيـة

رئيـــس التحرير : محمد عبد العزيز اسحق

محتويات العدد



نكرومه مع ممثلي الشعب

حديث الشهر :

من أفكار نكرومه

للأستاذ محمد عبد العزيز اسحق

عندما وقف نكرومه فى المجلس التشريعى لساحل الذهب يطالب باصدار القرار بطلب الاستقلال تدفق فى محاضرة شاملة ، ننتقى منها هذه الومضات التى يعتز بها الإفريقيون فى كل مكان :

« ... ليكن الهدف فى مناقشاتنا الإقناع العقلى والمساهمة فى البناء ، ولتكن هذه المناقشات فى نطاق الأمة لا الطائفة ، وفى سبيل الوطن لا فى سبيل حزب من الأحزاب ، إننى أتمثل على الدوام قول أرسطو ، المعلم الأول : « إن المعرفة النظرية ليست ذات جدوى فى المجال العملى ، فليست الأهمية أن نعرف ماذا ينبغى أن نعلم عن الفضيلة ، بل الأجدى أن نستحوذ على الفضيلة ، وأن نمارسها بالفعل » .

وهكذا القول فى الحكم الذاتى «ينبغى أن نستحوذ عليه ، وأن نمارسه فعلا ... »

ان الأمثلة كثيرة على أن لحظة ما لا بد أن تعيد تاريخ أية أمة مستعبدة ، وهى اللحظة التى تجاهر فيها بشجاعة وإقدام بعزمها وتصميمها على أن تنفض عنها أغلال الاستعمار ، وأن تنعم بالحق الذى منحه الله لهـا فى التحرر من حكم الأجنبى .

إن الحرية التى نسعى إليها ، إنما نطلبها لأمتنا بأقسامها كافة ، وهى تراث نود أن نتركه لأولادنا ، وللأجيال التى لم تولد بعد ، ويحدونا أمل فى أن ترى تلك الأجيال نور الحياة ، وأن نعيش رجالا ونساء يكيفون مصيرهم ومصير بلادهم على ما يشتهون ...

إن مفاوضة الخصم حول المبادئ تقتل هذه المبادئ . إن المبادئ لا يصح تجزئتها أو الانتقاص منها ، فاما أن نحتفظ بها جميعها أو أن نفقدها كلها ، وإن أقل تهاون فى المبدأ نذير بالتراجع عنه والتخلى عن أهدافه ...

إن حق الشعب فى تقرير مصيره لا يمكن أن يقاس بمقياس اللون ولا بدرجة الرقى الاجتماعى ، إنما هو حق ذاتى لا تستطيع الشعوب أن تمارسه إذا تسلطت عليها قوى غاشمة طاغية . وليس من حق مخلوق أن يحرم الشعوب حريتها بأية وسيلة ولأى سبب ما ... وإذا كان لنا أن ننتخب مقياساً يؤهل

شعباً للاستقلال . فأنا أقول : «إنه تأهب هذا الشعب ورغبته فى حمل مسئولية حكم نفسه ... فمن ذا الذى يستطيع أن يقضى متى يحق له أن يستقل غيره هو نفسه ؟!

وكيف للغرب أن يقضى بأن الاستقلال قد حان أوانه ...؟

إن التاريخ لم يسجل أن حاكماً أجنبياً قد تفضل وقدم الاستقلال إلى شعب مستعبد على طبق من فضة ..!

إن بلادنا تتمتع بمجتمع مستقر واقتصاد سليم لا يقل فى سلامته عن أى إقليم فى مثل حجمنا ، وإننا لأفضل فى نواح كثيرة ، من كثير من الأمم المستقلة ... وإمكانياتنا واسعة المدى ، وشعبنا فى صميمه متجانس ، ولم يصبنا قط وباء الطائفية الدينيــة أو القبلية ، ثم قبل كل شىء ليس عندنا تعصب الألوان ، بل إن تراثنا الاجتماعى يتنافى تنافياً تاماً مع التفرقة العنصرية ...

لقد استطاع أجدادنا منذ قرون طويلة أن يشيدوا امبراطورية شامخة ، شيدوها قبل أن تكون لبريطانيا أية أهمية فى الوجود ، وقبل أن تتجمع قبائلها فى شعب موحد ، وظلت هذه الامبراطورية قائمة ، تظلها أجواء الحضارة من « تمبكتو » إلى « باماكو » إلى شاطئ المحيط ... وكان بها العلماء والفقهاء تحوطهم الاحترام والتبجيل ، ومن حولهم شعب « غانه » رافلا فى أثواب المخمل والحرير يصوغ صناعه أفانين الذهب والجواهر والفضة والنحاس . وتنتج أناملهم أروع أنواع النسيج ... وهذا ما يجعلنا نزهو باسم « غانه » ... إننا لا نزهو به لأسباب شاعــرية « رومانتيكية » وإنما لأنه مصدر الوحى والإلهام ، لما نتطلع إليه من حضارة ومكانة فى مستقبل الأيام .

« .... إن من المجدى أن نتأمل ماضينا الباهر ، وكما أن المستقبل ينجم عن الحاضر فان الحاضر قد تجمعت روافده من الماضى ... ونحن لا نخجل من ماضينا فانه يشع علينا فخاراً ... وإن ما أنجزه أجدادنا من نجاح وتقدم اجتماعى ليمنحنا الثقة بأنناقادرون على أن نواصل ذلك النجاح ، ونولد منه مستقبلا وضاء ... ونحن لا نقيس النجاح بصليل السلاح ، وإنما نقيسه بالنضج الاجتماعى ، وروح المحبــة والموادعة والسلام .... إننا نمقت الحرب ونكره القوة الغاشمة ...

إن الذين نعتبرهم أبطالا ، فى مستقبل بلادنا ، هم الذين يحاربون الأفكار الصدئة التى تفرخ الرذائل ، والتى تولد الكراهية والخوف والهمجية . ... هم الذين يقودون أمتنا من

تفكك العبودية وشتاتها ، إلى وادى النور . حيث تنمو العزيمة ، وتثمر الجهود . وتزكو المحبة، وتزدهر الإنسانية التى طال حديث الأوروبيين عنها . ولم يصنعوا فى سبيل صونها شيئاً ...

... إن من واجبنا أن ننحنى فى احترام لأجدادنا الذين وضعوا أسس تقاليدنا القومية . ولأبنائهم الذين كافحوا فى سبيل تحقيق حريتنا . وهيأوا الفرصة لنيل هذا الاستقلال ... ولا ننسى أن نعتز بجهادنا الحالى وإبائنا وإصرارنا على أن نطرح عن كاهلنا نير العبودية » .

«... إن من حق أى شعب أن يحصل على استقلاله . وأن يحكم نفسه بنفسه ... أو لم يحكم أجدادنا أنفسهم قبل أن يجىء الرجل الأبيض إلى شواطئنا ...؟

ان القول بأهلية شعب لحكم نفسه وعدم أهلية شعب آخر . ما هو إلا تفكير الاستعمار .. الاستعمار الذى يؤمن لمصلحته بالتمييز بين الأجناس فى حين يقرر علماء الحياة أنه لا يوجد على الأرض شعب متفوق وشعب متخلف . وقد اتخذنا لأنفسنا شعاراً : إلى الأمام على الدوام ! ولا خطوة واحدة إلى وراء ! »

« .. نحن مخلوقات بشرية . وقد ارتكبنا وسوف نرتكب كثيراً من الأخطاء . ولكننا سوف نجهد أنفسنا لنستفيد من أخطائنا ومن أخطاء غيرنا من الأمم والشعوب ... على أننى أقرر أن ما سوف نرتكبه من خطأ إنما يعنينا وحدنا . وأنه من حقنا نحن أن نتلمس له وجه الصواب ... »

هذه لمحات من تفكير نكـــرومه السياسى الذى وهب من خصوبة العقل ما جعل حصيلته من الثقافة الإنسانية تزكو وتؤتى ثمارها ، وتتبلور على صورة عملية واقعية ، حينما تمسك بيديه مصير بلاده ويوجهها ببصيرته الملهمة فى خضم الأعاصير . ومعميات السياسة العالمية .

جالية عربية فى غانه

فى غانه عدد كبير يقدر بالآلاف من اللبنانيين وأبناء الإقليم الشمالى للجمهورية العربية المتحدة . وحين نالت غانه استقلالها كان الذى تولى إقامة الزينات والألعاب النارية والصواريخ رجل عربى من لبنان .

دراسة تحليلية

القومية الأفريقية

للدكتور محمد رياض

القومية الافريقية اصطلاح جديد فى قاموس السياسة العالمية ، ومفهومه ما زال أمراً غير متفق عليه بين إخصائيي إفريقية ومشكلاتها فى العالم الغربى . إننا نجد حركات قومية من مختلف المستويات ومختلف الدرجات فى أنحاء متفرقة من إفريقية ، ولكن أحداً لم يتفق على مفهوم هذه الحركات .

قال بعض إنها ليست بحركات قومية بالمفهوم المصطلح عليه ، وحاول آخرون أن يقولوا إن لهابعض مميزات الحركة القومية المعروفة ، وقسم بعض آخر الحركة القومية فى إفريقية إلى أقسام ، وربط بعض هذه الأقسام بما هو متعارف عليه فى الغرب من مفهوم للاصطلاح ، وقال بعض منهم إنها حركات قبلية أو قوميات إفريقية تقليدية . ووسط هذا النزاع المنهجى والفلسفى عن المفهوم والمدلول والمصطلح تقف الحركات القومية الإفريقية حقيقة واقعة تسيطر على جو النزاع ، وتتطور وتنمو وتجذب إليها المؤيدين ، وتشتد فى مناطق فتهدم بعض عمد النظم الاستعمارى ، وتنضج فى مناطق أخرى ، فتنفض عنها الاستعمار ، وتخلص قوية مستقلة كما حدث فى غانه .

— ١ —

قسم جيمس كولمان James (١) Coleman الوضع فى إفريقية إلى أربعة أقسام هى :

١ — دول إفريقيــة مثل ساحل الذهب (غانه) ، نيجيريا ، سيراليون ، أوغندا ، توجولاند تحت الوصاية البريطانية ، والكمرون ، تحت الوصاية البريطانية . وأهم مميزات هذا القسم أن البلاد تنادى بالحكم الإفريقى وإنشاء دول إفريقيــة ، وبالتالى تبرز فيها الأحزاب السياسية .

٢ — أقاليم منضمة إلى اتحادات أوروبية إفريقية مثل أقاليم إفريقيــة الغربية الفرنسية وإفريقية الاستوائية الفرنسية . وتمتاز هذه الأقاليم باختفاء

(1) J. Coleman, "The Emergence of African Political Parties in Africa Today" New York, 1956, pp. 225-256.

المطالبة بالحكم الافريقى ، وعلى العكس نجد اشتراكاً ومساهمة بين المستوطنين والإفريقيين فى التنظيمات السياسية فى كل من المستعمرات والدولة الأوروبية المستعمرة .

٣ — دول إفريقية كثيرة السلالات والمجموعات الجنسية مثل اتحاد وسط إفريقية ، وتنجانيقا ، وكينيا . وتمتاز بوجود مجموعتين جنسيتين على الأقل غير مندمجتين داخل الإقليم الواحد ، وتمتاز أيضاً باختفاء المطالبة بحكم إفريقى . والحكم فى هذه البلاد فى أيدى جماعات قليلة من غير الإفريقيين ، وبذلك تسود المنظمات السياسية غير الإفريقية .

٤ — أقاليم لا توجد فيها أحزاب سياسية مثل المستعمرات البلجيكية والبرتغالية والإسبانية ، وهنا لا نجد أحزاباً سياسية سواء من ناحية الأهالى أو المستوطنين .

كذلك يميز كولمان بين ثلاثة أشكال للحركات الإفريقية ، ويقول إن هذا التمييز غير محدد تماماً ، وهناك تداخل بين الأقسام الثلاثة :

١ — جماعة الضغط ، وهى مجموعة صغيرة تحاول الضغط على الحكومة القائمة لتعديل بعض قوانين أو نظم معينة لصالح الطبقة التى تمثلها هذه المجموعة ، مثل نقابات العمال وغرف التجارة ، واتحادات المزارعين .. الخ .

وسلاح هذه الحركة هو المطالب والالتماسات . وبذلك لا يقوم هذا التشكيل بأى هدف سياسى ، نتيجة الخروج عن نظام الحكم القائم فى المستعمرات .

٢ — حركات القوميين ، وهذه تدخل ضمن نطاقها الجماعات السياسية المنظمة بغرض إقامة حكم ذاتى إفريقى مثل حزب CPP (حزب الدكتور نكرومه (Convention People's Party) عام ١٩٥٠ ؛ أو المطالبة بمساواة تامة فى الحقوق السياسية مع المستعمرين ، داخل مجموعة الدول الأوروبية الإفريقية ، مثل (Rassemblement Démocratique Africaine) فى مستعمرات فرنسا أو داخل مجتمع مركب مثل الاتحاد الإفريقى فى كينيا ، وهذه الحركات تهدف فى النهاية إلى تقريب المصير ، وبالتالى إخراج الأوروبيين . وهى بذلك تعادى الوضع القائم فى المستعمرات ، وأسلحتها كثيرة ، منها المطالبة بالتعديلات الدستورية ، والاجتماعات العلنية ، والإضرابات والمقاطعة والإثارة .. الخ .

٣ — الأحزاب السياسية ، وهذه أحزاب قائمة على نفس أسس الأحزاب السياسية فى العالم ، وتشترك فى الحملات الانتخابية والدعاية وإدارة الحكومة ، وهى تقبل الوضع الراهن فى المستعمرات ، على الأقل فى الوقت الحالى .

... البقية فى صفحة ٦٢ وما بعدها

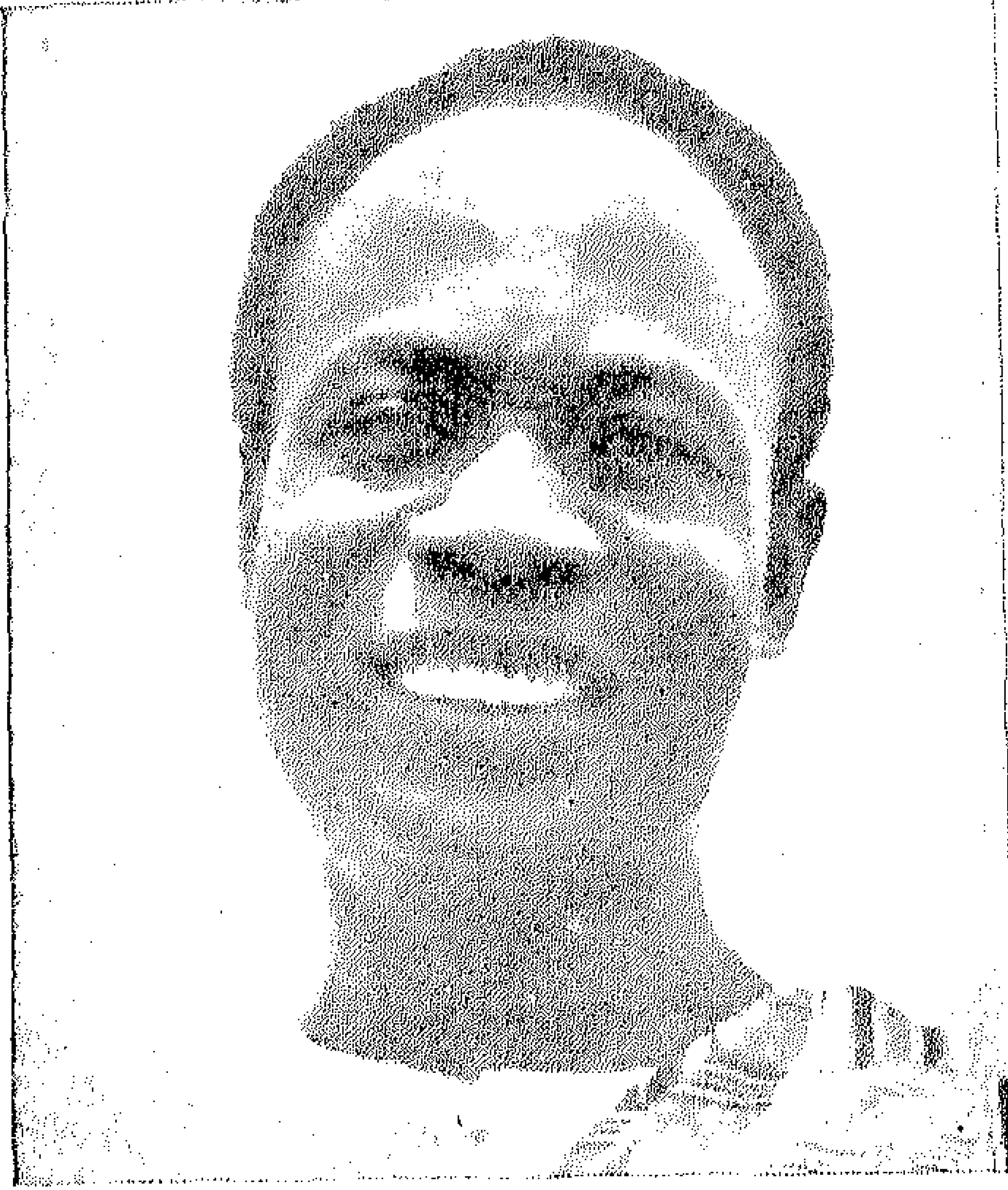
مرحباً نكرومه

للأستاذ محمد فهمى

يزور العاصمة الآن السيد « كوامى نكرومه » رئيس وزراء غانه وينزل ضيفاً علينا . والمحقق أن هذه الزيارة ذات مغزى عظيم ، بالنسبة لمبادىء الحرية والتعاون . وبالنسبة لمستقبل هذه المنطقة الحية من العالم . فغانه بلد مكافح ؛ كافح فى مثابرة حتى تحرر . وغانه بلد متعاون كريم البذل . لا يعمل من أجل نفسه فحسب . بل من أجل إخوته فى إفريقية كذلك . وغانه إلى جانب ذلك كله بلد بناء يبنى بلاده وينميها بفهم ذكى ، على أسس من النظام الذى يدقق فيه دون تزمت . ويسير بخطوات متئدة لكنها رزينة ثابتة نتيجة درس متعمق .

انظر إليه ؛ هذا البلد الفتى المخلص — وقد دعا الدول الأفريقية المستقلة لتتعارف وتقوى أواصر التعاون العملى المدرك بينها ، ثم تتشاور فيما بينها فى الذى يمكن أن تعمله من أجل الأخوات الإفريقيات ، اللائى ما يزلن يرزحن فى أثقال العبودية الظالمة . ثم انظر إليه وقد كشف لضيوفه فى « مؤتمر الدول الأفريقية المستقلة » عن مدنية بارزة المعالم .

ونحن إذ نرحب بالسيد كوامى



نرحب بشعب كريم يمد يده فى إخلاص ليتعاون أوثق تعاون مع إخوته الأقربين فى نطاق التعاون العالمى الكبير ؛ منمياً أواصر المودة . مدعماً صلات الثقافة والتبادل الفكرى . ولا ينسى مع هذا أن يبذل ويعمل من أجل الأخوة المتخلفين .

— إن معالم حضارة جديدة تبزغ من حيث نشأت الديانات والشرائع . على هذا العالم المجهد التعس ، الذى فقد الثقة فى كل شىء وكفر بكل شىء ؛ حضارة ترتكز على الإخلاص والإيمان والأمل ، حضارة قوامها الصدق ؛ الصدق فى التعاون والعمل من أجل الآخرين ، ومن أجل سلام البشر !.

أنا عائد من غانا

بقلم الأستاذ صلاح الشاهد

أسعدتني الظروف بالذهاب إلى غانه . لأقدم هدية الحكومة المصرية للسيد رئيس وزراء غانه بمناسبة زواجه من مصرية . وغانه تقع في منتصف ساحل إفريقية الغربي ، ويبلغ تعدادها حوالي ٤.٥ مليون نسمة ، ويعتبر جو غانه من ألطف أجواء المنطقة الاستوائية . فدرجة الحرارة لا تتعدى ٣٢ درجة في آخر شهور السنة . ولكن الرطوبة ١٠٠٪ ، والأمطار تستمر طول السنة تقريباً ...

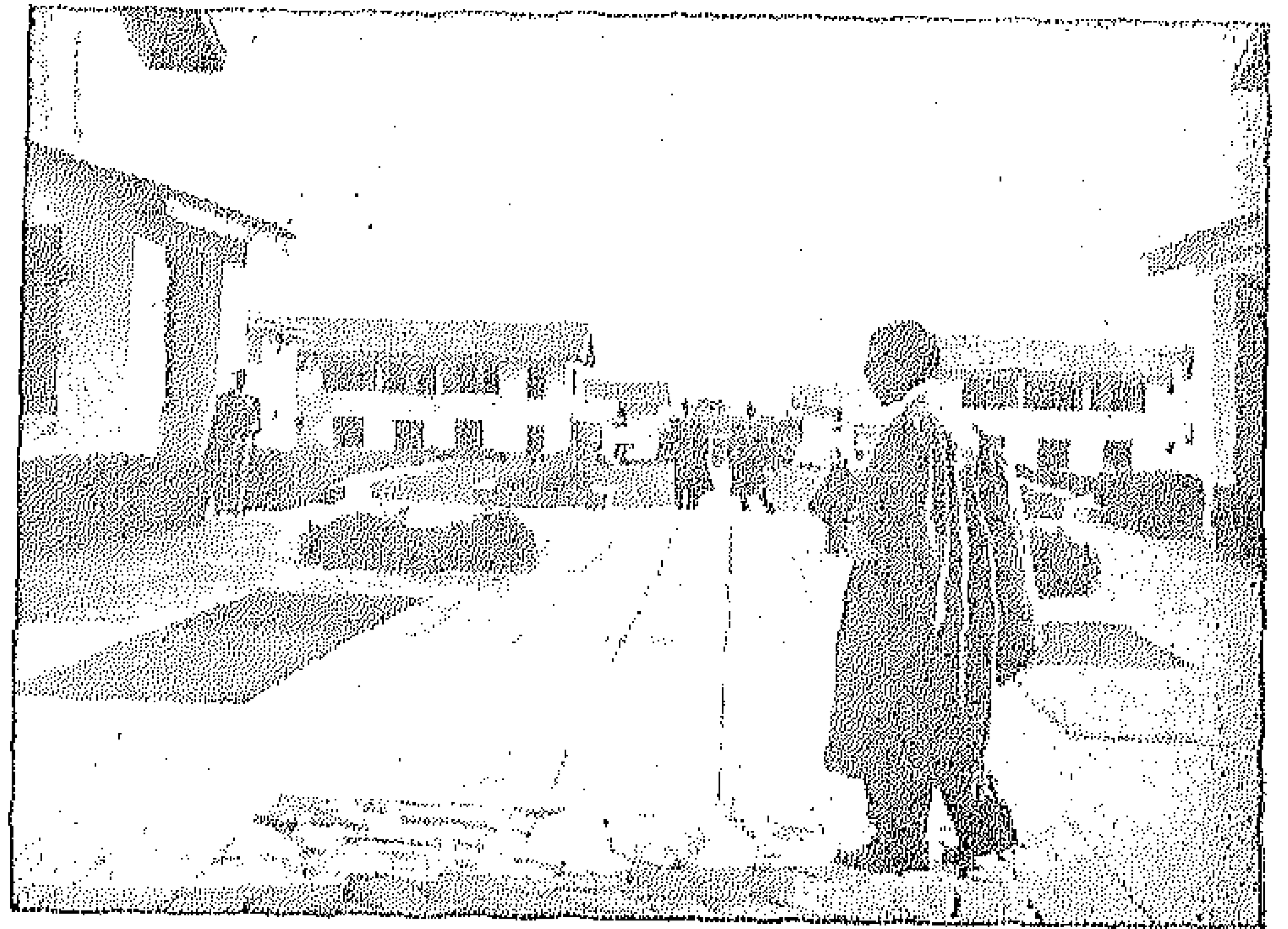
ورغم أني لم أمض المدة الكافية في غانه ، إلا أنني لاحظت أن المجتمع الغاني يجمع بين القديم والحديث . ففي المناطق الداخلية يعيش جماعة من الأهالي لا يزالون على الفطرة ، وفي الوقت نفسه نرى المناطق الساحلية يغلب على سكانها الطابع الانجليزي . وإن كانت عند الشعب جميعه ظاهرة الاستعداد للتقدم ، والأخذ بأسباب الحضارة ، فالحياة في العاصمة لا تقل عن الحياة في أية مدينة أخرى ، واللغة الرسمية هناك هي الانجليزية ، أما في الأقاليم فتوجد لهجات مختلفة تختلف باختلاف الأهالي والأقاليم ..

على أن غانه ليست حديثة عهد بمجد ، فقد كانت فيها امبراطورية قديمة ظلت محتفظة بحضارتها مئات السنين . حتى قضى عليها المستعمر الأوروبي ، ولكن ها هم عادوا مرة أخرى إلى مجدهم القديم ، بعد أن قضوا حوالي نصف قرن يطالبون بحقوقهم ، ففي عام ١٩٢٥ منح الحاكم الانجليزي دستوراً جديداً لساحل الذهب أعطى فيه لأول مرة حق الانتخاب للأفريقيين ، وأثناء الحرب العالمية الثانية أقام الانجليز قواعد عسكرية وجوية في هذا القطر ، وجندوا الكثير من الشباب ، وأرسلوهم للقتـــال في أفريقية الشرقية والشرق الأقصى .

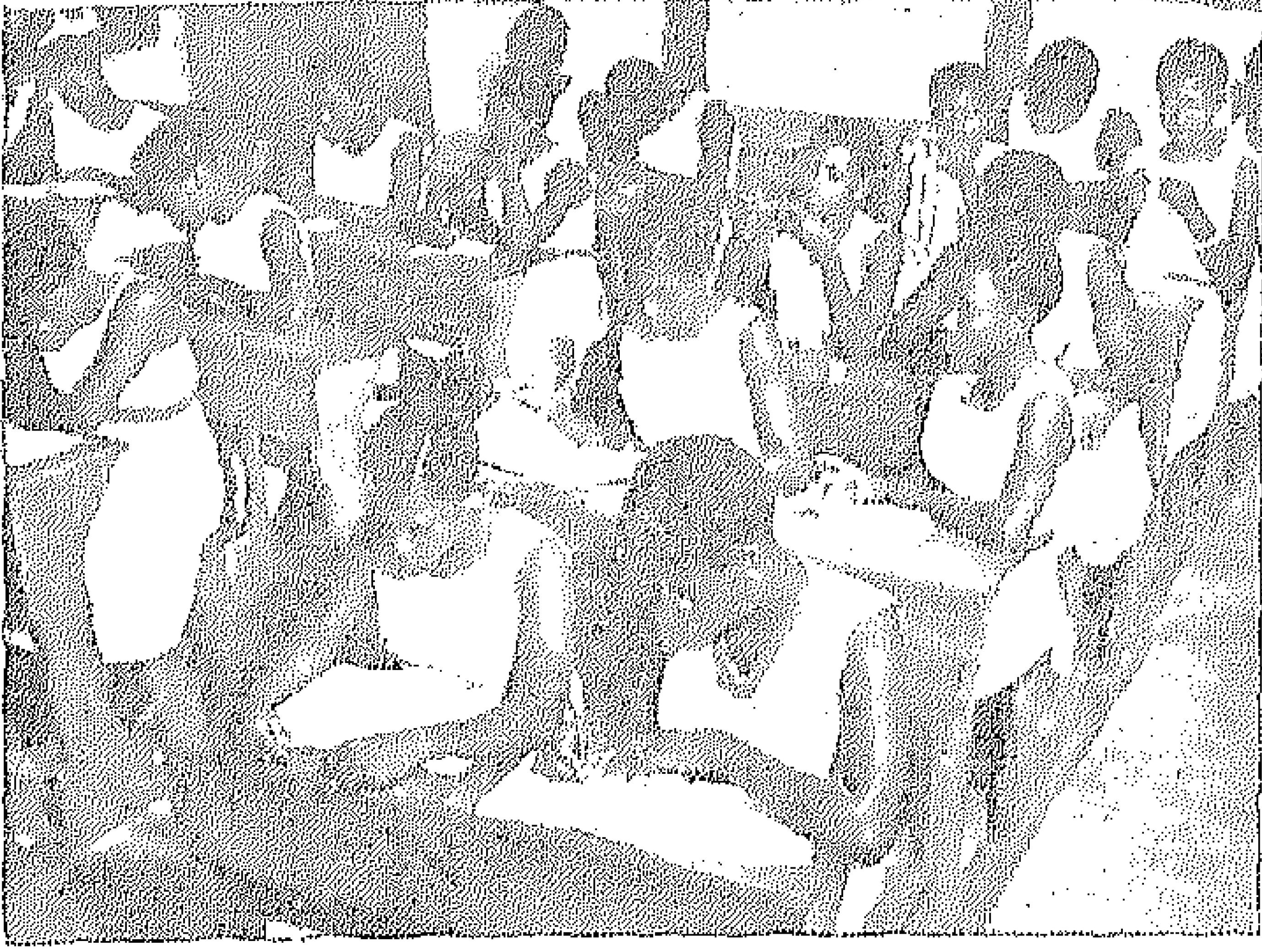
وقد أتاحت هذه الحركة الفرصة لبعض الأهالي ، ليقلدوا مناصب إدارية وفنية ، ويكتسبوا خبرة عسكرية ، ويستردوا شعور الثقة بالنفس ويتعرفوا وسائل الدعاية ، ومع هذا لم يفكر الشعب في إحداث ثورة أو فتنة داخلية

ضد الانجليز . وفى عام ١٩٤٦ منحت بريطانيا (ساحل الذهب) دستوراً جديداً احتفظ فيه الحاكم بادارة الأقليم فثار الأهالى . وتألفت الأحزاب ، وانضمت إليها العناصر الوطنية ، وفى عام ١٩٤٧ و ١٩٤٨ بدت مظاهر سخط الأهالى بسبب الأزمات الاقتصادية ، وارتفاع الأسعار والبطالة ، فقاطعوا التجارة الأوروبية ، وقاموا بالمظاهرات مطالبين بالاستقلال ، وفى النهاية أخمدت الثورة ، ونفى بعض الزعماء ومنهم « نكروده » .

وهكذا استمرت الحركات الوطنية إلى يناير عام ١٩٥٠ حتى رغب الحاكم فى مفاوضة نكرومه ، ولكن الزعيم نكرومه تمسك بحقوق البلاد ، ولم يتفق مع الانجليز إلى أن جاء يوم ٧ مارس ١٩٥٧ ، فنالت غانه استقلالها بفضل الرئيس نكرومه الذى ظل يكافح ويجاهد حتى حرر بلاده ، ومن كلماته المأثورة : «ادفنونى حياً إذا عجزت عن الحصول على الحكومة الذاتية لساحل الذهب ! »



الكلية الجامعية بأكرا



تلاميذ من غانه

.. وفى غانه يسير التعليم بخطوات واسعة ، ولذا تضاعف عدد الطلبة الموجودين بالمدارس بمعدل مرتين ونصف فى السنوات الخمس الأخيرة ، وأنشئت فى « أكرا » مدينة جامعية تقع على حوالى ٣٠٠ فدان بها كليتا الحقوق والآداب ، ومساكن للطلبة والأساتذة والعمداء . أما باقى الكليات فتوجد فى بلاد أخرى فى غانه ... والصحافة فيها مزدهرة ومعظمها يصدر فى « أكرا » وكذا فى مدينة « الحماس » عاصمة الإقليم الشمالى .

وقد تبادلت الجمهورية العربية المتحدة وغانه التمثيل الدبلوماسى كما أوفدت بعثة اقتصادية للتعرف على سواق « غانه » وعادت البعثة بتقارير تثبت أنها نجحت النجاح المقصود .

ولا شك أن المعاهدة الجديدة سوف تكون معواناً على توثيق هذه الروابط بين البلدين .

استقلال غانه

للدكتور جلال يحيى

حصل « ساحل الذهب » على استقلاله بعد ثلاثة قرون من الاحتلال الأجنبي ، والاستغلال الاستعماري ، وسمى نفسه باسمه الأصلي « غانه » أي البلاد الغنية .

وإن نجاح هذا الشعب الإفريقي الصغير في الحصول على استقلاله ليرجع إلى أسباب داخلية وأخرى خارجية ودولية .

ويمتاز القرن العشرين بأنه فترة انهيار الاستعمار ، نتيجة لنمو الوعي القومي السياسي والاقتصادي عند الشعوب التي خضعت للاستعمار . كما يعتبر فترة تضعضع للدول الاستعمارية القديمة ، نتيجة لحربين عالميتين ضروسين ، ولازدياد قوة الأحزاب اليسارية في تلك الدول .

نما الوعي القومي في نفس الوقت الذي ضعفت فيه الدول الاستعمارية ، وأنتجت الشعوب المستعمرة من القادة من يستطيعون السير بها في معركتها التحررية ويستطيعون كسب تلك المعركة لها أمام شيوخ الاستعمار . وكان هذا هو ما حدث في غانه بعد الحرب العالمية الأولى . ويتبلور بوضوح بعد الحرب العالمية الثانيـــة بظهور كوامي نكرومه على مسرح السياسة الإفريقية وعلى رأس حزب « الوفاق الشعبي » .

درس كرامى نيكرومه النظريات السياسية ونظم الحكم في انجلترا وأمريكا وكان رد الفعل الطبيعي هو أن يصبح من ذوي الدراسات اليسارية التحررية .

أقسم أن ينتزع الحكم في بلاده من أيدي المستعمر لكي يضعه في أيدي الوطنيين ، ولكنه لم يكن في ذلك متحيزاً لجنس معين بل منادياً بتحرير الإفريقيين دون بغضاء ولا كراهية للغربيين . أخذ في تنظيم صفوف حزبه مستفيداً في ذلك من نتائج تجـــارب الأحزاب السياسية المعاصرة في بلدان كثيرة ، ولكنه أعلن في الوقت نفسه أن برنامجه برنامج اشتراكي .

نجح كوامي نكرومه في أن يكتل صفوف الشعب وراءه وأصبحت شعب الحزب نشيطة حتى في أصغر القرى . وأخيراً شعرت انجلترا بأن « تكتيك » الحزب سيكلفها كثيراً دون أن تحصل على نتيجة مرضية .

أشهر كوامي نكرومه سلاح المقاطعة السلبية في وجهه المستعمر ، وكانت انجلترا قد ذاقت الأمرين من تطبيق

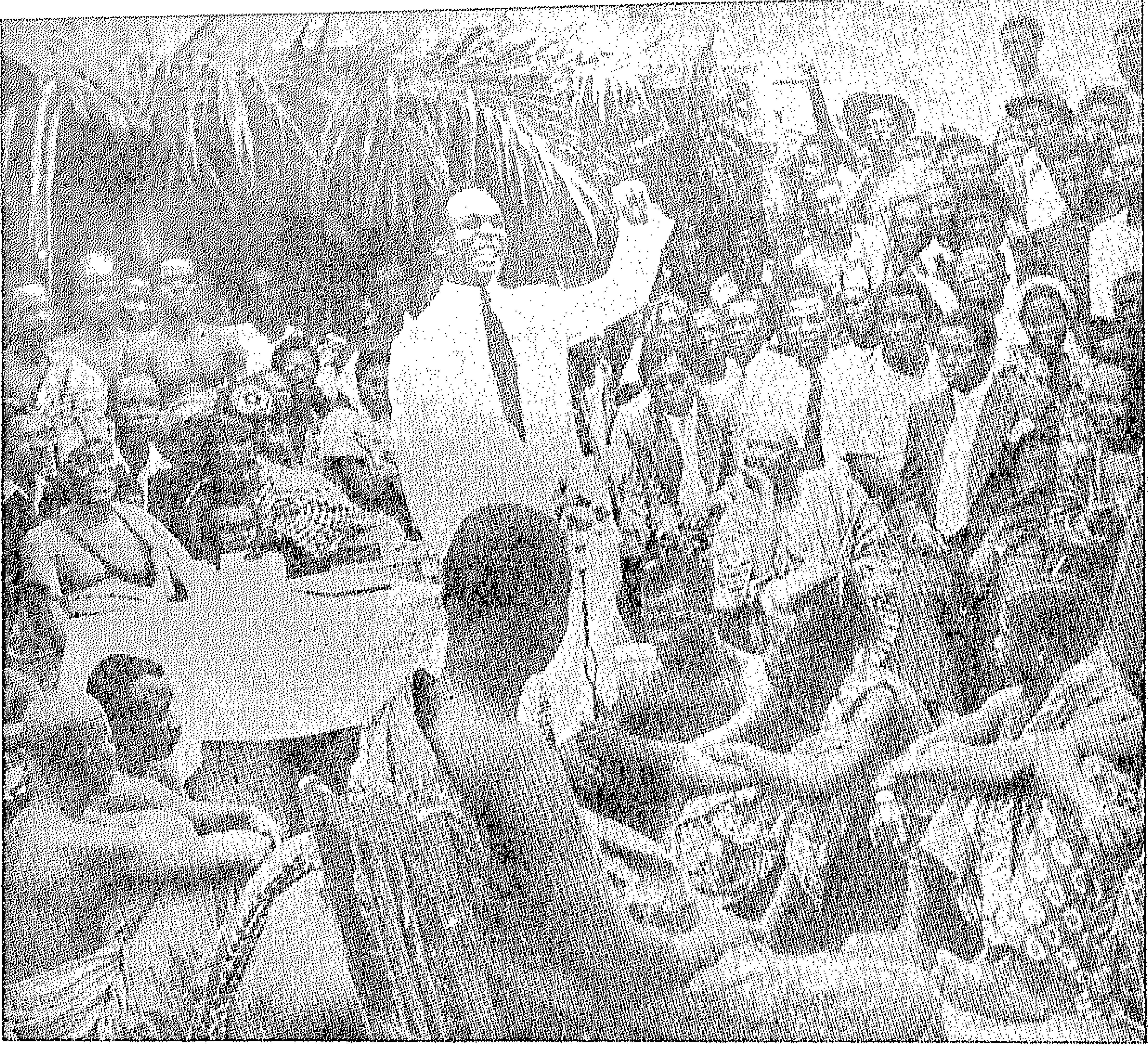
غاندى لهذا النظام فى الهند . ولم تكن انجلترا لتستطيع التعلل بوجود أقليات أوروبية أو دينية تتطلب الحماية فى غانه، فلم يكن لها من المستعمرين البيض عدد يستحق الذكر، وكانت ترغب فى الوقت نفسه فى تطبيق تجربة جزئية على إحدى مستعمراتها الإفريقية الصغيرة وكانت ترقب نتائجها قبل أن تطبقها على مستعمرة أكبر . أرادت انجلترا معرفة نتائج اشتراك الأهالى (٤,٥ مليون نسمة) فى إدارة شئون بلادهم فى غانه قبل أن تفكر فى المرور بالتجربة نفسها فى مستعمرة أخرى، مثل نيجيريا يبلغ سكانها ٢٢ مليون نسمة . وأخيراً أرادت انجلترا أن تظهر بمظهر دولة تساعد الأهالى الوطنيين فى المستعمرات على الوصول إلى إدارة بلادهم بأنفسهم، ولم يخف على أحد أن انجلترا كانت تخشى من أن تفلت أزمة الأمور من أيديها، وتضطر إلى ترك البلاد بغير رجعة.

عرضت انجلترا على ساحل الذهب دستوراً يشرك الأهالى فى إدارة شئون بلادهم، ولكن التطور الطبيعى ونضج الزعماء الوطنيين أجبر انجلترا على الاعتراف باستقلال غانه ودخولها عضواً فى الدومنيون .

كان لإعلان استقلال غانه تأثير خاص على كل من الدول التى ترقب إفريقية بمنتهى الاهتمام .

أما الولايات المتحدة الأمريكية فانها كانت تعرف جيداً أهمية الموارد الإفريقية لدول الغرب فى السلم والحرب. وتعرف أهمية تحسين علاقاتها مع بلدان تلك القارة . كانت الولايات المتحدة الامريكية ولا تزال تحلم بأنها الوارثة الطبيعية للمستعمرات الانجليزية والفرنسية فأخذت تشجع تلك الدول على الظهور بمظهر التحرر مع المستعمرات هادفة بذلك إلى إخلاء الجو لنفسها . وكانت تخشى من أن يدب اليأس فى قلوب الإفريقيين فيتحولوا إلى الشرق لكى يحصلوا على حريتهم . أخذت الولايات المتحدة الأمريكية تدفع بانجلترا إلى سياسة التحرر السياسى مع المحافظة على امتيازات اقتصادية وسياسية ثم جاءت بعد ذلك لكى تعرض المعونات الاقتصادية التى تخفى وراء كرمها اشتراطات سياسية . ولكن تفتح أذهان الإفريقيين يحول اليوم دون التفريط فى أى حق من الحقوق التى حصلوا عليها بعد جهاد واحتلال داما بضعة قرون .

وأما فرنسا فانها خشيت من إعلان استقلال غانه، نظراً لجوارها للمستعمرات الفرنسية . وإن نجاح الإفريقيين فى إدارة شئونهم فى أكرا يهدم نظريات الفرنسيين القائلة بأن سكان الجزائر مثلا لا يستطيعون حكم أنفسهم بأنفسهم، وإن هجرة عدد من سكان السودان الفرنسى والسنغال إلى غانه للعمل فى المناجم والمزارع يساعد على نشر الآراء التحررية بعد رجوع هؤلاء الأهالى إلى بلادهم. وقد رضخت فرنسا بطبيعة الحال لتلك السياسة التى قبلت انجلترا



نكرومه يخطب

أن تطبقها فى غانه ولكن على مضض

وهكذا أعلن استقلال غانه وجاءت كل الدول مهنئة به، ووصل إلى أكرا بعض الروس معلنين ابتهاج بلادهم بالاستقلال دون أن يذكروا علانية ابتهاجهم بافلات إحدى المستعمرات من يد انجلترا، وأملهم فى رؤية بقية المستعمرات تفلت من أيدى الدول المستعمرة .

وأخيراً وليس آخراً كان هناك ممثلون لبلاد إفريقية أخرى نعمت بالاستقلال منذ زمن مثل السودان ومثل مصر

أخذ أبناء غانه يسيرون دفة أمور بلادهم فى المحيط الدولى، وكان من الطبيعى أن ينضموا إلى كتلة البلاد الإفريقيـــة الآسيوية ، وأن يؤيدوا أمانى أبناء تلك البلاد ومطالبهم العادلة للوصول إلى الحرية والاستقلال .

إن سياستهم هى سياسة الحيـــاد الإيجابى ، وإن عداءهم للاستعمار والاستغلال الأجنبى غير مقنع ؛ وإن رجال الحكم يعلنون تلك المبادىء مؤيدين بشعبهم وبأصوات الملايين من الإفريقيين الذين يجاهدون للحصول على حقوقهم الطبيعية المغتصبة . إنه يسير بدون تراجع وسيكون دائماً إلى الأمام ؛ لأن الشعوب لا تعرف التراجع فى تطورها ونضوجها .

غانة في دراسات العرب

الأستاذ الشاطر بصيلي

لقد كان لظهور الرسالة الإسلامية أثرها في بعث النشاط الكشفي، الذي توقف منذ عدة قرون من قبل الإسلام، وانتقل النشاط في هذه المرحلة إلى يد الرحالة المسلمين الذين امتدت حركات أسفارهم للكشف وتقصي أحوال العباد، وشمل هذا النشاط جميع بقاع العالم في القارات الثلاث: آسيا وأوروبا وإفريقية، فوصلت إلى الصين في أقصى الشرق وشمال إفريقية حتى شاطئ الأطلسي في الغرب، وتجدد نشاط العرب في ركوب عباب المحيط الهندي بين الشاطئ الإفريقي الشرقي ومدغشقر والهند، وجنوب الجزيرة العربية والخليج الفارسي والبحر الأحمر، ودخلوا البحر المتوسط، وشق التجار المسلمون طريقهم إلى أسواق أوروبا الشمالية. فقد كانوا يمارسون تجارة الفراء في أسواق الساحل البلطيقي، حيث وجدت مجموعات من النقود الإسلامية، وامتد نشاط العرب من ساحل إفريقية الشمالي إلى البقاع جنوبي الصحراء، طلباً للتجارة بصفة عامة، وفي الملح والذهب بصفة خاصة، وانتشرت في ركاب هؤلاء رسالة الإسلام بين شعوب تلك البقاع النائية، التي لم تكن غير معروفة للعرب منذ أزمان بعيدة، إلا أن العلاقات لم تكن من القوة التي وصلت إليها بعد الإسلام، ومرجع ذلك الضعف في العلاقات فيما قبل الإسلام إلى حالة التدهور والانحلال التي سادت مراكز الحضارة؛ الأمر الذي أثر بدوره على النشاط الاقتصادي.

ولا شك في أن النشاط الإسلامي في الكشف كان من نتائجه أن سجل التاريخ أحوال بقاع العالم التي زارها الرحالة العرب بصفة عامة، وأحوال المناطق جنوبي بلاد المغرب التي لم تكن تصلنا عنها أية معلومات موثوق بها، وهكذا أسهم المسلمون بنصيب وافر في تقدم المعرفة وانتشار الحضارة، ويقظة الشعوب وفتح أبواب المنافسة في الأسواق التجارية، وأخذت الأنظار تتجه نحو أرض الذهب الواقعة جنوبي الصحراء الكبرى التي كانت مصدر ثراء للتجار المسلمين، ودخل أهل أوروبة الغربية في ميدان التنافس للسيطرة على هذا الثراء دون العرب.

وليس من شك في أن ما تركه العرب في القليل الذي وصل إلينا، من كتابات المسعودي، وابن حوقل، والبكري، والإدريسي، وياقوت

والعمرى ، وابن بطوطه ، وابن خلدون وغيرهم ، كان له قوته الدافعة فى يقظة العرب وتطوره الحضارى .

فقد عاش المسعودى وابن حوقل فى زمن عاصر فيه كل منهما الآخر ، وقد أمضى كل منهما ما يقرب من الخمسة والعشرين عاماً فى التجوال بين ربوع العالم المعروفة حينئذ .

وجاء فى كتاب صورة الأرض لابن حوقل(١) عن غانه : —

«(ص٥٦) وملك أودغست هذا يخالط ملك غانه ، وغانه أيسر من على وجه الأرض من ملوكها بما لديه من الأموال المدخرة من التبر المثار على قديم الأيام للمتقدمين من ملوكهم وله ، ويهادى صاحب كوغه وليس كوغه بقريب من صاحب غانه فى اليسار وحسن الحال ، ويهادونه ، وحاجتهم إلى ملوك أودغست ماسة من أجل الملح الخارج إليهم من ناحية الإسلام ، فانه لا قوام لهم إلا به ، وربما بلغ الحمل الملح فى دواخل بلد السودان وأقاصيه ما بين مائتين إلى ثلثمائة دينار»(٢) .

وقد زار ابن بطوطة هذه المنطقة من غرب إفريقية وحوض نهر النيجر فوصل إلى أدوغست وكومبى عاصمة غانه .

(١) ورد اسم هذا الكتاب فى بعض المطبوعات « هذا كتاب المسالك والممالك الخ ... »

(٢) ابن حوقل « كتاب صورة الأرض ص ١٠١ ، طبعة كرامرز ليدن سنة ١٩٣٨ »

أما أبو عبيد البكرى — كان فى القرن الحادى عشر — فقد ترك مؤلفاً فى عدة مجلدات ، اشتمل على وصف شمال إفريقية بصفة عامة وبقاع السودان بصفة خاصة ، وقد كان دقيقاً فى وصفه المثير للإعجاب ، مما يدل على أن البكرى قد وصلت يده إلى وثائق تاريخية من الدرجة الأولى يعتقد أنها كانت فى مكتبات العرب فى إسبانية .

وجاء بعده الإدريسى الذى أفاد من دراساته روجر ملك جزيرة صقلية . وجاء بعده ياقوت الذى ترك قاموسه الجغرافى ، وتبعهما العمرى وألف كتابه مسالك الأبصار الذى سجل الرحلة الحجازية التى قام بها منسى (الملك) موسى ملك مالى . وجاء ابن خلدون وابن بطوطه وهما معاصران وتركا تراثاً تاريخياً له أهميته . وفى أوائل القرن السابع عشر كتب عبد الرحمن السعدى « تاريخ السودان » الذى اكتشفه الرحالة هنرى بارت Henry Barth فى ١٨٥٣ ونسبه إلى أحمد بابا خطأ .

هذه إلمامة بأهم ما جاء فى كتب الرحالة والجغرافيين العرب الأوائل . وما زال الموضوع جديراً بالتحقيق والتمحيص لكتابة تاريخ لبلاد السودان الغربى ، الذى اشتمل بطبيعة الحال على مناطق كثيرة لسكانها المميزات والتقاليد التى تكشف عن حضاراتها وثقافاتها .

اقتصاديات غانه بين الماضي والحاضر

للأستاذ فؤاد دواره

إذا كان تاريخ غانه السياسى فى القرنين الأخيرين قد أصبح جزءاً هاماً من تاريخ إفريقية ، فان تاريخها الاقتصادى لا يقل أهمية عن تاريخها السياسى ، بل لعل تاريخها الاقتصادى هو العامل الرئيسى فى تحديد تاريخها السياسى وتوجيهه . فيكفى أن نعلم أن غانه – على صغر مساحتها – كانت أغنى المستعمرات البريطانية بعد الملايو ، وأنها أكثر بلاد العالم إنتاجاً للكاكاو وثانى بلاد العالم فى إنتاج المنجنيز بعد الاتحاد السوفييتى ، وأولها فى تصديره اذ أن الاتحاد السوفييتى لا يصدر إلا جزءاً ضئيلا من إنتاجه من هذا المعدن الهام ، هذا بالإضافة إلى ثروتها المعدنية والنباتية الأخرى التى سنتحدث عنها فى شىء من التفصيل فيما يلى :

تقع غانه على خليج غيانا غربى إفريقية إلى الجنوب من الصحراء الكبرى ، وتبلغ مساحتها ٩١,٨٤٣ ميلا مربعاً .

وتنقسم غانه إلى أربعة أقسام من الناحية الإدارية :

١ – ساحل الذهب : على الساحل.

٢ – أشانتى : شمال ساحل الذهب .

٣ – منطقة الشمال الداخلية الواقعة إلى شمال أشانتى .

٤ – توجولاند البريطانية .

وغانه بأقسامها الثلاثة وفيرة المعادن ، وبخاصة المنجنيز والذهب والبوكسيت ، وتربتها شديدة الخصوبة وكان أول من استقر بها من المستعمرين بعض البرتغاليين ، واكتشفوا فيها معدن الذهب ، ومن هنا ظلت تعرف ، منذ ذلك الوقت وإلى عهد قريب ، باسم ساحل الذهب . وقد نشطت فيها تجارة الرقيق التى كان يمارسها البرتغاليون والبريطانيون ، فلما استفحلت هذه التجارة وزادت أرباحها عمل البريطانيون بشتى الوسائل على تثبيت أقدامهم فى غانه ، وأصبحوا القوة الأولى فيها . وإن نافسهم فيها الهولنديون حتى سنة ١٨٧٢ ، ثم استطاع البريطانيون بعد ذلك أن يستأثروا وحدهم بالنفوذ والخيرات والتجارة الآثمة .

المحصول الرئيسى :

ومنذ استقر الأمر للبريطانيين فى غانه وهم يعملون بشتى الوسائل على إغلاقها فى وجه الشعوب الأوروبية الأخرى ، لتخلص لهم بخيراتها الوفيرة ، وإن ادعوا أنهم يريدون بذلك أن تظل البلاد خالصة ، لذلك نجد أن عدد البيض بين سكانها لا يزيد اليوم وبعد نحو قرنين من الاحتلال البريطانى ، على عشرة آلاف نسمة

غالبيتهم من البريطانيين ، وهم إما موظفون في الحكومة ، أو ممثلون لشركات أو أصحاب امتيازات للتعادين والتنقيب عن الثروات الدفينة .

وكان لإدخال زراعة الكاكاو في غانه أكبر الأثر في تغيير حياة أهلها ، وتوجيه اقتصادياتها وجهة خاصة . كما أدى إلى خفض أسعار الكاكاو في الأسواق العالمية ، ودفع زارعيه في البلاد الأخرى إلى تعديل أساليب زراعتهم ليتمكنوا من مواجهة منافسة غانه .

وفي الماضي كانت الوسيلة الوحيدة لنقل الكاكاو من المزارع إلى القرى الرئيسية أن يحمله الفلاحون في أكياس على رؤوسهم ، وفضلا عن مشقة هذه الطريقة وبطئها . فإنها كانت تعرض حبوب الكاكاو للجفاف والتلف بفعل الجو . لذلك لا ندهش إذا وجدنا السلطات البريطانية تستعين بنفوذ الزعماء المحليين ، وتسارع إلى إنشاء شبكة من الطرق الحديثة في غانه ، لتسهل نقل الكاكاو للتصدير . كما مدت ثلاثة خطوط رئيسية لسكة الحديدية . وأنشأت شبكة من طرق السيارات تمتد عدة آلاف من الأميال للغرض نفسه . وقد أدت هذه التسهيلات إلى خفض أسعار النقل وزيادة الكمية المصدرة من الكاكاو .

احتكار واستغلال :

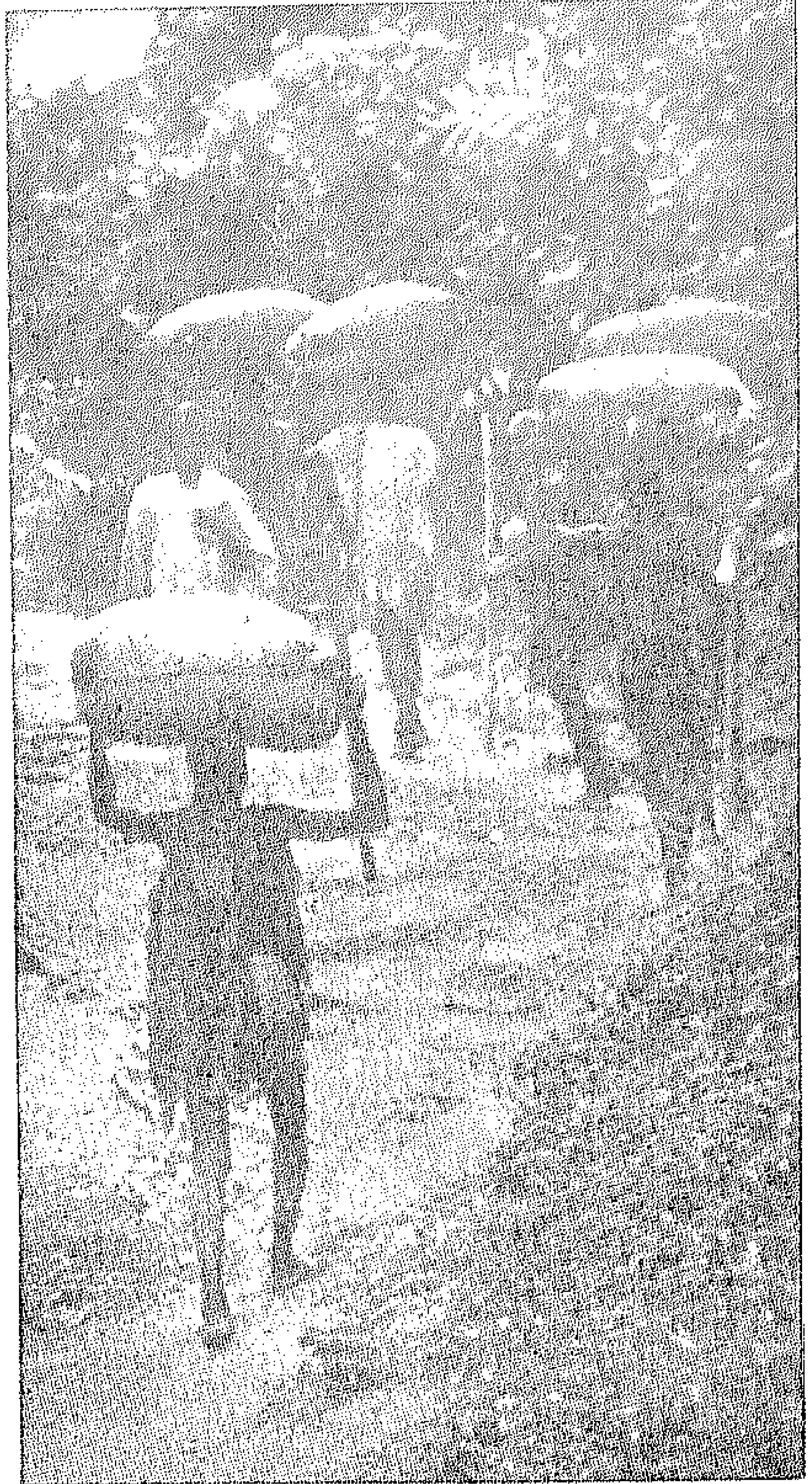
وبعد نجاح زراعة الكاكاو على هذه الصورة حاول بعض الأوروبيين شراء مزارع واسعة لاستغلالها في هذه التجارة المضمونة الأرباح ، ولكن أهل البلاد ثاروا ، وقتلوا حاكمين



« خريطة توضح أهم المناطق المنتجة للكاكاو في العالم »

نهاية الموسم ، فكان المرابون من الانجليز والأوروبيين اما أن يقدموا للمزارع المال مقابل استيلائهم على مزرعته ، وقيامهم بحصد المحصول لحسابهم حتى يستردوا دينهم وفوائده ، أو أن تظل المزرعة فى يد الفلاح على أن يسلم ثلثى المحصول للدائن ، ثلثاً من أصل الدين ، وثلثاً مقابل الفائدة . فكان الفلاحون يهجرون أرضهم فى كثير من الحالات نتيجة لذلك .

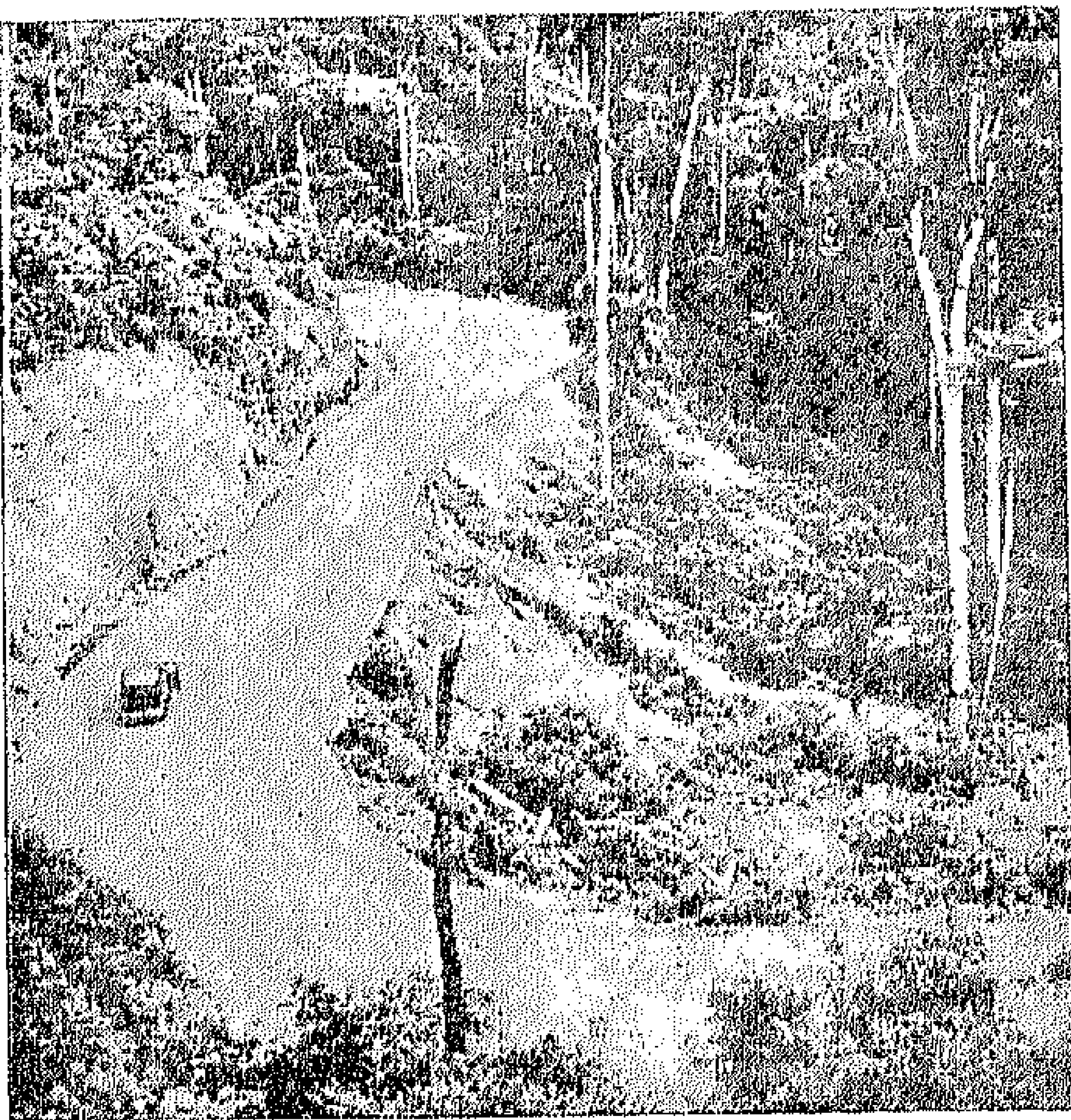
وإذا نجا الفلاح من المرابين فانه لن ينجو بحال ما من استغلال الشركات البريطانية التى كانت تحتكر شراء المحصول فى طول البلاد وعرضها ، وكان عددها فى بادىء الأمر ثلاثين شركة ما لبثت أن اتحدت قبيل الحرب العالمية الأخيرة فى شركة واحدة منعاً للمنافسة بينها ، وهى تضمن شراء المحصول من الفلاح بأقل سعر ممكن ،



نقل الكاكاو

بريطانيين بسبب ذلك ، فاضطرت سلطات الاستعمار إلى الرضوخ لهذه الروح الوطنية ، وأصدرت قانوناً يحرم امتلاك الأراضى الزراعية على الأوروبيين ، فأصبح جل إنتاج الكاكاو يقوم به أهل البلاد فى مزارعهم الصغيرة المنتشرة وسط الغابات .

وهكذا أصبحت اقتصاديات غانه تعتمد إعتماداً كلياً على الكاكاو ، وصارت أقوات المزارعين متوقفة على ارتفاع أسعاره أو انخفاضها ، وكان المزارع يحتاج إلى مال كى ينفق منه على المحصول ، وكى يعيش حتى



إحدى الطرق الحديثة



جمع ثمار الكاكاو

فكانت تدفع فى الطن ثمناً يتراوح بين ستة جنيهات وخمسة عشر جنيهاً وتبيعه فى الولايات المتحدة بخمسين جنيهاً للطن فى المتوسط ، ووصل ثمنه فى بعض السنوات كسنة ١٩٢٠ مثلا إلى مائة وعشرين جنيهاً .

مشروعات المستقبل :

وإذا كانت غانه قد ظلت زمناً طويلا منطقة للاستغلال البريطانى ، شأنها فى ذلك شأن أجزاء كثيرة من إفريقية ، فان الموقف الآن قد بدأ يتغير منذ نهاية الحرب العالمية الثانية ، حينما بدأت حركات التحرير تجتاح أجزاء كثيرة من قلب القارة السوداء ، وقد استطاعت الحركة الوطنية فى غانه أن تحقق للشعب كثيراً من المكاسب كان آخرها إعلان استقلالها داخل دول الكومنولث البريطانى فى ٦ مايو سنة ١٩٥٧ ، وكان للمنظمات والنقابات العمالية التى كونت هنالك فى أعقاب الحرب العالمية أثرها الواضح فى تحقيق هذه المكاسب ، وأهم هذه النقابات نقابة عمال المناجم التى تضم أكثر من ٤٠ ألف عضو .

ومنذ تولى الدكتور نكرومه رياسة

الوزراء عام ١٩٥١ ، وهو يبذل كل جهوده للنهوض باقتصاديات البلاد والارتفاع بمستوى شعب غانه . ولقد انشأ مصرفاً وطنياً ، وشركة لتجارة الكاكاو . فأضعف بذلك من احتكار شركة إفريقية المتحدة لذلك المحصول واستغلالها المزارعين .

وبدأت الحكومة تعمل في الوقت نفسه على استبدال الموظفين البريطانيين بعدد من المثقفين الوطنيين ، وحرمت الأرستقراطية الإقطاعية من سيطرتها على الحكم ، ومن كثير من المزايا التي كانت تتمتع بها ، وأهمها عدد من الممثلين لها في المجلس التشريعي .

واستطاع نكرومه أن يحقق لبلاده في السنوات الأخيرة نسبة غير قليلة من الانتعاش الاقتصادي ، حتى لقد قارب دخلها ٦٠٠ مليون دولار ، واستغل هذا الدخل المتزايد في برنامج إصلاحي كبير يشمل إنشاء الموانىء والطرق وبناء المدارس والمستشفيات .

ومن الطريف أن نعلم أن غانه ظلت إلى عهد قريب بلا ميناء واحد صالح لرسو السفن الكبيرة ، حتى أنه في موسم الكاكاو كانت السفن تحتشد أمام الموانىء وتلقى مراسيها على بعد ميل منها ، وتنتظر حتى ينقل الكاكاو إليها في زوارق صغيرة ، الأمر الذي كان يؤدى إلى تلف جزء غير قليل من محصول البلاد الرئيسى .

ويدرس الخبراء الأجانب في غانه الآن تنفيذ مشروع نهر « الفولتا » بفروعه الثلاثة لتوليد الكهرباء . وسيتم ذلك في منطقة من أغنى بقاع العالم بمعدن البوكسيت ذى الأهمية الاستراتيجية الكبيرة ، وقد قدرت التكاليف النهائية للمشروع بمبلغ ١٤٤ مليون جنيه ، وسيكون من نتائج تنفيذ المشروع توليد كهرباء قوتها ٥٦٤,٠٠٠ كيلوات وبناء مصنع للألمونيوم ينتج ٢١٠ ألف طن سنوياً ، وبناء ميناء جديد شرقى « أكرا » يتكلف عشرة ملايين من الجنيهات .

فاذا أضيف إلى ذلك المصانع الصغيرة التي تم إنشاؤها مؤخراً في غانه ، كمصنع الطوب ، ومصنع تكرير الزيت ، ومصنع الأثاث والمسامير ، ومصنع الأسمنت ثم مصنع الورق والكبريت أدركت مدى المستقبل الاقتصادى المشرق الذى ينتظر هذا القطر الإفريقى الشقيق ، إذا عرف قادتها كيف يبحرون بسفينة بلادهم وسط أطماع الدول الاستعمارية ، وإنهم لفاعلون بفضل حنكة رئيس وزرائهم نكرومه ، وخبرته الطويلة في ميدانى السياسة والجهاد ، فهو أمل بلاده ! وهو أمل إفريقى جديد !

من أساطير غانه :

العرش الذهبي

للأستاذ عبده بدوي

هناك في (ساحل الذهب) الاسم القديم لغانه ؛ كانت البلاد تنقسم إلى قسمين كبيرين تقوم على القسم الأول قبيلة (الأشانتي) بينما تقوم على القسم الثاني قبيلة (الفانتي) . وقد استطاع الأشانتي أن يقيموا لهم مملكة عظيمة وسط الغابات ، وقد اكتسبوا من هذه الغابات قوة ومناعة . فكان صمتهم يشبه الصمت في الغابة . وكانوا على شيء من الرهبة التي تثيرها هذه الغابات ، حتى ليخيل لكل من يراهم أنهم غابات من لحم ودم فيهم إصرارها ، ورهبتها ، وجرأتها على الخير والشر معاً . .

.. وقد بلغ من اعتزازهم بأنفسهم أنهم نادوا بأنهم شعب مختار يمتاز عن بقية الشعوب . فهم ينحدرون من ملكة تدعى « نيامكوماديو » ومعناها « التي تجعل الموت مقدساً .. ! »

وكثيراً ما تغنوا بهذا المجد المقدس على أطراف الغابة ، فكان شيوخ القبيلة يسندون ظهورهم إلى الأشجار العتيقة ، ثم يقربون ما بين أجفانهم ، ويتكلمون برهبة عن أصولهم ، وكأن الكلام كان ينسدل من أجفانهم بدلا من الشفاه ، فقد كان رقيقاً وديعاً كالحلم الجميل !

وكان أجمل شيء لدى شباب القبيلة حين يسمعون في رهبة وخشوع أنهم ينحدرون من أصل مخالف لكل الشعوب . وحين كان يصل أحد الشيوخ المتحدثين إلى قوله « إننا شعب مختار يمتاز عن الشعوب . فنحن ننحدر من ملكة تدعى « نيامكوماديو » ومعنى هذه الكلمة : « التي تجعل الموت مقدساً .. ! »

حين كان يصل إلى هذا القول كان يظهر اللمعان في جفون الأطفال ، بينما ترتفع هامات الشباب وتهتز الرماح في أيديهم كأنهم يتوعدون من يقترب منهم بشر ! وكانت الغابة هي الأخرى تهلل كأنها سعيدة بما يقولون ! ثم تصمت كأنها تطلب مواصلة الحديث . .

وهنـــا كان الشيخ « كوجو » ينظر بعمق إلى الغـــــابة ، ثم يواصل حديثه ...

«أيها الأبناء إن الله قد خصنا بنعم كثيرة . ومن هذه النعم الكثيرة أن العرش الذي يجلس عليه الملك « كوفي » لم

يدق عليه إزميل فنان ! ولم تقترب منه أنملة صانع ! ففى أحد الأيام البعيدة تلبد الجو بالغيوم ، وإذا بسحابة داكنة تهبط من السماء رويداً رويداً ، ثم تستقر على أرضنا ، وهى تضم بين يديها « العرش الذهبى » كرمز للأشانتى ، وقد تواترت إلينا الأنباء أننا سنظل بخير ما دمنا محافظين على هذا العرش ..»

.. ومهما يكن من شىء فقد قامت حروب كثيرة بين الأشانتى والفانتى ، وقد انضم الانجليز إلى الفانتى . وكادت هذه الحروب تؤدى إلى خروج الانجليز من البلاد فى أواخر القرن التاسع عشر . إلا أن الانجليز استمروا يثبتون أقدامهم حتى وصلوا إلى «كوماسى» عاصمة الأشانتى عام ١٨٧٤ وأحرقوها . ثم عقدوا معاهدة مع « كوفى » ملك الأشانتى . وما كاد الملك « برمبيه » يصل إلى العرش الذهبى حتى طلب الانجليز خضوعه للحماية البريطانية ، فلما رفض نفى مع أسرته إلى «سيراليون» ثم إلى سيشل . وضم إقليم الأشانتى إلى التاج البريطانى عام ١٩٠١ . ومن هنا طالب الحاكم العام الانجليزى « بالعرش الذهبى » فدخل معه رجال الأشانتى فى معارك دامية ، ومات منهم الكثيرون ، ولكن العرش بقى فى أيديهم .. ولما رأوا إصرار الانجليز أخفوه فى مكان بعيد عن أعين الانجليز الزرقاء . ولكن بعض عمال الحفر كشفوا عنه بطريق المصادفة عام ١٩٢١ ، وما كاد يعلن هذا النبأ حتى قام الأشانتى مرة أخرى . واستعدوا لخوض حرب مريرة . فما كان من الانجليز إلا أن سلموا إليهم « العرش الذهبى » ...

.. وما زال كثير من الناس فى أطراف الغابات فى غانه يرددون أن « كوامى نكرومه » قد حقق أخيراً أسطورة « العـــرش الذهبى » الذى هبط من السماء فى سحابة داكنة !.

مؤتمر عظيم .

كان للمؤتمر الذى عقده الدكتور « بير جارد ديبوا » عام ١٩٤٥ فى منشستر أثر كبير ، فقد حضره أكثر من مائتى مندوب من مختلف العالم الأسود ، ورجع منه جوموكنياتا وأزيكيو ، وكوامى نكرومه مزودين بطاقة هائلة من الشعور بالقـــارة ، والعمل على أن تكون « أفريقية للأفريقيين » .

مؤتمران في إفريقية

للدكتور ابراهيم صقر

ازداد اهتمام الغرب بأفريقية فى القرن العشرين ، وعلى الخصوص أثناء الحرب العالمية الثانية وبعدها ، ولقد ساعدت على زيادة هذا الاهتمام عدة عوامل ، ومن أهم هذه العوامل :

١ ــ انحسار الاستعمار الغربى عن كل آسيا تقريباً ، مما أدى إلى أن تكون أفريقية ، وهى القارة شبه البكر ، الملاذ الرئيسى للاستعمار الغربى فى العالم القديم.

٢ ــ حاجة كثير من الأوروبيين إلى التحول عن قارتهم إلى الخارج للإقامة هناك .

٣ ــ ما حدث من توسع كبير فى الإمكانيات الأمريكية ، مما أدى إلى شدة الحاجة إلى مجالات جديدة للتوسع الاقتصادى ، وكانت إفريقية كما قال أحد الأمريكيين أعظم منحة على ظهر البسيطة فى هذه الناحية .

وبالرغم من أن معظم موارد أفريقية لم تستغل ، فاننا نجد أنها تنتج حوالى ٩٨٪ من الماس فى العالم ، و ٥٠٪ من الذهب ، و ٢٢ ٪ من النحاس ، و ⅔ الكاكاو ، و ⅗ زيت النخيل ، وكميات ضخمة من المواد الاستراتيجية مثل المنجنيز والكروم واليورانيوم ، أضف إلى ذلك أن الإمكانيات فى أفريقيـــة سواء من الناحية النباتية أو المعـــدنية إمكانيات ضخمة تغرى رءوس الأموال الغربية بالهجرة إليها .

ومن العوامل التى تساعد على الاستغلال الاقتصادى توفر الأيدى العاملة الرخيصة إلى حد جعل بعض الباحثين يعتبر الثروة الرئيسية فى أفريقية بالنسبة للاستعمار هى هذا المورد الضخم الرخيص .

ولا تقتصر أهمية أفريقية من وجهة نظر الغرب على الناحية الاقتصادية فقط ، وإنما تمتد إلى الناحية الاستراتيجية ، إذ أنها إلى جانب ما يتوفر بها من مواد استراتيجية تمتاز باتساع كبير تفتقر إليه أوروبا الغربية ، وهذا جانب مهم فى عمليات الكر والفر إذا حدث صراع بين الغرب والشرق . أضف إلى ذلك أن الانبعاج الغربى فى أفريقية يجعل هذه المنطقة أقرب أجزاء العالم القديم إلى العالم الجديد عند الحافة الشرقية لأمريكا الجنوبية عبر المحيط الأطلنطى ، مما يجعل أفريقية خط دفاع

أساسي عن العالم الجديد ، كما يمكن بأقل الخسائر الممكنة وصول إمدادات للبر ، أو المهاجمة من العالم الجديد إلى العالم القديم عن طريق هذه المسافة البحرية القصيرة . زد على ذلك أن الأطراف الجنوبية من أفريقية تعتبر أبعد أجزاء العالم القديم عن الكتلة الشرقية ، ويمكن أن تستعمل كقاعدة أشد أمناً للهجوم أو الانسحاب . لكل هذا يتمسك الغرب بأفريقية ؛ هذه البقرة الحلوب ، ويعض عليها بالنواجذ .

غير أنه ينبغي أن نلاحظ في الجانب الآخر أن المواطن الأفريقي ، وهو صاحب الأغلبية الساحقة في القارة بدأ يستيقظ بدرجة واضحة ، وقد ظهر ذلك في انتشار الحركة القومية في أجزاء كثيرة من أفريقية وزيادة عمق المشاعر القومية في الأجزاء التي سبقت غيرها على هذا الطريق ، ومن الأسباب التي تشجع على تزايد قوة هذا التيار :

١ — ما أصاب الاستعمار الغربي من ضعف وهزال في العالم عموماً .

٢ — إمكان القضاء على احتكاره للعناصر القوية وكثير من المنتجات بالتعاون مع الكتلة الاشتراكية .

٣ — نجاح الحركات القومية في مناطق أخرى من العالم ، وتساند هذه الحركات في مواجهة الاستعمار الغربي عدوها المشترك .

٤ — زيادة الوعي عن طريق الاتصال بالعالم ، وزيادة عمق الشعور بالظلم باصرار الغرب على المحافظة على الوضع القائم ، وانخفاض مستوى الأجور انخفاضاً شديداً ؛ ينعكس في أحوال المواطن الأفريقي السيئة من الناحية الاقتصادية والاجتماعية .

وقد ابتدع الغرب في محافظته على استغلاله ونفوذه سياسة الأحلاف العسكرية التي تحيط الكتلة الشرقية بالقواعد العسكرية من كل ناحية . والتي تربط كثيراً من البلاد الصغيرة بعجلة الغرب في الوقت نفسه ، كما تجعل في الإمكان إذا دعت الضرورة للتهديد باستعمال العنف أو استعماله فعلا عن طريق هذه القواعد القريبة من مناطق استغلاله . والغرب يحاول دعم سيطرته بالتفريق بين الكتلة الشرقية ومجموعة البلاد التي تنشد التحرر ، وكذلك بين بلاد هذه المجموعة الأخيرة ، وهذا في الصعيد الدولي . كما يعمل على التفريق بين أبناء الوطن الواحد في الداخل ، ويتعاون مع العناصر الرجعية لفرض سيطرته . وهو في هذا المجال يحاول أن يسلب كثيراً من الشعارات الوطنية أو الأماني القومية ، ويستغلها بشكل ظاهره فيه الرحمة وباطنه من قبله العذاب . ومن هذه الأشكال ؛ فكرة اتحاد المغرب العربي ، أو تعاون بلاد القارة الأفريقية ، أو مشروع الصحراء ، واستغلال مواردها «لمصلحة الجميع » أو السوق الأوروبية الأفريقية المشتركة ... الخ . وهذه المشروعات إلى جانب أنها تعطي مجرد شكل يغري ، وقليلا ما تغني أبناء أفريقية . فهي

تحافظ على الوضع الذى يفيد الغرب ويعطيه نصيب الأسد . فضلا عن أنه يخدر الشعور بما فيه من مرارة واستغلال ويعطل مقاومته . كما أنه قد يعطى فرصة لربط هذه المناطق بأحلاف غير متكافئة تشل حرية حركتها واتجاهها حيثما تقتضى مصالح شعوبها .

ومن المحاولات التى يبذلها الغرب فى هذا الاتجاه محاولة فصل أفريقيـــة عن آسيا ، والإفادة من الحكومات الموالية له فى القارة البكر فى ربط القارة به وعزلها عن غيرها ، واستغلال بعض الزعامات والاتجاهات النامية ، استغلالا يخرجها عن الطريق السوى بالنسبة لمصالحها ، ويجربها إلى الطريق التى تدعم به مصالح الغرب .

وفى مؤتمر عن « أفريقية والولايات المتحدة » عقد فى نيويورك فى أوائل هذا الشهر ، يذكر « مستر هولمز » مساعد وزير الخارجية الأمريكيـــة الخاص بالشئون الأفريقية : إنه ولو أن الجو فى أفريقية الآن هو على العموم جو مودة بالنسبة للغرب ، إلا أن هذا الاتجاه تهدد استمراره القوى التى قد تكسب المنطقة إلى جانب الحياد الإيجابى ، أو الاتجاهات اليسارية . وينذر بأن الولايات المتحدة ينبغى ألا تضيع وقتاً فى افريقية ، فالأحداث تتوالى سريعة ، ومن واجب الولايات المتحدة أن تتوقع الأحداث مقدماً ، وتعمل على مواجهتها قبل أن تتأزم الأمور ، ويتسع الخرق على الراقع ؛ والاستعمار يستحسن أن يستعمل بعض قادة القارة الافريقية فى هذا السبيل ، بدلا من أن يقوم هو نفسه بذلك .

ولقد قاد بعض زعماء القـــارة الأفريقية الموالين للغرب حركة لربط الدول الأفريقية المستقلة بعضها ببعض ثم لمحاولة ربطها معاً بالغرب ، وتمخضت الحركة عن مؤتمر « أكرا » الذى اجتمع فيه زعماء ثمانى دول إفريقية مستقلة ، وهى المغرب وتونس وليبيا ومصر والسودان وغانه وليبريا والحبشة.

كما قاد بورقيبه وغيره من أنصار الغرب حركة لتوحيد المغرب العـــربى من ليبيا إلى مراكش (المغرب) ، وفى إحدى المناسبات ذكر بورقيبه : « إننا نؤمن بأن الدول العربية فى إفريقيـــة الشمالية يوجد بينها ترابط مغربى تفرضه الظروف الاقتصـــادية والجغـــرافية والتاريخية .

ولقد أدت جهودنا إلى توثيق هذا الترابط ... ليكون ذلك أداة للتعاون مع بقية أجزاء العالم وبخاصة الكتلـــة الغربية التى نحن جزء منها » وقد حاولت بعض دول الغرب مساندة هذه الحركات. وإقناع الدول الغربية المستقلة بالمصلحة. فى الوصول إلى حل فيه ولو شىء قليل من المساومة ، حتى تخف حدة المشاعر القومية ومقاومتها للغرب ، ويضمن الغرب المحافظة على مصالحه ودعمها ، وعلى سبيل المثال يذكر « لورناها هستى » أن فرصة الغرب الوحيدة فى افريقية الشمالية هى إقامة اتحاد بين

بلاد المنطقة بعيد عن نفوذ عبد الناصر بل ومضاد له ، وربط هذا الاتحاد بفرنسا من الناحية الاقتصادية فيما سماه بورقيبه « مجتمع أفريقى شمالى فرنسى » . وبهذا تتكون كتلة موالية للغرب عند مفترق الطرق التى تربط أوروبا وافريقية والشرق الأوسط ... وإذا نجح الغرب فى تكوين هذا الاتحاد فانه يكون ضربة شديدة لما تبقى من أمل لعبد الناصر فى توحيد البلاد العربية على أساس حيادى ، كما أنه يحمى مصالح الغرب الاقتصادية والاستراتيجية ، وهى مصالح ضخمة فى الحاضر والمستقبل فى هذه المنطقة ، ويفصل ليبيا عن المشرق العربى ، حيث تسود المشاعر الموالية لعبد الناصر ، وفى النهاية نجد هناك عاملا قد يكون أهمها جميعاً فى المدى الطويل ، وهو أن هذه الخطوة سوف يكون لها تأثير قوى على سياسات الدول المستقلة حديثاً فى افريقية والشرق الأوسط ، إذ أنها ستعطى الدليل على إمكانية قيام روابط على أساس الاحترام المتبادل مع الغرب ، وقد توحى بأنها أفضل من التزام سياسة الحياد الإيجابى !.

إلا أن هناك عوامل كثيرة تكشف القناع عن الحقيقة المريرة ، وتعرقل هذه المحاولات الغربية أو تجذبها إلى الاتجاه الذى يحقق المصلحة القومية الحقيقية لشعوب هذه المناطق .

ومن هذه العوامل وجود تناقض بارز بين مصالح الدول العربية المستقلة وبين مصالح شعوب هذه المنطقة ، ويزيد فى حدة هذا التناقض إصرار الدول الاستعمارية على استغلالها ، ويزداد هذا الإصرار والتشبث كلما أحس الاستعمار بقرب نهايته ، مما يؤدى إلى اصطدامات وجراحات لا يسهل اندمالها ، ويوسع شقة الخلاف ويبعد إمكانية التوفيق . فليس من السهل مثلا التوفيق بين مصلحة أبناء الجزائر والمستوطنين الفرنسيين . إن أكثر الحكومات الفرنسية رغبة فى التوفيق ، وهى حكومة جايار ، يعلن رئيسها أن هؤلاء الذين لا يفهمون أن الجزائر عزيزة على قلوبنا ، مثلما كانت الألزاس واللورين فى زمن ما ، يخطئون خطأ سياسياً جسيما له نتائج خطيرة جداً .

على أن الرأى العام العربى والأفريقى ومن ورائه الرأى العام العالمى فى وعى وراء حركات التحرر من قيود الغرب واستغلاله ، وتزداد قوة هذا الوعى بما حدث من تطور فى وسائل الاتصال ، ويزداد إيمانه بفائدة التكتل لمواجهة العدو المشترك فى كل مكان ، والتعاون مع كل من يعاوننا ، وتشتد مرارته وإصراره على الصمود بزيادة تصميم الغرب على التمسك بموقفه وقسوته التى لا ترحم فى تثبيت أقدامه وانفضاح حقيقة مشروعاته ، ويزداد حرج الموالين للغرب ، واضطرارهم إلى مسايرة التيار الجارف ، ويدعم هذا التيار إحساس الشعوب بما تكسبه شقيقاتها كمصر مثلا من السياسة التعايشيـــة التعاونية الحيادية الإيجابية ، وها هو

الحبيب بورقيبه يعلن : « إننا نعطى الثوار كل ما يمكننا من مساعدة إلى الحد الذى لا يزج بنا فى حرب مقبلة . إننا لسنا محايدين . إننا لن نساعد الفرنسيين على غلق الحدود ومما يضر باخواننا فى الجزائر »

ويؤدى هذا الجو العارم إلى أن يقف المؤتمران إلى جانب الجزائر واستقلالها ، وخروج الجيوش الأجنبية منها ، بل وانتهاء السيطرة الأجنبية فى كل البلاد الافريقية ، ويستنكران مساعدات بعض الدول (الولايات المتحدة أساساً) لفرنسا بصورة مباشرة وغير مباشرة ويدعوان العالم إلى مساندة الجزائر وكل الحركات التحررية فى افريقية ، ويقرران مد الثوار ودعاة التحرر فى كل مكان فى افريقية بكل المساعدات الممكنة مادية وأدبية ، بل تمتد القرارات فى أكرا إلى فلسطين وحقوق العرب .

وأكثر من هذا نجد أن هذه المؤتمرات — من حيث أرادت الولايات المتحدة أن تربط الدول الافريقية فيها بعجلتها — ترد السهم إلى نحر صاحبه . ذلك أن الوضع الدولى ومتناقضات الاستعمار تظهر تحيز الولايات المتحدة للدول الغرب الأخرى (رغم رغبتها فى الحلول محلها فى مناطق النفوذ) وتحيزها ضد البلاد الافريقية .

ان مستر هولمـــز مساعد وزير الخارجية الأمريكية يذكر « أن الجو فى افريقية عام ١٩٥٨ يمكن تحديده ، فى أن الشعوب تفضل قميص الاستقلال الممزق على غطاء الاستعمار الدافىء » ويلح على أن يراعى القادة التـــدرج البطىء نحو الاستقلال . وتنتقد جريدة النيويورك تيمز « مؤتمر أكرا » على « تلهفه » على منح الاستقلال ، وعلى أنه ليس من حقه ، ولا من سلامة التصرف الاعتراف بجبهة التحـــرير الوطنية على أنها الهيئة الوحيدة التى تمثل الجزائريين ، وأن يقرر مدها بكل مساعدة وهى جبهة متطرفة تطرفاً زائداً . وينفضح الوضع بصورة قوية حين تذكر جريدة النيويورك تيمز فى ٩ من مايو الماضى بأن أمريكا سوف تضطر إلى السير مع فرنسا (ضد الجزائريين طبعا) وإن كانت تعترف بأن سياسة فرنسا هذه تودى غالباً بمصلحة فرنسا والغرب جميعاً .

كل هذا — مع مشاركة الجمهورية العربية المتحدة ، التى تتزعم فى إصرار حركة الحياد الإيجابى ، وتضع المصالح القومية للشعوب فوق كل مصلحة — جعل من هذه المؤتمرات ميداناً لتقوية دعائم التعاون لتحقيق خير الشعوب فى سياسة لا انحياز فيها ، فيدعم بها التعاون والسلام بين أجزاء العالم جميعا . لقد ذكر مندوب الجزائر فى مؤتمر طنجة « إن مؤتمر وحدة المغرب العـــربى يعد حداً فاصلا بين المرحلة التى كان الاستعمار الفرنسى يواجه فيها كل قطر من أقطار المغرب على حدة ، والمرحلة التى سيواجه فيها المغرب العربى الموحد ، وإن وحدة المغرب العربى ضرورة ملحة

لاستخلاص الجزائر من استعمار فرنسا ، الذى تسانده — مع الأسف — بالمال والسلاح دول عظمى ، كادت تحكم تحالفها ومصالحها الدولية أن لا تكون نصيرة للحرية، وحفظ السلام العالمى».

ولقد قال رئيس وزراء مراكش « إن وحدة الشمال الافريقية التى يجتمع هذا المؤتمر لإقرارها هى حلقـــة فى مجموع الدول العربية ، لأن بلادنا تكون الجناح الأيسر من بلاد العروبة ، وسيعزز هذا الجناح بوحدة البلادالعربية المكافحة فى سبيل التحرر والرقى » .

إن أنكرومه يدعو الجميع بقوله : « دعونا نحطم كل حاجز يحاول أن يفرق بيننا ... إنه رغم وجود الفوارق فى اللغة والثقافة والعقيدة ، فان افريقية تربطنا جميعا برباط واحد ، وبهذه الروح سنقابل كل هذه العقبات ونتغلب عليها » ويدعو الجميع أن « ارفعوا أيديكم عن افريقية ! »

ان التيارات العالمية المتحررة ، والمتناقضات الاستعمارية ، وزيادة ترابط الشعوب ووعيها تؤذن بصبح بهيج تتحرر فيه الشعوب . وإن علينا فى الجمهورية العربية المتحدة دوراً إيجابياً فعالا فى هذه المرحلة ، تتحقق به مصلحتنا ، بل يتوقف عليه مصيرنا . وإذا كانت بعض مصادر الغرب لا تملك إلا أن تعترف بالمد الزاحف « إن افريقية تتحرك بخطوات جبارة نحو مساواتها ببقية العالم » فان الشوط ما زال طويلا ، ولا بد فيه من تساند وتعاون ووعى وإيجابية ، وعلى هذا الأساس شاركنا فى مؤتمر أكرا ، وعلى هذا الأساس كنا بقلوبنا فى مؤتمر طنجه ، وعلى هدى هذه السياسة نرحب من قلوبنا برئيس وزراء غانه ، حين يزور بلادنا بعد أيام ، ونحن نضع نصب أعيننا دائماً ما قاله قائدنا رائد القومية والتحرر ، وداعية الحياد الإيجابى ، والتعايش السلمى : « إننا لن نستطيع بحال من الأحوال أن نقف بمعزل عن الصراع الدامى المخيف الذى يدور اليوم فى أعماق افريقية بين خمسة ملايين من البيض ، ومائتى مليون من الافريقيين . لا نستطيع ذلك ، لسبب هام وبديهى هو أننا فى افريقية ، ولسوف تظل شعوب القارة تتطلع إلينا نحن الذين نحرس الباب الشمالى للقارة ، والذين نعتبر صلتها بالعالم الخارجى كله ، ولن نستطيع بحال من الأحوال أن نتخلى عن مسئوليتنا فى المعاونة بكل ما نستطيع على نشر النور والحضارة حتى أعماق القارة العذراء ... والمؤكد أن افريقية الآن مسرح عجيب مثير للثورات ، ولن نستطيع بحال من الأحوال أن نقف أمام الذى يجرى فى افريقية ، ونتصور أنه لا يمسنا ولا يعنينا ، ونحن نردد مع وزير خارجيتنا ما قرره فى مؤتمره الصحفى فى أكرا . نحن حين نؤيد إخواناً لنا فى الكمرون وفى الجزائر أو أى جزء من افريقية فاننا نفعل ذلك لأنه من مصلحتنا ، ومن مصلحة الشعب الافريقى كقارة !. »

أكرا ومستقبل التطور في أفريقية

للأستاذ عبد الخالق الشهاوى

حينما انعقد مؤتمر الدول المستقلة الإفريقية فى « أكرا » عاصمة غانه فى ١٥ من أبريل الماضى كان مجرد عقده انعطافاً حقيقياً فى الفكر السياسى العام فى منطقة الشرق الأوسط ، لقد ركز أنظار العالم حول حركة التحرير الإفريقية ، وبشكل أخص ركز المؤتمر أنظار الإفريقيين حول قارتهم ، حيث الأرض التى قال عنها الاستعمار « إن الله قد ادخرها » وظن — أى الاستعمار — أنه ادخرها من أجله ، وأن الله يعمل له ويسعى لحسابه ! .

١ — الاتجاه إلى الجنوب :

كان فى برنامج الحركة الوطنية فى الإقليم المصرى اتجاه تاريخى نحو الجنوب ، حيث ترتبط مصالح هذا الإقليم التاريخية والجغرافية ، وكان لهذا الاتجاه عوامله السياسية أيضاً ، وقد ظلت الشعارات الوطنية مدة طويلة مرتبطة بوادى النيل كوحدة سياسية وجغرافية ووطنية .

٢ — الاتجاه نحو الشمال :

ولكن بانقضاء الفترة الأولى ، وبافتضاح خيانة انجلترا لوعودها بالنسبة للحركة العربية فى الجزيرة والشام ، وبتدهور الدولة المريضة تركيا ، وبتقسيم البلاد العربية وتفتيتها ، وبنمو الوعى وظهور الأحزاب الوطنية العربية الحديثة ، وبحصول الإقليم المصرى على حرية واستقلال شكليين وبخاصة بعد الحرب العالمية الثانية ، كل هذا أدى إلى وجوب قيام جبهة عربية واسعة عريضة تربط حركات التحرير العربية ، وتتعاون ضد الاستعمار والخيانة .

وقد ساعد على تبلور هذه الوحدة ، مشكلة فلسطين ، ومؤامرات الاستعمار حولها .

ومن الجانب الإفريقى كان أيضاً من العناصر المساعدة للاتجاه نحو الشمال. مؤامرات الاستعمار فى جنوب الوادى .

٣ — إما الشمال ، وإما الجنوب ،

سياسة خاطئة :

لماذا كان وضع القضية على أساس الاختيار بين الشمال والجنوب سياسة خاطئة ؟

أولا : لأن الاستعمار الذى يحاربنا من الشمال عند جبال طوروس ، ومن بغداد ،والأردن ، وفى إسرائيل الخ يحاربنا أيضاً من الجنوب فى مراكزه السياسية والعسكرية فى القارة الإفريقية

سواء فى الشمال (تونس — الجزائر — مراكش — ليبيا) أو فى الجنوب (السودان — الحبشة) أو فى الوسط .. الخ وإذا كان حلف بغداد يتمثل فيه الخطر الشمالى فان حلف الأطلنطى يحاول الامتداد جنوباً . وكذلك سياسة الأحزمة ، ومحاولة فرض نطاق استعمارى يهددنا من الجنوب .

ثانياً : لأن الاستعمار الذى ينهار فى آسيا ، ويفقد مراكزه يسعى بجنون إلى التمركز فى إفريقية ، ونظرة سريعة إلى الخطر الأمريكى وهو يغزو القارة بجنونه التقليدى تجعلنا نتنبه إلى أهمية مركزنا فى قارتنا .

ثالثاً : لقد انتهى الزمن الذى كانت فيه الشعوب تكافح مستقلة (كل شعب على حدة) . فان حركة التحرر الوطنى فى إفريقية يجب أن تترابط بأواصر قوية ، وما دام على حدود أية دولة مستقلة مركز من مراكز الاستعمار فان هذا المركز سيظل يهدد استقلالها .

إن معركة الحرية فى القارة يجب أن تترابط ، وسوف يزداد هذا الترابط كلما وضحت معالم الطريق ومراميها .

رابعاً : ان مركز الإقليم المصرى من الناحية الجغرافية ، ومن الناحية التاريخية يعتبر أنسب المراكز للربط بين شعوب إفريقية وآسيا ، بين الشمال والجنوب .

٤— مبادئ باندونج : — إن مبادئ باندونج هى تعبير عن وحدة نضال شعوب آسيا وإفريقية ووحدة الفكر والهدف ، وهذه المبادئ تقوم إعلاناً على صحوة شعوب القارتين ويقظتها ، بعد أن وقعت فريسة الاستعمار ، وقاست أهوال الأطماع الاستعمارية ، هذه الشعوب ذات الأمجاد التاريخية والحضارات والمدنيات القديمة ، لقد عشنا معاً ، وقاسينا معاً ، وها نحن نستيقظ معاً .

٥ — قرارات المؤتمر الإفريقى (أكرا) :

اعتبر المؤتمر الذى عقد فى «أكرا» للدول الإفريقية المستقلة فى ١٥ أبريل أن الاستعمار فى أية صورة من صوره إنما هو تهديد لحرية شعوب إفريقية جميعاً ، وسلامها واستقلالها ، وأن الاستعمار بقواته العسكرية المسلحة يجب أن يكف عن توجيه أسلحته إلى صدر الشعوب الإفريقية العزلاء ، وأن الدول الإفريقية المستقلة ترى من واجبها الضرورى حماية الاستقلال الذى لم تحصل عليه مجاناً ، وترى من اللازم لكى تحافظ على هذا الاستقلال ألا تأمن أو تطمئن للمراكز الاستعمارية المحيطة بها ، فيجب على هذه الدول أن تؤيد وتساعد وتناصر القضايا الوطنية والقومية للشعوب الساعية إلى التحرر من الاستعمار ، والراغبة فى السلام وتقرير المصير .

ولعل أهم مضمون لهذه القرارات ، هو أنها تنظر إلى القارة باعتبارها وحدة

متبادلة التأثير والتأثر ، وكان أبلغ دليل على ذلك أن المؤتمر ، وهو مؤتمر حكومات ، قد استمع — كما سبق أن أشرت — إلى مندوبي الجزائر ، والكمرون وتوجولاند ، وقد أصدر قرارات بشأن مشكلة فلسطين ، ووجوب حلها بالرغم من أنها (على الخريطة) بعيدة عن القارة ، وهذا اعتبار لها من الناحية الموضوعية ، إذ هي مشكلة تهم القارة جميعها ، ما دامت تهم إحدى الدول الإفريقية .

وتعبر القرارات عن كل ما قلناه سابقاً بالنسبة لمستوى المعركة في القارة ، وهي حين تطبق ستعني شيئاً أكبر من مجرد مضمونها كقرارات ، انها ستعني ثورة في مستقبل العالم كله ، انها ستكون الضربة القاضية التي تضع الاستعمار في القبر .

٦ — الخطوات التاريخية للحركة الإفريقية :

ا — لقد رأى التاريخ كيف سعت أوروبا إلى إفريقية إبان حركة الاستكشاف التي مهدت لها الحروب الصليبية من ناحية والحركة العلمية التي صححت عصر النهضة من ناحية أخرى ، ثم رأى أن ظهور القوميات الأوروبية والتطور الصناعي (الثورة الصناعية) ورغبة الدول الصناعية والتجارية الناشئة والأرض الواسعة والثروة الكامنة الضخمة في حاجة إلى الأيدي العاملة الرخيصة ، فسعت إلى إفريقية تشحن الزنوج منها كما تشحن المواد الخام سواء بسواء .

ب — قامت حركات الملونين في أمريكا أولا نظراً لاعتبارات كثيرة أهمها أن أمريكا كانت مركزاً لثورة تحررية كبيرة اشترك الزنوج فيها بتضحيات غالية ، ولذلك تطلعوا إلى جني ثمار الثورة مع البيض ، وامتازت حركات الملونين بعد ذلك بأنها حركات المثقفين المعزولة عن الجماهير في أمريكا وعن الموطن الحقيقي للحركة الملونة في إفريقية ، التي كانت مجالا ضخما للصراع ضد الغزاة البيض ، حيث قاوم الإفريقيون في بسالة وقوة ضد أحدث الأسلحة في ذلك الوقت ، وضد المؤامرات التي استخدم فيها الدين ورجال التبشير تماماً ، كما حدث في حرب البوير .

ج — بعد الثورة الصناعية وخروج الدول الرأسمالية الأوروبية إلى النطاق الاستعماري ، وبخاصة بعد أن اتحدت ألمانيا وإيطاليا ، اشتد الصراع الاستعماري في إفريقية ، وتمزقت القارة إلى مناطق نفوذ استعمارية ، وحدود صناعية تقسم الوطن الواحد ، وتقضي على أية قومية تحاول النشوء .

د — اشتد التنافس الاستعماري في إفريقية إلى درجة التصادم العسكري كما حدث في حادثة فاشودة سنة ١٨٩٨ ، وقد تطور هذا التنافس بعد الحرب العالمية الأولى ، وإعادة تقسيم

مناطق النفوذ أثناء تصفية الأمبراطورية الألمانية فى إفريقية .

هـ ـ أصبح للإفريقيين تاريخ نضالى ، وأبطال أسطوريون ، وفن يحكى صراعهم وآمالهم ، وأصبح لحركتهم قادة عالميون من أمثال ولم ادوارد دى بوا وتبلورت المطالب التقليدية للحركة الإفريقية : (١) ضد التمييز العنصرى (٢) من أجل حق التملك (مشكلة الأرض) (٣) حق الانتقال والعمل (٤) تنفيذ قوانين العمل الدولية (٥) حق حكم أنفسهم بأنفسهم أو المشاركة فى حكم أنفسهم (٦) وقف الهجرة .

و ـ وبتطور المعارك ، وبمرور الزمن ، اتسع النضال الإفريقى ، وأصبح فى كل ركن من أركان القارة شعلة منيرة فى الجزائر ، فى كينيا ، وفى روديسيا بجميع أقسامها ، وفى غانه ، وفى نيجيريا ، وفى أوغنده ، وفى الكمرون ، وفى توجولاند .. الخ وأصبحت المطالب الإفريقية واضحة صريحة ، تسعى إلى التحرر الوطنى والديموقراطية ، وارتبط هذا النضال ارتباطاً وثيقاً بالشعب ، وأخذ العمال مركز الصدارة فى قيادة هذا النضال .

ز ـ تستحق الفترة التى يحدث فيها الغزو الأمريكى للقارة (التى ادخرها الله !) دراسة خاصة وعميقة ، ولكى ندرك أهمية هذه الدراسة ، ليس علينا إلا أن ننظر فى تقرير أمريكى واحد عن قارتنا ؛ ان كل التقارير الأمريكية تفضح النهم والسعار الأمريكى ، فهى تعلم أن إفريقية تنتج ٧٠٪ من إنتاج العالم من الكاكاو ، و٧٥٪ من التيل ، و٢٢٪ من الفول السودانى ، و١٥٪ من البن . هذا عدا الفحم والحديد والذهب والبترول الذى ظهر فى الصحراء الكبرى فى الجزائر ومزارع القصب والقطن ، وأخيراً ظهور المواد اللازمة لصناعة القنابل الذرية وأسلحة الخراب ، وأهمية القارة الاستراتيجية باعتبارها مركزاً مغطى ومأموناً للقواعد العسكرية والمطارات الحربية والموانىء البحرية لغزو الشعوب الناهضة ، وتحطيم السلام العالمى وعزل المناطق عن بعضها .

٧ ـ التطور بقفزة :

إن شعارات الحركة الإفريقية اليوم هى الشعارات التى تحددها القارة مجتمعة ، فنحن فى عصر التغيرات الكيفية ، والتطور بقفزة ، وهذا ما يجب أن نعيه مقدمات ونتائج فى قارتنا .

وحتى لا تفاجئنا الأحداث يجب أن ننظر بعين واعية إلى مستقبل التطور فى إفريقية ، فان القارة التى كانوا يدعونها «المظلمة» قد حملت مشعلا يجدر بالعالم كله أن يستضىء به ، إنها القارة التى أعدت أرضها و « ادخرها الله » لتكون قبراً للاستعمار عدو الشعوب .

إنها القارة التى على أرضها البكر ستنمو كل أزاهير السلام والسعادة والخلاص للبشرية ، وذلك حينما تتحد شعوبها ، وتنهض فى حركة مقدسة نحو الحرية ، والديموقراطية ، والسلام .

تاريخ غانه الحديث

للأستاذ مصطفى الشهابى

كان الفراعنة والفينيقيون والقرطاجنيون أول من حاول الوصول إلى الساحل الغربى لإفريقية ، إلا أن هذه المحاولات كانت محدودة نظراً لأن ارتيادهم لتلك الأماكن كان بقصد الكشف وفتح أسواق للتجارة بالقدر الذى كانت تسمح به أحوال ذلك الزمن .

ولما انتشر الإسلام فى شمال إفريقية تجولت القوافل العربية فى الصحراء الكبرى ، حتى وصلت إلى البحر حيث توجد بلاد غانه ، وقد سجل ذلك الإدريسى أحد كبار الجغرافيين العرب لملك صقلية فى مصور جغرافى رسمه سنة ١١٥٠ .

وفى أواخر القرن الثانى عشر اجتاح شواطئ أوروبا الغربية فريق من القراصنة ، ونزلوا بالشاطئ الغربى لفرنسا ، واتخذوا من المقاطعة المعروفة باسم نورمانديا مقراً لهم ، وجعلوا يرسلون منها حملات لارتياد شواطئ إفريقية الغربية ، حتى استطاعوا الوصول إلى أكرا — فى أواخر القرن الرابع عشر .

وأول من فتح للأوروبيين باب الكشوف الجغرافية هو الأمير البرتغالى « هنرى الملاح » الذى ذهب إلى هناك عام ١٤٤٢ وعاد بعشرة من أهلها ، استرقهم وباعهم فى بلاده ثم تلت ذلك حملات برتغالية أخرى هدفها كشف شواطئ إفريقية ، ونشر الدين المسيحى . هذا فضلا عن انتزاع تجارة بلاد غانه من يد العرب ، وقد وصلت هذه الحملات على مقربة من تلك البلاد ، واستطاعت أن تقتنص عدداً من أبنائها وتبيعهم رقيقاً ، مما شجع الكثيرين من المغامرين على أن يقوموا بحملات للغرض نفسه ، وقبيل نهاية القرن الخامس عشر كان البرتغاليون قد وصلوا إلى ساحل الذهب ، واستمرت كشوفهم الجغرافية تتوالى حتى وصلت إلى الهند .

ولم يقف البرتغاليون عند كشف ساحل الذهب ، بل أقاموا به محطات ساحلية كان همها تجارة الرقيق والبحث عن الذهب ، ولما تمت لهم السيطرة عليه وعلى نقط كثيرة من السواحل المجاورة له اتخذ ملكهم لقب « سيد غانه » .

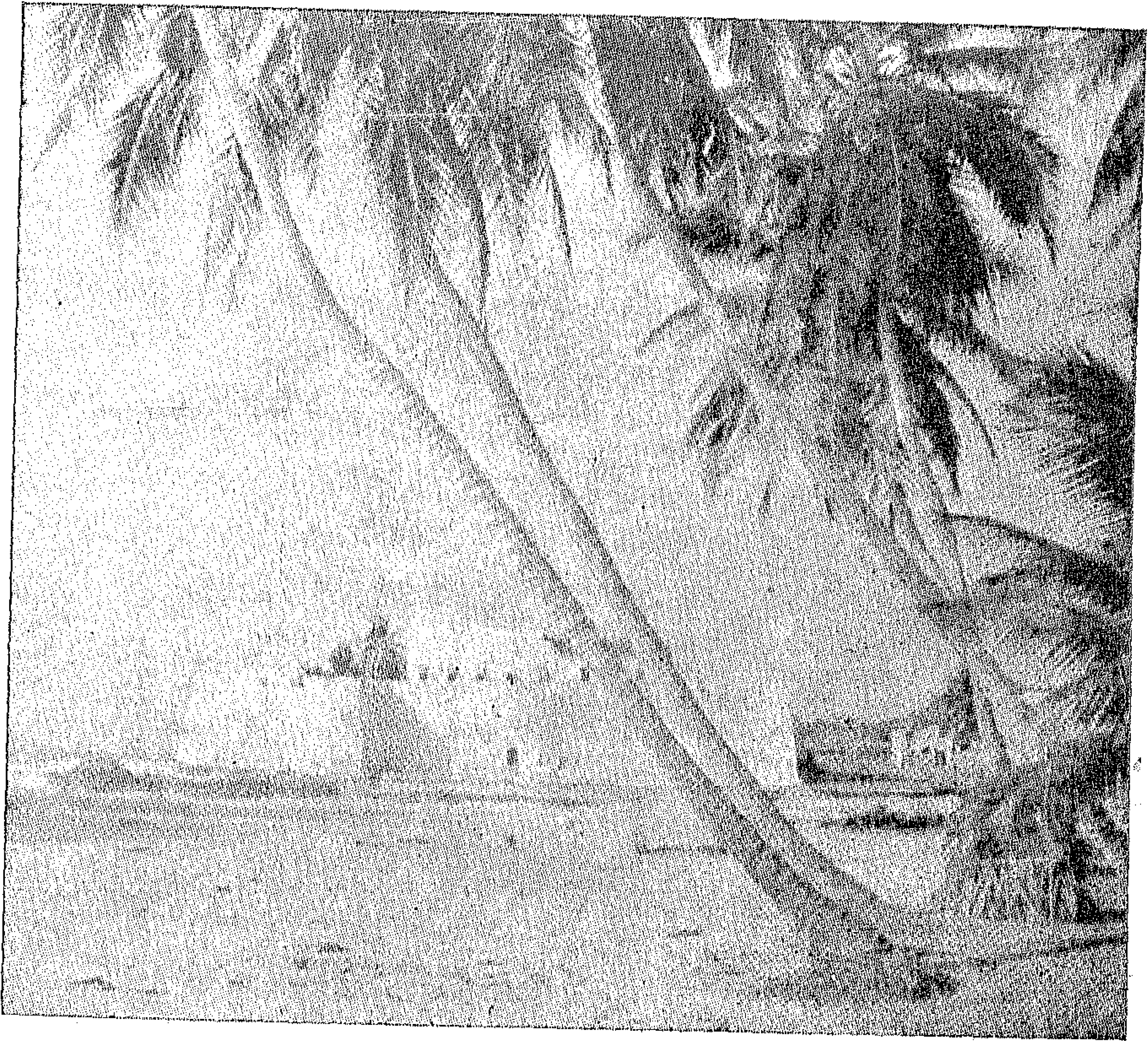
وفى النصف الأول من القرن السادس عشر اقتفى أثر البرتغاليين الهولنديون ، وكثير من الدول الأوروبية الأخرى ، وفى طليعتها انجلترا وذلك طمعاً فى الذهب . وأخذت كل دولة

تبنى لها حصوناً ساحلية فى كل منها قوة حربية ومخازن للحاصلات و « عنابر » لإيواء الرقيق الذين كانوا يخطفونه من تلك البلاد للاتجار فيه .

وقامت بين البرتغاليين وبين أغلب تلك الدول حروب أهمها ما نشب بين هولنده والبرتغال ، وانتهى بترك البرتغاليين ساحل الذهب ، مقابل تنازل الهولنديين عن ممتلكاتهم فى البرازيل .

وعندما أراد الانجليز توطيد أقدامهم فى تلك الجهات قامت الحرب بينهم وبين الهولنديين وتمكن الهولنديون من إجلائهم من كثير من حصونهم ، ولكنهم استولوا بمرور الأيام على أماكن أخرى ، وأقاموا بها حصوناً جديدة وانتهى الأمر إلى انفرادهم بها .

عندئذ تطلعت نفوسهم إلى التقدم فى داخل البلاد ، ولما كانت تلك المنطقة تسكنها قبائل الأشانتى وقبائل الفانتى ، فقد عمدوا إلى الدس وإثارة الفتن بينهما وتحريض الفانتى على التحرر من حكم الأشانتى لهم ، ونجحت تلك الدسائس واشتعلت نيران الحرب



أحد الحصون الساحلية

بين الأشانتي والفانتي وانضم الانجليز إلى الفانتي ، ولكن النتيجة لم تكن كما يرغب الانجليز فقد قتل الحاكم الانجليزى لساحل الذهب — وهو الذى قام بالوقيعة — وانهزم الفانتي والانجليز معاً .

لذلك رأت الحكومة الانجليزية أن تتخلى عن حكم تلك البلاد لشدة مراس أهلها ، وعدم استسلامهم للحكم الأجنبي ، فأعلنت تنازلها عن القلاع الساحلية ، ولكن جماعة من التجار الانجليز المغامرين أقنعوها بتسليمها إليهم مع منحهم إعانة سنوية قدرها ٤٠٠٠ جنيه .

ورضى الانجليز بهذا الحل ، وانتخب هؤلاء المغامرون « سيرجورج ماكلين » عميداً لهم .

واستطاع هذا العميد أن يعقد معاهدة مع الأشانتي ، كما تمكن بوسائل الغش والخداع أن يبسط نفوذه على بعض المناطق الداخلية .

وإزاء هذا النجاح عاد الانجليز إلى احتلال تلك البلاد ، واشتروا من الهولنديين وغيرهم ماكان لهم فيها من مراكز أو محطات أو قلاع .

وفرضوا على سكانها « ضريبة الرأس » وهى شلنان عن كل رأس مقابل حماية الانجليز لهم ، كأنما هم الذين طلبوا هذه الحماية !

وأسرف الانجليز فى استغلالهم خيرات تلك البلاد ، وأرادوا التوغل فى داخلها واستغلاله كما يستغلون السواحل ، مما أثار الأشانتي مرة ثانية فقامت حروب متلاحقة كبدوا فيها الانجليز خسائر جسيمة ، غير أن النتيجة النهائية لم تكن فى صالح الأشانتي إذ استطاع الإنجليز هزيمتهم ودخول « كوماسى » عاصمتهم فى سنة ١٨٧٤ مما اضطر الأشانتي إلى قبول الصلح الذى استمر حتى سنة ١٨٩٣ فقامت الحرب من جديد ، ذلك لأن الانجليز أرادوا أن يبسطوا حمايتهم على تلك البلاد أسوة بالسواحل ، ولكن الملك « برمبيه » ملك الأشانتي رفض ذلك ، فسير حملة عسكرية قبضت عليه ونفته هو وأسرته إلى سيراليون ثم إلى سيشل .

وتلا ذلك قيام ثورات متلاحقة فى كل مكان قاسى منها الانجليز الكثير ، ولكنهم تمكنوا من بسط نفوذهم على بلاد الأشانتي ، وضمها إلى ساحل الذهب سنة ١٩٠١ .

ولما قامت الحرب العظمى الأولى سنة ١٩١٤ استولى الانجليز والفرنسيون على المستعمرات الألمانية فى إفريقية وتقاسموها ، فضم الفرنسيون نصيبهم فى توجولاند إلى أفريقية الفرنسية الغربية ، ووضع الانجليز ما بقى من توجولاند إلى مستعمراتهم ، ثم وضع تحت وصايتهم ، وأخيراً ضم إلى ساحل الذهب .

وفى سنة ١٩٢٠ تكون حزب صغير نادى بتحرير ساحل الذهب ، وظل يناضل حتى صدر دستور هزيل سنة ١٩٢٥ لم يحقق أمانى الشعب ، فاستمر

غانه

إفريقية
غانه

المقاطعات الشمالية
أفريقية الغربية الفرنسية
توجولاند الفرنسية
نهر فولتا
أشانتي
ونشي
سينانى
كوماسي
دنكوا
أودا
ساحل الذهب
أكرا
ونبا
سولتبوند
سيكوندى
تاكورادى

حدود الأقسام
طرق
سكة حديدية
الحدود السياسية

فى كفاحه وتكونت سنة ١٩٣٠ جماعة « مؤتمر شباب ساحل الذهب » جعلت أهدافها العمل على النهوض بتلك البلاد فى جميع النواحى .

ولما شبت نار الحرب العظمى الثانية ، واشترك عدد غير قليل من أبنائها فى الدفاع عن الامبراطورية البريطانية ، ولمسوا هم ومواطنوهم المدنيون ما قاموا به من خدمات وتضحيات لبريطانيا وحلفائها .

لذلك ما كادت الحرب تضع أوزارها حتى ظهر الوعى القومى بأجلى مظاهره . وطالب الجميع بالاستقلال الذاتى . فاستمهلتهم بريطانيا ، وبعد قليل أصدرت دستوراً جديداً سنة ١٩٤٦ نال به الوطنيون أغلبية فى المجلس التشريعى ، ولكن سلطات الحاكم العام البريطانى كانت واسعة .

* * *

ووصلت البلاد إلى هذه المرحلة من الجهاد فى سبيل التحرير ، فى الوقت الذى كان الشاب نكرومه مقيما خارج بلاده يتابع تطوراتها السياسية ، ويبرز اسمه كافريقى نابغة ، ولذلك استدعاه مواطنوه لينضم إليهم فيكسبهم بشخصيته قوة .

ولبى نكرومه دعوتهم وعاد إلى بلاده فى سنة ١٩٤٧ وكان أول ما اتجه إليه نظره هو تنظيم « حزب المؤتمر المتحد » الذى استدعاه — والنهوض به وإنشاء النقابات ، وإلهاب الشعور الوطنى ، وأخيراً قامت ثورة عنيفة فى فبراير سنة ١٩٤٨ قاومها الحاكم العام بكل عنف . كما قبض على الزعيم الشاب بتهمة إثارته للعناصر الوطنية ، وتأليف جماعة سرية لتحرير غرب إفريقية .

ولكن الحكومة البريطانية أدركت أن تلك الوثبة ستتلوها وثبات تزعزع مركزها وعلاقتها بساحل الذهب ، ولذلك كونت لجنة لإصدار دستور جديد ، ولكنها كعادتها ماطلت ، واستاء نكرومه . فنادى إخوانه للقيام بحركة عصيان مدنى ، وكان من نتيجته أن سجن بطلنا مرة أخرى .

وأخيراً صدر الدستور الجديد فى أول يناير سنة ١٩٥١ . ولما أجريت الانتخابات فاز نكرومه . وكثير ممن زج بهم فى السجون معه فى تلك الانتخابات . بعضوية البرلمان ، وأصبح حزبه حزب الأغلبية ، فأطلق سراحه فى فبراير سنة ١٩٥١ ليتقلد زعامة الأغلبية البرلمانية التى فاز بها .

وفى أول مارس التالى تقلد منصب رئيس مجلس الوزراء الذى كان مكوناً من ثمانية أعضاء من الوطنيين وثلاثة من البريطانيين .

وبعد قليل أجرى تعديل فى هيئة مجلس الوزراء ، فأصبحت كلها من الوطنيين .

وظل نكرومه يسعى قدماً نحو استكمال تحرير بلاده ، فدفع البرلمان إلى المطالبة بالاستقلال التام « لساحل الذهب » داخل نطاق الكومنولث ،

كما أصدر دستوراً جديداً جعـــل الانتخاب مباشراً ومباحاً للجنسين ، وقاصراً على أبناء البلاد فقط ، وشعر البريطانيون بأن لا مفر من تلبية هذه الرغبة الكريمة .

وفى منتصف ليل ٥ مارس سنة ١٩٥٧ أنزل العلم البريطانى من فوق دار البرلمان فى «أكرا» ورفع محله علم غانه الجديد . وأشرقت شمس اليوم التالى تحييه بعد أن حيته الموسيقى بنشيد غانه الوطنى «انهضى غانه !» .

ولا شك أن استقلال غانه هو بداية النهاية القريبة لما بقى من استعمار فى إفريقية .



نساء غانه يشتركن فى الانتخابات

تعرف على اقتصاديات غانه

أصدرت الحكومة البريطانية إعلاناً في السادس عشر من سبتمبر سنة ١٩٥٦ بمنح ساحل الذهب استقلاله في اليوم السادس من مارس سنة ١٩٥٧ ، في نطاق الكومنولث البريطانية . وعلى أن تضم إليه منطقة توجولاند الموضوعة تحت الوصاية البريطانية إذا وافقت هيئة الأمم على هذا الضم ، وقد قامت هيئة الأمم باجراء استفتاء شعبي في إقليم توجولاند . كانت نتيجته في جانب الوحدة مع ساحل الذهب .

وفي اليوم المحدود أعلن رئيس وزراء ساحل الذهب الدكتور كوامى نكرومه قيام «غانه المستقلة» في نطاق الكومنولث البريطانية ، وبهذا انتهت مرحلة طويلة من كفاح الشعب اختلفت وسائله وألوانه .

١ — وتتكون غانه المستقلة من :—

الإقاليم	المساحة بالميل المربع	عدد السكان حسب تقدير منتصف عام ١٩٥٣: افريقيون	أوربيون	أجانب +
ساحل الذهب الأشانتى الأقاليم الشمالية توجولاند البريطانية	٢٣٩٣٧ ٢٤٣٧٩ ٣٠٤٨٦ ١٣٠٤١	٤,٤٨٦,٩٣٠	٧١٠٠	١٩٣٠
		٤,٤٨٦,٩٣٠	٧١٠٠	١٩٣٠
إجمالى العـــام	٩١,٨٤٣	٤,٤٧٧,٩٦٠		
إحصاء عام ١٩٣١		٣,١٦٠,٣٨٦		

وإذا أخذنا بعين الاعتبار نسبة المواليـــد والوفيات نجد أن عدد السكان يتزايد في مجموعه بمعدل ١,٥٪ سنوياً .

٢ — توزيع الأراضى :—

المساحة الكلية : ٩١٨٤٣ ميلا مربعاً

أراضى زراعية : ١٥٨٧ ميلا مربعاً

+ هؤلاء الأجانب هم من السوريين واللبنانيين .

غابات وأحراش خشبية : ٤٧٦٦٧ ميلا مربعاً

أراضى بور وأراضى تشغلها المـدن الخ ٢٨٣٨٩ ميلا مربعاً

٣ – توزيع الأيدى العاملة (إحصاء عام ١٩٥٠)

فى الغابات والزراعة والخدمة :	١٤٣,٦٠٠
فى المناجم :	٤١,٥٠٠

٤ – المواصلات :

السكك الحديدية وطولها ٣١١١ ميلا (عام ١٩٥٢)

السيارات (بما فيها عمبيا) : ٥,٠٠٠ سيارة خاصة } إحصاء عام
١٢,٢٧١ عربات تجارية } ١٩٥٠

٥ – الثـروة المعـدنية

(ا) الـذهب :

بلغ المستخرج فى عام ١٩٣١ من الذهب ٢٦٤,٠٠٠ أوقية وارتفع الرقم إلى ٨٨٢,٠٠٠ فى عام ١٩٤٠ ، وقد تعطل الإنتاج فى سنى الحرب العـالمية الثانية ، وأقفلت أربعة مناجم لأسباب اقتصادية ، ثم أعيد افتتاحها فى عام ١٩٤٦ ؛ وواجهت الأعمال فى المناجم مصاعب ما بعد الحرب من ارتفاع فى الأجور والتكاليف. وانخفاض فى مستوى الأيدى العاملة وارتفاع فى الضرائب . وبسبب ذلك لم يصل المستخرج من الذهب فى الفترة ما بين ١٩٤٦و١٩٥٢ إلى ٧٠٠,٠٠٠ أوقية .

وحدث فى عام ١٩٥٣ أن أصيبت أعمال المناجم بخسائر بسبب المصاعب المالية مما اضطرت معه حكومة الدكتور كوامى نكرومه إلى منح سلفية لبعض المناجم بلغت ثلاثين ألف جنيه للتغلب على المصاعب المالية وللاستمرار فى العمل.

(ب) المـاس :

اكتشف الماس فى ساحل الذهب فى عام ١٩١٩ ، بالقرب من نهر بريم ، وبدأ العمل فى استخراجه فى ذلك الحين .

وتقوم الشركات بجميع الإجراءات الخاصة ببيع الإنتـاج ، أما مايستخرجه الإفريقيون فيقدم إلى بنك فى تركو Tarkwa حيث يقدر الثمن ويدفع البنك نصف القيمة مقدماً ويرسل الماس إلى انجلترا للبيع فى عطاءات ، تسلم إلى صاحب العطاء الأعلى ، ويخصم البنك عمولته بواقع ٣٪ ويدفع الباقى إلى صاحبه .

وقد أنشئت فى عام ١٩٥٤ سوق للماس فى أكرا . وقد زادت فى السنوات الأخيرة الرخص التى أعطيت للإفريقيين لاستخراج الماس ، ولذلك زاد الإنتاج

والمعروض للبيع . ويحتل ساحل الذهب المرتبة الثالثة بين الدول التي تستخرج الماس في العالم . أولاها الكونغو البلجيكية . والثانية جنوب إفريقية .

(ج) المنجنيز :

بدأ استخراجه في عام ١٩١٦ وبلغ المصدر منه في عام ١٩٢٣ مائة ألف طن . وبلغ في عام ١٩٣٧ أكثر من نصف مليون طن . وزادت كمية المصدر منه بعد عام ١٩٤٥ حيث بلغت نحو ٧٠٠,٠٠٠ طن تحتوي على أكثر من ٣٥٠,٠٠٠ طن من المنجنيز.

وساحل الذهب ثالث أو رابع دولة مصدرة للمنجنيز في العالم. الأولى السوفييت ثم الهند ثم جنوب إفريقية الذي يتبادل هذا المركز مع ساحل الذهب بين عام وآخر .

هذه هي أهم مستخرجات المناجم ، وهنالك بحوث تقوم بها الحكومة لاستغلال الثروة المعدنية .

٦ — الثروة الزراعية :

تنتج غانه مايقرب من ٢٥٠,٠٠٠ طن من الكاكاو . ويبلغ ما يصدر من غانه، ومن نيجيريا (حوالى ١٠٠,٠٠٠ طن) نصف إنتاج العالم . ويباع جانب كبير منه بالعملة الصعبة .

وقد بلغ المصدر من محصول الكاكاو في أعوام ثلاثة كالآتي :—

السنين	ملايين الدولارات
١٩٥٣	١٥٧,٢
١٩٥٤	٢٣٩,٧
١٩٥٥	١٨٣,٦

وهناك محصولات أخرى ذات قيمة نقدية ، منها الفول السوداني ، والقطن ، وحب السمسم ، وبذرة القطن ، وزيت النخيل . والكولا ، والمطاط . وتحاول الحكومة إدخال وسائل جديدة لتحسين الغلات الزراعية .

٧ — الثروة الحيوانية :

ليست هنالك إحصائيات دقيقة عن الثروة الحيوانية في غانه ، ويعتقد أنه يوجد فيها ما يقرب من نصف مليون رأس من الماشية . وتربى سلالات مختلفة من الماشية .

٨ — الثروة المائية :

يمارس سكان الشواطئ النهرية ، وساحل المحيط صيد الأسماك ، ويستخدمون في ذلك القوارب الصغيرة ، ويجفف الصيد من الأسماك أو يدخن لبيعه في داخلية البلاد .

٩ — الأخشاب :

تقوم الغابات على رقعة من الأرض تقرب من ثلث مساحة غانه تقريباً ، وأخشابها في الغالب من النوع الجاف . وقد استخدمت الآلات البخارية في قطع الأخشاب وإعدادها للتصدير ، وهنالك أنواع ممتازة من الأخشاب من ناحية الطول والنوع .

* * *

هذه إلمامة موجزة عن أحوال غانه الاقتصادية ، وهي صورة تبشر بمستقبل زاهر بادخال الصناعات التي تتمشى مع حاجيات البلد وموارده من الخامات .

افريقيـــــات

من أقوال نكرومه لمواطنيه

« إننى خادمكم فأنتم الذين صنعتم منى الرجل الذى ترونه . وواجبى أن آتى اليكم بين وقت وآخر وأؤدى لكم حسابى عن قيامى لخدمتكم ، وعندما لا يرضى عنى الشعب فإن له الحق فى أن يقذف بى خارج الحكم .. »

نشيد غانه وعلمها

.... النشيد الغانى الجديد عنوانه :

« انهضى يا غانه ! » Ghana Arise

وكله حماسة متدفقة ، ومعان إفريقية صميمة ، والعلم يتكون من الألوان الآتية : الأحمر ، والذهبى ، والأخضر . . ويتوسطه نجم أسود .

الدوربار

للشعب الغانى اهتمام بالمرح . وهناك شعار « كلنا نحب أمسيات السبت » . ومن أهم الاحتفالات هناك احتفال « الدوربار » ففيه يجتمع الموظفون بالرئيس الأعلى فى فضاء واسع . وبعد أن يلقى خطبته يأخذ الشعب فى المصارعة بالحراب . والرقص وقرع الطبل . . ويعتبر احتفال « الدوربار » من أجل الاحتفالات فى غانه !

تورم الساق

من أخطر الأوبئة التى تهدد زراعة الكاكاو فى غـانه وباء يسمى « تورم الساق » وقد بلغ عدد الأشجار التى أتلفها عام ١٩٥٦ خمسين مليون شجرة من بين ما تمتلكه البلاد ، ويبلغ ٥٠٠ مليون شجرة .

عدد السكان فى غانه

فى غانه ٦٧٧٠ أوروبياً ، والسبب فى هذه القلة هو خطورة ذبابة « تسى تسى » ومن بين السكان ٣٠٪ من المسيحيين ، ٤٠٪ من المسلمين .

كذب !

كان أحد المبشرين الانجليز يحدث أهل الجنوب عن الجنـة وما تضمه من حدائق وقصور ، وأنهار ، وذهب ، وفضة ، فصاح به أحد الأهلين قائلا :

« إنك تكذب على الرب . فلو كان هناك مكان يحتوى على هذه الأوصاف لاستعمره الانجليز من زمن بعيد . ! »

ع . ج

كتاب الشهر :

دراسات فى المكتبة الإفريقية

بنكول تيموتى : كوامى نكرومه
تسلمه السلطة ، لندن سنة ١٩٥٥

Bankole Timothy : Kwame Nkrumah, George Allen and Unwin Ltd, London, 1955.

صدر هذا الكتاب عن دار جورج ألن وأنيون الانكليزية للنشر فى عام ١٩٥٥ بقلم السيد تيموتى ، وقدم له السيد المحـــــترم كوجو بوتسيو Hon. Kojo-Botsio وزير الدولة فى حكومة ساحل الذهب ، التى تولى رياستها السيد كوامى نكرومه لأول مرة فى تاريخ ساحل الذهب الذى صار فيما بعد ، أى من يوم ٦ مارس سنة ١٩٥٧ جمهورية مستقلة فى نطاق الكومنولث البريطانى ، واتخذت الجمهورية الفتية اسم « غانه » وهو الاسم القديم لمملكة غانه .

ويتميز الموقف بصلاته الشخصية بنكرومه ، وقد دارت بينهما أحاديث كثيرة عن الشئون العامة الخاصة بمستقبل ساحل الذهب ، كما أنه قد تخلف إليه فى مناسبات مختلفة فزاره فى مكتبه الرسمى فى دار الحكومة وفى منزله ، وكتب عنه فى جريدة الديلى جرافيك التى تصدر فى أكرا (عاصمة غانه) .

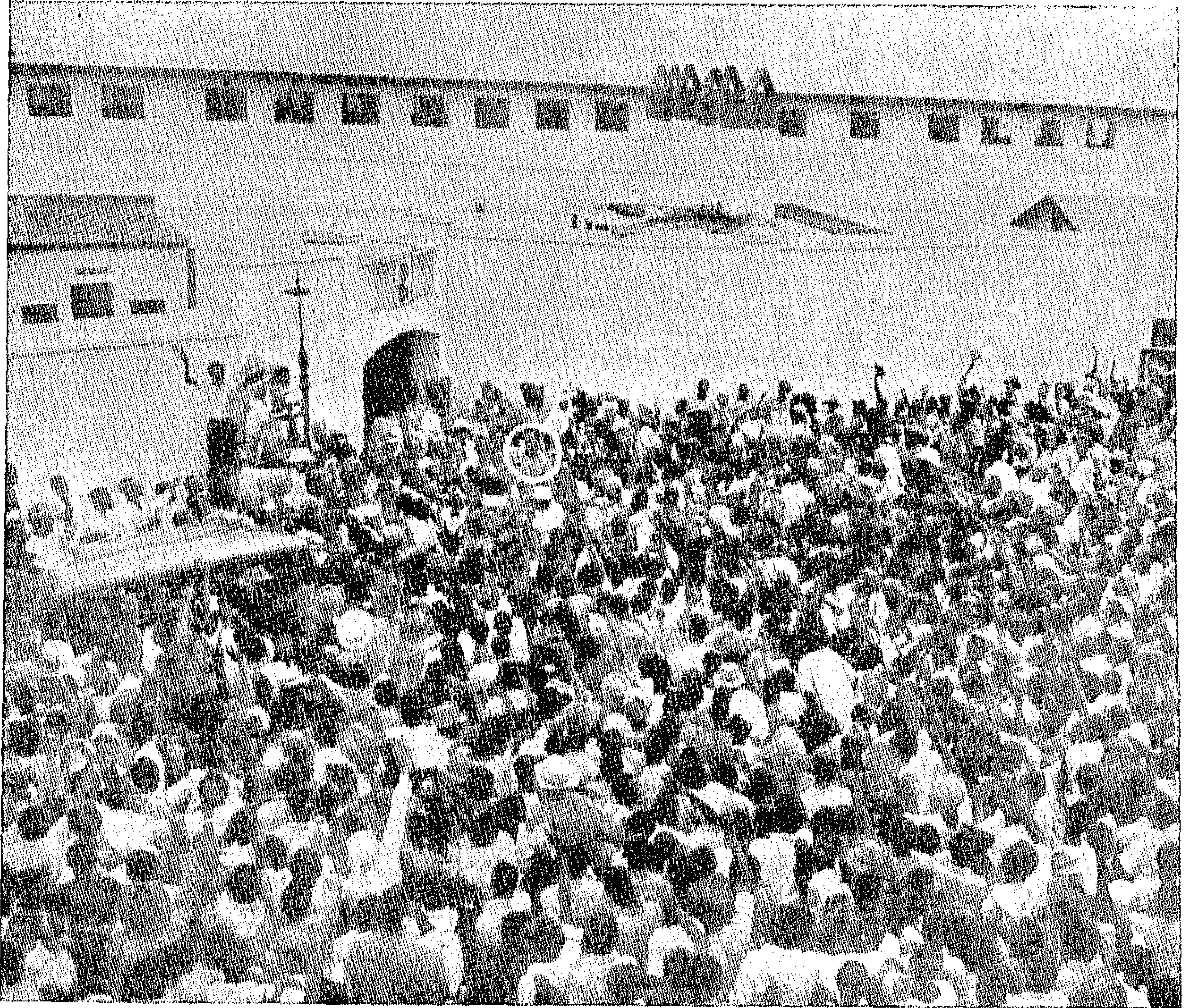
ولا شك فى أن ماكتبه المؤلف عن نكرومه جدير بالأخذ بعين الاعتبار ، فالمؤلف مواطن من غانه ، أسهم فى كفاح مع شعبها لنيل حريته ، فهو بذلك فى مقدمة الذين يكتبون عن زعيمهم فى صورة تمثل الواقع الذى يراه المواطن بعينه المجردة ؛ بدأ المؤلف ترجمته لنشاط نكرومه بالتأريخ لسنوات حياته الأولى من مولده فى السبت ٢١ سبتمبر سنة ١٩٠٩ وقد اختار له والده اسم نواى كوفى Nwia Kofi وأضيف إلى هذا الاسم اسم مسيحى هو فرانسيس وذلك عند تعميده فى الكنيسة وتتدخل التقاليد المرعية فى ساحل الذهب بأحداث تسمية جديدة ، فالمولود ذكر رأى الدنيا فى يوم سبت ، وتقضى التقاليد بأن يحمل اسم كوامى "Kwame" .

ويقدم لنا المؤلف صورة مثيرة عن نشاط نكرومه فى سنوات حياته الأولى ، وكفاحه لشق طريقه . فقد التحق بمدرسة الإرسالية الرومانية الكاثوليكية الأولية ، وبعد نجاحه فى نهاية مرحلتها عين « تلميذ مدرس » وبعد زمن قصير أرسل إلى كلية تدريب المدرسين فى أكرا ، وانتقل منها إلى مدرسة أخموتا Achimoter المشهورة . وهناك فى غانه

التقى بنخبة من المدرسين الكبار الذين أثروا فى توجيه حياة نكرومه .

والتقى بعد ذلك بسنوات بالدكتور نمدى ازيكوى الذى كان محرراً لجريدة افريكان سنتينل "African Sentinel" ، ومؤسس جمعية الشباب . والتقى أيضاً بـ والس جونسون Wallace Johnson . وكان لهما نفوذ سياسى كبير فى ساحل الذهب ، واستمع فى أثناء وجوده فى أكرا ، إلى محاضرات الدكتور ازيكوى التى تركت انطباعاتها فى نكرومه وجعلته يفكر فى المزيد من التعليم . وذهب إلى أمريكا والتحق بجامعة لنكولن Lincoln University بعد متاعب كثيرة . وفى أمريكا اشتغل فى وقت فراغه فى أعمال كثيرة . ليحصل على قوته . واضعاً نصب عينيه ما قاله سيسيل رودس « الكثير ما تريد أن تفعله . والقليل ما تفعله فعلا » .

وأمضى نكرومه حوالى عشر سنوات فى أمريكا طلباً للعلم فى قسم اللاهوت والفلسفة . وقام بدراسات لأحوال السود فى أمريكا ، وغادر أمريكا فى النصف الأول من عام ١٩٤٥ إلى لندره لدراسة القانون ، واهتم فى مدة وجوده بانكلترا بدراسة «الاستعمار» ووسائله فى استغلال الشعوب



الإفريقية . ونشر مقالات فى الصحف .
كما طبع عدة كراسات للكفاح ضد
الاستعمار ؛ وذكر فى إحدى كراساته
عن الاستعمار قول الوزير الأول الفرنسي
فرى Ferry فى عام ١٨٨٥ بشأن
الاستعمار والذى جاء فيه .. أن الأمم
الأوروبية تسعى للحصول على مستعمرات
لأسباب ثلاثة :ـــ

١) الوصول إلى مراكز المواد الخام .

٢) إيجاد أسواق لتصريف صناعات
البلد الأوروبى .

٣) أن يكون من المستعمرات ميدان
لاستثمار رأس المال .

وأوضح نكرومه أن حصة المستعمر
تبدأ بالتبشير ، ثم بالعالم والتاجر ،
وصاحب الامتياز ، ثم الحاكم .

ووضع نكرومه خططه لمحاربة
الاستعمار والخلاص منه بتعبئة الرأى
العام وتوجيهه . وهكذا دخل نكرومه
فى الميدان السياسى والكفاح الشعبي
بصورة عملية ؛ وذلك بعد وصوله من
لندن إلى أكرا فى ١٦ ديسمبر سنة
١٩٤٧ . حيث تسلم عمله فى وظيفة
سكرتير الهيئة المتحدة لساحل الذهب
بمرتب شهرى مقداره عشرون جنيهاً .

واستمر فى كفاحه . وتحمل
المتاعب والمحاكمات . وخرج من
سجنه مرفوع الرأس لتولى منصب
رياسة الوزارة بعد فوز حزبه الساحق
فى الانتخابات التى أجريت .

* * *

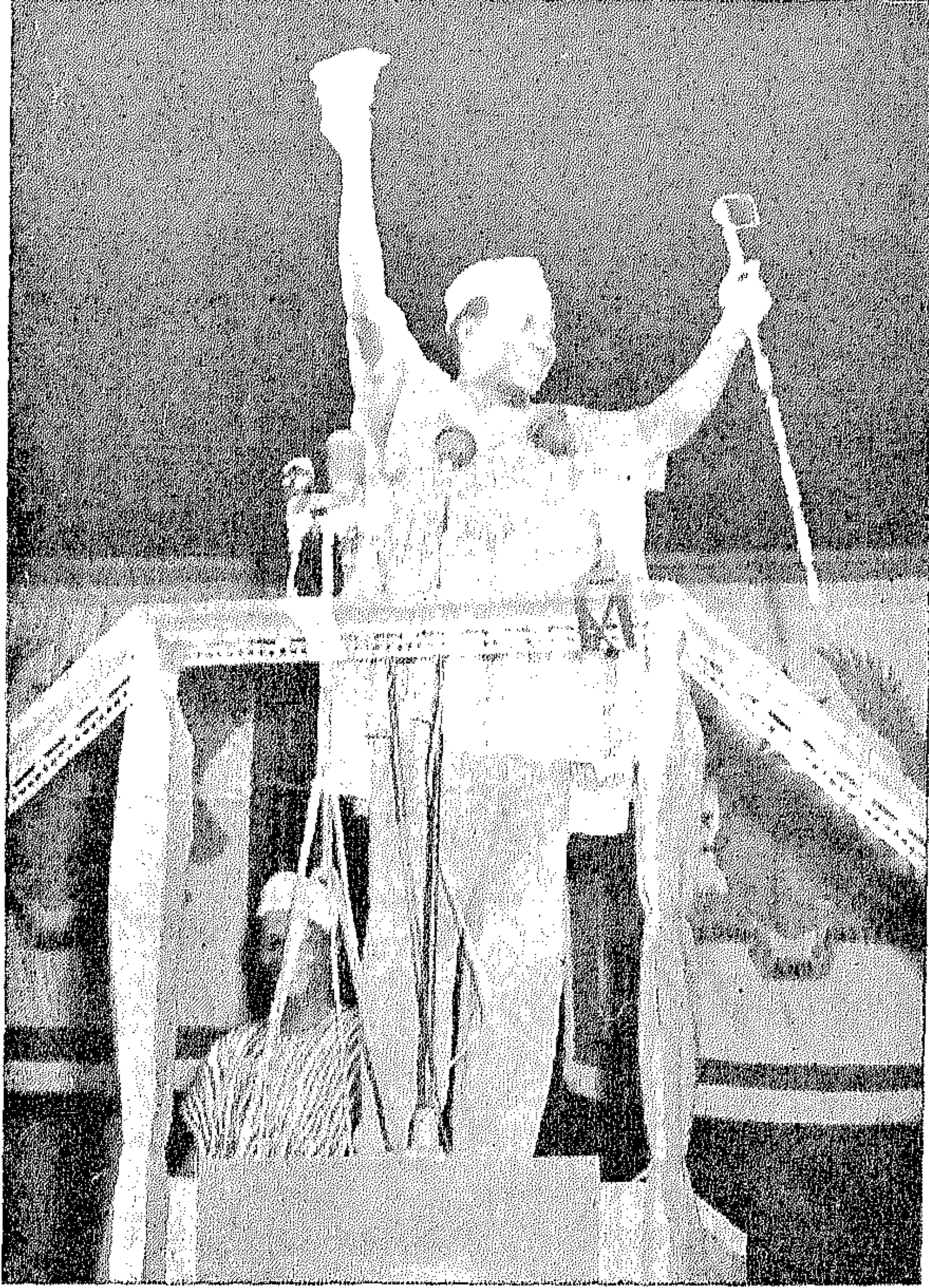
هذه صفحة مجيدة من الكفـــاح
الشعبي تتطلب المزيد من الدراسة ،
كما تتطلب العمل المتواصل لتقوية
مقومات المجتمع وصيانته من الانحرافات
التى يعمل المستعمر جاهداً على خلقها
لعرقلة تقدم الشعوب ، ليتمكن من
استغلالها لمصلحته . والبلد غنى بموارده
ورجاله ، ولاشك فى أن تكوين جبهة
من الشعوب التى تدافع عن الحريات
جدير بتحقيق الآمال القريبة والبعيدة ،
وسوف تجد هذه الشعوب من الجمهورية
العربية المتحدة كل مودة لخير تلك
الشعوب وتقدمها ، والله الموفق .

ا . ب . ع .

صحف العالم تقول عن أكرا

ع . ب

ع . ب



لقد هز مؤتمر « أكرا » العالم أجمع . في ، الوقت الذي جمع فيه القلوب المتنافرة في القارة ! وهكذا لم تصبح الدول الافريقية معزولة بالحقد والدسائس الاستعمارية . فقد أحست كل دولة في القارة أنها عضو كله حنان على العضو الذي يجاوره . فالجميع يتكون منهم شيء ضخم عظيم هو « إفريقيــة » والجميع يجب أن يقفوا جنباً إلى جنب ليخلصوا القارة من الاستعمار السياسي والفكري والاجتماعي ، لتصبح للقارة شخصيتها وطابعها ، وليردوا إلى هذه القارة اعتبارها ؛ هذه القارة التي تغص بثروات ضخمة ، وتقع في قلب العالم ، وتطل على عدد كبير من المحيطات ، ولا يتمتع من دولها البالغة أربعة وأربعين قطــراً بالاستقلال إلا ثماني دول فقط !

والذى يرى أكثر المؤرخين أن النوع الإنسانى كله مرتبط بتاريخها . فى الوقت الذى يتحدث فيه الشاعر «سويفت» عن اكتشافها قائلا : «.. إنهم لم يجدوا مدناً... فوضعوا موضعها فيلة .. ووضعوها حيثما اتفق ... بدلا من العمران والسكان ! ! »

.. ومهما يكن من شىء فلقد كان مؤتمر « أكرا » خطوة أكيدة من أجل تحرير القارة ، وتمتعها بالحياة الكريمة . حتى لقد هز هذا المؤتمر العالم أجمع ، وسنحاول أن نرى معاً هذا الأثر فى صحافة العالم وإذاعاته ومؤتمراته :

أمريكا

◆ ففى أمريكا : نشرت التايم فى ٢٨/٤/١٩٥٨ هذا المقال بعنوان « الشخصية الإفريقيــة :

« لماذا يعتبر هذا المؤتمـــر كبير الأهمية ؟ هذا هو السؤال الذى وجهه نكرومه رئيس وزراء غانه إلى شعبه فى إذاعة له .

لقد دعا نكرومه إلى عاصمتــه « أكرا » زعماء جميع الدول الافريقية المستقلة .

لقد كانت هذه مناسبة ظل نكرومه يحلم بتحقيقها من سنوات . ومن الواضح أن يأمل فى أن يقربه ذلك من تحقيق فكرة أمة .. فى أن يصبح « صوت افريقية » عالياً مدوياً .. والآن وقد حل اليوم الكبير ، نجد نكرومه ممتلئاً بالتفاؤل . وقد قال : لقد ظلت إفريقية طويلا تتكلم عن طريق الآخرين والآن سيكون أمام ما أدعوه «الشخصية الافريقية فى الشئون الدولية » الفرصة لإثبات وجودها !

وقد افتتح « نكرومه » المؤتمــر بخطبة قوية قال فيها : « إرفعــوا أيديكم عن إفريقيــة » ! ولكن نجوم المؤتمر الحقيقيين كانوا مندوبى الجزائر وعلى رأسهم « محمد يزيد » وقد وافق المؤتمر على قرار يمنح الثوار الجزائريين كل ما طلبوه تقريباً ، ويتساوى مع ذلك فى الأهمية أن غانة ، وليبريا ، والحبشة التى عبرت حتى الآن عن مجرد تضامن غامض تبدو على استعداد لتقديم مساعدة مادية فى صورة أطعمة » .

فرنســا

◆ وفى فرنسا نشرت « كومبا » فى ١٥/٤/١٩٥٨ مقالا بعنوان « مؤتمــر أكرا ليس كمؤتمر باندونج » ، جاء فيــه :

« فى الوقت الذى راح فيه الموقف السياسى يتدهور فى باريس عمدت الدول الافريقية ذات السيادة إلى عقد أول اجتماع إفريقى لها .

على أنه منذ عام ١٩٥٥ طرأ تطور كبير على البلاد الأفريقية . ومن ثم فان روح « باندونج » لن تسود أكرا ، ذلك أنه خلال أعوام قلائل ظهر « عبد الناصر » الذى أضحى نفوذه فى

افريقية وطيد الدعائم . فالطريق بين باندونج وأكرا يمر بالسويس وهى حقيقة جغرافية . ولكنها حقيقة سياسية أيضاً . إن مؤتمر أكرا لن يكون مؤتمر « باندونج افريقية » فان ثمة تفكيراً جديداً يفصل بينهما . كما أن الانتصار الضخم الذى أحرزه الرئيس عبدالناصر قد بدأ عهــــده بين المؤتمرين . ولن يتحدث المؤتمر عن الأحلام والأوهام ، إذ سوف يكون أكثر واقعية ! وواقعية عبد الناصر ليست فى حاجة إلى إيضاح ، فما هى أوجه الخلاف بين هذا المؤتمر ، وبين مؤتمر باندونج ؟

(١) فى مؤتمر باندونج لم ينظر قط إلى المسألة الجزائرية . بيد أنه يمكن أن يقال فى هذا الصدد : إن الجزائر كانت أبعد ما تكون عن آسيا ، وإن مؤتمر باندونج كان آسيوياً أكثر منه إفريقياً .

(٢) ومن ناحية أخرى فان انعكاس السياسة الغربية كان ممثلا فى باندونج ، بالرغم من أنه كان يقف فى وجهها وجه الصين الشعبية !

ورغم أن « مؤتمر أكرا » عقد بناء على جهود نكرومه فان اجتماعاته ستدور فى ظل عبد الناصر . وبوجه عام فى ظل الدول العربية الخمس الممثلة فى المؤتمر ، والتى سيكون لها غالبية الأصوات عند اتخاذ القرارات . ولكن إذا كان « مؤتمر أكرا » قد اختلف عن «مؤتمر باندونج» فى أنه يخضع لنفوذ عبد الناصر ويشهده ممثلو جبهة التحرير الجزائرية ، ويسوده اتجاه مناهض للاستعمار . فانه يشبهه فى جوهره : فهو يمثل جهود شعوب ذات سيادة فى سبيل الحصول على حق التباحث فيما بينها دون وجود شعوب بيضاء !

إن « مؤتمر أكرا » يمثل فى النطاق الدولى قوة إفريقية لن تلبث أن تقوم بدور حاسم بين الشرق والغرب . وإذا عرفنا العطف الذى لاتفتأ تبديه روسيا ، نحو القارة الافريقية ، أدركنا الأسباب التى تبعث على القلق فى واشنجتون فاذا استطاعت شعوب إفريقية فى غمار هذا الصراع المصطنع أن تختار النهوض بمستوى معيشتها ، وتعليمها ، وتنمية وعيها ، فلربما كان من حقها مستقبلا أن تقول : « إنها هى التى لقنت تعاليم السلام للشرق والغرب على السواء ! على أن هذا لا يعدو أن يكون حلما . وبين باندونج وأكرا يمتد طريق طويل يفصل بين الحلم وبين الواقع الأليم .. »

بريطانيا

◆ وفى بريطانيا كتبت «الإيكونومست» الصادرة فى ٢٦ / ٤ / ١٩٥٨ / مقالا بعنوان « افريقية تستيقظ » جاء فيه :

« إن رسالة « أكرا » ما زال سهلا علينا أن نقرأها ، ونعرفها ، فهذه الرسالة تقول للدولة الاستعمارية إن هناك شخصاً آخر يكتب جدول الاستقلال الافريقى . ولكن الجداول الاستعمارية السريعة هى التى جذبت الأنظار القاسية لإفريقية المستقلة .

إن دول أكرا الثمانى — أثيوبيا . غانه ، ليبيريا ، مراكش ، السودان . تونس . والجمهورية العربية المتحدة كانت تتحدث عن البلجيكيين والبرتغاليين الذين يقولون : إنه لا حاجة إلى جدول المتأفرقين البعيدين جداً عن افريقية . والذين يهمهم بجانب الجزائر هو الخطوة التى يسير بها التغير فى الكمرون . حيث يوجد دعاة كثيرون للقومية فى جميع أنحاء اتحاد غرب إفريقية الفرنسى . وفى نيجيريا ، وفى كينيا . لأن الذين لم يحضروا المؤتمر هم الذين يجب أن يستفيدوا منه . فهم الذين ما إن يحتلوا مكانهم فى نظام الدولة الافريقية الجديدة حتى يسيطروا على شئون القارة ، ويطمسوا غانه الصغيرة التى مهدت الطريق !.

وإذا أثبتت « نيجيريا » أنها قوة ذات حيوية بسكانها الذين يصل تعدادهم إلى ثلاثين مليوناً . فسوف تصبح العملاق الافريقى الأسود !! وفى الجانب الآخر نجد أن الأثيوبيين قلقون جداً من النشاط المصرى فى الصومال .

* * *

وفى سويسرا كتبت صحيفة « تربيون دى جنيف » هذا المقال تحت عنوان « فى القارة السوداء » :

« دعا نكرومه رئيس وزراء غانه إلى عقد مؤتمر فى عاصمة بلاده ، للمطالبة بمنح باقى إخوته السود الاستقلال كما حصل هو عليه فى ٥ مارس عام ١٩٥٧ . وكانت أغلبية الحاضرين فى المؤتمر من العرب لا من السود . فقد سيطرت الجمهورية العربية المتحدة . والسودان ، وتونس ، ومراكش ، وليبيا على أعمال المؤتمر . وسمحت لمندوبين عن جبهة التحرير الوطنية الجزائرية ، والحزب الوطنى فى الكمرون بالاشتراك فيه . والمعروف أن رجال هذا الحزب يلقون التأييد من القاهرة . فضلا عن أنهم يسعون إلى هدم مشروع القانون الجديد ، الذى أعدته فرنسا لمستعمراتها فى إفريقية ، وإلى عرقلة تنفيذه . وعلى غرار المبدأ الذى اتخذته الشعوب الآسيوية تبنى المؤتمرون فى « أكرا » مبدأ « إفريقية للإفريقيين » كما كانت سياسة « الحياد الإيجابى » على رأس برنامجهم .

* * *

♦ وفى ألمانيا الغربية نشرت « فرانكفورتر الجماينه تسايتونج » مقالا بعنوان « تمثيلية كبرى ! » جاء فيه :

إن عاصمة غانه تبدو فى شكل عيد ، وأعلام ثمان دول مستقلة تخفق فى نسيم عليل آت من المحيط .

ومع ذلك لا يجوز أن نتصور أن « مؤتمر أكرا » كان مجرد تمثيل ، كما يميل كثير من المراقبين الأجانب إلى اعتباره كذلك . فحين افتتح نكرومه المؤتمر وهو بادى التأثر ، وألقى رؤساء الوفود خطبهم ، لم يكن هناك شك فى أنه

يقع إذ ذاك حادث لم يسبق له مثيل فى تاريخ افريقية ، وأن القوم عازمون على الوصول إلى قرارات .

وبهذا المؤتمر الذى عقد فى أكرا يبدأ ظهور نكرومه فى محيط السياسة الدولية ، ولن يظل عند هذه البداية ، وقد صفق المجتمعون له أشد التصفيق حين قال : « إن الصحـــراء الكبرى لم تعد عاملا فاصلا بين الأمم الإفريقية ، بل أصبحت عاملا لاتحادها . وإن تجارب الأسلحة الذرية التى يراد القيام بها لا يمكن السكوت عليها !! »

* * *

◆ وفى الاتحاد السوفيتى علق راديو موسكو على « مؤتمر أكرا » بقوله :

إن شعوب المستعمرات الإفريقية مصممة على الحصول على استقلالها الوطنى خلال هذا الجيل . فالمؤتمر هو النتيجة المباشرة لمحادثات التضامن الآسيوى التى دارت فى القاهرة منذ ثلاثة أشهر ونصف ، وذلك فى روحه ، وفى أهدافه .

فتدهور النظام الاستعمارى مستمر فى إفريقية . وهكذا نرى أن الشعوب الافريقية فى المستعمرات مصممة على نيل حريتها الوطنية ، خلال هذا الجيل . وها نحن نرى شعب الجزائر يشن حرباً مروعة ضد المستعمرين الفرنسيين ، ونرى شعوب الكمرون قد قامت تقاوم الظالمين ، ونرى زعماء نيجيريا ، وأوغنده ، والمغرب الفرنسى ، وافريقية الاستوائية قد قامت جميعاً ضد الاستعمار .

ولن يستسلم المستعمرون عن رضى ، ولن يتخلوا عن مراكزهم فى هذه البلاد . والشعوب الإفريقية تعرف هذا ، ومن هنا فهى تحارب اتقضى على آخـــر احتياطى لدى الاستعمار . على أن القضاء على ما بقى للاستعمار فى إفريقية ليس مهمة الشعوب الإفريقية بمفردها ، ولكنه مهمة كل دول إفريقية الحرة المستقلة !! »

* * *

◆ وفى المجر نشرت جريدة « آشتى هيرلاب » مقالا جاء فيه :

« وخطا التاريخ خطوة أخرى نحو الأمام . فبعد « باندونج » جاء « مؤتمر « أكرا » الذى يشير إلى أن مناصرى الاستقلال ، والمناضلين لتحقيقه قد زادوا عدداً ، والعاملين على التخلى من الضغط الاستعمارى قد حققوا نصراً . !

وهذا المؤتمر يجعلنا نؤكد أن المناقشات القادمة فى الأمم المتحـــدة ستشهد النتائج العملية العظيمة لهذا التغيير الكبير الحادث الآن فى إفريقية الناهضة . فمن القرارات التى انتهى إليها « مؤتمر أكرا » تستطيع أن تتبين أن الدول الافريقية قد عرفت قيمة صوتها ، وموقفها فى الأمم المتحدة

وقد طالب « مؤتمر أكرا » بوقف التجارب الذرية ، وتحقيق استقلال الجزائر ، ووقف الحرب الدائرة هناك ، وطالب فرنسا باجراء محادثات مع ممثلى جبهة التحرير الوطنيــة الجزائرية وتحت شعار « إفريقية للإفريقيين » بدأ كفاح أولى مراحله فى أكرا . ولكن ستتبع هذه الخطوة خطوات وخطوات تحقق ازدهارها سريعاً ، ويتبعها ارتقاء شعوب إفريقية واستقلالها !

◆ وفى أثيوبيا كتبت صحيفــة « الهيرالد الأثيوبية » مقالا جاء فيه :

إن « مؤتمر غانه » يعتبر أول مؤتمر من نوعه يعقد فى افريقية فى العصر الحديث .

فأهمية إفريقية بوجه عام قد وضحت نتيجة للحرب العالمية الثانية ، عندما انضمت إيطاليا إلى قوات المحور ، وأضحى مدخل أوروبا الغربيــة إلى الشرقين الأوسط والأدنى فى خطر .

الأمر الذى دعا دول الغرب إلى السعى فى سياستها بعد الحرب إلى المحافظة على خطوط مواصلاتها عبر القارة ! هذا فضلا عن أن افريقية مصــدر لا غنى عنه للمواد الخام .

على أن هذه الأهمية الاستراتيجية والاقتصادية التى تعلقها دول الغرب على إفريقية — اصطدمت بالقوميات ، وبروح الوطنية التى أخذت تشب فى كل أنحاء إفريقية . فقد باتت أمانى الإفريقيين هى : أن يحكموا أنفسهم بأنفسهم ، وأن يقرروا وحدهم مصيرهم . كما أن استقبال بعض دول إفريقيــة ألهب شعور الدول الأخرى التى لم يتحقق لها الاستقلال بعد !

.. على أن غاية المؤتمر مع ذلك يجب أن تتجه نحو صياغة وجهة نظر إفريقية !! »

* * *

◆ وفى باكستان كتبت صحيفــة « باكستان تايمز » مقالا بعنوان «افريقية تتحدث » جاء فيه :

لئن نال معظم الدول التى اشتركت فى « مؤتمر أكرا » استقلاله حديثاً ؛ فلا يزال بعضها يرتبط بالاستعمار بوسائل أخرى . وليس بعجيب أن تكون أولى خطوات المؤتمر بحث المشكلات القائمة فعلا ، فالمؤتمر قد بحث فى صراحة تامة معظم المشكلات ؛ كالتمييز العنصرى والتجارب النووية ، وأيد الشعوب المطالبة بالحرية . بل حدد وقتــاً لتحريرها ، وتقرير مصيرها . فضلا عن اتخاذ قرار خاص بشأن الجزائر .

والموضوع الوحيد الذى لم يتخذ المؤتمر قراراً بشأنه هو القواعد العسكرية فى الدول الأجنبية ، ووجود قوات فى بعض الدول التى نالت استقلالها أخيراً .

* * *

◆ وفى العراق قالت جريدة الحرية تحت عنوان «الدول الإفريقية فى أكرا »

حرص الدكتور نكرومه على تجنب أى تعايق على الإعداد لمؤتمر أكرا . فقد أبعد عن المؤتمر كل دولة لم تحصل على استقلالها . على أن هذا الموقف قد أثار الانتقاد من قبل الجزائريين ، وفى نيجيريا ، وإفريقية الغربية الفرنسية.

كما أن نكرومه قد أصر على دعوة « اتحاد جنوب إفريقية » للمؤتمر . ولكن جنوب إفريقية أخرجت نفسها من المؤتمر عن طريق إصرارها على اشتراك الدول الاستعمارية فى المؤتمر . باعتبار أنها لاتزال مسئولة عن مستعمراتها. أما بالنسبة للرئيس عبد الناصر ، فقد كانت المفاوضات معه اعتيادية . لم تزد فى مستواها على أية مفاوضات أخرى مع رؤساء الدول الإفريقية ...

ومن بين أعضاء المؤتمر تقف الحبشة وليبيريا بصورة واضحة داخل المعسكر الغربى . وهى تعارض بحث موضوع الدول الاستعمارية ، وبالرغم من أن العلاقات بين غانه ومصر علاقات وثيقة من الناحية الرسمية ، إلا أن تعامل غانة مع إسرائيل قد قلل من حب المصريين لغانه ، ولكن من الخطأ اعتبار هذه الخلافات السياسية وغيرها . من الخطأ اعتبارها أموراً تقلل من أهمية « مؤتمر أكرا » .

* * *

◆ وفى لبنان نشرت جريدة «الحياة اللبنانية مقالا تحت عنوان « نحو باندونج جديدة » جاء فيه :

ينعقد مؤتمر القارة السوداء فى أكرا على مستوى عال ، و يمتاز هذا المؤتمر بأن أغلبيته عربية . فهناك السودان ، وليبيا ، ومراكش ، وتونس . إلى جانب الجمهورية العربية المتحدة . وقد ظهر منذ بدء التحضير للمؤتمر أن قضية الجزائر ستأخذ طريقها إلى رأس جدول الأعمال. وإذا عدنا بالذاكرة إلى باندونج نجد أن الجزائر نالت يومئذ نصيبها من البحث والتأييد المعنوى ، ولكن مؤتمر إفريقية يمتاز عن مؤتمر باندونج بأن غالبيته من الدول العربية ، وبأن الجزائر نفسها دولة إفريقية ، وبأن تونس و مراكش المرتبطتين فى مصيرهما بالجزائر تشاركان فى المؤتمر وقد نالتا نصيباً من الاستقلال. إن هذا المؤتمر يمتاز عن غيره بأن معظم دوله تحاول التجمع لأول مرة فى التاريخ . وهى واثقة من نفسها ، ومن إمكانياتها ، وإذا شاءت الظروف أن تمنع عبدالناصر وبورقيبة ، وسواهما من الجلوس مع نكرومه على مائدة واحدة . فان هذا لن ينقص من القيمة المعنوية المرموقة التى يتمتع بها المؤتمر .

* * *

◆ وفى مصر صرح الدكتور محمود فوزى وزير الخارجية ، ورئيس وفد

الجمهورية العربية المتحدة بما يأتى :

لقد كانت قرارات المؤتمر واضحة، وتعمدنا أن تكون فى أوضح عبارة ممكنة. وعنينا كل كلمة قلناها هناك حتى لا تتحمل القرارات أية تأويلات.

إن أعمال المؤتمر وإن كانت قد دارت فى المحيط الافريقى إلا أنها كانت متصلة بالكيان الافريقى الآسيوى، بل بالكيان العالمى. فقد عملت وفود المؤتمر فى تناسق، ولم تكن بمعزل عن أحداث العالم.

لقد نظرنا إلى الأمور فى «أكرا» نظرة موضوعية. ولقد اتفق على ألا تتجاوز الفترة بين اجتماع المؤتمر سنتين. وسيعقد الاجتماع الثانى فى «أديس أبابا» إجابة لدعوة حكومة أثيوبيا التى وجهتها للمؤتمر.

إن من نتائج هذا المؤتمر التمهيد لمزيد من الاتصالات بين الدول الافريقية. وقيام التشاور فيما بينها، وتبادل المعلومات حتى تكون يقظتها، وتحفزها على أتمها.

إننا لا نقف موقف المتفرجين بالنسبة لأوضاع السلام العالمى، والرغبة فى صيانة هذا السلام. ولا يمكن تجاهل الكيان الافريقى فى المشاورات الكبرى حول مسألة نزع السلاح أو الشئون الدولية!.

◆ وفى مؤتمر صحفى فى القاهرة فى ٣٠/٥/١٩٥٨/ ذكر السيد السكرتير العام لمؤتمر التضامن الآسيوى الافريقى تعليقاً على مؤتمر أكرا قال فيه :

إن مؤتمر «أكرا» مؤتمر له أهمية خاصة، لأنه انعقد فى أول مستعمرة افريقية تنال استقلالها، وجاءت قراراته امتداداً لقرارات باندونج ومؤتمر القاهرة. وممثلة للآمال التى كانت تحدونا حين اجتمعنا فى القاهرة. ومثال ذلك أننا نادينا بتبنى المشكلات الافريقية الآسيوية فى نطاق الأمم المتحدة، وقررنا محاولة الاتصال بحكوماتنا لتطلب ذلك من ممثليها لدى هذه الهيئة. فجاء قرار «أكرا» ونص على ذلك.

إن المؤتمر وجه لطمة قوية للدول المستعمرة حين صرح لمندوبى الكميرون وتوجولاند بالحضور كمراقبين.

إنه قد أعطى المستعمرات فرصة لإسماع صوتها فى الخارج. ومكنها من تحطيم السياج الذى كان يمنعها من الاتصال بالدول المستقلة الأخرى. أو أن نقيم اتصالات ثابتة مع أوغنده، وكينيا، ونيوسلاند، وتنجانيقا، وزنجبار، وحتى مع جنوب افريقية!.

* * *

... إن مؤتمر القاهرة كان نداء النفير للعالم للقضاء على الاستعمار فى جميع صوره القديمة والحديثة!.

سباق الاستعمار فى افريقية

للواء ا . ح
حامد أحمد صالح

إن مساحة افريقية تقرب من مساحتى أوروبا وأمريكا الشمالية معاً ، وسنرى فيما يلى كيف أن غريزة الاستعمار قد اندلعت فى الربع الأخير من القرن التاسع عشر فعملت بعض دول أوروبا على امتلاك هذه المساحات الشاسعة واستعباد أهلها فى مصالحها الذاتية .

فقبل القرن التاسع عشر كان المعروف من القارة الإفريقية شريط رفيع من الشاطىء ، فالقارة الإفريقية بما فيها من غابات استوائية وصحراوات رملية شاسعة بقيت مجهولة عن الأوروبيين حتى سموها بالقارة المظلمة ومقبرة المكتشفين .

غير أن هناك ركناً هاماً كان ذا فضل على المدنية العالمية هو مصر ، ويتبعه الشاطىء الشمالى الذى يتضمن ليبيا وتونس والجزائر ومراكش وكلها كانت ذات مدنية غربية براقة امتدت إلى الأندلس ، وبعض جزر البحر الأبيض الأوروبية . وقبل أن يأتى الأوروبيون كان العرب قد توغلوا ونشروا الإسلام فى السودان وشرق إفريقية وغربها ، ولا يزال أحفادهم ومن تبعهم إلى اليوم تجرى فى دمائهم الدماء العربية الحرة ، وقد مارسوا التجارة الواسعة مع أهلها ، وتزاوجوا بينهم ، ولم يعبأوا بالأمراض المتوطنة وأهمها : الحمى الصفراء ، والملاريا التى كانت شديدة الخطورة ، حيث لم تعرف أدويتها الشافية تماماً حينئذ .

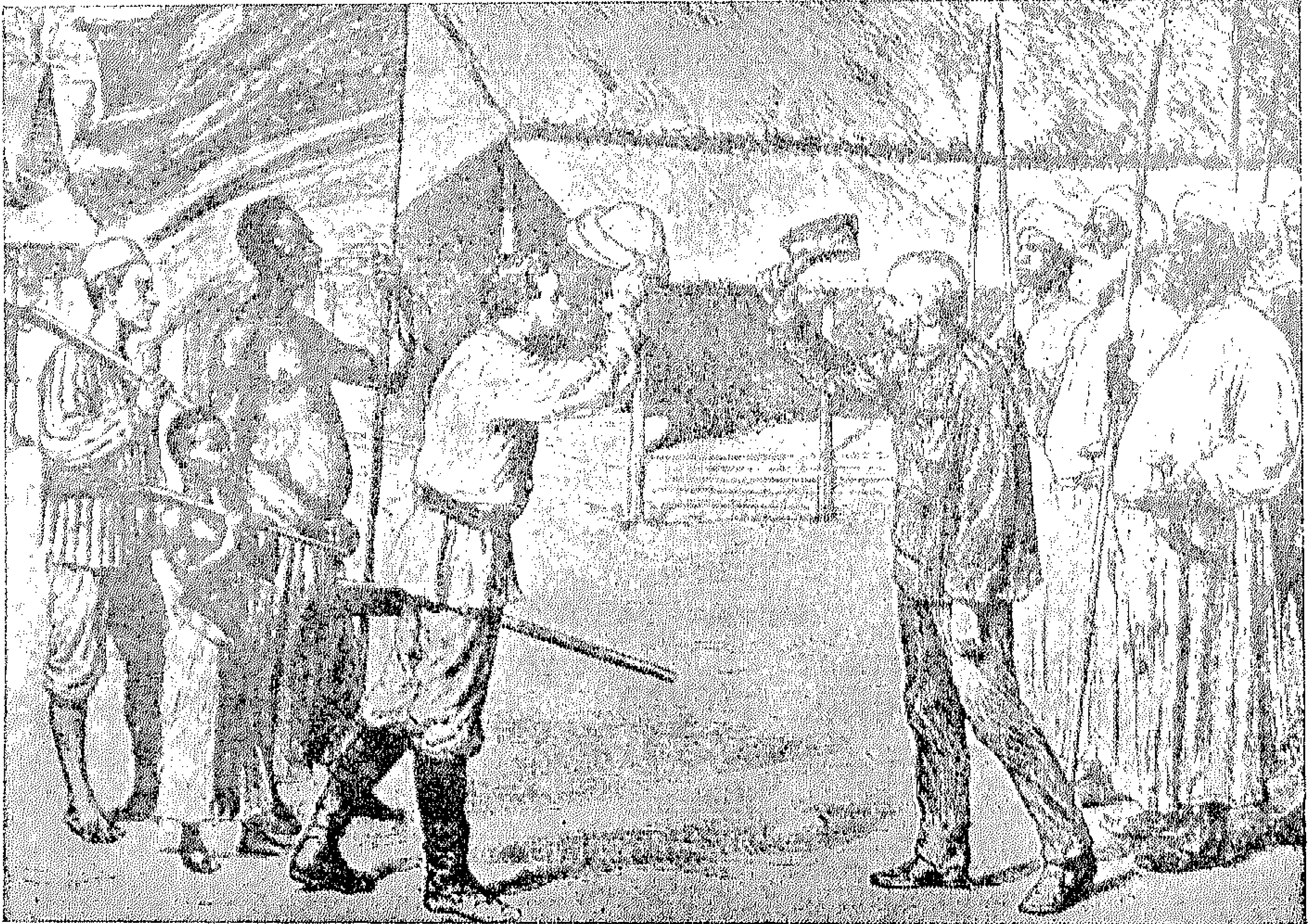
وقد غامر الرحالة البرتغاليون فى القرنين الخامس عشر والسادس عشر ، واستكشفوا أغلب شواطىء القارة وجلبوا سن الفيل ، بل اختطفوا العبيد ! ، ولكنهم لم يجازفوا بالتوغل داخل القارة الذى بقى مجهولا تماماً للأوروبيين .

والهولنديون نزلوا فى الطرف الجنوبى من القارة ، واستعمروه ، ولكنه فيما بعد تحول إلى مستعمرة بريطانية (جنوب إفريقية) أثناء حروب نابليون وانشغال هولندا بها . ونفذت بريطانيا مشروعها الاستعمارى الضخم بايصال هذه المنطقة بأوغندا والسودان ومصر ، فكونت محوراً يضم طرفى إفريقية ، وحاولت إيصالهم بالسكة الحديدية ..

وأبدى السياسيون الأوروبيون ورجال الأعمال ترددهم فى المغامرة فى داخل غابات إفريقية لتكوين امبراطورية أو للبحث عن الثروة ، ولكن مع ذلك بدأت بعض البعوث والرحالة

المغامرة ، وكان الرائد الأول لهم هو العامل الديني لإنقاذ الهمجيين من وثنيتهم إلى أحضان المسيحية ، والثاني هو العلم والمعرفة .

وأحسن مثل لهؤلاء هو الطبيب « لفنجستون » الشهير . وهو شاب نال قسطاً من دراسة الطب فى اسكتلندا مسقط رأسه . ورحل فى بعثة طبية إلى إفريقية عام ١٨٤٠ ، وبدلا من البقاء على الشاطىء مع إخوانه البيض عزم على إنشاء محطات داخل الأرض المجهولة (وحدات علاجية) . وقبل موته عام ١٨٧٣ كان قد قطع ثلث إفريقية بين المحيطين الأطلنطى والهندى ، ومن مستعمرة الكاب حتى الغابات الاستوائية فى الكونغو . وحدث ذات مرة أن انقطع تماماً عن الاتصال بالشواطئ الآهلة بالبيض ، فقامت جريدة من نيويورك بارسال محرر هو «هنرى ستانلى» للبحث عنه . وبعد جهد جهيد داخل الأراضى المجهولة والغابات أمكن استانلى أن يجد لفنجستون وقد أعياه المرض والتعب من كثرة العمل ، ولو أنه كان لا يزال هاشاً ، وقد وطد صداقة طيبة جداً مع الأهلين . وشعر ستانلى بارتياح كبير لنجاحه بعد طول التعب فى البحث عن لفنجستون ، إلا أنه كان من عادة الأوروبيين دواماً أن يخفوا شعورهم الحقيقى أمام الأهالى المستعمرين . فكانت مقابلة ستانلى



هنرى ستانلى يقابل لفنجستون

لفنجستون فاترة ، حيث ابتسم ابتسامة خفيفة قائلا : الدكتور لفنجستون على ما أعتقد ؟ (كأنهما يتقابلان مصادفة فى منزل ما بانجلترا) .

وقد أراد ستانلى أن تحتل بريطانيا الكونغو ، ولكن الامبراطورية البريطانية كانت وقتئذ تغط فى نوم عميق ، وضاعت منها الفرصة ، فقد قام ليوبولد الثانى ملك بلجيكا ، ونادى بأنه مهتم بهذه الناحية من إفريقية المظلمة ، ويريد تمدينها وتنصير شعبها ، وأنه يريد أيضاً أن يضع حداً لوحشية تجار الرقيق من العرب ، التى طالما نادى لفنجستون فى حرارة بالعمل على منعها .

عند ذلك خلق سياسيو أوروبا اسم الكونغو الحرة ، ووضعوها على عاتق ليوبولد نفسه . وكان هذا الحل معقولا وقتئذ ، فبريطانيا وفرنسا وألمانيا إذا ملكت إحداها هذه المنطقة الغنية والواسعة الأرجاء فستثير حقد الآخرين عليها ، ولكن بهذا الحل لن تكون هناك فرصة حقد من إحداها ، ضد ملك دولة صغيرة كبلجيكا ، فكان جميلا منه أن يقبل تحمل هذه المسئولية !

ثم فى منتصف القرن التاسع عشر بدأت بعض دول أوروبا التطلع إلى مستعمرات تضمها إلى نفسها ، كى تصبح امبراطوريات على نمط الامبراطوريتين الرومانية والبريطانية .

فقد فقدت فرنسا فرصتها فى الهند وأمريكا حيث سبقتها بريطانيا ، ولو أنها أى (فرنسا) امتلكت الجزائر عام ١٨٣٠ ، وبعض ممتلكات صغيرة فى آسيا والباسفيك (بأمريكا) .

وروسيا وأمريكا ، وقد توسعت كلتاهما بسرعة ولكن فيما جاورهما .

فروسيا امتدت شرقاً وجنوباً فى آسيا . وأما أمريكا فقد زادت أراضيها فى الولايات الغربية من أمريكا الشمالية .

أما ألمانيا وإيطاليا فكانتا منهمكتين فى توحيد كل من شعبيهما فى دولة واحدة ، فاننا نعلم أن كلتيهما كانتا حتى هذا الوقت عبارة عن إمارات ودوقيات يشاحن بعضها بعضاً ، حتى قام بسمارك فوحد ألمانيا ، وقام غاريبالدى فوحد إيطاليا .

أما إسبانيا والبرتغال وهولندا ، فقد ملكت كل منها مستعمرات تفوق جهد إدارتها سواء فى آسيا أو أمريكا .

وبقيت بريطانيا — الدولة الاستعمارية الأولى فى العالم — وهى فى قوتها البحرية المتفوقة ، وسبقتها فى الأمور التجارية ، ومع ذلك فلم تظهر أقل اهتمام فى هذا السلوك ، وذلك لأمر واحد هو أن الثورة الأمريكية ضد بريطانيا واستقلالها عنها أثبتت أن المستعمرات عندما تنضج تصبح كالفاكهة الناضجة فهى تسقط عن الشجرة الأم ، فتصبح إذن غير ذات فائدة للدولة المستعمرة . وقد تأكدت هذه النظرية عندما استقلت دويلات أمريكا الإسبانية وأصبحت جمهوريات مستقلة عن إسبانيا الأم .

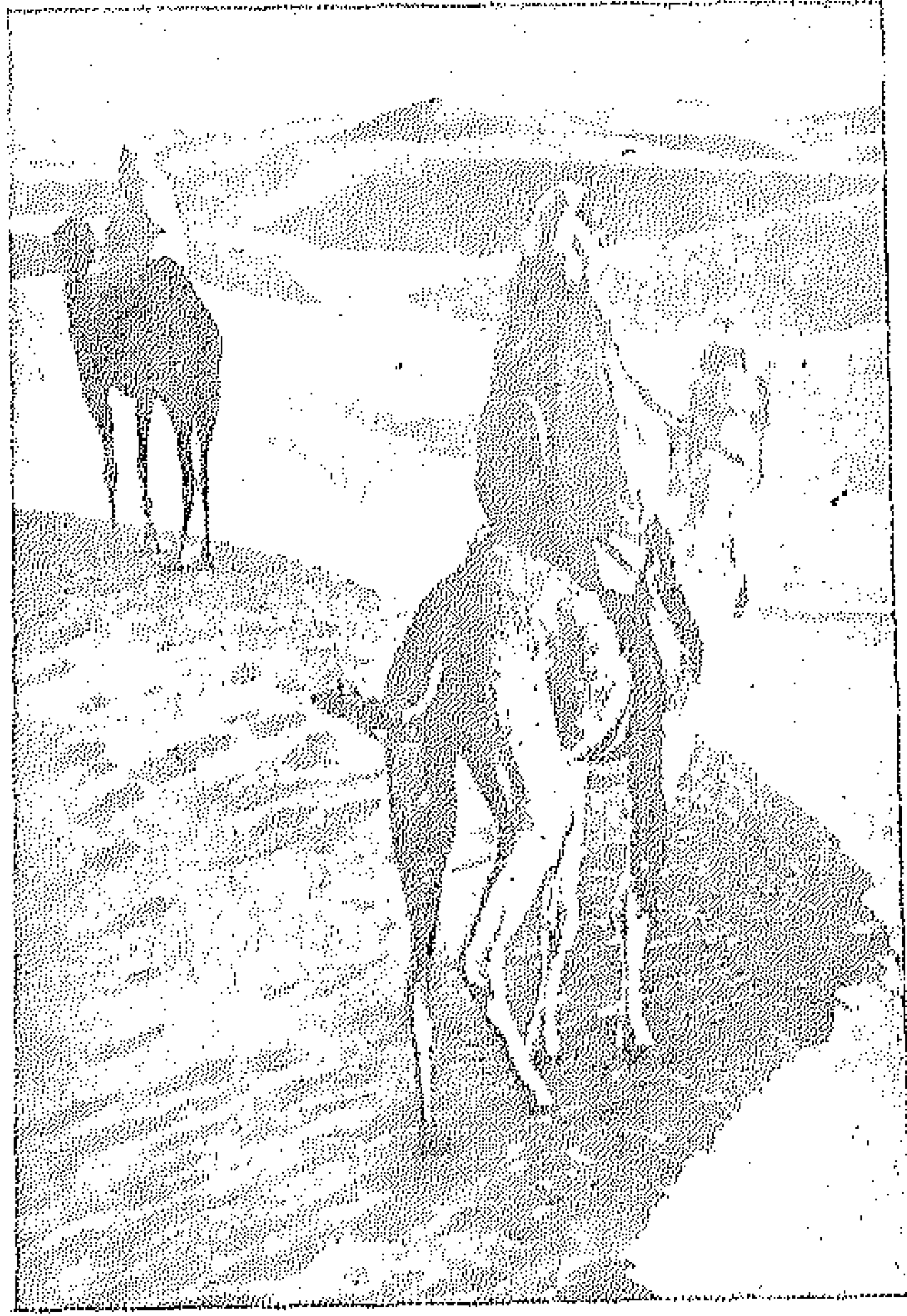
وقد ظهر لزعماء الاستعمار البريطانيين أن المستعمرات لا تفيد الامبراطورية فى غير الناحية التجارية ، وعلى العموم فالسوق التجارية مفتوحة عادة لجميع الدول . زيادة على أن سياسة الاستعمار كانت تقابل بمعارضة شديدة ، لأنها تسبب نشوب الحرب وارتفاع الضرائب ، وتقلل الطاقة الإنتاجية فى الدولة نفسها . وأما سياسة معظم المحافظين والأحرار البريطانيين فكانت تتمثل فى ضرورة التمسك بالقاره الهندية ، وكفى (الهند والباكستان وسيلان وسنغافورة) والكثيرون منهم لم يهتم بكندا مثلا ، بل تمنى استقلالها ، وأما استراليا فقد اتخذت منفى للمجرمين ومثلها نيوزيلنده ، وقد ضمت للامبراطورية قبل ١٨٤٠ . بعد ذلك تأتى جزر الباسفيك وكانت تضمها بريطانيا فرادى من وقت لآخر.

استمرت هذه الحال حتى سنة ١٨٧٠ ، عندما جدت أمور فى أوروبا ، عند ذلك تطورت سياسة الاستعمار البريطانية ، واتخذت شكلا جديداً .

ففرنسا أرادت أن تعرض نفسها عن ضياع الألزاس واللورين اللتين أخذتهما ألمانيا ، بتكوين امبراطورية فرنسية فى إفريقية .

وكل من ألمانيا وإيطاليا أتمتا اتحادهما ، وأصبحتا دولتين كبيرتين وابتدأتا فى لفت أنظار شعبيهما إلى امتلاك المستعمرات ، كثمرة من ثمرات الاتحاد .

وشعرت بريطانيا بهذا السباق فدخلت المضمار ، ووقفت عند كل جزيرة فى الباسفيك أو جزء من إفريقية لم تمتلكه دولة أوروبية بعد وكان خاضعاً فقط للزعماء الوطنيين . وقعدت له بالمرصاد وقد تتركه وشأنه . إلا أنها لم تسمح كلية بأن تأخذه فرنسا أو ألمانيا أو إيطاليا .



فى الصحراء الكبرى

ومن الواضح أن أهم أسباب اهتمام الأوروبيين بالاستعمار ، هى المتاجرة ، فالبرودة جو بلادهم قد كانوا يعتمدون على الأجواء الدافئة كثيراً لحاجتهم إلى أصناف خاصة لا توجد إلا فى هذه الأجواء .

فالشاى مثلا لا يأتى إلا من الهند أو الصين ، والبن يأتى من جاوة أو البرازيل ، والكاكاو و« الشيكولاته » من بذور الكاكاو فى أواسط أمريكا ، والزبدة

الصناعية تستخرج من دهن الكاكاو فى جزر الباسفيك ، والسكر والفاكهة عموماً وغالباً يأتيان من كوستاريكا ، والأناناس من هاواى ...

وكل هذه الأصنـــاف يتناولها الأوروبى حتما كل صباح .

وناهيك بالأمور الحيوية الأخرى فالفبر يأتى من الفلبين ، والمطاط (الكاوتش) من جزر الهند الشرقية ، وسن الفيل من إفريقية ، والماهوجانى من المكسيك ثم الذهب والفضة والماس والفحم والزيت ، وكلها تأتى من جهات متناثرة فى أنحاء العالم ، وكل هذه الأغراض ضرورية للإنسان ، يتبعها أينما وجدت.

وزيادة على ذلك فالأوروبى يجد سوقاً جديدة لما لم يمكنه أن يبيعه أو يشتريه بالقرب من بلده ، فالأقمشة القطنية والمرايا والسكاكين والأسلحة كلها أمور مطلوبة فى الغابة ، وأهل الغابة يقدمون بدلا عنها الفاكهة وسن الفيل والمطاط وخلافها .

وأخيراً ، فى الربع الأخير من القرن التاسع عشر انتهت الأغراض الشريفة التى من أجلها ولج الأوروبيون إفريقية ، فقد انتشرت صناعة السيارات والصناعات الأخرى التى هى فى حاجة إلى المطاط (الكاوتش) أكثر من أى وقت آخر ، فنزح الأوروبيون من شواطئ إفريقية الضيقة إلى داخل القارة وملكت كل منها أضعاف مساحتها ، واشتد التنافس بين الجميع .

ثم اتضح أخيراً أن ليوبولد صاحب الكونغو أصبح غير غيور على المسيحية ، أو رءوف بالرقيق . وأصبح يأمر القرى أن تدفع الضرائب من صنف المطاط وإن لم يدفعوا فان الجنود البريطانيين (وهم لا يزالون نصف همجيين) يقلبون القرى عاليها سافلها ، ويحرقون ويذبحون من فيها .

وأخيراً انتهت المأساة بأن أجبر ليوبولد على أن يبيع المستعمرة إلى حكومته ، وعندئذ أديرت الكونغو بنظام أحسن .

وأرسم فيما يلى صورة لما تم عليه تقسيم الضحية بين الطامعين الأوروبيين حتى ١٩١٤ ، عندما بدأت الحرب العظمى الأولى ، حيث تغيرت ألوان الخريطة :

فبريطانيا ملكت: جنوب إفريقية ، بما فيه الترنسفال والكاب الخ ابتداء من ١٨٣٧ ثم نيجيريا وساحل الذهب وسيراليون وجامبيا .

ومصر	١٨٨٢
والصومال البريطانى	١٨٨٤
وبتشوانالاند وإفريقية الشرقية البريطانية	١٨٨٥
وروديسيا وزنجبار وأوغندا	١٨٩٠
والسودان	١٨٩٩

وملكت فرنسا : الجزائر	١٨٣٠
ثم ساحل العاج وداهومى والصحراء الكبرى وإفريقية الاستوائية وتونس	١٨٨١

والصومال الفرنسى	١٨٤٤
وشاطئ مراكش	١٩١٢
وملكت ألمانيا : توجولاند	١٨٨٤
وإفريقية الجنوبية الغربية	١٨٨٤
وإفريقية الشرقية الألمانية	١٨٨٥
والكمرون	١٩١١
وملكت إيطاليا : الصومال الإيطالى	١٨٨٢
وإرتريا	١٨٨٤
وطرابلس	١٩١٢
وملكت إسبانيا : ريودىأورو	١٨٨٤
وغيانا الإسبانية	١٩١١

ثم جزر كناريا وجزيرة فرناندوبو

وملكت البرتغال : غيانا البرتغالية وأنجولا وموزمبيق (وهى إفريقية الشرقية الجنوبية البرتغالية (وجزر ماديرا) .

وملكت بلجيكا : الكونغو ١٨٨٥

وخلصت من الاستعمار : الحبشة (ما عدا شواطئها التى سميت ارتريا والصومال)

ثم ليبيريا (فى غرب إفريقية)

ذبابة « التسى تسى »

قال الصحفى الانجليزى فى فرح لصديقه الغانى : « إنى قد اكتشفت دواء يقضى تماماً على هذه الذبابة ! فضحك الغانى وهو يقول : « إنها جيشنا الوطنى ، ولو قدر لنا أن نقيم تماثيل للوطنيين فسنقيم تمثالا لهذه الحشرة المزعجة التى تسبب مرض النوم ، فهى التى حمتنا منكم ! »

نساء غانة

للسيدة آمال خيرى

عندما استقلت « غانه » وجد نساؤها أنفسهن يواجهن الكثير من المشكلات والمسئوليات الجديدة .

فالحياة اليوم فى غرب إفريقية فى تطور وتغيير مستمر ، والعادات القديمة تتبدل لتواجه الصور الجديدة بعد تقدم العلم ، لا سيما أن التقاليد والعادات تختلف داخل مجموعة الأسرة الواحدة ، ثم يزداد الأمر تعقداً عندما تعرف أن « غانه » تتكون من قبائل كثيرة متباينة ، لكل منها عاداتها وتقاليدها الخاصة التى تختلف عن غيرها اختلافاً كبيراً .

وفى « أشانتى » تقوم المرأة بدور هام فى حياة الأمة ، ولقد كانت « يا اسانتيوا » المرأة التى قادت الجيش فى إحدى المعارك الأخيرة التى خاضتها « أشانتى » ضد انجلترا ، وبينما يكون رئيس القبيلة مسئولا عن الرجال ، فاننا نجد لكل قرية أو ولاية « الملكة الأم » التى ترعى شئون نساء المجتمع ، وتلعب دوراً هاماً فى حياتهن .

وتقوم النساء فى « أشانتى » بأعمال كثيرة لمعاونة الرجال معاونة صادقة فى مختلف الميادين ، فالمرأة هناك تعتبر عاملة من النوع الأول .

ويقوم النساء بكثير من الأعمال بالإضافة إلى عملهن فى المنازل من رعاية الأسرة والقيام ببعض الصناعات الصغيرة للحصول على دخل خاص لهن ، كما يقمن بصنع الخبز وبيع الطعام المطهو ، أو حياكة الملابس .

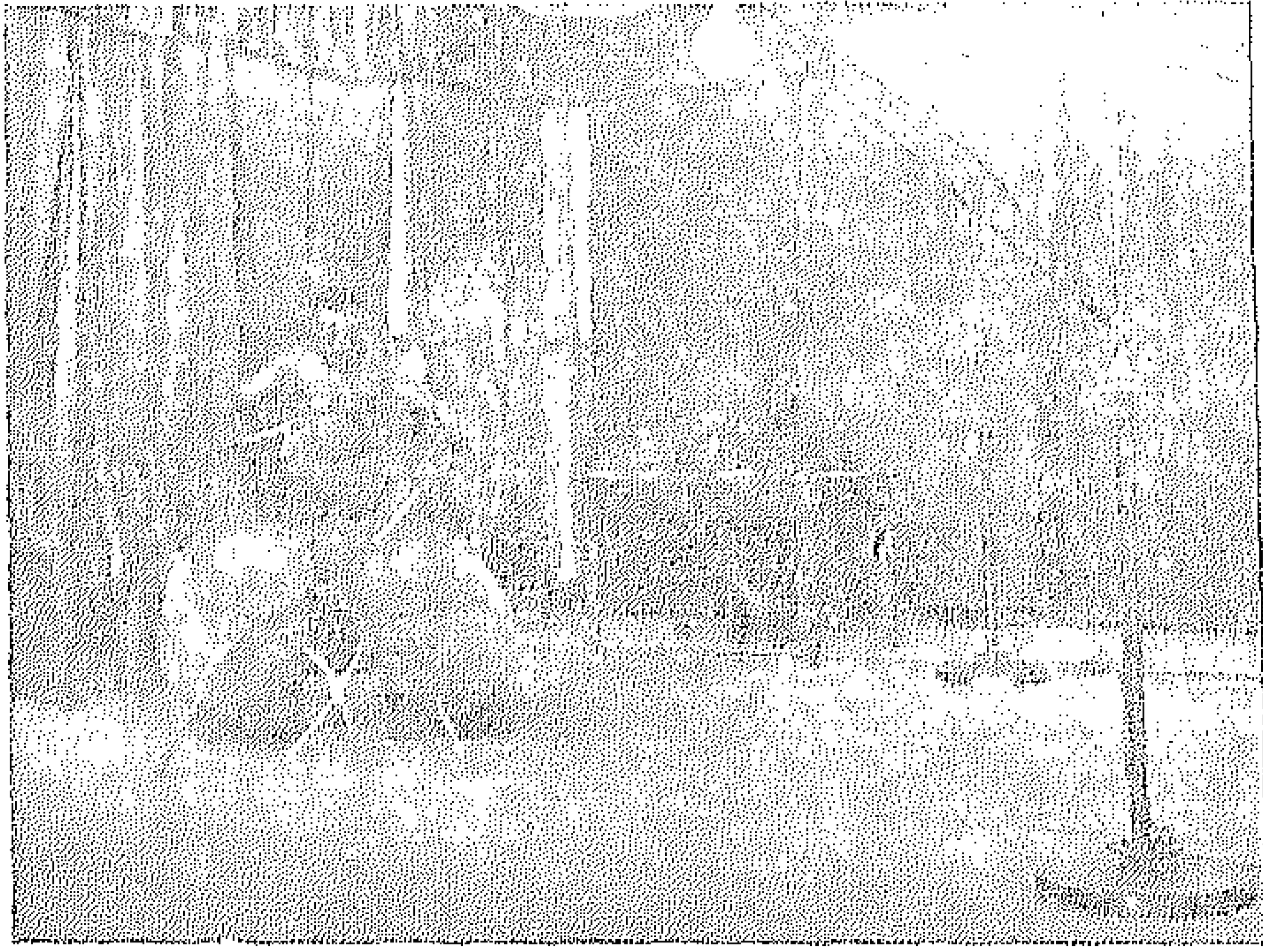
وبعض النساء يشتغلن بالتجارة ، وقد تصل المبالغ التى يكتسبنها من التجارة ألف جنيه أو أكثر فى الشهر الواحد ، والغريب أن بعضهن يذهب إلى لندن لا لقضاء عطلة أو إجازة ، بل لدراسة السوق هناك ، وينفق عدد من هؤلاء النسوة على تعليم بعض أطفالهن فى البلاد الأوروبية ، ومن الغريب أيضاً أنهن يحفظن دقائق كل أعمالهن حفظاً جيداً ، وقد يستخدمن عدداً كبيراً من الفتيات لبيع البضائع ، ويعرفن تماماً كيف ينفقن أى مبلغ من ثرواتهن ، مهما قل أو كثر .

على أن محاولة التشبه بالغرب وارتفاع مستوى المعيشة يثير الكثير من المشكلات ، وإحدى هذه المشكلات هى الشعور بالملل ؛ ففى الأسرة الموسرة ، حين لا تكون المرأة فى حاجة إلى العمل نجد المرأة لا تجد ما تفعله فتعيش فى

مالى . والأعمال اليدوية التى تحتاج إلى مهارة منتشرة بين بعض النساء فى غانه . وخاصة فتيات المدارس ، وهن يمثلن نسبة قليلة ، فهن يستطعن حياكة الملابس ، ولهذا فان حلم كل فتاة هو أن تمتلك ماكينة خياطة .

وللأسرة أهميتها الخاصة فى المجتمع الغانى ، وليس من الضرورى أن تعيش المرأة المتزوجة مع زوجها ، بل يمكنها أن تبقى مع أسرتها ، وفى كل مساء تشاهد نساء غانه يسرعن فى الشوارع يحملن طعام أزواجهن على رءوسهن فى آنية خزفية ، ويتناول الرجال طعامهم حين يريدون ذلك ، ومن النادر أن يأكل الرجال مع النساء .

وتقوم النساء بدور هام فى السياسة . ، إذ تعتمد عليهن الأحزاب من أجل تمويلها بالمال ، كما أن النساء اللاتى يعملن بالتجارة ينفقن بسخاء لتأييد مبادىء هذه الأحزاب ، وفى جميع الأحزاب أقسام ولجان للنساء ، تساعد فى إعداد الإجتماعات ، وتقديم الخطباء ، وتنظيم الرحلات وحفلات الموسيقى والغناء ، وهذه الأشياء تضفى على الحياة السياسية لوناً من البهجة والسرور والنساء مسئولات عن اختيار الملابس فى الحزب ، إذ يرتدى الأهلون هناك أزياء ذات ألوان وأشكال تختلف باختلاف المناسبات ، وكثير منها له أسماء ودلالات معينة ، ويمثل اللون البرتقالى والأحمر والاسود والبنى الوان الحزن والحداد . ويقضى الكثير من الرجال والنساء على السواء كثيراً من الوقت فى الجنازات . وهى تعتبر مناسبات عائلية واجتماعية ذات أهمية خاصة فى الحياة العامة ، فاذا ما مات أحدهم أخذ النساء ينشدن قصائد الرثاء القديمة ، ويؤلفن أشعاراً جديدة أيضاً ، وتشترك النساء المتعلمات فى اجتماعات المآتم ، ويرتدين الملابس الخاصة بها ، ويتمسكن بالعادات القديمة ، كما يعشقن الاستماع إلى الاذاعة .



الإذاعة فى غانه

ويقام فى « غانه » كثير من الحفلات الترفيهية ، إلى جانب الأعياد التقليدية ، وفى هذه الحفلات يتحلى النساء بالمجوهرات ، وكل امرأة فى « أشانتى » بوجه عام تملك حلية ذهبية تصوغها على أشكال متعددة ؛ تطلعاً منهن إلى الأناقة .

ويعود كولمان فى مكان آخر(١) فيقول : إن هناك ثلاث مراحل لفهم القومية الإفريقية : المرحلة الأولى هى الحركة التقليدية ، والمرحلة الثانية هى الحركة التجميعية ، والمرحلة الثالثة هى حركة المتمدينين . وقال إن المرحلتين الأولى والثانية ليستا مما يمكن إدخاله ضمن المفهوم الصحيح للقومية ، على حين أن المرحلة الثالثة هى التى يمكن فقط أن تدخل ضمن هذا المفهوم للقومية . ويسبب كولمان ذلك التخصيص فيقول : إن الزعامة ونظم مثل هذه المرحلة أوروبى « ومتأورب » ولأن الهدف هو إما الاستقلال التام أو المساواة الاجتماعية والسياسة المطلقة مع الأوروبيين داخل إطار أعم مثل الكومنولث أو دولة أوروبية إفريقية .

وفى هذا المضمار قال وسترمان D. Westermann (٢) إن معنى القومية فى إفريقية ليس على معناه فى أوروبا . فهو فى أوروبا يعنى رغبة أمة ما فى حكم نفسها وفى الوحدة ، ولكنه فى إفريقية يعنى الاستقلال والخلاص من الاستعمار الأوروبى . وإنه فى إفريقية لا توجد أمم بل قبائل منفصلة .

وقد قال لورد هيلى Lord Hailey (٣) : إن كلمة قومية أو وطنيــة ليس لها مدلول بالنسبة لإفريقية ، ويقول : إن من الضرورى استخدام كلمة « إفريقية » بدلا من « قومية » فى معالجة مثل هذه الحركات . ويقول هودجكين T. Hodgkin (٤) : إن إفريقية اليوم يسودها من الحركات الوطنية ما يمكن أن نسميه بالحركات القومية فى « ظروف ما قبل القومية » ويعنى بذلك أنها الظروف التى تتمثل فى آمال الإفريقيين ومطالبهم بالحرية والخلاص .

هذا هو تلخيص النزاع بين بعض العلماء حول مفهوم ما يحدث فى إفريقية . ولكل منهم أسبابه التى دعته إلى موقفه . ولسنا هنا بصدد مناقشة آراء كل منهم أو غيرهم مناقشة تفصيلية حول هذه النقطة ، ولكننا سنحاول أن ندلى بدلونا فى المعركة من وجهة نظر إفريقية .

— ٢ —

سارعت الدول الأوروبية إلى النفوذ داخل إفريقية منذ الانقلاب الصناعى واحتلال أكبر قدر من المساحة ممكن

---

1. J. Coleman, "Nationalism in Tropical Africa, in "American Political Science Review," XLVIII, No. 2, 1954. pp. 404-426.
2. D. Westermann, "Cultural History of Negro Africa" — Cahiers d'Histoire Mondiale, No. 4, 1957.
3. Lord Hailey, "An African Survey", revised edition, 1957, pp. 251-252.
4. Thomas Hodgkin, "Nationalism in Colonial Africa", 1957.

قبل أن تسبقها غيرها . وعدلت خريطة إفريقية عدة مرات وانتهت إلى وضع تحديد شبه ثابت عام ١٩١٨

هذه الحدود التي اختطتها لنفسها الدول الأوروبية في إفريقية لا تتفق إطلاقاً وأى خط حضارى أو جنسى أو طبيعى ، وبذلك شملت المستعمرات جماعات مختلفة في الأصول ، مختلفة في المستويات الحضارية، مختلفة في الحرفة ، والتقاليد والنظم الاقتصادية، ومختلفة في اللغة والعادات والتاريخ والدين .

هذا الاختلاف وحده عامل حاسم في رفض النظريات التي تقول بأن الحركة الإفريقية حركة قبلية ، فليس في غانه قبيلة واحدة ، بل عشرات القبائل وليس في كينيا قبيلة واحدة بل عدد كبير وهكذا . حتى قامت حروب قبلية ولكنها ليست ممثلة لحركة قومية . مثال ذلك حرب « الآشانتي » في غانه . ومعركة « الماو ماو » التي ما زالت دائرة في كينيا يمكن أن نقول عنها : إنها في أجزاء معينة منها تمثل حركة من جانب قبيلة « الكيكويو » من أجل أراضيها التي يسلبها المستعمرون الانجليز .

إن الواقع — كما اتفق عليه كل الإخصائيين في الشئون الإفريقية بناء على ما هو عليه الحال في وقتنا الراهن — أن هناك حركات ترمى إلى أشياء كثيرة في إفريقية . هذه الحركات ليست عامة ؛ بمعنى أنها لا تشمل مستعمرات مختلفة ، بل إنها تقوم في المستعمرات الإفريقية كما هي وكما أراد لها المستعمرون من حدود سياسية . وقلما تتفق هذه الحركات في التفصيلات ، وترتبط الزعامات حتى بين مستعمرات قريبة يحكمها استعمار واحد . فمثلا ساحل الذهب ونيجيريا وسيراليون مستعمرات انجليزية في غرب إفريقية ، وإلى حد ما قريبة من بعضها . ولكنا — رغم النظام الاستعمارى الموحد في كل منها — نجد أقدار الحركة الوطنية فيها غير متوافقة ، ولم تكن هناك خطة موحدة للعمل بحيث تقوم في المستعمرات الثلاث ثورات تحريرية ، أو حركات وطنية من القوة بحيث تفرض حلولا موحدة لتقرير المصير . حقاً هناك حقيقة أساسية تجمع الحركات التحريرية في المستعمرات الثلاث ؛ وهى التحرر في صورته العامة . ولكن التفصيلات لم يكن في الإمكان توافقها ، ولهذا سارت الحركة التحريرية في كل منها في طرق مختلفة وبسرعات مختلفة ؛ وكان لزاماً أن تنتهى إلى ما انتهت عليه من فوز الحركة الوطنية في إحدى المستعمرات ونيلها الاستقلال بأسرع من الأخرى ، وهى غانه وتأخر هذا الفوز في نيجيريا وسيراليون .

كذلك ليست هناك صلة بين الحركات التحريرية في المستعمرات الفرنسية والانجليزية في إفريقية الغربية ، بل ربما كانت هناك اختلافات جوهرية في خطة العمل بالرغم من اتفاق الحركات

فى كلا النوعين من المستعمرات على على مبدأ الخلاص من الاستعمار .

كل هذا يعنى فى عبارة وجيزة أن الحركات القومية التى نشهدها الآن فى إفريقية تعمل على مستوى المستعمرة أو مجموعة المستعمرات المتجانسة فقط كما أراد لها الاستعمار ، أى أن الهدف إقامة حكومات إفريقية فى المستعمرات الحالية بدلا من الحكومات والإدرات الاستعمارية . وهذا بلا شك ينفى مرة أخرى وصف بعض الحركات الإفريقية المعاصرة على أنها قبلية أو تستمد أصولها من مجموعة جنسية وحضارية خاصة . ويعنى مرة أخرى أن هناك من الظروف ما يجعل هذه الحركات القومية تعمل بنجاح وسط عدد من القبائل ، وعدد من المجموعات المنفصلة لغوياً ودينياً وحضارياً داخل مستعمرة واحدة.

بهذا يمكن أن نخلص إلى حقيقة أولية هامة ، هى : أن الحركات الحالية فى إفريقية تعمل على مستوى « أمة » أو قريب من هذا المستوى ، — كما هى الحال فى أغلب المستعمرات — بالرغم من أن مثل هذه « الأمم » غير متجانسة وحدودها ليست مثالية من نواحى الجنس واللغة والحضارة والنواحى الاستراتيجية ، وما إلى ذلك من شروط الحدود اللازمة لأمة بالمعنى المفهوم . ولنترك الآن هذه الحقيقة الهامة لنعود إليها بعد قليل .

— ٣ —

قال وسترمان ، كما سبق ذكره ، إنه لا توجد فى إفريقية أمم ، بل قبائل . وبالرغم من صدق هذا القول فى بعض نواحيه ، إلا أنه ليس صحيحاً فى عدة حالات . ومع ذلك ، فان إفريقية كما وجدها الاستعمار الأوروبى بعد تمكنه فيها قرب نهاية القرن الماضى كانت عبارة عن أشلاء متناثرة ، تمثل فلول جيش دارت عليه الدائرة فتفرق أيدى سبا . وانطوت كل قبيلة على نفسها تمارس بقايا اقتصاد تقادم عليه العهد بالنسبة للعالم الخارجى ، وعلى الأخص بالنسبة لأوروبا التى تمكن منها الاقتصاد الرأسمالى الصناعى . والواقع أن الأوروبى الذى كان يصل إفريقية كان يرى بوضوح الفارق الكبير بين نظامين أحدهما متقدم فى أوروبا والآخر متأخر فى إفريقيـــة . وبدأ استغلال المستعمرات ، وليس لرجل الاقتصاد الذى يستثمر ماله ، ولا للسياسة الاقتصادية التى تمارسها حكـــومات الاستعمار مثل عين عالم الأنثروبولوجيا أو عالم التاريخ . إن الأرض فى إفريقية هى الأرض فى أى جزء من العالم ما دام فى الإمكان استغلالها اقتصادياً حسب إمكانياتها ، والقبائل المختلفة فى نظر الاقتصاديين والمستثمرين كان أهلها يمثلون أيادى عاملة أو مواد ثروة من أى نوع ؛ إنهم « بشر » — على أحسن تقدير — قادرون على العمل من أجل تنمية رأس المال المستثمر بالرغم من اختلاف لغاتهم ومعتقداتهم وحضاراتهم ! !

هكذا رأت الحكومة المستعمرة

الإقليم والناس الذين يدخلون ضمن دائرة نفوذها . وهكذا وضعت الخطط والمشروعات الاقتصادية فى إطارها الأوروبى . ونفذت بشكل أو آخر فى المستعمرة بالرغم من كل الاختلافات التى من أهمها ولا شك اختلاف جوهر الاقتصاد فى كل من إفريقية وأوروبا .

وكان لتطبيق الاقتصاد الأوروبى آثاره المعروفة على أجزاء كبيرة من إفريقية . فقد قوض كثيراً من دعائم الاقتصاد الإفريقى التقليدى ، وهزه من أساسه هزات عنيفة ، وانتزع الآلاف من الإفريقيين — قسراً فى أحيان ، وبالترغيب فى أحيان أخرى — من حياتهم الاجتماعية التى ألفوها فى قراهم وقبائلهم ، وأسلمهم إلى بيئة جديدة ، بالرغم من وقوعها فى أرض إفريقية ، إلا أنها من خلق الاستعمار ، وبالتالى غريبة عنهم هى حياة المعسكرات فى المناجم وفى المزارع الأوروبية ، وحياة المدن بما لها من خصائص مرتبطة بعصر الصناعة ، كلها كانت تمثل أخطاراً جسيمة بالنسبة لهؤلاء الإفريقيين . وبدأت عمليات نفسية ، واستجابات مادية واقية للحيـــاة الجديدة من جانب الإفريقيين . بدأوا يعرفون الاقتصاد النقدى ، ويزرعون محصولات تجارية ، ويستوردون غذاءهم اليومى ولباسهم فى معانيه الواسعة . ودخلت إفريقية وسائل مواصلات جماعية لم يكن لهم بها عهد من قبل ، وزاد الاتصال والاحتكاك وتبادل الافكار الخ ... وخرج الإفريقى العادى من عزلته ليسمع لغات جديدة . ويتفاهم بلغة أوروبية ... ولم تعد مشكلات الإفريقى مركزة فى أسرته وعشيرته وقبيلته وأملاك القبيلة ، بل تعدت ذلك إلى مشكلات أعم ، تشمله وتشمل غيره من أفراد قبائل أخرى ، ربما سمع بها ، وربما لم يسمع بها من قبل . وواجهت هذا الجمع الغريب مشكلات واحدة تتلخص فى كيفية التأقلم ، والتهيىء مع البيئة الجديدة .

وحاول الإفــريقى — بطريقته الخاصة ، ودون مساعدة المستعمرين الذين لم يكن لهم من هم إلا الحصول على ما يريدونه من خيرات المستعمرة — أن يحل مشكلاته ... مشكلاته الجماعية فى معسكر العمل فى المناجم أو المزارع أو المدن ، وليست مشكلاته الفردية . وتكونت أندية ضمت أعداداً من جماعات وقبائل مختلفة . أندية وجمعيات أغراضها عملية واقعية لمساعدة البعض فى مجاهل الحياة الجديدة . وكان هذا هو أول خطوة عملية للعمل على مستوى أعلى من جماعة القرابة والرحم أو العشيرة والقبيلة . وأنشئت جمعيات خاصة لبعض المهن للمطالبة بمطالب مهن خاصة أو لتأييد مطالب فئـــة معينة . ووصل سلاح بعض هذه الهيئات الإفريقية إلى حد العصيان وإثارة الشغب .. وتعرض بعض

الزعماء للسجون ، وبذلك كانت نوايا التجمعات السياسية . وفي الواقع إن بعض أحزاب إفريقية نشأ عن مثل هذه التنظيمات البدائية في السياسة : مثل « مجموعة الحركة Action Group بين قبيلة اليوربا في نيجيريا ، وحزب الدكتور أزيكوي Dr. Azikiwe المعروف باسم N.C.N.C. « المجلس القومي لنيجيريا والكميرون » .

ولما كانت موارد الثروة الإفريقية أوسع وأضخم من أن يستثمرها رأس المال الأوروبي ، ولما لم يمض على الاستعمار الوقت الكافي في إفريقيـــة للاستغلال الكامل ، فاننا نجد أن الأحوال التي وصفتها لا تشمل الجانب الكبير من إفريقية ، بل جوانب متفرقة منها . ولذلك فان هناك مراكز متفرقة للنظام الاقتصادي الجديد وسط محيط من النظام الاقتصادي التقليدي . ودور هذه المراكز الإفريقية الجديدة بمثابة القطب المغناطيسي الذي يعمل باستمرار على إكمال نشر النظام الجديد في القارة .

والذي يهمنا في هذا المجال هو هو أنه قد ترتب ، على احتكاك نوعين من الاقتصاد ونوعين من التفكير والايديولوجية ، خروج كثير من الافريقيين من عزلتهم ، واتحادهم في العمل الاقتصادي والاجتماعي والسياسي على مستوى أوسع من مستوى المجموعة اللغوية الحضارية التي كانت تمثلها العشائر والقبائل .

وبعبارة أخرى فان تطبيق الاقتصاد الصناعي في إفريقية قد أعاد تشكيل نظم الحياة الإفريقية على أساس وحدات سياسية تكاد تصل إلى حد « الأمم » .

ولقد قلنا إن وسترمان قد جانبه الصواب حين قال : إنه لا توجد في إفريقية أمم ، ولست أعني بذلك الأمم الجديدة التي نجمت عن الارتباط بين النظم الاقتصادية الاستعمارية والإفريقيين . بل أعني أنه كانت في إفريقية أمم قبل نفوذ الأوروبيين إليها . وليس أدل على ذلك من الممالك والامبراطوريات التي يعج بها تاريخ إفريقية في العصور الوسطى . حقاً لم تكن هذه أمماً متجانسة في اللغات والتقاليد ، ولكنها كانت تكون نظاماً اقتصادياً اجتماعياً محكماً مثلها في ذلك مثل الامبراطورية الرومانية غير المتجانسة ، أو امبراطورية شارلمان غير المتجانسة ، أو الخلافة الإسلامية ، سواء في بغداد أو القاهرة أو استانبول ، أو امبراطورية النمسا والمجر ، أو الامبراطورية القيصرية في روسيا ، أو الاتحاد السوفييتي المعاصر ، أو جمهورية الهند الحالية .

— ٤ —

وبعد : فما هي الحركة القومية ؟ لقد قال بعض علماء السياسة : إن القومية حالة عقلية يكون فيها الولاء الأعلى للفرد موجهاً نحو الأمة . وقال آخرون :

أو المجموعة بعضويته فى أمة ورغبته فى دفعها إلى الأمام .

ان ما يحدث فى إفريقية الآن من حركات لا يخرج عن أحد المدلولين السابقين . إن الأحزاب السياسية والهيئات والتنظيمات شبه السياسية تسعى لتحرير إفريقية من الاستعمار . أليس ذلك هو الولاء الأعلى والشعور بالعضوية والرغبة فى الدفع قدماً إلى الأمام !؟ وإذا لم يكن ذلك فماذا يكون إذن ؟ اننا لا نستطيع أن نوافق « لورد هيلى» على محاولته صبغ الحركة القومية باسم جديد هو « الافريقية » كما اقترح. لا شك أن هنالك اختلافا بين الحركة القومية الجارية فى إفريقية اليوم والقومية التقليدية فى أوروبا مثلا ، ولكن ليس هذا مبرراً قوياً لصك اسم جديد ، إلا إذا كان الداعى التشويش على الحركة النبيلة فى إفريقية التى تجلها الإنسانية بمعناها العريض . أو ربما كان القصد من التسمية الجديدة إثارة بغضاء عنصرية تدفع الحركة القومية الإفريقية إلى رفض كل ما هو من منتجات البيض أو ما هو خارج عن إفريقيـــة !!

وليس لنا اعتراض على أقوال كولمان . ولكن الذى لا شك فيه أن كل حركة قومية لجماعة أو شعب مضطهد أو فى حالة انتقال من مرحلة اقتصادية حضارية إلى أخرى تبدأ صغيرة متفرقة ، ثم تنمو وتشتد إلى حركات قوية ، الانتقالية . أما تقسيمه للأوضاع الراهنة فى إفريقية فهى حقيقة واقعة ، ولكن ليس اللوم فيها واقعاً على الإفريقى لتأخره فى القيام بحركته الوطنية فى بعض البلاد الإفريقية ، إنما اللوم على نظم العسف والجور الاستعمارى التى لا تخلو فى بعض هذه المستعمرات من رغبة أكيدة فى إفناء السكان الإفريقيين وإحلال أوروبيين محلهم حيث يطيب المناخ والظروف الطبيعية . وليس هذا بتجنٍّ ، فهناك سوابق كثيرة فى أمريكا واستراليا ، ومحاولات من هذا النوع فشلت لحسن الحظ فى جنوب إفريقية

وهودجكين فى وصفه للحركات الإفريقية بأنها « تعمل فى ظروف ما قبل القومية » فيه أيضاً تشويش على الحركة القومية ، ذلك أنه خصص معنى هذه الظروف بالسعى للخلاص من الاستعمار بأية طريقة ، رغم المشكلات المعقدة التى ستخلف خروج الأوروبيين إنه يؤكد هذه النقطة فى كتابه وكأنه بذلك يشير من طرف خفى إلى أن التعصب الإفريقى ضد الاستعمار سيترتب عليه كارثة فى إفريقية ، لنقص رأس المال والفنيين والخبراء الإفريقيين . ولا شك فى أن العالم الآن يعتمد بعضه على بعض وعلى الأخص الدول حديثة العهـــد بالاستقلال . وحاجة إفريقية إلى العون عظيمة ، ولكن هذا العون يجب ألا يكون مشروطاً بشىء .

هذا النزاع حول المدلول والمفهوم

للقومية بين الكتاب يقصد به — وربما كان بلا وعى، لأن هؤلاء الكتاب الغربيين يعدون أنفسهم أوصياء على بقية العالم — إثارة الفوضى فى مدى شمول الحركة القومية فى إفريقية وأهدافها ونياتها . ونحن نرى هذه الحركة من أخطر الحركات التحريرية فى تاريخ هذا القرن ، لأن إفريقية هى الملاذ الأخير للاستعمار . ومن ثم كثر التشويش، وكثر نصح زعماء إفريقية، وكثرت ملاطفتهم ، ولكن ذلك لن يثنى شعوب هذه القارة عما عقدت العزم عليه من أجل المساواة والحرية والسلام.

— ٥ —

قلنا إن ظروف إفريقية قد أدت إلى نشوء حركات قومية تعمل على مستوى « أمة » أو قريب من هذا المستوى . فما هو معنى « الأمة » ؟ إن المعنى المحدد لها هو جماعة متحدة بروابط كثيرة حضارية ولغوية وتاريخية . هكذا يمكننا أن نقول الأمة الألمانية أو الفرنسية أو الإيطالية فى فترات معينة من تاريخ هذه البلاد وليس فى فى الزمان إطلاقا . وظاهرة « الأمة » فى السياسة العالمية مرادفة إلى حد ما لحالة من الانعزال الحضارى يتلوه انعزال اقتصادى وسياسى ثم تنافس ثم حروب، وأشد ما تكون عليه هذه الظاهرة من بروز فى التاريخ كان فى القـــارة الأوروبية ؛ بدأت بذورها بعد سقوط الأمبراطورية الرومانية وأخذت شكلها الحاد فى المراحل الأولى والوسطى للانقلاب الصناعى . والآن ، وبعد تجارب « الأممية » المريرة فى أوروبا، وبعد استقرار الانقلاب الصناعى نهائياً، توجد بوادر تشير إلى تكوين أمم أكثر شمولا فى المساحة والحضارة والتاريخ . وقد ظهرت هذه الحالة عملياً فى بعض البلاد مثل الاتحاد السوفييتى الذى يضم عدة عناصر من الجماعات ذات الحضارة والتاريخ والتقاليد والأديان المختلفة . وهناك تجربة لمثل هذا النوع من الوضع السياسى الجديد فى أوروبا الغربية تتمثل فى دول السوق المشتركة الأوروبية التى تضم أعداء قدماء : الألمـــان والفرنسيين والهولنديين والبلجيكيين والإيطاليين . ومجموعة الدول العربية من أحسن هذه التجارب ، لأن ظروفها التاريخية واللغوية الموحدة فى خطوطها الكبرى ومعظم خطوطها الصغرى خير ضمان لاستمرار مثل هذا النوع من التنظيم السياسى الجديد فى العالم .

وإذا عدنا إلى إفريقية فاننا نجد — كما قلنا — قبائل غير متجانسة داخل المستعمرات . ومع ذلك فهناك حركة قومية تعمل ، منذ جيل على الأقل ، على هذا المستوى . ولدينا جمهورية غانه خير دليل على نجاح التجربة العالمية الجديدة . إنه يبدو أن إفريقية ستتجنب المرور فى الدوائر المقفلة التى مرت بها من قبل أجزاء من عالمنا . إن إفريقية تقفز إلى الأمام قفزات سريعة مستفيدة بذلك من تاريخ العالم ، كيلا تمر بالأخطاء المريرة ... وإلا فما فائدة التاريخ ؟

"Si je n'avais pas occupé le "Christiamborg Castle" mon peuple ne réaliserait pas qu'effectivement Ghana est indépendant."

Après cette affable conversation au cours de laquelle des conseils de frère expérimenté nous furent profusés à grandes et larges mains, NKrumah nous invita à visiter cette forteresse, construite en 1746 par des flibustiers hollandais, aux berges resplendissantes de la mer et occupée pendant des siècles par des satrapes hollandais, portugais et anglais. Construit avec et par le sang des Ghanaiens, ce château représentait le prototype de la colonisation et de la sujétion. Aussi longtemps qu'il était occupé par un étranger, même d'un altruisme sans précédent, le peuple ne pouvait pas accepter qu'effectivement il était indépendant. "C'est pourquoi, me dit Nkrumak j'ai tenu à l'occuper et à y installer et mon Bureau et celui du Conseil des Ministres. Il n'y a rien de spectaculaire ou de particulier; seulement il est l'incarnation ou de notre sujétion ou de notre indépendance. Aussi l'ai-je pris. Je n'y occupe au reste qu'un secteur réduit, de quoi caser ma femme, moi et éventuellement mon ou mes enfants. Le reste — et la majorité revient au peuple qui a sacrifié ses meilleurs fils pour notre indépendance".

"L'indépendance de Ghana n'aurait aucune valeur ou garantie sans celle de toute l'Afrique."

Tel est le dernier juron que nous fit Nkrumah. "C'est notre devoir, à Ghana, de vous aider à vous libérer. Mais il vous appartient plus qu'à "quiconque, conclut-il, de contribuer activement à cette libération".

Sur ces paroles, nous nous séparâmes. Chacun de nous rentra satisfait ; mais mesurant le parcours qu'il restait pour atteindre les objectifs que Nkrumah et son peuple avaient réalisés. Dure, mais noble, la lutte pour l'indépendance est le Marathon actuel de l'Afrique. Sûr que les Nationalistes Africains joueront le rôle du Général Miltiade. Seul le courage et les sacrifices s'imposent.

N'Krumah nous en a donné l'exemple. A nous de suivre.

Quant à l'U.P.C., elle est décidée à ne pas abdiquer. Aux dimensions Kamerunaises, elle se veut et sera Miltiade.

---

mah les conditions particulières de la lutte du territoire qu'elle représente - situations particulières que N'Krumah connaissait si parfaitement.

"Il vaut mieux une indépendance par la violence que l'esclavage avec la non violence."

Passant en revue les difficultés que les Nationalistes conséquents rencontrent tout au long de leur lutte, le Dr. N'Krunah nous exhorta à l'abnégation de soi au profit du peuple pour lequel on s'engage à lutter si même celà devait correspondre ou entraîner la prison et la mort. "Car, dit-il, la prison est, pour les Nationalistes la meilleure école de la grandeur d'âme et le tremplin de l'indépendance." A ce sujet, il se réfère à sa propre historique, à celle du C.P.P. (Convention Peoples Party) ; il nous expliqua qu'il dût passer par la prison pour que Ghana devint indépendant. Il mit en relief l'avantage qu'il y a pour un nationaliste de formuler des idées précises, de batailler pour elles jusqu'à leur réalisation complète, même si celle-ci devait passer par la voie de la violence... Il cita à ce propos Ghandi, Lincoln qui sacrifièrent leur vie pour un noble idéal.

Ces problèmes et conseils combien justes me pénétrèrent jusqu'aux os. J'eus, plus que jamais, la conviction que l'U.P.C. avait vu clair de tracer un programme précis et de dévouer à sa réussite la vie des meilleurs fils du Kamerun. Ma satisfaction fut telle qu'elle rayonnait à travers mes yeux, mes tempes et mes lèvres. Cette satisfaction était d'autant plus profonde qu'au cours de notre entretien, j'avais été cité en exemple par N'Krumak lui-même. En effet, précisait-il, lorsque "des jeunes gens de cet âge — il me désigna nommément — acceptent de laisser plaisirs et honneurs pour embrasser la misère et l'exil à cause d'un idéal, il faut reconnaître que c'est un bel exemple de sacrifice à imiter."

Tout au long de notre causerie, il insista sur la nécessité d'une politique de peuple, pour le peuple par des gens émanant du peuple ; un rapprochement étroit avec le peuple est le meilleur thermomètre de la réussite de la politique populaire. "Dès qu'on s'écarte du peuple, concluait-il, on est enclin d'emblée à servir les adversaires du peuple."

Par cette brève, mais précise déclaration, N'Krumah avait dépeint toutes sa lutte et défini toute sa politique, celles que l'on peu retrouver aisément dans "Ghana — The Autobiography of Kwamé Nkrumah". Et celles de tout Nationaliste conséquent.

rounais lesquelles sont garanties par les conférences de Bandoeng, du Caire et d'Accra; Le Général De Gaulle est-il un interlocuteur valable ? Il est difficile d'y répondre, aussi bien affirmativement que négativement.

Cependant, nous ne pourrions pas ne pas remarquer que ceux qui le soutiennent — Soustelle, Massu, Pinay; Le Pen, Bidault... — sont les représentants des ultra-colonialistes, partisans de la guerre contre-révolutionnaire à outrance.

Une fois de plus c'est au peuple de France de choisir: Les Camerounais ont déjà à plus d'une reprise, défini leur choix. Ce choix s'inscrit dans la logique implacable de l'histoire. Ils sont décidés à les réaliser quelles que soient les conditions.

CACE.

LE DOCTEUR KWAME N'KRUMAH TEL QUE JE L'AI VU A ACCRA

par le Docteur FELIX-ROLAND MOUMIE,
Président de l'Union, des Populations du Cameroun (U.P.C.)

Le Dimanche 27 Avril 1958, c'est-à-dire 5 jours après l'historique Conférence des Etats Indépendants d'Afrique, j'étais reçu, en compagnie des Délégations du Zikist Nationa VANGUARD (Jeunesse du National Council for Nigeria and the Cameroons: N.C.N.C.) et du Sierra-Léone Indépendence Movement, au "Chriastiamborg Casttle" par le Docteur KWAME N'KRUMAH, Premier Ministre du Ghana.

Dans la simplicité qui lui est spécifique, le Dr. N'Krumah nous reçut dans son spacieux mais moderne Bureau dans lequel se trouve une bibliothèque riche en ouvrages écrits aussi bien par le Dr ALPHEUS HUNTON (Décision in Africa) que par Sir Alan Burns et tant d'autres auteurs d'idéologies et conceptions différentes voire même inconciliables.

Après nous avoir fait asseoir sur ses jolis fauteuils Morice, il nous fit servir ad libitum des boissons rafraîchissantes. Après ce geste de politesse usuelle africaine, un échange de vues très amical se déroula en présence de S.E. KOOFI BAAKO, Ministre de l'Information et le Secrétaire privé du Dr. N'Krumah. Tour à tour, chaque Délégation exposa au Dr. N'Kru-

été grièvement blessé... Quels sont les effectifs des Fellaghas Camerounais ? De 600 à un milier m'affirme un Officiel français. C'est le chiffre généralement avancé, encore que rien ne permette de le contrôler vraiment. Des opérations militaires ou de police sont impossibles dans un tel terrain. En réalité, ce ne sont pas quelques centaines de hors-la-loi qui font la force politique de l'UPC, c'est son chef UM NYOBE, le véritable champion de l'indépendance du Cameroun. De nombreux fonctionnaires sont affiliés au parti, des militants et des sympathisants noyautent les organisations des partis légaux, des tracts UPC circulent partout... Si des élections avaient lieu aujourd'hui à Douala dont les 130.000 habitants mènent une vie précaire, me dit un observateur particulièrement informé, et si l'UPC redevenait légale, elle aurait 80% des voix". (France-Soir 9 Avril 1958).

Ces affirmations vraies dans l'ensemble, appellent quelques remarques : - dès le débuts - le maquis dirigé par l'UPC a un royaume où il règne en maître.

— dans le maquis, il n'y a pas seulement un millier de combattants, mais plus de 20.000. Les autres Camerounais sont aussi prêts à prendre le maquis si le gouvernement français ne répond pas vite aux offres de négociation de l'UPC.

— si UMNYOBE notre secretaire général est fort, ce n'est pas seulement parce qu'il est le champion de l'indépendance du Cameroun, mais c'est parce qu'il sait que la cause qu'il défend est juste et qu'il a derrière lui tout le peuple Camerounais et pas seulement les 80% de la population de Douala...

— et le peuple Camerounais est d'autant plus déterminé dans sa lutte qu'il sait que l'opinion internationale est pour lui grâce au travail et à la campagne d'explication menés de Khartoum, du Caire et à toutes les Conférences internationales par les dirigeants de l'UPC, de la JDC et de l'UDEFEC, exilés depuis le mois de Juin 1957.

Avant que la guerre ne se généralise dans tout le Cameroun, l'UPC une fois de plus propose une solution pour sortir de l'engrenage. **Le gouvernement français, doit sans plus tarder, négocier avec l'UPC et officiellement.** (Il ne s'agit pas d'envoyer des représentants de l'église ou des commerçants pour prendre contact avec l'UPC, mais des Délégués Officiels du gouvernement.)

L'Algérie est en feu ; l'étincelle a jailli au Cameroun et l'incendie a commencé ; qui l'éteindra ?

L'UPC n'a pas à choisir ses interlocutaires français. Pourvu qu'ils soient les représentants démocratiquement élus par le peuple et qu'ils acceptent les revendications nationales des Came-

En Algérie, on misa sur une division des partis révolutionnaires, sur la non-participation de tout le peuple, sur les quarts d'heure, sur la fatigue, sur la torture, sur une complicité nationale et internationale semblable à celle du temps d'Indochine. Déception totale. La guerre d'Algérie jouït de la réprobation universelle. Ce sont les premiers fruits de Bandoeng continué par la Conférence du Caire et plus récemment par celle d'ACCRA. Renié comme il se doit, le colonialiste français en Algérie s'affole, et ment encore en prétendant que le pouvoir central métropolitain n'est pas fort et demande sa réforme en vue d'intensifier la guerre. Au même moment, les tableaux sur lesquels il avait misé ne lui ont amené que des échecs comme il se devait. La logique qui étrangle...

Les colons deviennent fous ; ils sentent venir leur fin et leurs derniers actes de sursaut témoignent de la gravité de leur état. Egoistes comme ils sont, ils veulent entraîner la Métropole dans leur chute. Et voilà les comités et les gouvernements de salut public, le sursaut national, la résurrection nationale, les solutions exceptionnelles selon des procédures exceptionnelles. Quelle aventure !...

Mais pour les Nationalistes algériens, la situation n'est que trop claire. Ils ont obligé les colonialistes à jeter leurs masques et à paraître au monde entier sous leurs véritables visages. Au monde d'en juger mieux, et au peuple de France de choisir.

Après Bandoeng, les colonialistes avaient mis au Cameroun sur la dissolution des Mouvements de la libération nationale (U.P.C., J.D.C., U.D.FEC.) sur la complicité de l'ONU, sur la loi-cadre Déferre, sur les partis fantôches, sur les oppositions au sein des mouvements dissous, sur la répression policière et militaire... Mais ici aussi, les échecs se sont accumulés. Peu de temps après les évènements de Mai 1955, Roland Pré, Haut-Commissaire de France au Cameroun à cette époque et organisateur des massacres, déclarait à Paris que la dissolution de l'UPC avait créé un vide politique dans le pays. La situation ne s'est point améliorée et tout le monde le sait. Le peuple camerounais devant l'entêtement du gouvernement fançais, a organisé le maquis armé que les ministres franco-camerounais de la loi-cadre se chargent vainement d'écraser.

"Je viens de rentrer du royaume des fellagha du Cameroun, écrit Serge Maffert. Un poste militaire (une case entourée d'une haie de pieux pointus) marquent l'entrée de la zône où règnent les rebelles... Il y a quelques jours, une Jeep française est tombée dans une embuscade et un capitaine a

tous les sujets qui refusent l'esclavage.

LA METROPOLE COMPLICE... MAIS TROMPEE

Il faut le dire, le colon, le colonialiste est tout ce q'uil y a le plus abject ; il vole, il tue, il ment. Il ment pour voler, il tue pour voler. Pour qu'il vive, il faut qu'il vole ; pour voler il faut qu'il mente, et quand le mensonge ne suffit pas, il tue. Après avoir tué, il ment encore pour se justifier afin de continuer à voler...

Examinons le cas de l'Indochine : en 1945, c'est-à-dire après plus de 50 années d'exploitation basée sur l'éternel prétexte humanitaire, des colons français devant les fermes revendications nationales du peuple vietnamien, firent appel à la Métropole pour que cette dernière règle le conflit. Pour les Indochinois, régler le conflit signifiait admettre dans la pratique le droit des peuples à disposer d'eux-mêmes. Et ils tinrent un langage clair. Mais la solution des occupants français se plaçait toujours dans la logique du système colonial. C'est ce que fit la Métropole : elle se rangea du côté de la guerre coloniale. Elle s'était laissés prendre dans l'engrenage infernal de la necessité du système de l'exploitation des colonisés. Et pendant les six années de guerre, le colonialiste, génie mystificateur, continua de mentir. C'était nécessaire car il n'y avait pas pour lui d'autre moyen qui lui permettrait d'avoir les jeunes soldats français ; mais aussi et surtout, l'opinion métropolitaine devait être en faveur afin de lui laisser la liberté de se livrer au trafic des piastres, au trafic des armes , au trafic des femmes ...Celà dura jusqu'a DIEN-BIEN-PHU où le peuple vietnamien sortit vainqueur. Cette victoire était aussi nécessaire ; ce ne pouvait être autrement. Un peuple qui se libère est toujours le plus fort. C'est la logique qui se continue ; l'histoire qui continue sa marche irréversible...

APRES LE VIETNAM ...... L'ALGERIE

Une année après DIEN-BIEN-PHU, c'était la conférence de BANDOENG. Ici encore le colon et le colonialiste prirent leurs armes mensongères que plus de la moitié de l'humanité s'était réunie pour diffamer la race blanche... etc. Quoiqu'il en soit, Bandoeng affirma la détermination de millions d'hommes de se libérer du colonialisme et de l'impérialisme accoucheurs de misère et de guerre . Et c'est sous ce signe que la révolution algérienne, la révolution camerounaise prirent leur essor. Ici comme là, le colon et le colonialiste déclarèrent que le soulèvement ne concernait qu'une petite poignée d'égarés anti-français au service de Moscou et du Caire.

La crise du systeme colonial Français

par CACE

Le marasme dans lequel se débat actuellement la France est la conséquence logique de la politique qu'elle a mené depuis plus d'un siècle. Si l'aristocratie nobiliaire a été renversée en 1789, ceux qui ont pris le pouvoir, c'est-à-dire, la bourgeoisie, ont rétabli un régime d'oppression contre le reste de ce que l'on appelait le Tiers-Etat. Avec le développement prodigieux de la grande industrie privée du XIXè siècle, non seulement l'opposition entre les deux classes sociales s'est accentuée, mais la concentration financière et la production industrielle fabuleuse ont amené la bourgeoisie européenne en général et celle de la France en particulier, à rechercher des débouchés (dans le monde entier) qui seraient en même temps des champs d'investissement.

Ainsi est née la colonisation, et tout autre tentative d'exploitation humanitaire n'est que mensonge grossier.

UNE LOGIQUE QUI PREND A LA GORGE :

La colonisation était une nécessité à la bourgeoisie. Son système économique que l'on appelle libéralisme économique ou capitalisme lui imposait de prendre par la force des terres étrangères et de violer la souveraineté des Etats Africains. Logique implacable qui prend à la gorge. Il fallait que la France vende ses casseroles, il fallait que le bourgeois français liquide les étoffes de ses industries textiles, il lui fallait exporter son vin, son blé (on crève d'ailleurs de faim en France à la même époque)... Mais il fallait aussi aux capitalistes français les ressources minérales des pays d'outre-mer. Entreprise des plus avantageuses : on vend continuellement à ce marché qui n'est jamais surchargé et on exploite à peu de frais les nombreuses richesses de ces pays.

La colonie était la fleur de la raison d'être du capitalisme. On a la main sur le pouvoir politique et avec cela on exploite la main-d'œuvre comme l'on veut, on établit les droits de douanes pour empêcher l'entrée des marchandises anglaises si celles-ci risquent de supplanter les nôtres on institue le travail forcé, on ouvre quelques écoles pour former des subalternes et on soumet la culture à un régime d'inquisition, on supprime par la mort lente en prison ou la mort instantanée par exécution,

persuade the Great Powers to discontinue the production and testing of nuclear and thermonuclear weapons, and to reduce conventional weapons.

Furthermore, mindful of the urgent need to raise the living standard of our peoples by developing to the fullest possible advantage the great and varied resources of our lands. We hereby pledge ourselves to co-ordinate our economic planning through a joint economic effort and study the economic potentialities, the technical possibilities and related problems existing in our respective States; to promote co-ordinated industrial planning either through our own individual efforts and/or through co-operation with Specialised Agencies of the United Nations; to take measures to increase trade among our countries by improving communications between our respective countries and to encourage the investment of foreign capital and skills provided they do not compromise the independence, sovereignty and territorial integrity of our States.

Desirous of mobilising the human resources of our respective countries in furtherance of our social and cultural aspirations, we will endeavour to promote and facilitate the exchange of teachers, professors, students, exhibitions, educational and cultural and scientific material which will improve cultural relations between the African States and inculcate greater knowledge amongst us through such efforts as joint youth festivals, sporting events etc.; will encourage and strengthen studies of African culture, history and geography in the institutions of learning in the African States; will take all measures in our respective countries to ensure that such studies are correctly orientated.

We have charged our Permanent Representatives at the United Nations to be the permanent machinery for co-ordinating all matters of common concern to our States, for examining and making recommendations on concrete practical steps for implementing our decisions, and for preparing the grounds for future Conferences.

Faithful to the obligations and responsibilities which history has thrown upon us as the vanguard of the complete emancipation of Africa; We do hereby affirm our dedication to the causes which we have proclaimed.

Mtre. Hashem concluded: "In a word, the conference was a great success and a step in the right direction. It will be followed by further steps till the African peoples achieve the aims that this conference has set them."



Conference Of Independent African States Declaration

We, the African States assembled here in Accra, in this our first Conference, conscious of our responsibilities to humanity and especially to the peoples of Africa, and desiring to assert our African Personality on the side of peace, hereby proclaim and solemnly reaffirm our unswerving loyalty to the Charter of the United Nations, the Universal Declaration of Human Rights and the Declaration of the Asian — African Conference held at Bandung.

We further assert and proclaim the unity among ourselves and our solidarity with the dependent peoples of Africa as well as our friendship with all nations. We resolve to preserve the unity of purpose and action in international affairs which we have forged among ourselves in this historic Conference, and to safeguard our hard-won independence, sovereignity and territorial integrity, and to preserve among ourselves the fundamental unity of outlook on foreign policy so that a distinctive African Personality will play its part in co-operation with other peace-loving nations to further the cause of peace.

We pledge ourselves to apply all our endeavours to avoid being committed to any action which might entangle our countries to the detriment of our interests and freedom ; to recognise the right of the African people to independence and self determination and to take appropriate steps to hasten the realisation of this right ; and to affirm the right of the Algerian people to independence and self-determination and to exert all possible effort to hasten the realisation of their independence ; to uproot forever the evil of racial discrimination in all its forms wherever it may be found ; to

and my message to you at this time is this. On this first anniversary of Ghanna's Independence, let us all dedicate ourselves afresh to the service of Ghana : it can truly be said that Ghana expects every man and every woman to do his or her duty. The effort required is total, on the part of every person in Ghana.'

Dr. Nkrumah is aided in his task by a charming wife from Egypt. Mtre Hashem considers her "a credit to Egypt and to Ghana." She bears the responsibility of being the First Ghanaian Lady with the graceful simplicity of a perfect hostess.

PERSONALITY

The success of the Accra Conference was due in large measure to Dr. Nkrumah personally and to his country, Mtre. Hashem said. Under the influence of the Ghana Prime Minister, the conference expressed a definite African personality. The biggest impression was the identity of purpose and intention of the delegates, and their sincere desire to reach sober, practical, reasonable resolutions.

"As evidence of this," El Sayed Hashem pointed out, "was the fact that whenever a controversial matter came up for discussion on which there were differences of opinion, the matter was not decided by being put to the vote, but was thrashed out until unanimity was reached."

Mtre Hashem stressed the very important part played at the conference by Dr. Mahmoud Fawzy, the U.A.R. Foreign Minister. Before every debate he minutely discussed the agenda with the other members of the U..A.R. delegation. As usual, he was his confident, cool, calm, collected self, with ready answers and a wit and humour which never failed to animate the discussions. "In a word,' said Mtre. Hashem, "he was always master of the situation."

DISCIPLINE

The conference in general was marked by orderliness and discipline, and Mtre. Hashem was greatly impressed by the efficiency of the Secretariat. As an educationist, he was concerned with the resolutions of the Cultural Committee. These resolutions were based on the need for cultural exchange, particularly through the medium exchange of teachers and professors, and the establishment of cultural centres.

Mtre. Hashem assured the "Gazette" reporter that the United Arab Republic will take steps to implement these resolutions, and one of the first tasks will be to establish a U. A.R. cultural centre in Accra.

embarked upon an extensive development programme covering the period up to the end of the 1959 financial year. This programme is known as the "Consolidation Development Plan." A previous development plan achieved much of the necessary spade-work, so that the new programme has adopted the designation of "consolidation" because the Government considered that this was what was necessary before proceeding to further and more ambitious schemes.

EDUCATION

As an educationist, Mtre. Hashem was particularly interested in the schools and university. At present the University of Ghana in Accra accommodates 400 students, all of whom are residential. The Government plans for education are intelligent and practical. The clean, specious University provides for the production of the immediate needs of the Government in intellectual manpower. All the students at the University have Government scholarships which are granted by various ministries. On graduation a student will serve in the ministry which granted him his scholarship and in this way key personnel are being formed to take over the responsibilities of the new state.

contains Faculties of Arts, Science and Agriculture. It is planned within five years to extend the scope to include Medical and Engineering Faculties. Instruction throughout is based on the tutorial system. Mtre Hashem found special words of praise for the cleanliness and tidiness of the students' and public rooms.

Education at pre-University levels has also received considerable attention. During the past few years the number of schools throughout the country has been doubled, while 12 per cent, of the total budget of Ghana is now devoted to education.

Mtre. Hashem met Ghana's energetic Premier, Dr. Kwame Nkrumah. "He impressed me," he said, "as a man of sincerity, intelligence and determination." Dr. Nkrumah, who is a B.A., M.A. and Ph.D. from Lincoln University, Pennsylvania, has been profoundly influenced by the writings of Hegel, and this may account for a straighforward, practical approach to the problems of his country. He is deeply conscious of the part which the people must play in ordered development, as exemplified in an independence anniversary message to the Ghannaians in which he said: "No Government can succeed without the full support of the people

'Ghana-Great New Venture In African Independence'

"What impressed me in Ghana was the cordiality and friendliness of the people — and also their sense of humour." This is how Mtre Ahmed Naguib Hashem, Under-Secretary of State for Education, summed up to a "Gazette" staff reporter his impressions of his recent visit to Accra, Ghana's capital, as a member of the United Arab Republic delegation to the Conference of Independent Africa States.

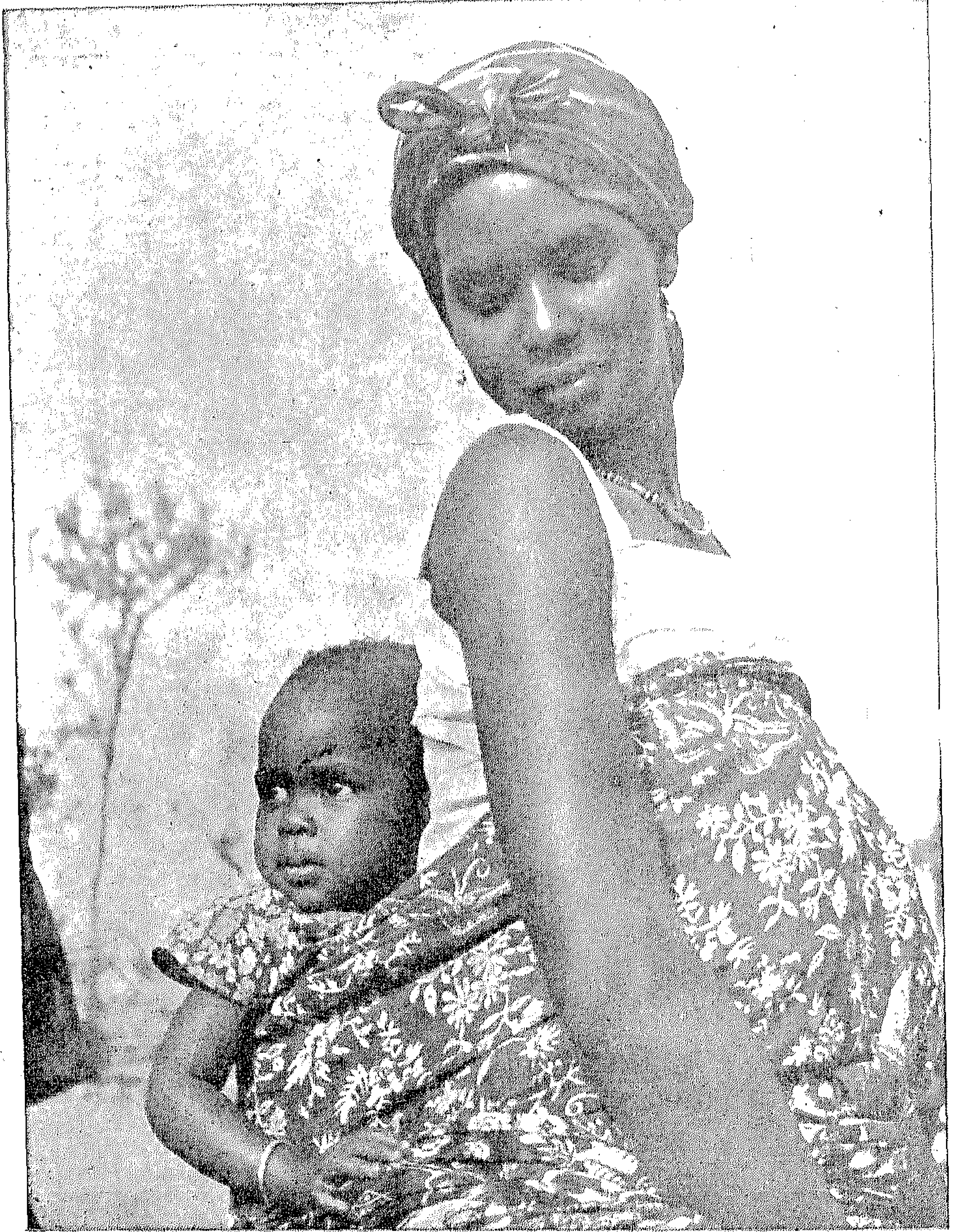
Mtre. Hashem, who was Rapporteur of the Conference's Cultural Committee said that the people of Ghana showed themselves to be keenly conscious of their newly won independence, which they are determined at all costs to safeguard, and at the same time displayed great sympathy for and interest in other African states still under the domination of colonialist powers.

"In Ghana," said Mtre. Hashem, "one feels the spirit of the awakening of Africa in all walks of life". The people, he emphasised, show by their bearing and discipline that they realise their responsibilities as citizens of a continent which will have an everincreasing part to play in the world. "Wherever I went," he added, "law and order prevailed. It was remarkable, for instance, to observe the meticulous attention to traffic rules in the streets, with the police smart, clean and alert, keeping a watchful but friendly eye on all.

WARM WELCOME

But it was not only the Ghanaians who extended a warm welcome to the delegates from the United Arab Republic. Mtre. Hashem was delighted with the reception given to the Egyptian, Syrian and other Arab delegates by the representatives of an Arab community, 4,000 strong, who have long played an important part in the affairs in this West African state.

Of the country itself, Mtre Hashem was fascinated by the pleasant perennial greenness in both city and countryside. Nearly every house is surrounded by a large garden, some of them occupying five to six acres. The land and the people of Ghana form a setting for a great new venture in African independence, and Mtre. Hashem told our reporter something of the way in which it is hoped to achieve success.



الأمومة فى غانه

مطبعة كوستاتسوماس وشركاه

Vol. 1 No. 8 June 1958



Nahdatu IFRIQUIAH

SPECIAL NUMBER

Ghana & Nkrumah

IN THIS ISSUE

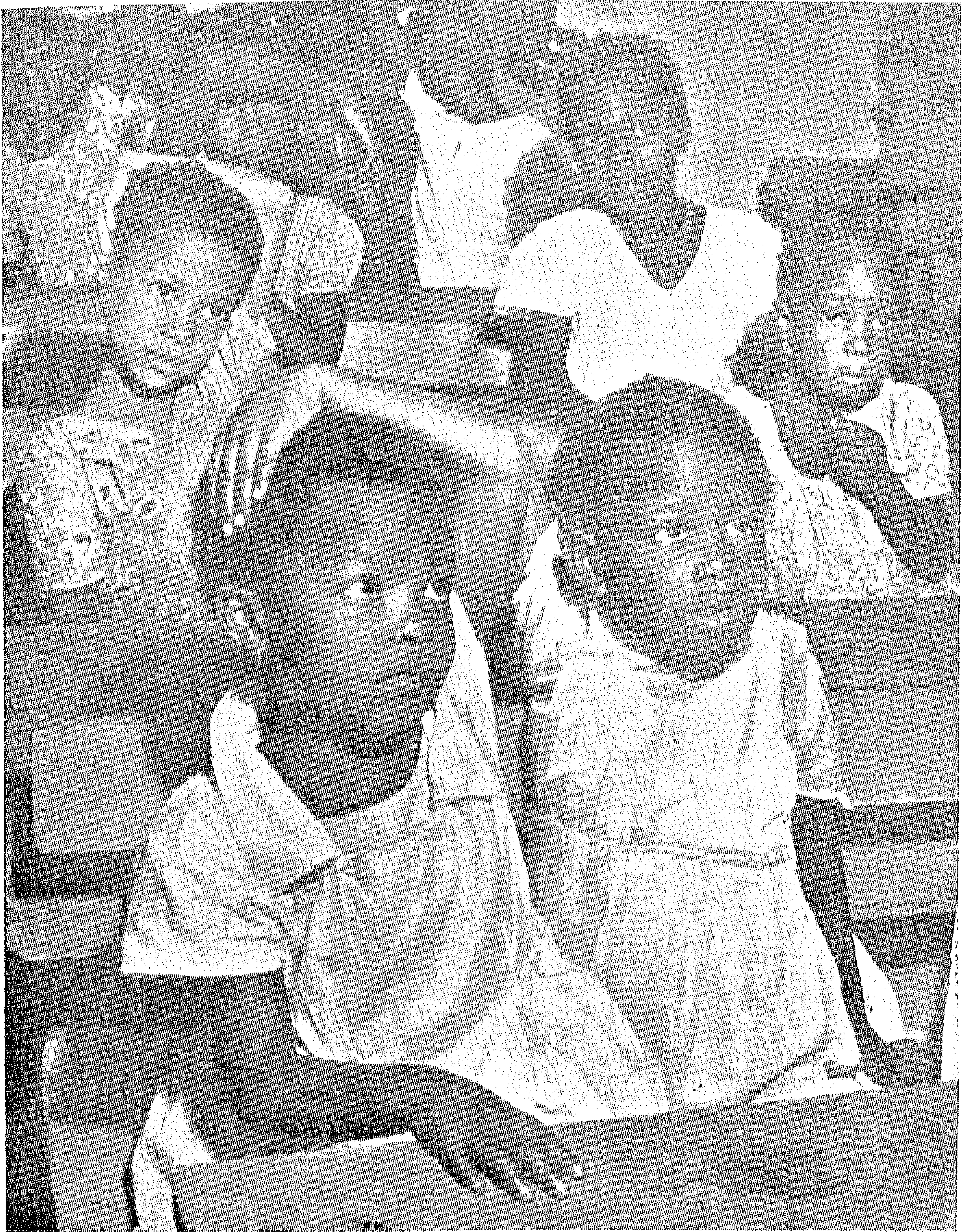
السنة الأولى

العدد التاسع   يوليو سنة ١٩٥٨



نهضة افريقية

فى هذا العدد



تلميذات بمدرســـة فى ((سيراليون))



نهضة افريقيه

مجلة شهرية للثقافة الإفريقية

رئيس التحرير : محمد عبد العزيز اسحق

محتويات العدد

نهضة افريقية

تهدف هذه المجـلة إلى :

١ ـ تنمية الوعى القومى الإفريقى .

٢ ـ التعارف بين الإفريقيين فى مختلف بيئاتهم وحياتهم الإقليمية .

٣ ـ نشر البحوث الخاصة والعامة التى تهم كل إفريقى فى مجاله الحيوى .

وللمشتركين الحق فى :

١ ـ الحصول على المجلة بانتظام ، وكذلك المطبوعات التى تصدرها المجلة بين وقت وآخر بثمن مخفض .

٢ ـ الإفادة من خدمة لجنة الاتصال بالمجلة بقدر الإمكان .

● ترحب «مجلة نهضة افريقية» بالمقترحات ، والآراء ، والنقد ، وتعمل على تحقيقها .

● ليس من الضرورى أن تكون المقـــالات التى تنشر فى هذه المجلة معبرة عن رأيها

ترسل المراســـلات باسم :

السيد رئيس تحرير مجلة نهضة إفريقية

٥ شارع أحمد حشمت ـ الزمالك ـ القــاهرة

إقليم مصر

تليفون المجلة ٨٠٧٦٥٨

ترسل قيمة الاشتراك فى المجلة إلى :

دار أخبار اليوم للتوزيع : ٧ شارع الصحافة بالقاهرة

الاشتراك سنوياً : لمصر والسودان

٣٠ قرشـــاً .

ثمن العدد

٣ قروش

حديث الشهر

الزحف المقدس

بقلم الأستاذ محمد عبد العزيز اسحق

فى عالم السياسة اليوم زلازل ، وبراكين ، وأنواء ، وأعاصير ، تهز تاريخ هذا الكوكب الذى نعيش فيه هزا عنيفا ٠

وكما تحدث الظواهر الطبيعية العنيفة من الهدم والتصدع بالمنشآت البالية العتيقة ، فكذلك أحداث السياسة ، وما تصنعه بالنظم البالية ، والحكومات الرجعية الصدئة ، والحكام الذين يركبون رءوسهم بما فيها من حفريات الأفكار ، ومستنكر المطامع ، وبالى التقاليد ٠

واذا كانت الطبيعة ، فى زلازلها ، وبراكينها وأنوائها وأعاصيرها تتبع نظاما رتيبا أبديا لا يكاد يتخلف سرعة وبطئا وتوقيتا ، على مر العصور والدهور ، فان أحداث السياسة تتشكل بالعصر الذى تنجم فيه ، وتنبع من ظروفه الاجتماعية والاقتصادية والعلمية ٠ ونحن الآن فى عصر السرعة والتطور المنبثق من عقول بعثت أقمارا صناعية الى الأفلاك العليا ، وأرسلت من الصواريخ ما يهزأ بالأبعاد والفلوات والقارات والمحيطات ، فلا عجب أن تتلاحق تطورات السياسة ، وأن يحدث اليوم فى لمح البصر ما كان يتطلب فيما مضى قرونا وآمادا طوالا ٠

وانه لمن حسن الطالع لهذا الجيل الذى نعيشه والأجيال التى نرتقبها ، أن تتوافد أحداث السياسة فى عنفها الساحق الماحق ، فتأخذ فى طريقها بما شيده الاستعمار ، وأحكم بناءه وتحصينه من نظم ورجال لهم هيئة الانسان ولهم طبيعة الحشرات الماصة للدماء ، وكلاب الصيد التى تنقض على الفريسة ، لتذهب بها الى أسيادها الأشرار ٠ القابعين فى لندن وواشنجطن وباريس ٠٠٠

انه لمن حسن الطالع أن تتدفق أحداث السياسة من هذا الجانب الفسيح من العالم الذى يسمونه « الشرق » حينا ، ويسمونه « البلاد

المتخلفة » حينا آخر ، ونسميه نحن « أقطار آسيا وأفريقية » • فان تدفق الأحـــداث من هـــذا الجانب بشير للانسانية المعذبة التى طال بها العذاب والهوان ، وطال تلهفها على يوم الخلاص:

تتوارد الى الأذهان هذه الخواطر بمناسبة الانتفاضة العراقية الأخيرة ، التى قذفت الى الهاوية « بحلف بغداد » و « مبدأ أيزنهاور » وما كان يغلفهما من أنظمة وأجهزة موبوءة مشبوهة ، ومن أشخاص رضوا لأنفسهم مكانة العبيد فى المجتمع الدولى ، وتطوعوا باذلال أقوامهم ، لكى يتمكن منهـــم المستعمرون ، ومصاصو الدماء !

لم يكن أحد من المراقبين السياسيين فى العالم الغربى الذى أعمته الأنانية يتوقع أن يحدث ذاك الانفجار الرائع المريع فى بغداد ، وفى صبيحة اليوم الموقوت لاجتماع الرؤساء الأذناب فى مدينة « استانبول »

لقد كان هذا الانفجار أبعد الأشياء عن ذهن نورى السعيد الذى راعته نار الحرية فى لبنان ، فأخذ منـــذ قيام الثورة اللبنانية يقفز من بغداد الى لندن الى أنقرة كالديغ ، ويصرخ مستنجدا ، ثم يستجدى متخـــاذلا ثم يتصايح محذرا أولياء نعمته من البريطانيين ، ثم يعود كسير القلب الى قصره ، أو الى جحره ، فى عاصمة الرشيد ، لكى يحيك أحبولة جديدة ، ويعرضها على السادة الانتهازيين فى مدينة أستانبول فى اليوم الرابع عشر من شهر يوليو (تموز) •

وكان نورى يركز نظره على بيروت ، ويتآمر لانقاذ شمعون ، ولكنه لم يكن ينظر الى ما تحت قدميه ، حتى انتفض جيش العراق ، وحطم أغلال الشعب فى غمضة عين ، وانطلق المارد من عقـــاله ، وزمجرت أمواج الطوفان الرهيب ، ولم يجد حتى ما وجده « ابن نوح » من جبل يتعلق بصخوره الى أن يغمره الموج ، ويخمد أنفاسه الى أبد الآبدين •

لقد كانت ثورة لبنان الوديع الجميل علامة من علامات عصر التحرر والانطلاق وســـيادة الشعوب ، وكانت مظهرا للشجاعة المثاليـــة التى تثبت عظمة الروح واحتقـــارها للقوة الغاشمة ، فقد وقفت حفنة من الزعماء الشجعان على رأس شعب مسالم صغير ، وفى مواجهتها « الاسطول السادس » بقلاعه البحرية ، وطـــائراته الصـــاروخية ومدافعـــه الذرية ، وعلى مقربة من سواحلهم ، فى جزيرة قبرص ، حشدت بريطانيا « جنودها » (الذين سبق لهم أن فروا مذعورين ، بعـــد أن فقدوا ذيولهم فى بور سعيد)

وفى بيروت نفسها تحصن رئيس الجمهورية الذى باع نفسه للشيطان ، ومن وراء ظهور الزعماء المجـــاهدين تدفقت المعونات من كل لون ، من كل حدب وصوب : من الأردن ومن تركيا

ومن لدن نورى السعيد ، وأضيف الى سلاح الحديد والنار ، سلاح « الحرب الباردة » أو « حرب الاعصاب » فهرول شارل مالك وهو يولول الى مجلس الأمن ، ودقت بريطانيا على صدرها فزعا على مصير شمعون ، وكشرت أمريكا عن أنيابها ومخالبها ، وهى تتعجل مجلس الأمن أن ينقذ الحاكم اللبنانى المنهار ، وتزمجر بألفاظ الوعيد والتهديد بتمزيق دستور هيئة الأمم ، والعمل وحدها على سحق طلاب الحرية فى لبنان .

ولكن « **جبل لبنان** » استطاع أن يصمد لعواء نورى السعيد وزمجرة دالاس ، وتصايح المستعمرون » فى جزيرة قبرص ، وكان أكثر الناس تفاؤلا لا يتطلع الى أكثر من انهزام شمعون وعصابته عسكريا ، وتخاذل حلفائه الغربيين سياسيا ، والى توقع اشتداد الروح القومية بعد ذلك فى الاردن والعراق وما جاورهما من « **العرائس والدمى** » التى يتكون منها حلف بغداد ...

وفى هذه الفترة الحاسمة فى حياة الثورة اللبنانية لم ييأس نورى السعيد من اطفاء جذوة الحرية فى لبنان ، فعاد من لندن وقد نبتت فى رأسه فكرة خبيثة ترمى الى اجتماع رؤساء « **القطاع الاسلامى** » فى حلف بغداد ، لكى يقرر هؤلاء السادة ارسال قوات عسكرية ، على رأسها — كما تخيلوا — قوات عراقية ، وبذلك يستقر شمعون ويطمئن نورى السعيد ، وتدور عجلة التاريخ الى وراء ... !

هل قدر نورى السعيد أن حول بيته فى بغداد جمرات تتلظى على وشك اندلاع اللهيب .. ؟ .

هل أحس بهمهمة الشعب العراقى وهل أبصر بخطوط العزم والتصميم والتأهب للانقضاض ، وقدار تسمت على ملامح الضباط الأبطال الذين فرأمامهم كالفأر المذعور الى سرداب سحيق .. ؟

هل اهتزت شعرة واحدة من جسمه خوفا من نقمة العرب الذين خانهم ، وحاول طيلة حياته أن يضللهم ، وأن يبيعهم ، ويبيع مصالحهم للمستعمرين كما يباع الرقيق ... ؟

هل لذعه ضميره مرة ، وهو يتخيل ألوف الشباب الزاهر الذين ألقى بهم فى غيابات السجون ، والذين حاكم بعضهم فى الظلام ، وعلقهم من أعناقهم فى حبال المشانق ... ؟

ما أظن شيئا من هذا كله طاف بخيال نورى وأعوانه الأشرار ، الى أن دقت ساعة القدر ، وزلزلت الأرض زلزالها ، ومادت الأرض من تحت أقدامه ، واختفى طريدا سليبا ، الى أن فتك به الشعب ، وهو متنكر فى زى النساء ...!

لقد كانت وثبة العراق أكبر لطمة أصابت الاستعمار الغربى ، وقد أطارت

هـــذه اللطمة صواب المستعمرين ، فتخلوا فجأة عن الأساليب القانونيـة والانســـانية ، وأنزلوا جنودهم فى لبنان ، وتناسوها كما تنـاسى نورى السعيد وعبد الاله أن الروح الوطنية لا يمكن اخمادها بالحـديد والنار ، وأنهـــا من روح الله ، أبدية لا تخبو ولا تزول ، وأنها قد تختفى وتنكمش الى حين ، ولكن عناصر الخلود أقوى فى النهاية من كل مستعمر جبار .

ان المستعمرين الذين نزلوا فى لبنـــان لاذلال الشعب قد مروا فى طريقهم بالجزائر وهم قد شـــهدوا انتصار « غانة » واعترفوا بفوز شعب « توجو » على المستعمر الفرنسى ، وهم يرون نار الوطنية تتلظى فى «الكمرون» ويشهدون تزحزح بريطانيا أمام شعب يوغندا ، وأهالى تنجانيقا .

وكان لهم فى كينيا مثل لو ارتفعت عن أعينهم غشـــاوة المطامع وضباب الغرور ، فقد ذاقوا هول العذاب وهم يحاولون اخماد ثورة ال « **كيكويو** » التى أسموها ذعرا « **ماو ماو** » ولمـا اســتطاعوا حبس الزعيم « **كينياتا** » ، وتطويق ال « **كيكويو** » والتغلب عليهم بالأسلحة الفتاكة ، ظنوا أن الوطنية فى كينيا قد ذهبت أدراج الرياح ، وأرادوا تخدير الشعب بنظام برلمانى أعرج ، واختـــــاروا له من يثقون (باعتداله) من أبناء كينيا ، وما كاد البرلمان (المأفون) ينعقد حتى هب من الافريقيين زعيم جـــديد أعاد الى أذهانهم صرخات ال « ماو ماو » وطالب بأن يكون الوطن لأهله ، لا للمتوطنين الأوروبيين الدخلاء ، والتف حوله زملاؤه الافريقيون ، واضطر البريطانيون الى التخبط من جديد ، فحبسوا الزعيم الجديد (**توم مبويا**) وأخـــذت نار الوطنية تزحف زحفها المقـدس من جديد ...

فيا أيها الأحرار فى أنحاء أفريقية حيوا شعب العراق العظيم ، وآزروا شعب لبنـــان ، وأوقدوا نار الجهاد المقدس فى كل مـــكان ، وان النصر لقريب ، وان الله لمع الصابرين .

أفريقي يُنشئ دولة مستقلة في أمريكا

بقلم الأستاذ مصطفى الشهابي

كانت جزيرة « هايتى » فى مقدمة الأماكن التى كشفها « خرستوف كولمبس » عندما قام برحلته الأولى من اسبانيا فى أغسطس سنة ١٤٩٢ ، فلما وطئتها قدماه فى ديسمبر من ذلك العام أعجب بها وأطلق عليها اسم «هسبانيولا» أو اسبانيا الصغيرة وأنشأ بها معقلا ترك به عددا من جنوده ليعود اليها ، وحمل منها دون غيرها مقدارا عظيما من النفائس ، ثم قام برحلات أخرى ، وانتهى مصيره الى السجن بسبب وشاية دنيئة .

واصلت اسبانيا الكشف بعد ذلك فتحقق لها أنها أمام عالم جديد ملىء بالخيرات الوفيرة ، ولذلك بدأت فى منتصف القرن السادس عشر سلسلة حلقات استعمارية فى أمريكا كانت جزر الهند الغربية التى تضم تلك الجزيرة فى طليعتها ، وظلت تحت حكمها حتى سنة ١٦٧٩ ، اذ انتزع منها الفرنسيون النصف الغربى من جزيرة « هايتى » ثم استولوا على الجزء الشرقى بعد ذلك .

وما لبثت الجزيرة أن امتلأت بالمغامرين الفرنسيين والاسبانيين الذين أخذوا يسومون السكان الأصليين العذاب ، حتى انتزعوا منهم أراضيهم واستخدموهم عمالا فيها .

ولما اتسع مجال الزراعة بدخول زراعات جديدة كالقصب تطلب الأمر أيادى عاملة رخيصة ، ولم يكن هناك أمام المستعمرين سوى الافريقيين الذين أنشئت شركات من الأوروبيين لتوريدهم الى أمريكا ، فكانوا يكبلون بالأغلال ، ويلقى بهم فى قاع السفن التى تسير بهم الى المناطق الزراعية ، حيث يباعون ليعملوا خدما أو عمالا زراعيين تحت ضرب السياط اللاذعة ووهج الشمس المحرقة . وكان من يشترى الرقيق يبدأ حياته بأن يسمه بعلامة خاصة ، كما توسم الخيل والأبقار ، ليمكن العثور عليه اذا هرب .

وللحصول على أكبر قدر من المحصولات كان الملاك الأوربيون يتفننون فى ارهاق هؤلاء البائسين ، اذ كانوا يوقظونهم عند الفجر ، ليبدأوا عملهم اليومى حتى بعد غروب الشمس واذا بدا من أحدهم تراخ بسبب المرض أو الضعف لكبر السن كان يجدع أنفه ، أو تصلم أذنه ، وأحيانا كان يحرق حيا لكي يكون عبرة لغيره .

وكان أحـــدهم يعمل طباخا ، ولم يعجب سيدته يوما ما الحساء الذى طهاه ، فأمرت بالقائه فى فرن هادىء النار حتى يموت ... ومات المسكين بعد سبعة أيام ظل خلالها « يتقلى » على النار ليل نهار ٠

وحاول آخر أن يهرب ، فحكم عليه البيض بالجلوس فوق خازوق (الطريقة الفرنسية نفســـها التى اتبعت مع سليمان الحلبى فى مصر) ثم أشعلت فيه النار ٠

وقبل تنفيذ الحكم جاءه قسيس ليعظه ، وطلب اليه اعتناق المسيحية حتى تكون الجنة مصيره فتساءل :

ــ هل يوجــد فى الجنة أحد من الأسياد ؟

ــ نعم يا بنى

فالتفت الشاب الى جلاديه قائلا :

عجلوا بالتنفيذ فلأن أموت وثنيا خير لى من أن أعود لرؤية الأسياد فى الجنة !

* * *

فى هــــذا الجو ولد « فرانســـو دومينيك توسان » سنة ١٧٤٤ ، رقيقا كأبيه ودخل فى ملكية سيد أبيه بحكم مولده ، فقــــد كان السيد يشترى الرقيق وما يرزقه الله من ذرية ٠

وترعرع توســـان وهو يرى أمثال هــــذه المآسى تلحق عشيرته ، ولكنه لطبيعته السمحة وانسانيته المتدفقة ، لم يتأثر بما حوله ٠

حدث مرة أن ضرب أحد زملائه لأنه اعتــدى على كلب دون سبب ما فى الظاهر ، فغضب ســـيده واستدعاه وصاح فى وجهه :

لقد دافعت عن كلب فابحث عمن يدافع عنك !

وانهال عليه ضربا بالسوط ٠

فكان جواب توسان :

لقد وجد الكلب انسانا أما أنا فلم أجد أحدا !

ورق قلب هذا السيد ، ولمس فيه ناحية لم يلاحظها فى غيره فعهد اليه بالاشراف على باقى العمال السود فى المزرعة ٠

وكان منذ صباه يحب القراءة وكثيرا ما كان يختلس الساعات يطالع فيها ، فلما باشر عمله الجديد وجد لديه من الوقت ما شجعه على اشباع هوايته ، فكان يقرأ كل ما يصل الى يده ، حتى الطب قرأ ما أمكنه فهمه من كتبه ، وهضمه الى الحد الذى جعل سيده يكل اليه معالجة بعض العمال ٠

وقامت الثورة الامريكية ، واستقلت الولايات المتحدة عن انجلترا ، وتلتها الثورة الفرنسية ، وأطاحت بما كان الفرنســـيون يرسفـون فيه من ظلم وعسف ، وأعلنت فرنســـا حقوق الانسان التى جاء فى أول موادها :

« يولد الناس ويعيشون أحرارا متساوين في الحقوق ، لاتمييز ولا تفاضل بينهم » .

واستبشر الإفريقيون في جزيرة هايتى وغيرها خيرا بهذه المبادىء ، عندما كانوا ينصتون الى الأحاديث التى يتبادلها سادتهم فى مآدبهم واجتماعاتهم .

ولكن هذه المبادىء الفرنسية لم تكن تصلح للتصدير خارج فرنسا ، نعم لقد هدم الفرنسيون الباستيل ، ولكنهم أقاموا باستيلات أنكى وأفظع فى سائر البلاد التى نكبت باستعمارهم

لذلك كان عقاب « فنسان أوجيه » الذى طالب سنة ١٧٩١ بتطبيق «حقوق الانسان » وبتحريره هو واخوانه ، أن قطع أصحاب المزارع رأسه ، وألقوا به الى أطفالهم يلعبون به الكرة ، لعل فى ذلك عبرة لمن تحدثه نفسه بالتكلم عن تحرير السود .

ولكن السود ثاروا لذلك ، وقابلهم « الأسياد » بالشدة ، فصمد السود وانتقموا فى ثورتهم لما أصابهم هم وأصاب أباءهم وأجدادهم من ذل وهوان .

وكان توسان خلال الثورة يعالج الجرحى ويجمع خيوط الثورة حتى اذا ما استقرت جميعها فى يده أخذ ينظمها ويوجهها فضم اليه الخلاسيين (أبناء الأوروبيين من أمهات أفريقيات . أو العكس) .

وأخذ يقود اخوانه من نصر الى نصر حتى فتح مدينة « سان دو مينجو » ، ومنذ ذلك الحين سمى « الفاتح » وتم له طرد الفرنسيين من الجزيرة واعلان استقلالها .

وأبى سادة الجزيرة الا الالتجاء الى الخديعة ، فاتصلوا بالحكومة الفرنسية موعزين اليها أن تدعوه الى فرنسا لتكريمه ، ومنحه لقب « مواطن فرنسى » ثم تقبض عليه وتعدمه .

فلما جاء المندوب الفرنسى لتنفيذ هذه المؤامرة اعتذر « توسان » من عدم تلبيتها ، فقد أدرك بذكائه ما وراء تلك الدعوة .

وكانت الحرب يومئذ على أشدها بين انجلترا وفرنسا ، فانتهزت انجلترا تلك الفرصة وعرضت على بطل « هايتى » أن تنصبه ملكا تحت حمايتها ولكنه رفض قائلا :

خير لى أن أكون عبدا محررا من أن أكون ملكا مستعبدا ! .

وفى هذه الأثناء ظهر نابليون ، وخشى أن تسرى روح الحرية والتخلص من الاستعمار الفرنسى فى باقى أملاك فرنسا ، ولذلك ما كاد يوقع صلحا مؤقتا مع انجلترا حتى اهتم بتوسان ، وأراد أن يعطيه درسا قاسيا ، فبعث بحملة غايتها القبض على بطل «هايتى» أو قتله .



ولكن الهزيمة حاقت بالجيوش الفرنسية واضطر قائدها الى طلب الصلح .

ووافق « توسان » وذهب بنفسه الى القائد الفرنسى ، وبينما هما يتحدثان سأله القائد

لنفرض أن الحرب التى بيننا ظلت مستمرة ، فمن أين كنت ستحصل على الذخيرة ؟

فأجابه البطل بكل بساطة :

من جنودكم الذين نأسرهم !

ولكن مهمة القائد لم تكن عقد الصلح ، بل تنفيذ أوامر نابليون الصريحة ، لذلك لجأ الى الخديعة فدعا بطلنا الافريقى الى وليمة ليدرسا أثناءها مصير القوات الفرنسية ، فلبى دعوته ، وبعد أن تلاقيا تركه الفرنسى الغادر وحيدا فى الحجرة ودخلت على أثره جماعة من الجنود المدججين بالسلاح وأحاطوا به وطلبوا اليه أن يتبعهم فقال :

اننى طوع أمركم ، ولــكن الله سينتقم لى !

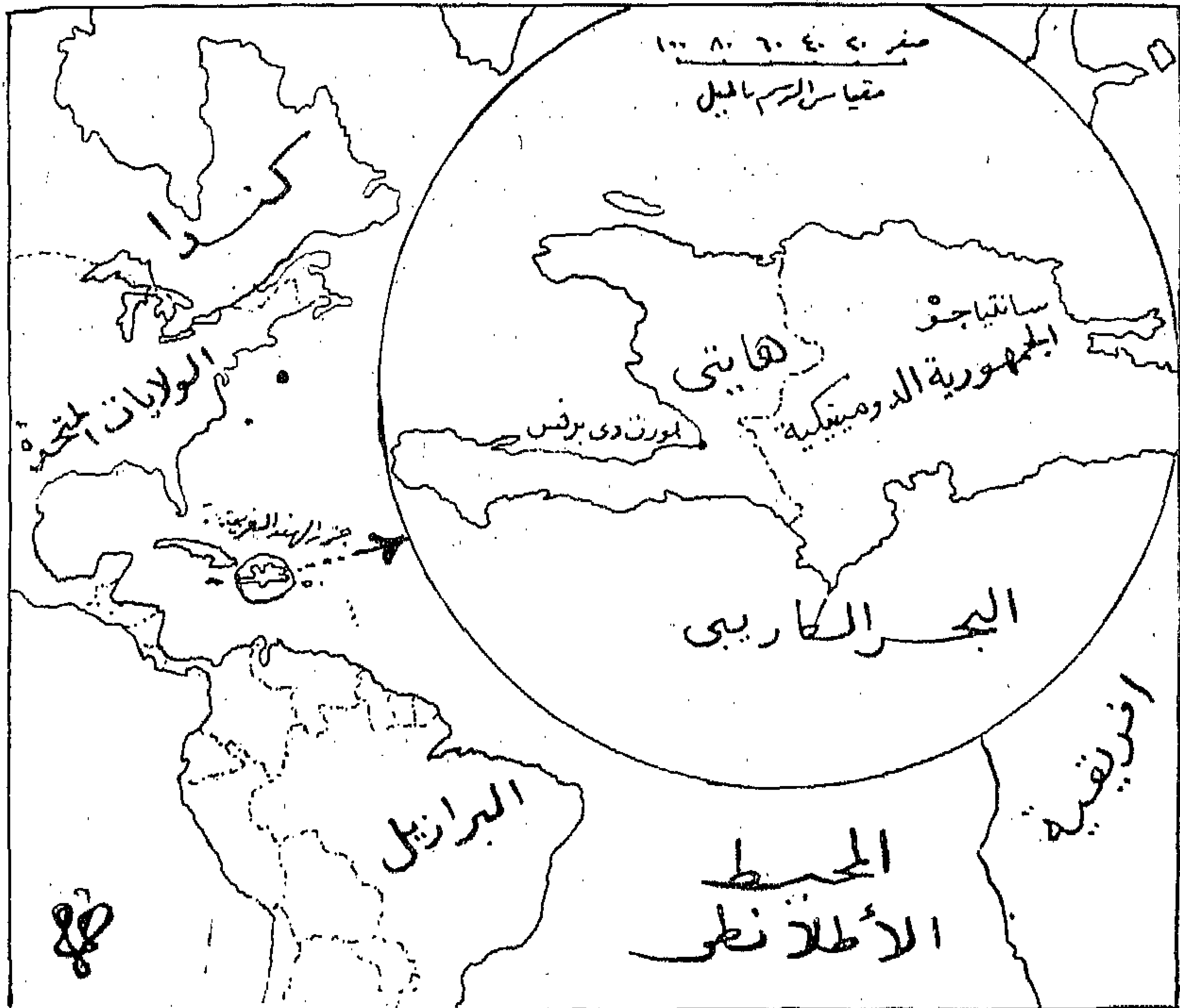
ولمـــا غادر الحجرة صـــاح بأعلى صوته :

لقد خيل اليكم أنكم قطعتم شجرة الحرية ولكنكم مخطئون ، فجذورها عميقة أكثر مما تتصورون ، وستنمو قريبا .

ونقل « توســان » تحت حراسة شديدة والقيود فى يديه وقدميه ، حتى اذا ما وصل فرنسا أودع فى سجن بمدينـــة « جو Joux » على الحدود الفرنسية السويسرية ، حيث قضى نحبه من الجوع وسوء المعاملة فى ٢٧ أبريل سنة ١٨٠٣ .

وظن الفرنســيون أن الجـزيرة أصبحت لقمـــة سائغة ، ولكن خاب ظنهم اذ عادت الثورة من جـــديد ، وحمل راية الحرية أبطـــال آخرون وتمكنوا من هزيمة الفرنســيين مرة أخرى فى يناير سنة ١٨٠٤ .

واســتقلت الجزيرة وتحـــرر الافريقيــون بهـــا من الاســـتعمار والاستعباد ، وتولى حكمها « ديسالين » أحد الزعماء الافريقيى الأصل ، باسم « جاك الأول » وظلت الجزيرة مستقلة حتى سنة ١٨١٤ ، اذ احتل الاسبان « سان دومنجو » ولكن « هايتى » أجلتهم عنها واتحدت الجزيرة سنة ١٨٣٨ وتحولت الى جمهورية .



غير أن « سان دومنجو » انفصلت واستقلت سنة ١٨٤٤ .

وفي أوائل الحرب العظمى الأولى قامت في الجزيرة اضطرابات داخلية ، فتدخلت الولايات المتحدة في شئونها وفرضت عليها حمايتها بحجة المحافظة على الأجانب ، وبعد أن استقرت الحال نوعا عادت الاضطرابات من جديد ، وعادت الحماية والرقابة المالية حتى كفت الولايات المتحدة يدها عنها سياسيا سنة ١٩٣٤ ، وماليا سنة ١٩٤١ ، وعاد لتلك الجزيرة الافريقية الأمريكية استقلالها .

أصل كلمة إفريقية :

يرى بعض المؤرخين أن كلمة افريقية مشتقة من كلمة « أوفير Ophir » وهي اسم المكان (الافريقي) الذي قصدت اليه سفن سليمان وحيرام Hiram ملك صور للحصول على الذهب .

ويرى الآخرون أن هذه الكلمة مأخوذة من كلمة سامية أصلها عبري معناها « سنبلة القمح » رمزا الى خصب وادي النيل ، حيث وجد ابناء يعقوب القمح عندما ساد القحط فلسطين .

ويزعم فريق آخر أن هذه التسمية في الأصل اسم لقبيلة « أوريجا Awriga» احدى قبائل البربر التي كانت تسكن ما يعرف اليوم باسم تونس .

فلما أنشأ الفينيقيون مدينة قرطاجنة سنة ٨٠٠ ق.م على الساحل الشمالي الافريقي كانت تلك القبيلة من أقوى جيرانهم فأطلقوا هذا الاسم على القارة بأسرها .

وبعد اندحار قرطاجنة أطلق الرومان على القارة هذا الاسم ، وجعلوه قاصرا على تونس والأجزاء التي تقع غربيها حتى موريتانيا (مراكش) .

وقد أطلق العرب كلمة افريقية على منطقة تونس .

وكانت الخرط التي رسمت في أيام كولمبس تطلق على تونس اسم « افريقية الصغرى » ، كما تطلق اسم آسيا الصغرى على ذلك الجزء من تركيا الذي يقع بين البحر الأسود والبحر المتوسط .

وبمرور الأيام كانت القارة كلها تسمى « افريقية الكبرى » ثم حذفت كلمة الكبرى وصارت كلمة افريقية هي اسم القارة .

أوغندا وتطور حدودها

بقلم الأستاذ صلاح الدين على الشامى

ظلت افريقية مجهولة لا تدخل فى حساب العالم كقارة ، الا فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر ، ذلك أن المعرفة كانت تقف على بعد أميال قليلة من سواحلها وحافات هضباتها الشامخة • وطبيعى أن تقف الصحراء الافريقية الكبرى فى وجه التوغل من ناحيـــة السواحل الشمالية ، وقد تحطمت على رمالهـــا وفقرها وجدبها محاولات المغامرين . وحتى النيل لم يمنح المغامرين سبيلا ممهدا لتحقيق أحلامهم فتوقف استطلاعهم عند بدء منطقـــة السدود • أما التوغل من السواحل الشرقية على المحيط الهنـدى والذى حمل العرب لواءه قرونا طويلة فقد كان يقنع بالمراكز التجارية التى أقاموها على الساحل وخلجانه ، وكان توغلهم وصعودهم الى الحافة الشرقية لافريقية العليا فى نطاق محدود للغاية ، ويبدو أن طبيعـــة السطح وظروفا أخرى تتعلق بعوامل بشرية أوقفت التوغل العربى عند حافة الهضبة الافريقيـــة الشرقيـــة ، وقصرت نشـــاطهم على الساحل فيما بين ممبسه ، وسفاله • والظاهر أن اشتغالهم بالتجارة وزحمة العمل صرفهم عن المغامرة ، فلم يتركوا لنا كتابات منظمة عن علمهم بافريقية والافريقيين على ســـطح الهضـــبة المرتفعة التى تمتد جنوب خط الاستواء •

ونحن لا نتصور جهل العرب بما وراء الحافة الشرقية ، انما المعقول أنهم لم يتركوا لنا ما هو مسجل أو مكتوب ليؤيد المعرفة التى تنسبها اليهم • وهكذا كانت أفريقية القارة المظلمة التى ظلت مجهولة فى معظم أجزائهـــا الوســطى ، حتى ظهرت المرحلة من مراحل الاستعمار التى انبثقت بعد قيام حركة الانقلاب الصناعى ، فى النصف الأول من القرن التاسع عشر •

وكانت الكشوف الجغرافية التى شـــملت أجزاء كثيرة من أفريقيـــة ووصلت الى قمة النشاط فى السنوات الأولى من ذلك القرن مقدمة ضرورية لكشف النقاب عن المجهول • وكانت الروح الاستعمارية تغـذى حركات الكشـف وتوجهــه • وشق المغامرون طرقهم من النقط الساحلية موغلين فى قلب افريقيـــة • وشاركت مصر فى الكشف وكان توغلهـــا مع الاتجـــاه الطبيعى لمجرى نهر النيل حتى وقفت على حافة الهضبة الافريقية • ومعنى ذلك أن أوغنده وهضبة البحيرات ظلت مجهولة حتى انتهى النصف الأول من القرن التاسع عشر لا يعرف عنهـــا الا ما بنى عـــلى الحدس والتخمين • ونحن لا نتصور ارتبـــاط مصر فى كشـــوفها بنزعة اســـتعمارية انما كان اتجاهها طبيعيا مع النيل للكشف

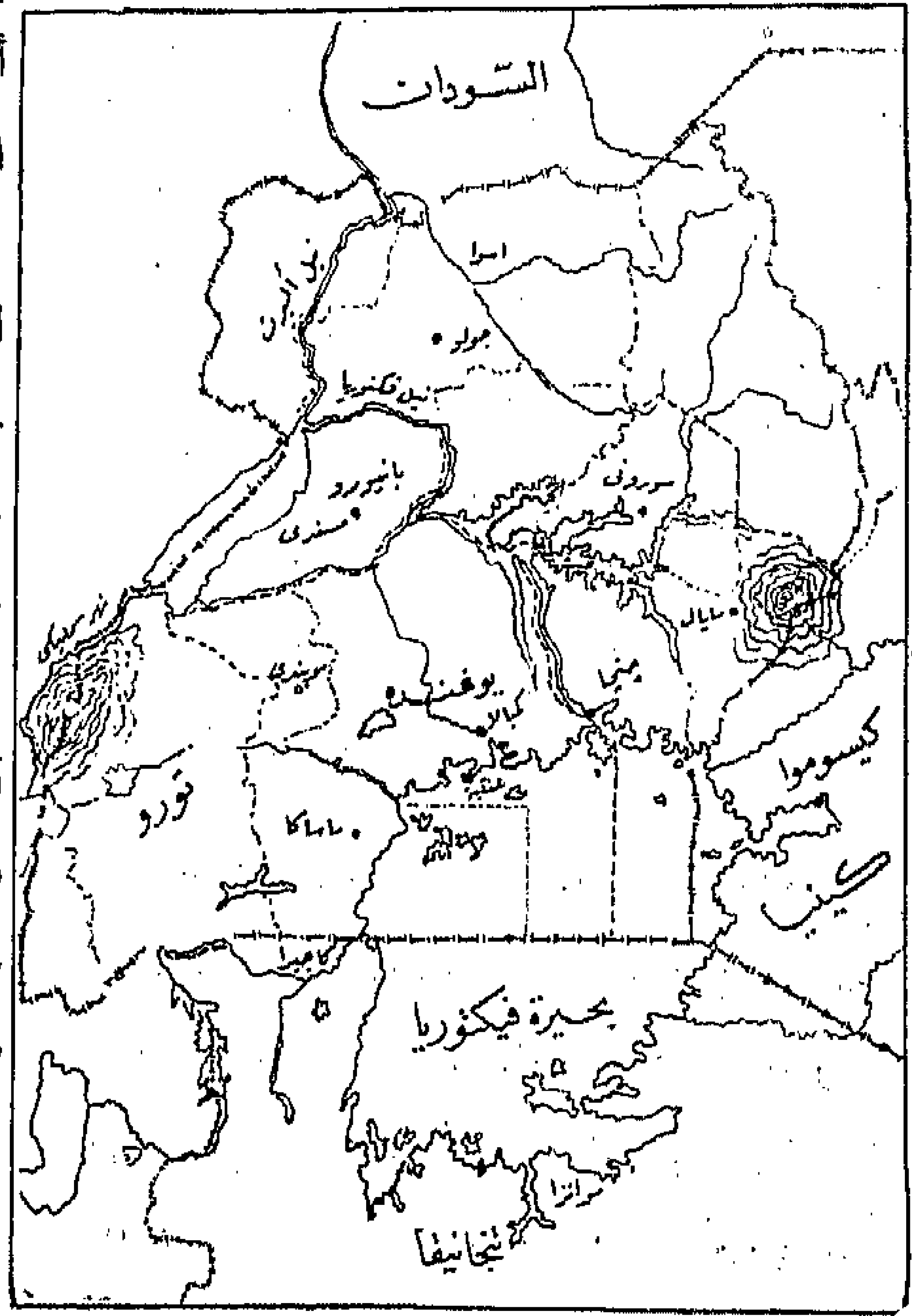
عن منابعه ، وجدير بمثل ذلك الأمر أن يشغل مصر وفكرها • وازداد توغل المغامرين والمكتشفين فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر وجاؤا الى هضبة البحيرات ومنابع النيل من ناحية الشرق ، واتخذوا من ساحل كينيا • وتنجانيقا نقطة لبداية محاولاتهم ، واشتركت مصر كما اشتركت بريطانيا فى تمويل حركة الكشوف ومساندتها لكشف النقاب عن هضبة البحيرات •

ويبدو أن مصر كانت تحدوها الرغبة الملحة فى كشف منابع النيل لا لمجرد العلم والمعرفة ، بل لوقف التيارات الاستعمارية التى تتصارع فى قلب افريقية ، وابعاد أثرها عن هضبة البحيرات ، حتى لا يؤثر ذلك على سيادة مصر من بعيد أو قريب • ومعنى ذلك أن سياسة مصر اتجهت الى تفويت الفرصة على الأوروبيين ، والاحتفاظ بحوض النيل بعيدا عن الاستعمار • وليس مجال البحث أن نستعرض الحكم المصرى لتلك المناطق ، انما الجدير بالذكر أن نقرر أن تلك الأراضى كانت مصرية التبعية ، وتدخل أجزاؤها الشمالية ضمن مديرية خط الاستواء • ولكن الظروف ومجريات الأمور فى السنوات الأخيرة من القرن التاسع عشر غيرت الأوضاع • ومكنت بريطانيا من أن تضيف أوغنده الى قائمة البلاد المنضوية تحت حكمها •

وتبدأ تلك الظروف منذ وضعت بريطانيا أقدامها المحتلة على أرض مصر فى عام ١٨٨٢ ، واندلاع الثورة المهدية فى السودان ، الأمر الذى مهد لانجلترا أن تضغط على مصر وتجبرها على اخلاء السودان • وسياسة الاخلاء تشكك فى نوايا البريطانيين ، ذلك أنه كان يعنى قطع الصلة بين مصر ومديرية خط الاستواء ، وحدوث ذلك الفراغ الكبير الذى شمل الجزء الأكبر من حوض النيل الاوسط • وأصبح مفهوما أن اخلاء السودان كان الخطوة الأولى التى رسمت لتخلى مصر عن تبعاتها فى هضبة البحيرات • وقد حقق التيار البريطانى المتغلب فى مصر هذه الخطوة ، ووضعت سياسة التخلى عن هضبة البحيرات ، وابعاد النفوذ المصرى ، والحكم المصرى من قلب افريقية • وازداد الفراغ فى حوض النيل اتساعا وكانت الخطوة التالية هى الصراع بين التيارات الاستعمارية والتكالب على ملء هذا الفراغ •

وكان طبيعيا أن تتجه بريطانيا الى شغل هذا الفراغ ، لمجابهة التيارات الاستعمارية الفرنسية التى كانت تهدف الى امتداد النفوذ الفرنسى حتى تصبح المستعمرات الفرنسية تمتد فى نطاق مستمر من البحر الأحمر شرقا الى المحيط الاطلنطى غربا • وساند السياسة البريطانية نمو التعصب الامبريالى ، والاستعداد للصرف على الحملات الاستعمارية ، وظهور فكرة خط سكة حديد الكاب ـ القاهرة على يد سسل رودز . ولما كانت انجلترا مجدة فى تنفيذ مشروعاتها الاستعمارية وقطع الطريق على التيارات الاستعمارية الأخرى ، فقد سارت سياستها على يد المغامرين من أبنائها وضمت روديسيا الشمالية غير عابئة بخليفتها

التقليدية البرتغال التى كانت صاحبة مصـــالح ضـــخمة فى ذلك الاقليم ووصــلت الحـــدود للمستعمرات البريطانية الى جنوب تنجانيقا • وقامت المشكلة المتعلقة بايجـاد الممر الذى يمكن أن يسلكه خط حديد الكاب ـ القاهرة ، دون أن يمر بتنجانيقا • وكان لابد من تحاشى تنجانيقا التى تقع تحت النفوذ الألمــانى ، وحل المشكلة بطريقـــة أو أخرى • وسار الحل فى خطوات مرسومة كان أولها استرداد السودان ، وايقاع أوغنده تحت السيطرة البريطانية •



بوغنـدا

وترتبط قصة وقوع أوغنده فى قبضة بريطانيا ، بتطور الحـــدود ، ذلك أن الحـــدود فى المنـــاطق التى تسكنها الجماعات البدائية لا تعرف بالمعنى المفهوم والمتعـــارف عليه بين الشعوب المتمدينة . وحدودأوغنده يمكن أن نصفها بالحداثة فلم تكن تعرفها تلك المناطق الا مع الاستعمار الأوروبى وسبق وقوع أوغنـــده فى قبضـــة بريطانيا وقوعها تحت اشراف شركة تجارية بريطانيـــة ، أسست لتمهيد الطريق • وشاهدت فى عام ١٨٩٢ صراعا قام على أسس دينية بين الروم والكاثوليك والبروتستانت والمسلمين ، وتعرضت مشروعات «لوجارد» للخطر ، واضطر الى استخدام القوة واستعان بالجنود الســودانيين من بقايا رجال أمين باشا • وقرر « لوجارد » عجز الشركة عن مجابهة الظروف فتلقفت الحكومة البريطانية المشروع وتحقق لها ما أرادت فوضعت يدها على نقط حيوية فى هضبة البحيرات • وتمكن «سير بورتال» من عقد اتفاق مع الكاباكا (ملك الباجنـــده) تعهد فيه الأخير بعدم عقد معاهدات أو اتفاقيات مع أية حكومة أوروبيـــة أخرى • وكان ذلك مقدمة لاعلان الحماية البريطانية على اقليم الباجنـــدة فى ١٨ يونيو سنة ١٨٩٤ • واتخذ كل من الانجليز والبلجيك خط ٣٠° شرقا أساســـيا للفصل بين نفوذ الدولتين • وأصبحت باجنـــده نقطـــة الارتكاز للنفـــوذ البريطانى واتخذوها قاعدة لتوسيع ممتلكاتهم والوصول بأوغنـــده الى حدودها الحالية •

ويرتبط تطور الحـــدود لمحمية أوغنده بمراحل وخطوات نشير اليها فيما يلى : ـ

اولا : كان شعب الباجندة يتطلع الى أراضى البانيورو وكانت كل أمنيتهم أن يمتـــد نفوذهم الى تلك الأراضى ويفرضوا عليها سيطرتهم • وقد تبنت بريطانيا تلك الأمنية ، ولكنها فى الوقت نفسه كانت تخشى أن يؤثر ذلك على سياستها العامة • ومع ذلك نرى «الكولنيل كولڤيل» يقوم بحملة على أرض البانيورو ، ويكسر شوكتهم ، ويوقع بهم الهزيمة ، ثم تعـــاود الحكومة البريطانية ، فتأمر بالانسحاب بعد اقتطاع مساحات محدودة من أراضى البانيورو • والظاهر أن سياســـة بريطانيـــا كانت تتركز فى الحيلولة دون تسرب النفـــوذ البلجيكى الى البانيورو ، أما السيطرة الكاملة على أراضيهم فقد تركت لمرحلة قادمة ، وأصبحت حدود المحمية سنة ١٨٩٦ أى بعد سنتين من اعلان الحماية ، تضم أراضى الباجنـــده والباسوجا وبعض أطراف من أراضى البانيورو • وتحققت لبريطانيا الفرصـــة المواتية لابتلاع أراضى البانيورو فى ١٨٩٧ • ذلك أن كلا من ملك البانيورو والكاباكا المخلوع موانجا حاولا استغلال فرصة قيـام ثورة بين السودانيين المرتزقة الذى كانوا يعملون فى صـــفوف البريطانيين فى المحمية • أما عن تلك الثورة فنذكر أنهـــا ترجع الى عوامل متعددة منها ضعف وتراخ فى القيادة وما كان من أمر اجهاد السودانيين فى العمل وترك زوجاتهم مدة طويلة ، ثم أخيرا محاولتهم نشر الدين الاسلامى ومقاومة الكنيسة من جانب ورجال الدين الوثنيين من جانب آخر — ونعود فنذكر ان الكاباكا المخلوع « موانجا » استغل الفرصـــة وضغط بقواته من الجنوب على حدود المحمية الجنوبية وكان يســـتخدم أراضى « انكولى » مسرحا لعملياته الحربية ضد المحمية على حين أن ملك البانيورو هاجمها من الشمال ، وهنا كان من الضرورى أن يجابه البريطانيون الموقف بالحزم ، فاســـتعانوا بقوات هنـــدية ، ومن الباجنـــده ، وتمكنوا من هزيمـــة السودانيين الثائرين ، والقبض على ملك البانيورو وموانجـا الـــكاباكا المخلوع • ويعنى ذلك أن توســـعا شمل المحمية ترتب عليه أن أصبحت تضم أراضى الباجنـــده والباسوجا والبانيورو •

ثانيا : وقد مهد لهذه المرحلة التى عدلت حدود أوغنده من ناحية الشمال بدء الاســـتعداد لاسترداد السودان فى مصر ، ذلك أن « كولنيـــل مارتر Martyr » ضـــغط من الجنوب ، وزحف وحاصر الدراويش وهزمهم ، بعد أن أضعف روحهم المعنوية ما تسرب اليهم من أخبـــار عن بدء الغزو من الشمال ، وسقوط الخرطوم • وقد وصلت هـــذه المرحلة بحدود محمية أوغنده شمالا الى « غندكرو » وبذلك دخلت فيها أراضى « الأتشولى » وغيرهم

من قبائل « النيلوحامين » • وكان ذلك أقصى اتساع لمحمية أوغنده قبل أن يطوى الزمن العام الأخير من القرن التاسع عشر • وشعرت بريطانيا بعد استقرار الأمر لهـا في السـودان وأوغنده ، وسيطرتها على معظم حوض النيل من منبعه الى مصبه ، شعرت برغبة ملحة فى التنظيم الذى يؤدى الى اسـتقرار نفوذها واستعمارها • وترتب على شعور بريطانيا بتلك الرغبة الاتجاه الى تعيين « سير هـارى جونستون » لادارة المحمية فى عام ١٨٩٩ •

ثالثا : وقيام تلك المرحلة لايمنع من تعديلات كانت تطرأ على الحدود من حين لآخر ، اذ الواقع أن الخمس عشرة سنة التالية كانت من أهم السنوات فيما يتعلق بتطور الحدود وزيادة رقعة الأراضى التى تدخل ضمن المحمية • واستهل « سـير هارى جونستون » القرن العشرين بادخال اقليم « تورو Toro » ضمن حدود محمية أوغنده ، وظلت الحدود بين النفوذ البريطانى والبرتغال تسير مع خط ٣٠ه شرقا المتفق عليه سنة ١٨٩٤ ، وأضيفت أنكولى أيضا فى سنة ١٩٠١ الى أوغنده • وكانت الاتفاقيـة المعقودة بين شركة «لوجارد» وألمانيا فى تنجانيقا قد حددت خط عرض ١ جنوبا فاصلا بين النفوذ البريطانى والألمانى ، وحدث فى عام ١٩٠٢ أول اقتطاع من أراضى المحمية من ذلك اقليم نفاشا الذى ضم اليها وكان جزءا من افريقية الشرقية نقلت ادارته فى تلك السنة والأجزاء الواقعة شرق خليج كافرندو وفكتوريا الى ادارة كينيا •

وحدث فيما بـين سنتى ١٩٠٤ ـ ١٩٠٩ توسع أدى الى ضم منـاطق جديدة فى الشمال والشرق ، ذلك أنه تمكن من ضم اقليمى بوجبشـو وبجويرى سنة ١٩٠٤ كما ضم اقليم تيزو فى عام ١٩٠٩ • وعلى الرغم من دخول تيزو فى حـدود المحمية فان محـاولات السـكاباكا كانجـورو ، بتكليف من «هارى جونستون» لم تفلح فى ادخال الادارة البريطانية المدنية الى هذه المقاطعة الا فى سنة ١٩١٤ • وتم فى أوائل ١٩١٠ توسع فى الحدود على أسـاس ضم أجزاء من مقاطعة كيجيزى ، أما التوسع الواضح فكان فى تجاه « بحيرة رودولف » ومقاطعة « كاموجا » علما بأن الحكم فى هـذه الأجزاء لم يستقر الا سنة ١٩١٤ ، ويبـدو أن هـذا التوسع فى تجاه رودولف كان لوقف تقدم الصومال الى هذه المنطقة أو تسرب الصوماليين اليها • أما من ناحيـة الجنوب فقد سوت اتفاقيـة عقدت بين ألمانيـا والبلجيك والانجليز مشكلة الحدود ، وضمت أجزاء جديدة من كيجيزى الى حدود أوغنده ، كما حدث تبادل فى الشمال بين بلجيكا وانجلتره ، فأخذت بريطانيا المنطقة التى تشغلها مقاطعة غرب النيل فيما بين حدود السودان

وبحيرة البرت فى غرب نيل البرت ، وذلك نظير ضم الأراضى الواقعة على الضفة الغربيةلألبرت ونهر سمليكى. وجدير بالذكر هنا أن مقاطعة غرب النيل فى غرب نيـل البرت ضمت الى السودان أولا ثم تبادلها السودان وأوغنده فيما بينهما سنة ١٩١٤ ، فأعطيت تلك الأراضى لأوغنده نظير ضم الأراضى الواقعة فيما بين غندكرو ونيمولى شرق النيل للسودان • ويعنى ذلك أن الحدودالشمالية بين السودان ومحمية أوغنـــده وصلت الى وضعها الحالى فى هذه السنة ولم يطرأ عليها تغيير يذكر حتى الوقت الحاضر •

وكان أهم تعديل طرأ على حدود أوغنده بعد الحرب العالمية الأولى فى عام ١٩٢٦ حيث اقتطع اقليم التوركانا ووضع ضمن ادارة كينيا ، وبذلك فقـــدت أوغنده مديرية رودلف فيما عـــدا مركز كاروموچا • واستعراض الحدود فى صورتها التى وصلت اليها بعدسنوات طويلة يبرز أن تلك الحدود فى تخطيطها لا تستند الى عامل واحد فهى تستند أحيانا الى العامل الملكى فتسير حدودها مع تنجانيقا مع خط عرض ١ جنوبا ، ولم يراع البحث عن حد طبيعى • وتعتمد الحدود فى بعض الأحيان على عوامل أخرى لا علاقة لها بالعوامل الطبيعية ، وكان من الممكن أن يترتب عليها خلق مشكلات خطيرة على الحدود ، لو أن كلا من تنجانيقا وكينيـا وأوغنـــده تخضع للسيطرة البريطانيـــة فى صورها المختلفة • والمشكلة الجديرة بالذكر والتى شغلت بريطانيـــا بعض الوقت هى مشكلة « رواندا أورندى Ruanda - Urandi » والتى تجسمت فى أعقـــاب الحرب العالميـــة الأولى • ذلك أن بريطانيا طالبت باقليم رواندا أورندى وأجيبت الى طلبها ، ولكن اتفاقا ثنائيا نظم تنازلها عن شريط ضيق منها ، لتسيير خط حـــديد الكاب القاهرة • أما تنجانيقا التى أخذت من ألمانيا ، فقد وضعت تحت الانتداب البريطانى • وأثار ذلك مشـــكلة ذلك أن بلجيكا عادت فطالبت بالشريط التى تنازلت عنـــه لانجلترا حرصـــا على مصلحة السكان (كذا) وتقدمت بلجيكا فى عام ١٩٢٢ بطلب لمجلس الانتـــداب بعصبة الأمم لتوحيد الاقليم ، حتى لا تضار مصالح السكان ، وأجيبت الى طلبها • وبذلك وضعت نهاية هـــذه المشكلة ختـــام تطور حدود محمية أوغنده التى ما زالت تئن تحت سيطرة النفوذ البريطانى • ويمكن أن نتصور على ضوء حوادث العنف فى جنوب السودان والتى حـــدثت فى الشهور القليلة الســـابقة للاستقلال أن ثمة تعديلات لابد أن تطرأ على الحـــدود الشمالية لأوغنده مع السودان لوضع حد للمشكلات التى يمكن أن تتجدد من وقت لآخر •• ونحن نفضل هنا اختيار العامل البشرى ليكون أساسا لرسم الحدود الجديدة •

كشف مجاهل افريقية

القــارة المظلمة

بقلم الآنسة سميرة محمود حسن

(١)

تعــارف الأوروبيون على تسمية القارة الافريقية بالقارة المظلمة ، وقد يبدو هذا صحيحا بالنسبة لهؤلاء ، غير أن هذا التعريف لا يمثل الواقع بالنسبة لسكان حوض وادى النيل ، فقد نشأت فى هذا الوادى الحضارة المصرية القديمة التى أخـذت تشق طريقها نحو قلب القارة الافريقية عبر المجارى المائيـة · مجرى نهر النيل وروافده، والكونغو، والنيجرومنطقتى تشاد وهضبة البحيرات ، وبالاضافة الى ذلك فان الأسطولالمصرى التجارى قد خـرج من البحر الاحمر الى شرق افريقية ، وسجل لنا التاريخ وصول هـذا الأسطول بصورة قاطعة حتى أقاصى أرض بنت جنـوبا ، والتى شملت موزنبيق ، واسم بنت «Punt» هذا يشمل منطقة واسعة من الأراضى المطلة على المحيط الهندى من جنوب الجزيرة العربيـة والخليج الفارسى ومدخل بوغاز باب المنـدب وشرقى أفريقية حتى ظفـار جنوبا (سفالة فى موزمبيق) وقد كانت تلك الرحلات عملا تجاريا عاديا قام به الأسـطول المصرى فى تلك الميـاه خلال عهود الأسرات الفرعونية ، كما قام هـذا الأسـطول بعمل تاريخى مماثل فى حوض البحر المتوسـط وبخاصـة فى النيف وألف عام من نهاية العصر التـاريخى عنـدما ظهـر الاغريق والفينيقيون وأقاموا محطات تجارية على الشاطىء الافريقى للبحر المتوسط فى قرطاجنة وتونس ، وسجل لنا التـاريخ أول محاولة للـكشف عن شواطىء أفريقيةوالتعرف على مجاهلها وذلك فى المحاولة التى أرسلها فرعون مصر نخاو «Necho» حوالى سنة ٦٠٠ ق٠م والتى نقل أخبارها هيرودوت ، فقد خرجت هذ الحملة فى الأسطول المصرى من ميـاه البحر الأحمر ، وسارت حول القارة الافريقية ، وعادت الى الميـاه المصرية عن طريق بوغاز هرقل (جبل طارق) وجاءت بعـد هذه الرحلة محاولات الفينيقيين التى وصلتحوالى سنة ٥٢٠ ق٠م الىأقصى جنـوب ليبيريا ، كما حاول الاغريق غزو الصحراء الكبرى للـكشف عن مجاهلها ، وذلك حوالى سنة ١٩ ق٠م

هذا ما كان من محاولات للكشف عن طريق الميـاه المفتوحة أو بحار الظلمات ، أما فيما يختص بالرحلات عن طريق استخدام مجرى النيل ،

فليس من اليسير تحديد هذا النشاط الكشفى عبر هذا المجرى ، فقد كان هـــذا الوادى الطريق المائى الرئيسى الذى كان يستخدم فى النقل منذ أقدم العصور ، أى منذ هبط الانسان فى حوض النيل الأدنى ، وبالاضافة الى اســـتخدام السفن المائيـــة بصورة أو أخرى فان الدواب قد استخدمت أيضـــا على جانبى الوادى للتوغل فى المناطق الداخليـــة ، ولعبور المناطق التى اعترضتها الجنــادل التى جعلت استمرار الملاحة أمرا عسيرا ، وقد أسهمت هذه الرحلات التى أرسلتها مصر عن طريق النيل بالمعلومات الكثيرة عن مناطق النيل الأوسط ، مما ساعد على التوغل التدريجى نحـو الجنوب الاعلى ، وأخـذت الحضـــارة المصرية تشق طريقها نحو قلب أفريقيـــة فى ركاب هذه الحملات ، وذكر «بلينى «Pliny» أمر البعثة التى أرسلها «نيرو Nero» للكشف عن منابع النيل غير أن هذه المحاولة لم تسفر عن نتائج حاسمة ، ومرجع ذلك الى الصـــعوبات التى اعترضت البعثـــة لوجود الســـدود (النباتات المائية العائمة التى تعترض المجرى ، فتمنع الملاحة بتاتا) ويعتقد أن هذه البعثة قد وصلت حتى ملتقى السوباط بالنيل الرئيسى ، غيرأن هذه المحاولة فى نطاقهـــا الضيق قد أفادت المعرفة بما أضافته من معلومات عن تلك المناطق ، وذكر بلينى هذا لأول مرة « النيجر – الذى أسماه نيجر «Nigir» أو نيجرز « Nigris » .

وكتب بطليموس الاســـكندرى فى منتصف القرن الثانى الميلادى كتابه الجغرافى الذى جمع مادته مما كتبه أسلافه ، وقد نقل عنهم وبخاصة عن مارسيوس السورى (أصله من صور القديمة) ويعتقـــد أن بطليموس قد زار جزءا من حوض النيل وساحل البحرين الاحمر والمتوســـط ، وان ما ذكره عن منابع النيل وشـــاطىء أفريقيـــة الشرقى ، وعن الصحراء الكبرى يقدم لنـــا أدق الأخبار التى تقرب كثيرا من الحقيقة أكثر من أى رحالة آخر قبل العهـــد الاسلامى ، فقد توقفت حركة النشاط الكشفى بسبب الانحـــلال الذى أصـــاب الامبراطورية الرومانيـــة ، واســـتعاد هذا النشاط حيويته بظهور الاسلام ، وامتداد رسالته الى مصر وأفريقية فى القرن السابع الميلادى ، فبعد فتح مصر خرج المسلمون الى شمال افريقية التى تم الاستيلاء عليها فى السنوات الأولى من القرن الثـــامن الميلادى ، واتجه المسلمون جنوب القـــارة الأوروبية ، وأقاموا حضارة اسلامية ، وامتد فى الوقت نفســـه اتصالهم بالمناطق عبر الصحراء ، فانتعشت التجـــارة ، وحـــدثت فى حوض البحر المتوسط خلافات وحروب ، وجاءت هجـــرات من جنوب الجزيرة العربية الى شرق

أفريقية والحروب الصليبية ، والمنازعات الطائفية فى شمال افريقيـــة وغرب أوروبا ، وانتقل الصراع بين المسلمين والأوروبيين الى الشـــاطىء الافريقى للبحر المتوسط فى القرن الخامس عشر الميلادى ، واشتد فى القرن السادس عشر ، فاحتل البرتغاليون ميناء سبتة فى مراكش ــ على الشــاطىء الغربى لافريقية ، والتى تطل على جبل طارق وأخذ البرتغـــال فى الاستعداد لفتح طريق جنوبى آســـيا ، عن طريق شاطىء أفريقيــة الغربى بعيدا عن البحر المتوسط حيث أغلق العثمانيون موانيه ، وكان من نتائج هذه المحاولات البرتغاليـــة للملاحة حول أفريقية اكتشاف نهر الكنغو فى ١٤٨٥ م . ووصول فاســكو دا جاما الى رأس الرجاء الصالح فى نهاية القرن الخامس عشر واحتـــلال ظلفـــار (سفالة فى موزمبيق) فى أوائل القرن السادس عشر ، وكان ذلك بداية صراع جديد فى مياه المحيط الهنــدى ، وبجانب الرحلات الملاحية أرسل البرتغاليون بعثات عبر الصحراء الكبرى كانت أولاها التى قام بهـــا جـــوا فرناندز Joaô Fernandez الذى دخل الصحراء من ميناء ريو دى أورو «Rio d' Ouro» وذلك فى عام ١٤٤٥ م وجاء بعده فى عام ١٤٨٧ م « بترو ديقورا » وزميله « كونزالقيز اينس » اللذان خــرجا من شـــاطىء البحــر الى تمبكتو ، واستمر النشاط البرتغالى والاسبانى والهولنــدى والبريطــانى والفرنسى والبلجيكى فى الــكشف عن مجاهل القارة الافريقية ، وفى القرن التاسع عشر اتخذ هــذا النشاط مظهرا من مظاهر الصراع للسيطرة على المناطق الافريقية واستغلالها ، وللاتجار فى الرقيق ، وسنبين نشــاط كل دولة فى الأعداد القادمة من المجلة .

اســـتغلال :

يســـتخرج الأوروبيون فى جنوب أفريقية من التربة الافريقيـــة ما تقدر قيمته بعدة مئات من ملايين الدولارات فى كل سنة ولا يدفع أصحاب مناجم الذهب أجرا للعامل الا ما يتراوح بين ١٣ ، ١٦ قرشــا للعامل الأجير فأساس بقاء الأوروبيين فيها يقوم فى حقيقة الأمر على الاستغلال والاستفادة من رخص الأيدى العاملة ..

الوعي القومي في الصومال

بقلم السيد عثمان عمر حاج محمد الصومالي

لعل كلمة الوعي لم توجد في قاموس الاستعمار الغربي وفلسفته التي تدين بشريعة الغاب وأفكاره الهدامة ، فقد أحلوا مكانها كلمات العبودية والاستغلال والاضطهاد الامبريالية من أجل الاحتفاظ بسيطرتهم على الشعوب المغلوبة على أمرها ، بحيث أنهم أنفسهم تجاهلوا أن الأمة التي تسيطر وتضطهد أمة لا يمكن أن تكون أمة حرة ، أو بمعنى آخر ان أمم أوربا الغربية لايمكن أن تكون حرة طالما كانت حكوماتها تضطهد وتستعمر وتستغل حقوق الملايين من البشر ، واني أشمئز للذين يتجاهلون وثيقة حقوق الانسان التي تؤكد تأكيدا قاطعا مبدأ المساواة والحرية بين جميع البشر لا فرق بين بيض وملونين .

ومن أجل هذا استيقظ المارد الصومالي ، وعرف أن الحياة كفاح ، وكل كائن حي يجب أن يكافح لأجل حريته وشرفه وانسانيته المسلوبة .

من أجل هذا انبثق وعي الصومال من أعماق افريقية في قوة جديدة تقف جنبا الى جنب مع قوة الحرية والخير والسلم والمستقبل في افريقية وآسيا ، لتحمل الى العالم رسالة مقدسة هي بناء حضارة جديدة وفلسفة انسانية .

كان ذلك في القرن التاسع عشر ، حينما اكتشفت البطون المتخمة من أثرياء لندن وباريس وروما في افريقية موارد جديدة للاثراء والاستغلال ، فتسابق القراصنة واللصوص من المستعمرين في موج كالجبال نحو أرض افريقية الطاهرة يدنسونها بجشعهم ووحشيتهم ، وهبط اللصوص المتنافسون الى الصومال أرضنا الطاهرة فمزقوها أشلاء متنافرة واحدة .. تحت ايطاليا .. الفاشية .. وأخرى تحت فرنسا . الخرقاء .. وثالثة تحت انجلترا .. العجوز .. في الوقت الذي كانوا يتصارعون على الأجزاء الباقية من افريقية المظلومة ، وفي مثل انصباب الرعد ، وزلزلة الأرض جثموا على صدر قوميتنا الصومالية كابوسا مروعا يهلكون الحرث والنسل ، ويهتكون تاريخنا وثقافتنا واقتصادنا الموحد ، ويعرقلون نمونا القومي الطبيعي .. ولكن من خلال محاولة الكبت .. واستفزاز الدماء ، واحتكار الصومال سوقا للأجنبي ، ومن خلال العبث بالموارد الأولية التي يملكها شعبنا العظيم ، وجعلها بسعر التراب ، ومن خلال الدموع والدماء ، والمآسي والمخازي التي تجرعها شعبنا الصومالي الباسل انبثق الوعي النضالي حارا دافقا تلهبه الدماء المراقة على

مذبح الاستغلال، ويلهم قادتها الأحرار العمل على تحقيق المثل والقيم الانسانية المضيئة من حرية واستقلال ، وعدالة اجتماعية .

كان ذلك فى عام ١٩٤٣ م وعند ما زكم دخان الحرب العالمية الثانية الأنوف ، ثار الشعب الصومالى فيمن ثار من شعوب العالم كراهية للمشاعر السوداء والعفونة من الاستعمار والامبريالية والظلم ، وأسباب الحرب والدمار ..

فى ذلك العام ولدت فى شعبنا قيادة وطنية هادئة .. كرد فعل لحزن الشعوب على الحرب الصاخبة الهادرة .

ولأنه فى عام ١٩٤٥ الى ١٩٤٧ م قامت معارك التحرير فى كل بقاع العالم فى مصر والهند واندونيسيا . ثم نالت السودان ، ومراكش ، وتونس ، وطنجه ، وليبيا ، وارتيريا ، حريتها وأصبحت ساحل الذهب وتوجولاند بلادا مستقلة .

ومن أجل هذا تكاتف شعبنا بكل فئاته وهيئاته وطبقاته حول قيادة حزب الوحدة على برنامج وطنى ، هو:

١ ـ الاستقلال الوطنى ، وطرد الاستعمار من جميع أنحاء الصومال .

٢ ـ الوحدة الصومالية ، وتكوين دولة واحدة من كل أجزاء الصومال الخمسة تحت علم واحد .

٣ ـ محاربة القبلية والطائفية وكل الأفكار المعادية للتقدم والتطور .

٤ ـ جعل دين الدولة الرسمى الاسلام .

ومن أجل هذا احتدم النضال وخرج الحزب من انتصار ليحقق انتصارا جديدا بقيادة الزعيمين الصوماليين ، وهما السيد عبد الله عيسى رئيس وزراء الصومال الحالى ، والسيد حاج محمد حسين رئيس الوحدة والحزب الحاكم حاليا .

وكان أكبر انتصار حققه الحزب بفضل قيادتهما الفائقة ، صد المؤامرات الاستعمارية ومقاومة الأحزاب التى كان يمولها الاستعمار آنئذاك من أجل حفظ مصالح الاستعمار وصيانته . وبعد هذا الكفاح قررت الأمم المتحدة وضع الصومال تحت الوصاية الدولية تمثلها ايطاليا من ١٩٥٠ـ١٩٦٠ م بوصفها معلمة .

ومن هنا أتساءل هل الوحدة ماضية فى طريقها النضالى الذى من أجله نال الشعب الصومالى جزءا من حريته ؟

واذا كانت الوحدة ماضية فى سبيلها ، فلماذا لم تقاوم عملاء الاستعمار،وأبناء الدولار والاسترلينى والمتعصبين باسم القبلية والطائفية ؟!

ومرة أخرى أقول لماذا لم تقاوم الحكومة الحزب الذى تموله وتحله ؟

لا جرم ان العالم يمر اليوم بأخطر مرحلة فى سلسلة تاريخ البشر فقد

انقســـم الى معسكرات وأحـــلاف ومبادىء متعددة مما أدى الى التسابق الدولى فى ميادين شتى ، وكل دولة تدعى لنفسها انها أقوى من الثانية ، وقد ظهر فى الميـــدان الدولى قوتان متنافستان وقوة ثالثة حيادية .

أولاهما : قوة تنادى وتؤمن بالسلام العالمى والتعايش الســلمى ومساعدة الشعوب المتخلفة لنيــل اســـتقلالها وحريتها بدون شرط ولا قيد ، وهى القوة التى يطلق عليهـــا فى قاموس السياسة الدولية معسكر الشــعوب الذى يمتد من برلــين الى بكين .. والذى ينتمى اليه ما يقرب من ثلث سكان العالم .

أما المعسكر الثانى : أى المعسكر الاستعمارى أو المعسكر الغربى الذى يلجأ الى الرذيلة والخســة والدناءة واستغلال الشعوب ، وكبت الحريات وحياكة المؤامرات ضـــد الشـــعوب والحكومات المتحررة . وتتزعم هـــذا المعسكر أمريكا زعيمـــة الاستعمار الأمبريالى ، وخالقة اليهود ورسولة حضارة الهمجية ، وعدوة الانسانية . .

أما الكتلة الثالثة : وهى تمثل الدول الحيادية .. مثل الجمهورية العربية المتحـدة والهند واندونيسيا ومبدؤها عدم الانحياز وعدم الانضمام الى أى حلف استعمارى كحلف بغـداد .. وحلف مانيلا .. وحلف الملـوك .. الذى يكون عملاء أمريكا فى افريقية وآسيا ، ويعمل لحساب أمريكا لكى تكون وسيلة الى غايتها وهى حياكة المؤامرات ضد الشعوب الظامئة الى الحرية والعدل والمساواة . وحلف البحـــر الأبيض المتوسط المقترح .. وحزام افريقيـــة .. وحلف الأطلنطى الذى أصبح قاعدة للهجوم ومصدرا للمؤامرات ضد الشعوب المكافحة المناضلة .

ومن هنا يتضح أنه لابد لنـــا من اتخـــاذ موقف وســـط بين الكتلتين المتنازعتين ، وليس هذا الموقف الوسط الا الوقوف بجانب الدول الحيـــادية الداعية الى السلم ، وعدم الانحياز .

ونظرا الى أن من وحـــدة الكفاح المشترك الذى يربط شعوب المستعمرات والشعوب المستقلة الحيادية ضـــد العدو المشترك تتساند كل الشـــعوب المحبة للحرية والمناضلة جنبا الى جنب مع نضال الجمهورية العربية المتحدة الفتية فى تحقيق استقلالها الاقتصادى والسياسى ، واسترجاع حقـــوقها المغتصبة ، ولا سيما بعـــد اكتشاف المؤامرات الرجعيـــة فى كلا الاقليمين الجنوبى والشمالى .

ومن أجـــل نضـــالنا وكفاحنا المشترك ، ومن أجل افريقية الثائرة ، يأمل الشعب الصـــومالى الواعى ان يلتف مع قيـــادة الدول الحيـــادية المتحررة التى تعمل لمصلحتنا ، وتقف معنا ضد المؤامرات

هذه هي زنجبار

بقلم الأستاذ محمد البيلي

ان الاستعمار البريطانى فى افريقية قد يبدو متناقضا ، لا يسير على سياسة مرسومة واحدة .. فهو فى غرب أفريقية يختلف تماما عنه فى وسط افريقية وعنه فى شرق افريقية ... يختلف فى الأسلوب والوسيلة .. ولكنه يندفع الى نفس الهدف والغاية ، وهو الاستغلال والسيطرة ..

وفى زنجبار اليوم حركة وطنية .. تهدف الى التحرر من الاستعمار البريطانى ، والى اعلان الوطن الزنجبارى دولة مستقلة لها كيانها السياسى والاقتصادى والثقافى والاجتماعى المستقل ..

ومن هنا بدأ الصراع بين السلطات البريطانية ، التى تتمثل فى موظفى وزارة المستعمرات البريطانية ، وبين شعب زنجبار الذى يتطلع الى الاستقلال الكامل .

وضع غريب :

والوضع العام فى زنجبار ، وضع غريب ، لقد استغل الانجليز هذا الوضع فى رسم سياستهم الاستعمارية فى هذه المنطقة ..

ان زنجبار تبعد عن ساحل افريقية الشرقى مسافة ٢٥ دقيقة بالطائرة .. أو أقل من ٢٣ ميلا ، جنوب خط العرض ٦ ، وشرق خط الطول ٣٩ .

وتتكون زنجبار من جزيرتين هما زنجبار وبمبا أو الجزيرة الخضراء .. وكذلك من شريط على ساحل كينيا يمتد ٥٢ ميلا طولا ، وعشرة أميال عرضا ، بما فى ذلك جزيرة ممباسا .. وقد أجر سلطان زنجبار عام ١٨٩٥ هذه المنطقة الى حكومة كينيا نظير ايجار اسمى قدره ١١ ألف جنيه . ويطالب الوطنيون اليوم بانهاء عقد الايجار ، وعودة الساحل الى الوطن الزنجبارى ..

وجزيرة زنجبار هى الجزيرة الثانية فى شرق افريقية فى المساحة بعد مدغشقر ، فمساحتها ٦٤ ميلا مربعا ، أما بمبا فانها تقع على بعد ٢٥ ميلا من زنجبار ، ومساحتها ٣٨٠ ميلا مربعا ..

وأكثر مناطق زنجبار ارتفاعا يرتفع عن سطح البحر ٣٩٠ قدما ..

السكان :

ونعود الى المشكلة الأساسية فى زنجبار ·· وهى مشكلة السكان :

* ان تعداد زنجبار يبلغ نحو مليون و٣٦٤ ألف نسمة ·

* منهم ٣٠٠ ألف من الأوروبيين معظمهم من الموظفين الانجليز ·

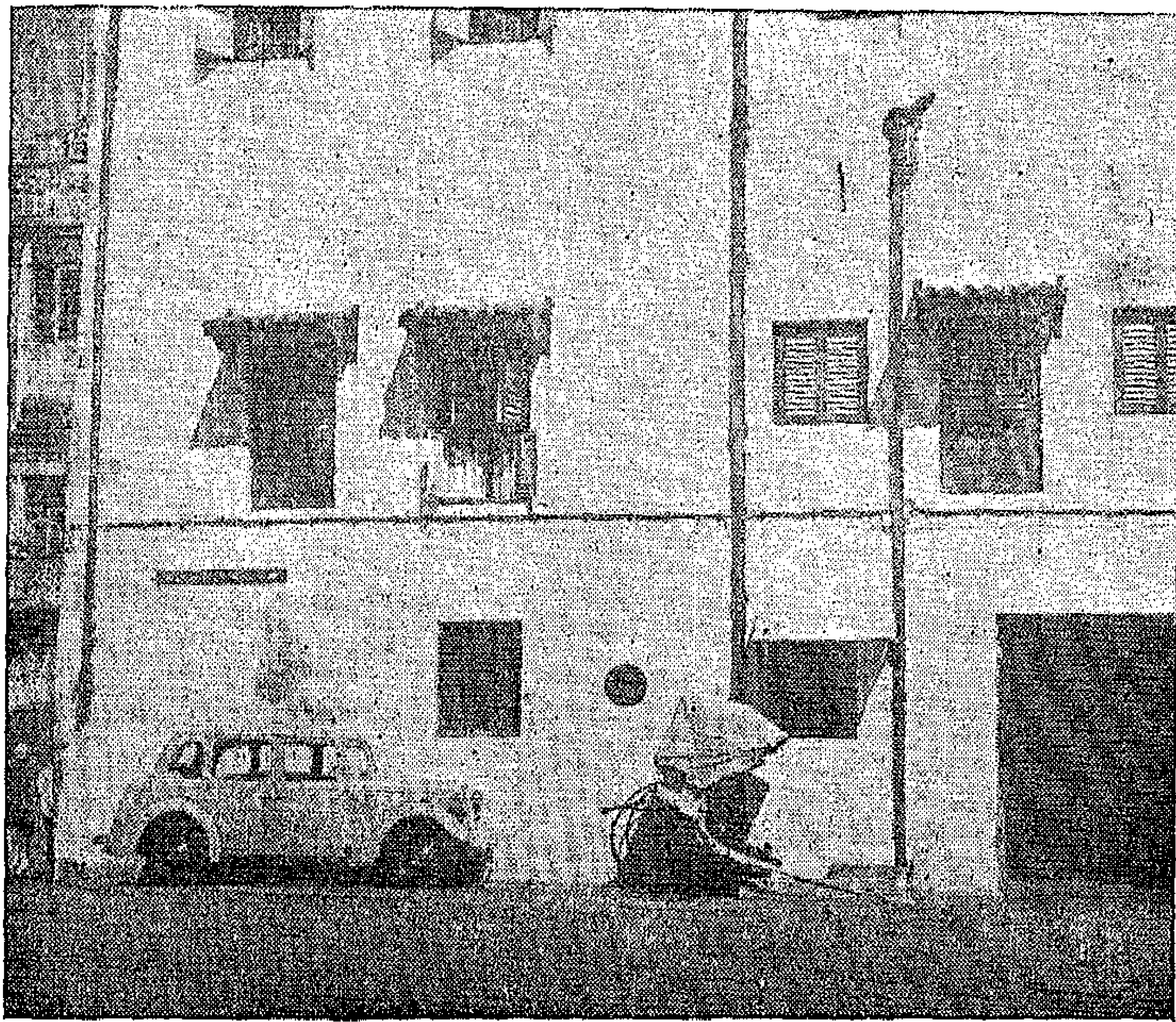
* و ١٥ ألفا من الهنود ·

* و ٤٥ ألفا من العرب

* و ٣٠٠ ألف من الافريقيين

* وهناك عناصر أخرى من الايرانيين وهم الشـــيرازيون ومواطنو جنوب الجزيرة العربية ، وعددهم نحو أربعة آلاف نسمة ··

ويتضح من ذلك أن العناصر التى تؤثر فى الاتجاهات السياسية العامة من عنصرى العرب والأفريقيين ··



سيارة وعجلة يسمونها ((الروكشو))

فرق تسد :

وبدأت بريطانيـــا تلعب لعبتهـــا الاستعمارية ··· على أساس مبدأ فرق تسد ، كانت فى بادىء الأمر تقف الى جانب العرب لأنهم أقلية ···

ولكن منذ اليوم الذى اشتدت فيه ثورة مصر ·· وأعلن الرئيس جمال عبد الناصر ميـلاد القومية العربية ، بدأت بريطانيا تقلل من تأييـــدها للعرب ·· وتتجه الى الأفريقيين ··

ثم بدأت تحارب المواطنين العرب ·· وتصـــدر التشريعات التى تحد من نشـــاطهم السياسى والاجتماعى ·· وبخاصـــة عندما فتح شعب زنجبار

الراديوذات يوم .. فاذا بهم يستمعون الى صوت مواطنة زنجبارية ، هى شريفه ناصر ، تذيع عليهم لأول مرة باللغة السواحلية .. وهى لغة الأغلبية الساحقة ... ويتكلمها العرب أيضا .. من محطة صوت العرب بالقاهرة ..

العرب ضد الافريقيين :

وهكذا برزت خطوط معركة بريطانيا السياسية فى سبيل الاحتفاظ بزنجبار وساحل كينيا .. معركة أساسها استغلال العناصر الافريقية المسلمة ضد العناصر العربية المسلمة .. ولقد بدأت خطوط هذه المعركة واضحة فى الانتخابات الأخيرة للمجلس التشريعى ، التى أجريت فى أواخر يوليو من العام الماضى ..

ففى هذه المعركة وقف الانجليز وراء المرشح الافريقى بكل امكانياتهم المالية والسياسية أمام المرشح العربى ... فاذا المرشح الافريقى يفوز بـ ٣٣٢٨ صوتا مقابل ٩١٨ صوتا ...

ولهذه الدائرة بالذات أهمية خاصة ..

فالمرشح العربى هو على بن محسن وله مكانة خاصة فى زنجبار .. وهو من المنادين باستقلال زنجبار ، والغاء عقد ايجار ساحل كينيا .

ولقد قابلت السيد على بن محسن .. فى منزله الأنيق .. فاذا به يحتفظ بصورة كبيرة للرئيس جمال عبدالناصر على الحائط .. وراح يحدثنى عن مبادىء حزبه فى ايمان وثقة .. وفضل مصر على الحركة القومية فى زنجبار

كما حدثنى على بن محسن عن كفاح شعب زنجبار من أجل استقلاله واقامة دولة ديموقراطية دستورية ، تنبع من ارادة الشعب .. وكيف استطاع الشعب عن طريق اتحاده أن يحصل على مطالبه من الانجليز .. المطلب بعد المطلب .. وكيف أن العرب قادوا المعركة الدستورية فى عام ١٩٥٥ ورفضوا الاشتراك فى المجلس التشريعى تحت ظل النظام الاستعمارى العنصرى وكيف اضطرت بريطانيا الى اقامة انتخابات عامة لنصف أعضاء المجلس ، وعلى استبعاد الانتخاب على أساس عنصرى وطائفى واعترفوا لشعب زنجبار بشخصيته الاعتبارية .

نعم .. قد يكون على بن محسن ـ أو مصطفى كامل زنجبار كما يطلق عليه شعب زنجبار ـ قد سقط فى أول انتخاب عام ، نتيجة لظروف خارجة عن ارادته وعن ارادة الشعب الذى يمثله ، ولكنه نجح فى اقامة شخصية المواطن الزنجبارى ، وحفظ للوطن وحدته وجمع بين عناصره المختلفة ..

وسقوط على بن محسن ليس له سوى وجه سياسى واحد .. وهو تحديد المعركة السياسية القادمة :

السياســـة التى سوف يقف فيهـــا الانجليز فى جانب وشعب زنجبار فى جانب آخر ..

وفى رأيى أن تكييف المعركة ، بهذا الشكل وبذلك الهدف ، سوف يدنى زنجبار من مرحلة الاستقلال .

تكتل العرب :

وقد بدأ الحزب الوطنى والعرب فى تكتيل ارادتهم ، وتنظيم صفوفهم . فكون الشـــباب العربى اتحادا ثقافيا تحت اسم اتحاد شباب العرب ومعظم أعضائه من الموظفين ..

كما كونوا جمعية عربية .. ومعهدا اسلاميا تتبعه عدة مدارس ، للثقافة العربيـــة ، وتعليم اللغـــة العربية ، والدين الاسلامى ..

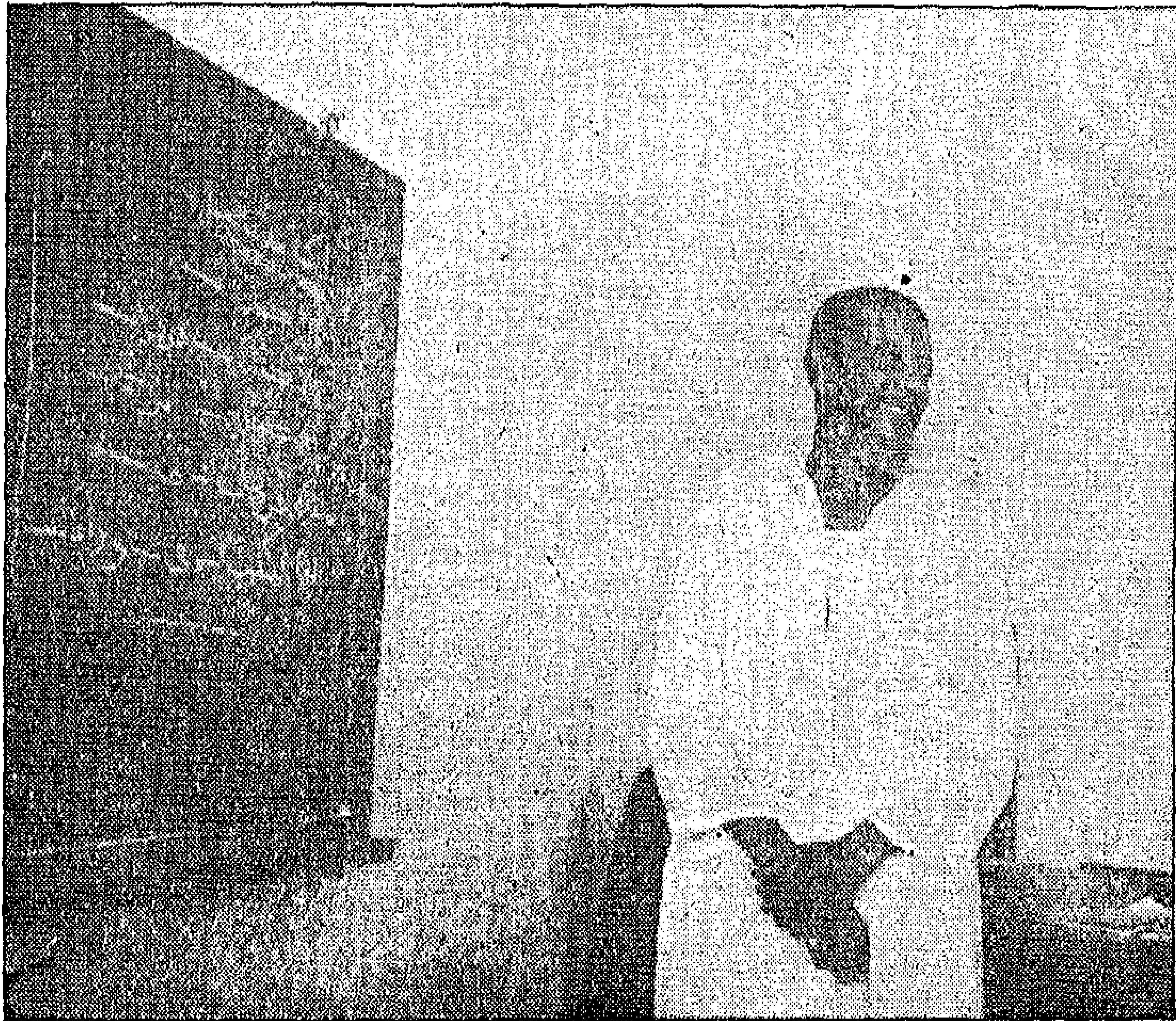
ولقد زرت روضـــة الأطفال .. وتحدثت الى رئيستها السيدة تماضر نامكى ، وهى ســـيدة مملوءة ايمانا بالثقافة العربيـــة ، ودورها فى انشاء جيل جديد مؤمن بالقومية العربية ..

وقد شكت الى السيدة تماضر من حالة المعاهد الثقافية وقالت لى :

ــ نحن محتاجون الى معلمين مثقفين ثقافة عربية خالصة .. نحن محتاجون الى أســـاتذة ومدرسين من مصر ومن الدول العربية ...

وبدت فى نبرتها رنة حزن عميقة وهى تقول لى :

ــ تصور أننا حتى نحن المدرسين لا نجيد اللغة العربية .. ! ؟



مدرس من زنجبار

المعهد الاسلامي :

وعندما زرت المعهد الاسلامي شاهدت نشـــاطا ثقافيـــا ضخما في حدود الامكانيات المحدودة لزنجبار ٠٠ أن الدراسة في المعهد خمس سنوات ، وتؤهل الطـــالب الى نهـــاية المرحلة الثـــانوية ٠٠٠ ثم يسافر بعد ذلك الطلبـــة غالبـــا الى مصر لاستكمال دراستهم العالية ٠٠

والمعهد تنفق عليـــه الحكومة ٠٠ ولا يتلقى أية اعانات خارجيـــة من الدول الاسلامية أو العربية ٠٠

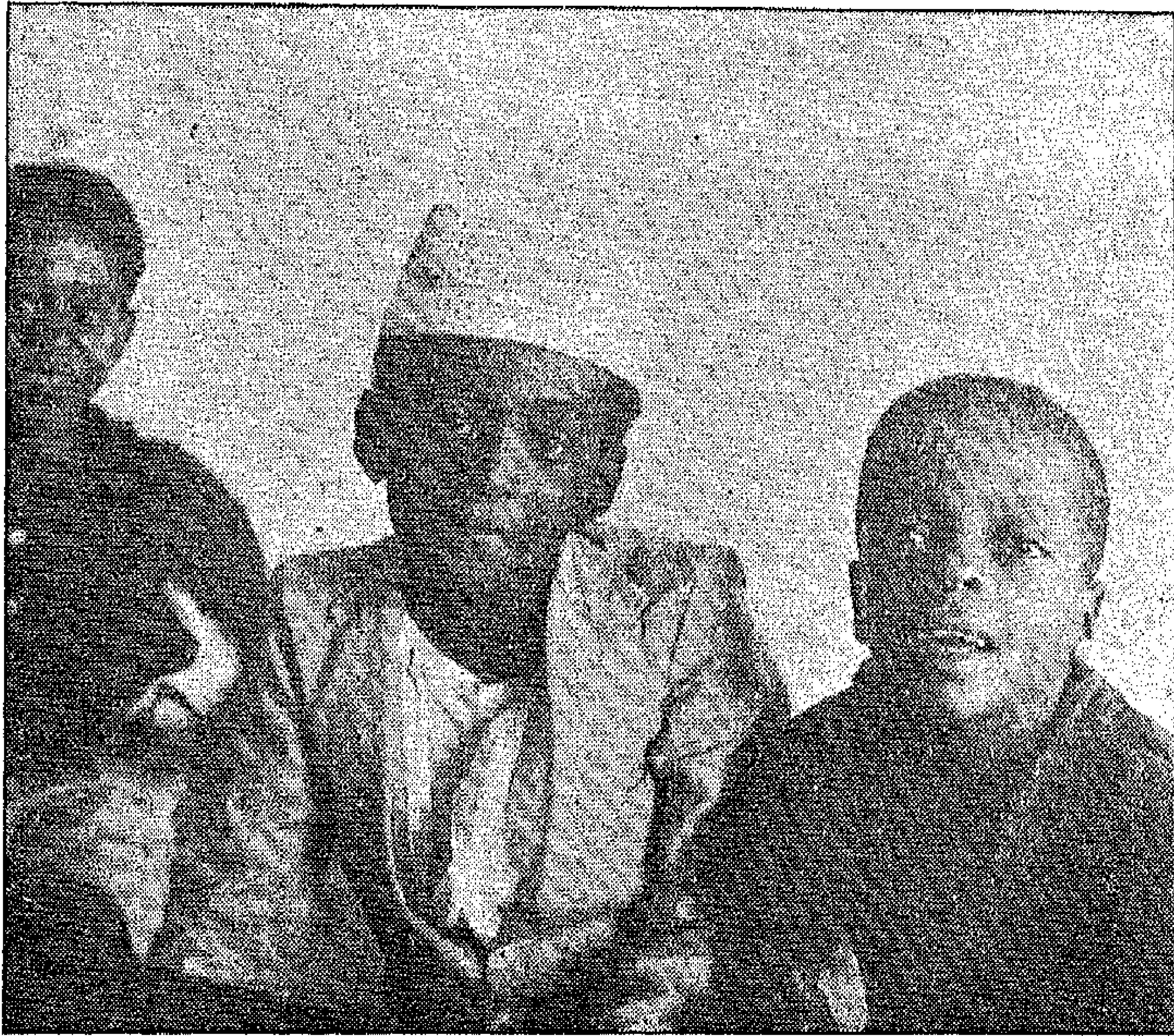
وقد قال لي مدير المعهد :

ـ ان الطلبة جميعا يحبون مصر ٠٠ وكلهم رغبة في السفر الى مصر ٠٠ ولكن امكانياتنا ضـــئيلة لارســـال البعوث ٠٠ ونرجو أن تبلغوا الرئيس جمال عبد الناصر ٠٠٠ أن له مواطنين في زنجبار يحملون علم اللغة العربية ، ولكنهم يتعثرون في طريق استكمال دراساتهم ، ثم قال :

ـ ان الأزهـــر كان يولي المعهـــد الاسلامي عناية كبيرة فعين لها أستاذا للعلوم الاسلامية ، هو الشيخ محمد محمـــد الدهان ٠٠ ولـــكنه عاد الى مصر ٠٠ وما زال مكانه شـــاغرا ٠٠ الا من هنا ٠

ثم أشار الى جدار احدى الغرف ، وقال :

ـ وهذه هي صورته ٠٠٠



طلبة من زنجبار

ثقافة العرب :

وهكذا وجدت فى زنجبـــار ثورة اجتماعية سياسية ، أساسها تثقيف الشعب ثقـــافة عربية محضة ٠٠٠ وأن تتخذتعاليم الاسلام القديمةمعولا لهدم سياسة الاستعمار البريطانى ، الذى يعمل على توسيع الهوة ، وبذر الخلاف ، والتشكيك بين العنـــاصر الافريقية ، والعناصر العربية ٠٠

سلطان زنجبار :

ولقـــد بدأ الانجليز فى الأشهر الأخيرة فى الدق على هذه النغمة ٠٠٠

وأحسست بذلك وأنا أتحدث الى سلطان زنجبار صاحب السمو سيد خليفـــة بن حارب ، الذى منحتـــه بريطانيا ثلاثة أوسمة رفيعة ٠٠ من بينها وســام ربطة الساق من درجة فارس ٠٠٠ لخدماته الأكيدة وحبه لبريطانيا ٠٠٠

والسلطان فى الثامنة والسبعين من عمره ٠٠ وقد اعتلى العرش فى نفس العام الذى اعتلى فيـــه الملك جورج الخامس عرش بريطانيا فى عام ١٩١١ وقد عينـــه البريطانيون بعـــد عزل الخليفة السابق ٠٠

والسـلطان يملك ثلاثة قصور ، وثلاثةطواويس جميلة ، وثلاث سيارات حمراء فاخرة ٠٠

قال لى السلطان بعد أن احتسينا شراب الورد الأحمر القانى :

ــ اعذرنى اذا لم أتحدث اليك فى السياسة ، فلقد آليت على نفسى ألا أخوض فيها ٠٠ ان السياسة تجلب التعب ٠

ثم طأطأ رأسه بعمامته البيضاء ، حتى كادت لحيته البيضاء الوقور أن تلمس عباءته القاتمة ، ذات الاطراف المذهبة ، وجلبابه الأبيض ٠٠٠

وسألنى :

ــ هل تعرف السواحلية ــ وهى لغة البلاد الوطنية ــ ؟

قلت :

ــ لا ٠

فقال بحزن :

ــ وحتى نحن العرب لم نكن نعرفها لقد جئنـــا الى هنا لاجئين من مسقط وعمان ٠٠٠ وكنا ننطق العربية ٠٠ ولا نعرف كلمة واحدة من السواحلية ولكننا تعلمناها وان كان بيننـــا من لا يزال حتى الآن لا يعـــرف النطق بها ٠٠

وهكذا لمس السلطان يد المشكلة ٠٠ السياسية ٠٠٠ دون أن يخوض فى السياسة ٠

وراح الســلطان يحـــدثنى عن مصر ٠٠٠ فقـــال انه زارها كثيرا فى طريقه الى لندن ، وفى عودته منها ٠٠

الحركة العمالية :

وفى زنجبار حركة عمالية ضخمة ، تســـير الى جانب الحركة القوميـــة والثقافية ٠٠٠

فاتحادات العمال هى أقدم التنظيمات فى زنجبار ، لأن عمرها ١٧ عاما ، بينما الحزب الوطنى وهو التشكيل السياسى الوحيد لا يزيد عمره عن سنتين اثنتين ٠٠ ومن ناحية أخرى فان أقوى اتحادات العمال هى اتحادات عمال السفن والبحر التى يبلغ عدد أعضائها نحو ٢٥٠٠ عامل ٠٠

فاذا سرنا فى هذا التحليل خرجنا بالنتيجة الحتمية لتكتيك بريطانيا السياسى بل وأسس سياستها فى زنجبار ٠٠٠ وهو اللعب باتحادات العمال ضد الحزب الوطنى ٠

فمن ناحية نجد أن اتحادات العمال تضم نحو ٩٩٪ من الافريقيين بينما الحزب الوطنى مع دعوته للقضاء على العنصرية والتمييز العنصرى يبلغ عدد الافريقيين فيه الثلثين ، وتسيطر عليه عقول عربية ٠

وكان أول محل لهذا الصراع فى أواخر يوليو من العام الماضى ، عندما رشح السيد على بن محسن زعيم الحزب الوطنى نفسه عن دائرة نجامبو وهى دائرة معظم سكانها من الافريقيين

وهنا انتهز الانجليز الفرصة ٠٠٠ ورشحوا أحد زعماء العمال الافريقيين وهو « عبيد كروم » أمامه ٠٠

مخلب القط :

وعبيد كروم من زعماء السفن ٠٠ وهو من منطقة رواندا أوراندا ، وقد عمل فى البحر كتاجر متجول مدة ٢٢ عاما ٠٠ جاب فيها موانىء العالم ٠٠ ثم انتهى به الأمر الى انشاء نقابة لعمال الزوارق البخارية فى ميناء زنجبار ، وقد أطلق عليه الانجليز فى دعايتهم له اسم «أرنست بيفن الحركة العمالية» فى زنجبار ٠٠ وساعدوه بالمال فى معركته الانتخابية ، وأثاروا جميع الطوائف والعناصر عن نفس هذا الطريق ضد منافسيه ٠٠٠

وبدأت المعركة ٠٠ على بن محسن ينادى بتحرير زنجبار من الاستعمار البريطانى ٠٠٠

وعبيد كروم ينادى ببقاء الاستعمار لأن الشعب الزنجبارى لم ينضج بعد سياسيا أو دستوريا ، وأنه يجب أن يتعلم الكثير من البريطانيين ٠٠٠٠

أصابع بريطانيا :

أما الوجه الثانى من المعركة ٠٠٠ فلقد كان يكشف بوضوح عن أصابع الانجليز التى تحرك الدمية الجديدة على المسرح ٠٠٠ فلقد شجعوا تسجيل أسماء الافريقيين فى هذه الدائرة ، ومنعوا العرب من تسجيل أسمائهم ٠٠ ثم لعبوا بورقة العنصرية ، فلقد وقف عبيد يندد بالعرب فقال فى احدى خطبه :

ان العرب متخلفون مثلنا نحن الافريقيين تماما ٠٠ انهم يحاولون أن يتخذوا منا عبيدا لهم ٠٠

وكسب عبيد المعركة .. ويومها قال عبيد وهو فى زهرة النصر :

ـ أنا ابن زنجبار ... أما الآخرون .. فانهم ينحدرون من مكان آخر .. ليس فى افريقية ...

ولكن معركة الاستعمار لم تنته بعد .. انها بدأت من جديد تلغم الطريق أمام العناصر الوطنية ، وتحاول أن تفرق صفوف العرب أنفسهم ...

المعركة الثانية :

فالمعروف أن ساحل كينيا هو جزء من زنجبار ، وخاضع لتاج السلطان .. والمعروف أيضا أن بريطانيا بعد الضربات التى تلقتها فى قناة السويس وبعد اعلان الهندحيادها ... ومطالبة سيلان لبريطانيا بنقل قواعدها البحرية فيها . أصبحت تبحث جديا فى اقامة قاعدة بحرية عسكرية فى ممباسا التابعة لزنجبار ...

غير أن مشروعها فى اقامة هذه القواعد العسكرية البحرية يهدد اليوم القومية العربية التى بدأت تغزو زنجبار وكينيا ...

ومن هنا فلقد فكر البريطانيون .. فى اقامة منطقة تحكم حكما ذاتيا على طول الساحل على أن تنسلخ مع الوقت من الوطن الزنجبارى .. ثم تنضم مع الوقت أيضا الى كينيا ...

وبدأ الانجليز يلعبون لعبتهم ، فأوعزوا الى العضوين العربيين المعينين فى مجلس كينيا التشريعى بتقديم « مشروع لاقامة الحكم الذاتى فى الساحل » الى حكومة كينيا ..

● ويقضى المشروع الاستعمارى باقامة مجلس اقليمى لمنطقة الساحل وممباسا ، يرأسه نائب الحاكم العام البريطانى ويتولى الحاكم الاقليمى منصب نائب الرئيس فيه ، ويكون نصف أعضائه من العرب .

● ويقضى المشروع أيضا باقامة مجلس تشريعى للساحل يشغل العرب نصف مقاعده أيضا ، ويحل محل المجلس الاقليمى ، وذلك فى مدى خمس سنوات ، والمفهوم أن مباحثات خاصة دارت منذ شهور بين ممثلى اقليم الساحل فى المجلس التشريعى فى كينيا ... ولكن لم يشعر العرب بأن فى ايديهم ورقة رابحة الا بعد أن دار الجدل حول نقل القاعدة البحرية البريطانيا من ميناء سيلان الى ممباسا .

وأشار العضوان الرجعيان الى أن مشروعهما خير ضمان ضد أية اضطرابات قد تقوم بها العناصر الوطنية المتطرفة فى المستقبل ..

وكانا يزعمان أيضا أن عرب كينيا يميلون الى بريطانيا ويقبلون مبدأ الحكومة القائمة على تمثيل الجنسيات المختلفة .

والمعروف أن هذا الاقتراح الذى تقدم به العضوان يرتبط بالموقف الحاضر فى زنجبار ؟؟

خوف الانجليز على السلطان :

وتقول المصادر البريطانيــة التى التقيت بها فى نيروبى ان صحة سلطان زنجبار الموالى لبريطانيا فى تدهور مستمر ... وان أنظار الوطنيين تتجه الى أن يخلفه سلطان آخر غير ولى عهده الأمير عبد الله ... غير أنه اذا استطاع الوطنيون وهم جماعة قوية اجبــار الأمير عبد الله على الانسحاب ، ووضعوا على العرش عناصر وطنيــة متوسلين بالمظاهرات الشعبية المؤيدة لهم .. فان سيطرة بريطانيــا على الساحل تصبح موضع الريبة والشك .

كشف أوراق الاستعمار :

ولم يعدم الانجليز مؤيدين لهم من الخـــونة ... ومن هؤلاء الخونة ، الشريف شـــاطرى الرئيس الجديد للاتحاد العربى المركزى فى ممباسا ، وهو عضو ســـابق فى مجلس كينيا التشريعى .

وفى غباء كشف شاطرى عن أوراق بريطانيا ... فلقد خطب فى أحـــد الاجتماعات مؤيدا الاقتراح الاستعمارى فقال مانصه بالحرف الواحد :

ــ ان كل امرىء به مسحة من العقل لايمكنه معارضة اقامة حكم ذاتى فى منطقة الساحل ، فان هذه المعارضة تعد نكرانا لأيادى الحكومة البريطانية واغفالا لمصالح كينيا الحقة ..

ترى ماذا كان رد الفعل ... ؟

لقـــد كشف العـــرب الوطنيون المؤامرة .. وكشفوا الأهداف الخفية التى يريدها المســـتعمر من وراء مشروعه ... وهى بذر روح الفرقة بين العرب أنفسهم ، وسلخ منطقـــة الساحل عن زنجبار الأم ...

فاجتمع ألفـــا عربى فى ممباسا ، وأصدروا قرارا دمغوا فيه المشروع بالاســـتعمار ... كما سحبوا ثقتهم بممثليهم فى المجلس التشريعى الكينى اللذين تقدما بالمشروع ... ورشحوا منافسين لهما ...

وبعـــد :

وبعد .. فهذه هى خيوط مؤامرات بريطانيا فى زنجبار ..

مؤامرات لتفكيك وحـــدة شعب زنجبار عن طريق التمييز العنصرى .. وعن طريق التفرقة بين عناصر الطائفة الواحـــدة ... ثم ضرب كل طائفة بالطائفة الأخرى ...

ان المعركة مستمرة ... والحقائق لا يمكن أن تغيب أو تختفى ... والعناصر الوطنية قد تلقت من الماضى القريب والبعيد عظات ودروسا ..

مع زعيم زنجبار علي بن محسن

للأستاذ عبده بدوى

● زعيم زنجبار يحذر من خطة يهودية للتسلل الى افريقية!
● لماذا منع من حضور المؤتمر الآسيوى الأفريقى ؟
● ماذا كان وقع الاعتداء على مصر فى زنجبار ؟
● لماذا ذهب الى مكريرى بدلا من الأزهر ؟
● آراء جديدة فى السياسة .

أية معان جميلة تلك التى تثيرها مقابلة رجل عظيم ؟!

كان هذا هو السؤال الذى يتردد فى ذهنى ، وأعترف أنه تردد فى قلبى أولا ، فبلاده تعيش فى قلوبنا هنا جنبا الى جنب مع بلادنا ، واذا كانت بلادى تنقسم الى اقليمين عظيمين فبلاده أيضا تنقسم الى زنجبار والجزيرة الخضراء ، ومن هنا يخيل الى دائما أن كل دقة فى قلبى تثير أصداء أربعة ...

ذهبت لمقابلته فى القاهرة ، وزنجبار فى عقلى : قراءة ، وحب ، وانعطاف ، وخرجت من عنده ، وعندى شعور المواطن الزنجبارى الذى عاش فى زنجبار ، ومشى فى « بمبا » وصافح فى خلال ذلك الكثير بيده وقلبه .

وهكذا عشت حياة خصيبة وأنا اقابل «على بن محسن» زعيم الحزب الوطنى بزنجبار لم أقل له ما يقال عادة فى مثل هذه المقابلات من ترحيب، فقد كان يحس حبى لبلاده ، وكنت أحس حبه لبلادى . ومن هنا فقد بدأت حديثى معه قائلا « حدثنى عن زنجبار الممثلة الآن أمامى .. عنكم . وعن جهادكم » .

مكريرى بدلا من الأزهر :

فابتسم وهو يتكلم ، حتى خيل الى أن حديثه كان باقة من الابتسامات، فقد كان ينتقل من الفكرة الى الفكرة بنفس الطريقة التى ينتقل بها من الابتسامة الى الابتسامة ، وبدأ حديثه قائلا :

● « ولدت فى العاشر من يناير عام ١٩١٦ وتلقيت تعليمى الابتدائى والثانوى فى بلادى ، وحين كنا فى الثانوى كونا جماعة تسمى « النمل »



على بن محسن رئيس الحزب الوطنى

وصممنا على العمل من أجل بلادنا بالقراءة ومتابعة الأحداث ، وأذكر من هذه الجماعة «ماراجي شعلب» نائب رئيس الحزب الوطني ، « وحاج حسين » أحمد مؤسسي الحزب ، و «محمد مقصود» . . وبعد أن أتممت مرحلتي الثانوية تلاقت رغبتي مع رغبة والدي ، فقد كنا متفقين معا على الذهاب الى القاهرة ، للدراسة في الأزهر ، ذلك لأن الأزهر في ذلك الوقت كان يسهم بنصيب ملحوظ في الحياة السياسية ، ومع أني كنت أريد الذهاب الى الأزهر لأعيش في أغمار السياسة الا ان والدي كان يريد الحاقي بالأزهر حبا في الدين ، ومع ذلك فكنا نتلاقى في الهدف في الذهاب الى مصر . الى الأزهر . . .

. . . ولكن حدث أن الحكومة الزنجبارية أرادت أن تبعث بطالبين الى كلية « مكريري » بأوغنده للتخصص في التعليم الزراعي ، ولما كنت أنجح دائما بتفوق ، فقد عرض على الناظر وكان انجليزيا أن أكون أحد المبعوثين .

فقلت له أن رغبتي تتلاقى مع رغبة والدي في الذهاب الى الأزهر .

فقال لي « ومتى تسافر » ؟

فقلت « حينما تتحسن حالتنا ماليا » فقد كنا نعاني في هذا الوقت ضائقة مالية .

فقال لي : « طير في يدك خير من اثنين في الغابة » .

وأبدى رغبة في زيارة والدي ، وحينما تقابل معه نجح في تغيير رأي والدي تحت ضغط ظروفنا المالية . فلما قابلت والدي بعد ذلك ، قال لي والدي « ياعلي ان الزراعة هي مهنتنا الرئيسية ، فعليك أن تذهب الى « مكريري » وبعد أن تنتهي من هذه المهنة ستتلقى على يدي كل مايحتاجه المسلم من معرفة بدينه وادركت أن حاجتنا المالية كانت تلون صوته وهو يتحدث الى أكثر من مقابلته للناظر الانجليزي .

وهكذا وجدتني أترك بلادي ، واقتطعها من نفسي وأنا أسير الى أوغنده . حتى اذا عدت مرة ثانية أعدت ما اقتطع من نفسي ، وبدأت أعمل كمهندس مدة خمس سنوات ، ثم تركت هذا العمل لأتفرغ للسياسة . .

العرب في زنجبار :

● ثم صمت « على بن محسن » وبدا يستعد لمرحلة أخرى من الحديث ، ولقد كانت كلمة «السياسة» هي مفتاح هذه المرحلة ، فحينما كان يتحدث عن نفسه كان يتحدث بهدوء كأن حياته لاتهمه ، فهو في الواقع لا يعرف له حياة خاصة ، فحياته كلها هي « زنجبار » ومن هنا فقد لمع في صوته وعينيه حنان غريب حينما طلبت منه أن يتحدث عن كفاحه

السياسى مع الاستعمار ، أو بعبارة أدق مع « الاستخراب » .

وبدأ يتحدث فى حب وثقة عن هذا الدور حتى لو رفعنا الحروف ، ولم نبق الا الصوت لفهم كل انسان أنه يتحدث عن الغد فى زنجبار . وعن الأمل فى زنجبار ؟ وعن يوم قريب تصبح فيه زنجبار للزنجباريين ...

قال لى «لقد أقام الانجليز سياستهم عندنا بنفس الطريقة التى عرفوا بها فى كل مكان ، سياسة « فرق تسد » فأصبحت عندنا جمعيات للعرب واخرى للأوروبيين والأفريقيين والشيرازيين والهنود المسلمين والهنود غير المسلمين ، وكل جمعية تعيش فى اطارها الخاص ، فاذا أطلت منه فلكى تكيد للجمعيات الأخرى، وهكذا أصبح فى المجلس التشريعى ممثلون للافريقيين وممثلون للعرب ، وممثلون للشيرازيين وممثلون للأوروبيين وممثلون للهنود ، وكل هؤلاء كانوا يعينون فى المجلس التشريعى بفرمان من السلطان بعد استشارة المقيم الانجليزى ، باعتبار بلادنا « محمية » وفى وسط هذه الدوامة بدأت أقوم بدور ايجابى من أجل بلادى عن طريق الصحافة ، فبدأت أكتب فى جريدة «مون جوزى» التى تصدر بالانجليزية والسواحلية ، ومعنى هذه الكلمة بالعربية «المرشد» وركزت كل اهتمامى على هذه الطائفية التى تفتت الشعب وكفاحه . وأعتقد أنى نجحت فى خلق كلمة كبيرة فى ذهن الشعب وهذه الكلمة هى كلمة « **زنجبارى** » وقد تحققت لى فرصة تعميق هذه الكلمة حين وصلت الى منصب رئيس التحرير .

ثم عينت فى المجلس التشريعى عام ١٩٥١ ممثلا للعرب ، وأخذت أمثل بلادى فى أكثر من مؤتمر خارج زنجبار لخدمة قضايانا الداخلية والخارجية ، وفى عام ١٩٥٤ قدمت باسم « العرب » المطالب الآتية للحكومة :

١ ــ التقدم السياسى لزنجبار وتغيير الدستور .

٢ ــ حق الشعب فى انتخاب ممثليه .

٣ ــ الغاء الطائفية من المعركة .

٤ ــ تأليف حكومة دستورية تستمد قوتها من الشعب .

٥ ــ الاستقلال الاقتصادى .

٦ ــ النظر فى عودة ساحل كينيا المغتصب من زنجبار .

وحين رفضت الحكومة هذه المطالب خرج « العرب » من كل التشكيلات الحكومية ، وقاطعنا الحكومة من عام ١٩٥٤ الى عام ١٩٥٦ ، وواصلت كفاحى فى جريدة الفلق التى تشرف عليها الجمعية العربية . ثم سافرت الى انجلترا لأطلع الرأى العام هناك على عدالة قضيتنا . وفى هذه الفترة فكر جماعة من الافريقيين فى تكوين حزب

يضم جميع الزنجباريين . وحين حضرت ، وعرضت على هذه الفكرة أيدتها من كل قلبى ، فقد عشت أعمل لها ، وفى ٢٩ ديسمبر عام ١٩٥٦ أعلن تكوين « الحزب الوطنى » . ويعتبر « فواى كتويل » الافريقى راعيا له فى الوقت الذى أقوم فيه بدور الزعيم ، وهكذا أخذ الحزب الوطنى مكان الجمعية العربية ، والتف الناس حوله ، ولكن سرعان ما كتل الانجليز جبهة معارضة لنا ، وعاونهم على ذلك الهنود ، فقام حزب آخر يسمى « اتحاد أفريقية الشيرازية » وجاءت الانتخابات ، وحددنا برامجنا بالنقاط الآتية :

١ ـ الاستقلال .

٢ ـ اتحاد سلطنة زنجبار مع الجزر والساحل الكينى ، وعدم السماح للانجليز باقامة قواعد على الساحل خاصة فى ميناء « ممبسة » .

٣ ـ ازالة الطائفية .

٤ ـ ترقية المستوى المعيشى للشعب .

٥ ـ الاستقلال الاقتصادى .

٦ ـ جعل التعليم اجباريا .

.. وبهذه المبادىء وبالايمان دخلنا المعركة فاذا بالحزب الوطنى يهزم ، وتكون النتيجة كالآتى : اتحاد أفريقية الشيرازى ٣٧٪ ، المستقلون والهنود ٣٢٪ الحزب الوطنى ٣١٪ وفى الواقع لقد كانت معركة مريرة ، فقد استعملت ضدنا كل أنواع الدعاية ، فأخذوا يذيعون بالحاح « أن العرب هم تجار الرقيق ، وأن الحزب يريد بيع زنجبار لمصر ، مع أن راعى الحزب أفريقى ، وتصل نسبة الافريقيين فيه الى الثلثين ، كما قامت اذاعة «**تنجانيقا**» وجرائدها ـ وكلاهما مسموع ومقروء عندنا ـ بدور كبير فى تثبيت هذه الأفكار العدائية .

وأذكر أن الديلى تلغراف كتبت تقول : « الحزب الوطنى عربى يسيطر عليه العرب ، وانهزامه يعتبر انهزاما لمصر ، لأن سياسته تقوم على توثيق العلاقة بين زنجبار ومصر ، ومما يذكر أن على بن محسن حين سمع بانهزام حزبه ذهب الى بيته ، ثم نظر الى صورة جمال عبد الناصر وقال « سأجتهد مرة ثانية » .

.. ثم يبتسم الزعيم وهو يقول « وكأن مراسل الجريدة كان معى فى دارى » ثم يتابع حديثه الشيق . بعد أن توقفت تماما عن طريقة الأسئلة . فقد كان صوته أحب الى من صوتى ، ومن هنا فقد قال لى .. على أن الظلام الذى نشروه لم يستمر . فقد بدأ الناس يعرفون الذين يعملون من أجلهم فانضم الى الحزب الوطنى الكثير من الافريقيين ، والشيرازيين ، والهنود بعد أن وضحت لهم حقيقة الأكاذيب التى روجت ضدنا ، وبعد أن وصلنا

حركتنا بحركات التحرير فى تنجانيقا وأوغنده وكينيا وغانه وبخاصة تنجانيقا التى تزدهر فيها اليوم حركة وطنية عظيمة ، وبعد أن حصل العرب على عدة مكاسب فى مصر . وبخاصة أن كلمة العرب لها مكانة فى قلوبنا فكلمة «مستعرابو» السواحلية معناها « متمدين ومثقف » .

خطة يهودية فى افريقية :

● وسألته عن الظروف التىأحاطت بمنعه مع زملائه من حضور المؤتمر الآسيوى الأفريقى .

فقال لى لقد كنا نؤمن بالمؤتمر سلفا وأنه خطوة كبيرة نحو أهداف القارة، ومن هنا فقد صممنا على الذهاب ، وفى ميناء « ريتز » تسلمت هذا الخطاب **« من المقيم الانجليزى فى زنجبار الى على محسن من زنجبار والذين معه :**

« انه بناء على رغبة حكومة صاحبة الجلالة ، التابع لها سلطان زنجبار يجب ألا تحضروا مؤتمر القاهرة »

وحين تسلمت الرسالة لم أعبأ بها وواصلنا السير الى **كينيا** ، وفى نيروبى تسلمت رسالة مماثلة ، وأمرا يقضى باعتبارنا مهاجرين ، وأن علينا العودة الى زنجبار بالطائرة فى اليوم التالى ، وما كدنا نصل حتى قابلنا فى زنجبار ما يقرب من ثمانية آلاف مواطن ، وسرعان ما عقدنا مؤتمرا قال فيه « الشيخ حاجى محمدى » :

« عندما ينوى أحد الحج ثم يمنع بالقوة عن الوفاء بعهده فانه يكافأ على مجرد النية ونيتنا فى الذهاب الى القاهرة كانت نية صادقة ! » .

وقال جمعه بن على :

« أنه توجد صلات بين مصر وزنجبار منذ سنين بعيدة ، وكلما أسرعتالسلطات الرسمية فىالاعتراف بهذا الأثر كان هذا فى مصلحة كل فرد منا ، والحقيقة أن ناصر يعتبر عدو بريطانيا اللدود ، ولكن هذا ليس سببا كافيا لتسوء علاقاتنا بمصر ».

وهكذا بدأنا نكسب الزنجباريين كل الزنجباريين الى صفنا .

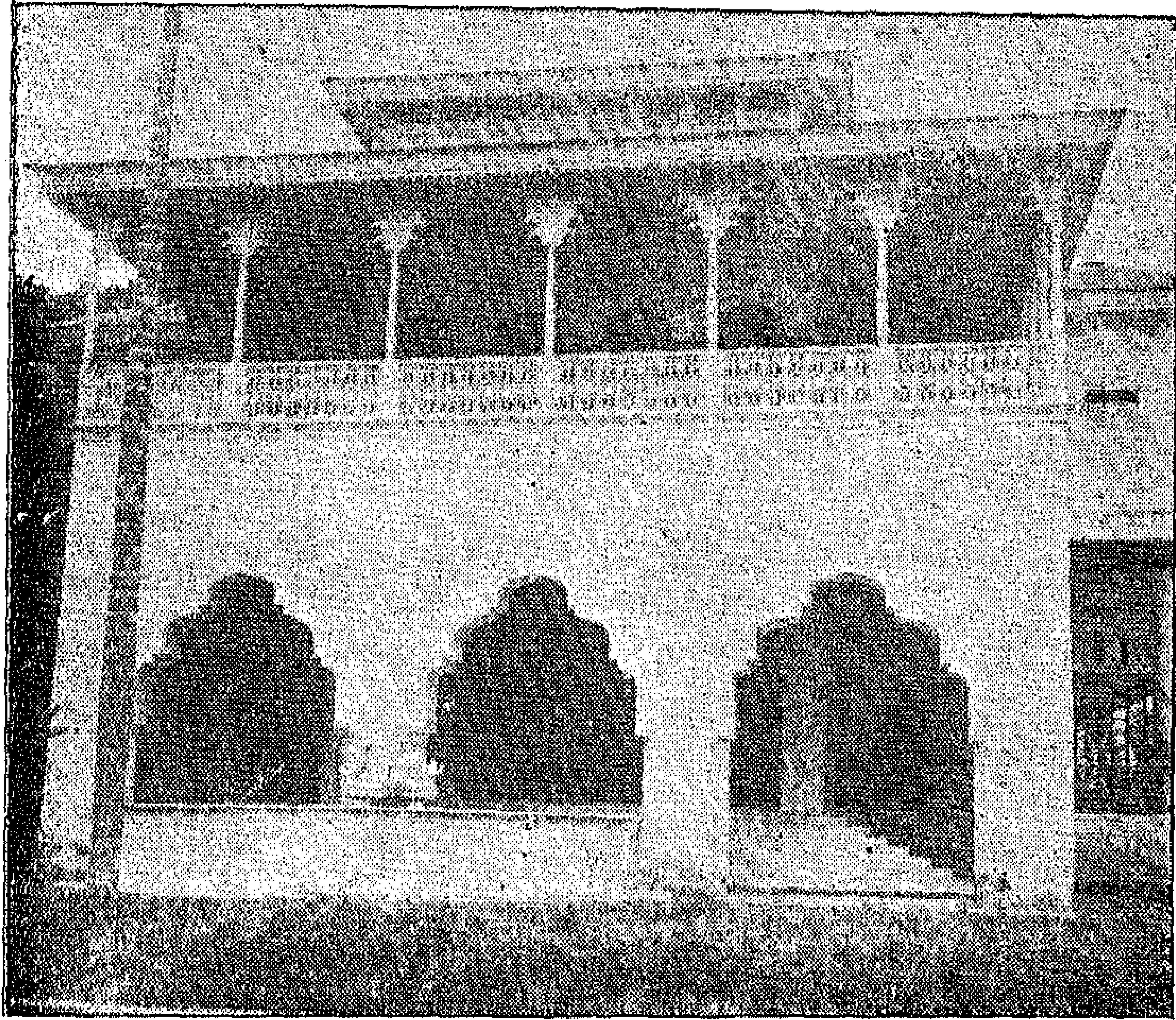
وسألته عن مؤتمر أكرا فقال لى :

« لقد حقق المؤتمر بلا شك نتائج عظيمة سيظهر أثرها عن قريب ، ولكن فى هذا المقام بمصر يهمنى أن أحذر من **« خطة يهودية جديدة »** فقد بدأ اليهود يتسللون الى القارة ، وقد حضرت **«جولدامايير»** وزيرة خارجية اسرائيل الى غانة ، وألحت فى مقابلة الزعماء الافريقيين، كما عرضت بعثات للجامعة العبرية ، وتعاونا اقتصاديا وخبراء مقوسى الأنوف ، وكان من ضمن ماقالته **« اننا بلد صغير يريد معاونة البلاد الواقعة تحت الظلم لأن الظلم واقع علينا أيضا بحصار العرب لنا ، ومن هنا نريد أصدقاء من الأفريقيين »** هذا ماقالته « جولدا » فعلى مصر الانتباه ، انى من هنا ، من

القاهرة أحذر من التسلل اليهودى الى القــارة .

وحين سألته عن دور مصر فى القارة قال :

((ان كل افريقي يحمل لمصر الحب والوفاء والاعجاب ، ونفس هذه المعانى يحملها للرئيس جمـال عبد الناصر فمصر زعيمـة أفريقية بحق ، وهى جديرة بهذه الزعامة أن هناك منظرا حيا لا يزال يعيش فى فكرى فحين وقع الاعتداء الأخير على مصر قامت مظاهرات تضم الرجـال والنساء ثم اجتمعوا فى مكان واحد وأخـذوا يبتهلون الى الله لينقذ مصر والدموع فى عيونهم . انى لن أنسى ابدا أصواتهم وهى تقول فى ضراعة ((يارب اذا ذهبت مصر ذهب الاسلام . فابق مصر ليبقى الاسلام)) .



مدرسه آغاخان فى زنجبار.

التعليم فى زنجبار :

● وسألته عن التعليم فى زنجبار ، فقال لى :

ــ عندنا مدارس ابتدائية وثانوية فقط . والتعليم فى المرحلة الأولى مدته ست ســنوات ويكون باللغــة السواحلية وهى تكتب بحروف لاتينية وبحروف عربية ثم بعد هذه المرحلة يبدأ التعليم بالانجليزية ومع أن كل مدرسة يوجد بها نصاب للغة العربية الا أن مستواها هابط جدا . فهناك عجز فى الحصص والكتب ، والمدرسين وبخاصة أن الحكومة تحارب حضور

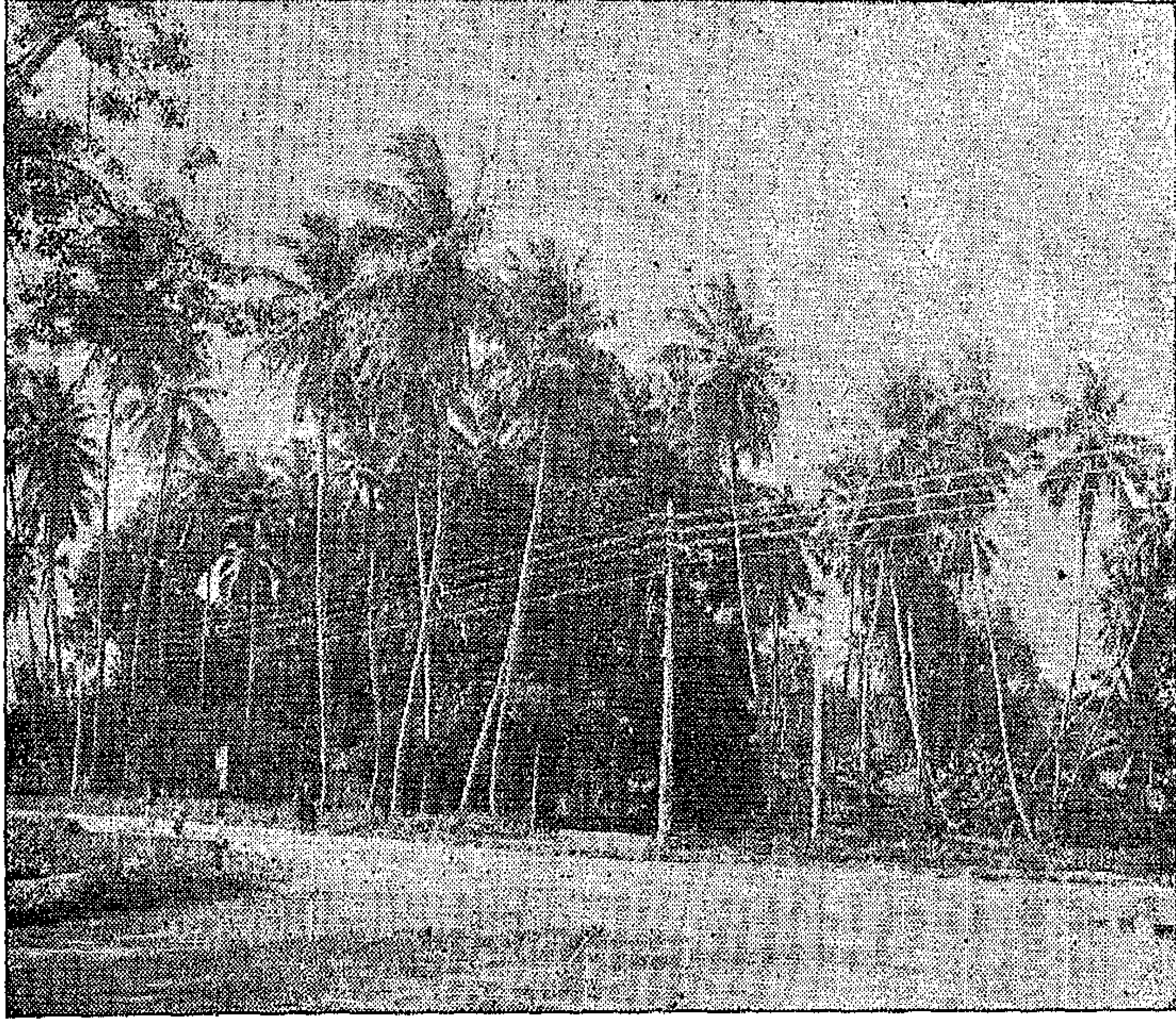
المدرسين المصريين ومن أجل هذا أنشأ الحزب الوطنى مدارس خاصة به تركز اهتمامها على « اللغة العربية » وما زلنا نلح على الحكومة حتى أنشأت مدرسة من هذا النوع تسمى «المدرسة العربية » وهى الأخرى تركز اهتمامها على اللغة العربية بدلا من السواحلية. كما ان عندنا معهدا للعلوم الاسلامية



تلميذة من زنجبار

● وسألته عن تعليم البنات فأجابنى :

ــ أن نسبة تعليم البنات ما زالت ضئيلة ، وما زالت المرأة محجبة وليس هناك اختلاط أبدا وان كنا قد بدأنا الدعوة الى رفع الحجاب ، والنساء عندنا عادة يلبسن الملابس العصرية على أن تغطى برداء يشبه « الملاية اللف » فى مصر ، أو « التوب » فى السودان ...



أشجار جوز الهنـد وحقول القرنفل

اقتصاديات زنجبار :

وسألته عن اقتصـاديات زنجبار فأجابنى :

« ان التجارة مركزة فى يد الهنود وزنجبار تعتبر قطرا زراعيا ، ومن أشهر محصولاتنا القرنفـل ، ونحن نصدر منه ٧٠٪ من محصول العالم ـ وجوزالهند ،والفلفل الأحمر ،والشطه والأذرة ، وعنـدنا الكثير من الفاكهة كالأناناس ، والمانجو بأنواعهـا كافة والموز وهو عندنا اثنان وثلاثون نوعا . .

الآداب والفنون فى زنجبار :

● وسألتـه عن الأدب والفن فى زنجبار فقال لى :

ـ ان أكثر الناس عنـدنا يهتمون بالدين ومن هنا فلم تأخـذ الفنون عندنا الآن شكلا حاسما ، ومن كتاب القصة عندنا « الشيخ محمد بن على ابن خميس » ومن الشعراء « الشيخ برهان بن محمد مكلا » وقد ألف أيضا الفية فى النحو على طراز الفية بن مالك وسماها « الواضح » وله كتاب فى المعانى سماه « مرشد الفتيات » ومن الكتاب البارزين عندنا أيضا « الشيخ عبد الله صالح » وأحمد ناصر الكملى الذى تعلم فى مصر وحكم عليه بالسجن سنتين فى عهد ابراهيم عبد الهادى ، وكان محاميه الأستاذ فتحى رضوان.

وأخيرا قلت له : هل لك كلمة نستطيع أن نحملها عنك ؟ فقال :

نرجو أن توجهوا الكثير من العناية للقارة ، فكلنا نشرئب من كل ناحية في القارة الى الشمال .. اليكم . لقد كانت سياسة مصر فى عهد الأسرة المالكة السابقة أوروبية ثم اصبحت بعد الثورة أفريقية ثم بعد الاتحاد عربية ، ثم بعد مؤتمر « اكرا » عربية أفريقية ، وكلنا نطالب بألا تنسوا أفريقية . فمصر هى المنارة التى حفظت لافريقية فى محنتها ـ مع الرجل الأبيض ـ النور ، والثقافة ، والاصرار الرائع على الحياة . ونحن نريدها دائما حارسة لهذه المثل فى افريقية ، ورددت الكلمة الأخيرة فى ذهنى .

وأكد احساسى اننا لن ننسى القارة أبدا !

وبفرح شاهدت كل الأيدى تمتد ، ثم تضع أيديها فى خشوع واصرار على القارة . لتقسم . ولتقول « لن ننسى القارة أبدا » .

لن ننسى افريقية الحبيبة ، ومن بين هذه الأيدى السمراء شاهدت يد زعيم زنجبار العظيم يد على بن محسن .

إفريقية تتحرك

« ألقى الأستاذ » باتريك بلاكيتس الحائز على جائزة نوبل محاضرة جاء فيها :

« ان القارة الافريقية انتقلت خلال الـ ٣٠٠ مليون عام المنقضية عبر القطب الجنوبى ، وأن الهند كانت تقع منذ ٧٠ مليون عام جنوبى خط الاستواء » .

وقال « ان قارات العالم تنتقل من مكانها بمعدل ثلاثة أمتار تقريبا كل مائة عام . وعلى هذا الأساس فقد كانت بريطانيا منذ ١٥٠ مليون سنة تقريبا قريبة من خط الاستواء » .

ثم قال « ان أمريكاوافريقية اللتين كانتا تكونان قارة واحدة فى الماضى ما تزالان تنتقلان من مكانيهما » .

أضواء على اتحاد جنوب أفريقية

بقلم الدكتور ماهر حسن فهمى

كان اكتشاف رأس الرجاء الصالح مقدمة للاستعمار الأوروبى فى جنوب افريقية . فقد بدأت جماعات من الهولنديين تتقاطر الى هذه المنطقة ، وتستقر فيها ، وهى فى طريق تجارتها الى الشرق الأقصى . ثم بدأ هؤلاء المستوطنون يجلبون الرقيق من غرب افريقية ، وجزر الهند الشرقية ، ليعملوا فى الأراضى الشاسعة التى استقروا فيها .

وفى أوائل القرن الماضى كان البريطانيون قد غزوا المنطقة ، وأخذوها عنوة من أيدى الهولنديين ؛ خوفا من وقوعها فى يد نابليون .

ثم انتهت التنظيمات الادارية لجنوب افريقية ، قبل نهاية القرن التاسع عشر ، على أن تتكون من أربع ولايات كبرى هى : الرأس ، وناتال ، والترنسفال ، والأورنج .

وكان ظهور الذهب والماس واليورانيوم فى أرض الاتحاد قد أسال لعاب الاستعمار البريطانى ، وجعله يربط هذه المنطقة الفنية الى عجلته برباط قوى ، ويرسم خططه على أساس استيطانها نهائيا . فأرض الاتحاد تنتج ٣ر٤١ ٪ من ذهب العالم ، وتنتج من الماس واليورانيوم والمعادن الأخرى ما قيمته ١١٠ ملايين من الجنيهات سنويا .

وقد تجمع فى جنوب افريقية تبعا لكل هذه الظروف خليط من الأجناس المختلفة ، وهم الأوروبيون والملونون والزنوج والهنود . أما الأوروبيون فهم الذين هاجروا الى تلك البلاد ، ولا يزيد عددهم عن خمس مجموع السكان . وأما الملونون فهم السلالات التى نجمت عن زواج الأوروبيين بسكان البلاد . وأما الزنوج فهم سكان البلاد الأصليين من قبائل « البانتو » ، والهنود هم كما ذكرنا من قبل ، قد اجتلبوا الى هذه البلاد منذ استيطان الرجل الأبيض فى هذه المنطقة ، ويبلغ عددهم ربع مليون نسمة .

وقد بدأت فكرة التفرقة العنصرية منذ هبوط الرعيل الأول من الهولنديين الى أرض الاتحاد ، فقد بنوا سورا هائلا يمنع السود من الاقتراب من أملاك الغزاة ، فكان هذا السور رمزا لما أصبح فيما بعد سياسة ثابتة ترمى الى الفصل التام بين الأجناس البيضاء والسوداء . وتطورت الفكرة الى هوس فى ذهن الرجل الأبيض ، فقد

سلب غيره من الأجناس الملونة كل الحريات ، حتى حرية العقيدة ، فهم ممنوعون من دخول الكنائس ، بل لقد وصلت التفرقة العنصرية الى حد الموت ، فهناك مقابر خاصة بكل جنس .

والقوانين التى تقيد حرية التنقل أكثر من أن تحصى ، فهناك أكثر من اثنى عشر نوعا من التصريحات لتقييد حرية التنقل ، ولا يجوز أبدا دخول الأحياء الأوروبية الا بجواز مرور من رجل أبيض . وقد قبض على ما يقرب من مليون افريقى عام ١٩٥٣ بسبب عدم التزام قوانين التنقل الغريبة التى فرضت عليهم . ولا يستطيع الافريقى أن ينتقل من مدينة الى أخرى أو من قرية الى سواها أو حتى من مصنع الى مصنع يجاوره ، فان قوانين التنقل تجعل ذلك شبه محال . وبهذا أجبر العامل الافريقى على قبول أى عمل يعرض عليه فى المكان المحدد لاقامته . هذا الى جانب أنهم ممنوعون تماما من ركوب السيارات العامة ، أو عربات الترام التى يستعملها البيض ، بل لا يسمح لهم بدخول المسارح وأماكن اللهو الأخرى ، وكذا المطاعم والمكتبات العامة . وقصارى القول انهم محرومون من كل الأماكن العامة ، وقد خصصت لهم فى مكاتب البريد والسكك الحديدية أماكن خاصة . وفى ميدان التعليم لا تقل المأساة عن ميدان الحياة العامة ، فلا يجد الافريقيون بابا سوى باب الارساليات يعبرونه الى المعرفة . وأخيرا أنشأت لهم الحكومة عددا من المدارس الابتدائية ، ولكنها لا تتسع الا لأقل من ثلث عدد الأطفال الافريقيين فى الاتحاد . ثم ان الحكومة تضع مايمكنها من الكثير من العراقيل لتمنعهم من مواصلة التعليم بعد هذه المرحلة ، حتى يضمن الرجل الأبيض سيادة ثقافية لا يمكن التغلب عليها . وقد صادف أن ينشأ طفل أبيض البشرة لأسرة ملونة ، وفى هذه الحالة ، تقبله المدارس الأوروبية ، وعلى أسرته الملونة أن تختفى تماما وتدفن عواطفها فى حناياها ان أرادت لطفلها أن يشق طريقه فى الحياة .

وتستثنى الحكومة الملونين والزنوج من التشريعات الاجتماعية التى تطبق على الأوروبيين ، مثل معونة البطالة ومعاشات الشيخوخة ، ومن جميع الامتيازات التى ينالها العمال البيض ، طبقا لقوانين المصانع والأجور ، فمتوسط أجر العامل الأبيض هو خمسة وعشرون شلنا فى اليوم ، ولكن العامل الملون لا يزيد متوسط أجره عن شلنين وثمانية بنسات .

وطبيعى أن لا يعرف الملون أو الزنجى حرية اختيار العمل ، اذ يقوم وكلاء مكاتب تشغيل العمال بمحاصرة الذكور فى المناطق الافريقية ، ويجبرونهم على توقيع عقود كتبت

بالانجليزية التى لا يعرفونها ، ثم يوزع الوكلاء هؤلاء العمال على الأعمال المختلفة ، ويضعونهم فى عنابر أشبه بالسجون ، يحرسهم فيها رؤساء مسلحون بالسياط . ولذلك يسقط منهم الآلاف اعياء . وفى الوظائف الفنية الحكومية ووظائف الشركات يستعبد الملونون طبقا لقانون حاجز الألوان الصادر عام ١٩٢٦ ، وبهذا تركت لهم أحط الأعمال فى المجتمع كحمل الأتربة والتعدين تحت سطح الأرض ، ويحاكم جنائيا كل أسود يترك عمله أو يغيب عنه .

وفى معظم المناطق لا توجد سوى عيادة طبية واحدة لكل ١٠٠٫٠٠٠ من السود ، ولذلك فان ٦٥٪ من الأطفال يموتون فى سن الثانية أو قبلها ، والذين ينجون من الموت تتعقبهم أمراض سوء التغذية ، فيعيشون رجالا مهدمين . وقد جاء فى الاحصائيات الخاصة بالهنود أن عدد الوفيات بين المصابين بالأمراض الصدريه منهم يبلغ ٣٠٠ يوميا وعددهم لايزيد عن ٢٥٠٫٠٠٠ نسمة .

وقد أثقلت الأعباء المالية كاهل الملونين والزنوج الى درجة اضطرت الكثيرين منهم الى مهاجرة الأراضى ، فهناك ضريبة الرءوس وهى تفرض على أساس الاقامة فى هذه الأراضى ، وهناك ضريبة المياه التى تفرض على مياه الشرب ، وضريبة المبانى التى تفرض على الأرض المقامة عليها أكواخهم ، بل ضريبة الوفاة كذلك .

وعلى هذا النحو يتحمل الملونون والزنوج والهنود الأعباء . ومن غيرهم يتحمل عبء تعبئة الأفراد لاتقاء الأخطار أو الكوارث الطبيعية ؟ هل يضحى الرجل الأبيض برفاهيته ونعيمه ليشارك فى محنة تحل بالبلاد؟ وأخيرا عليهم عبء الدفاع الوطنى ، فان الملونين والزنوج هم وقود كل حرب تخوضها بريطانيا ، أما البيض فهم القادة الذين لا يجودون بدمائهم، ولو ذودا عن أوطانهم !!

أما عن الناحية السياسية ، فكل الحقوق كذلك للبيض وحدهم . فلاتحاد جنوب افريقية حكومة وله برلمان ووراء البرلمان أحزاب ، ولكن لاتضم الحكومة ولا البرلمان ولا الأحزاب افريقيا واحدا من ذوى البشرة السوداء . وتسقط الحكومات فى اتحاد جنوب افريقية ، وتقوم حكومات غيرها ، وتنحل البرلمانات وتنتخب برلمانات جديدة ، وتخوض الأحزاب معارك الانتخاب ، وتخرج منها ظافرة أو مخذولة ، وذوو البشرة السوداء ينظرون من بعيد ، ويتطلعون الى كل ذلك ، لأنه لا يباح لهم أن يشاركوا فى الحكم ، ولا أن يصوتوا فى الانتخابات، ولا أن يرشحوا واحدا منها للنيابة . ان أحد عشر مليونا من الملونين والزنوج محرومون من أبسط الحقوق

السياسية ، فحكومة الاتحاد حكومة لغير أهل جنوب افريقية .

يقول الكاتب الأمريكي چون كوكسن: « ان رئيس الوزراء السابق لاتحاد جنوب افريقية الدكتور مالان ، يرى أن هناك أربع حقائق لها الاعتبار في موضوع التفرقة العنصرية . أولها : أن البيض لهم على الأقل من الحقوق في جنوب افريقية ما للسود والملونين، لأن البيض والسود استوطنوا المنطقة في وقت واحد ، وكلاهما غريب عنها. وثانيها : لأن البيض الذين استوطنوا الأرض لم يستولوا عليها بالعنف والابادة كما حدث في أماكن أخرى ، بل عن طريق التفاوض والاقامة في أماكن خالية . ثالثها : أن الأراضي التي يمتلكها الملونون في الاتحاد تمتد مسافة ٤٠٠٠٠ ميل مربع ، وهي من أجود الأراضي ، وأخيرا فان البيض في أرض الاتحاد ، قد أصبحوا بالاقامة من أهل المنطقة . وعلى الملونين أن يموتوا ان لم يقبلوا الوضع » .

وقد زار ابن الحاكم البريطاني العام ـ لجنوب افريقية ـ سابقا وهو المستر باتريك دنكان أرض الاتحاد ، فراعه ما رأى ، فكتب يقول : ان معاملة الملونين معاملة قاسية مخزية ، لا مثيل لها في التاريخ ، انها أقسى من معاملة الحيوان :

وكان من سوء الحظ أن خلف مالان في الحكم عام ١٩٥٣ رجل معروف بهوسه العنصري هو « ستريدوم » ، فأعلن أكثر من مرة أن لا أمل للملونين في تغيير سياسة التفرقة العنصرية ، لأنهم لم يصلوا الى المرتبة التي يجدر بهم معها أن ينالوا شيئا من الحقوق التي يدعونها .

ولكن الى متى ينوء هؤلاء المستعبدون بحملهم ؟ سرى هذا السؤال ، وبدأ الوعي العمالي ينضج عندهم بعد أن شعروا بمرارة استغلال البيض لهم طوال هذه السنين ، فعملوا جادين على تأسيس النقابات العمالية ، ونجحوا في ذلك وتأسست النقابات ، وارتفعت أصوات النقابات بالشكوى الصارخة ، دفاعا عن حقوق العمال المسلوبة . لقد أوضحت المادة الأولى من ميثاق الأمم المتحدة مقاصد الهيئة ومبادئها ، وتقضي الفقرة الثالثة منها بأن من مقاصد الأمم المتحدة « تحقيق التعاون الدولي على حل المسائل الدولية ذات الصبغة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والانسانية ، وعلى توفير احترام حقوق الانسان ، والحريات الأساسية للناس جميعا ، والتشجيع عليها ؛ بلا تمييز بسبب **الجنس أو اللغة** » .

ونظرا لأن سياسة التفرقة العنصرية التي تتبعها حكومة اتحاد جنوب افريقية تتعارض تعارضا صارخا مع ميثاق الأمم المتحدة ، فقد ناقشت الجمعية العامة شكوى الهنود من قوانين التفرقة العنصرية في اتحاد

جنوب افريقية ، وذلك فى نوفمبر عام ١٩٤٧ ،وتناول بعض المندوبين سياسة التفرقة العنصرية التى تتبعها حكومة «الكاب» بالنقد اللاذع المرير ، ورموها بانتهاج الوسائل غير المشروعة . وعلى الرغم من ذلك فقد قامت بريطانيا بالضغط على مندوبى الدومنيون ،كما قامت الولايات المتحدة الأمريكية بالضغط على الدول التى تدور فى فلكها لتوجيه رأى الهيئة وجهة أخرى ، وكانت النتيجة أن القرار الذى يقضى بوقف قوانين التفرقة العنصرية لم يفز بأغلبية ثلثى الأصوات المطلوبة . ولكن هذا القرار عاد ففاز بالأغلبية المطلوبة عام ١٩٥٦ حين عرض الموضوع مرة أخرى على هيئة الأمم ، فأعربت الهيئة عن أسفها لأن حكومة جنوب افريقية لم تحترم الالتزامات التى تضمنها الميثاق ، وطلبت الغاء هذه السياسة الضالة .

وفى ١٩٥٧/١/٢١ شرعت اللجنة السياسية للجمعية العامة للأمم المتحدة فى مناقشة سياسة التفرقة العنصرية التى تتبعها حكومة اتحاد جنوب افريقية ، بناء على طلب مصر والهند وأندونيسيا وليبيريا وأورجواى وبوليفيا وسيلان وكوستاريكا . ثم أصدرت الجمعية العامة للأمم المتحدة فى ١٩٥٧/١١/٢٧ قرارا يقضى بدعوة حكومة جنوب افريقية للمرة الثانية لاعادة النظر فى سياستها الخاصة بالتفرقة العنصرية .

ولم يقتصر اهتمام الرأى العام العالمى على ذلك ، ففى الأسبوع الثالث من ابريل عام ١٩٥٥ أجتمع فى مدينة باندونج بأندونيسيا ممثلو تسع وعشرين دولة آسيوية وافريقية ، يؤلف سكانها ثلاثة أخماس العالم ، وتكمن فى مناطقها مصادر الثروة الطبيعية الهائلة ، ويسجل تاريخها حضارات البشرية وانتصاراتها ، فكان فى هذا الاجتماع نصر لمبادىء العدالة والحرية . وعنى فيما عنى به فى الميدان السياسى — بحقوق الانسان والتفرقة بين الأجناس ، وخاصة التفرقة العنصرية البغيضة فى اتحاد جنوب افريقية . فأصدرت اللجنة السياسية فى المؤتمر الأسيوى الأفريقى قرارا تستنكر فيه السياسات والمعاملات القائمة على التمييز والتفرقة العنصرية فى جزء كبير من افريقية . وأعرب عن عطفه الحار وتأييده المطلق للموقف الذى يقفه ضحايا التفرقة العنصرية وبخاصة فى جنوب افريقية .

واذا كان مؤتمر باندونج اجتماعا لحكومات مثلت فيه برؤسائها ووزرائها ، فان مؤتمر القاهرة الذى عقد فى ديسمبر من العام الماضى اجتماع لشعوب هذه الحكومات .

فقد اجتمعت هذه القوة القوية فى القاهرة لتتباحث فى الموضوعات التى تهمها ، وكانت مشكلة التفرقة العنصرية من أهم هذه الموضوعات .

بحث أعضاء اللجنة السياسية الأسباب المؤدية لهذه التفرقة العنصرية ،

واستعرضوا وجهات نظر الرجل الأبيض التي تزعم أن التفرقة العنصرية ترجع الى امتياز الرجل الأبيض. وخرجت اللجنة من مناقشاتها بأن التفرقة العنصرية مرجعها الاستعمار، وهذا انكار لكل القوانين الآدمية والحضارات التي يدعيها الرجل الأبيض. كما خرجت بأن عددا من الافريقيين والآسيويين يقاسون من التفرقة بسبب لون بشرتهم، وذلك يعتبر في يومنا هذا جريمة ظالمة ضد الجنس البشرى وضد الانسانية. ولن تسكت الشعوب الافريقية والآسيوية على هذا النظام الكريه الذى أقامه المستوطنون البيض في جنوب افريقية متجاهلين بذلك قرارات الأمم المتحدة فيه، ومبادىء وحدة الانسانية التى نادت بها الأديان. وعلى الأقلية البيضاء في افريقية، التى ظلت طويلا تنهب خيرات هذه القارة، أن تبدى استعدادها للعيش مع الوطنيين على قدم المساواة لا كأسياد غرباء، وأدانت سياسة التفرقة العنصرية فى جميع صورها.

وأخيرا جاءت قرارات مؤتمر « أكرا » الذى عقد فى غانه منذ شهور للدول الافريقية المستقلة، مؤيدة لكفاح الملونين ضد سياسة التفرقة العنصرية فى اتحاد جنوب افريقية وخطوة موفقة، تمثل نضج الوعى الافريقى، والتفاته الى اخوانه فى الجنوب الذين يقاسون المر من هذه السياسة. والواقع أن الظلم نفسه لا يولد الشعور بالمقاومة، ولكن الاحساس به هو الذى يدفع الى الجهاد فى سبيل الخلاص منه. وقد بدأ هذا الاحساس يسرى وسط الملونين. فهناك عدد من الزعماء الافريقيين تثقفوا ثقافة عالية ورأوا حياة المجتمعات الأوروبية، وأدركوا أية هوة يتردى فيها جنسهم. ومنهم الدكتور « كوما » والدكتور «چيمس موروكا » و « البرت ليوثولى ». وقد عمل هؤلاء الزعماء جاهدين فى سبيل الحصول على حقوق جنسهم المغتصبة وتدل الظروف كلها على أن أرض الاتحاد سوف تشهد فجرا جديدا فى يوم قريب.

أوصاف

هناك أوصاف كثيرة أطلقت على افريقية فهى مرة مظلمة ومرة سوداء ومرة تشبه عنقود عنب ومرة تشبه كبد وحش هائل أو كليته • ومرة تشبه رأس افريقى مشعث الشعر. ومرة تشبه علامة استفهام قارية رهيبة •• وهكذا تتعدد الأوصاف والتشبيهات ومن خلالها تستطيع أن تدرس المنطق الاستعمارى كما تستطيع أن تلمح الحقيقة من خلال الحقيقة الكبرى .. من افريقية.

الصومال في سبيل الاستقلال

للاستاذ محمد عبده مخلوف

منذ فجر التاريخ ولهذه الرقعة الطيبة من الأرض ـ الصومال ـ الكيان السياسى الذى أثبتته أوراق البردى الفرعونية ، وأساطيرها الأولى • الى أن كان دين الاسلام الذى وجد فى أثيوبيا الملاذ من الاضطهاد ، ولقد وجد مسلمو أثيوبيا فى الصومال النفوس الصالحة ذات الاستعداد لتقبل هذه الدعوة السمحة •

وظل الصومال ـ المحتفظ بكيانه السياسى ـ على علاقة دولية بمن جاوره من الدول الى سنة ١٨٨٤ حين تقسمت أراضيه بريطانيا وفرنسا وايطاليا وأثيوبيا ، غير ملقية بالا الى عوامل الجغرافية البشرية أو الديانة أو اللغة أو التاريخ والثقافة • واستبدت ايطاليا بذلك القطاع من أرض الصومال الذى منح لها أو استولت عليه ، فشقت ايطاليا الطرق الجميلة للأغراض العسكرية وأقامت من المنشآت ما لم تكن تقصد به فى واقع الأمر سوى رفاهية نحو ألف من الايطاليين الذين أقاموا فى الصومال فى حماية الجيش الايطالى ، والجهاز الادارى الايطالى •

ولم يكن للصوماليين أن يرفعوا عقيرتهم ، أو يطالبوا بأى حق دستورى بل ولم يسمح لهم حتى بأدنى مشاركة فى ادارة بلادهم ورعاية مصالحهم وشئونهم ، فلقد أريد لهم المباعدة ما أمكن بين النضج الدستورى والكفاءة الادارية ، حرصا من الاستعمار على أن لا يأتى أجل نهايته ، ولكن شاءت ارادة الله وعملت عزيمة شعب الصومال •

فان الاستعمار الايطالى الذى كانت بدايته عقد الاجارة المبرم عام ١٨٩٢ بين الايطاليين وبين سلطان زنزبار ، بتأجير بعض موانىء الصومال لشركتين ايطاليتين ، هذا العقد الذى تحول سنة ١٩٠٥ الى تنازل نهائى ، اذا أضيف الى تنازل امبراطور اثيوبيا سنة ١٩٠٧ لايطاليا عن الأراضى الداخلية للصومال ، ثم الى تنازل بريطانيا عن أقسام أخرى لايطاليا أيضا سنة ١٩٢٤ ، لأدى كل هذا الى الخروج بالتكييف القانونى وهو البطلان المطلق لهذه العقود الايجارية ثم التنازلات المتتالية ممن لا يملك حقا مشروعا على ما يتنازل عنه ، ولأدى هذا الى انعدام السند القانونى الذى قد يتقوله بعض الاستعماريين كمبرر للبقاء على أرض الصومال •

وقد نستطيع أن نسمى هذه الفترة من التاريخ التى تحدد من ١٨٩٢ الى سنة ١٩٤١ بفترة الاحتلال الايطالى للصومال ، ولم يكن الاحتلال ليسمح للصوماليين بأى حق سياسى دستورى أو ادارى ، وكان الموظفون الايطاليون ــ وقد كانوا من الفاشست ــ وذوو القمصان السوداء يعاملون أبناء الصومال ببالغ القسوة ، ولم تلق حاجات الصوماليين الى الثقافة • أو الرقى بشأنهم من كل النواحى ، لم تلق هذه الحاجات أى قدر من عناية أو اهتمام ، بل كان ما يهم الايطاليين حقا هو الحصول على أكبر كسب من خيرات الصومال ، التى أريد أن تكون لايطاليا متنفساومجالا معيشيا لابنائها الذين كثر تناسلهم وضاق بهم اقليمهم • وسكت الصوماليون على مضض ، ونفوسهم تتحفز ، وصدورهم تغلى حقدا وموجدة على هذه الخيرات السليبة التى يحرمون منها لترسل الى الخارج ، فتكون سببا من أسباب اقتصاد ايطاليا •

ثم كانت الحرب العالمية الثانية التى دخلتها ايطاليا تابعة لألمانيا مما ترتبعليه أن قامت القوات البريطانية بالتدفق على الصومال واحتلاله سنة ١٩٤١ ، ولم تكن حال الصومال فى ظل هذا الاحتلال خيرا من سابقتها •

وانتهت الحرب وظهرت الأمم المتحدة التى آلت على نفسها ــ حسبما ورد فى ميثاقها ــ فى ٢٦ يونيو سنة ١٩٤٥ أن تنقذ الأجيال المقبلة من ويلات الحرب ، وأن تؤكد الايمان بالحقوق الأساسية للانسان وأن تلتزم بمستوى للحياة البشرية أرفع ، وفى جو من الحرية أفسح ، ونصت فى الميثاق على التسوية فى الحقوق بين الشعوب ، وبأن يكون لكل منها تقرير مصيرها •

ولكن ايطاليا أرادت أن تكون لها رجعة الى الصومال ، فى حين ناشد **الصوماليون الأمم المتحدة ((لا نرغب ولا نطلب السماح بعودة ايطاليا الى بلادنا مرة أخرى لأى سبب كان ، ان ما قاسيناه من عبودية أثناء خمسين سنة تحت الحكم الايطالى كان فوق طاقة البشر))** •

وطالب الشباب الصومالى أن تدير الصومال لجنة دائمة من الأمم المتحدة حتى يحمل الصوماليون المسئولية بعد تدريبهم ، ولم تأخذ الأمم المتحدة الأمر من أوله مأخذ الجد ، فبدأت بتأليف لجنة للتحقيق فى مطالب الصوماليين ــ وشأن اللجان الدولية معروف ــ مماطلة وتسويف ــ وفعلا زارت الصومال لجنة مثلتفيها أمريكا وفرنسا وروسيا وبريطانيا سنة ١٩٤٨ ، وعادت اللجنة لكى تصدر الجمعية العامة للأمم المتحدة قرارا ذا شقين :

أولهمـــا : وضع الصومال تحت وصايةالأمم المتحدة لمدة عشرسنوات

ثانيهما : ادارة ايطـاليا للصومال خلال المدة المقررة ٠

وابتدأت فترة الوصـاية والادارة الايطالية منذ الثانى من ديسمبر سنة ١٩٥٠ ، ليستكمل الصوماليون خلالها تدريبهم وخبرتهم ، ويستعدوا للدخول فى مجـــال الـدول المسـتقلة ذات السيادة ٠ وعهد الى مجلس استشارى تابع للأمم المتحـــدة باسداء المعونة للادارة الايطاليـة فيما نيط بها من تدريب الصوماليين ، واعدادهم لتولى الوظائف العامة محل الايطاليين الذين ما زالت نسبة كبيرة منهم تسيطر على الأداة الحكوميـة ، الى جانب واجب آخر هو من أهم واجبـات المجلس الاستشارى هو أنه عين الأمم المتحدة على ما يجرى فى الصـــومال ، وهو الموجه والمرشد ، وبهـذا آمن ممثلو الجمهورية العربية المتحدة فى هـذا المجلس ، فأخلصوا الرسـالة وأدوا الامانة ، حرصـــا منهم على أن يكون للصوماليين فى الأجل المحـدد دولة حقيقية جديرة بهذا الشعب الصومالى الناهض الأبى ، ولم تنقص العقبـات من حماسة هـؤلاء الممثلين ، بل لم يتوانوا عن التضــحية بالنفس فى سبيل العقيـــدة والرسالة ، والمثل لهذا استشهاد فقيد الانسانية كمال الدين صلاح أثنـــاء قيامه بواجبه ، وبتحريض ممن لا يرضيهم استقلال الصومال ووصوله الى أوج سيادته ٠

ورغم كل هذه الصعاب فقد افتتح أول برلمانصومالى عام ١٩٥٦ وشكلت أولوزارة صومالية فىتاريخ الصومال يرأسها صومالى ، وكلهم كفاءة وكلهم مقدرة ٠

وســـواء رضى الاستعمار أم لم يرض ، فالصوماليون يستردون حقهم فى ادارة بلادهم ، ويقدمون المثل تلو المثل علىأنهم لهذا الذىأحرزوه أهل ، وان هذا القليل الذى قدموه يبشر بأن مستقبلالصومالفىيد أمينة ، قدتتعثر بعض الشىء ، ولكنها لن تلبث حتى تســير على الطريق ، مسترشـــدة بنصائحالمخلصين، وتجاربالسابقين ٠

ولعل مما يؤكد نجاح الصوماليين فى التجربة أن الادارة الايطالية لم تملك الا أن تعلن التمهيـــد لانشاء وزارة خارجية صومالية ٠

ولن يمضى سوى عامين وبضـــعة شهور حتىيكون للصومال منالسيادة والاستقلال ما كان لأخوة له من الدول الافريقية والعربية المسلمة ، وبهـذا يختتم سجل من سجلات الكفاح فى الاســـتقلال ، ليفتح ســـجل تال يروى كيف يكون الحفاظ على هذا الاستقلال ٠

١ - من الموانىء الافريقية :

عيذاب

بقلم الدكتور أحمد دراج

(١)

شهد العصر الاسلامى بمصر ، نشأة ميناء عيذاب ، على الشاطىء الغربى للبحر الأحمر . استمدت عيذاب شهرتها من أهمية الدور الذى قامت به عدة قرون ، كقاعدة بحرية تجارية لتجارة الشرق الأقصى عبر مصر الى أوروبا ، وكمرحلة هامة فى طريق قوافل الحجاج الى المقدسات الأسلامية بالحجاز عبر البحر الأحمر ، نظرا لموقعها مقابل ميناء جدة .

ويمدنا مؤرخو مصر الاسلامية بالكثير من الحقائق المتصلة بتاريخ عيذاب ، بصفتها قطعة من الوطن المصرى . وزخرت أيضا كتب الجغرافيين العرب بوصف عيذاب ، وصحراء عيذاب ، الواقعة بينها وبين النيل ، الا أن معظم ما جاء فى هذه الكتب خاصا بها كان عن طريق النقل أو السماع عن الغير ، وليس عن طريق المشاهدة العينية ، اذ لم يقدّر لغير القليلين منهم المرور بها ، ومن هؤلاء ناصرى خسرو ، وابن جبير ، وابن بطوطة . ولقد أمدنا هؤلاء بنصوص شيقة من أدب الرحلات ، فى العصور الوسطى الاسلامية .

وكذلك عرف الرحالة الأوروبيون ، وبخاصة الايطاليين منهم فى القرنين الرابع عشر ، والخامس عشر ، وأوائل القرن السادس عشر ، ميناء عيذاب كمرحلة رئيسية فى طريق رحلاتهم الى البعثة التبشيرية الكاثوليكية بدنقلة ، أو الحبشة ، أو بحثا عن طريق الوصول الى الهند . وكانت هذه المقاصد الثلاثة من الأهداف الرئيسية للسياسة الأوروبية فى العصور الوسطى . وكان من نتيجة هذه الرحلات أن ظهرت عيذاب على الخريطة الجغرافية التى وضعها « دالورتو Dalorto » عام ١٣٢٥ و « الكتلان Al-Catalan » فى عام ١٣٧٥ .

كل هذه المصادر ، تاريخية كانت أو جغرافية ، شرقية أو غربية تصمت تماما عن اخبارنا بأى شيء عن نشأة هذه الميناء ، وتتضارب جميعها فيما يختص بتحديد موقعها ، نظرا لاندثارها وزوالها من الخريطة الجغرافية لمصر • وليس لدينا عن نهاية هذه الميناء الا نص واحد قدمه لنا الرحالة « ليون الأفريقى » فى أوائل القرن السادس عشر عما سمعه من أهالى المنطقة المحيطة بها عن تدميرها منذ قرن مضى ، أو على وجه التحديد عام ١٤٣٦ فى عهد السلطان المملوكى برسباى • وهناك شواهد تاريخية أخرى ، أيدت هذا النص فى أواخر القرن الخامس عشر ، وأوائل السادس عشر •

* * *

وما نكتبه اليوم ، ما هو الا محاولة لتعريف القارىء بهذه الميناء ، بقدر ما تسمح به معرفتنا ، وبكل ماكتب عنها . ولنبدأ بما ذكره الجغرافيون العرب عن موقعها :

فالاصطخرى لا يذكرها ضمن المدن المصرية ، بل كقلعة من قلاع المملكة الحبشية .

وابن حوقل يحدد موقعها على بعد عشر مراحل من أسوان •

وياقوت يحددها بأنها على بعد خمس عشرة مرحلة من أسوان ، وعلى مسيرة ثمانية أيام من القصير ، وابن جبير لا يتكلم عن موقعها وانما نعرف من قراءة رحلته أنه وصل اليها عن طريق قوص بعد مسيرة تسعة عشر يوما •

أما ابن بطوطة فقد وصل اليها بعد مسيرة خمسة عشر يوما من أدفو ، ويذكر أنه يوجد بين سواكن وعيذاب ، ميناء يعرف برأس دواير ، وهذه تقع على بعد خمسة أيام من عيذاب .

وهى عند المقريزى على مسيرة سبعة عشر يوما من قوص •

وأبو الفدا يحددها على بعد سبع مراحل من سواكن ، وهى تقع على خط عرض ٢١ شمالا ، أما أسوان فتقع على خط عرض ٣٠ر٢٢ ، وجدة على خط عرض ٤٥ر٢١ • أما المرحوم الأستاذ أمين واصف ، وهو أحد الذين اشتغلوا بجغرافية العالم العربى حديثا ، فيذكر أنها تعرف فى أيامنا عند أهالى المنطقة المحيطة بها ، باسم « سواكن القديمة » ، وهى تقع على خط عرض ٢٠ – ٢٢ • أما سواكن الحالية فتقع على خط عرض ١٩ •

* * *

وكذلك تضاربت آراء من كتب عنها من الأوروبيين المحدثين . فأميلينو Amélineau يفترض أنها احدى الميناءين القديمتين : «بيرنيس» «Berenice» و « ميوس هرموس » « Myos Hormos » اللتين كانتا على

الشاطىء الغربى للبحر الأحمر منذ عصر البطالمة .

ولكن « ايفيتس Evetts » يستبعد أن تكون « ميوس هرموس » .

أما « فلوير Floyar » فيذكر هنالك جبلا قريبا من هذه المنطقة يعرف بجبل عيداب (بالدال) وأنه كان هناك مرسى صغير فى العصر القبطى ، يعرف أيضا باسم عيداب كما هو شائع بين الأهلين هناك ، ويحدد موقعه على ساحل البحر عند خط عرض ٣٥ ـ٢٢° شمال «بيرنيس» . ويحتمل أن يكون هذا المرسى هو ميناء عيذاب نفسها بالرغم من أن الأهالى هناك يعرفونها باسم « سواكن القديمة » .

وقام « كويات Coyat » برحلتين الى صحراء عيذاب ، حوالى عام ١٩٠٩ ، ١٩١٠ . وتتلخص مشاهداته فى أن أهالى هذه المنطقة لا يعرفون على وجه التحديد موقع عيذاب ، ومع ذلك فهم لا يزالون يسمون الصحراء المجاورة لها بصحراء عيداب (بالدال) . أما « كويات » فيميل الى تحديد موقعها عند «رأس علبه» الى الجنوب من بيرنيس ، وبالتحديد على خط عرض ٢٢° قريبا من مدينة الحلايب الحالية .

الا أن « بيكر Becker » يحدد موقعها مكان قرية عيديب الحالية التى تقع الى الجنوب قليلا من خط عرض ٢١° .

وقام « مرى Murray » فى نهاية عام ١٩٢٥ بدراسة هذه المنطقة ، وانتهى من دراسته الى أنها تقع على خط عرض شمال ٤٧ ر ١٩ ر ٢٢ وخط طول ٣٢ ر ٩ ر ٣٦ .

أما خرائب « بيرانيس » القديمة ، فتقع على خط عرض ٢٤ أو ٥٠ ر ٢٣ قريبا من « رأس بيناس » الحالية .

وعلى ضوء هذا التحديد لموقع « بيرانيس » يمكننا أن نعرف على وجه التقريب أن مكان عيذاب بالنسبة اليها . الى الجنوب منها بقليل .

* * *

أما عن تأريخ نشأة ميناء عيذاب فى العصر الاسلامى ، فانه يرجع فى الغالب الى أواخر القرن العاشر الميلادى الرابع الهجرى متأثرا فى ذلك بتطور تاريخ الملاحة فى البحر الأحمر . وكانت الموانىء الرئيسية لرسو قوافل السفن التى تحمل تجارة الشرق الأقصى تتغير تبعا لمجريات الحوادث السياسية فى الشرق الأوسط ، فكانت على التوالى : القلزم ، ثم عيذاب والقصير ، ثم الطور ، وأخيرا جدة . ولم يمنع هذا من قيام بعض الموانىء بدور ثانوى بجانب الميناء الرئيسى الذى يتركز به النشاط البحرى ، ضمانا لجمع المكوس بوساطة السلطات الرسمية .

ففى صدر الاسلام كانت القلزم هى الميناء الرئيسية لمصر فى البحر الأحمر ، ولم يغير الاسلام من واقع الأمر شيئا ، فمنذ منتصف القرن الخامس الميلادى كان النشاط التجارى قد انتقل اليها من « بيرانيس » و « ميوس هرموس » ، وأدت اعادة حفر خليج أمير المؤمنين الواصل بين الفسطاط والقلزم الى زيادة أهميتها نظرا لما تقوم به من عملية الوصل بين مصر والحجاز . ولقد تأيد ذلك بما عثر عليه من أوراق البردى اليونانية فى القرن السابع الميلادى ، وبما نعرفه من بناء بعض سفن الأسطول الاسلامى بها فى هذه الفترة، على يد الصناع القبط . وامتد هذا النشاط حتى منتصف القرن التاسع، فابن خرداذبة يذكر أن التجار اليهود كانوا يأتون من بلاد الفرنج قاصدين مصر ، فينزلون بالفرما ، ثم يعبرون برزخ السويس الى القلزم ، ومنها يركبون البحر الى الجار (ميناء المدينة وقتئذ) ثم الى جدة ، ومنها الى عدن فى طريقهم الى سواحل الهند .

الا أن هذا النشاط التجارى فى البحر الأحمر ، عن طريق القلزم وعدن، مالبث أن أخذ فى الضعف ، بعد سقوط الدولة الأموية ، وقيام الخلافة العباسية ببلاد العراق . وبدأ هذا النشاط ينتقل تدريجيا الى الخليج الفارسى ، وبخاصة بعد أن أمر الخليفة العباسى ، أبو جعفر المنصور ، بردم خليج أمير المؤمنين على أثر خروج محمد النفس الزكية بالحجاز سنة ١٤٥ هـ ، مطالبا بالخلافة . ومن ثم حلت موانىء الخليج الفارسى مثل سيراف ، والبصرة ، والأبلة (غربى البصرة) محل هاتين الميناءين السابقتين ، فى استقبال سفن الشرق الأقصى .

وشهد القرن الثامن الميلادى — الثانى الهجرى — نوعا جديدا من الأدب العربى المتصل بتطور طرق الملاحة الخاصة بتجارة الشرق الأقصى ، وظهر هذا الأدب فى قصص الرحالة العرب فى طريقهم الى الصين ، مثل قصة التاجر سليمان ، وقصة السندباد البحرى .

ونتيجة لذلك أصبح دور البحر الأحمر ثانويا ، عن طريق الرحلات الفرعية التى كان يقوم بها تجار الخليج الفارسى لنقل منتجات الشرق الأقصى على سفن صغيرة ذات حمولة ضعيفة . وكانت هذه السفن لا تحتمل صعوبة الملاحة حتى القلزم ، بسبب شدة الرياح ، وكثرة الصخور المرجانية ، ولذلك كانت تؤثر الرسو بميناء جدة.

وفى أواخر القرن التاسع الميلادى الثالث الهجرى أثرت ثورة الزنج ، وثورة القرامطة — اللتان نشبتا فى جنوب العراق ، وفى منطقة البحرين — على الحركة التجارية بالخليج

الفارسى . ومن جهة ثانية وجدنا التجار العرب بدأوا يحجمون منذ أوائل القرن العاشر الميلادى - الرابع الهجرى - عن الوصول برحلاتهم الى ميناء كانتون بالصين ، بسبب سوء معاملة السلطات الصينية لهم ، وأصبحت شبه جزيرة ملقا آخر مرحلة لسفنهم فى هذه البحار .

ومن ثم بدأ البحر الأحمر يستعيد مركزه السابق فى تجارة الشرق الأقصى ، ونشطت عدن من جديد ، بعد أن عرفت سفن الهند والصين طريقها اليها . وعملت الأسرة الزيدية التى كانت تحكم اليمن وقتئذ على تشجيع التجار الهنود والصينيين . ومن عدن كان يقوم اليمنيون بنقل هذه البضائع على سفن خاصة ، تعرف بجلاب القلزم الى كل من جدة على الساحل الشرقى ، وعيذاب ، والقصير (التى قامت مكان الميناء القديمة) «Leukos Limen» على الساحل الغربى .

وزادت أهمية عيذاب وبخاصة فى العصر الفاطمى ، ابتداء من ٤٦٠ هـ ، ١٠٦٧ - ١٠٦٨م بسبب الشدة التى قاستها مصر فى عهد الخليفة المستنصر بالله ، وذلك نتيجة لخراب الدلتا . وتحولت قوافل الحجاج المصريين والمغاربة من طريق شبه جزيرة سينا الى طريق النيل حتى قفط أو أدفو أو أسوان ومنها عبر الصحراء الشرقية الى عيذاب . وأدت حوادث الحروب الصليبية الى أن يظل هذا الطريق تعبره قوافل الحجاج ، حتى فتح الطريق القديم فى عهد السلطان المملوكى بيبرس ٦٦٦ هـ ، ١٢٦٧ - ١٢٦٨م .

وفى العصر الفاطمى ، يمدنا الرحالة الفارسى « ناصرى خسرو » بأول نص عن مشاهداته فى عيذاب أثناء مروره بها ، فيذكر أن المكوس كانت تجبى بعيذاب على البضائع الواردة من الحبشة وزنجبار واليمن بطريق البحر ، ومن عيذاب تنقل عبر الصحراء الشرقية الى أسوان ، ومن هناك فى السفن النيلية الى الفسطاط .

واهتم الفاطميون بميناء عيذاب ، وعملوا على حماية القوافل الملاحية التى ترسو به من سراق بحر القلزم ، فأعدوا أسطولا يتكون من خمسة مراكب صارت ثلاثة فيما بعد ، وحرصوا أيضا من الناحية المذهبية على نشر الدعوة الاسماعيلية بها ، فأقاموا هناك داعيا اسماعيليا .

وفضلا عن هذه الظروف الخاصة بالشرق الأوسط ، فان الظروف العالمية لعبت دورا هاما فى ازدياد نشاط عيذاب ، الذى بلغ أوجه فى العصر الفاطمى ، اذ أدت سياسة التسامح الدينى التى انتهجها الفاطميون ازاء التجار الأوروبيين ، الى تسابق هؤلاء ، من جنوية وبنادقة وبيازنة وأمالفيين وصقليين الى

أسواق الاسكندرية ودمياط والقاهرة وحصلوا من الخلفـــاء الفاطميين عن طريق المعاهدات التى عقدوها معهم ، على حق اقامة الفنـــادق ، وتخفيض المكوس ٠

ولقد ظلت عيذاب مزدهرة طوال العصرالأيوبى ، كمرحلةهامة فى طريق قوافل الحج الى حلب ، وقاعدة رئيسية لتجارة مصرفى البحرالأحمر ٠ ويخطىء من يظن ، أن الحـروب الصــليبية والحرب الاقتصـــادية التى أعلنتها البـابوية على مصر ، قد أضعفت من تجارة المرور بين الشرق والغرب عبر الأراضى المصرية ، وبالتالى من نشاط ميناء عيذاب ٠ حقيقة أن هذا النشاط التجارى المصرى تأثر كثيرا فى بضع سنوات ، الا أنه استؤنف من جديد بعد أن تمكن صلاح الدين من القضاء عـــلى مشروعات البرنس « أرناط » صاحب امارة الكرك الصـــليبية فى البحر الأحمر ، ومن انتزاع امارته التى كانت تتحكم (بحكم موقعهـــا مكان شرق الأردن الحالية ، ومنطقة النقب) فى طريق القوافل بين مصر وسورية والحجاز ، وفى الملاحة بخليج العقبة ٠ هذه المشروعات بدأت عام ٥٧٧ هـ / ١١٨١ م بتفكير أرناط فى الاستيلاء على المدينتين المقدســتين مكة والمدينة ٠ وفشلت محاولته الأولى ، لأن القوات البرية التى زحفت نحو بلاد الحجاز ، توقفت عند واحة تيمة واضطرت الى التراجع نظرا لقلة الماء وشدة الحرارة التى لم يحتملها الصليبيون ولذلك تحول نشاطه المعادى فى العام التالى الى البحر الأحمر ، وهاجم أسطوله ميناء عيذاب ٠ ونزل بعض رجاله بها ، ونهبوا احدى القوافل التى كانت تعبر صحراء عيذاب متجهة الى قوص ، ثم تحول الى مهاجمة الساحل الحجازى تجاه المدينة ٠ وأسرع الأسطول المصرى بقيادة الحاجب لؤلؤ ، الى مطـــاردة الأسطول الصليبى ، ووفق فى ايقاع الهزيمة بأرناط ، وأسر معظم جنــوده الذين اقتيدوا الى مكة ٠ وهناك ضحى بهم قربى الى الله ، وجزاء على تجرئهم بمهاجمة الأراضى المقدسة ، يوم عيد الأضحى (١٠ من ذى الحجة ٥٧٨ هـ / ١٦ من أبريل ١١٨٣ م) ٠ وفى عام ١١٨٧ م ٠ تمكن صـــلاح الدين من الاستيلاء على امارة الكرك ، وبذلك عادت هذه المنطقة الاستراتيجية الهامة الى حـــوزة المسلمين ، وزال الخطر الصليبى نهائيـا عن البحر الأحمر ٠

ولقد سبقت هاتان المحـاولتان ، محاولة صليبية أخرى لسرقة جســد النبى صلى الله عليه وسلم ٠ من الروضة النبوية الشريفة عـــلى يد اثنين من الأسبان تخفيا فى زى المغاربة ٠ ونزل الاثنان باحدى الدور المجاورة للروضة وتظـــاهرا بأنهما جاءا ليقضيا بقية حياتهما فى جوار الرسول ، ثم أخذا ينقبان سردابا يصل الى الروضـــة ، وشاءت العناية الالهية ألا يتمما مهمتهما

اذ أسرع السلطان نور الدين زنكى الى المدينة بعد أن رأى الرسول فى منامه يستغيث به وتمكن من اكتشاف هذه المحاولة الدنيئة • وكان ذلك سببا فى بناء المقصورة الشريفة وتعيين الخدام بها ، الذين زاد عددهم فيما بعد صلاح الدين ، وأوقف على مصالح المقصورة ومصالحهم بعض الأوقاف بمصر •

هذه المحاولات من جانب الصليبيين كان لها أثر كبير فى اتجاه السياسة المصرية الى منع التجار الأوروبيين من مزاولة نشاطهم التجارى فى البحر الأحمر ، ولم يكن لهذا الاجراء ، أى تأثير على تجارة المرور بين الشرق والغرب ، اذ شهد عصر صلاح الدين ازدياد نشاط التجار المسلمين، الذين عرفوا بالتجار الكارمية ، فى نقل تجارة الشرق الأقصى ، وخاصة تجارة البهار والتوابل ، من عدن الى عيذاب ، وانتقل نشاطهم الى قوص التى أصبحت مركزهم الرئيسى بالصعيد ، وأيضا الى الفسطاط • التى بنى بها فندق لهم (فندق الكارم) عام ٥٧٩ هـ/١١٨٣م ونتيجة لهذا التطور • عنى الأيوبيون بأمر قوص وضم الى واليها الولاية على عيذاب •

ومن ثم شهد عهد صلاح الدين أيضا عودة التجار الأوروبيين ، ولا سيما الايطاليين اذ عادوا الى التردد على الموانىء المصرية بالبحر الأبيض •

ويكفى دليلا على ذلك كتاب صلاح الدين الى الخليفة العباسى سنة ١١٨٣ م الذى يشير الى مجىء التجار الجنوية والبنادقة والبيازنة الى مصر محملين بالبضائع الأوروبية ، وأهمها الأسلحة ومعدات القتال ، وفى هذا اعلاء لشأن الاسلام والمسلمين • وكان هذا الكتاب ردا على النقد الذى وجهه اليه الخليفة بشأن الاتجار مع الأوروبيين ، بالرغم من حالة الحرب القائمة بين الاسلام والمسيحية • بل ذهب صلاح الدين الى أبعد من هذا ، فعقد ثلاث معاهدات مع هذه الجمهوريات الايطالية الثلاث

وشاهد الرحالة ابن جبير أثر هذه السياسة الاقتصادية الحكيمة عند وصوله الى ميناء الاسكندرية عام ١١٨٣م وان لم يفته أن يدون لنا فى أسلوب لاذع • ما يقاسيه المسلمون والمسيحيون على السواء من تشدد رجال الجمارك وغلظة الاجراءات التى يتبعونها فى جباية المكوس • وفى طريقه الى الحج ، اتبع الرحالة طريق النيل • من الفسطاط حتى قوص ، ومن قوص عبر الصحراء الى عيذاب فى تسعة عشر يوما • ووصفه لصحراء عيذاب ، ومراحل الطريق بين قوص وعيذاب قطعة ممتازة من أدب الرحلات ، ومن الوصف الجغرافى لهذه المنطقة • ففى لهيب صحراء عيذاب ، سما ابن جبير

بايمانه السطحى الذى شهدته حياته الأولى بالأندلس ، فحفظ القرآن كله وتصوف قربى الى الله • ودون مشاهداته الخاصة بنشاط الحركة التجارية عبر صحراء عيذاب ، ويكفينا فى هذا الصدد ، ما ذكره عن رؤيته لأحمال البهار كالقرفة والفلفل ونحو ذلك ملقاة بها ، والقوافل صاعدة هابطة لا يعترضها أحد الى أن يأخذها صاحبها •

ولا ريب فى أن هذا النشاط التجارى لعيذاب ، ازداد اضطرادا مع ازدياد النشاط التجارى لمصر مع الجمهوريات الايطالية ، بقية العصر الأيوبى ، بسبب سياسة التسامح التى اتبعها الأيوبيون ازاء الأوروبيين •

ولم يكن يجبى من المكوس بعيذاب سوى الزكاة فقط ، أى ربع العشر ، ومرة واحدة فى العام • وأثبت التجار الكارم رضاءهم عن صلاح الدين وحسن مشاركتهم له فى جهوده الحربية ، بأن دفعوا بعيذاب ، عن طيب خاطر عام ٥٧٧ هـ/ ١١٨١م زكاة أربع سنوات دفعة واحدة • وكان يوجد بعيذاب واليان ، أحدهما يمثل زعيم قبائل البجه ، والثانى يمثل السلطنة المصرية ، وكانا يقتسمان بينهما هذه المكوس مناصفة ، أما أهل عيذاب فكان لهم من الحجاج والتجار فوائد كثيرة مقررة على نقلهم عبر صحراء عيذاب وعلى ما يحملونه من أحمال الدقيق ، ثم نقلهم فى الجلاب من عيذاب الى جدة •

بقايا وآثار عيذاب

من أساطير الهوسا في نيجريا

للأستاذ محمد أحمد الجابرى

فى سالف الزمان قام أرنب بجولة فى الغـــابة لكى يجدل له سبتا من السعف ، وكان يحمل على كتفه جرابا به حب من الفول السودانى ، وأخذ يصفر حتى تعب ومل ، ثم صـــعد الى شجرة بالقرب من بحيرة ، وأخذ يأكل حب الفول ، حتى اذا لم يبق معه الا حبة واحدة انزلقت من يده ، وسقطت فى المـــاء ، فصمم على استرجاعها ، وفعلا نزل فى البحيرة وغطس فى الماء وبينما هو يتلمس القـــاع مست يده شيئا مصنوعامن القش المضفور فرفعه الى سطح المـــاء ، وبفحصه وجـــده (كابوتة) للاطمعة ، وبداخلها مغرفة من الخشب فخاطبها قائلا ، من أنت ؟ وماذا تعملين ؟ فردت المغرفة قائلة : من أنت وماذا تعمل ؟ فقـــال : أنا الأرنب .. أصنع لنفسى بيتـــا من أغصان الشجر ، فقالت المغرفة : أنا المغرفةالخشبية ، الخالقة لكل الأطعمة التى يأكل منهـــا الملك ، أما الأرنب فقال : أنا الأرنب القفاز أقفز من مكان الى آخر دون أن تمل أقدامى المشى ، وأقفـــز الى الأمام والى الخلف والى اليسار والى اليمين . ثم أقبل عليها وطلب منها أن تريه ما تدعيه ، وفى طرفة عين أخرجت المغرفة فيضا من الأطعمـــة المختلفة ، ففرح الأرنب ، وأخـــذ يأكل بشراهة حتى امتلأت معدته ، وكانت الأطعمة موفورة زائدة عن الحد ، وقالت المغرفة للأرنب : هل أزيدك طعاما ؟ فقال لها الأرنب : « انك قدمت لى طعاما وفيرا . فما كان من المغرفة الا أن جعلت الطعام الفائض يختفى داخل بطنها » .

بعدئذ أخذ الأرنب المغرفة وأعادها الى « الكابوتة » حيث حملها وقصد الى بيته .

ولما اقترب من البيت نادى زوجته قائلا : تعالى مسرعة وخذى ما معى .

وفى البيتجمع عائلته وقص عليهم ما صادفه من تعب ، وما أحضره من نعم وخير فجعلوا يسألونه عن الخبر وهو يجيبهم .

ثم سألت المغرفة الأولاد عن عملهم الذى يقـــدرون عليه ، وحين أروها قدرتهم عـــلى القفز الى اليمين والى اليسار ، والى الخلف والى الأمام طلبوا منهـــا أن تريهم ما تستطيع عمله ، فقدمت لهم ما لذ وطاب من الأطعمـــة الشهية فانبكوا عليهـــا حين رأوها ، وشاركتهم أمهم فى التهام ذلك الطعام اللذيذ ، وبعد ذلك أقيمت حفلة طرب دقت فيها الطبول ورقص فيها الجميع وغنوا .

وفى الصباح أعلن الأرنب سكان البلدة بأن يكفوا عن الزراعة ، ويقتلعوا ما غرسوه منها ، لأنه اكتشف موردا لا ينضب من الأطعمة المختلفة ، فاستجاب الناس الى ندائه وذهبوا الى مزارعهم واقتلعوا ما بها من زروع . وذهب معهم الأرنب وزوجته وأولاده الكبار ، وقبل أن يبارح البيت أودع « الكابوتة » والمغرفة مخزن الحبوب ، وترك ولديه الصغيرين لحراسة البيت والكابوتة .

وما كاد الناس يخرجون للمزارع حتى حضر الفيل متسائلا عن أسباب الطبول والغناء والرقص والحفلة التى أقيمت ليلة أمس ،، وأجابه الولدان : بأن والدهما عاد من الغابة ومعه مغرفة تنتج الطعام ، على اختلاف أنواعه دائما بدون توقف ، فدهش الفيل وقال كيف ذلك ؟ أصحيح ما تقولان ؟ أين هذه المغرفة ؟ أحضراها لأراها بعينى ، فقام أحد الولدين وأحضر الكابوتة وأبرز المغرفة ، فقال الفيل : كيف تقدم الطعام بهذه المغرفة ؟ فأجابه الصغير : « سل المغرفة تجبك » فسألها الفيل فقالت له : من أنت ؟ فأجابها : « أنا العاتى الذى اذا مشى يقتلع الأشجار ويتلف الثمار ويدك البيوت ، فقالت المغرفة : أنا التى تخلق الأطعمة ، فخاطبها الفيل : أصحيح ما تقولين ؟ أرينى ! فطلبت منه أن يريها أولا كيف يقتلع الأشجار ويدك البيوت فتنهار ، وسرعان ما عبث الفيل بما حوله فاقتلعت الاشجار وتهدمت البيوت ، وخربت الديار ، ثم انعطف على المغرفة وقال لها : « أنا مثلت دورى فمثلى دورك كما تدعين »

وفى الحال قدمت المغرفة المزيد من الأطعمة على اختلاف أنواعها ، واستمرت تتدفق بدون توقف ، والفيل يلتهم بجنون ، حتى دفعته شراهته الى ابتلاع الكابوتة والمغرفة الخشبية نفسها ، ولكن بعض القطع الخشبية سقطت من خيشومه وهو يمضغها فجمعها الولدان وحفظاها ليراها الأب عند عودته من المزرعة وانطلق الفيل مهرولا نحو الغابة .

وفى المساء عاد الأب ومعه زوجته وعائلته ، ورأى الأشجار مقتلعة والبيوت مهدمة ، فسأل الولدين عن سبب الدمار ، فقص عليه الولدان ما حدث ، وأحضرا له القطع التى بقيت من المغرفة .

فسألها الأب أن تقدم له الطعام فأمدته بجانب يسير لا يكفيه ، فتملكه الغضب وضرب ولديه وأمر زوجته باحضار قليل من الفول السودانى ، لأنه عائد الى البحيرة التى وجد فيها الكابوتة والمغرفة .

وفى الصباح ذهب الى الغابة مثلما فعل فى المرة الأولى ، حتى اذا لم يبق من الفول الا حبة واحدة سقطت منه فى البحيرة ، فخلع ملابسه ونزل

وتحسس قاع البحيرة ، حتى عثرت يده على « كابوتة » أخرى ووجد داخلها شيئا كالذى وجده فى المرة السابقة ، فسألها : أى شيء أنت وما مهمتك ؟ فأجابته « من أنت ؟ فقال : أنا الأرنب ·· الذى يقفز من هنا الى هناك ومن هناك الى هنا ، من الخلف الى الأمام ومن الأمام الى الخلف : فقالت له : أنا الشيء الذى لا يخاف الانسان ولا الحيوان ، فقال الأرنب « يا للعجب أرينى : فأجابه الشيء : أرنى أنت أولا · وسرعان ما قام الأرنب بتمثيل دوره فى القفز ، ثم طلب من الشيء أن يريه ما يعمله فلم تمض برهة حتى رأى نفسه مقيد اليدين والضرب مستمر على جسمه بدون توقف وبدون شفقة ، فجعل يصرخ ويستغيث ، وكان على شجرة قريبة منه طير أسرع لنجدته ، فقال للأرنب : اذا كنت تطلب النجدة فأصرخ بأعلى صوتك وقل : أنجيا أنجيا فهو قادر على أن ينجدك ، وحالما صرخ وقال : أنجيا أنجيا — فكت عنه القيود وسقطت على الأرض ، فتنفس الصعداء ، وحمد الله

وأخذ الأرنب « الشيء » ورده الى (الكابوتة) واتجه الى الطريق عائدا الى بيته فى البلدة ، وحين اقترب من بيته نادى زوجته · تعالى الى بسرعة وخذى ما معى فأخذته ·

بعدئذ دعا عائلته وطلب منهم أن يسألوا الشيء الذى أحضره عن عمله ، وفى أقل من طرفة عين وجدوا أنفسهم مقيدين بأحزمة من الجلد والضرب مستمر عليهم بدون شفقة فصاح الأرنب قائلا « استغيثوا » بأنجيا وما كادوا يفعلون ذلك حتى فكت قيودهم وأطلق سراحهم ·

وفى تلك الليلة أقاموا حفلة ابتهاج وأخذوا يضربون الطبل ويغنون ويرقصون ، لكى يجتذبوا الفيل اليهم كالمرة السابقة ·

وفى الصباح الباكر ترك الأرنب ولديه الصغيرين ونبه عليهما بأنه اذا حضر الفيل ، وسأل عن سبب الحفلة فليرياه « الكابوته » حتى اذا شد وثاقه وضرب فليتركاه ولا يبوحا له بكلمة السر « أنجيا » ·

وحضر الفيل وسألهم فأجابوه « كما أمرهما أبوهما ، فطلب الفيل رؤية الشيء العجيب فقدما (الكابوتة) وأظهرا له الشيء وبعد أن أراه الفيل قوته وقدرته على التدمير التفت الى ذلك الشيء وقال له : أرنى ألاعيبك وفى الحال أحيط الفيل بالقيود الثقيلة ، وشد بأحزمة الجلد وتوالى عليه الضرب بعزم وقوة فى غير شفقة ولا رحمة ، وأطاع الولدان أمر أبيهما ووصيته ولم يبوحا له بكلمة السر ، واستمر الضرب على الفيل حتى مات ·

ولما عاد الأرنب وزوجته وجدا جثة الفيل الهائلة فأخذوا يسلخون جلده ، وينضجون لحمه ويأكلونه بشهية ·

وفكر الأرنب فى الأمر فقال : « هذا الشيء فوق طاقتى ومن الأصوب أن أقدمه للملك وفى الطريق الى الملك التقى بجماعة من الزراع كانوا يشتغلون فى المزرعة ، فقصد الى شجرة كبيرة تحتها أوعية مملوءة بمشروب (المريسة) ، فطلب منهم أن يسقوه ··· فأجابوه بفتور قائلين : نحن سنحضر اليك بعد انتهائنا من

العمل ، فأجابهم : أحضروا فى الحال لأنى ذاهب لمقـــابلة المـــلك فى « وكارى ... ولكنهم لم يعبأوا به .

وحـــين انتهوا من عملهم حضروا وقدموا له المريسة ليشرب ، فامتنع عن الشرب وقـال : انكم أهملتمونى لانكم تجهلون قدرى ولا تعرفون من أنا : سلوا هـــذا الشىء ما هو وما امكانيـــاته ... ؟ فأطـاعوه ، ولم يشعروا الا وقد أوثقوا وقيدوابالأحزمة والضرب يتوالى على أجسادهم بشدة مؤلمة ، كأن الكرابيج سـكاكين حادة تمزق أجسامهم بدون شفقة .

وأمرهم الأرنب بأن يصرخوا بصوت واحد ويقولوا : أنجيا .. أنجيا .. أنت المنجد أدركنا .. يا أنجيا .. وفى طرفة عين فكت قيودهم وأطلق سراحهم فى الحال .

وبعدئذ شرب الأرنب المريسة وتابع السير الى « وكارى » ، وتقدم الى الملك وقص قصته ، وقدم « الشىء العجيب » اليه ، فابتهج وأجزل له العطايا ، ومنذ ذلك الوقتأصبح ملوك «وكارى» يمتلكون الكرابيج ، وعندما يقع أحد الرعية تحت ضربات الكرباج يصرخ ويستغيث « أنجيـــا » فيمتنع عنه الضرب .

ووراء هذه الأسطورة معان كثيرة تتصل بعلم أصول الأجناس والسلالات البشرية ومميزاتها ، ويستدل منها المطلع أن أجناسا أخرى وفدت على السـكان الأصليين ، وأدخلوا طرقا جديدة فى فن الزراعة ونظم الحكم ، وبفضل هؤلاء الوافدين القدماء صار أهالى نجيريا القدماء يقيمون فى أماكن معينة بعد أن كانوا يجمعون الطعام جمعا .

ولما كانت الزراعة أصل الحضارة القديمة فقد جعلت الانسان يقيم فى مكان معين ، فلا يقضى وقتـــه فى التجوال يبحث عن الطعام . وباقامته ولزومه مكانا معينـــا ، وممارسته للزراعة صار له بيت وحكومة وملك وزوجة ومعارف خاصة بالمطر وصنع الأدوات للزراعة ونحـــو ذلك من الأدوات التى نبتت منها الحضارة .

وتقول قبيلة الهوسا ــ وهى أشهر القبائل التى تسكن شمالى نيجـيريا ان أصلها مصرى ، نزحت الى السودان وامتدت الى شـمال نيجيريا من زمن بعيد ، ثم أنشأت مقاطعات واسـعة فى وادى نهر النيجر .

والدليل على ذلك أن الثور والكبش دخلا أواسط افريقية وتغلغلا جنوبها وغربها على يد المصريين القدماء .

ومن المشاهد أن فلاح نيجيريا هو صورة طبق الأصل للفــلاح المصرى من جهة الدأب على العمل والصبر على المكاره ، والقناعة والاستسلام .

ولا يفوتنـــا أن نذكر أنه لولا المهاجرون من الهوسا والفلاتة لما نجحت المشروعات الزراعيـــة فى الجزيرة وطوكر وكسلا فى السودان الشقيق فهم اليد العاملة المجدة ، والمرأة مثل الرجل تشتغل وتكدح بدون كلل أو ملل فى الزراعـة ، وفى البيت ليل نهار ، بخلاف الرجل الذى يعمل من مطلع الشمس حتى غروبها .

كوامى نكرومه

يخطب فى الرابطة الافريقية

توجه الدكتور « كوامى نكرومه » رئيس وزراء غانة أثناء زيارته للجمهورية العربيـــة المتحدة الى مقر الرابطـة الافريقيـــة بالزمالك . وقد احتفلت الرابطة الافريقية بالدكتور « كوامى نكرومه » وتفقـــد سيادته جميع أنحاء الدار وأعجب بنشاط الافريقيين

ثم القى كلمة حماسية وجهها الى اعضاء الرابطة قائلا : « ان كل شخص منكم له اتجاه خاص ، ولكن أرى فيكم الطالب ، والموظف والأستاذ وكلكم هنا تهدفون الى اتجـــاه مشترك وغاية واحـــدة هى : أن تكون افريقيـــة للافـــريقيين . قد تكون افريقيـــة منقسمة الى عدة دول ، ولكن هذه الدول جميعها تســـعى الى غرض واحد ، وهو « افريقية للافريقيين » .

واستطرد سيادته يقول : « اننى أعتقد انكم ولا شك ستتغلبون على الصعوبات التى تواجه افريقية ، حيث أن العالم جميعه ينظر نظرة خاصة الينا ، وأتمنى لكم النجاح الباهر ، وانني حيثمـــا كنت لن أنســـاكم ، وانصحكم يا اخوانى بأن تتذكروا دائما انـــكم افريقيـــون وان افريقيـــة للافريقيين » .

ثم تفضل سيادته وكتب بيـــده أمنيته لمجلة «نهضة افريقية»، بالنجاح العظيم ، ثم مهرها بتوقيعه الكريم .



الاستاذ عبد العزيز اسحق مع السيد جورج بدمور

الآنسة ايرين عبد السيد



نهضة افريقيه

Wishing you every success
Kwame Nkrumah
Prime Minister of Ghana
23. VI. 58

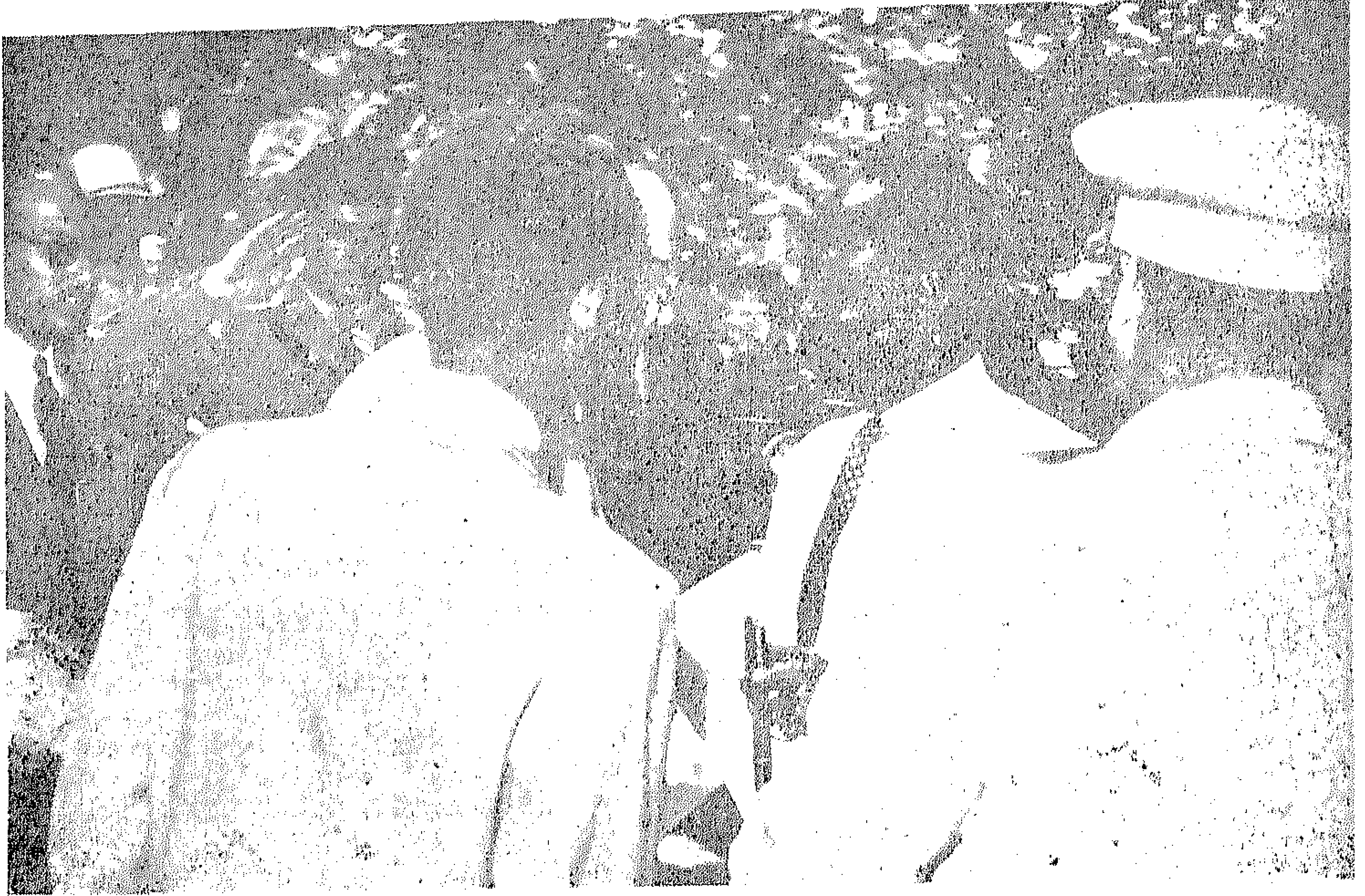
* * *

ارجو لكم كل نجاح

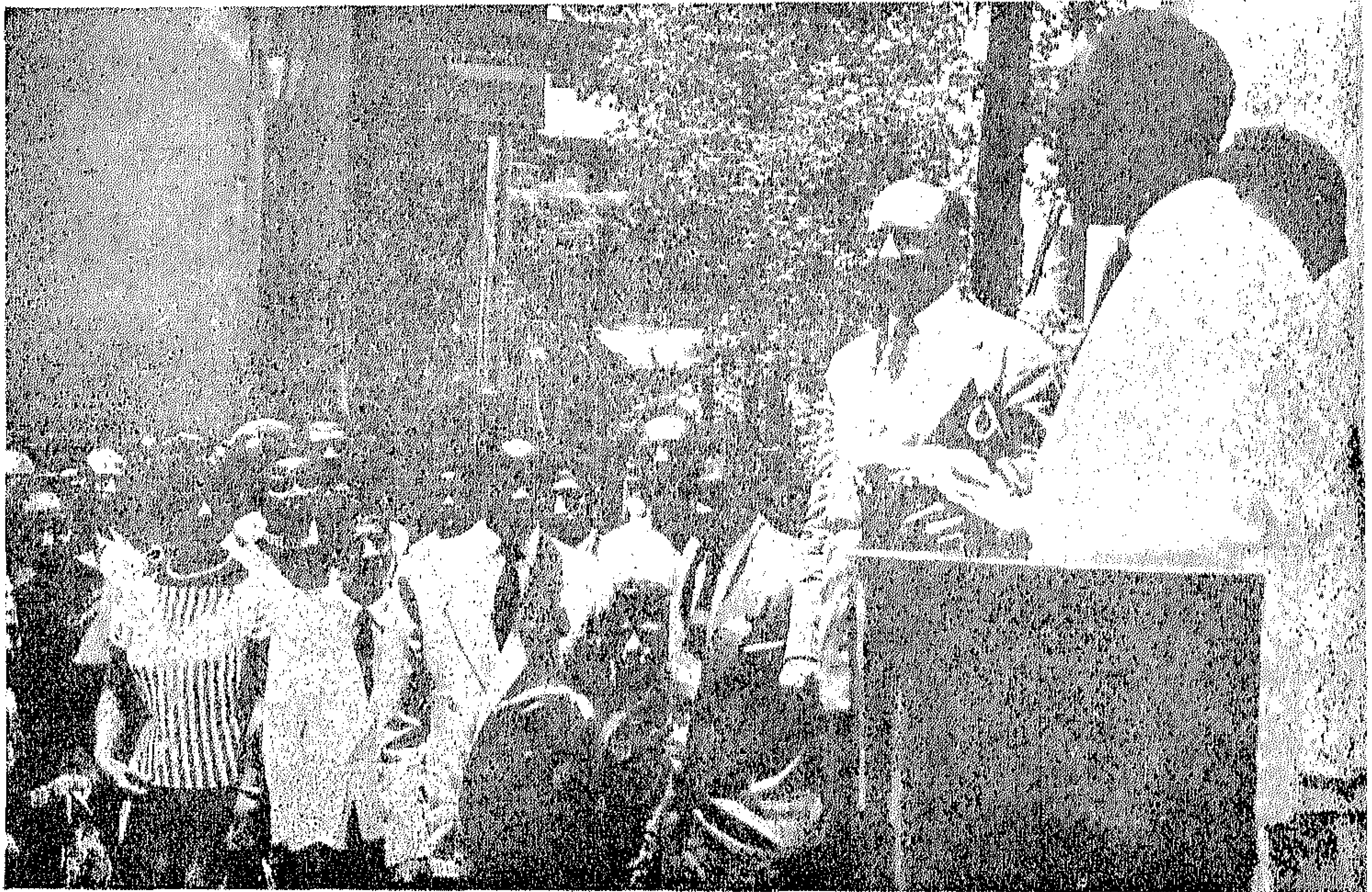
كوامي نكرومه

رئيس وزراء غانه

٥٨/٦/٢٢



الرئيس نكرومه فى حديث مع الأستاذ عبد العزيز اسحق السكرتير العام للرابطة الافريقية



الرئيس كوامى نكرومه يخطب فى الرابطة الافريقية والى يمينه السيد رئيس التحرير

سليلة الأفيال

بقلم الاستاذ بنايا سرور كوميانجى
ترجمة السيدة آمال خيرى

هنـــاك فى المنطقة الاستوائية الافريقية تؤمن بعض القبائل بعقائد خياليـــة بخصوص أنسابهم ، وأنا نفسى أنتمى الى بعض هذه القبائل !! فكل أسرة تعتقد بأنهـــا سليلة أحد الحيوانات كالنمر والأسد والفيل ، وأن بينهـــا وبين الحيوانات الاخرى صلةقربى ، وهم لهذاالسبب يمتنعون عن أكلها واذا أكل واحـد منهم لحم حيوان منهـــا فانه يفقـد قدرته على التناســـل ، ولابد أن نظرية داروين تجد لهـــا مؤيدين كثيرين بين هذه القبائل •

وقصة الفتـــاة الفيل هى احدى القصص الشائعة هناك : وهذه القصة تدور حول فتـــاة تنتمى أسرتها الى الفيل وكان اسم هـــذه الفتاة « يايى Yay » ، ويقـــال انهـــا كانت أجمل فتيات بلدتها ، وكان من عادة الشباب أن يؤلفوا الأغانى عن أجمل فتاة بينهم ، واذا بكل الأغانى تحمل اسم « يايى » وتتغنى بسحرها وجمال عينيها وبياض أسنانها ، وكانت هذه الأغانى تتدفق شعرا حالما رقيقا ، لأن لغتنا غير مكتوبة ــ وكثر المعجبون حول « يايى » وتقـــدموا لخطبتها ، وأخيرا نجح أحد شباب القبيلة فى الفوز بقلبها وتزوجها •

وكانت « يايى » زوجـــة مثالية ما بقى النهار ، اذ كانت لها طبيعتان متناقضتان فهى أثناء النهار امرأة من البشر ، أما بالليل فانهـــا تتحول الى صـــورة حيوان • وكانت « يايى » تصحب زوجها كل ليلة الى فراشه حتى ينـــام ، ثم تتركه وتتسلل الى الغابة فى شكل الفيل • ويقلق الزوج المسكين أثناء الليل فلا يجد زوجته الى جانبه ، ويظل ينتظرها ، ولكنها لاتعود حتى يطلع الفجر . وحار الرجل فى أمر زوجته وساورته الشـــكوك ، ومن يدرى ، فقد تكون على اتصـــال بواحد من الجيران ؟

وذات ليلة ذهب الزوجان كعادتهما الى الفراش وتظاهر الزوج بأنه يغط فى نوم عميق ، واذا بالزوجة تقـــوم ثم تفتح الباب وتتجه نحو الغـــابة وكان الزوج يتبعها خلســـة ، ولكن الدهشة الكبرى عرته حين رأى زوجته

تتحول الى فيل • وصمم الزوج على أن يرى نهاية الأمر فظل ساهرا طول ليله ، وعندما اقترب الصباح سمع أصوات الفيلة تدنو من منزله ، ثم تتوقف قريبا من بيته ، وتتقدم واحدة منها ثم تلوح بخرطومها للآخرين ، كأنها تودعهم ثم تتجه الى البيت بينما يصغر حجمها شيئا فشيئا وعند الباب تماما انقلبت هذه الفيلة الى « يابى » الزوجة الجميلة ، وتسرع الزوجة الى الفراش فلا تجد زوجها وتضطرب « يابى » خشية أن يكون زوجها قد علم بأمرها ، ولكن الزوج الذكى لم يبد عليه شىء حين عاد الى حجرته وكتم الأمر فى نفسه •

واستمر هذا الأمر عاما كاملا ، وأخيرا لم يستطع الزوج تحمل الوحدة القاسية فى فراشه ، فقرر أن يفاتح والدى زوجته ويطلعهما على الحقيقة • وكان أكثر ما يخشاه أن يكون لزوجته أحباب من بين الفيلة ، ومن يدرى فقد يجرؤ أحدهم على اصطحاب زوجته الى داخل البيت ؟ فماذا عساه أن يفعل ! •

ومن الغريب أن والدى الزوجة لم يدهشا أبدا لهذا الخبر ، بل قررا فى الحال أن يرسلا ابنتهما لتعيش مع أسرة الفيلة فى الغابة •

وأقيم حفل كبير اجتمع فيه أهل القرية على هيئة دائرة ، وفى الوسط جلس الساحر وجلست « يابى » الى جانبه ومعهما جدى أسود ، وقام كبار أفراد الأسرة يباركون « يابى » ، ويتمنون لها السعادة فى حياتها الجديدة مع الفيلة ، وطلبوا منها أن تزورهم كل عام مع أطفالها ، وأخيرا قام الساحر وباركها ثم ذبح الجدى ودهن صدرها وقدمها اليسرى بدمائه وسارت « يابى » وسط الجمع ، ودقت الطبول ، وأصبحت فيلا •

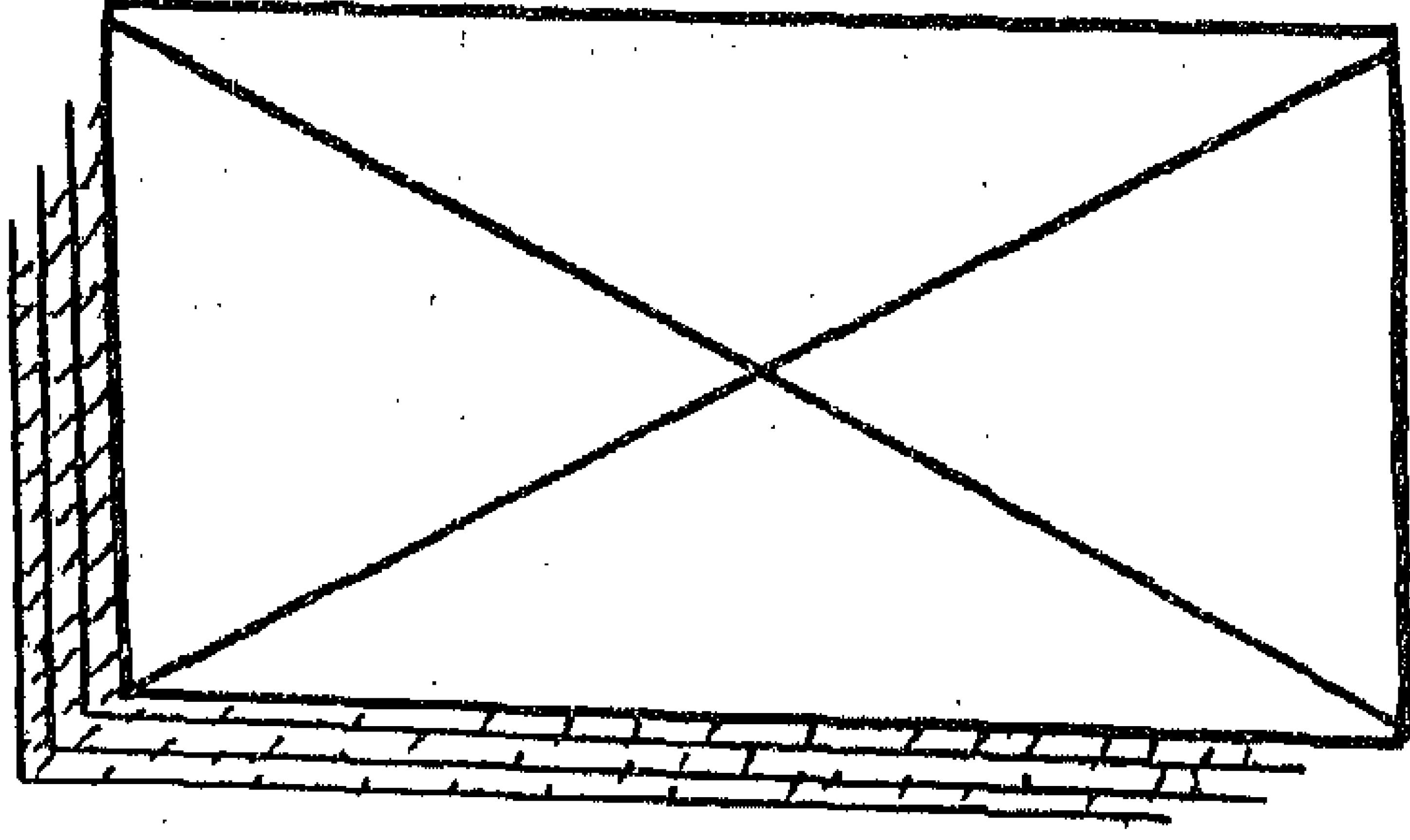
ومر عام وجاءت « يابى » لزيارة أهلها ومعها طفل ، فقدموا لها الحشائش واحتفلوا بها ، ومرت الأعوام وهى تواظب على زيارة بلدتها ثم مات الأهل وكفت « يابى » عن زيارة القرية •

ولابد أن نظرية التطور التى تنسب الانسان الى القرد بنيت على وجود تشابه بين الاثنين ، ولكن هذا التشابه لا يوجد فى حالة الفيل ، ومع ذلك فان أنثى الفيل لها ثدى على صدرها كالمرأة •

ومهما يكن من أمر ، فانه يقال ان هذه القصة حقيقية •



رسائل القراء



على الرغم من مرور ثمانيــة أشهر على صدور العدد الأول من « نهضة أفريقية » فما يزال البريد يحمل النبأ التهانى بصدورها ، والابتهاج بمولدها والغبطة بأنها سدت فراغا كان ملموسا فى الصحافة العربية والافريقية .

فهذه رسالة من الشاب السودانى أحمــد حسن تاج الدين (بمعهــد مسطرد الزراعى) يقول فيها :

ان هذه المجلة هى المجلة الوحيدة . التى تصور ما يحدث فى القارة الافريقية وانها ملأت أكبر فراغ تركه الاستعمار واننى لأفخــر بهذه المجـــلة لأننى افريقى ، ومن حق كل افريقى أن يعتز ويفخر بها ، لأنها تعطينا الحقائق التى ينكرها علينا الاستعمار .

اننى طالب سودانى بمعهد مسطرد الزراعى ، ومن رأيى أن تضيفوا الى المجلة ما يلى :

١ ـ باب للتعارف بين أبناء القارة وغيرها .

٢ ـ أن يكون بكل عدد شخصية افريقية .

٣ ـ أن تكون المجلة مزودة بصور افريقية .

فهذا يزيدنى فخرا وعزة .

أما السيد خليفـــة بريتى من أبناء غرب افريقيـــة ـ رواق البرناوية بالأزهر الشريف ـ فيبعث بتحيتـــه وتهنئته القلبية بصدور المجلة وشكره على هذا العمل العظيم نحو افريقية .

ويستمر فى رسالته الطريفة ... فيقول : ان هذه المجلة نعتبرها مسمارا فى عين الاستعمار ... وهى بغية كل افريقى وافريقية ، لأن كثيرا من الافريقيين لا يعرفون شيئا عن تاريخ افريقية ، الا ما يدرس فى مدارس المستعمرين ، والتواريخ التى تكتب فى هذه المجلة مختلفـــة ، نظرا لأن المســـتعمرين لا يكتبون الا الخرافات والمقـــالات الفاسدة ، ضد افريقية والافريقيين .. ولكن باصدار هذه المجلة قد عرفنا ما التاريخ الحقيقى وما الاتصــالات والارتباطات بين سكان غرب افريقية وشرقها وجنوبهـــا وشـــمالها ... ولا عجب فنحن الآن نتولى كتابة تاريخ قارتنا الغنية ، وأجدادنا النجباء ..

وفى ختام رسالته يرجو « موالاة الكتابة فى القومية الافريقية ، والنضال

التحررى ضد الاستعمار الغاشم الذى قسمنا الى دويلات صغيرة لا تستطيع واحدة منها أن تدافع عن نفسها .. »

* * *

وأما السيد أبو زيد منصور محمد وهو أستاذ للجغرافيا بمدرسة المنزلة الثانوية ، فقد أعجبته جدا هذه المجلة وما فيهـــا من وعى جغــــرافى ، وهو يذكر أنه : « طـــال انتظـــارنا لمجلة تعالج الدراسات الافريقيـــة وتنشر الوعى الجغرافى الافريقى بين أبنـــاء هذه القارة الناهضة سواء بين عامة الشعب أو الطبقة المثقفة ... وقد جاءت هذه المجلة لكى تسد هذا العجز فى المجلات المتـــداولة ، اذ أن موادها تجمع بين الثقـــافة العامة والبحث العلمى » ..

والأســـتاذ أبو زيد يهيب بزملائه أساتذة الجغرافيـــا « للاهتمام بهذه المجلة ، والعمل على تشجيعها ، ومدها بالمواد الملائمة »

* * *

ويكتب السيد ادوارد هنرى عبيد (بمدرســـة نجع حمادى الثـــانوية) تحية وشكرا للقائمين على تحرير المجلة ويقول : « لقـــد أفادتنى هذه المجلة كثيرا ، لما تحمله الينا من موضوعات شائقة مفيدة ، ومن مقالات وقصص نافعة ... » ويقترح ســـيادته أن تصدر المجلة أسبوعية .

* * *

ويضم السيد عبـــد العظيم حسن موافى عاشور (من ميت سلسيل ـ مركز المنزلة ـ دقهلية) صوته الى صوت السيد ادوارد عبيـــد فى أن تصدر المجلة أسبوعية ، ويرجو أن نقوم بعمل استفتاء بين القراء من أجل ذلك ويشفع سيادته هذا الطلب بمقطوعة زجلية موسيقية ...

* * *

ويؤكد السيد عزت طنطاوى الخولى (بمدرســـة ميت غمر الثانوية) أن صدور هذه المجلة فيه خدمة لصاحبة الجلالة الصحافة ، وخدمة للشعوب الافريقية جميعها ، ويبعث ســـيادته بقطعة رمزية من الشعر المنثور ، فيها تصوير لطموح الافريقى الى الحرية ، وتحطيم أسوار الاستعمار .

* * *

ومن القطر الشقيق (ليبيا) يكتب الســـيد رجب دخيل المنصورى ـ (مدرســـة النهضـــة الداخليـــة ـ بنى غازى) طالبا التعرف برئيس تحرير هذه المجلة « وأن تدوم المراسلة بيننا ، ويقول «أرجو أن تزودنى ببعض الكتب والمجلات التى فى استطاعتكم ، وأن ترسلوا لى منظرين من منـــاظر الجمهورية العربيـــة المتحدة ، وان شاء الله نرسل لكم منظرا من مناظر وطنى العزيز ، وهو ليبيا شقيقتكم »

وقد كان لهذه الرسالة وقع عاطفى خاص لدى رئيس التحـــرير الذى سبقت له الحياة فترة عزيزة من العمر فى « برقة » وله فى مدينتى « درنه » و « بنى غازى » أجمل الذكريات ...

م . ع . ف

1. The independent States attending the conference are to adopt a common policy aiming at defending their independence.

2. They are to contribute towards the liberation of colonies.

3. They are to fight against racial discrimination.

4. They are to co-ordinate economical plans with the view of increasing national resources and promoting trade relations among the African countries.

5. They are to consolidate social and cultural relations among the African peoples, facilitate the exchange of teachers, professors, students and exhibitions and to encourage the study of African culture.

For this fruitful and great struggle and in appreciation of the noble human values represented in the person of Dr. Kwame Nkrumah and in acknowledgement of his successful efforts towards the liberation of his country, the Cairo University Senate, meeting on the 19th of June, 1958, decided to confer the honorary degree of Doctor of Laws on Dr. Kwame Nkrumah.

---

acquired all the preresquisites of a leader and he set out to form youth unions, establish cooperative societies among the peasants and spread political consciousness among his compatriots. When he had fully recruited the forces of the people he began his attack on the imperialist ruler ruthlessly and without compromise.

After many vain attempts on the part of the imperialists to suppress this movement they finally had to give in and acknowledge Ghana's right for freedom and independence.

Nkrumah struggled hard until Ghana obtained its freedom but he is still struggling to consolidate its independence, build up its economy, raise the standard of living among its people and bring it out into the wider international sphere.

Dr. Nkrumah's efforts are not limited to Ghana. He contributes towards the promotion of national consciousness among the African peoples and propagates the spirit of struggle for the liberation of occupied countries. His views as regards the emancipation of the occupied African countries are well expressed in his book "Towards Colonial Freedom".

Urged by this principle Dr. Nkrumah paved the way for holding a conference for the independent African states. The representatives of the United Arab Republic attended the conference which was held in Accra in April 1958. At this conference the African personally emerged in the international sphere as independent, as the African states were represented for the first time by the Africans them-selves and not by the imperialists as was the case before.

The conference may well be considered as a landmark in the history of the African continent.

The important decisions taken by the eight independent African states set up a well-defined policy for the promotion of relations among the African countries, the consolidation of their independence and the establishment of world peace.

Dr. Nkrumah contributed greatly to the success of the conference and, together with other representatives, set up a policy aiming at upholding values and the realization of social justice.

This policy can be summed up in the following points :

CONFERRING THE HONORARY DEGREE OF DOCTOR OF LAWS ON Dr. KWAME NKRUMAH

Address of the Rector of the University of Cairo

Gentlemen,

One of the major missions of a university is the contribution to human heritage and its preservation. That is why universities all over the world consider it their duty to express their appreciation of such efforts as aim at upholding human values, consolidating the rights of man and establishing social justice. This applies particularly to those whose life-work is dedicated to the liberation of their peoples and their welfare. Dr. Kwame Nkrumah stands in the forefront of those who have assiduously worked for the promotion of these noble aims, and it gives Cairo University great pleasure to celebrate today the outstanding work which Dr. Nkrumah has done for the good of his people and his country.

Dr. Nkrumah was born in 1909 and went to school in Ghana but, unlike many of his fellow-country men, he was dissatisfied with the amount of education which the imperialists offered and so he went to the U.S.A. where he studied at Lincoln University, Pennsylvania, and obtained his B.A. and M.A. Seeking further knowledge and wider horizons, he then went to England where he studied at the London School of Economics.

The struggle of Dr. Nkrumah to educate and liberate himself from the limited horizons which the imperialist rulers imposed on the people of Ghana is really heroic and therefore, worthy of acknowledgement, honour and respect.

It was by dint of this struggle that he prepared and equipped himself for the greater struggle against imperialist forces which he began as early as his undergraduate days in America when he got together the African students and urged them to work for the freedom of Ghana and its people.

When he returned home he had

chez les femmes et ne peuvent etre expulsés que par les femmes.

A Madagascar, Bastian a noté que "les hommes et les femmes qui entourent le possédé ou la possédée dansent avec eux pour soulager le malade". Quant à Junod, il rapporte que chez les Ba-Ronga "le possédé se met aussi à danser frénétiquement".

Enfin, A. Le Roy met à son tour l'accent sur les diverses catégories d'esprits qui assaillent leurs victimes :

"Parfois, dit-il, l'esprit possesseur est d'origine humaine, mais le plus souvent c'est un de ces êtres malfaisants et pervers dont l'origine est mal connue et qui n'a pour l'homme que jalousie, rancune et colère. La première chose à faire en pareil cas est d'appeler un spécialiste qui fera parler l'esprit et saura à quel exorciste s'adresser pour délivrer le malade. Après des tams-tams, des danses rituelles et des cérémonies fort compliquées et fort longues — elles peuvent durer plusieurs jours et plusieurs nuits — un sacrifice est offert. Le possédé boit le sang de la victime, les assistants s'associent à cette "Communion" et l'esprit s'en va".

Telles sont les principales mentions des danses de possession et des cérémonies d'exorcisme en usage en Afrique Noire. Ces cérémonies sont en relation avec les croyances religieuses et cosmogoniques des peuplades qui les pratiquent. Ainsi, la religion des Bori, par exemple, est, selon Frobenius, une véritable religion de la possession qui s'étend sur une très grande partie de l'Afrique centrale. "Elle viendrait, dit-il, d'Orient et même de Perse d'où elle aurait passé par la Palestine aux pays de la côte orientale d'Afrique. Elle traverse le Nil moyen à travers le Soudan jusqu'au Niger, acquiert dans le triangle haoussa un développement territorial particulièrement fort et vient s'éteindre ensuite vers la côte orientale".

Quoi que l'on puisse penser de cette opinion, les incidences historiques et géographiques démontrent clairement que le **zar** tel qu'il se pratique notamment dans les pays d'Islam, tire son existence des rites païens qui lui ont donné naissance et qui ont cours un peu partout sur l'étendue du continent africain en dépit de la pénétration des deux grandes religions monothéistes. Nous en trouvons un exemple dans le bori qui, après la conquête des états haoussas par l'Islam au XIXe siècle, fut interdit dans les villes; mais n'en continua pas moins à se maintenir dans les villages et les petites agglomérations.

René Khoury

en convulsions. Aussitôt la famille va trouver la **gousoulfa**, c'est à dire "la vieille femme" qui a les fonctions de **magadia** (prêtresse) dans le bori (animisme religieux africain)(1). Celle-ci reçoit le malade et fait venir son partenaire, l'**adingi** (prêtre). Puis elle demande à la famille un coq rouge. On prépare ensuite pour le malade une certaine bouillie. Il doit aussi respirer une certaine fumée. Un joueur de **goye** (violoniste ou guitariste) est mandé. Après qu'on ait reconnu quel était l'**alledienou** (autre nom de l'esprit possesseur) en cause, la séance continue jour et nuit pendant sept jours, au son du violon et de la calebasse.

"Trois jours après a lieu le sacrifice d'un bélier blanc. Il est tué, cuit et mangé, et après ce repas ont lieu de grandes danses et des réjouissances. Alors l'alledienou inspire souvent tantôt l'un, tantôt l'autre des assistants qui se mettent à faire des bonds violents, pirouettent en l'air et se laissent tomber tout à coup par terre sur le dos".

On remarquera tout de suite les similitudes qui existent entre la coutume des Bori et le **zar** tel que nous le connaissons : la **gousoulfa** s'identifiant avec la **koudia**, l'**adingi**, que nous pouvons comparer aux pittoresques **Aboulghêt** ; enfin, les fumigations et le sacrifice d'animaux, toutes choses qui se retrouvent dans le **zar**, voire dans le **vodou** haïtien puisque tous deux ont la même origine. La musique elle-même demeure africaine, le tambour dominant tous les autres instruments. Or, nous savons que le tambour, en Afrique, est doué de propriétés magiques. C'est un instrument sacré qui invoque les puissances surnaturelles.

Enfin, le même rituel a été observé par Dennholz dans l'Afrique orientale, par Bastian à Madagascar, par Junod chez les Ba-Ronga du Sud-Est africain de même que par A. Le Roy qui a étudié le caractère d'ensemble des races bantoues de l'afrique du Sud, du Cameroun, du Congo, du lac Victoria-Nyanza jusqu'au Cap.

"Les esprits trompeurs, écrit Dannholz, donnent la maladie du **mpepo** qui paraît être une sorte de possession. Cette maladie atteint particulièrement les femmes. La possédée est prise d'une rage traversée de convulsions. Au rythme du tambour **mpepo**, elle danse d'une façon effrayante et sauvage jusqu'à complet épuisement; après quoi, elle éprouve un soulagement passager".

Rappelons ici que chez les Ngangelas du cercle zambézien, les esprits démoniaques des rivières ne provoquent la possession que

(1) Bori est la fois le nom de la et celui de la croyance religieuse.

LE ZAR EN AFRIQUE

Par

René Khoury

Le **zar**, cérémonie destinée à délivrer de la possession démoniaque, est en usage en Egypte, au Soudan, en Ethiopie, en Somalie, dans le Maghreb, en Arabie et dans l'Oman. Dans tous ces pays, la cérémonie en question est connue sous le nom de **zar**. En Afrique du Nord et au Soudan, sous celui de **zar bori.**

Le mot **zar** n'est pas d'origine arabe mais kouchitique. C'est le nom d'une divinité païenne en Ethiopie. Quant à la coutume elle-même, elle prend sa source en Afrique Noire, chez les Bori (d'où le nom de **zar bori**) et les Haoussas du Soudan français. C'est quand elle eut passé en Abyssinie qu'on l'appela définitivement **zar.**

La cérémonie d'exorcisme a lieu au son de la musique, surtout du tambour dont le rythme hallucinant devient toujours plus rapide et saccadé, plongeant ainsi les possédés dans une sorte d'extase au cours de laquelle ils sont pris de frémissements, puis de convulsions pour se livrer ensuite à des danses frénétiques jusqu'à complet épuisement de leurs forces. Quand, enfin, au bout d'un certain temps, ils s'écroulent par terre immobiles et prostrés, on dit que l'esprit qui s'était emparé de leur corps vient de las quitter.

Coutume essentiellement africaine, le rite de la possession qui a donné naissance au **zar** est antérieur à l'Islam qui le rejette comme païen. Aussi le **zar**, dans les pays musulmans que nous venons de mentionner, est-il considéré comme une **bedaa**, une "nouveauté proscrite". Il s'y perpétue néanmoins par tradition dans les couches inférieures des populations qui ont hérité cette superstition des esclaves nègres au temps où florissait la traite, quand les serviteurs de couleur firent pour la première fois leur apparition dans les demeures des par ticuliers.

Voici en quels termes le grand ethnologue allemand Frobenius décrit une cérémonie d'exorcisme dans l'Afrique centrale [1].:

"Au moment où le **babakou** (esprit) rend l'homme malade, celui-ci pousse des cris et tombe

---

(1) Toutes les citations reproduites dans cet article ont été résumées.

Et déjà, en application de cette résolution les jeunes de certains pays ont déjà collecté pour leurs amis de Kamerun d'importants dons qui seront bientôt acheminés aux bénéficiaires. La Conférence de la Jeunesse Afro-Asiatique prévue pour le premier trimestre de l'année prochaine aura également à se prononcer sur le brûlant problème qui se pose au Kamerun. Ainsi donc, au lieu de la juguler, la mesure de déportation prise à l'encontre des dirigeants de la J.D.C. n'a fait que contribuer largement à la popularisation de la cause pour laquelle les jeunes du Kamerun se battent résolument aux côtés de leur peuple.

Il importe que l'opinion mondiale se mobilise de façon déterminante pour imposer aux puissances coloniales chargées d'administrer le Kamerun au nom de l'O.N.U. l'inévitable dialogue avec les inévitables interlocuteurs valables de l'U.P.C. C'est la voie indiquée par les représentants à Accra de huit Etats indépendants d'Afrique. Et leur voix est d'autant plus autorisée que certains d'entre eux ont passé par la voie sur laquelle on traîne aujourd'hui les dirigeants de l'U.P.C. L'opinion se doit de réagir avec diligence pour que De Gaulle et Macmillan n'aient plus à compter sur notre jeunesse dans la troisième guerre qu'ils préparent avec leurs alliés de l'O.T.A.N., et tous les essais d'armes nucléaires annoncés au Sahara contre le gré des peuples d'Afrique et du monde entier ne sont qu'une avant-scène. Il n'est pas possible de parler de paternité, d'amitié ou de coopération entre les peuples lorsque les 3/4 des populations d'un grand Continent comme le nôtre restent encore soumises au système esclavagiste.

voient d'un autre œil une telle prise de conscience de la classe d'avenir. N'avaient-ils pas au début voulu créer et exploiter une discrimination d'âge en présentant nos parents qui animaient la lutte de libération nationale comme de vieux égarés jaloux de la jeunesse et désireux de précipiter celle-ci dans une catastrophe avant de mourir? Les jeunes venaient de relever le défi, et de marquer par là même un point déterminant au nationalisme kamerounais. Il ne restait plus aux colonialistes, en face d'une telle détermination populaire, qu'une issue la seule du reste à laquelle les oppresseurs menacés dans leurs leurs intérêts ont toujours eu recours, j'ai nommé la répression. Rien ne fut épargné dans cette basse besogne, Corruption et répression sous toutes ses formes furent mises en scène. Malheureusement pour leurs auteurs, elles n'eurent qu'un effet catalyseur pour la jeunesse et le peuple kamerunais. A telle enseigne que, le 25 Mai 1955, sur le point d'être nettement dépassés par l'impétueux courant qui charriait toutes les forces vives de la nation autour du programme de lutte commune pour l'objectif commun, les colonialistes français déclenchèrent franchement la guerre. Elle dure jusqu'à ces jours. Les victimes? Nul n'en dira jamais le nombre. Mais il est tristement impressionnant. Etudiants et leurs parents peuplent le maquis autant qu'ils peuplent les prisons et les camps de concentration. Et pourtant leur confiance en la victoire finale n'a jamais été aussi forte qu'aujourd'hui. C'est qu'ils méditent le bel exemple donné au monde par les jeunes de l'Indochine, du Maroc, de Tunisie, de Chypre, d'Algérie et d'Egypte dans la lutte héroïque de leurs peuples contre l'impérialisme et le colonialisme.

De leur côté les colonialistes britanniques crurent vraiment en avoir fini avec la Jeunesse Démocratique du Cameroun en la déclarant „dissoute" et en arrêtant le 3 Juin 1957 quelques-uns de ses dirigeants pour l'exil. Faux calcul, car une telle mesure prise deux ans plus tôt par le gouvernement français n'avait été qu'un véritable coup d'épée dans l'eau. Depuis l'exil tout le monde sait quel chemin a parcouru le problème kamerunais à l'opinion internationale, et plus particulièrement dans les milieux afro-asiatiques. A Stockholm, au cours du Conseil de la F.M.J.D. une importante résolution fut adoptée autour du problème kamerunais.

LA JEUNESSE DU KAMERUN

Par

Ndjog Aloys-Marie

Secrétaire à la Propagande de la J.D.C.

Il existe, comme dans tous les pays d'Europe, comme dans tous les pays d'Afrique et d'Asie, il existe aussi au Kameron, pays d'Afrique, pays martyr, qui lutte héroïquement depuis trois ans pour la libération effective de toute l'Afrique du colonialisme exterminateur, il y existe un admirable trésor, une richesse inépuisable dont le peuple kamerunais est et doit être fier dans son juste combat pour l'unité et l'indépendance immédiates. Ce trésor, cette richesse est sa Jeunesse, la Jeunesse Démocratique du Cameron. (J.D.C.)

Cette Jeunesse, comme toutes les autres organisations sociales, a ses révendications caractéristiques: la soif de s'instruir [illegible] de s'amuser, le droit au travail, la soif de vivre heureux dans un pays indépendant et libre, la soif d[illegible]a paix et de l'amitié avec la Jeunesse d'autres pays.

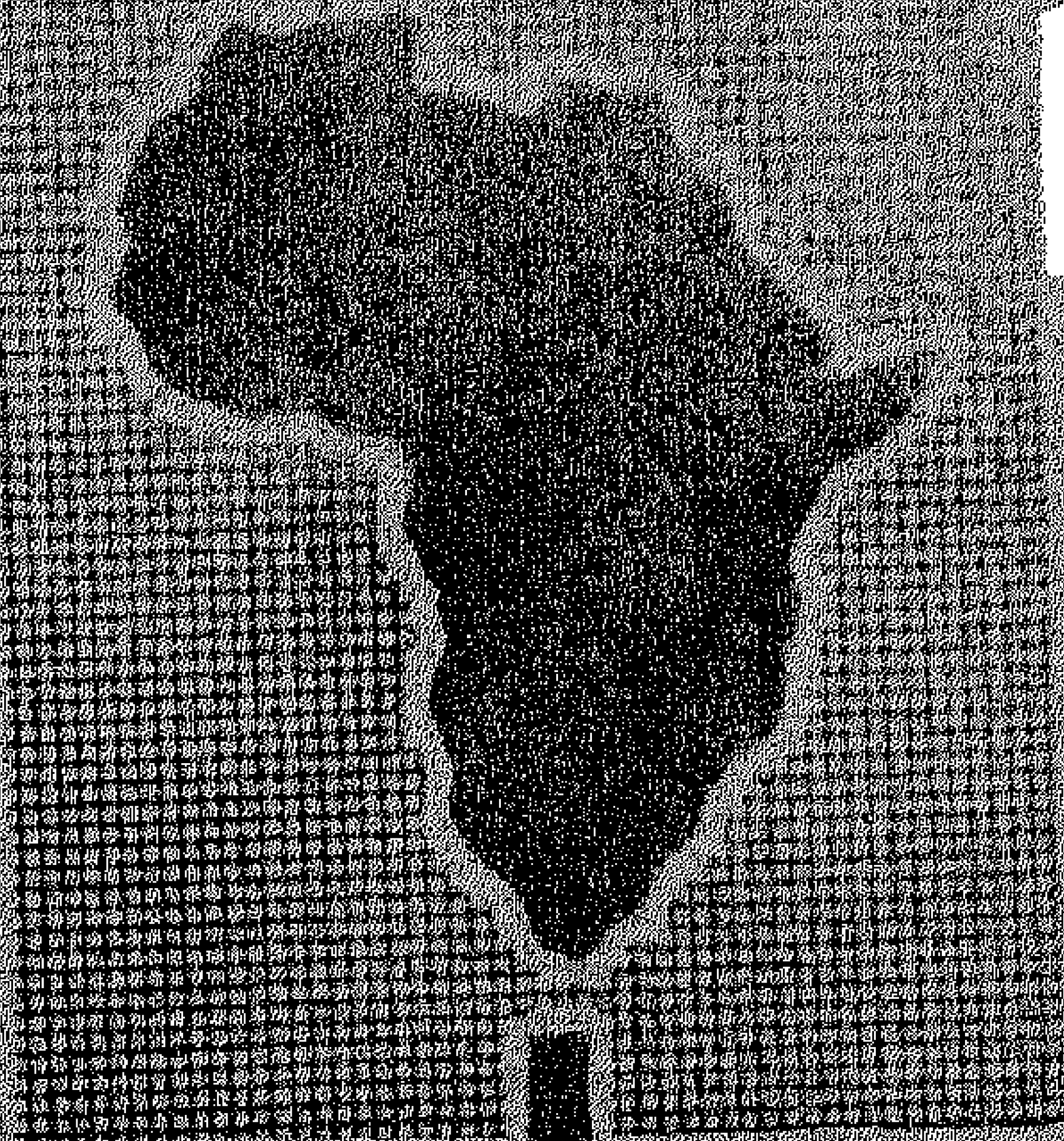
Se trouvant donc dans l'impossibilité de réaliser ses nobles et légitimes objectifs, tellement elle se trouvait comprimés sous la domination étrangère, elle se rendit vite compte qu'elle ne pouvait retrouver son bonheur qu'en luttant décidément aux côtés de son peuple pour l'éradication du colonialisme sous toutes les formes. C'est ainsi que dès le berceau, avide de l'action et du savoir, sous l'entraînement et la paternité politico-morale de l'Union des Populations du Cameroun, l'Incarnation des aspirations du peuple kamerunais, la Jeunesse Démocratique du Cameroun, en quelques mois d'organisation systématique et d'éducation, a pu contribuer largement à la mobilisation générale de la masse kamerunaise et mériter ainsi d'être à l'avant-garde de la Révolution kamerunaise.

Longtemps la Jeunesse avait eu pour seul lot : lam isère, l'analphabétisme, le chômage, ou alors un travail disproportionné à son âge. Elle s'éveille maintenant avec une fougue toute juvénile à la conscience nationale. Il était compréhensible que les colonialistes



فتـــــاة من الـكنغو

Vol. 1 No. 9 July 1958



Nahdatu IFRIQUIAH

IN THIS ISSUE